أطلس الفتوحات الإسلامية

في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم

ي بن عبد الله بن أحمد المغلوث

الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين

رضي الله عنهم

تأليف وتصميم

سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث

العبيكان
obeikan

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
المغلوث، سامي عبدالله
أطلس الفتوحات الاسلامية في عهد الخلفاء الراشدين./ سامي عبدالله المغلوث. - الرياض، ١٤٣٠هـ
٧٣٦ص؛ ٢١ × ٢٩سم
ردمك: ٧-٨٥١-٥٤-٩٩٦٠-٩٧٨
١- الفتوحات الإسلامية ٢- الأطالس التاريخية
٣- الخلفاء الراشدون - تاريخ
أ- العنوان
ديوي ٩٥٣ ١٤٣٠/٦١١١

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٦١١١
ردمك: ٧-٨٥١-٥٤-٩٩٦٠-٩٧٨

الطبعة الأولى
١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م

الناشر: العبيكان Obeikan للنشر
الرياض - شارع العليا العام - جنوب برج المملكة
هاتف ٢٩٣٧٥٧٤ /٢٩٣٧٥٨١ فاكس ٢٩٣٧٥٨٨
ص. ب ٦٧٦٢٢ الرمـز ١١٥١٧

التوزيع: مكتبة العبيكان Obeikan
الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة
هاتف ٤١٦٠٠١٨ /٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩
ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمـز ١١٥٩٥

المقدمة

الحمـد لله الكريم الـودود، والملكُ المعبود، المعروفِ بالكرم والجود، أحمده سبحانه على ما اتصف به من صفات الجلالِ والإكرام، وأشكره على ما أسداه من جزيل الفضلِ والإنعام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تبوئ من حققها جنات النعيم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أفضل من دعا إلى الدين القويم، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم على النهج السليم .

أما بعد؛ فهذا هو كتابنا العاشر من سلسلة الأطالس التاريخية والإسلامية والموسوم بـ (أطلس الفتوحات الإسلاميـة في عهد الخلفاء الراشدين رضـي الله عنهم) ، حيث إنني وعدت القارئ الكريم لهذه السلسلة المباركـة؛ بـأن أقوم بتأليف وتصميـم وإخراج أطلسٍ شاملٍ عـن الخلفاء الراشدين؛ مختلـفٍ فـي طريقة عرضـه عـن ما قدمته من أطالس سابقة عن كل شخصية منهم ! ، - وبحمد من الله وقوة -؛ فقد يسر الله لي أن أخـرج هـذا الأطلـس العاشر، بحلتـه القشيبة عن الفتوحـات الإسلامية العظيمة فـي عهد الخلفاء الراشديـن؛ خلفاء النبي صلى الله عليه وسلم، أولئك الصفوة المختارة من الرعيل الأول من صحابة رسول الله صلـى الله عليـه وسلم والذي وصفهـم الحق تبارك وتعالى بقولـه: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ محمد.

إن هؤلاء الخلفاء الأربعة (أبو بكر وعمر وعثمان وعلي) ممن اتصفوا بكريم السجايا وعظيم الخصال ؛ لهـم خير من خلـف النبي عليه السلام في قيادة الأمة، فمنـذ أن تولى كل واحد منهم سُـدَّة الخلافة في الدولة الإسلامية، وهو يحمل همّ هذا الدين وتبليغه لشعوب الأرض؛ فسيّروا قادة الجيوش الإسلامية في صفوف مؤمنـة، موحـدة مهللة، مصلّية مكبرة، فعَنْ أَبِي عَبْدِ الله الأَشْعَرِيِّ، قَالَ: صَلَّى رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلمَ بِأَصْحَابِه، ثُمَّ جَلَسَ فِي طَائِفَةٍ مِنْهُمْ، فَدَخَلَ رَجُلٌ، فَقَامَ يُصَلِّي، فَجَعَلَ يَرْكَعُ وَيَنْقُرُ فِي سُجُوده، فَقَالَ النَّبِـيُّ صلـى الله عليه وسلـم: "أَتَرَوْنَ هَذَا، مَنْ مَاتَ عَلَى هَذَا، مَاتَ عَلَى غَيْرِ مِلَّـةِ مُحَمَّد، يَنْقُرُ صَلاتَهُ كَمَا يَنْقُـرُ الْغُـرَابُ الدَّمَ، إِنَّمَا مَثَلُ الَّذِي يَرْكَعُ وَيَنْقُرُ فِـي سُجُوده، كَالْجَائِعِ لا يَأْكُلُ إلا التَّمْـرَةَ وَالتَّمْرَتَيْنِ، فَمَاذَا تُغْنِيَانِ عَنْهُ، فَأَسْبِغُوا الْوُضُوءَ، وَيْلٌ للأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ، أَتِمُّوا الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ" . قَالَ أَبُو صَالِحٍ : فَقُلْتُ لأَبِي عَبْـدِ الله الأَشْعَرِيِّ: مَنْ حَدَّثَكَ بِهَذَا الْحَدِيثِ؟ فَقَالَ: **أُمَـرَاءُ الأَجْنَادِ : عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، وَخَالِدُ ابْنُ الْوَلِيدِ، وَيَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، وَشُرَحْبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ** ، كُلُّ هَؤُلاءِ سَمِعُوهُ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم.

إن هذا الحديث الذي أخرجه البخاري في التاريخ الكبير؛ ليبين لنا عدة أمور فقهية، نركز على شاهدنا منــه لهـذه المقدمة، وهو قول أبي صالـح : فَقُلْتُ لأَبي عَبْد الله الأشْعَرِيِّ (**أبو موسى الأشعري**): مَنْ حَدَّثَـكَ بِهَذَا الحَدِيث؟ فَقَالَ: **أُمَرَاءُ الأَجْنَاد: عَمْرُو بْنُ الْعَاص، وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيد، وَيَزِيدُ بْنُ أَبي سُفْيَانَ، وَشُرَحْبِيلُ بْنُ حَسَنَة**، كُلُّ هَؤُلاءِ سَمِعُوهُ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم.

نعم أيها القارئ الكريم هؤلاء هم **أمراء الأجناد**؛ جلساء النبي صلى الله عليه وسلم ورفقاؤه، والذين اختارهــم الخلفـاء الراشدون؛ ليحملوا لواء الإسلام إلى مشارق الأرض ومغاربها؛ تركوا ديارهم، وأهلهم وفلذات اكبادهم، وكل متع الحياة الدنيـا، وانســاقوا حول تبليغ الرسـالة الخاتمة استجـابة لقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ آل عمران.

لقـد دخلـت شعـوب تلك البلاد المفتوحة فـي دين الله أفواجاً عـن قناعة وبصيرة، نتيجـة لهؤلاء القادة الصالحين الذين تشربوا الإسلام وجعلوه واقعاً عملياً وسلوكاً فعلياً؛ فحينما وقع الصلح بين المسلمين وأهل الحيرة على أن يتم تسليم ١٩٠ ألفاً من الدراهم للمسلمين، بعث خالد بالفتح والهدايا إلى أبي بكر الصدّيق فقبل الهدايا، وعدها لأهل الحيرة من الجزية تعففاً عما لم يأذن به الشرع وقطعاً لدابر العادات الأعجمية التي كان يحتال بها الساسانيون والبيزنطيون على سلب أموال الناس؟! . وكذلك رد المسلمون الجزية لأهل حمص حينما وجدوا أنهم على انشغال على جبهات أخرى في القتال ... ، فالمسلمون أصحاب رسالة سامية فقد حرَّم الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم قتل الرهبان والنساء والأطفال والمكفوفين، كما حرَّم عليهم تدمير الزرع والضرع .. ! ، فكان هؤلاء القادة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم على قدر كبير من التُقى والورع والعلم بأحكام الشريعة والامتثال بها؛ فها هو الفاروق رضي الله عنه؛ يكتب إلى أبي عبيدة وهو بالشـام قائلاً: لقد اثنى الله على قوم بصبرهم فقـال :﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ آل عمـران، فأمـا ثـواب الدنيـا فالغنيمـة والفتـح، وأمـا ثواب الآخرة فالمغفـرة والجنة، وأقرأ كتابي هذا على الناس ومرهـم فليقاتلوا في سبيل الله وليصبروا كيما يؤتيهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة .

لقـد تناولـت في هذا الأطلس مسيرة الفتح بشكل ميسر إلى حـد ما؛ مسلطاً الضوء على المواقع الحربية والبلدانيـة الهامة، ومستخدمـاً لذلك النص المختصـر، والخارطة التاريخية أو الجغرافيـة أو الفضائية، والصورة الواقعية لموطن الحدث، والشكل الجذاب لبعض الأفكار، والجدول السهل للمقارنات، كل ذلك من أجل أن يعيش القارئ الكريم حقيقة الفتح الإسلامي العظيم بقالب تقني على منتج ورقي يتناغم مع ذائقته.

إنني ومن خلال هذا الكتاب (أطلس الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم) ، أكون قد تفاعلت إلى درجة ما ! ، مع صاحب معجم البلدان في تعريف الناس بطبيعة المكان وهيئته في العهد الراشدي؛ قال ياقوت في مقدمة معجمه الثّر: « وكم إمام جليل، ووجه من الأعيان نبيل، وأمير كبير، ووزير خطير، يُنسَب إلى مكان مجهول ... ومن ذا الذي يستغني من أولي البصائر عن معرفة اسماء الأماكن وتصحيحها، وضبط أصقاعها وتنقيحها، والناس في الافتقار إلى علمها سَواسِية، وسر دورانها على الألسن في المحافل علانية، **لأن من هذه الأماكن ماهي مواقيت للحجاج والزائرين، ومعالم للصحابة والتابعين، رضوان الله عليهم أجمعين**، ومشاهد للأولياء والصالحين، **ومواطن غزوات وسرايا سيِّد المرسلين، وفتوح الأئمة من الخلفاء الراشدين** » .

أيها القارئ الكريم؛ إن هذا العصر التقني المتسارع الخطى؛ ينبغي أن نقدم فيه تراث أمتنا الإسلامية المجيدة بقالب يتماشى وروح العصر الذي نعيش فيه؛ فالكتاب الورقي اليوم أصبح محاصراً من وسائل التقنية الأخرى؛ فإذا لم نقدم فيه كل ما هو جديد؟!، عزف الناس عنه وتنحوا منه، كنتاج طبيعي لعدم تفاعله مع إيقاع العصر الذي ينتمي إليه؛ لذا وجدتُ لزاماً عليَّ وأنا - بحمد من الله وتوفيقه - ممن تمرس في هذا الميدان؛ تأليفاً وتصميماً وإخراجاً؛ أن أكمل ما قد بدأت به من سلسلة الأطالس التاريخية والإسلامية عن هذا الفتح العظيم في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم؛ فكان هذا الأطلس بقسميه : القسم الأول، ويتناول الفتح الإسلامي على الجبهة الشرقية (أي الصراع مع الإمبراطورية الساسانية على أرض العراق وإيران والأقاليم المجاورة لهما) ، وأما القسم الثاني، ويتناول الفتح الإسلامي على الجبهة الغربية (أي الصراع مع الإمبراطورية البيزنطية على أرض الشام ومصر والأقاليم المجاورة لهما) .

إنني ومن خلال هذا الأطلس أسألُ الله العلي القدير؛ أن أكون قد وفقت إلى تقديم صورة جميلة عن الرعيل الأول من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذين ضربوا أروع الأمثلة في سبيل نشر كلمة لا إله إلا الله ... وأن محمداً رسول الله؛ ليكون هذا الأطلس نبراساً لكل داعية على أرض الواقع؛ يترسم خطاهم، ويتأسى بأفعالهم، وهم من قال الله فيهم: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ التوبة . سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الثلاثاء ٧ رجب ١٤٣٠ هـ

تأليف وتصميم

سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث

المبرز - الأحساء - المملكة العربية السعودية

جوال ٠٥٠٤٩٣٤٦٩٣

SAMIMAG4@NASEEJ.COM

قال تعالى

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ التوبة

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ الأحزاب

أطلــــس

الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين
رضي الله عنهم

القسم الأول

الفتح الإسلامي على الجبهة الشرقية

(العراق وإيران والأقاليم المجاورة لها)

الباب الأول

فتح العــــراق
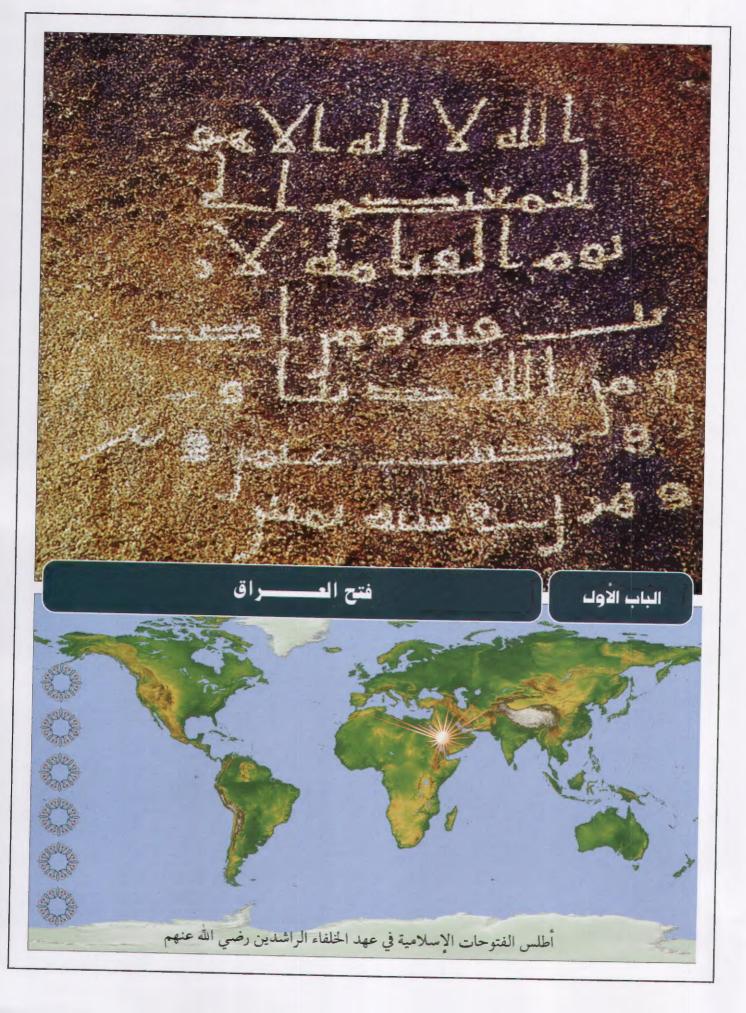
خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

تشكل أول كيان إسلامي في المدينة النبوية بعد هجرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- من مكة وكون نواة دولة الإسلام التي بدأت تنمو وتتوسع بدخول الأفراد والقبائل في الإسلام. وبعد فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة أخذت الدولة الإسلامية في التوسع، فقد توافدت القبائل على الرسول معلنة إسلامها، وقبيل وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم- كانت دولة الإسلام تشمل الجزيرة العربية بأكملها، وبعد وفاته عليه السلام اختار المسلمون **أبا بكر الصديق** - رضي الله عنه - خليفة لهم بالاجماع.

قال السرخسي في باب الإمارة [١]: ينبغي للإمام إذا بعث سرية قلّت أو كثُرت، أن لا يبعثهم حتى يؤمّر عليهم بعضهم، وإنما يجب هذا اقتداء برسول الله عليه السلام فإنه داوم على بعث السرايا وأمَّر عليهم في كل مرة، ولو جاز تركه لفعله مرة تعليماً للجواز، ولأنهم يحتاجون إلى اجتماع الرأي والكلمة، وإنما يحصل ذلك إذا أمر عليهم بعضهم، حتى إذا أمرهم بشيء أطاعوه في ذلك، فالطاعة في الحرب أنفع من بعض القتال، ولا تظهر فائدة الإمارة بدون الطاعة، قال عليه السلام: "من أطاعني، فليطع أميري، ومن عصى أميري فقد عصاني". ثم استدل أن النبي عليه السلام قال: "إذا اجتمع ثلاثة نفر فليؤمهم أكثرهم قرآناً، وإن كان أصغرهم وإنما قدمه: لأنه أفضلهم، ثم قال إذا أمّهم فهو أميرهم، فذلك أمير أمّره رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وبنحو هذا الحديث استدل الصحابة على خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وقالوا: **قد اختاره رسول الله لأمر دينكم، فكيف لا ترضون به لأمر دنياكم؟!** وكذلك إن كانا رجلين ليس معهما غيرهما فالأفضل أن يؤمّر أحدهما على صاحبه، لأن ذلك أحرى أن يتطاوعا ولا يختلفا أ. هـ.

وسميت الفترة التي امتدت من عهد أبي بكر الصدّيق إلى علي بن أبي طالب بالخلافة الراشدة، ومدتها ثلاثون سنة. وفي أثناء هذه الفترة توسعت الدولة الإسلامية خارج الجزيرة العربية لتشمل بلاد الشام (سوريا ولبنان والأردن وفلسطين) وقبرص والعراق والجزيرة ومصر والنوبة وفارس وليبيا وإفريقية (تونس). وكان مركز الدولة في المدينة: باستثناء خلافة علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فقد نقل مقر الخلافة إلى الكوفة بعد الأحداث التي آلت لمقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بالمدينة.

قال الإمام مسلم بن الحجاج في صحيحه: حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان عن عبد الملك ابن عمير عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً» ثم تكلم النبي صلى الله عليه وسلم بكلمة خفيت عني، فسألت أبي: ماذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: قال «كلهم من قريش». ورواه البخاري من حديث شعبة عن عبد الملك بن عمير به، وفي رواية لمسلم أنه قال ذلك عشية رجم ماعز بن مالك، وذكر معه أحاديث أخر، وفي هذا الحديث دلالة على أنه لابد من وجود اثني عشر خليفة عادلاً وليسوا هم بأئمة الشيعة الاثني عشر، فإن كثيراً من أولئك لم يكن إليهم من الأمر شيء، فأما هؤلاء فإنهم يكونون من قريش يلون فيعدلون، وقد وقعت البشارة بهم في الكتب المتقدمة، ثم لا يشترط أن يكونوا متتابعين، بل يكون وجودهم في الأمة متتابعاً ومتفرقاً، وقد وجد منهم أربعة على الولاء وهم **أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم**، ثم كانت بعدهم فترة، ثم وجد منهم ما شاء الله، ثم قد يوجد منهم من بقي في الوقت الذي يعلمه الله تعالى. ومنهم المهدي الذي اسمه يطابق اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكنيته كنيته، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً.

---

١ - السرخسي، شرح كتاب السير الكبير - (ج ١ / ص ٢٣)

حقيقة الفتوحات الإسلامية

وضع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – للأمة المسلمة خطة الفتح، وطرق تبليغ الدعوة خارج شبه الجزيرة، فأمر بتجهيز جيش أسامة وأمر بإنفاذه (أثناء مرضه) إلى البلقاء من أرض الشام . وبهذا يتضح أن الفتوحات الإسلامية لم تأت وليدة الصدف، ولم تكن خطة الفتح ارتجالية، وإنما كانت وفق خطة واضحة بينة ؛ أسسها النبي – صلى الله عليه وسلم – وسار الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم من بعده على منهجها. فأنفذ أبو بكر بعث أسامة إلى الشام رغم ظروف المدينة الحرجة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، بسبب تربص المرتدين للدولة الإسلامية، وتطلع القوى المعادية للدعوة الإسلامية إلى القضاء على الإسلام ودولته، فكانت معارضة بعض الصحابة في إنفاذ جيش أسامة .

بيد أن أبا بكر رضي الله عنه؛ بإيمانه القوي، وسداد رأيه، قام بتوجيه عبادة بن الصامت رضي الله عنه إلى "هرقل" إمبراطور الروم، يدعوه إلى **الإسلام**، أو **الجزية**، أو **يؤذنه بحرب**، فقام عبادة رضي الله عنه بمهمته . كل ذلك ليؤكد أبو بكر للمسلمين خطة الرسول – صلى الله عليه وسلم – في الفتوحات عملياً.

ولما تم القضاء على حركة الرِّدَّة، قام أبو بكر رضي الله عنه مباشرة بتوجيه الجيوش الإسلامية إلى العراق والشام، وفي وقت واحد، لمواجهة الدولتين الكبيرتين في العالم آنذاك – دولة فارس الكسروية الساسانية، ودولة الروم البيزنطية القيصرية – دون أن تهابه القوى المادية، من حيث العَدد والعُدد، وذلك قياماً لما يطلبه الإسلام من تبليغ الدعوة، واتباعاً لأساليب الرسول – صلى الله عليه وسلم –، وتنفيذاً لخطته. فتوجهت قوات الإسلام للفتح؛ تحقيقاً لأهداف فرضية الجهاد في سبيل الله [1].

لقد كان القادة المسلمون يهدفون في حروبهم وفتوحاتهم إلى تحرير الأمم وإخراج الشعوب من عبادة الخلق إلى عبادة الخالق، ومن ذل الكفر إلى عز الإيمان، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام. كان هذا هو **شعار الفاتحين المسلمين** في جميع أقطار العالم. قال ذلك ربعي بن عامر أمام كسرى في المدائن، وأروا العالم ذلك عملياً في عدلهم مع الشعوب المغلوبة على أمرها، ورفقهم بالأسرى في الحروب والفتوحات.

ليس غريباً أن يستميت المستشرقون في سبيل النيل من الإسلام وأهله، على أنه دين انتشر بحد السيف، وأُجبر الناسُ على القبول به بالقوة، وأن الإسلام صنع الناس مسلمين رغماً عن أنوفهم، وجعلوا الجهاد في سبيل الله دليلاً صارخاً على انتشاره بحد السيف، ووجدوا في القرآن الكريم آياتٍ بيِّنات تدعو إلى القتال، من دون فهمها والتعرف على مناسبتها، بالإضافة إلى آيات الجهاد وتشويهه: لكن الغيورين من أبناء المسلمين، دحضوا هذه الافتراءات وفندوها وأكدوا على أن الإسلام دين عدل ورحمة، لم ينتشر بحد السيف كما يزعمون، بل بالإقناع، واستدلوا على ذلك أن فئات كبيرة ظلت معتنقة عقيدتها (اليهودية أو النصرانية أو المجوسية أو الصابئة) في البلاد المفتوحة من دون أن يمسها أحد بأذى، أو ينالها بمكروه، وهذا ديدن المسلمين (انظر ص ٢٤٣ – ٢٤٥) من هذا الأطلس: ناهيك عن انتشار الإسلام في شرقي آسيا وجنوب شرقي آسيا وإفريقيا من دون إراقة دماء؛ لكن المستشرقين اتبعوا في ذلك أمرين:

أولاً: تأكيد الشبهة السابقة وهو أن الإسلام انتشر بالسيف فيصيبوا بها هدفين: التشكيك في قوة العقيدة الإسلامية من الناحية البرهانية وملاءمتها للفطرة السليمة، ودفع مفكري المسلمين إلى التخلي عن مبدأ الجهاد تحت تأثير تلك الشبهة أو في سبيل دحضها.

ثانياً: تشويه تاريخ وحقيقة الفتوحات الإسلامية: بالادعاء الكاذب بأن الدوافع لها كانت اقتصادية أو توسعية استعمارية، وهذا أمر يتعارض مع من نذروا أنفسهم لله تعالى، الذين تركوا ديارهم ونساءهم وأبناءهم وأموالهم، وتكبدوا المشاق في سبيل إيصال كلمة الحق إلى الشعوب المقهورة.

١- المصري ؛ د. جميل بن عبد الله المصري، انتشار الإسلام بالفتوحات الإسلامية زمن الراشدين، نسخة رقمية .

أطلس الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم

قال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ - النور: ٥٥

نزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما؛ قاله مالك. وقيل: إن سبب هذه الآية أن بعض أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم شكا جَهْد مكافحة العدوّ، وما كانوا فيه من الخوف على أنفسهم، وأنهم لا يضعون أسلحتهم؛ فنزلت الآية. وقال أبو العالية: مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين بعدما أوحي إليه خائفاً هو وأصحابه، يدعون إلى الله سرًّا وجهراً، ثم أُمر بالهجرة إلى المدينة، وكانوا فيها خائفين يصبحون ويمسون في السلاح. فقال رجل: يا رسول الله، أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح؟ فقال ﷺ: «لا تلبثون إلّا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم مُحْتَبِياً ليس عليه حديدة». ونزلت هذه الآية، وأظهر الله نبيّه على جزيرة العرب فوضعوا السلاح وأمنوا. قال النحاس: فكان في هذه الآية دلالة على نبوّة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن الله جل وعز أنجز ذلك الوعد. قال الضحاك في كتاب النقاش: هذه الآية تتضمن خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ؛ لأنهم أهل الإيمان وعملوا الصالحات. القرطبي، تفسير القرطبي، آية ٥٥ من سورة النور، ج ١٢، ص ٢٩٧

موجز تاريخ إيران القديم

إيران وفارس: اسمان استعملا للدلالة على قُطر واحد، ولكنهما ليسا مترادفين تماماً، استقر الميديون في غربي إيران، بينما استقر الفرس في الجنوب، وخضع كل من الميديين والفرس للهيمنة الآشورية، ولكنهم سرعان ما استقلوا بأنفسهم ثم هزموا الدولة الآشورية. سنة ١٠٠٠ ق م.

الدولة الأخمينية: أسس قورش (كوروش) إمبراطورية فارس (الأخمينية) عام ٥٥٠ ق. م. وكانت من أوائل الإمبراطوريات آنذاك. وفي ٤٨٦ ق. م: توج حكم الملك "دارا" عام ٥٢١ ق.م بسيطرته على الأراضي الإيرانية.

وحينما غزا **الاسكندر الأكبر المقدوني إيران** في عهد الدولة الأخمينية وأسقطها في عام ٣٣٤ ق. م، وبعد انتصاره على الجيش الفارسي أمر بإعدام كثير من الفرس وأحرق مدينة برسيبوليس (إصطخر) انتقاماً لحرق مدينة أثينا. وكان يعتبر نفسه خليفة للملوك الأخمينيين، وقلد عادات البلاط الفارسي وحاول تكوين ثقافة جديدة مزجت بين الفارسية والإغريقية (الهلينية). وبعد وفاته عام ٣٢٣ ق. م، بفترة وجيزة قسمت إمبراطوريته بين الجنرالات المتنافسين، وكان من أبرز ما ورثه بعد انتصاره على فارس هو تقديمه النموذج الإمبراطوري الفارسي للغرب وتبني الإمبراطورية الرومانية له بعد ذلك، خاصة ما يتعلق بحكم الدولة والقانون.

وبقيام الدولة السلوقية في الفترة من ٣٢٣-١٤١ ق. م. والتي سُميت بذلك نسبة إلى سلوق أحد جنرالات الإسكندر، والتي كانت تضم آسيا الصغرى وبلاد الشام والعراق وإيران، وشيد له عاصمة جديدة باسم "سلوقية" على نهر دجلة في العراق، والقسم الغربي وأسس له العاصمة "أنطاكيا" على نهر العاصي.

وتولت الحكم على أرض فارس **دولة البارثيين** في الفترة من ٢٤٧ ق. م - ٢٢٤ م، ويعرفون في التاريخ أيضاً باسم "الأرشكيين" نسبة إلى ملكهم الأول، وهي مملكة قبلية من قبائل الساكا في شمال شرقي إيران، هزمت السلوقيين وبسطت سيطرتها على جميع بلاد فارس. مؤسس هذه الدولة هو "أرشك" الأول الذي أصبح بعد ذلك لقباً لجميع الملوك البارثيين كاسم قيصر الروم. وخاضوا حروباً عدة ضد الرومان. وأدى نصرهم عليهم في عام ٥٣ ق. م، إلى بروزهم كقوة عظمى آنذاك، ورغم طول حكم البارثيين الذي ناهز الخمسة قرون، إلا إن حضارتهم لم يتبق منها شيء يُذكر، باستثناء بعض الآثار الفنية البسيطة.

الدولة الساسانية: أسس أردشير الأول حكم الساسانيين عام ٢٢٤م، الذين أحيوا الحضارة **الفارسية والزرادشتية** وبذلوا جهداً ملحوظاً لإعادة تقاليد الأخمينيين، وأقاموا علاقات تجارية مع اعدائهم الرومان (البيزنطيين) والصينيين، وتشير الحفريات المكتشفة في الصين إلى العملات الساسانية الفضية والذهبية التي كانت مستخدمة لعدة قرون، ويحتل أردشير مكانة كبيرة لدى الإيرانيين باعتباره موحد الأمة الإيرانية وباعث الزرادشتية ومؤسس **الإمبراطورية البهلوية**. وتوفي أردشير عام ٢٤٠م وخلفه ابنه شابور، الذي غزا الإمبراطورية الرومانية وأسر الإمبراطور الروماني فاليريان في عام ٢٦٠م، كما أنشأ مركز "جندي شابور للتعليم العالي، وأعاد تنظيم الإمبراطورية، وأقام سد شستر، وأنشأ العديد من المدن، منها "نه شابور" (نيسابور الحالية).

وكان جلوس هرمز الثاني على عرش إيران في الفترة من ٣٠١-٣١٠م، وقتل في إحدى المعارك مع العرب عام ٣١٠م، وتولى كسرى أنو شروان حكم إيران في الفترة من ٥٣١-٥٧٩م، وقد استطاع في بداية حكمه القضاء على فتنة أتباع مزدك وأعاد الاستقرار إلى الأوضاع في إيران. ثم تناوب على عرش الإمبراطورية الساسانية في الفترة من ٦٢٩-٦٣٢م، أختان هما بوراندخت، ابنة خسرو برويز وأختها آزرمادخت، ووقعت بوراندخت، معاهدة سلام مع البيزنطيين. وفي عام ٦٤٢م انتصر المسلمون في عهد الخليفة الراشد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه على الفرس في مواقع عديدة من أهمها موقعتي القادسية و نهاوند، ثم انساح المسلمون بعد ذلك في المشرق فاتحين بلاد وأقاليم كثيرة إلى أن انتهى حكم الأسرة الساسانية فيها. بتصرف عن مواقع إيرانية على النت.

الدولة الفارسية في أقصى اتساع لها

لوحة منحوتة على جدار قصر (داريوس) في مدينة برسيبوليس (أصطخر) الفارسية، وتحكي قصة وفداً من الرعايا يحمل إلى الملك بعض الهدايا. التقطت هذه الصورة خصيصاً للمؤلف بواسطة أحد التلاميذ الأوفياء سعادة الطبيب. د. محمد البوحماد، ٥ / ٨ / ٢٠٠٧ م

تنظيمات الجيش الفارسي (الساساني)

كان الجيش الساساني مؤلفاً من أربعة أنواع من المحاربين :

١ - الفرسان: الأساوره ، (مفردها أسوار، وجمعها أسواران) وهم أساس الجيش وقوته الضاربة. ويقسمون بدورهم إلى أنواع :

أ - الفرسان الدارعون : أو الفرسان النبلاء، وهم النخبة الممتازة في الجيش، يسيرون في مقدمته، ويشكلون عماد المعركة بحيث يتوقف النصر على قوتهم وشجاعتهم.

ب - فرقة الخالدين: وهي فرقة من الفرسان المختارين تضم عشرة آلاف فارس.

ج - فرقة الفدائيين: وهي فرقة من الفرسان الذين يمتازون بالجرأة واقتحام المخاطر.

٢ - الفيالة : وهم راكبو الفيلة يأخذون مواقعهم في المعركة خلف الفرسان، ويحملون سكاكين طويلة المقابض لطعن الفيل قاتلة في رقبته إذا ما ذعر وارتد نحو صفوف الفرسان ؛ خشية أن يدوس خيلهم و رجالهم.

٣ - المشاة (بايكان) : وهم مؤخرة الجيش، يجمعون من الفلاحين الفقراء، ويعملون خلف صفوف المحاربين حيث يهدمون الأسوار ويخدمون الفرسان، ولم يكونوا مهرة في القتال، بل كانوا يولون الأدبار فور مواجهتهم للعدو.

٤ - الفرق الرديفة : وهي الفرق المؤلفة من الشعوب المحاربة التي تقطن أطراف الدولة، وتضم عادة محاربين ممتازين يرئسهم قادة وطنيون منهم، وكان بعض هذه الفرق يقاتل راكباً كالفرسان (الأساوره).

وقد أجرى كسرى أنو شروان إصلاحات واسعة في الحقل العسكري، فعزز سلاح الفرسان وأنشأ جيشاً منهم ومن المهاجرين الغرباء، وقد تميزت إصلاحاته بأنها سارت بالدولة نحو الحكم العسكري حيث استبد كل حاكم بمقاطعته فكثرت أطماع الحكام ومحاولاتهم لاغتصاب العرش .

أما الرتب العسكرية التي استقرت في عهد كسرى أنو شروان فهي كما يلي:

الشاه: وهو القائد العام لجيوش فارس.

الاسبهبذ: وهو الحاكم العام للولاية وقائد جيشها.

المرزبان: وهو نائب الحاكم العام للولاية ونائب قائد جيشها.

السالار: وهو قائد وحدة عسكرية (قائد وحدة الفرسان :أسواران سالار، وقائد وحدة مشاة:بايكان سالار) [١] .

---

١ - العميد الركن د . ياسين سويد، الفن العسكري الإسلامي (أصوله ومصادره)، ص ٢٤ - ٢٥ .

مرتسم تقريبي لمقاتلين من الجيش الساساني
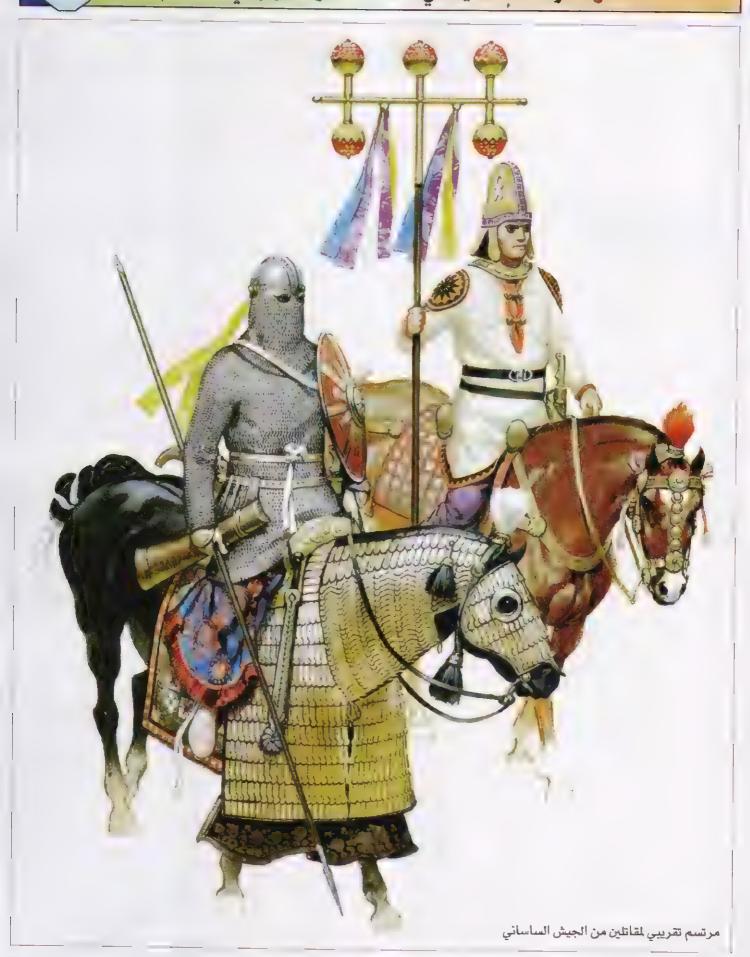
طبقات المجتمع الفارسي في العهد الساساني

الملوك

وهم الطبقة الأولى (شهر داران) ويحملون لقب ملك. وقد سوغ هذا لملك فارس أن يحمل لقب ملك الملوك (شاهنشاه) . وتشمل هذه الطبقة الأمراء التابعين الذين يحكمون أطراف الدولة وحكام الإمارات .

الأشراف

وهم الطبقة الثانية (واسبوران)وهي طبقة العائلات السبع الممتازة وألقابهم تنتهي بمقطع (آن) وكان لكل من هذه الأسر منطقة نفوذ من مناطق فارس تقيم بها ويظهر فيها سلطانها، إضافة إلى انخراطهم في البلاط .

رجال الدين

وهم الطبقة الثالثة وقد اعتبر الساسانيون الدين المجوسي الزرادشتي هو الدين الرسمي ، ورفعوا شأن رجال الدين وكان عددهم كبيراً جداً، وكانت بلخ هي مقر المجوسية ومركزها، ونتيجة لذلك تم اضطهاد الأديان الأخرى (اليهودية والنصرانية).

رجال الحرب

وهم الطبقة الرابعة (ارتشتاران). وعلى رأسهم إيران سباهبذ، وهم من الفرسان وكانوا زهرة الجيش الساساني، ثم الرّجالة (المشاة) ، وضباط الجيش يسمون الأساورة. (انظر تنظيمات الجيش الساساني السابقة ص ١٦).

الكتاب

وهم الطبقة الخامسة كتاب الدواوين (دبيران) على رأسهم إيران دبيربد ، وينقسمون إلى كتاب الرسائل وكتاب الحسابات وكتاب الأقضية ... إلخ ويدخل فيهم الشعراء والأطباء والمنجمون .

الدهاقين

وهم الطبقة السادسة دهكانان. وهم الدهاقين رؤساء القرى وكانوا يستمدون قوتهم من الملكية الوراثية للإدارة المحلية. وكانوا أساساً متيناً للإدارة. فهم الرؤساء وملاك الأراضي والقرى ولم تكن أملاكهم واسعة جداً كالاقطاعات، وإنما كانوا أشبه بالعُمد .

وهم الطبقة السابعة فهي طبقة الشعب من الفلاحين والصناع، ويدخل فيهم الرعاة والتجارة وأهل الحرف . وكان كثير من التجار يستطيع القراءة والكتابة والحساب. أما عدا ذلك فثقافة أفراد الشعب كانت ضيئلة جداً .

الديانــة المجوسـيـة

شعار المجوسية فارفهار

المجوس كلمة فارسية تطلق على أتباع الديانة المجوسية، و**الديانة المجوسية** ديانة وثنية ثنوية تقول بإلهين اثنين، أحدهما إله للخير والآخر إله للشر، وبينهما صراع دائم إلى قيام الساعة، التي تقوم حسب زعمهم نتيجة لانتصار إله الخير على إله الشر.

وقد اختلف العلماء في سبب تسميتها إلى أقوال عديدة:، منها أنها نسبة إلى رجل اسمه مجوس، أو أنه وصف لرجل انتسبت إليه المجوسية، أو أنها نسبة لقبيلة من قبائل الفرس، أو أنها وصف لعبادة النار، ويذهب بعض الباحثين إلى أن المجوسية هي الزرادشتية، والحق أن المجوسية أسبق من الزرادشتية، وأن **زرادشت** حددها وأظهرها وزاد فيها في القرن الثالث الميلادي، ويذهب ابن خلدون إلى أن المجوسية هي الكيرمرثية نسبة إلى كيرمرث أحد أبناء آدم عليه السلام، وقيل إنه آدم عليه السلام، وقيل إنه أحد أبناء نوح عليه السلام، وقيل غير ذلك.

زرادشـــت

كما اختلف أهل العلم في المجوس هل هم أهل كتاب ولهم رسول ولكنهم بدلوا وحرفوا أم لا؟ وذلك على قولين: ذهب الجمهور إلى أنهم ليسوا بأهل كتاب، كما ذكر ابن القيم وابن قدامة والقرطبي، وهو ما عليه أغلب السلف، وإنما يعاملون معاملاتهم في ما يتعلق بالجزية فقط.

ويقول الدكتور ناصر عبد الكريم العقل : ومن المرجحات في كون المجوس ليسوا بأهل كتاب قول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (الحج:١٧)

وفي الآية الأخرى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة:٦٢) وكذلك في سورة المائدة: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) (المائدة:٦٩)

النار المجوسية

فهذا دليل على أنهم ليسوا أهل كتاب، لأنه تعالى حين ذكر الذين يُجزون على إيمانهم وعملهم الصالح من هذه الأمم لم يذكر المجوس منهم .

وحينما ذكر أنه يفصل بينهم قرن المجوس والمشركين... لأنه تعالى عد الديانات ثم جاء بعدها المجوس والذين أشركوا، فلذلك فالأولى والأقرب أنهم -أي المجوس- يلحقون بالمشركين لا بالأمم الكتابية.

والقول الثاني: قال به بعض أهل العلم من أنهم أهل كتاب لكنهم بدلوا وحرفوا، واستدلوا بما ورد في صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: سنوا بهم سنة أهل الكتاب.. كما استدلوا بأخذ عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما الجزية منهم، واستدلوا بغير ذلك من الأدلة التي رد عليها الجمهور.

ويذكر الشهرستاني في الملل والنحل أنهم أصحاب شبهة كتاب، كما يذكر أن مسائل المجوس كلها تدور على قاعدتين اثنتين: الأولى: بيان امتزاج النور بالظلمة. الثانية: بيان سحب خلاص النور من الظلمة وجعلوا الامتزاج مبدأ والخلاص معاداً.

ومن الديانات الهندية انتقل إلى المجوس القول بتناسخ الأرواح، والذي أصبح من لوازمه عندهم الاعتقاد في عدم انقطاع النبوة والرسالة. ونتيجة لقرب بعض القبائل العربية من الدولة الساسانية الفارسية المجوسية، والتي ظلت قائمة في بلاد فارس حتى الفتح الإسلامي، أو نتيجة للاحتكاك المباشر من بعض هذه القبائل **بالدولة الساسانية**، فقد تعرفت على المجوسية وتأثرت بها، وبخاصة ما كان منها في البحرين واليمن وعمان، كما ظلت المجوسية منتشرة **وبيوت النار** قائمة في يزد و كرمان وسجستان وخراسان وجبال أذربيجان وأرمينية حتى الخلافة العباسية، مما كان له أثره البالغ في ظهور الحركات الباطنية وانطلاقها من هذه المناطق بالذات، حيث اعتنق عدد من موالي الفرس الإسلام متسترين برداء التشيع وحب آل البيت، رغبة منهم في الكيد للإسلام، يقول فون كريمر: ومع أن كثيرين منهم كانوا يتظاهرون بالإسلام إلا أنهم كانوا في قرارة نفوسهم مخلصين لمعتقداتهم الدينية القديمة، وقبلوا الإسلام ظاهرياً فقط مع تعلقهم بدين آبائهم.

وبتعدد مذاهب المجوس (الزرادشتية والمانوية والمزدكية) تعددت آثارهم السيئة على الأمة الإسلامية وسيرتها الحضارية فقد تشبعت السبئية بأفكارهم، وحاولت الخرمية البابكية تجديدها كما ظهرت في آراء كافة الحركات الباطنية حتى البابية والبهائية منها. ويلخص الدكتور يحيى هاشم في كتاب "عوامل وأهداف نشأة علم الكلام" الآثار السيئة للمجوس بقوله: كان تأثير المجوسية في غلاة الشيعة، بصفة خاصة في عقائد الرجعة والتناسخ، والتنبؤ بالمستقبل وادعاء النبوة، وادعاء الألوهية ما يعرف بعقيدة التجسد أو الحلول الإلهي في الجسد الإنساني كما عند الدروز، وقديماً عند السبئية.

الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ص:١٩٣ .

شيز :

مدينة بأذربيجان بين المراغة وزنجان ... بها بيت نار عظيم الشأن عند المجوس، منها تذكى نيران المجوس من المشرق إلى المغرب ... أن بالشيز نار أذرخس، وهي نار عظيمة عند المجوس كان إذا الملك منهم زارها أتاها راجلاً. وينسب إليها **زرادشت** نبي المجوس، قيل: أنه كان من شيز، ذهب إلى جبل سبلان معتزلاً عن الناس وأتى بكتاب اسمه باستا. وهو بالعجمية لم يفهم معناه إلا من المفسر. وأتى يدعي النبوة في عهد كشتاسف بن لهراسف ابن كيخسروا، ملك الفرس... القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد ، (ج ١ / ص ١٦٣).

كركويه :

مدينة بسجستان قديمة. بها قبتان عظيمتان زعموا أنهما من عهد رستم الشديد، وعلى رأس القبتين قرنان قد جعل ميل كل واحد منهما إلى الآخر، تشبيهاً بقرني الثور، بقاؤهما من عهد رستم إلى زماننا هذا من أعجب الأشياء؛ وتحت القبتين **بيت نار للمجوس** تشبيهاً بأن الملك يبني قرب داره معبداً يتعبد فيه، ونار هذا البيت لا تطفأ أبداً. ولها خدم يتناوبون في إشعال النار، يقعد الموسوم مع الخدمة على بعد النار عشرين ذراعاً ويغطي فمه وأنفاسه، ويأخذ بكلبتين من فضة عوداً من الطرفاء نحو الشبر يقلبه في النار. وكلما همت النار بالخبو يلقي خشبة خشبة، **وهذا البيت من أعظم بيوت النار عند المجوس.**

القزويني: زكريا بن محمد بن محمود آثار البلاد وأخبار العباد ، (ج ١ / ص ٩٨).

معبد مجوسي في مدينة يزد الإيرانية

إحدى بيوتات النار في أذربيجان

انحسرت الديانة الزرادشتية بشكل كبير حيث لم يبقى من أتباعها في العالم سوى ٢٠٠ ألف نسمة، على النحو التالي:

- ٦٩،٦٠١ زرادشتي في الهند حسب إحصاء ٢٠٠١.
- ٥٠٠٠ زرادشتي في باكستان يتركزون في مدينة كراتشي.
- مابين ١٨ إلى ٢٥ ألف زرداشتي في قارة أمريكا الشمالية.
- جالية كبيرة في إيران، حيث يتواجدون بشكل خاص في مدن يزد و كرمان أضافة إلى العاصمة طهران كما يوجد لهم نائب في البرلمان الإيراني.
- جالية صغيرة إن لم تكن معدومة في منطقة آسيا الوسطى (بلخ، و طاجيكستان) والتي كانت موطن الديانة الزرادشتية سابقاً.

طقس مجوسي

الدعوة إلى الإسلام

من فضل الله على الأمة الإسلامية، أن الرسالة الخاتمة جاءت شاملة لكل ما يحتاجه المسلمون في حياتهم الدينية والدنيوية، موجهة لكل الثقلين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. ذلك أن الهدف هو هداية الله للإنسان، دون قصر الدعوة على جنس بذاته، أو مكان بعينه: فدعوة الرسول - صلى الله عليه وسلم - موجهة إلى الناس كافة، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ الأعراف ١٥٨ وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ الأنبياء ١٠٧ وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ سبأ الآية: ٢٨ وعلى ذلك إجماع المسلمين في كل العصور.

فدعوة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - قامت على منهاج الوسطية، وكانت سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - مثلاً أعلى في تطبيق هذا المنهج، الذي سار على هديه الخلفاء الراشدون، والتابعون لهم بإحسان. وفي هذه الفترة القليلة من الزمن في حياة الأمم، **دخل الناس في دين الله أفواجاً**، وتكوَّن المجتمع المسلم الواحد في عقيدته وشريعته وسلوكه الاجتماعي، على الرغم من امتداد الإسلام إلى أقاليم خارج شبه الجزيرة العربية، مثل: العراق والشام ومصر وفارس. فإن الدعوة إلى الله كانت وفق منهاج الوسطية القرآنية، والتي كانت السبيل الأول لانتشار الإسلام وقبوله.

لذلك كتب الرسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد صلح الحديبية إلى الملوك والأمراء والجبابرة يدعوهم إلى الإسلام، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: " أن نبي الله - صلى الله عليه وسلم - كتب إلى كسرى (وهو لقب لكل من ملك من ملوك الفرس). وإلى قيصر (لقب لكل من ملك الروم). وإلى النجاشي (لقب لكل من ملك الحبشة). وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى، وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم ". (صحيح مسلم) وأرسل - صلى الله عليه وسلم - الرسل يحملون الرسائل والكتب إلى ملوك الأرض، وأرسل الدعاة إلى الله يبلغون الناس الإسلام، ويدعونهم قبل كل شيء إلى الشهادتين، ثم يدعونهم بالتدرج إلى شرائع الإسلام. فقد بعث عليه السلام عبد الله بن حذافة السهمي إلى **كسرى** أبرويز بن هرمز، ملك الفرس: لكن كسرى عظيم الفرس كان أقبح القوم رداً، ومزق كتابه، فدعا عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فمزق الله ملكه أولاً، ثم ملك الساسانيين جملة.

من وسائل الدعوة: البدء بقتال الأهم فالأهم من أعداء الإسلام: ثم الذي يليه في الاهمية: ولهذا أشار الهرمزان على عمر رضي الله عنه أن يبدأ بقتال كسرى قبل قيصر وفارس: لأن كسرى بمثابة الرأس فإذا سقط الرأس فلا قيمة لبقية الجسد؛ ولهذا قال الهرمزان "فالرأس كسرى، والجناح قيصر، والجناح الآخر فارس، فَمُر المسلمين فلينفروا إلى كسرى"؛ قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فوائد هذا الحديث: "وفيه البداءة بقتال الأهم فالأهمّ" فينبغي العناية بذلك وبالتدرج في جميع الأمور على حسب الحكمة والصواب.

يقول د. علي وبن وهف القحطاني: إن أصل الأصول هو تحقيق الإيمان بما جاء به محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وأنه رسول الله إلى جميع الخلق: إنسهم وجنهم، عربهم وعجمهم، كتابيهم ومجوسيهم، رئيسهم ومرءوسهم، وأنه لا طريق إلى الله -عز وجل- لأحد من الخلق إلا بمتابعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم باطناً وظاهراً، حتى لو أدركه موسى وعيسى، وغيرهما من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ لوجب عليهم اتباعه، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ آل عمران: ٨١. الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط. الأولى. تاريخ النشر: ١٤٢٣هـ.

رسالة الرسول ﷺ إلى كسرى

سواري كسرى في أيدي المسلمين ؟

لمَّا قَدِمَ على **عمر بن الخطاب** ـ رضي الله عنه ـ بما أُصيب بالعراق قال له صاحبُ بيتِ المال: ألا أُدْخِلُهُ بيتَ المال؟ قال: لا وربِّ الكعبة، لا يؤوي تحت سقف بيت حتى أقسِمُه، فأمر به فوُضِعَ في المسجد، ووضِعتْ عليه الأنطاعُ، وحرسه رجالُ المهاجرين والأنصار، فلمَّا أصْبَحَ غدا مع العباس بن عبد المطلب وعبدِ الرحمن بن عوف، أخَذَ بيد أحدهما، أو أحدُهما أخَذَ بيده، فلمَّا رأوه كشطوا الأنطاعَ عن الأموالِ، فرأى منظراً لم يَرَ مثلَه، رأى الذهبَ فيه والياقوتَ والزبرجدَ واللؤلؤَ يتلألأ، فبكى **عمر بن الخطاب**، فقال له أحدُهما: والله، ما هو بيوم بكاء، ولكنه يومُ شكرٍ وسرور، فقال: إنِّي ـ والله ـ ما ذهبتُ حيثُ ذهبتَ، ولكنه ـ والله ـ ما كثر هذا في قوم قطُّ، إلاَّ وَقَعَ بأسُهم بينهم، ثم أقبل على القبلة ورَفَعَ يديه إلى السماء وقال: اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بك أنْ أكونَ مُسْتَدْرَجاً فإن أسمعك تقولُ: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الأعراف ١٨٢، والقلم: ٤٤ لآية. ثم قال: أين سُراقةُ بْنُ جُعْشُمٍ؟ فأُتي به أشعرَ الذراعين دقيقهما، فأعطاه سوارَيْ كسرى، فقال: البسهما. ففعل فقال **الله أكبر**. ثم قال: **الحمدُ لله** الذي سَلَبَهُمَا **كسرى بن هرمز**، وألبسهما سراقةَ بن جعشم أعرابياً من بني مدلج، وجَعَلَ يُقَلِّبُ بعضَ ذلك بعضاً، ثم قال: إنَّ الذي أدَّى هذا لأمينٌ، فقال له رجلٌ أنا أخبرُك، أنت أمينُ الله. وهم يؤدُّون إليك مَا أدَّيْتَ إلى الله عزَّ وجلَّ فإذا رَتَعْتَ رَتَعُوا، قال: صدقت، ثم فرَّقه. قال الشافعي رحمه الله تعالى: وإنَّما ألبسهما سراقةَ: لأن النبيَّ قال لسراقة ونَظَرَ إلى ذراعيه: «كأنِّي بك وقدْ لبسْتَ سواريْ كسْرى».

قال الشافعي رحمه الله تعالى: ولم يجعلْ له إلاَّ سوارين. الشافعي. كتاب الأم

مناوشات المسلمين الأولى مع الفرس في عهد الصدّيق رضي الله عنه:

ما إن انتهت حروب الرِّدَّة واستقرت الأمور في الجزيرة العربية التي كانت ميداناً لها، حتى شرع الصدّيق في تنفيذ خطة الفتوحات التي وضع معالمها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجيش الصدّيق لفتح العراق **جيشين** وانضم إلى خالد المثنى بن حارثة بالعراق[1]:

١-بقيادة **خالد بن الوليد** وكان يومئذ باليمامة، فكتب إليه يأمره بأن يغزو العراق من جنوبه الغربي، وقال له: سر إلى العراق حتى تدخلها، وابدأ (بفرج الهند) أي ثغرها، وهي الأبلة وأمره بأن يأتي العراق من أعاليها، وأن يتألف الناس ويدعوهم إلى الله عزوجل، فإن أجابوا وإلا أخذ منهم الجزية فإن امتنعوا عن ذلك قاتلهم، وأمره أن لايكره أحداً على المسير معه، ولايستعين بمن ارتد عن الإسلام وإن كان عاد إليه، وأمره أن يستصحب كل امرئ مرّ به من المسلمين، وشرع **أبو بكر** في تجهيز السرايا والبعوث والجيوش إمداداً لخالد رضي الله عنه.

٢-الجيش الثاني بقيادة **عياض بن غُنْم**، وكان بين النِّباج، قلت هي: (عين ابن فهيد بالقرب من الأسياح بمنطقة القصيم) والحجاز فكتب إليه بأن يغزو العراق من شماله الشرقي، بادئاً بالمصيخ - على حدود الشام والعراق - وقال له: سر حتى المصيخ وابدأ بها، ثم ادخل العراق من أعلاها حتى تلقي خالداً ثم اردف أمره هذا بقوله: وأذن لمن شاء بالرجوع، ولاتستفتحا بمتكاره. أي لاتجبرا أحداً على السير معكما للقتال إكراهاً، فمن شاء فليقدم، ومن شاء فليحجم.

وكتب **الصدّيق** رضي الله عنه إلى خالد وعياض: ... ثم يستبقا إلى **الحيرة**، فأيهما سبق إلى الحيرة فهو أمير على صاحبه، وقال: إذا اجتمعتما بالحيرة، وقد فضضتما مسالح فارس وأمنتما أن يؤتى المسلمون من خلفهم، فليكن أحدكما ردءاً للمسلمين ولصاحبه بالحيرة، وليقتحم الآخر على عدو الله وعدوكم من أهل فارس دارهم ومستقر عزهم المدائن.

٣-وكان **المثنى بن حارثة** قد قدم على أبي بكر وحث الصديق على محاربة الفرس، وقال له ابعثني على قومي ففعل ذلك أبو بكر، فرجع المثنى وشرع في الجهاد بالعراق، ثم إنه بعث أخاه مسعود بن حارثة إلى أبي بكر يستمده، فكتب معه أبو بكر إلى المثنى: أما بعد فإني قد بعثت إليك خالد بن الوليد إلى أرض العراق فاستقبله بمن معك من قومك، ثم ساعده ووازره وكانفه، ولاتعصين له أمراً، ولاتخالفن له رأياً، فإنه من الذين وصف الله تبارك وتعالى في كتابه: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾ الفتح آية ٢٩ فما أقام معك فهو الأمير، فإن شخص عنك فأنت على ماكنت عليه وكان من قوم المثنى رجل يدعى **مذعور بن عدي** خرج عن المثنى بن حارثة وراسل الصديق وقال له: أما بعد: فإني امرؤ من بني عجل أجلاس الخيل -أي يلزمون ظهورها- وفرسان الصباح -أي يغيرون صباحاً- ومعي رجال من عشيرتي، الرجل خير من مئة رجل، ولي علم بالبلد، وجراء على الحرب، وبصر بالأرض، فولّني أمر السواد أكفكه إن شاء الله وكتب المثنى بن حارثة بشأن مذعور بن عدي إلى الصدّيق فقال له:... فإني أخبر خليفة رسول الله صلى الله

---

١ - د. علي الصلابي: أبو بكر الصديق، ص ٣٢٦.

عليـه وسلـم أن امرءاً من قومي، يقال له مذعور بن عدي، أحد بني عجل، في عدد يسير، وإنه أقبل ينازعني ويخالفني، فأحببت أعلامك ذلك لترى رأيك فيما هنالك، **وردّ الصدّيق** على مذعور بن عدي فقال له: أما بعد: فقد أتاني كتابك، وفهمت ماذكرت، وأنت كما وصفت نفسك، وعشيرتك نعم العشيرة، وقد رأيت لك أن تنضم إلى خالد بن الوليد، فتكون معه، وتقيم معه ما أقام بالعراق وتشخص معه إذا شخص، وكتب إلى المثنى بن حارثة:... فإن صاحبك العجلي كتب إليّ يسئلني أموراً، فكتبت إليه آمره بلزوم خالد حتى أرى رأي وهذا كتابي إليك آمرك أن لاتبرح العراق حتى يخرج منه خالد ابن الوليد. فإذا خرج منه خالد بن الوليد، فالزم مكانك الذي كنت به وأنت أهل لكل زيادة، ... . محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية، دار النفائس، ص٣٧٣ .

ومن المواقف التي تذكر في الجهاد في العراق ماكان **للمثنى بن حارثة الشيباني**، وكان يقاتل الأعداء في العراق بقومه، ولما علم بذلك ابو بكر سرَّه ماكان منه؛ فأمّره على من بناحيته وذلك قبل مجئ خالد، فلما توجهت همة الصـديق لغزو فارس رأى أن خالداً أجدر القواد بهذه المهمة فوجهه لها، وكتب كتاباً إلى المثنى يأمره بالانضمام إلى خالد وطاعته، فما كان منه إلا أن سارع في الاستجابة ولحق بخالد هو وجيشه وإن هذا موقف يذكر للمثنى حيث لم يَغُرَّه كثرة جيشه ولا كونه أقدم من خالد في إمرة جيوش العراق فلم يحمله ذلك على أن يرى أنه أحق بالقيادة من خالد .

خط سير جيش خالد بن الوليد من اليمامة إلى الأُبُلَّة حسب توجيهات الخليفة أبي بكر الصدِّيق (رضي الله عنه) .

خط سـير عياض بن غُنم لدخول العراق من أعلاه .

قوة مساندة لجيش خالد بن الوليد؛ بقيادة القعقاع بن عمرو التميمي .

قوة مساندة لجيش عياض بن غُنم؛ بقيادة عبد بن عوف الحميري .

النِّبَاجُ: بكسر أوله، وآخره جيم: قال اللحياني: النباج الصوت، ورجل نبّاج: شديد الصوت، والنباج الآكام العالية، والنباج [illegible] استنبط ماءه عبدُ الله بن عامر ابن كُرَيز شقق فيه عيوناً وغرس نخلاً وولده به وساكنه رهطه بنو كريز ومن انضم إليهم من العرب. أ . هـ . الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ٢٥٦ ، قلت : وهو اليوم يسمى عين ابن فهيد بمحافظة الأسياح، ويبعد عن بريدة العاصمة الإدارية لمنطقة القصيم بـ ٦٠ كيلاً . ولقد وقفت عليه وصورته.

خَفَّانُ: بفتح أوله، وتشديد ثانيه، وآخره نون؛ موضع قرب الكوفة يسلكه الحاج أحياناً، وهو مأسدة، قيل هو فوق القادسية ... . الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ٣٧٩ .

معارك الفتح الإسلامي على الجبهة الشمالية الشرقية

أرض الأكـــــــــراد
الجزيرة الفراتية
نهر الفرات
نهر دجلة
الثني
الزميل
الرضاب
تدمر
الفراض
الأنبار
المصيخ
المدائن (طيسفون)
عين التمر
بابل
الحيرة
أمغيشيا
أليس
المذار
الولجة
الأبلة
كاظمة
دومة الجندل
العـــراق
بـــلاد الفرس
الإمبراطورية الساسانية
المناذرة
بادية الشام
جزيـــرة العـــرب
أرض الكواظم

١ ذات السلاسل
٣ المذار
٤ الولجة
٥ أليس
٦ أمغيشيا
٧ العقر
٨ الحيرة
٩ الأنبار
١٠ عين التمر
١١ دومة الجندل
١٣ المصيخ
١٦ بابل

الرضابُ: أوقع خالد بأهل البشر في أيام أبي بكر، رضي الله عنه، ثم عطف من البشر إلى الرضاب، وهو موضع الرصافة قبل بناء هشام إياها، فانقشع من بها من بني تغلب فلم يلق كيداً، فقال:

طلبنا بالرضاب بني زُهير
وبالأكناف أكناف الجبال
فلم يزل الرضاب لهم مقاماً
ولم تؤنسهُمُ عند الرمال
فإن تقف أسنتنا زهيراً
نكف شريدَهم أخرى الليالي

الدول المعاصرة التي حدثت فيها المعارك مع الإمبراطورية الساسانية في عهد الخليفة ابي بكر الصديق رضي الله عنه

موقع النَّباج (عين ابن فهيد) بمحافظة الأسياح بمنطقة القصيم بالمملكة العربية السعودية .
منطقة الحدود الشمالية
المنطقة الشرقية
منطقة حائل
منطقة القصيم
الأسياح
قصر مارد
عيون الجواء
النِّباج (عين ابن فهيد)
بريدة
الشماسية
البكيرية
عنيزة
رياض الخبراء
الرس
البدائع
النبهانية
المذنب
برج الشنانة
ضرية
منطقة المدينة المنورة
منطقة الرياض
مقر إمارة
مقر محافظة
موقع أثري
٠ ٥٠ ١٠٠ ١٥٠ كم
٤١° ٤٢° ٤٣° ٤٤° ٤٥°
٢٨° ٢٧° ٢٦° ٢٥° ٢٤° ٢٣°

الموضع الذي احتشد فيه المسلمون بقيادة خالد ابن الوليد رضي الله عنه استعداداً لمنازلة الإمبراطورية الساسانية على الجبهة الشمالية الشرقية.

سد مارد بمحافظة الأسياح

النِّباج (عين ابن فهيد)

موقع النِّباج (عين ابن فهيد) بمحافظة الأسياح بمنطقة القصيم

على يمين الصورة: سعادة الأخ مدير عام التربية والتعليم بمحافظة الزلفي الأستاذ / **حمد ابن منصور العمران** مع المؤلف ، بموضع **سد مارد** القريب من عين ابن فهيد (النِّباج) بمحافظة الأسياح بمنطقة القصيم .

على اليمين سد مارد بمحافظة الأسياح أثناء زيارتنا الأولى له في عام ١٤٢٥ هـ ، بينما في أسفل الصفحة صورة أخرى للسد في أوائل محرم سنة ١٤٢٩ هـ أثناء إعداد حلقة عن تحشد القوات الإسلامية في النباج استعداداً لفتح العراق في عهد الخليفة الراشد أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

اللقطات بعدسة المؤلف

مؤلف الكتاب أثناء إعداد حلقات الفتح الإسلامي للجبهة الشمالية الشرقية (العراق) في عهد الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه لقناة (صفا) الإسلامية حيث احتشدت القوات الإسلامية بأمر الخليفة الراشد أبي بكر الصديق رضي الله عنه في هذا الموضع والذي كان يعرف تاريخيا بالنباج (عين ابن فهيد) بمحافظة الأسياح بمنطقة القصيم .

لقطتان لبعض المباني الأثرية في النباج (عين ابن فهيد) .

العراق في التراث الجغرافي الإسلامي:

قال ياقوت: فأما العراق المشهور فهي بلاد. والعراقان: الكوفة والبصرة، سمّيت بذلك من عِرَاق القربة وهو الخرزُ المثنّي الذي في أسفلها أي أنها أسفل أرض العرب؛ وقال أبو القاسم الزّجاجي: قال ابن الأعرابي سمي عِرَاقاً لأنه سفل عن نجد ودنا من البحر، أُخذ من عِرَاق القربة وهو الخَرْز الذي في أسفلها؛ وأنشد:

تَكشُّري مثل عِرَاق الشَّنّه

وأنشد أيضاً:

لما رأينَ دُرْدُري وسِني

وجَبهتي مثل عِراق الشَّنّ

مُتّ عليهنّ ومُتْنَ مني

قال: ولا يكون عِراقها إلا أسفلها من قربة أو مزادة، قال: وقال غيره العراق في كلامهم الطير، قالوا: وهو جمع عَرَقه، والعرقة: ضرب من الطير، ويقال أيضاً: العِراق جمع عِرق، وقال قطرب: إنما سمي العراق عراقاً لأنه دنا من البحر وفيه سباخ وشجر، يقال: استعرقت إبلهم إذا أتت ذلك الموضع، وقال الخليل: العراق شاطىء البحر، وسمي العراق عراقاً لأنه على شاطىء دجلة والفرات مدّاً حتى يتصل بالبحر على طوله، قال: وهو مشبّه بعِراق القربة وهو الذي يثنى منها فيُخرزُ، وقال الأصمعي: هو معرَّبٌ عن إيران شهر، وفيه بُعد عن لفظه وإن كانت العرب قد تتغلغل في التعريب بما هو مثل ذلك، ويقال: بل هو مأخوذ من عروق الشجر، والعراق: من منابت الشجر، فكأنه جمع عِرق، وقال شمرٌ: قال أبو عمرو سميت العراق عراقاً لقربها من البحر، قال: وأهل الحجاز يسمون ما كان قريباً من البحر عِراقاً؛ ... البحر فعرّبت العرب لفظ إيران بالحاق القاف فقالوا إيراق، وقال حمزة في الموازنة: وواسطة مملكة الفرس العراق، والعراق تعريب إيراف، بالفاء، ومعناه مغيض الماء وحدور المياه، وذلك أن دجلة والفرات وتامَرّا تنصبّ من نواحي أرمينية وبَنْد من بُنُود الروم إلى أرض العراق وبها يقرّ قرارُها فتَسقي بقاعها، وكانت دارا الملك من أرض العراق إحداهما عبر دجلة والأخرى عبر الفرات وهما بافيل وطوسفون، فعُرّب بافيل على بابل وعلى بابلون أيضاً وطوسفون على طيسفون وطيسفونج، وقيل: سميت بذلك لاستواء أرضها حين خَلَتْ من جبال تَعْلُو وأودية تنخفض، والعراق: الاستواء في كلامهم، كما قال الشاعر:

سُقْتُمْ إلى الحقّ معاً وساقوا

سِياقَ من ليس له عِراقُ ... . أ. هـ [(١)].

---

١ - معجم البلدان، ج ٤، ص ٩٤.

الخريطة الطبيعية للعراق وما جاورها
كردستان
الجزيرة الفراتية
نهر الفرات
إيران
المدائن (بغداد)
طيسفون
بادية الشام
الإمبراطورية الساسانية
العراق
البصرة
أرض الكواظم
(الكويت)
الارتفاع عن سطح البحر بالأمتار
٣٠٥٠
١٥٢٥
٦١٠
٣٠٥
١٥٣
مستوى سطح البحر
الخليج العربي
شط العرب
البصرة
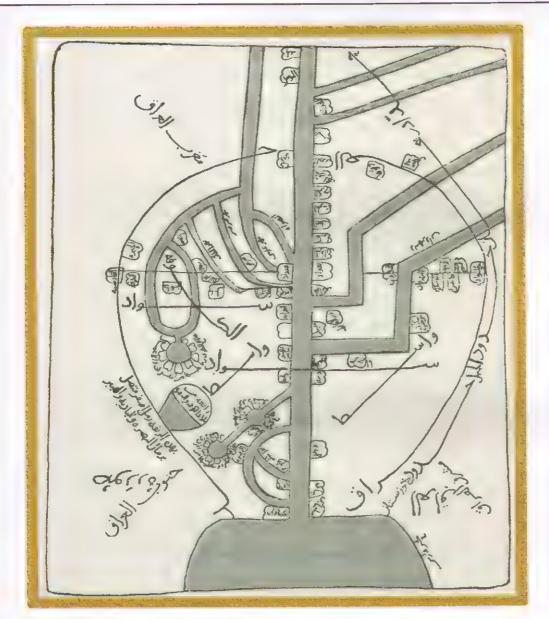
صورة العراق لابن حوقل النصيبي المتوفى سنة ٣٦٧هـ

قال ابن حوقل النصيبي: « وأما **العراق** فإنه في الطول من حد تكريت إلى عبادان، وعبادان مدينة على بحر فارس، وعرضه من القادسية على الكوفة وبغداد إلى حُلوان، وعرضه بنواحي واسط من سواد واسط إلى قرب الطيب، وبنواحي البصرة من البصرة إلى حدود حُلوان وحدود السيروان والصيمرة وحدود الطيب والسوس حتى ينتهي إلى حدود جُبَّي، ثم إلى البحر فيكون في هذا الحد من تكريت إلى البحر تقويس، ويرجع على حد المغرب من وراء البصرة في البادية على سواد البصرة وبطائحها إلى واسط، ثم على سواد الكوفة وبطائحها إلى الكوفة ثم على ظهر الفرات إلى الأنبار، ثم من الأنبار إلى حد تكريت بين الدجلة والفرات، وفي هذا الحد من البحر على الأنبار إلى تكريت تقويس أيضاً . وهذا المحيط بحدود العراق وستأتي أوصافه مفصَّلة إن شاء الله . **والصورة** التي في باطن هذه الصفحة ـ أي كتابه ـ صورة العراق » . صورة الأرض، ص ٢٠٨ .

السواد:

قال ابن خرداذبة: ثم ابتدئ بذكرّ السواد إذ كانت ملوك الفرس تسميه دل إيرانشهر أي قلب العراق، فالسواد اثنتا عشرة كورة كل كورة أستان وطسّاسيجه ستون طسّوجاً وترجمة الأستان احازة **وترجمة الطسّوج ناحية**، كورة أستان شاذ فيروز وهي حلوان خمسة طساسيج طسّوج فيروز قباذ، وطسّوج الجبل، وطسّوج تامرّا، وطسّوج إربل، وطسّوج خانقين.

الجانب الشرقيّ سقي دجلة وتامرّا

كورة أستان شاذ هرمز سبعة طساسيج طسّوج بزر جسابور، وطسّوج نهر بوق، وطسّوج كلواذى ونهر بين، وطسّوج جازر، وطسّوج المدينة العتيقة، وطسّوج راذان الأعلى، وطسّوج راذان الأسفل.

كورة أستان شاذ قباذ ثمانية طساسيج طسّوج روستقباذ، وطسّوج مهروذ، طسّوج سلسل، طسّوج جلولا وجللتا، طسّوج الذيبين، طسّوج البندنيجين، طسّوج براز الروز، طسّوج الدسكرّة والرستاقين.

كورة استان بازيجان خسرو خمسة طساسيج طسّوج النهروان الأعلى، طسّوج النهروان الأوسط، طسّوج النهروان الأسفل. اسكاف بني جنيد جرجرايا ونحوها، طسّوج بادرايا، طسّوج باكسايا.

سقي دجلة والفرات:

كورة استان شاذ سابور وهي كسكرّ أربعة طساسيج طسّوج الزندورد، طسّوج الثرثور، طسّوج الأستان، طسّوج الجوازر.

كورة أستان شاذ بهمن وهي كورة دجلة أربعة طساسيج طسّوج بهمن أردشير، وطسّوج ميسان وهي ملوى، وطسّوج دست ميسان وهي الأبلّة. قال غيلان بن سلمة الثقفي: ظلّت تحيد من الدجاج وصوته وصريف باب بالأبلّة يغلق وطسّوج أبزقباذ، وخراج دجلة ثمانية آلاف ألف وخمس مائة ألف درهم.

سقي الفرات ودجيل من غربيّ دجلة:

كورة أستان العالي أربعة طساسيج طسّوج فيروز سابور وهو الأنبار، وطسّوج مسكن قال ابن الرقيّات: إن الرّزيّة يوم مسكن والمصيبة والفجيعة. وطسّوج قطربل، وطسّوج بادوريا.

كورة أستان أردشير بابكان خمسة طساسيج طسّوج بهرسير، طسّوج الرومقان، طسّوج كوثى، طسّوج نهر درقيط، طسّوج نهر جوبر.

كورة أستان به ذيوماسفان وهي الزوابي ثلاثة طساسيج طسّوج الزاب الأعلى، طسّوج الزاب الأوسط، طسّوج الزاب الأسفل.

كورة أستان بهقباذ الأعلى وهي ستة طساسيج طسّوج بابل، طسّوج خطرنية، طسّوج الفلّوجة العليا، طسّوج الفلّوجة السفلى، طسّوج النهرين، طسّوج عين التمر.

كورة أستان بهقباذ الأوسط أربعة طساسيج طسّوج الجبّة، والبُداة، طسّوج سورا وبربيسما، طسّوج باروسما، طسّوج نهر الملك، ويقال أنهما طسّوج واحد وأن الطسّوج الرابع السيبين والوقوف فنقل في الضياع.

كورة استان بهُقباذ الأسفل خمسة طساسيج طسّوج فرات بادقلي، طسّوج السيلحين، طسّوج نستر، طسوج روذ مستان، طسّوج هرمزجرد، ويقال أن روذمستان وهرمزجرد ضياع متفرقة من طساسيج عدة. المسالك والممالك، ج ١، ص ٣.
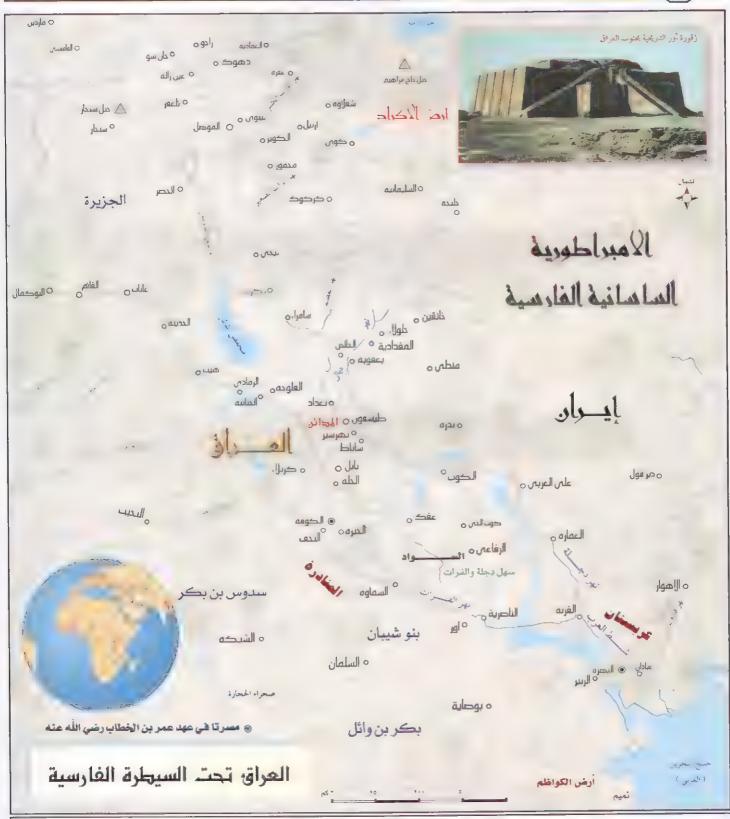
جباية السواد: قال ابن خرداذبة: مبلغ جباية السواد. فأما مبلغ جباية السواد في القديم فإنه جبى لقُباذ الملك ابن فيروز مائة ألف ألف وخمسين ألف ألف درهم مثاقيل. وأمر **عمر بن الخطاب** بمسح السواد وطوله من العلث وحربى إلى عبادان وهو مائة وخمسة وعشرون فرسخاً وعرضه من عقبة حلوان إلى العُذيب وهو ثمانون فرسخاً فبلغ جربانه ستة وثلاثين ألف ألف جريب فوضع على كل جريب الحنطة أربعة دراهم وعلى جريب الشعير درهمين وعلى جريب النخل ثمانية دراهم وعلى جريب الكرم ستة دراهم وعلى جريب الرطاب ستة دراهم وختم على خمس مائة ألف إنسان للجزية على الطبقات فجبى عمر بن الخطاب السواد مائة ألف ألف وثمانية وعشرين ألف ألف درهم وجباه عمر بن عبد العزيز مائة ألف ألف وأربعة وعشرين ألف ألف درهم وجباه الحجاج بن يوسف ثمانية عشر ألف ألف درهم كسر فيها مائة ألف ألف وذلك لعسفه وخرقه وظلمه وأسلفهم ألفي ألف درهم فحصل له ستة عشر ألف ألف درهم ومنع أهل السواد من ذبح البقر لتكثر الحراثة والزراعة فقال الشاعر في ذلك:

شكونا إليه خراب السواد ... فحرّم جهلاً لحوم البقرْ

وكان جُبي لكسرى أبرويز خراج مملكته في سنة ثمان عشرة من ملكه أربع مائة ألف ألف مثقال وعشرين ألف ألف مثقال يكون وزن سبعة ستمائة ألف ألف ثم بلغت جباية مملكته بعد ذلك ستمائة ألف ألف مثقال. المسالك والممالك، ج١، ص ٣

نخيل التمر في الناصرية - العراق

أهوار الجنوب العراقي
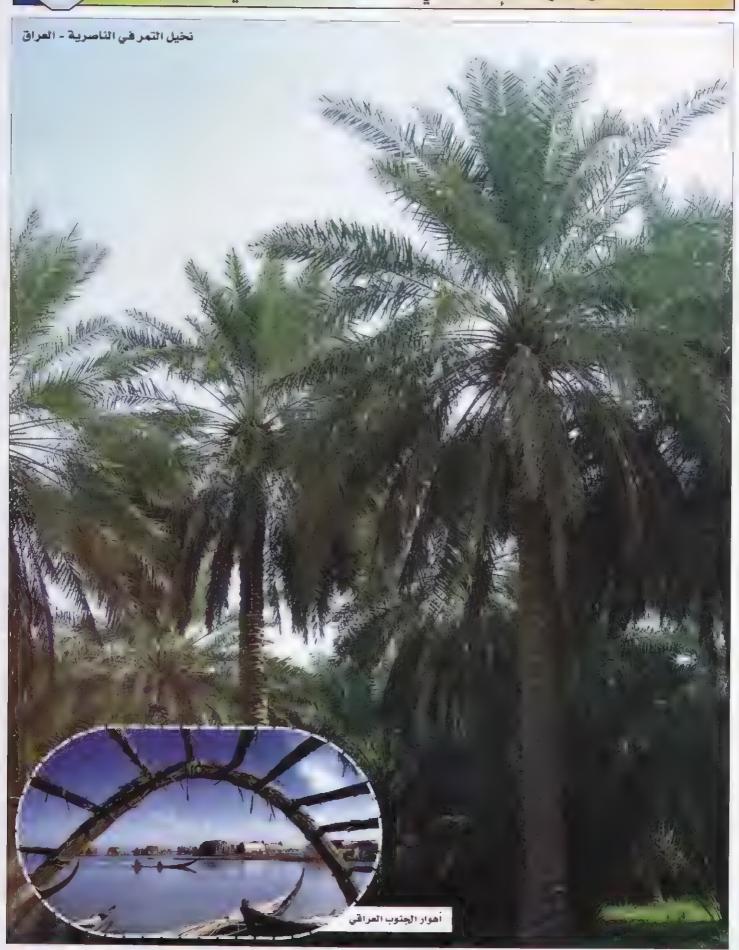
معركة ذات السلاسل (كاظمة)

محرم من السنة الثانية عشرة من الهجرة المباركة

كانت أول مدينة قصدها **'خالد بن الوليد'** هي مدينة **'الأبلة'**، وذلك بتوجيه من خليفة المسلمين أبي بكر - رضي الله عنه - ، حيث كان أبوبكر على دراية بالأمصار والأقطار والمسالك والممالك كنتاج طبيعي لاشتغاله بالتجارة قبل الإسلام؛ إضافة إلى خبرته بالفنون العسكرية لمشاركته في جميع غزوات النبي صلى الله عليه وسلم، ولما انتهى المسلمون من حروب الرِّدَّة وجه أبو بكر خالداً - رضي الله عنه - لفتح العراق وأمره أن يبدأ بأهمها وهي الأبلة ذات الأهمية الاستراتيجية الكبيرة، بصفتها ميناء الفرس الأهم على الخليج العربي، ومنها تأتي كل الإمدادات للحاميات الفارسية المنتشرة بالعراق، وكانت هذه المدينة تحت قيادة أمير فارسي كبير الرتبة اسمه **'هرمز'**، وقد اشتق من اسمه اسم المضيق القائم حالياً عند الخليج العربي، وكان رجلاً متكبراً، شديد البغض للإسلام والمسلمين، وللجنس العربي بأسره، وكان العرب بالعراق يكرهونه بشدة، ويضربون به الأمثال فيقولون : { أخبث من هرمز ، أكفر من هرمز } ، فلما وصل خالد بالجيوش الإسلامية هناك، وكان تعداد هذه الجيوش قد بلغ ثمانية عشر ألفاً بعد أن طلب الإمدادات من الخليفة، **أرسل برسالة للقائد 'هرمز' يدعوه فيها وقومه إلى الإسلام** (انظر الخارطة المقابلة).

الأُبُلَّة : بلدة على شاطىء دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة، وهي أقدم من البصرة، لأن البصرة مُصِّرت في أيام عمر ابن الخطاب، رضي الله عنه، وكانت الأبلة حينئذ مدينة فيها مسالح من قِبَل كسرى، وقائدٌ، وقد ذكرنا فتحها في سَبْذَان.

وكان خالد بن صَفْوان يقول: ما رأيت أرضاً مثل الأبلة مسافةً، ولا أَغْذَى نُطْفَةً، ولا أوطأ مَطِيَّةً، ولا أربَح لتاجر، ولا أخفى لعائذ.

وقال الأصمعي: جنان الدُّنيا ثلاث: غُوطة دمشق، ونهر بَلْخ، ونهر الأبلة. وحشوش الدنيا خمسة: الأبلة، وسيراف، وعُمان، وأرْدَبيل، وهيت. وأما نهر الأبلة الضارب إلى البصرة، فحفره زياد.الحموي، معجم البلدان، ج ١ ، ص ٧٧ .

كاظِمَةُ : الظاء معجمة؛ الكظم: إمساك الفم، والكاظم: المطرق لا يُجِرُّ من الإبل؛ قال :

فهن كُظومٌ ما يُفِضْنَ بجِرَّة ... لهن لُمبيضَ اللُّغام صريف

جَوٌّ على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة، بينها وبين البصرة مرحلتان، وفيها ركايا كثيرة وماؤها شروب واستسقاؤها ظاهر؛ وقد أكثر الشعراء من ذكرها، فمنه :

يا حبّذا البرق من أكناف كاظمة ... يَسعى على قَصَرات المرخ والعُشَر

لله دَرُّ بيوت كان يعشقها ... قلبي ويألفها إن طيّبت بصري

فقدتُها فَقْدَ ظمآن إداوتَه ... والقيظ يَحذف وجه الأرض بالشّرَر

أُمنيّةُ النفس أن تزداد ثانية، ... وحالنا والأماني حلوة الثمر.

الحموي، معجم البلدان، ج ١ ، ص ٧٧

أما بعد،
فأسلم تسلم، أو اعتقد لنفسك وقومك الذمة وأقرر بالجزية ؛ وإلا فلا تلومن إلا نفسك. فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة.

رسالة خالد بن الوليد إلى هرمز

قال الطبري: فرّق خالد مخرجه من اليمامة إلى العراق جنده ثلاث فرق، ولم يحملهم على طريق واحدة. فسرح المثنى قبله بيومين ودليله ظفر، وسرح عدي بن حاتم وعاصم بن عمرو ودليلاهما مالك بن عباد وسالم بن نصر، أحدهما قبل صاحبه بيوم ؛ وخرج خالد ودليله رافع ؛ فواعدهم جميعاً الحفير ليجتمعوا به وليصادموا به عدوهم ؛ وكان فرج الهند أعظم فروج فارس شأناً، وأشدها شوكة، وكان صاحبه يحارب العرب في البر، والهند في البحر. قال – وشاركه المهلب بن عقبة وعبد الرحمن بن سياه الأحمري، الذي تنسب إليه الحمراء سياه – قال: لما قدم كتاب خالد على هرمز كتب بالخبر إلى شيرى بن كسرى وإلى أردشير بن شيرى وجمع جموعه، ثم تعجل إلى **الكواظم** في سرعان أصحابه ليتلقى خالداً وسبق حلبته فلم يجدها طريق خالد وبلغه أنهم تواعدوا الحفير فعاج يبادره إلى الحفير فنزله فتعبى به يبادره إلى الحفير فنزله، فتبعثي به، وجعل على مجنبته أخوين يلاقيان أردشير وشيرى إلى أردشير الأكبر يقال لهما قباذ وأنوشجان واقترنوا في **السلاسل** فقال من لم ير ذلك لمن رآه قيدتم أنفسكم لعدوكم فلا تفعلوا فإن هذا طائر سوء فأجابوهم وقالوا أما أنتم فحدثونا أنكم تريدون الهرب فلما أتى الخبر خالداً بأن هرمز في الحفير أمال الناس إلى **كاظمة** وبلغ هرمز ذلك فبادره إلى كاظمة فنزلها وهو حسير وكان من أسوأ أمراء ذلك الفرج جواراً للعرب فكل العرب عليه مغيظ وقد كانوا ضربوه مثلاً في الخبث حتى قالوا أخبث من هرمز وأكفر من هرمز وتعبى هرمز وأصحابه واقترنوا في السلاسل والماء في أيديهم وقدم خالد عليهم فنزل على غير ماء فقالوا له في ذلك فأمر مناديه فنادى **ألا انزلوا وحطوا أثقالكم ثم جالدوهم على الماء فلعمري ليصيرن الماء لأصبر الفريقين وأكرم الجندين** فحطت الأثقال والخيل وقوف وتقدم الرجل ثم زحف إليهم حتى لاقاهم فاقتتلوا وأرسل الله سحابة فأغزرت ما وراء صف المسلمين فقواهم بها وما ارتفع النهار وفي العائط مقترن .

التحام الفريقين يوم كاظمة :

وقدم **خالد** بمن معه من الجيش وهم ثمانية عشر ألفاً (انظر عدد القبائل المشاركة بالتفصيل في الرسم البياني المقابل للصفحة) فنزل تجاههم على غير ماء فشكى أصحابه ذلك، فقال: جالدوهم حتى تجلوهم عن الماء، فإن الله جاعل الماء لأصبر الطائفتين، فلما استقر بالمسلمين المنزل وهم ركبان على خيولهم، بعث الله سحابة فأمطرتهم حتى صار لهم غدران من ماء. فقوى المسلمون بذلك، وفرحوا فرحاً شديداً، فلما تواجه الصفان وتقاتل الفريقان، ترجل هرمز ودعا إلى النزال، فترجل خالد وتقدم إلى هرمز، فاختلفا ضربتين واحتضنه خالد، وجاءت حامية هرمز فما شغله عن قتله، وحمل القعقاع بن عمرو على حامية هرمز فأناموهم، وانهزم أهل فارس وركب المسلمون أكتافهم إلى الليل واستحوذ المسلمون خالد على أمتعتهم وسلاحهم فبلغ وقر ألف بعير، وسميت هذه الغزوة ذات السلاسل لكثرة من سلسل بها من فرسان فارس، وأفلت قباذ وأنو شجان. ولما رجع الطلب نادى منادي خالد بالرحيل فسار بالناس وتبعته الأثقال حتى نزل بموضع الجسر الأعظم من البصرة اليوم، وبعث بالفتح والبشارة والخمس، مع رزين بن كليب، إلى الصديق، وبعث معه بفيل، فلما رآه نسوة أهل المدينة جعلن يقلن أمن خلق الله هذا أم شيء مصنوع؟ فرده الصديق مع رزين، وبعث أبو بكر لما بلغه الخبر إلى خالد، فنفله سلب هرمز، وكانت قلنسوته بمائة ألف، وكانت مرصعة بالجوهر وبعث خالد الأمراء يميناً وشمالاً يحاصرون حصوناً هنالك ففتحوها عنوة وصلحاً، وأخذوا منها أموالاً جمة، ولم يكن خالد يتعرض للفلاحين ـ من لم يقاتل منهم ـ ولا أولادهم بل للمقاتلة من أهل فارس .ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٧، ص ٢٤٠

كاظمة :

موقع بين الكويت الحالية والبصرة، كانت فيه معركة بين خالد ابن الوليد وهرمز قائد الفرس سنة ١٢هـ، وفيها بارز خالد هرمزاً وقتله، وسميت المعركة بذات السلاسل، لأن جنود الفرس كانوا مقرونين بالسلاسل لكي لا يهربوا.

تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير - (ج ٢ / ص ٢٥٤).

مواقف من المعركة: أبانت المعركة عن الكثير من المواقف العظيمة التي تميز بها المسلمون على قلة عددهم أمام جحافل الفرس الكبيرة؛ فمن هذه المواقف: أول المشاهد التي ظهر فيها صدق فراسة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - حينما قال عن القعقاع بن عمرو: (لايهزم جيش فيه مثل هذا).

أما سيف الله المسلول (خالد بن الوليد) ؛فقد ضرب أروع الأمثال في البطولة ورباطة الجأش حينما أجهز على قائد الفرس وحاميته من حوله: فلم يستطيعوا تخليصه منه، ثم ظل يجالدهم حتى وصل إليه القعقاع ابن عمرو ومن معه فقضى عليهم. وقد كان الفرس قد ربطوا أنفسهم بالسلاسل الحديدية القوية، خشية من هروبهم من أرض المعركة فقالوا: لبعضهم : قيدتم أنفسكم لعدوكم، وسميت هذه المعركة بذات السلاسل .

القبائل العربية التي شاركت في معركة ذات السلاسل (كاظمة) مع القائد خالد بن الوليد المخزومي رضي الله عنه
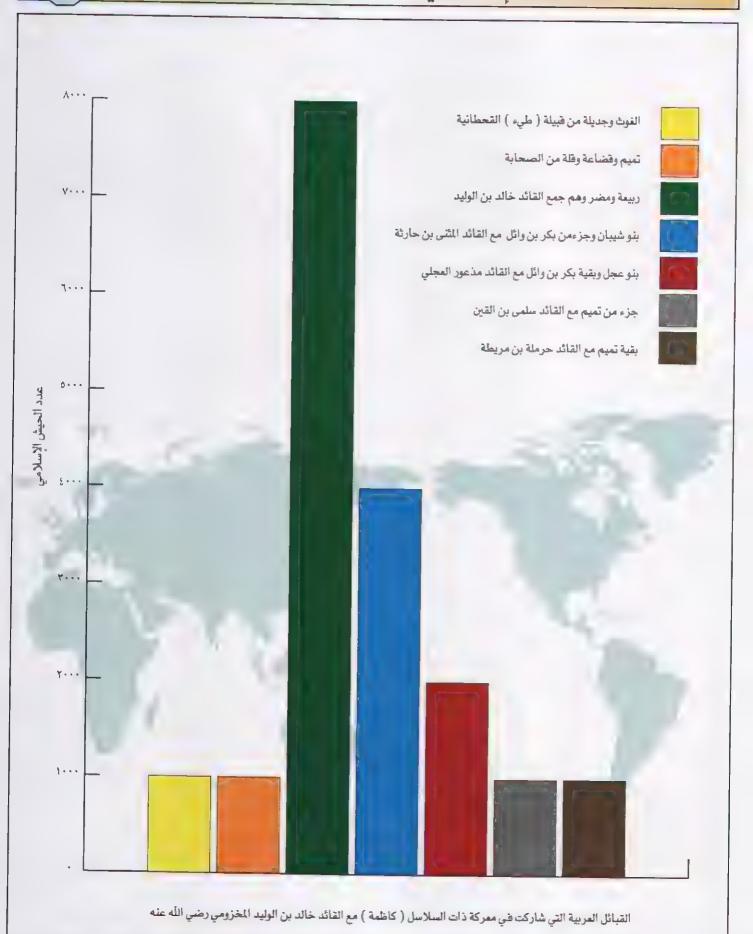
١ - مؤلف ومصمم الأطلس أثناء تسجيل حلقة معركة **كاظمة** على أرض **الكويت الحبيبة**، لصالح قناة (صفا الإسلامية) .

٢، ٣، ٤، لقطات مختارة من أرض **كاظمة** في شمالي **الكويت**، والتي على ثراها انتصرت القوات الإسلامية على القوات الفارسية، ثم واصل المسلمون فتوحاتهم على الجبهة الشمالية الشرقية.

عدسة المؤلف

٢

٣ -

٤

لقطات جميلة لمدينة الكويت عاصمة دولة الكويت

عدسة المؤلف

على أرض دولة الكويت الحبيبة: خاض المسلمون في عهد **أبي بكر الصديق** - رضي الله عنه - أول معركة مع الفرس الساسانيين معركة (**كاظمة**) وانتصروا فيها حيث كان يعرف هذا الجزء باسم أرض الكواظم. واسمها الرسمي الحالي " دولة الكويت "، بينما كانت تعرف منذ أوائل القرن ١٧ م بالقرين ، والتسمية بالقرين أو الكويت هو تصغير من قرن وكوت، والقرن يعني التل أو الأرض العالية وأما الكوت فهي القلعة أو الحصن.

ونشأت الكويت عام ١٦١٣ م شمال غربي الخليج العربي، عندما توافدت إليها مجموعات من الأسر والقبائل من الجزيرة العربية. وسرعان ما أخذ هذا الكيان شكله السياسي المتميّز، عندما بويع للحكم شخص من أسرة **آل الصباح** لممارسة السلطة الشرعية القانونية وتمثيل هذا المجتمع الأصيل لدى الجهات الخارجية. ومنذ ذلك الحين غدا الحكم في هذه الأسرة الكريمة تتوارثه عبر الأجيال. ومنذ نشأة هذا المجتمع وهذا الكيان تميّز بالنشاط الاقتصادي المتنوع. فكانت الكويت محطة للقوافل التجارية من فارس وبلاد ما بين النهرين باتجاه شرق الجزيرة العربية ووسطها، كما كانت نقطة اتصال للطريق البحري القادم من الهند وشرق إفريقيا إلى بلاد الشام وأوروبا. واسمها المعاصر برز لأول مرة على خارطة الرحالة الألماني كارستن نيبور عام ١٧٧٢ م .

ابراج الكويت على ساحل مدينة الكويت

معركة الأبلة (معارك النصر)
١
بعد اندحار الفرس وفرار من فر منهم، تبعهم المسلمون في مطاردة، وما أن رجع المطاردون حتى نادى منادي خالد في الناس بالرحيل في نفس اليوم، وسار بالناس وأثقالهم من خلفهم حتى نزل بموضع الجسر الأعظم من مكان البصرة اليوم .
الشمال
الحيرة
الديوانية
نهر الفرات
العراق
نهر دجلة
العمارة
الرميثة
المذار
قوات المسلمين بقيادة المثنى بن حارثة تطارد فلول الفرس المنهزمة وتقوم بتطهير المنطقة من بقاياهم .
٣
السماوة
نهر المرأة
الناصرية
أرض السواد
القرنة
أور
سوق الشيوخ
المذار
الأهواز
مسكر الجيش الإسلامي بقيادة سويد بن قطبة الذهلي .
البصرة
الأبلة
خرمشهر
عبادان
بنو شيبان
حينما وصل خالد إلى المنطقة التي يعسكر فيها المسلمون بقيادة سويد بن قطبة الذهلي قال سويد لخالد : (إن أهل الأبلّة قد جمعوا لي، ولا أحسبهم امتنعوا مني إلا لمكانك) . فقال خالد : (فالرأي أن أخرج ... ثم أعود ليلاً، فأدخل في معسكرك بأصحابي فإن صبحوك حاربناهم) فلما أصبح الصباح، خرج جيش الأبلّة إلى سويد وهم يعلمون أن خالداً قد انصرف إلى الحيرة، فلما اقتربوا ورأوا كثرة من في المعسكر، أسقط في أيديهم وانكسرت معنوياتهم . فحمل عليهم المسلمون فهزموهم شر هزيمة، ثم نزل خالد بالقرب من موقع البصرة وبعث المثنى في آثار المجوس في مطاردة عنيفة .
٤
قوات المسلمين بقيادة خالد بن الوليد تتقدم إلى خطوط التماس مع الفرس
٢
فلول الجيش الفارسي تهرب من كاظمة بعد هزيمتها القاسية .
بكر بن وائل
٥
مسار الجيش الإسلامي إلى المدينة محملاً بالغنائم بقيادة زر بن كليب يسوق الفيل أمامه
كاظمة
أرض الكواظم
خليج البحرين (العربي)
تذكر بعض الروايات بأن الذي حمل الغنائم هو زر بن كليب
للأهمية؛ لم تكن البصرة آنذاك، إنما أوردناها لتوضيح قربها من الأبلة.

حينما نزل **خالد بن الوليد** موقع البصرة، وبعث المثنى بن حارثة في آثار المجوس في مطاردة عميقة. وأرسل معقل ابن مقرّن المزني أحد الإخوة العشرة إلى الأُبُلَّة، خرج حتى جاءها فجمع مالها وسبيها. وانطلق المثنى قائد المقدمة حتى انتهى إلى نهر المرأة وعليه (حصن المرأة) كان لأميرة فارسية تدعى كامورزاد ولم يشأ أن يوقفه الحصن عما هو بسبيله، فخلف أخاه المعنى بن حارثة لحصاره ومضى هو إلى (حصن الرجل) وقد كان به زوج كامورزاد فحاصره ثم فتحه واستنزل من به عنوة فقتلهم واستفاء أموالهم. وما أن علمت كامورزاد بذلك حتى صالحت المثنى وأسلمت وتزوجها المعنى.

سبى خالد أولاد المقاتلة الذين قاتلوه ممن كان يقوم بأمر الأعاجم. أما الفلاحون فقد نفذ ما أمره به **أبو بكر** بشأنهم، فلم يحرك أحداً منهم وأقرهم على أرضهم وجعل لهم الذمة. وبلغ سهم الفارس في **ذات السلاسل والأُبُلَّة (معارك النهر)** ألف درهم، والراجل على الثلث من ذلك. وقد كان لهذا الظفر أثره البالغ في معنويات المسلمين، فقد رأوا أن الفرس - وقد كانت لهم رهبة عند العرب - ليسوا من طينة تختلف عن طينة الناس، وقد رأوا خالداً يقتل قائدهم أمام أعينهم كما قتلوا هم جنده. أحمد عادل كمال، الطريق إلى المدائن، ص ٢٢٠ - ٢٢١

معركة المذار (الثني)

أول صفر من السنة الثانية عشرة من الهجرة المباركة

قال ابن كثير: ثم كانت وقعة المذار في صفر من هذه السنة. ويقال لها: وقعة الثني، وهو النهر، قال ابن جرير ويومئذ قال الناس، صفرُ الأصفار، فيه يقتل كل جبار، على مجمع الأنهار. **وكان سببها** أن هرمزاً كان قد كتب إلى أردشير وشيري، بمقدم خالد نحوه من اليمامة، فبعث إليه كسرى بمدد مع أمير يقال له: **قارن بن قريانس**، فلم يصل إلى هرمز حتى كان من أمره مع **خالد** ما تقدم وفر من فر من الفرس، فتلقاهم قارن، فالتفوا عليه فتذامروا واتفقوا على العود إلى خالد، فساروا إلى موضع يقال له: المذار، وعلى مجنبتي قارن **قباذ وأنو شجان**، فلما انتهى الخبر إلى خالد، قسم ما كان معه من أربعة أخماس غنيمة يوم ذات السلاسل وأرسل إلى الصدِّيق بخبره مع الوليد بن عقبة، وسار خالد بمن معه من الجيوش حتى نزل على **المذار**، وهو على تعبئته، فاقتتلوا قتال حنق وحفيظة، وخرج قارن يدعو إلى البراز فبرز إليه خالد وابتدره الشجعان من الأمراء فقتل **معقل بن الأعشى بن النباش قارناً**، وقتل **عدي بن حاتم قباذ**، وقتل **عاصم أنوشجان**، وفرت الفرس وركبهم المسلمون في ظهورهم فقتلوا منهم يومئذ ثلاثين ألفاً وغرق كثير منهم في الأنهار والمياه، وأقام خالد بالمذار وسلم الأسلاب إلى من قتل، وكان قارن قد انتهى شرفه في أبناء فارس. وجمع بقية الغنيمة وخمسها، وبعث بالخمس والفتح والبشارة إلى الصدِّيق، مع سعيد ابن النعمان، أخي بني عدي بن كعب وأقام خالد هناك حتى قسم أربعة الأخماس وسبى ذراري من حصره من المقاتلة، دون الفلاحين فإنه أقرهم بالجزية وكان في هذا السبي حبيب أبو الحسن البصري وكان نصرانياً ومافنَّة مولى عثمان وأبو زياد مولى المغيرة بن شعبة. ثم أمر على الجند **سعيد بن النعمان** وعلى الجزية **سويد ابن مقرّن**، وأمره أن ينزل **الحفير** ليجبي إليه الأموال وأقام **خالد** يتجسس الأخبار عن الأعداء. البداية والنهاية، ج٦، ص ٣٥٠.

المَذَارُ: بالفتح، وآخره راء، وهي عجمية ولها مخرج في العربية أن يكون اسم مكان من قولهم ذَرُّهُ وهو يذَرُّه ولا يقال وذَرْته، أماتت العرب ماضيه، أي دَعْهُ وهو يدَعُه، فميمه على هذا زائدة، ويجوز أن تكون الميم أصلية فيكون من مَذِرَت البيضة إذا فسدت، ومَذِرَتْ نفسه أي خبثت وغثَّت؛ **والمذارُ** في مَيْسان بين واسط والبصرة وهي قصبة ميسان، بينها وبين البصرة مقدار أربعة أيام، وبها مشهد عامر كبير جليل عظيم قد أُنفق على عمارته الأموال الجليلة وعليه الوقوف وتساق إليه النذور.... الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٧٧.

قال الإصطخري: ... وللبصرة مدن: فأما عبادان والأبلة والمفتح و**المذار** فعلى شط دجلة، وهي مدن صغار متقاربة في الكبر عامرة، إلا الأبلة فإنها أكبرها، وفي حدود البصرة بين أضعاف قراها آجام كثيرة وبطائح، أكثرها يسار فيها بالمرادي، قريبة القعر كأنها كانت على قديم الأيام أرضاً مكشوفة، ويشبه أن يكون لما بنيت البصرة وشقت الأنهار، واتصل بعضها ببعض في القرى والمجاري، تراجعت المياه وغلبت على ما يسفل من أرضها، فصارت بحاراً وهي البطائح... المسالك والممالك (ج ١ / ص ٣٢).

معركة المذار (الثني)

الجيوش الفارسية في أرض الأهواز تزحف نحو المذار استجابة لتوجيهات قادة الفرس

بعد انتصار المسلمين المؤزر على الفرس، ارسل القائد خالد بن الوليد، بشرى النصر مع سعيد بن النعمان ومعه بقية الاخماس التي غنمها المسلمون من اللقاء الى مقر الخلافة بالمدينة.

قوات المسلمين بقيادة خالد بن الوليد تفتح بعض المدن العراقية في طريقها

س في المذار.

الامبراطورية الساسانية
الحلة
الفرات
الحيرة
الديوانية
ارض العراق
الرميثة
السماوة
العمارة
نهر دجلة
أرض السواد
المذار
زندورد
هرمز جرد
الناصرية
أور
سوق الشيوخ
القرنة
الحمار
هور
الأهواز
البصرة
الأبلة
خرمشهر
عبادان
الحفير
المناذرة
بنو شيبان
بكر بن وائل
أرض الكواظم
خليج البحرين (العربي)
الى المدينة النبوية
الشمال

ميسان (العُمارة)

ميسان: هي العمارة وتقع في الجزء الشرقي من جمهورية العراق على الحدود العراقية الإيرانية وتبعد عن بغداد ٣٧٥ كم، وتشتهر بوجود الأهوار التي تشكل أكثر من ٤٠ ٪ من مساحتها. وتعني كلمة ميسان وهي كلمة آرامية المدينة المحاطة بالمياه. وتسمى ميسان بندقية الجنوب (البندقية مدينة فينيسيا في ايطاليا) وتشتهر ببساتينها الجميلة ومدنها وقصباتها وأهوارها وأنهارها (دجلة الخير ونهر البيزة والفهادية والكحلاء ويسمى الجحلة بلهجة أبناء العمارة) وتشير أغلب المصادر إلى أن ميسان دويلة نشأت في جنوبي أرض بابل تحت حماية السلوقيين ٣١١ ق.م – ٢٤٦ ق.م، وعندما ضعف شأنهم في الفترة الواقعة بين عامي ٢٢٣ق.م – ١٨٧ق.م، استقلت ثم تدرجت في سلم القوة وأصبحت دويلة لها طابعها الخاص.

حكمها ثلاثة وعشرون ملكاً خلال ثلاثة قرون ونصف مابين عامي ١٢٩ ق.م – ٢٢٥ م، ولقد أدت دوراً بارزاً في الأحداث السياسية والاقتصادية في العراق خلال الفترة من منتصف القرن الثاني قبل الميلاد إلى الربع الأول من القرن الثالث الميلادي .

وميسان في العصر الإسلامي فتحت في عهد الخليفة الثاني الراشد **عمر بن الخطاب** – رضي الله عنه – على يد القائد عتبة بن غزوان المازني، وتعتبر ميسان (العمارة) مدينة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط، وفيها قبر **العزير النبي**، كما تذكر بعض الروايات، وعبيد الله بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

ويتبعها إدارياً في العصر الحديث **المذار** والبطائح. واسم ميسان الحالي العُمارة وكانت تعني عمارة بضم العين والمقصود بذلك عُمارة بن الحمزة الذي عينه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور ١٣٦ –١٥٨ هـ، على كور دجلة .

عدي بن حاتم الطائي أحد قادة معركة (المذار)

هو ابن أجود رجالات العرب في الجاهلية، تولى رئاسة قومه قبيلة طيء بعد وفاة أبيه. وكانت القبيلة قد هاجرت مع القبائل العربية بعد انهيار سد مأرب نحو أرض الجبلين (أجا و سلمى) وهي منطقة حائل حالياً بالمملكة العربية السعودية.

كان عدي بن حاتم وقبيلته يدينون بالنصرانية حين ظهور الإسلام، فأرسل لهم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب لدعوتهم إلى الإسلام وكان عدي حينها مسافراً نحو بلاد الشام، فتم الغزو وأخذت نسائهم أسرى، وكان من بين الأسيرات سفانة بنت حاتم الطائي أخت عدي، ففك أسرها النبي بعد علمه بأنها ابنة سيد قومها. وكان عدي بن حاتم من ألدّ أعداء الإسلام، الا انه وبعد إسلام أخته سفّانة، وبعدما وصله أن الرسول صلى الله عليه وسلم يتمنى إسلامه ليتعاون معه، وفد على الرسول صلى الله عليه و سلم، وكانت وفادته لإستكشاف أمر هذا الرسول الجديد ولم يكن في نيته أن يسلم، ولما وصل المدينة قابل النبي ﷺ في مسجده ولاحظ أنه لا يدّعي بالملك أو الزعامة، فعرف أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يسعى لهما، فأخذه صلى الله عليه وسلم إلى بيته وهناك حادثه في أمر الإسلام وكان مما قال له : "لعلك يا عدي إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من حاجة المسلمين وفقرهم، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم، حتى لا يوجد من يأخذه، ولعله يا عدي إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من قلة المسلمين وكثرة عدوهم، فوالله لتوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف الا الله، ولعله يا عدي إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم، فهم ضعاف، وايم الله لتوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم، وإن كنوز كسرى قد صارت إليهم". وأسلم عدي بعدها، وشارك مع المسلمين في حروب الرِّدَّة وأبلى بلاءً حسناً في معارك الفتح الإسلامي، وكان من أبرز قادة **معركة المذار** حينما قتل قُباذ أحد قادة الفرس، وعاش حتى سنة ٦٨ هـ ٦٨٨ م، وشارك مع جيش علي بن أبي طالب رضي الله عنه، بعد مقتل الخليفة (عثمان بن عفان) رضي الله عنه.
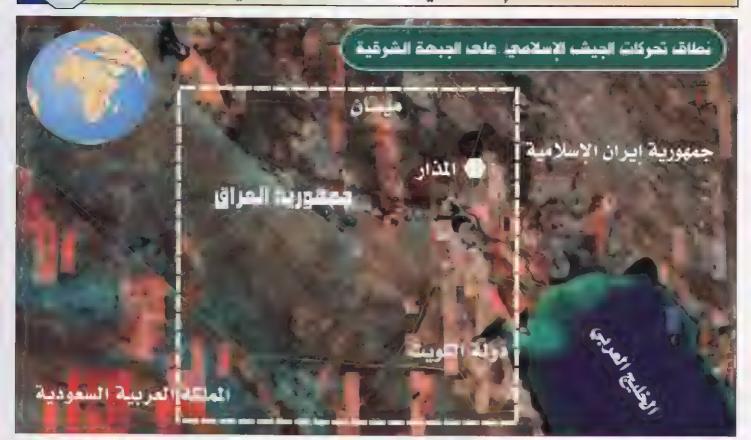
عرب الأهوار: و كذلك يسمون باللغة الانجليزية (Marsh Arabs) هم مجموعة سكانية عراقية موطنها الأصلي: منطقة الأهوار و ما حولها في جنوبي العراق. يشكلون السواد الأعظم من سكان **محافظة ميسان** لكنهم ليسوا كل سكان الأهوار. فهناك **المعدان** وهي فئة اجتماعية مختلفة عن عرب الأهوار يتميزون بتربية الجواميس. واسم المعدان في الغالب يطلق في العراق على سكان الأهوار عموماً. و يتميز عرب الأهوار ببناء صرائف من القصب ذات طراز معين تسمى المضيف إضافة إلى **قوارب مصنوعة من القصب** تساعدهم في صيد السمك تسمى **المشحوف**، رغم أن الميزتين الأخيرتين يشترك فيهما عرب الأهوار مع فئات أخرى من سكان جنوبي العراق. ولا توجد في واقع الحال دراسات واضحة و حاسمة في أصل عرب الأهوار رغم أن بعض الفرضيات تقول: بأن عرب الأهوار هم من بقايا سكان العراق الآراميين والعرب القدماء والنبط. في حين يرجعهم البعض الآخر و هو رأي مستحدث إلى بقايا السومريين بسبب تشابه طرق بناء صرائف الأهوار القصبية و المشحوف مع نقوش سومرية قديمة: لكن هذا الرأي غير مؤكد لأن المشحوف أو المضيف القصبي لا يقتصر فقط على عرب الأهوار، بل هو نمط قديم للبناء موجود في عموم مناطق جنوبي العراق.

رجلان على قارب في أهوار العمارة (ميسان) بجنوبي العراق : مصنوع من القصب يسمى (المشحوف)

... وهناك في الأهوار تجمعات من هؤلاء الناس المثيرين للاهتمام، وعوائل هنا وهناك متفرقة، ويعرفون محلياً باسم **الصبة**. وهم حرفيون ماهرون، يصنعون القوارب والحلي للعشائر، والفالات وصنارات صيد السمك والمساحي والمحاريث وغيرها من أدوات. ونشاطهم الآخر هو كتابة الرقي، إذ يذهب **سكان الأهوار** إلى **الكهنة المندائيين** للحصول على تعاويذ باللغة العربية أو المندائية، والأخيرة تعتبر شديدة الفاعلية لأنها تكتب بخط ولغة غير معروفين. فهم يكتبون أحرازاً ضد المرض وسيطرة الأرواح الخبيثة وتعاويذ الحب بمختلف أنواعها، وأدعية لإرباك العدو أو الغريم، وتدفع مبالغ كبيرة لقاء هذه الكتابات.

محاضرات (ليدي درور) : رحلة إلى أهوار العراق، تقديم وترجمة الأستاذ: ثائر صالح .

تبنــى منازل **سكان الأهوار** من القصب بالكامل دون استعمال مسمار أو برغـي. وصريفـة القصب تشبه الخيمــة، والغطاء هو بـواري توضع فوق هيكل مـن حزم مربوطة بعناية. وتسمى هذه الحزم شِباب مفردها شِبه. وتربط حزم القصب القوي بحبال من البردي. أما الأكواخ الأكـبر حجمـاً، مثل **مضايـف الشيـوخ**، فهي بناء عظيم بحـق، فالمضيف الجيـد يكون أحيانـاً بحجم كنيسة صغـيرة. وتغرس حزم القصب في الأرض عند البناء بصفين، ثـم تحنى لتلتقي أزواجاً عند القمة وتربط بعناية فائقة بحيث يستحيل روية موقع الاتصال بين الحزمتين. ويبلغ سمك هذه الأضلاع القدمين ٦٠ سم. ويعتقد الكثير من الآثاريين بأن هذه هي أسلاف القوس المعماري.

والضوء يدخل المضيف من الباب، وفي الطقس الحار عبر مشبك من الجوانب. إنها أشعة كهرمانية لينة تتسلل الى برودة وعتمة مضايف الشيوخ، مطعمة بزرقة أشعة الشمس البراقة أحياناً، وإن وقعت على سجادة ثرية بألوانها تتموج في الباطن الوقور للمضيف بحيرة من زمرد وياقوت.

محاضرات (ليدي درور) : رحلة إلى أهوار العراق، تقديم وترجمة الأستاذ : ثائر صالح .

حاميات خالد بن الوليد في المناطق المفتوحة

وتأميناً لسلامة قوات **خالد بن الوليد** - رضي الله عنه -، وضع حاميات تجاه الأُبلَّة والخريبة بناحية موضع جسر البصرة على شط العرب وبأسفل دجلة. فخلف سويد بن قطبة الذهلي على ناحيته من منازل بني ذهل من جهة البصرة، وقال له وهو يسلمه هذه المسئولية: قد عركنا هذه الاعاجم بناحيتك عركة أذلتهم لك [١].

واستخلف خالد بن الوليد - رضي الله عنه - قطبة بن قتادة بن جرير السدوسي على جهته. واستخلف **بالخريبة** شريح ابن عامر بن قين من بني سعد بن بكر بن هوازن. فكانت هذه الحاميات أشبه بنقط الحدود تشرف على منافذ المنطقة وتقف عليها وينظر بعضها إلى بعض، وتنتهي قيادتها جميعاً إلى **سويد بن مقرّن المزني** الذي أمَّره خالد على الجزية وأمره بنزول **الحضير** في موقع خلفي متوسط بأطراف الصحراء **ليجعلها قاعدة له** وليحمي ظهر جيش المسلمين المتقدم. وأمّره ببث عماله ووضع يده في الجباية. وسويد بن مقرّن، أحد الإخوة العشرة، كلهم في جيش خالد حيث كان مع **أبي بكر** رضي الله عنه في قتاله مرتدي عبس وذبيان حين هددوا المدينة، خرج معه من المدينة ليلاً وكان على الساقة (المؤخرة) وكان أخوه النعمان على الميمنة وأخوه عبد الله على الميسرة حتى دهموا المرتدين في ذي القصة وهزموهم ثم أرسله أبو بكر قائداً للجيش الحادي عشر لقمع ردة تهامة اليمن. أما اتجاه الحيرة فسيتولى خالد أمره بنفسه. **وأقام خالد بالمذار قليلاً** يجمع المعلومات ويتحسس أخبار عدوه ويرقب اتجاه مساراته [٢].

١ - البلاذري؛ فتوح البلدان ج ٢، ص ٢٩٦.
٢ - أحمد عادل كمال. الطريق إلى المدائن، ص ١٨٢.

قطبة بن قتادة بن جرير السدوسي أبو الحويصلة قال البخاري: له صحبة وقال بن حبان: أتى النبي صلى الله عليه وسلم فبايعه وروى الحسن بن سفيان في مسنده عن شباب عن عون بن كهمس عن عمران بن حدير، قال: حدثنا رجل منا يقال له: مقاتل عن قطبة بن قتادة السدوسي قال: قلت: يا رسول الله ابسط يدك أبايعك على نفسي وعلى ابنتي الحويصلة؟! قال: وحمل علينا خالد ابن الوليد في خيله فقلنا: أنا مسلمون فتركنا، وغزونا معه الأبلّة فقسمناها بأيدينا وذكره البخاري عن شباب: وهو خليفة بن خياط مختصراً وأخرجه الدارقطني في المؤتلف والمختلف من طريق مالك بن عبد الواحد عن عون، فقال فيه: حدثنا عمران حدثني مقاتل ابن معدان قال: أتى قطبة بن حريز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: أبايعك على نفسي وعلى ابنتي الحويصلة وبها كان يكنى أشهد أنك رسول الله، وضبط أباه بفتح المهملة وآخره زاي وضبطه بعضهم بضم الجيم وفتح الزاي بعدها مثناة تحتانية ثقيلة وقال بن أبي حاتم قطبة بن حريز: أتى النبي صلى الله عليه وسلم، ويكنى أبا الحويصلة وهو أول من فتح الأبلة، روى ذلك من طريق عون بن كهمس عن عمران بن حدير عن معاذ بن معدان، ثم قال قطبة بن قتادة السدوسي روى عن رجل يقال له: مقاتل كذا جعله اثنين فوهم وصحف مقاتلاً فجعله معاذاً وتبعه بن عبد البر في التفرقة بينهما وصحف اسم أبيه أيضاً قال أبو عمر: قطبة بن قتادة هو الذي استخلفه خالد بن الوليد على البصرة لما سار إلى السواد. ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة .

سويد بن قطبة الوائلي له ذكر في الفتوح. قال أبو إسماعيل الأزدي في فتوح الشام: لما قدم خالد بن الوليد موضع البصرة وجد بها رجلاً يدعى سويد بن قطبة من بني بكر بن وائل قد اجتمع إليه جماعة فذكر قصة فيها فجعل خالد بن الوليد سويد بن قطبة في أصحابه وجعل سعد بن عمرو بن حزام الأنصاري في العسكر وجعل عزيز بن سعيد الأنصاري على النحالة وبقي هو فيمن بقي. ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة. ونقل ياقوت في معجمه البلداني عنه شعراً:

ألا ابْلِغ أُسَيْداً، إن عرضت، بأننا
بجرجان في خضر الرياض النواضر
فلما أحسونا وخافوا صيالنا
أتانا ابن صول، راغماً، بالجرائر

شريح بن عامر بن قيس بن عامر بن عمير وعند بن قانع شريح بن عامر بن عوف بن كعب بن أبي بكر بن عامر ابن صعصعة السعدي **من بني سعد بن بكر** قال أبو عمر: له صحبة وولاه عمر البصرة وقتل بالأهواز وروى عمر بن شبة من طريق قتادة قال: كان قطبة بن قتادة كتب إلى عمر يستمده فوجه بشريح بن عامر السعدي من بني سعد بن بكر فقال له: كن ردءا للمسلمين فأقبل إلى البصرة ثم سار إلى الأهواز فقتلوه بها وهو جد القاسم بن سليمان.

معركة الولجة

٢٢ صفر من السنة الثانية عشرة من الهجرة المباركة

بعد الانتصار الكبير للمسلمين على الفرس بموقعة **المذار** أمرت القيادة العليا لفارس بإعداد **جيشين** من أقوى الجيوش، يقودهما أمهر قائدين للفرس هما **الأندرزغر** و **بهمن جاذويه** وأمرهما بالتوجه نحو **الولجة** للوقوف في طريق **خالد** حتى لا يستولي على **الحيرة**، واستطاعات استخبارات خالد أن تنقل له خبر الجيوش الفارسية، وأيضاً خطة الهجوم التي تعتمد على **فكرة الكماشة**. وتلك الأخبار جعلت القائد خالد يغير خططه في السير؛ حيث سلك طرقاً مختلفة، واستطاع بعبقريته العسكرية الفذة أن يقرأ أفكار المحاربين له ويغير اتجاه سير الجيش المسلم: فاتجه ناحية الجنوب، ووضع الحاميات على المناطق التي فتحت (انظر خارطة ص ٥٤). وأمرهم أن يقوموا بحماية ظهره.

وكانت الخطة التي رسمها **أردشير** لجيوشه تقتضي أن يتبع بهمن الطريق الذي يسير فيه الأندر، وأن يكونا جيشاً واحداً عند **الولجة**، وبقدر الله وحده ارتكب القائد الكبير بهمن جاذويه خطئاً عسكرياً كبيراً، عندما خالف الخطة المرسومة، في تأخره لمؤازرة جيش الأندر ومن ثم السير في أثر جيش الأندر. ليسلك طريقاً آخر، طمعاً منه أن يوقع جيش خالد في الكماشة! ولكن خالد بذكائه العسكري الفذ. استطاع أن يفلت من هذه المصيدة، وأن يسلك طريقاً طويلاً خالياً من الكمائن، فعندما هم بهمن جاذويه بمحاولته هذه سار في طريق بعيد عن **الولجة** ولكن بعد فوات الأوان، **ما سهل لخالد مهمته في الانفراد بجيش الأندر زغر.**

وكان جيش الأندر زغر عدده كبير جداً وعظيم التسليح، وقد تمركز عند منطقة الولجة وركن للراحة انتظاراً لقدوم جيش المسلمين. ودفعه غروره في التفكير لمحاولة استرجاع المناطق المحتلة من قبل المسلمين، ونقلت الاستخبارات لخالد هذه التحركات، فعبأ خالد جيوشه **ونصب كمينين** خلفه من ناحية اليمين وناحية اليسار، وطلب منهما ألا يدخلا في المعركة إلا قبل النهاية بقليل، **وعندما تظهر بوادر الضعف على الفرس.**

وصل خالد بجيوشه إلى منطقة **الولجة** واصطدم مع جيوش الأندر زغر الذي ثبت ثباتاً عظيماً أمام المسلمين، حتى خشي خالد من الهزيمة، وفي اللحظة الحاسمة ينقض الكمين الإسلامي من ناحية اليمين والشمال، وينزل النصر على المسلمين، ويفر الفرس في كل مكان، ومنهم القائد الفارسي الأندر الذي هام على وجهه في الصحراء ومات عطشاً، في حين أن معظم الجيش قد قتل في أرض المعركة، **ومهد هذا الانتصار الطريق لفتح الحيرة.**

والجدير بالذكر أن أردشير قد حشد مع جيش الأندر مجموعة كبيرة من **نصارى العرب** في الحيرة وما حولها ممن يرون أن ولاءهم للفرس أفضل من ولائهم للمسلمين، ومعظم المشتركين في هذه المعركة كانوا من منطقة ألّيس حيث نصارى تغلب وبكر بن وائل، ولقد أمعن في هؤلاء القتل في الولجة مما دفعهم لجولة أخرى مع المسلمين، وذلك في موقعة نهر الدم بعد الولجة بثلاثة أيام فقط.

معركة الولجة

الإمبراطورية الساسانية

خروج الدرزغر من المدائن حتى كسكر ثم اجتيازها الى الولجة .

باقسياثا

الحلة

الحيرة

الديوانية

أرض العراق

السواد

نهر دجلة

العمارة

الرميثة

المذار

السماوة

زندورد

أرض كسكر

هرمزجرد

الأهواز

نهر الفرات

الناصرية

القرنة

أور

سوق الشيوخ

الحمار

اللون الأحمر يمثل مجيء القوات الفارسية إلى الولجة .

اللون الأخضر يمثل تحرك المسلمين إلى الولجة بقيادة خالد بن الوليد .

الولجة

بسوس بن بكر

كان من قتلى نصارى العرب ابنٌ لجابر بن بجير وابنٌ لعبد الأسود من زعماء نصارى بكر بن وائل من الذين أعانوا المجوس وانضموا إليهم ٩٤

البصرة

الأبلة

خرمشهر

عبادان

الحفير

بنو شيبان

أرض الكواظم

بكر بن وائل

خليج البحرين (العربي)

٠ ٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠ ٢٥٠ كم

الوَلَجَة : بأرض كسكر موضع مما يلي البرّ واقع فيه خالد بن الوليد جَيش الفرس فهزمهم، ذكره في الفتوح، في صفر سنة ١٢؛ وقال القعقاع ابن عمرو

ولم أرَ قوماً مثل قوم رأيتُهم
على وَلَجات البرّ أحمى وأنجبا
وأقتلَ للرُّوّاس في كل مجمع
إذا صَعصع الدهرُ الجموع وكبكبا

والولجة: ناحية بالمغرب من أعمال تاهَرْت؛ نسب إليها السلفي أبا محمد عبد الله بن منصور التاهرتي، قال: وكان من الفضلاء في الأدب والفقه وله شعر وكتب عني من الحديث كثيراً سنة ٥٢٧ ورجع إلى المغرب وروى بها، ومات سنة ٥٥٣.

والولجة : موضع بأرض العراق عن يسار القاصد إلى مكة من القادسية، وكان بين الولجة والقادسية فيض من فيوض مياه الفرات. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥ ص ٣٨٣

معركة أُلّيس

[illegible] صفر من السنة الثانية عشرة من الهجرة المباركة

أعان **نصارى** بكر بن وائل من عرب الحيرة **المجوس** على **المسلمين** في الولجة وقُتل بعضهم. وكان فيمن قُتل اثنان من أبناء زعمائهم هما جابر بن بجير وعبد الأسود. فلما وقع ذلك غضب لهم نصارى قومهم فكاتبوا الفرس وكاتبهم الفرس واجتمع العرب في **أُلّيس** وعليهم عبد الأسود العجلي ومعهم بعض العجم . وكتب **أردشير** إلى **بهمن** جاذويه وكان ما زال في باقسياثا أن يسير بجيشه إلى أُلّيس حتى ينضم إلى من اجتمع بها من العجم ونصارى العرب. فقدم **بهمن** مقدمته وعليها **جابان** وأمره بالإسراع، ولكنه أوصاه في الوقت نفسه أن يكف نفسه وجنده عن قتال المسلمين حتى يلحق به إلا أن يبدؤوه [١].

سار جابان إلى أُلّيس وهي صلب الفرات من ناحية البادية، بينما عاد بهمن جاذويه إلى المدائن لمقابلة أردشير في أمور أراد أن يحدثه فيها فوجده مريضاً فبقي إلى جانبه وترك جابان وما أرسله فيه. نزل جابان أُلّيس واجتمع إليه فيها مع جيشه جميع القوات الأخرى التي كانت بها من العجم ومن العرب، عليهم عبد الأسود في نصارى العرب من بني عجل، وتيم اللات وضبيعة وعرب الضاحية من أهل الحيرة ، وكان جابر بن بجير نصرانياً أيضاً وموتوراً مثله فساند عبد الأسود وانضم إليهم زهير ومالك ابن قيس (من قبيلة جذرة) من العرب . علم **خالد** بتجمع عرب الضاحية فسار إليهم . وكان تحرك العجم من باقسياثا سريعاً ، فلم يعلم خالد بقدوم جابان حتى التقى به . فلما طلع خالد بنفس تعبئته التي كان عليها جابان في أُلّيس كان المجوس يستعدون للغداء فقالوا لجابان [٢] : (أنعاجلهم أم نغدي الناس ولا نريهم إنا نحفل بهم ثم نقاتلهم بعد الفراغ) فقال جابان: إن تركوكم والتهاون بكم فتهاونوا ولكن ظني بهم أن سيعجلونكم ويعجلونكم عن الطعام: فعصوه وبسطوا البسط ووضعوا الأطعمة وتداعوا إليها وتوافوا عليها فلما انتهى خالد إليهم وقف وأمر بحط الأثقال فلما وضعت توجه إليهم ووكل خالد بنفسه حوامي يحمون ظهره ثم بدر أمام الصف فنادى أين أبجر؟ أين عبد الأسود؟ أين مالك بن قيس؟ رجل من جذرة فتكلوا عنه جميعاً إلا مالكاً فبرز له فقال له خالد: يابن الخبيثة ما جرأك عليَّ من بينهم وليس فيك وفاء فضربه فقتله وأجهض الأعاجم عن طعامهم قبل أن يأكلوا فقال جابان: ألم أقل لكم يا قوم أما والله ما دخلتني من رئيس وحشة قط حتى كان اليوم فقالوا حيث لم يقدروا على الأكل تجلداً ندعها حتى نفرغ منهم ونعود إليها فقال جابان: وأيضاً أظنكم والله لهم وضعتموها وأنتم لا تشعرون فالآن فأطيعوني سُمُّوها فإن كانت لكم فأهون هالك وإن كانت عليكم كنتم قد صنعتم شيئاً وأبليتم عذراً فقالوا: لا اقتداراً عليهم فجعل جابان عل مجنبتيه عبد الأسود وأبجر وخالد على تعبئته

---

١ – أحمد عادل كمال ، الطريق إلى المدائن ، ص ٣٣٢ – ٣٣٤

٢ – الطبري ، تاريخ الرسل(الأمم) والملوك، طبعة بيت الأفكار الدولية ، اعتنى به أبو صهيب الكرمي ، ص ٥٢٧ – ٥٢٨

١. خط سير قائد الفرس (جابان) من قسياثا إلى موضع أُلَّيس لنزال المسلمين فيها .
٢. نصارى العرب تتقدم إلى أُلَّيس بقيادة عبد الأسود العجلي .
٣. بهمن يعود إلى المدائن لمقابلة أردشير ؛ لكنه وجد أردشير مريضاً فبقي إلى جواره .
٤. القوات الإسلامية بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه تتجه صوب أُليس بعد أن حققوا نصراً مؤزراً في الولجة .

أُلَّيْسٌ: مصغر بوزن فُلَيْس، والسين مهملة: قال محمود وغيره: أُلَّيْس بوزن سُكَّيْت: الموضع الذي كانت فيه الواقعة بين المسلمين والفُرْس في أول أرض العراق من ناحية البادية: وفي كتاب الفتوح: أُلَّيس قرية من قرى الأنبار ذكرها في غزوة أُليس الآخرة؛ وقال أبو مِحْجَن الثَّقفي، وكان قد حضر هذا اليوم وأبلى بلاءً حسناً؛ وقال من قصيدة:

وما رِمْتُ حتى خرَّقوا برماحهم — ثيابي، وجادتْ بالدماء الأباجلُ
وحتى رأيتُ مُهْرَتي مُزْبَئِرَّةً — من النَّبْل، يُرمى نحرُها والشواكلُ
وما رُحْتُ، حتى كنتُ آخرَ رائحٍ، — وصُرِّجَ حَوْلي الصالحون الأماثلُ
مررتُ على الأنصار وَسْطَ رحالهمْ — فقلتُ ألا هَلْ منكم اليومَ قافلُ
وقرَّبْتُ رَوَّاحاً وكوراً وغُرْقَةً، — وغودرَ في أُلَّيْس بكرٌ ووائلُ

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١ ، ص ٢٤٨

في الأيام التي قبلها فاقتتلوا قتالاً شديداً والمشركون يزيدهم كلباً وشدة ما يتوقعون من قدوم بهمن جاذويه فصابروا المسلمين للذي كان في علم الله أن يصيرهم إليه وحرب المسلمون عليهم وقال خالد: **اللهم إن لك علي إن منحتنا أكتافهم ألا أستبقي منهم أحداً قدرنا عليه حتى أجري نهرهم بدمائهم** .

وكان المسلمون من بكر بن وائل أشد الناس على نصارى بكر بن وائل الذين جاءوا يناصرون المجوس، وكان المثنى ابن لاحق أشد مسلمي بكر بن وائل في ذلك. وبدأت صفوف جابان تتضعضع، فانكشفوا للمسلمين ومنحهم الله أكتافهم، فأمر خالد مناديه فنادى في الناس: (الأسر الأسر لا تقتلوا إلا من امتنع) فأقبلت الخيول بهم أفواجاً مستأسرين يساقون سوقاً وقد وكل بهم رجالاً يضربون أعناقهم في النهر ففعل ذلك بهم يوماً وليلة وطلبوهم الغد وبعد الغد حتى انتهوا إلى النهرين، ومقدار ذلك من كل جوانب أليس فضرب أعناقهم وقال له القعقاع وأشباه له: لو أنك قتلت أهل الأرض لم تجر دماؤهم إن الدماء لا تزيد على أن ترقرق منذ نهيت عن السيلان ونهيت الأرض عن نشف الدماء فأرسل عليها الماء تبر يمينك وقد كان صد الماء عن النهر فأعاده فجرى دماً عبيطاً فسمي نهر الدم لذلك الشأن إلى اليوم وقال آخرون منهم: بشير بن الخصاصية قال: وبلغنا أن الأرض لما نشفت دم ابن آدم نهيت عن نشف الدماء ونهي الدم عن السيلان إلا مقدار برده ولما هزم القوم وأجلوا عن عسكرهم، ورجع المسلمون من طلبهم ودخلوه وقف خالد على الطعام فقال قد نفلتكموه فهو لكم وقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى على طعام مصنوع نفله. فقعد عليه المسلمون لعشائهم بالليل وجعل من لم ير الأرياف ولا يعرف الرقاق يقول ما هذه الرقاق البيض! وجعل من قد عرفها يجيبهم ويقول لهم مازحاً: هل سمعتم برقيق العيش فيقولون: نعم فيقول: هو هذا فسمي الرقاق وكانت العرب تسميه القرى [1].

قال ابن كثير: وبلغ عدد القتلى سبعين ألفاً، (وقيل مائة وخمسين ألفاً) ولما هزم **خالد الجيش** ورجع من رجع من الناس، عدل خالد إلى الطعام الذي كانوا قد وضعوه ليأكلوه فقال للمسلمين: هذا نفل فانزلوا فكلوا، فنزل الناس فأكلوا عشاء. وقد جعل الأعاجم على طعامهم مرققاً كثيراً فجعل من يراه من أهل البادية من الأعراب يقولون: ما هذه الرقع؟ يحسبونها ثياباً، فيقول لهم من يعرف ذلك من أهل الأرياف والمدن: أما سمعتم برقيق العيش؟ قالوا: بلى، قالوا: فهذا رقيق العيش، فسموه يومئذ رقاقاً، وإنما كانت العرب تسميه العود. وقد قال سيف بن عمر عن عمرو ابن محمد عن الشعبي عمن حدث عن خالد: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نفل الناس يوم خيبر الخبز والبطيخ والشواء وما أكلوا غير ذلك غير **متأثليه**. وكان جلّ من قتل بهذه الوقعة يوم أليس من بلدة يقال لها أمغيشيا، فعدل إليها خالد وأمر بخرابها واستولى على ما بها، فوجدوا بها مغنماً عظيماً، فقسم بين الغانمين فأصاب الفارس بعد النفل ألفاً وخمسمائة غير ما تهيأ له مما قبله.

---

١ – الطبري، تاريخ الرسل (الأمم) والملوك، طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، ص ٥٣٨ – ٥٣٩

٢ – ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٦، ص ٢٥٢.

التأثل: اتخاذ أصل المال، يعني أكلوا ما شاءوا دون أن يحملوا منه شيئاً

لكلمة **السماوة** عدة معان أوردتها معاجم اللغة وكتب التاريخ، قال ياقوت الحموي في (معجم البلدان) **السَّمَاوَةُ:** بفتح أوّله، وبعد الألف واو، والسماوة: الشخص؛ قال أبو المنذر: إنّما سميت السماوة لأنها أرض مستوية لا حجر بها؛ والسماوة: ماء بالبادية، وكانت أم النعمان سميت بها فكان اسمها ماء فسمتها العرب ماء السماء. و بادية السماوة: التي هي بين الكوفة والشام قفْرَى أظنها مسمّاة بهذا الماء؛ وقال السكري: السماوة ماءة لكلب؛ . وأما المنجد فيورد أن سماوة فلك البروج . وسما على وارتقع . ويوضح الأستاذ أحمد رضا في كتابه معجم اللغة أن سما وة : الشيء العالي لذا طرفها العالي .

وتورد بعض المصادر التاريخية أن المنطقة التي تمتد فيها مدينة السماوة حالياً قد نشأت فيها قبل الإسلام مدينة اسمتها المصادر **(أُليس)** وكانت محطة استراحة للجيوش العربية ومقر تجمع المقاتلين من أبناء القبائل العربية التي حاربت الفرس وقاومت نفوذهم اذ شهدت أرضها معركة كبيرة بين العرب بقيادة خالد بن الوليد وبين الفرس بقيادة جابان عظيم العجم المقيم في (أُلّيس) وقد ذكر ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان « أُلّيس- الموضع الذي كانت فيه الواقعة بين المسلمين والفرس في أول أرض العراق من ناحية البادية .. وقال البلاذري :- وكان المثنى بن حارثة مقيماً بناحية (أُلّيس) يدعو العرب للجهاد ».

نهر الفرات الشريان الرئيس لمدينة السماوة (أُليس)

جسر خشبي يربط بين ضفتي النهر

أحد الشوارع الرئيسة في مدينة السماوة

معركة أمغيشيا

٢٨ صفر من السنة الثانية عشرة من الهجرة المباركة

خالد بن الوليد

لما فرغ خالد من وقعة أليس نهض فأتى **أمغيشيا** وقد أعجلهم عما فيها وقد جلا أهلها وتفرقوا في السواد ومن يومئذ صارت السكرات في السواد فأمر خالد بهدم أمغيشيا وكل شيء كان في حيزها وكانت مصراً **كالحيرة** وكان فرات بادقلى ينتهي إليها وكانت أليس من مسالحها فأصابوا فيها ما لم يصيبوا مثله قط.

عن بحر بن الفرات العجلي عن أبيه قال: لم يصب المسلمون فيما بين ذات السلاسل وأمغيشيا مثل شيء أصابوه في أمغيشيا بلغ سهم الفارس ألفاً وخمسمائة سوى النفل الذي نفله أهل البلاء وقالوا جميعاً قال أبو بكر رحمه الله حين بلغه ذلك يا معشر قريش يخبرهم بالذي أتاه: **عدا أسدكم على الأسد فغلبه على خراذيله (أشلائه) أعجزت النساء أن ينسلن مثل خـــالد**.

أحد صابئة الجنوب العرقي يمارس حريته الدينية التي كفلها الاسلام له

أَمْغِيْشَيَا: بفتح أوله ويضم، وسكون ثانيه، والغين معجمة مكسورة، وياء ساكنة، والشين معجمة، وياء، وألف: موضع كان بالعراق كانت فيه وقعة بين المسلمين، وأميرهم خالد ابن الوليد، وبين الفُرْس، فلما ملكها المسلمون أمر خالد بهدمها، وكانت مصراً كالحيرة وكان فُراتُ بادَقْلَى ينتهي إليها وكانت أُلَّيْس من مسالحها، فأصاب المسلمون فيها ما لم يصيبوا مثله قبله؛ فقال أبو مُفَزِّر الأسود بن قُطْبَة:

لقينا، يوم أُلَّيْس وأَمْغي
ويوم المَقْر، آساد النهارِ
فلم أر مثلها فضلات حَرْب
أشدَّ على الجحاجحة الكبارِ
قَتَلْنا منهمُ سـبعين ألفاً
بقيَّة حربهم نَخْبُ الإسارِ
سوىَ منْ ليس يُحْصى من قتيل
ومَنْ قد غالَ جُولانُ الغُبارِ

معركة أمغيشيا

الخنافس
الحصيد
ماسبذان
المدائن
بهرسير
ساباط
الإمبراطورية الساسانية
كسكر
الشمال
قس الناطف
قسياثا
بابل
الجسر
قراقر
الحيرة
المسيب
السواد
نهر دجلة
تستر
أرض العراق
المذار
أرض
الأهواز
الأهواز
أمغيشيا
أليس
القادسية
السماوة
المقاطية
جند يسابور
نهر الفرات
شط العرب
نهر قارون
المناذرة
الولجة
الأبلة
بنو شيبان
كاظمة
خليج البحرين (العربي)
بكر بن وائل
أرض الكواظم
٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠ ٢٥٠ كم

يقول أحمد كمال: لم تكن بأمغيشيا معركة ولم يقع قتال فيها إنما كانت فيئاً بغير خيل. وعندما داهمهم المسلمون هجروها وجلوا عنها متفرقين في السواد، وقد تركوا بها جل متاعهم وأمر خالد بهدمها لإرهاب أعدائه وتهوين سلطانهم فيها [٩١].

لم يصب المسلمون فيما بين ذات السلاسل وأمغيشيا مثل شيء أصابوه في **أمغيشيا**، فقد بلغ سهم الفارس ألف وخمسمائة درهم (انظر الدرهم الساساني المصنوع من الفضة من مجموعة المؤلف النقدية).

معركــة المقــر

ربيع الأول من السنة الثانية عشرة من الهجرة المباركة

قال الطبري: أن الآزاذبة كان مرزبان الحيرة أزمان كسرى إلى ذلك اليوم فكانوا لا يمد بعضهم بعضاً إلا بإذن الملك، وكان قد بلغ نصف الشرف وكان قيمة قلنسوته خمسين ألفاً، فلما أخرب **خالد** أمغيشيا، وعاد أهلها سكرات لدهاقين القرى علم الآزاذبه أنه غير متروك، فأخذ في أمره وتهيأ لحرب خالد، وقدم ابنه ثم خرج في أثره حتى عسكر خارجاً من الحيرة، وأمر ابنه بسد الفرات ولما استقل خالد من أمغيشيا وحمل الرجل في السفن مع الأنفال والأثقال؛ لم يفجأ خالد إلا والسفن جوانح فارتاعوا لذلك فقال الملاحون: إن أهل فارس فجروا الأنهار فسلك الماء غير طريقه فلا يأتينا الماء إلا بسد الأنهار، فتعجل خالد في خيل نحو ابن الآزاذبه، فتلقاه على فم العتيق خيل من خيله فجأهم وهم آمنون لغارة خالد في تلك الساعة فأنامهم بالمقر، ثم سار من فوره وسبق الأخبار إلى ابن الآزاذبه حتى يلقاه وجنده على فم فرات بادقلى فاقتتلوا فأنامهم، وفجر **الفرات** وسد الأنهار وسلك الماء سبيله. تاريخ الرسل (الأمم) والملوك، ط. دار الأفكار الدولية ص ٥٣٨.

موقع النجف من خلال الأقمار الصناعية

الحيرة
العـــــراق
أمغـــيشيا
خندق سابور الفارسي
نهـــر الفـــرات
موضع الكوفة
النجف
بحر
مشخاب
النجف
الخورنق
الحيرة
القادسية
نهر الفـرات
معركـــة المقـر
علم
قائد الفرس (أزذابه)
بوصـــول خالد إلى الخورنق
ومن ثم إلى الحيرة ففر هارباً
بعد تأثـره بوفاة ابنه، وبخبر
وفــاة ملـك الفـــــرس
(أردشير) .
خالد يصل جهة إلى فم فرات بادقلى ويلتحم مع الفرس ويهزمهم شر هزيمة. فقام بعد ذلك بسد الأنهار المتفرعة ليجري الماء في نهر الفرات، فسلك الماء مسلكه الصحيح .
خالد يصل جهة الحيرة عند (المقر) ويداهم طلائع قائد الفرس (أزاذبه) ويبيد جيشه .
خالـد يجمـع السفن من أمغيشيـا لينقـل فيهـا المشاة على أن تسـير الخيـل قريبة منهـا على الأرض: فتنبـه الفرس لذلـك فقامـوا بتفجير الأنهـار. فسلك الماء غير طريقه .

تاريخ النصرانية في العراق

في أوائل القرن السادس قبل الميلاد سقطت (بابل) وهي آخر عاصمة لدولة عراقية مستقلة. حينها سيطر الإيرانيون على (بلاد النهرين) وراحوا يتبنون بالتدريج الميراث الحضاري العراقي، وابسط مثال تبنيهم لـ(يوم نيروز) الذي كان يوماً مقدساً عراقياً باسم (حاجتو. يوم الحج)، وهو اليوم الأول من السنة العراقية الجديدة التي تبدأ في أول أيام المنقلب الربيعي، وفيه يعود (تموز. إله الخصب الذكوري في العالم الوثني) إلى الحياة ليخصب (عشتار. إلهة الخصب الانوثي) وتعود الخضرة والحياة الى ربوع النهرين.

ومنذ القرن السادس قبل الميلاد حتى القرن السابع الميلادي، أي خلال أكثر من إلف عام، استمر العراق تابعاً للدول الأجنبية، وأصبح ساحة للصراع بين القوتين الأساسيتين في المنطقة حينذاك: القوة الإيرانية والقوة الأوروبية (اليونانية ثم الرومانية ثم البيزنطية)، ولكن الهيمنة الإيرانية كانت هي الأقوى والأكثر استمراراً. ولم تنته هذه الحالة إلا بالفتح العربي الإسلامي في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم .

أما بالنسبة للعراقيين خلال تلك القرون التي أعقبت سقوط بابل، فأنهم قد فقدوا الكثير من ميراثهم الحضاري العريق، مع فقدانهم لاستقلاليتهم السياسية. لكنهم تمكنوا من الحفاظ على خصوصيتهم الثقافية والدينية رغم كل الضغوطات الحضارية الإيرانية وغيرها. حيث بقوا متمسكين بلغتهم الآرامية (السريانية) التي هي امتداد للغتهم السابقة الأكدية (الآشورية البابلية)، وكذلك حافظوا على خصوصيتهم الدينية، حيث بقوا على (ديانة الخصب الوثنية) (السومرية، البابلية، الآشورية)، حتى القرن الثاني الميلادي. بعدها تحولوا بغالبيتهم إلى النصرانية، بل أنهم صنعوا مذهبهم النصراني الخاص بهم وهو (المذهب النسطوري).

انتشرت الكنائس النصرانية في جميع أنحاء بلاد النهرين وأصبحت مدينة (**المدائن**) مقر الكنيسة النسطورية العراقية الرسمية ومقر المرجع الأعلى (الجاثليق)، وأطلق عليها (كنيسة بابل)، لكن المؤرخين المستشرقين يصرون على تسميتها بـ(كنيسة فارس)!

وقد عانى النصارى العراقيون من اضطهاد الدولة الإيرانية بسبب إصرارهم على نشر النصرانية في إيران بحيث تمكنوا من نشرها حتى في داخل البلاط وعائلة الشاه. بل أن اللغة السريانية العراقية أصبحت اللغة الثقافية الأولى في الإمبراطورية، وانحصرت اللغة البهلوية في الجانب الإداري. لهذا بدأ كسرى الأول منذ عام ٩٨م، حملة اضطهاد واسعة، تواصلت خلال قرنين لاحقين، حيث قام الملوك الفرس من أبناء كسرى وأحفاده وقوّادهم بمواصلة حملات التنكيل والاضطهاد والقتل خلال قرون.

وتعتبر الفترة الواقعة بين عام ٣٣٩-٣٧٩ م، من أكثر عهود الاضطهاد للعقيدة النصرانية حيث سميت بفترة الاضطهاد الأربعيني، حيث دامت أربعين سنة، إبان فترة الملك سابور الثاني.

رغـم الاضطهـاد، تمكن النصارى العراقيون من إبراز أدباً لاهوتيـاً وفلسفياً جديداً، فقد بدأه طاطيان المولود في بلاد آشور في أوائل القرن الثاني الميلادي (بالديا طسرون) أي ترجمة الأناجيل الأربعة بالسريانية مضمونها وما أضافـه عليها، ثم تلاه مليطون السرديني وبرديصان ومدرسته بنهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث الميلاديين، وقد برز من أشهر المؤرخين وكتاب السريان في القرنين الثالث والرابع "مار أفرام السرياني"، الذي خلّف مجموعة ضخمـة من الأعمال الأدبية والدينيـة والفلسفية والتاريخية من شعر ونثر، وقد أرّخ حوادث حصار نصيبين من قبل الفرس شعـراً من عام ٣٥٠-٣٧٠م، كما أنه أقام أكاديمية في نصيبين، ثم هجرها إلى الرُّها بعد أن استولى عليها الفرس، وأسس هناك أكاديمية أخرى، ويبلـغ ما تركه مار أفرام من أثر ثلاثة ملايـين من الأسطر شملت مختلف نواحي الحياة النصرانية. للمزيد عن تاريخ النصرانية ارجع إلى كتابنا الموسوم (أطلس الأديان)
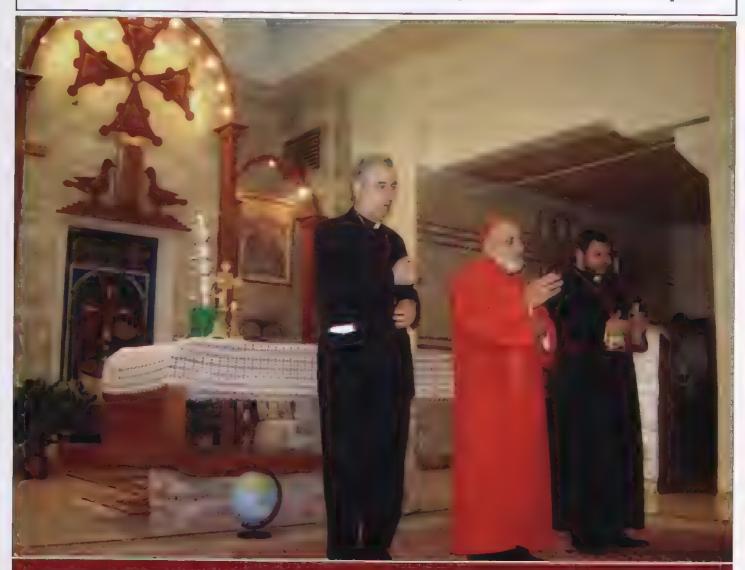
رجال دين في إحدى كنائس بغداد يمارسون طقوسهم الدينية

كان لموقع **الحيرة**، في الوسط قريباً من النجف، دوره في توطيد النصرانية في غربي العراق ونشرها بين القبائل الرحل من عرب وآراميين. بل نشر النصرانية والثقافة العراقية إلى الجزيرة العربية والحجاز على الأخص. مما ساعد على تقبل النصرانية العراقية، إن النسطورية كانت مخالفة للكنيسة البيزنطية والكنيسة السورية، وهذا عموماً مريح للدولة الساسانية الحاكمة.

انتشرت النسطورية عن طريق عدد من ملوك الحيرة وزوجاتهم وعوائلهم، ولمنزلتها النصرانية أيضاً صارت الحيرة داراً لرفات عدد من الجاثلقة العظام في تاريخ الكنيسة الشرقية، منذ القرن الخامس الميلادي وحتى بعد دخول العرب المسلمين إلى العراق بفترة طويلة، منهم: داد يشوع (٤٥٦)، بابوي (٤٨٤)، آقاق(٤٩٦)، حزقيال (٥٨١)، ايشوعياب (٥٩٥)، كوركيس(٦٨١) وإبراهيم (٨٥٠). وأصبحت ملجئاً للجاثليق الذي كان مركزه المدائن غالباً، ففي الأزمات الطارئة بين النصرانية والملوك الساسانيين، يضطر إلى تركها. فحدث أن غادر ايشوعياب الأول الأرزني (٥٨٢-٥٩٥) إلى الحيرة، والاجتماع بالملك النعمان بن المنذر، وهو أبو قابوس، وكان المنذر قد تنصّر حديثاً سنة ٥٩٣م، وصار يعد نفسه من حماة المذهب النسطوري، وأصبحت **الحيرة**، حاضرة ملكه، من معاقل هذا المذهب، وهناك وافت المنية الجاثليق. فتولت شؤون دفنه هند الصغرى أخت النعمان.

ومن المفارقات أن أختي المنذر الثالث (٥١٢-٥٥٤) هند الصغرى ومريم: كانتا نصرانيتين مع والدتهما (وقد تعاون جميعهن في تأسيس دير شهير) أهلت النصرانية، وهي خارج السلطة، الحيرة لتخليها عن شريعة سلفها اليهودية والأديان المحيطة بها، التي تقر قطع اليد ورجم النساء وقتل المرتد وأخذ الجزية والتدخل بشؤون الناس الخاصة، من تحريم وتحليل المشارب والأطعمة، في أن تكون دوحة للعلم والثقافة والعمران. يضاف إلى ذلك ما ورثته من حضارة بابل. فالإنسان الحيري هو بابلي بالأصل، لذا (كان العباديون أكثر أهل الحيرة ثقافة، حذق بعضهم الصناعات، ودرس بعضهم العلوم، وفاق بعض آخر في اللغات، فحذق العربية وتعلم الفارسية، وكانوا يتقنون في الغالب لغة إرم، بحكم تنصرهم، واعتبار النصارى لها لغة مقدسة، لأنها لغة الدين. لذلك كان لهم وجه ومقام في الحيرة، ولهذا السبب اختار الفرس تراجمهم. ومَنْ كان يتولى المراسلة بينهم وبين العرب من نصارى الحيرة).

وعندما فتحت الجيوش العربية الإسلامية العراق في عهد الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم -، وجدت أمامها حوالي سبعة ملايين عراقي، لغتهم الثقافية والدينية هي (السريانية)، بما فيهم الجماعات العربية في إمارة المناذرة في الحيرة. أما من الناحية الدينية فأن غالبيتهم الساحقة تابعين للكنيسة النسطورية. وهنالك أقليات من أتباع الكنيسة اليعقوبية (السورية السريانية) وكذلك اليهود والمندائية (**الصابئة**).

لقد تعايش النصارى العراقيون مع الفاتحين المسلمين، إذ كان للصراع الدائر بين الروم والفرس تأثير سلبي كبير على حياتهم المادية والدينية. وهذا ما أدى إلى كره السريان ويأسهم من كلتا الدولتين. فكانوا يطمحون إلى التخلص

من واقع الظلم والاستبداد الذي ذاقوه من قبل الفرس والروم مئات السنين، وقد حصلوا فعلاً على عهود بالأمان من قادة جيوش المسلمين وعلى رأسهم القائد المظفر سيف الله المسلول خالد بن الوليد (رضي الله عنه). ومن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ومن جاء بعدهم من خلفاء الدولتين الأموية والعباسية.

وقد استعان **العرب المسلمون** بالسريان وبالأخص الشرقيين مثل سمعان بن الطباخين وغيره في ترتيب أمور الدولة وتنظيم الأجهزة الإدارية وتنظيم الحياة الاجتماعية والثقافية والعلمية، ومن أشهر علماء السريان الذين أثروا في المجال العلمي (حنين بن اسحق وأبي بشير ويوحنا بن جلاد ويحيى بن عدي والكندي وآل بختيشوع وغيرهم)، الذين ألفوا وترجموا ونقلوا مختلف العلوم من طبية وفلكية وعلمية. ومن اللغات السريانية واليونانية والفارسية إلى اللغة العربية: أتحفوا المكتبة العباسية بمصنفاتهم وعلومهم، ولم يدم هذا الازدهار الثقافي بسبب فقدان العرب السلطة وسيطرة الأجانب عليهم وحتى بيت الحكمة (المكتبة العباسية) كان يديرها السريان الشرقيين وإن وظيفة طبيب الخليفة كان يشغل في الغالب من قبل طبيب سرياني.

إن علماء السريان وأدبائهم على اختلاف مذاهبهم قضوا أكثر من مائة عام في ترجمة العلوم القديمة من السريانية واليونانية والفارسية إلى العربية وبفضل جهودهم وأوضاعهم العلمية والثقافية.

التنوع المذهبي والعرقي للنصارى العراقيين:

١ - **الكلدان الكاثوليك:** ويشكلون القسم الأكبر من النصارى، ويقطن غالبيتهم في الموصل وعموم شمالي العراق. مثل تلكيف والقوش وعينكاوا. كذلك لهم حضور واضح في بغداد **والبصرة**. وكان الكلدان في الأصل على المذهب النسطوري حتى القرن التاسع عشر م. ولكنهم تحولوا إلى الكاثوليكية بتأثير عمليات التبشير الأوروبية ويتكلمون بلهجة خاصة قريبة إلى السريانية العراقية الفصحى.

٢. **الآثوريون النساطرة:** وهم من اتباع الكنيسة النسطورية العراقية، وغالبيتهم قد نزح إلى بلدهم الأصلي العراق من المناطق المحاذية للموصل في جنوبي تركيا. والتابعة تاريخياً وسكانياً إلى بلاد النهرين. لكنهم اضطروا إلى النزوح بعد مشاكل مع السلطات. ويختلف الآثوريون عن الكلدان من ناحية المذهب. وكذلك من ناحية طبيعتهم الجبلية. بالإضافة إلى لهجتهم الخاصة المشتقة أيضاً من السريانية. وهنالك من يعتقد أن تسمية (الآثوريين) ليس لها علاقة بـ(الآشوريين)، بل هي مشتقة من (التورانيين) أي(الجبليين) بالسرياني.

٣. **السريان الآرثوذكس(اليعاقبة):** وهم اتباع الكنيسة السورية. وعادة يقطنون في مدينة الموصل ويشكلون عموماً نخبة حضرية متميزة. وبعضهم **تحول إلى الكاثوليكية** في القرن التاسع عشر م. وسموا أنفسهم **السريان الكاثوليك**.

٤ - **الأرمن:** ويعود أصلهم إلى بلاد أرمينيا في منطقة القفقاس التي تقع جغرافياً عند أعالي بلاد النهرين. ومنها ينبع نهري دجلة والفرات. وقد ظل الأرمن على علاقة تاريخية عميقة مع العراق وظلت هجراتهم إليه طيلة التاريخ، وانتشروا في سوريا وأقطار المشرق العربي ومنها العراق، وكان عدد من دخل منهم العراق (٣٥٠٠٠٠) الف نسمة. لكنهم مع الزمن قد هاجروا إلى الخارج. ولم يتبقى منهم غير بضعة عشرات من الآلاف يقطنون في الموصل وبغداد **والبصرة**. وينتمي القسم الأكبر منهم إلى المذهب الأرثوذكسي ، وقليل منهم إلى المذهب الكاثوليكي.

٥- **اتباع الكنائس البروتستانية:** وهم عدة كنائس مختلفة. مثل الكنيسة الأنجيلية والكنيسة السبتية. وغيرها وجلهم من السريان العراقيين الذين تحولوا إلى البروتستانية في العصر الحديث، بتأثير الكنائس البروتستانية الإنجليزية والأمريكية. وهم أقلية من النخب الدينية المعروفة في الموصل وبغداد.

المراجع:

. رحلات سيستياني إلى العراق / مجلة المورد ٩/ ١٩٨٠ بغداد .
. تاريخ نصارى العراق/ رفائيل بابو إسحاق / ١٩٤٨ بغداد .
. نزهة المشتاق / يوسف رزق الله غنيمة / ٢٠٠١ القاهرة .
. كتاب اليوبيل المئوي السادس/ مار بهنام الشهيد / ١٩٩٠ .
. يزداندوخت الشريفة الأربيليةج١ ـ ج٣ / سليمان الصايغ /١٩٣٥ الموصل .
. بتصرف عن سميرة فادي ـ بغداد، العراق .

الطريق إلى الحيرة

قال الحموي: **الحِيرَةُ:** بالكسر ثم السكون، وراء: مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النَّجف زعموا أن بحر فارس كان يتَّصل به، وبالحيرة الخَوَرْنق بقرب منها مما يلي الشرق على نحو ميل، والسدير في وسط البرّيّة التي بينها وبين الشام، كانت مسكن ملوك العرب في الجاهلية من زمن نصر ثم من لخم النعمان وآبائه، والنسبة إليها حاريٌّ على غير قياس كما نسبوا إلى النمِرِ نَمَريٌّ: قال عمرو بن معدي كرب:

كأن الإثمِدَ الحاريَّ منها
يُسَفُّ بحيث تَبتدر الدموعُ

وحِيريٌّ أيضاً على القياس، كلٌّ قد جاءَ عنهم، ويقال لها الحيرة الرَّوْحاءُ: قال عاصم ابن عمرو:

صبحنا الحيرة الروحاءَ خيلاً
ورَجْلاً، فوق أثباج الركاب
حَضرْنا في نواحيها قصوراً
مشرَّفة كأضراس الكلاب

وأمّا وصفُهم إياها بالبياض فإنما أرادوا حسن العمارة، وقيل: سمّيت الحيرة لأن تُبَّعاً الأكبر لما قصد خراسان خلَّف ضعفة جنده بذلك الموضع وقال لهم حيّروا به أي أقيموا به، وقال الزُّجاجي: كان أول من نزل بها مالك بن زهير ابن عمرو بن فَهْم بن تَيْم الله بن أسد بن وبرة ابن تغلب بن حُلْوان بن عمران بن الحاف ابن قضاعة، فلما نزلها جعلها حيراً وأقطَعَهُ قومه فسمّيت الحيرة بذلك. معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٢٨.

دولة المناذرة

هاجرت من اليمن بعد خراب سد مأرب "السيل العرم"، مجموعة من القبائل العربية؛ أي بدءاً من أواخر الألف الأول قبل الميلاد. فكان من هذه الهجرات هجرة تنوخ التي منها بنو لخم (المناذرة) إلى العراق واتخاذهم **الحيرة** عاصمة لهم ومن مدنهم في العراق النجف وعاقولا وعين التمر والنعمانية والأبلَّة والأنبار وهيت وعانة.

لقد كوَن المناذرة مملكة قوية من أقوى ممالك العراق العربية قبل الإسلام فكانت هذه المملكة هي امتداد للمالك العربية العراقية التي سبقتها مثل مملكة ميسان ومملكة الحضر، وقد امتد سلطان مملكة المناذرة من العراق ومشارف الشام شمالاً حتى عمان جنوباً متضمنة البحرين وهجر وساحل الخليج العربي. استمرت مملكتهم في الحيرة من (٢٦٨-٦٣٣م). احتل الفرس تلك المملكة في مهدها فأصبحت مملكة شبه مستقلة وتابعة للفرس مع ذلك اكملت الحيرة ازدهارها وقوتها. وقد كان لهذه المملكة دور مهم بين الممالك العربية فقد كان لها صلات مع الحضر وتدمر والأنباط والقرشيين فكانت الآلهة في هذه المدن هي نفسها موجودة في الحيرة منها اللات والعزى وهبل، ومما يؤكد ذلك الروايات الكثيرة بصلات جذيمة الأبرش بملكة تدمر (زنوبيا) مثلاً وعلاقتهم وعلاقة ملوك الحيرة بملوك مملكة الحضر، وكذلك نجد في النقوش الأثرية مثل نص أم الجمال الذي كتب بخط نبطي وفيه النص التالي: "جذيمة ملك تنوخ" وهذا يدل على صلاتهم الواسعة بالممالك العربية الأخرى هذا سوى الروايات الكثيرة من المؤرخين، وكان لمملكة المناذرة سوق من أشهر أسواق العرب يقام في الحيرة، وفي دومة الجندل يتبادل فيه التجار البضائع ومنها البضائع الفارسية التي يجلبها تجار المناذرة، وكذلك يتبادلون الأدب والشعر والخطب. أطلق ملوك المناذرة على أنفسهم لقب "ملوك العرب". واعتنقوا النصرانية ديناً لهم.

كان ملوك المناذرة أكثر حضارة من ملوك غسان وأكثر اعتداداً بمظاهر الملك، وقد بلغ من اعتداد النعمـان الثالـث ابن المنذر أن امتنع علـى كسرى أبرويز حين طلب إليــه أن يأتيه، فاستدرجه وقتله، فثارت حمية العرب لقتله وهاجموا الجيش الفارسي في موقع (**ذي قار**) وانتصروا عليه، وكان ذلك عام (٦١٠م). وبهت الفرس لهذا النصر الذي لم يكونوا يتوقعونه، وزال بذلك الحاجز النفسي الذي كان يحجــز بين العرب والفرس ليمهد الطريـق إلى الفتح الإسلامي في عهدي الخليفتين الراشدين **أبي بكر الصدِّيق** و **عمر بن الخطاب** رضي الله عنهما .

فتح الحيـــرة

ربيع الأول من السنة الثانية عشرة من الهجرة المباركة

قـال الطـبري: لما أصاب **خالد** ابن الآزاذبه على فم فرات بادقلى قصد **الحيرة** واستلحق أصحابه وسار حتى ينـزل بـين الخورنـق والنجف فقدم خالد الخورنـق وقد قطع الآزاذبه الفـرات هارباً من غير قتـال وإنما حداه على الهـرب، أن الخـبر وقع إليه بموت أردشير ومصـاب ابنه وكان عسكره بين الغريـين (أحدهما غري وهو نصب كان يذبـح عليـه) والقصر الأبيض ولما تتـام أصحاب خالد إليه بالخورنق خرج من العسكـر حتى يعسكر بموضع عسكر الآزاذبـه بـين الغريين والقصر الأبيض وأهل الحـيرة متحصنون فأدخل خالد الحيرة الخيل مـن عسكره وأمر بكل قصـر رجـلًا من قواده يحاصر أهله ويقاتلهم فكان ضرار بن الأزور محاصراً القصر الأبيض وفيه إياس بن قبيصة الطائـي وكان ضرار بن الخطـاب محاصراً قصر العدسيين وفيه عدي بن عدي المقتول وكان ضرار بن مقرن المزني عاشـر عشـرة إخوة له محاصراً قصر بني مازن وفيه ابـن أكال وكان المثنى محاصراً قصر ابن بقيلة وفيه عمرو بن عبـد المسيـح فدعوهم جميعـاً وأجلوهم يوماً فأبى أهل الحـيرة ولجوا فناوشهم المسلمـون[1]. (انظر الخارطة في الصفحة المقابلة لمحاصرة قادة الجيش لقصور الحيرة).

إذن تمت خطة القائد خالد بن الوليد على أن يضرب حصاراً على قصور الحيرة وذلك من خلال القيام بأدخال الخيل من عسكره ومن ثم تطويق القصور على النحو التالي:

أ-ضرار بن الأزور لمحاصرة القصر الأبيض وفيه إياس بن قبيصة الطائي.

ب-ضرار بن الخطاب لمحاصرة قصر العدسيين وفيه عدي بن عدي العبادي.

جـ-ضرار بن مقرن لمحاصرة قصر بني مازن وفيه ابن أكال.

د-المثنى بن حارثة لمحاصرة قصر ابن بقيلة وفيه عمرو بن عبد المسيح.

وعهـد خالـد إلى أمرائه أن يدعوا القوم إلى الإسلام فـإن أجابوا قبلوا منهم، وإن أبوا أجلوهم يوماً، وأمرهم أن لايمكنـوا عـدوا منهم بـل عليهم أن يناجزوهـم ولايمنعوا المسلمين من قتـال عدوهم ففعلوا، واختـار القوم المنابذة وعمـدوا لرمي المسلمين بالحذف(الحصى)، فرشقهم المسلمون بالنبـل، وشنوا غاراتهم، وفتحوا الدور والديارات فنادى القسيسون: ياأهل القصور مايقتلنا غيركم، فنادى أهل القصـور: يامعشر العرب قبلنا واحدة من ثلاث فكفوا عنا-وخـرج رؤسـاء القصور فقابلهم خالد كل أهـل قصر على حدة، ولامهم على فعلهـم، وتصالحوا مع خالد على الجزية وصالحوه على مائة وتسعين ألفاً، وبعث خالد بالفتح والهدايا إلى أبي بكر فقبل الهدايا، وعدها لأهل الحيرة من الجزية تعففاً عما لم يأذن به الشرع وقطعاً لدابر العادات الأعجمية التي كان يحتال بها على سلب أموال النـاس[2].

١- تاريـخ الرسـل (الأمم) والملوك، ط. دار الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، ص ٥٢٨ - ٥٢٩

٢- تاريخ الدعوة الى الاسلام، ص٣٤٨

فتح الحيرة

ذكر محمود شيت خطاب عن فتح الحيرة : بعد قتال افتتح المسلمون الدور والديرات وأكثروا القتل ، فنادى القسيسون والرهبان : يا أهل القصور ، ما يقتلنا غيركم ! فنادى أهل القصور : يا معشر العرب ! قد قبلنا واحدة من ثلاث ، فكفوا عنا حتى تبلغونا خالداً ! فكفوا عنهم وأرسلوهم إلى خالد .

وخلا خالد بأهل كل حصن على حدة ولامهم ، وقال : « اختاروا واحدة من ثلاث : أن تدخلوا في ديننا فلكم ما لنا وعليكم ما علينا ، أو الجزية ، أو المنابذة والمناجزة » فقالوا له : بل نعطيك الجزية ! فقال خالد : « تباً لكم ! ويحكم ! إن الكفر فلاة مضلة فأحمق العرب من سلكها ، فلقيه دليلان : أحدهما عربي فتركه ، واستدل الأعجمي » وعقد خالد معاهدة صلح بينه وبين أهل الحيرة ، وبذلك فتحت الحيرة أبوابها للمسلمين . ولما استقر خالد في الحيرة ، صالحه صاحب قس الناطف ودهاقين البلاد على قرى السواد إلى هرمزجرد وجعل خالد الحيرة مقراً لقيادته . ثم بعث خالد الغنائم إلى المدينة.

قال القعقاع بن عمرو شعراً :

فنحن وطئنا بالكواظم هرمزاً
وبالثّني قرني قارن بالجوارفِ
ويوم أحطنا بالقصور تتابعت
على الحيرة الروحاء إحدى المصارفِ

صلح الحيرة

فتح وهداية

ففي حديث خالد رضي الله عنه تتضح بعض الصفات الإيمانية التي تجسدت في جيش فتح العراق، فهذا الجيش يتحرك من أجل هدف سامي، إلا وهو دعوة الناس إلى الإسلام وتبليغ الهداية للبشرية، وليس التوسع في الممالك وفرض السلطان والتمتع بالحياة الدنيا، كما بين خالد أهم مقومات نجاح المسلمين في حروبهم ألا وهو الحرص الأكيد على طلب الشهادة وابتغاء ماعند الله تعالى في الآخرة، كما بين النص السابق حرص الصحابة رضي الله عنهم على تطبيق سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك بالرغبة القلبية في هداية البشرية حيث إن خالداً وبَّخهم على اختيار البقاء على الكفر مع أن بقاءهم على الكفر ودفع الجزية فيه مصلحة مالية للمسلمين ولكن خالداً من قوم هانت عليهم الحياة الدنيا وفضلوا ماعند الله جل وعلا في الآخرة، وقد سنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم هذا المبدأ السامي، في قوله صلى الله عليه وسلم: لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النَّعم.

وفي قبول الصديق لهدية أهل الحيرة، وقد أهدوها طائعين مختارين، فعدها من الجزية عدلاً وتعففاً وخشية أن يظلم أهل ذمته أو يكلفهم شططاً، درس عظيم في إقامة العدل بين الناس وقد قارن الشيخ **علي الطنطاوي** بين فتوح الاستعمار التي أثارتها أوروبا وبين فتوحات المسلمين مقارنة متميزة ثم استدل بقول الشاعر:

ملكنا فكان العدل منا سجية
فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وحللتم قتل الأسارى وطالما
غدونا على الأسرى نمن ونصفح
فحسبكم هذا التفاوت بيننا
فكل إناء بالذي فيه ينضح [٤]

٤- د. علي الصلاّبي، أبو بكر الصديق، ص ٣٤٠

نص صلح الحيرة

قال الطبري: وكتب **خالد** في عهدة لأهل الحيرة: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ماعاهد عليه خالد بن الوليد عدياً وعمراً بن عدياً، وعمرو بن عبد المسيح، وإياس ابن قبيصة، وحيرى بن أكال، وهم نقباء أهل الحيرة، ورضى بذلك أهل الحيرة، وأمرهم به، وعاهدهم على مائة وتسمين ألف درهم تقبل في كل سنة جزاء عن أيديهم في الدنيا رهبانهم وقسيسهم إلا من كان منهم على غير ذي يد حبيساً عن الدنيا، تاركاً لهما، وعلى المنعة، وإن لم يمنعهم شيء، فلا شيء عليهم حتى يمنعهم وإن غدروا بفعل أو بقول فالذمة منهم بريئة. وكتب في شهر ربيع الأول من سنة ثنتي عشرة، ودفع الكتاب إليهم [١]. وقد جاء في رواية: أن خالد عرض على أهل الحيرة واحدة من ثلاث: أن تدخلوا في ديننا فلكم مالنا وعليكم ماعلينا إن نهضتم وهاجرتم وإن أقمتم في دياركم، أو الجزية، أو المنابذة والمناجزة فقد والله أتيتكم بقوم هم على الموت أحرص منكم على الحياة، فقال: بل نعطيكم الجزية، فقال خالد: تبّاً لكم، ويحكم إن الكفر فلاة مضلّة فأحمق العرب من سلكها [٢].

وبعد وفاة أبي بكر رضي الله عنه انتقض أهل السواد وذلك بعد خروج خالد من العراق إلى الشام، وعادوا إلى ولائهم لفارس إلا أهل بانقيا. فلما أعاد المثنى افتتاح الحيرة بعد ذلك، أرادوا الاحتكام إلى هذه المعاهدة، فطالبهم المثنى بالكتاب فوجدهم استخفوا به وضيعوه، فلم يجبهم إلى طلبهم وكتب معهم معاهدة أخرى بشروط جديدة، فلما غُلب المثنى على البلاد، عادوا إلى كفرهم وأعانوا العجم واستخفوا بكتابه وأضاعوه أيضاً. فلما فتح سعد بن أبي وقاص الحيرة، أراد أهلها الاحتكام إلى ما سبق من معاهدات فطالبهم سعد بأي من الكتابين، فلما يجيئوا بهما، فوضع عليهم ما يرى أنهم يطيقون، أربعمائة ألف درهم سوى الخَرْزَة التي كانوا يؤدونها إلى آل كسرى [٣].

١- ٢: تاريخ الرسل (الأمم) والملوك، ط. دار الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، ص ٥٤٠

٣- أ. أحمد عادل كمال، الطريق إلى المدائن، ص ٢٥٦

الحيرة قاعدة الجيوش الإسلامية

كان فتح الحيرة عملاً حربياً عظيم القيمة، وسّع أمل المسلمين في فتح بلاد فارس، لمكان هذا البلد الجغرافي والأدبي من العراق والمملكة الفارسية، فقد اتخذها القائد العام للجيوش الإسلامية مقراً لقيادته العليا ومركزاً رئيساً تتلقى منه جيوش الإسلام أوامر الهجوم والدفاع والإمداد والنظم، وكذلك جعلها قاعدة عامة للتدبير والسياسة التي يقوم عليها تنظيم من وقع في يد المسلمين، وبث خالد عماله على الولايات لجباية الخراج والجزاء، ووجه أمراء إلى الثغور لحمايتها، وأقام هو ريثما يتم ما أراده من الاستقرار والنظام، وترامت أخباره إلى الدهاقين والرؤساء فأقبلوا إليه يصالحونه حتى لم يبقى مابين قرى سواد العراق إلى أطرافه من ليس مولى للمسلمين أو على عهد منهم[1] وقد كان من **عماله على الأقاليم:**

١-عبدالله بن وثيمة النصري على الفلاليج.

٢-جرير بن عبدالله على بانقيا.

٣-بشير بن الخصاصية على النهرين.

٤-سويد بن مقرن المزني على تستر.

٥-أط بن أبي أط على روذستان.

وكان من قادة الثغور:

١-ضرار بن الأزور.

٢-المثنى بن حارثة الشيباني.

٣-ضرار بن الخطاب.

٤-ضرار بن مقرن.

٥-القعقاع بن عمرو.

٦-بسر بن أبي رهم.

٧-قتيبة بن النهاس[2].

منمنمة فارسية
لقصة بناء قصر الخورنق بالحيرة

١- صادق عرجون، خالد بن الوليد، ص ٢٢٢
٢- د. علي الصلابي، أبو بكر الصديق، ص ٣٤١ - ٣٤٢

نتائج فتح الحيرة:

استطاع المسلمون بإيمانهم القوي بالله وثباتهم الراسخ في الإسلام؛ أن ينتزعوا الحيرة من مُلك بني ساسان وهذا الحدث العظيم ألهب مشاعر الشعراء فسجلوه في أدبياتهم الذي تناقلته الألسن عبر قرون عديدة ومن أبرزهم في هذا الجانب عبد المسيح ابن عمرو بن بُقَيْلة [1] الذي قال نظماً جميلاً:

أبعد المنذرين أرى سواماً ... تروح بالخورنق والسديرا
وبعد فوارس النعمان أرعى ... قلوصاً بين مرة والحفير
فصرنا بعد هلك أبي قبيس ... كجرب المعز في اليوم المطير
تقسمنا القبائل من معد ... علانية كأيسار الجزور
وكنا لا يرام لنا حريم ... فنحن كضرة الضرع الفخور
نؤدي الخرج بعد خراج كسرى ... وخرج من قريظة والنضير
كذاك الدهر دولته سجال ... فيوم من مساءة أو سرور

ومع فتح الحيرة وصل جرير بن عبد الله ومعه قيس بن أبي حازم إلى خالد ، سيرهما إليه أبو بكر - لم يشهدا شيئاً مما كان بالعراق قبل الحيرة إلا ما كان بعدها، كذلك لم يشهدا شيئاً مما كان فيه خالد من حروب الرِّدَّة . بلغا الحيرة فوجدا خالداً متوشحاً قد شدّ ثوبه في عنقه يصلي وحده صلاة الفتح ثماني ركعات [2] .

عن الشعبي قال: لما فتح خالد الحيرة صلى صلاة الفتح ثماني ركعات لا يسلم فيهن ثم انصرف، وقال: لقد قاتلت يوم مؤتة فانقطع في يدي تسعة أسياف؛ وما لقيت قوماً كقوم لقيتهم من أهل فارس وما لقيت من أهل فارس قوماً كأهل ألّيس [3] .

حَدَّثَنَا أَبُو السُّكَيْنِ ، حَدَّثَنَا عَمُّ أَبِي زَحْرِ بن حِصْنٍ ، عَنْ جَدِّهِ حُمَيْد بن مَنْهَب ، قَالَ : قَالَ خُرَيْمُ بن أَوْس : سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : هَذِهِ الْحِيرَةُ ، الْبَيْضَاءُ قَدْ رُفِعَتْ لي، وَهَذِهِ الشَّيْمَاءُ بِنْتُ بُقَيْلَةَ الأَزْدِيَّةُ عَلَى بَغْلَةٍ شَهْبَاءَ مُعْتَجِرَةٌ بِخِمَارٍ أَسْوَدَ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، فَإِنْ نَحْنُ دَخَلْنَا الْحِيرَةَ وَوَجَدْتُهَا عَلَى هَذِه الصِّفَة فَهِيَ لي ؟ قَالَ : هِيَ لَكَ، ثُمَّ ارْتَدَّت الْعَرَبُ فَلَمْ يَرْتَدَّ أَحَدٌ مِنْ طَيِّئٍ، وَكُنَّا نُقَاتِلُ بني أَسَدٍ، وَفِيهِمْ طُلَيْحَة بن خُوَيْلِدٍ الْفَقْعَسِيُّ فَامْتَدَحَنَا خَالِدُ بن الْوَلِيدِ، وَكَانَ فِيمَا قَالَ فِينَا:

جَزَى الله عَنَّا طَيِّئًا في دِيَارِهَا ... بِمُعْتَرَكِ الأَبْطَالِ خَيْرَ جَزَاءِ
هُمْ أَهْلُ رَايَاتِ السَّمَاحَةِ وَالنَّدَى ... إِذَا مَا الصَّبَا أَلْوَتْ بِكُلِّ خِبَاءِ
هُمْ ضَرَبُوا قَيْساً عَلَى الدِّينِ بَعْدَمَا ... أَجَابُوا مُنَادِي ظُلْمَةٍ وَعَمَاءِ

١- الطبري، تاريخ الرسل (الأمم) والملوك، ط . دار الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، ٥٣٩

٢- أ . أحمد عادل كمال ، الطريق إلى المدائن، ص ٢٦٠ – ٢٦١

٣- الطبري، المصدر السابق

ثُمَّ سَارَ خَالِدٌ إِلَى مُسَيْلِمَةَ ، فَسِرْنَا مَعَهُ ، فَلَمَّا فَرَغْنَا مِنْ مُسَيْلِمَةَ وَأَصْحَابِهِ، أَقْبَلْنَا إِلَى نَاحِيَةِ الْبَصْرَةِ ، فَلَقِينَا هُرْمُزَ بِكَاظِمَةَ فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَعْدَى لِلْعَرَبِ مِنْ هُرْمُزَ ، قَالَ أَبُو السُّكَيْنِ : وَبِهِ يُضْرَبُ الْمَثَلُ ، تَقُولُ الْعَرَبُ : أَنْتَ أَكْفَرُ مِنْ هُرْمُزَ فَبَرَزَ لَهُ خَالِدُ بن الْوَلِيدِ وَدَعَا إِلَى الْبِرَازِ فَبَرَزَ لَهُ هُرْمُزُ، فَقَتَلَهُ خَالِدٌ رَضِيَ الله تَعَالَى عَنْهُ ، وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ الله تَعَالَى عَنْهُ، فَنَفَّلَهُ[1] .

ومما قاله القعقاع بن عمرو في فتح الحيرة[2] :

سقى الله قتلى بالفرات مُقيمةً

وأخرى بأثباج النجَاف الكوانف

ونحن وطئنا بالكواظم هرمزاً

وبالثني قَرْنَي قارن بالجوارف

ويوم أحطنا بالقصور تتابعت

على الحيرة الروحاء إحدى المصارف

حططناهم منها وقد كان عرشهم

يميل بِهِمْ فعل الجبان المخالف

رمينا عليهم بالقبول وقد رأوا

غبوقَ المنايا حول تلك المحارف

صبيحة قالوا نحن قوم تنزَّلوا

إلى الرِّيف من أرض العريب المُقانف

لقد كان لفتح الحيرة آثاراً بعيدة . فقد كانت الحيرة أول عاصمة من عواصم الأقاليم التي يحكمها بنو ساسان تسقط في أيدي المسلمين، وحاضرة متقدمة في الطريق إلى المدائن . لم يكن عامة سكانها من العجم ولكن هذا لا يقلل من أهميتها وأهمية فتحها ، ... فسقوطها كان له الأثر المعنوي الذي يناسبه في نفوس الفرس والمسلمين على السواء. فضلاً عن ذلك فهي قاعدة تموينية تمد جيش المسلمين بكل ما يلزمه من لحوم وألبان وتمور وحبوب وعلف . هذا بالإضافة إلى ما للحيرة من ميزة استراتيجية نظراً لموضعها في العراق . فهي موطئ قدم مناسب لقفزة هجومية أخرى نحو الهدف الأكبر فضلاً عن ميزتها التي يمنحها لها موضعها من تخوم الصحراء، فهي طريق انسحاب وخط رجعة إذا لزم الأمر[3] .

---

١ - المعجم الكبير للطبراني - (ج ٤ / ص ٢٨٧).

٢- الطبري، تاريخ الرسل (الأمم) والملوك، ط ، دار الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، ٥٣٩

٣- أ . أحمد عادل كمال ، الطريق إلى المدائن، ص ٢٦٢

① الصلح مع أهل قس الناطف.

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من خالد بن الوليد لصلوبا بن نسطونا وقومه؛ إني عاهدتكم على الجزية والمنعة؛ على كل ذي يد؛ بانقيا وبسما جميعاً، على عشرة آلاف دينار سوى الخرزة (أربعة دراهم كانت تؤدى إلى كسرى)، القوي على قدر قوته، والمقلّ على قدر إقلاله، في كل سنة. وإنك قد نُقّبت على قومك، وإن قومك قدر رضوا بك، وقد قبلتُ ومن معي من المسلمين، ورضيت ورضي قومك؛ فلك الذمة والمنعة؛ فإن منعناكم فلنا الجزية؛ وإلا فلا حتى نمنعكم شهد هشام بن الوليد، والقعقاع بن عمرو، وجرير بن عبد الله الحميري، وحنظلة بن الربيع. وكتب سنة اثنتي عشرة في صفر. الطبري، المجلد الثاني، ص ٣١٩.

② الصلح مع بلدان أخرى مما بين دجلة والفرات.

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من خالد بن الوليد لزاذ بن بُهيش وصلوبا بن نسطونا، لكم الذمة وعليكم الجزية، وأنتم ضامنون لمن نُقّبتُم عليه من أهل البهقباذ الأسفل والأوسط. وقال عبيد الله وأنتم ضامنون جزية من نُقّبتُم عليه. على ألفي ألف ثقيل في كل سنة؛ عن كل ذي يد سوى ما على بانقيا وبسما وإنكم قد أرضيتموني والمسلمين، وإنا قد أرضيناكم وأهل البهقباذ الأسفل؛ ومن دخل معكم من أهل البهقباذ الأوسط على أموالكم، ليس فيها ما كان لآل كسرى ومن مال ميلهم. شهد هشام بن الوليد، والقعقاع بن عمرو، وجرير بن عبد الله الحميري، وبشير بن عبد الله بن الخصاصية، وحنظلة بن الربيع. وكتب سنة اثنتي عشرة في صفر. الطبري، المجلد الثاني، ص ٣٢٠.

النجف في اللغة : مكان مستطيل منقاد ولا يعلوه الماء بدأت النجف كمنتجع ثم مدينة **للمناذرة** في القرن الرابع الميلادي وبعد الفتح الإسلامي لها **بصفتها تابعة للحيرة**، اكتسبت أهمية حيث يقع فيها ضريح الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه عنه الذي أكتشفه الخليفة العباسي هارون الرشيد عام ٧٩١ م .

تقع المدينة على حافة الهضبة الغربية من العراق ، جنوب غربي العاصمة بغداد وعلى بعد ١٦٠ كم عنها. و ترتفع المدينة ٧٠م فوق مستوى سطح البحر ، وتقع على خط طول ٤٤ درجة و ١٩ دقيقة ، وعلى خط عرض ٣١ درجة و٥٩ دقيقة. يحدها من الشمال والشمال الشرقي مدينة كربلاء (التي تبعد عنها نحو ٨٠ كم)، ومن الجنوب والغرب منخفض بحر النجف، وأبي صخير (الذي تبعد عنه نحو ١٨ كم)، ومن الشرق مدينة الكوفة (التي تبعد عنها نحو ١٠ كم).

خارطة توضح موقع النجف والحيرة على خارطة العراق .

مدينة النجف من الفضاء

من آثار فتح الحيرة

أجمع **خالد** أمره على منازلة الفرس في ساحات ملكهم بعد أن صفا له الجو في العراق، وأمَّن ظهره بانحسار أمر فارس عن العرب فيما بين **الحيرة ودجلة**، وكان أهل فارس في هذه الفترة على خلاف شديد فيمن يولونه عليهم بعد موت كسراهم أردشير. **فانتهز خالد هذه الفرصة وكتب إلى خاصتهم يقول**: من خالد بن الوليد إلى ملوك فارس: أما بعد فالحمد لله الذي حل نظامكم، ووهن كيدكم، وفرق كلمتكم، وأوهن بأسكم، وسلب أموالكم، وأزال عزكم، فإذا أتاكم كتابي فأسلموا تسلموا، أو اعتقدوا منَّا الذمة، وأجيبوا إلى الجزية، وإلا والله الذي لا إله إلا هو لأسيرنَّ إليكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة، ويرغبون في الآخرة كما ترغبون في الدنيا[1].

وكتب إلى عامتهم فقال: من خالد بن الوليد إلى مرازبة أهل فارس: الحمد لله الذي فض خدمتكم، وفرق جمعكم، وأوهن بأسكم، وسلب أموالكم، وأزال عزكم، فإذا أتاكم كتابي فأسلموا تسلموا، أو اعتقدوا منا الذمة، وأجيبوا إلى الجزية، وإلا والله الذي لا إله إلا هو لأسيرنَّ إليكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة، ويرغبون في الآخرة كما ترغبون في الدنيا[2].

وبفتح الحيرة تحقق شطر من أمل أبي بكر رضي الله عنه في **فتح العراق** وإخضاعه تمهيداً **لغزو فارس** في عقر دارهم، وقد قام خالد بن الوليد رضي الله عنه بمهمته في ذلك خير قيام ووصل إلى **الحيرة** في وقت قياسي حيث بدأ صراعه مع الأعداء في شهر محرم من العام الثاني عشر في معركة الكاظمة، وانتهى من **فتح الحيرة** في **شهر ربيع الأول من العام نفسه**[3].

استتب الأمر لخالد على ما فتح من أرض السواد عنوة أو صلحاً، ولكن ما زال الفرس هناك في عاصمتهم **المدائن** على ضفتي دجلة. ومات أردشير واختلف آله وساسة الفرس على الملك من بعده، غير أنهم جميعاً كانوا مجتمعين على حرب المسلمين متساندين لذلك بأي وسيلة كانت، وقد أنزلوا بهمن جاذويه في بهر سير على الضفة الغربية لدجلة جنوبي المدائن. كان بهمن في جيش كأنه مقدمة وكان معه فيه آزاذبهة مرزبان الحيرة الهارب وأشباه له من مرازبة السواد الهاربين.

١ - الطبري، تاريخ الرسل (الأمم) والملوك، بيت الأفكار الدولية، ص ٥٤٢ ، اعتنى به أبو صهيب الكرمي .

٢ - الطبري، تاريخ الرسل (الأمم) والملوك، بيت الأفكار الدولية، ص ٥٤٢ ، اعتنى به أبو صهيب الكرمي .

٣ - د . عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، التاريخ الإسلامي، مواقف وعبر، (٩ / ١٥٠) .

٤ - أ . أحمد عادل كمال، الطريق إلى المدائن، ص ٢٧١ .

السيادة الإسلامية على الجبهة الشرقية
في ربيع الأول من السنة الثانية عشرة للهجرة المباركة
شمال
تغلب
الفراض
تدمر
إياد
نهر الفرات
نهر دجلة
هيت
المناذرة
المصيَّخ
المدائن (طيسفون)
الإمبراطورية الساسانية
العـــــراق
الحيرة
الأُبلَّة
بلاد فارس
سدوس
بنو شيبان
عجل
الكواظم
كلب
دومة الجندل
أقام خالد بن الوليد رضي الله عنه بالحيرة عاماً كاملاً ؛ فجعلها قاعدته، يصعد منها ويصوب، ويمد العدة لإكمال المهام الجهادية لفتح بقية المدن والقرى على الساحة الشرقية
حفر أبي موسى
(حفر الباطن)
خليج البحرين (الخليج العربي)
طيء
أسد
تميم
غطفان
النباج
(عين ابن فهيد)
بكر بن وائل
دارين
الخط
أوال
قطر
جهينة
بنو عامر
جزيرة العرب
هجر
بنو عبد القيس
الخزرج
الأوس
المدينة النبوية
حجر اليمامة
بنو حنيفة
٥٠٠ كم ٤٠٠ ٣٠٠ ٢٠٠ ١٠٠ ٠
السيادة الإسلامية على أرض الكواظم وجنوبي العراق في ربيع الأول من السنة الثانية عشرة للهجرة المباركة .
انحسار المد الفارسي عن أراضي الكواظم وجنوبي العراق .
المدائن (طيسفون) العاصمة الإدارية للإمبراطورية الساسانية
الحيرة قاعدة الجيش الإسلامي

مفهوم الجزية في الإسلام :

امتازت الدولة الإسلامية في منهجها وتصورها وسياستها لأنها تأخذ أحكامها ونظمها من النصوص الشرعية في الكتاب والسنة ولذا فإن علاقتها مع غير المسلمين محكومة بتلك النصوص والأحكام.

ولقد أقام الخلفاء الراشدون علاقاتهم مع غير المسلمين على موجب تلك الأحكام. فالأرض إما.

١ - دار إسلام: وتطبق فيها أحكام الشريعة على كافة المقيمين فيها سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، لأن غير المسلم لابد أن يدفع الجزية للأحكام الإسلامية التي شرعها الله في حق أهل الذمة. وللشروط التي وضعها الخلفاء. وهي مفصلة في كتب الفقه ومنها أن يلتزموا بآداب المسلمين الظاهرة ولا يرفعوا صليباً ولا يشربوا خمراً ولا يؤذوا مسلماً ولا يبنوا كنيسة ولا يدعوا أحداً إلى دينهم ولا يرفعوا دورهم فوق دور المسلمين، ولا يحتفلوا بأعيادهم ظاهراً ولا ينشروا شيئاً من كتبهم بين المسلمين .

ب - أو دار كفر، وتنقسم هذه الدار إلى قسمين:

دار صلح وعهد، ودار حرب.

فأهل الصلح والعهد: يوفى لهم بعهدهم إذا حصل منهم الوفاء، والعهد والصلح لا يكون مستمراً إلى الأبد بل لابد من توقيته بأجل، ومن العلماء من جعل أطول مدة للعهد والصلح عشر سنين أخذاً من أطول مدة صالح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين في صلح الحديبية [1].

أما أهل الحرب: فلا علاقة بينهم وبين المسلمين إلا السيف والقتال والأخذ بكل طريق ومرصد -إذا أقيمت عليهم **الحجة** وكان بالمسلمين قوة واستطاعة- لإرغامهم على الخضوع لله ولدينه وليكون الدين كله لله ، قال تعالى : ﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة ٥].

وقد طبق الخلفاء الراشدون هذه الأحكام بأعلى وأتم ما يكون التطبيق وكسرت في عهدهم أكبر دولتين في العالم في ذلك الزمن الدولة الفارسية والدولة الرومانية

الجَزاءُ ي: المُكَافَأةُ على الشيءِ، كالجازِيَةِ. جَزاهُ به، وعليه جَزَاءً، وجازاهُ مُجازاةً وجِزاءً. وتَجازَى دَيْنَه، وبِدَيْنِه: تَقاضاهُ. واجْتَزاهُ: طَلَبَ منه الجَزاءَ. وجَزَى الشيءُ يَجْزِي: كَفَى، وعنه: قَضَى. وأجْزَى كذا عن كذا: قامَ مَقامَهُ ولم يَكْفِ. وأجْزَى عنه مُجْزَى فلانٍ، ومُجْزاتَه، بضمهما وفتحهما: أغْنَى عنه، لُغَةٌ في الهَمْزَةِ. والجِزْيَةُ، بالكسرِ: خَراجُ الأرضِ، وما يُؤْخَذُ من الذِّمِّيِّ ج: جِزًى وجِزْيٌ وجِزاءٌ. وأجْزَى السِّكِّينَ: أجْزاهُ. وجَزْيٌ، بالكسر وكسُمَيٍّ وعلِيٍّ: أسْماءٌ. والجازِي: فَرَسٌ، ومحمدُ بنُ عَلِيِّ بن محمد ابنِ جازِيَةَ الآخَرِيُّ: مُحَدِّثٌ. الفيروز آبادي، القاموس المحيط .

---

١. د . محمد بن صامل السلمي ، معالم من تاريخ الخلفاء الراشدين. مجلة البيان. ج١٦ / ص٦٦

وأورث الله المسلمين أرضهم وأموالهم وأنفقت كنوزهما في سبيل الله وخضعت أراضيهم لحكم المسلمين وأصبحت دار إسلام، ومن لم يسلم من أهل تلك المناطق طبقت عليه أحكام أهل الذمة وأخذت منه **الجزية** مقرونة بالذل والصغار كما أمر الله تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [التوبة:٢٩]

كما ضربوا العشور على تجار غير المسلمين إذا مروا بأرض الإسلام: أما المسلمون فلا يؤخذ منهم عشور ولا ضرائب وإنما تؤخذ منهم الزكاة المفروضة، ووضع الخلفاء الراشدون الخراج على الأرض حسب التفصيلات المقررة في مواطنها[١].

قال تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ التوبة: ٢٩

قال ابن كثير في تفسيره: وقد استدل بهذه الآية الكريمة من يرى أنه لا تؤخذ الجزية إلا من أهل الكتاب أو من أشبههم كالمجوس لما صح فيهم الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها من مجوس هجر وهذا مذهب الشافعي وأحمد في المشهور عنه وقال أبو حنيفة رحمه الله: بل تؤخذ من جميع الأعاجم سواء كانوا من أهل الكتاب أو من المشركين ولا تؤخذ من العرب إلا من أهل الكتاب.

وقال الإمام مالك: بل يجوز أن تضرب الجزية على جميع الكفار من كتابي ومجوسي ووثني وغير ذلك ولمأخذ هذه المذاهب وذكر أدلتها مكان غير هذا والله أعلم. وقوله: ﴿ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ ﴾ أي إن لم يسلموا ﴿ عَن يَدٍ ﴾ أي عن قهر لهم وغلبة ﴿ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ أي ذليلون حقيرون مهانون فلهذا لا يجوز إعزاز أهل الذمة ولا رفعهم على المسلمين بل هم أذلاء صغرة أشقياء كما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام وإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه ».

١- د. محمد بن صامل السلمي، معالم من تاريخ الخلفاء الراشدين، مجلة البيان. ج ١٦ / ص ٦٦

قال العلامة الحنفي علاء الدين أبو بكر الكاساني[1]: **فسبب وجوب الجزية** عقد الذمة، **وأما شرائط الوجوب** فأنواع: منها: العقل، ومنها: البلوغ، ومنها الذكورة، فلا تجب على الصبيان والنساء والمجانين لأن الله سبحانه وتعالى أوجب الجزية على من هو من أهل القتال بقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الآية.

والمقاتلة مفاعلة من القتال فتستدعي أهلية القتال من الجانبين، فلا تجب على من ليس من أهل القتال، وهؤلاء ليسوا من أهل القتال فلا تجب عليهم. ومنها: الصحة فلا تجب على المريض إذا مرض السنة كلها، لأن المريض لا يقدر على القتال. وكذلك إن مرض أكثر السنة، وإن صح أكثر السنة وجبت لأن للأكثر حكم الكل. ومنها: السلامة عن الزمانة والعمى والكبر في ظاهر الرواية، فلا تجب على الزمن والأعمى والشيخ الكبير. وروي عن أبي يوسف أنها ليست بشرط وتجب على هؤلاء إذا كان لهم مال. والصحيح جواب ظاهر الرواية، لأن هؤلاء ليسوا من أهل القتال عادة، ألا ترى أنهم لا يقتلون، وكذا الفقير الذي لا يعتمل لا قدرة له، لأن من لا يقدر على العمل لا يكون من أهل القتال. وأما أصحاب الصوامع فعليهم الجزية إذا كانوا قادرين على العمل لأنهم من أهل القتال، فعدم العمل مع القدرة على العمل لا يمنع الوجوب، كما إذا كان له أرض خراجية فلم يزرعها مع القدرة على الزراعة لا يسقط عنه الخراج والله تعالى أعلم. ومنها: الحرية فلا تجب على العبد لأن العبد ليس من أهل ملك المال. وأما وقت الوجوب: فأول السنة لأنها تجب لحقن الدم في المستقبل فلا تؤخر إلى آخر السنة ولكن تؤخذ في كل شهر من الفقير درهم ومن المتوسط درهمان ومن الغني أربعة دراهم.

وأما بيان مقدار الواجب فنقول وبالله التوفيق: **الجزية على ضربين**: جزية توضع بالتراضي وهو الصلح، وذلك يتقدر بقدر ما وقع عليه الصلح كما صالح رسول الله أهل نجران على ألف ومائتي حلة. وجزية يضعها الإمام عليهم من غير رضاهم بأن ظهر الإمام على أرض الكفار وأقرهم على أملاكهم وجعلهم ذمة وذلك على ثلاثة مراتب لأن الذمة ثلاث طبقات: أغنياء وأوساط وفقراء، فيضع على **الغني** ثمانية وأربعين درهماً، وعلى **الوسط** أربعة وعشرون درهماً، وعلى **الفقير المعتمل** اثني عشر درهماً. كذا روي عن سيدنا عمر رضي الله عنه: «أَنَّهُ أَمَرَ عُثْمَانَ بْنَ حُنَيْفٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى السَّوَادِ أَنْ يَضَعَ هَكَذَا»، وكان ذلك من سيدنا عمر رضي الله عنه بمحضر من الصحابة من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم ولم ينكر عليه أحد فهو كالإجماع على ذلك مع ما أنه لا يحتمل أن يكون من سيدنا عمر رضي الله عنه رأياً، لأن المقدرات سبيل معرفتها التوقيف والسمع لا العقل فهو كالمسموع من رسول الله.

ثم اختلف في تفسير الغني في هذا الباب والوسط والفقير. قال بعضهم: من لم يملك نصاباً تجب في مثله الزكاة على المسلمين وهو مائتا درهم فهو فقير، ومن ملك مائتي درهم فهو من الأواسط، ومن ملك أربعة آلاف درهم فصاعداً فهو من الأغنياء، لما روي عن سيدنا علي وعبد الله بن سيدنا عمر رضي الله تعالى عنهم: «أَنَّهُمَا قَالَا: أَرْبَعَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ فَمَا دُونَهَا نَفَقَةٌ وَمَا فَوْقَ ذَلِكَ كَنْزٌ»، وقيل: من ملك مائتين درهم إلى عشرة آلاف فما دونها فهو من الأوساط، ومن ملك زيادة على عشرة آلاف فهو من الأغنياء. والله تعالى أعلم.

وأما ما يسقطها بعد الوجوب فأنواع: منها: **الإسلام**، ومنها: **الموت** عندنا، فإن الذمي إذا أسلم أو مات سقطت الجزية عندنا، وعند الشافعي رحمه الله: لا تسقط بالموت والإسلام. وجه قوله: إن الجزية وجبت عوضاً عن العصمة بقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ إلى قوله جل شأنه: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ أباح جلت عظمته دماء أهل القتال ثم حقنها بالجزية، فكانت الجزية عوضاً عن حقن الدم وقد حصل له المعوض في الزمان الماضي فلا يسقط عنه العوض. ولنا: ما روي عن رسول الله أنه قال: «لَيْسَ عَلَى مُسْلِمٍ جِزْيَةٌ» وعن سيدنا عمر رضي الله عنه: «أَنَّهُ رَفَعَ الْجِزْيَةَ بِالْإِسْلَامِ فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنَّ فِي الْإِسْلَامِ لَمَعَاذًا إِنْ فَعَلَ»، ولأنها وجبت وسيلة إلى الإسلام فلا تبقى بعد الإسلام والموت كالقتال. والدليل على أنها وجبت وسيلة إلى الإسلام أن الإسلام فرض بالنصوص، والجزية تتضمن ترك القتال فلا يجوز شرع عقد الذمة والجزية الذي فيه ترك القتال إلا لما شرع له القتال وهو التوسل إلى الإسلام وإلا فيكون تناقضاً والشريعة لا تتناقض. وتعذر تحقيق معنى التوسل بعد الموت والإسلام فيسقط ضرورة.

---

1. بدائع الصنائع، ج ٧ ص ١٧٩، وما بعدها

وقوله: إنها وجبت عوضاً عن حقن الدم ممنوع بل ما وجبت إلا وسيلة إلى الإسلام، لأن تمكين الكفرة في دار الإسلام وترك قتالهم مع قولهم في الله ما لا يليق بذاته وصفاته تبارك وتعالى للوصول إلى عرض يسير من الدنيا خارج عن الحكم والعقل. فأما التوسل إلى الإسلام وإعدام الكفرة فمعقول مع ما أنها إن وجبت لحقن الدم فإنما تجب كذلك في المستقبل، وإذا صار دمه محقوناً فيما مضى فلا يجوز أخذ الجزية لأجله فتسقط.

ومنها: مضي سنة تامة ودخول سنة أخرى عند أبي حنيفة، وعندهما لا تسقط حتى إنه إذا مضى على الذمة سنة كاملة ودخلت سنة أخرى قبل أن يؤديها الذمي تؤخذ منه للسنة المستقبلة ولا تؤخذ للسنة الماضية عنده، وعندهما تؤخذ لما مضى ما دام ذمياً، والمسألة تعرف بالموانيد أنها تؤخذ أم لا. وجه قولهما: أن الجزية أحد نوعي الخراج فلا تسقط بالتأخير إلى سنة أخرى استدلالاً بالخراج الآخر وهو خراج الأرض، وهذا لأن كل واحد منهما دين فلا تسقط بالتأخير كسائر الديون.

ولأبي حنيفة رحمه الله وجهان:

أحدهما: أن الجزية ما وجبت إلا لرجاء الإسلام وإذا لم يوجد حتى دخلت سنة أخرى انقطع الرجاء فيما مضى وبقي الرجاء في المستقبل فيؤخذ للسنة المستقبلة.

والثاني: أن الجزية إنما جعلت لحقن الدم في المستقبل فإذا صار دمه محقوناً في السنة الماضية فلا تؤخذ الجزية لأجلها لانعدام الحاجة إلى ذلك، كما إذا أسلم أو مات تسقط عنه الجزية لعدم الحاجة إلى الحقن بالجزية كذا هذا. والاعتبار بخراج الأرض غير سديد فإن المجوسي إذا أسلم بعد مضي السنة لا يسقط عنه خراج الأرض ويسقط عنه خراج الرأس بلا خلاف بين أصحابنا رحمهم الله، وبه تبين أن هذا ليس كسائر الديون فبطل الاعتبار بها، والله تعالى أعلم.

وأما صفة العقد: فهو أنه لازم في حقنا حتى لا يملك المسلمون نقضه بحال من الأحوال. وأما في حقهم فغير لازم بل يحتمل الانتفاع في الجملة لكنه لا ينتقض **إلا بأحد أمور ثلاثة:**

أحدها: أن يسلم الذمي لما مر أن الذمة عقدت وسيلة إلى الإسلام وقد حصل المقصود.

والثاني: أن يلحق بدار الحرب لأنه إذا لحق بدار الحرب صار بمنزلة المرتد إلا أن الذمي إذا لحق بدار الحرب يسترق والمرتد إذا لحق بدار الحرب لا يسترق لما نذكره إن شاء الله تعالى.

والثالث: أن يغلبوا على موضع فيحاربون لأنهم إذا فعلوا ذلك فقد صاروا أهل الحرب وينتقض العهد ضرورة. ولو امتنع الذمي من إعطاء الجزية لا ينتقض عهده لأن الامتناع يحتمل أن يكون لعذر العدم فلا ينتقض العهد بالشك والاحتمال. وكذلك لو سب النبي لا ينتقض عهده لأن هذا زيادة كفر على كفر والعقد يبقى مع أصل الكفر فيبقى مع الزيادة، وكذلك لو قتل مسلماً أو زنى بمسلمة لأن هذه معاص ارتكبوها وهي دون الكفر في القبح والحرمة ثم بقيت الذمة مع الكفر فمع المعصية أولى، والله تعالى أعلم. أ. هـ.

الجزية

لغة: من الجزاء وهو الثواب والعقاب، وشرعاً: هو المبلغ الذي يدفعه أهل الكتاب والمجوس لبيت مال المسلمين مقابل كف اليد عنهم ودخولهم تحت الرعاية والحماية والتزام الدولة الإسلامية النظر في شؤونهم يقول الله تعالى: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحقّ من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون﴾ وروى البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من مجوس هجر، وأخذها الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم كما أوضحنا سابقاً وقد فرض الإسلام الجزية على الذميين في مقابل فرض الزكاة على المسلمين حتى يتساوى الفريقان لأن المسلمين والذميين يستظلون براية واحدة ويتمتعون بجميع الحقوق وينتفعون بمرافق الدولة بنسبة واحدة ولذلك أوجب الله الجزية للمسلمين نظير قيامهم بالدفاع عن الذميين وحمايتهم في البلاد الإسلامية التي يقيمون فيها ولهذا تجب. بعد دفعها. حمايتهم والمحافظة عليهم ودفع مَنْ قصدهم بالأذى. ويشترط فيمن يدفعها: أن يكون ذكراً بالغاً عاقلاً حراً فلا تجب على المرأة والصبي والعبد والمجنون والمسكين الذي يتصدق عليه ومَنْ لا قدرة له على العمل والكسب لمرض أو كبر أو عمًى وتسقط عمن أسلم منهم وأما مقدارها فكانت ديناراً على الرجل في السنة وتقديرها موكول للإمام حسب المصالح وقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بأهل الذمة خيراً، قال عليه الصلاة والسلام:

(مَنْ ظَلَمَ معاهداً أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه).

معركة الأنبار (ذات العيون)

في الرابع من رجب من السنة الثانية عشرة من الهجرة المباركة

ركب **خالد** في جيوشه فسار حتى انتهى إلى **الأنبار** وعليها رجل من أعقل الفرس وأسودهم في أنفسهم، يقال له شيرزاذ، فأحاط بها خالد وعليها خندق وحوله أعراب من قومهم على دينهم، واجتمع معهم أهل أرضهم، فمانعوا خالداً أن يصل إلى الخندق فضرب معهم رأساً، ولما تواجه الفريقان أمر خالد أصحابه فرشقوهم بالنبال حتى فقأوا منهم ألف عين، فتصايح الناس: ذهبت عيون أهل الأنبار، وسميت هذه الغزوة ذات العيون، فراسل شيرزاذ خالداً في الصلح، فاشترط خالد أموراً امتنع شيرزاذ من قبولها، فتقدم خالد إلى الخندق فاستدعى برذايا الأموال من الإبل فذبحها حتى ردم الخندق بها وجاز هو وأصحابه فوقها، فلما رأى شيرزاذ ذلك أجاب إلى الصلح على الشروط التي اشترطها خالد، وسأله أن يرده إلى مأمنه فوفى له خالد بذلك، وخرج شيرزاذ من الأنبار وتسلمها خالد، فنزلها واطمأن بها، وتعلم **الصحابة** ممن بها من العرب الكتابة العربية، وكان أولئك العرب قد تعلموها من عرب قبلهم وهم بنو إياد، كانوا بها في زمان بختنصر حين أباح العراق للعرب، وأنشدوا خالداً قول بعض إياد يمتدح قومه:

قومي إياد لو أنهم أمم
أو لو أقاموا فتُهْزَلَ النعمُ
قوم لهم باحة العراق إذا
ساروا جميعاً واللوح والقلمُ

ثم صالح خالد أهل البوازيج وكلواذي، قال: ثم نقض أهل الأنبار ومن حولهم عهدهم لما اضطربت بعض الأحوال، ولم يبق على عهده سوى البوازيج وبانقيا.

قال سيف عن عبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبي ثابت قال: ليس لأحد من أهل السواد عهد قبل الوقعة، الا بنو صلوبا وهم أهل الحيرة وكلوا ذي وقرى من قرى الفرات، غدروا حتى دعوا إلى الذمة بعدما غدروا. وقال سيف عن محمد بن قيس: قلت للشعبي: أخذ السواد عنوة وكل أرض إلا بعض القلاع والحصون؟ قال: بعض صالح وبعض غالب. قلت: فهل لأهل السواد ذمة اعتقدوها قبل الحرب؟ قال: لا، ولكنهم لما دعوا ورضوا بالخراج وأخذ منهم صاروا ذمة [١].

قال ياقوت: **والأنبار** أيضاً مدينة على الفرات في غربي بغداد بينهما عشرة فراسخ، وكانت الفرس تسميها فيروزسابور؛ ... وكان أول من عمّرها سابور ابن هُرْمز ذو الأكتاف، ثم جدّدها أبو العباس السفّاح أول خلفاء بني العباس وبَنى بها قصوراً وأقام بها إلى أن مات؛ وقيل: إنما سميّت الأَنْبَار لأن بُخْتَنَصَّر لما حارب العرب الذي لا خلاق لهم حَبَسَ الأُسراءَ فيها؛ وقال أبو القاسم: الأنبار حدُّ بابل سميت به لأنه كان يُجْمع بها أنابيرُ الحِنطة والشعير والقتّ والتبن، وكانت الأكاسرة تَرْزُق أصحابها منها، وكان يقال لها الأَهْراء، فلما دخلتها العرب عرّبَتها فقالت الأنبار؛ وقال الأزهري: الأنبار أهراءُ الطعام، واحدُها نِبرٌ ويجمع على أنابير جمع الجمع، وسمّي الهُرْيُ نِبراً لأنَّ الطعام إذا صُبَّ في موضعه انتبر أي ارتفع، ومنه سمّي المِنبر لارتفاعه [٢].

---

١ – ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ج ٧، ص ٢٤٧.

٢ – معجم البلدان، ج ١، ص ٢٥٧.

كَرْبَلاءُ: بالمدّ: وهو الموضع الذي قُتل فيه الحسين بن عليّ، رضي الله عنه، في طرف البرّية عند الكوفة. فأما اشتقاقه فالكربلة رخاوة في القدمَيْن، يقال: جاء يمشي مُكَرْبِلاً، فيجوز على هذا أن تكون أرض هذا الموضع رَخْوة فسميّت بذلك؛ ويقال: كَرْبَلْتُ الحنطة إذا هَذَّبْتها ونقيتها:... وقد روي أن الحسين، رضي الله عنه، لما انتهى إلى هذه الأرض قال لبعض أصحابه: ما تسمّى هذه القرية؟ وأشار إلى العَقْر، فقال له: اسمها العقر، فقال الحسين: نَعُوذ بالله من العَقْر! ثم قال: فما اسم هذه الأرض التي نحن فيها؟ قالوا: كَرْبَلاء، فقال: أرضُ كَرْب وبلاء! وأراد الخروج منها فمنع كما هو مذكور في مقتله حتى كان منه ما كان؛ ورَثّته زوجتُه عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل فقالت:

واحُسينا! فلا نسيتُ حُسيناً أقْصَدَتْهُ أسِنّةُ الأعداءِ غادروه بكربلاءَ صَريعاً لا سَقَى الغيثُ بعده كربلاءِ. الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٤٥.

لقطات متنوعة من الأنبار

قال ابن بطوطة:
ثم رحلت من بغداد فوصلت إلى مدينة الأنبار، ثم إلى هيت، ثم إلى الحديثة، ثم إلى عانة. وهذه البلاد من أحسن البلاد وأخصبها. والطريق فيما بينها كثير العمارة، كأن الماشي في سوق من الأسواق، وقد ذكرنا أنّا لم نر ما يشبه البلاد التي على نهر الصين إلا هذه البلاد. رحلة ابن بطوطة - (ج ١ / ص ٣٢٧).

معركــة عين التمر

[illegible] رجب من السنة الثانية عشرة من الهجرة المباركة

لما استقل **خالد** بالأنبار **استناب عليها الزبرقان بن بدر**، وقصد **عين التمر** وبها يومئذٍ مهران بن بهرام جوبين في جمع عظيم من العرب، وحولهم من الأعراب طوائف من **النمر وتغلب وإياد** ومن لاقاهم وعليهم عَقَّة ابـن أبـي عَقَّة، فلما دنا خالد قال عقة لمهران: إن العرب أعلم بقتال العرب، فدعنا وخالداً، فقال له: دونكم وإياهم، وإن احتجتم إلينا أعناكم، فلامت العجم أميرهم على هذا، فقال: دعوهم فإن غلبوا خالداً فهو لكم، وإن غلبوا قاتلنا خالداً وقد ضعفوا ونحن أقوياء، فاعترفوا له بفضل الرأي عليهم .

وسار خالد وتلقاه عقة فلما تواجهوا قال خالد لمجنبتيه: احفظوا مكانكم فإني حامل، وأمر حماته أن يكونوا من ورائه، وحمل على عقة وهو يسوي الصفوف **فاحتضنه وأسره وانهزم جيش عقة من غير قتال** فأكثروا فيهم الأسر، وقصد خالد حصن عين التمر، فلما بلغ **مهران هزيمة عقة وجيشه، نزل من الحصن وهرب وتركه**، ورجعت فلال نصارى الأعراب إلى الحصن فوجدوه مفتوحاً فدخلوه واحتموا به، فجاء خالد وأحاط بهم وحاصرهم أشـد الحصــار، فلمـا رأوا ذلك سألـوه الصلح فأبـى إلا أن ينزلوا على حكـم خالد، فنزلوا على حكمـه فجعلوا في السلاسـل وتسلـم الحصن ؛ ثم أمر فضربت عنق عقة ومـن كان أسر معه والذين نزلوا علـى حكمه أيضاً أجمعين، وغنـم جميـع ما في ذلك الحصن، **ووجد في الكنيسـة التي به أربعين غلامـاً يتعلمون الإنجيل وعليهم بـاب مغلـق**، فكسره خالـد وفرقهم في الأمراء وأهل الغنـاء، وكان حمران صار إلى عثمان بـن عفان من الخمس، ومنهم سيرين والد محمد بن سيرين أخذه أنس بن مالك. وجماعة آخرون من الموالي المشاهير أراد بهم وبذراريهم خـيراً. ولما قدم الوليد بـن عقبة على الصدِّيق بالخمس رده الصدِّيق إلى عياض بن غنم مدداً له وهو محاصر دومة الجنـدل فلما قدم عليه وجـده في ناحية من العراق يحاصر قوماً، وهم قد أخـذوا عليه الطرق فهو محصور أيضاً، فقـال عياض للوليد: إن بعض الرأي خير من جيش كثيف، ماذا ترى فيما نحن فيه؟ فقال له الوليد: اكتب إلى خالد يمدك بجيش من عنده، فكتب إليه يستمده، فقدم كتابه على خالد عقب وقعة عين التمر وهو يستغيث به، فكتب إليه: من خالد (بن الوليد) إلى عياض، إياك أريد. (الرمز):

لبّث قليلاً تأتِك الحلائبُ

يحملن اساداً عليها القاشِبُ

كتائبٌ تَتبعُها كَتَائِـــــبُ [1] .

١ - ابن كثير الدمشقي: البداية والنهاية، ج ٧، ص ٢٤٧ .

يقول صادق عرجون عن الأبيات في الصفحة السابقة:

وهـو فيمـا عـرف الأدب العربي أوجز كتاب وأفيده فيما قصد إليه، وهي ناحية من نواحي العبقريـة الخالدية في ميدان البلاغة العربية، كانت جديـرة أن تجعـل أبـا سلمان خالد بن الوليد فـي أول صف الرعيل الأول من مداره العربية وبلغائها المقاويل، وهي تكشف عن جانب في العقل العربي حـري بالدرسـ الواعي، تلك هي ناحية تركيز المعاني التي تحتاج إلى رسائل مطولة في صورة مـن الإيجاز القوي البارع المنتهي إلى غايته من أقرب طريق؛ وكان هذا واجب الذين يعنون بدراسة الأدب (المقارن) ولاسيما في العصر العباسي، عصر الرموز والتوقيعات المنقولة مع التفكير الفارسي، حتى لا نغمط العقل العربي الخالص حقه في فراهة البداهة واكتناز التفكير . خالد بن الوليد، ص ٢٣٠ .

✩ ✩ ✩

عين التمر أو شثاثا سجادة خضراء تطرزها بساتين النخيل التي تتكثف حول عيون المياه وسط الصحراء الغربية للعراق، عندما تغادر مدينة كربلاء باتجاه الغرب وعلى بعد (٦٧)كم، تلوح إليك بساتين النخيل الباسقات وعذوقها الذهبية فتنتقل من لهب الصحراء وأرضها البيضاء إلى بستان كبير متقطع الأوصال هو عين التمر أو شثاثا فتداعب وجهك نسيمات باردة تنساب على حبيبات العرق التي تملأ الوجه.

وهذه الواحة الكبيرة هي جنة خضراء لسكان البادية وهي سر من أسرار الصحراء الغربية، حولت قسوة الطبيعة إلى سحر خيالي جذاب وقد كانت شثاثا أو عين التمر ولاتزال مركزاً تجارياً للبدو الذين يرتحلون بحثاً عن الماء والعشب ويبدو أنها منطقة عريقة بما تحمله من آثار حضارية وأخبار تأريخية، وتمتاز بتربتها الجوفية الناتجة عن مياه الأمطار المنسابة في الأودية وبذلك اشتهرت **بعيون المياه الطبيعية** وخاصة المعدنية منها التي يخرج منها الماء عبر فتحات ذات بوابات حديدية. وما يزيدها جمالاً ويضفي عليها رونقاً جذاباً أن هذه المياه الصافية تحتضن أسماكاً مختلفة الأشكال وتبدو للعيان.

هذا الموقع السياحي الفريد، والجميل في كل شيء بموقعه وكثافة بساتينه، وعيونه المعدنية الجارية، أخذت تتناقص مياه عيونه، بسبب قلة الأمطار في الأعوام الأخيرة، فهي منطقة مؤهلة من الناحية السياحية من مناطق الجذب السياحي في العراق .

أما بعدها التأريخي فقد بقيت شثاثا بعيدة عن التحري الأثري وأقلام المؤرخين، لكونها قرية صغيرة.. ذكر بأن فيها قبوراً يعود تأريخها إلى ما قبل الميلاد، وكانت جزءاً من **مملكة الحيرة** وأبرز من سكنها في القرن السادس الميلادي شمعون بن جابر الذي نصَّر النعمان الرابع سنة ٥٩٤م.

عَينُ التمر: بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة بقربها موضع يقال له شَفاثَا، منهما يُجْلَبُ القَسْب والتمر إلى سائر البلاد، وهو بها كثير جداً، وهي على طرف البرية، وهي قديمة افتتحها المسلمون في **أيام أبي بكر على يد خالد بن الوليد في سنة ١٢ للهجرة**، وكان فتحها عنوة فسبى نساءها وقتل رجالها، فمن ذلك السبي والدة محمد بن سيرين، وسيرين اسم أمه، وحُمْرانُ بن أبان مولى عثمان بن عفان، فيه يقول عبيد الله بن الحُرّ الجُعْفي في وقعة كانت بينه وبين أصحاب مصعب:

ألا هل أتى الفِتيانَ بالمصر أنني
أسرتُ بعين التمر أرْوَعَ ماجداً
وفَرّقْتُ بين الخيل لما تواقفَتْ
بطعن امرىء قد قام من كان قاعدا

الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ١٧٦

قصر الإخيضر بين التمر

لقطات من عين التمر

تنتشر في عين التمر (شثاثا) العيون ذات المياه المعدنية التي تخرج من أعماقها، وتجري عبر قنوات ومجار فرعية تصل الى مسافات بعيدة في الأراضي الزراعية، ومياهها بصورة عامة قليلة الملوحة لكنها تحتوي على الكلوريد والكبريتات، ما جعلها غير صالحة للشرب، وتتغذى عيون شثاثا من المياه الجوفية المتجمعة في الصخور الكلسية والجيرية في أنحاء الهضبة الواسعة.

ومن هذه العيون:

١. عين السيب: وتعني مجرى الماء وهي محاطة ببساتين النخيل والفاكهة.

٢. العين الحمرة: وسميت بهذا الإسم نسبة الى الأرض المسماة بالحمرة التي تقع فيها العين والعائدة لبيت (البوضوي).

٣. العين الكبيرة: ويطلق عليها العين الزرقة لعمق الماء الذي يظهر بلون أزرق وكان يسميها البدو (العربيد) لسرعة جريان الماء المتدفق في مجاريها.

كما يوجد في شثاثا: أكثر من عشرين عيناً كعين الضباط وعين عبيد المهنة وعين بنت السمينة والعوينة وعلوان الجاسم.

فتح دومة الجندل

٢٤ رجب من السنة الثانية عشرة من الهجرة المباركة

قال الطبري[١]: ولما فرغ **خالد** من عين التمر خلَّف فيها عويم بن الكاهل الأسلمي وخرج في تعبيته التي دخل فيهـا العين ولما بلغ أهل **دومة** مسير خالد إليهم بعثـوا إلى أحزابهم من بهراء وكلب وغسان وتنوخ والضجاعم وقبل ما قد أتاهم وديعة في كلب وبهراء ومسانده **ابن وبرة بن رومانس** وآتاهم **ابن الحدرجان** في الضجاعم **وابن الأيهم** في طوائف من غسان وتنوخ فأشجوا عياضاً وشجوا به فلما بلغهم دنو خالد وهم على **رئيسين**: **أكيدر ابن عبدالملك والجودي بن ربيعة** اختلفوا فقال أكيدر: أنا أعلم الناس بخالـد لا أحد أيمن طائراً منه، ولا أحد في حـرب، ولا يـرى وجه خالد قوم أبداً قلوا أو كـثروا إلا انهزموا عنه: فأطيعوني وصالحوا القـوم فأبوا عليه، فقال: لن أمالئكم على حرب خالد فشأنكم فخرج لطيته. وبلغ ذلك **خالداً** فبعث **عاصم بن عمرو** معارضاً له فأخذه فقال: إنما تلقيت الأمير خالداً فلما أتى به خالداً أمر به فضربت عنقه وأخذ ماكان معه من شيء، ومضى خالد حتى ينزل علـى أهـل **دومة** وعليهم **الجودي بـن ربيعة ووديعـة الكلبي وابـن رومانس الكلبي وابـن الأيهم وابن الحدرجـان** فجعـل **خالد دومة** بـين عسكره وعسكر **عياض** وكان **النصـارى** الذين أمدوا أهـل دومة من العرب محيطين **بحصن دومة** لم يحملهم الحصن؛ فلما اطمأن **خالد** خرج **الجودي** فنهض بوديعة فزحفا **لخالد** وخرج **ابـن الحدرجـان وابن الأيهـم** إلى **عياض فاقتتلوا فهـزم الله الجودي ووديعة علـي يدي خالد وهزم عياضٌ مـن يليه** وركبهـم المسلمون، فأما خالد؛ فإنه أخذ الجـودي أخذاً وأخذ الأقرع بن حابس وديعة وأرز بقية النـاس إلى الحصـن، فلم يحملهم فلما امتـلأ الحصن أغلق من في الحصن: الحصـن دون أصحابهم فبقوا حوله حرداء، وقال **عاصم بن عمرو: يا بني تميم حلفاؤك كلب آسوهم وأجيروهم فإنكم لا تقدرون لهم على مثلها ففعلوا وكان سـبب نجاتهم يومئذ وصـية عاصـم بنـي تميم بهم**، وأقبل خالد علـى الذين أرزوا إلى الحصـن فقتلهـم، حتى سـد بهم باب الحصـن، ودعا خالد **بالجـودي** فضرب عنقه، **ودعا بالأسـرى فضـرب أعناقهم إلا أسارى كلب!** فإن **عاصـماً والأقرع وبني تميم** قالوا: قد آمناهم فأطلقهم لهم **خالد** وقال: مالي ولكم أتحفظون أمر الجاهلية وتضيعون أمر الإسلام؟ فقال له **عاصم**: لا تحسدهم العافية ولا يحوزهم الشيطان ثم أطـاف **خالد** بالباب فلـم يزل عنه حتى اقتلعه واقتحموا عليهم فقتلوا المقاتلة وسبوا الشرخ (الشباب)؛ فأقاموهم فيمن يزيد فاشترى **خالد ابنة الجودي** وكانت موصوفة، وأقام خالد بدومة ورد الأقرع إلى الأنبار، ولما رجع **خالد** إلى **الحـيرة** وكان منهـا قريبـاً حيث يصبحها أخذ **القعقـاع** أهل **الحيرة** بالتقليس فخرجـوا يتلقونه وهم يقلسون وجعل بعضهم يقول لبعض: مروا بنا فهذا فرج الشر!.

---

١ – تاريخ الرسل (الأمم) والملوك، ص ٥٤٥، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، طبعة بيت الأفكار الدولية.

دُومَـةُ الجنـدَل: بضم أوله وفتحه، وقد أنكـر ابن دُريد الفتح وعدَّه من أغلاط المحدّثين، وقد جـاء في حديث الواقدي دوماءُ الجندل، وعدَّها ابن الفقيه من أعمال المدينة، سمّيت بدوم بن إسماعيل بن إبراهيم، وقال الزَّجاجي: دومان بن إسماعيل، وقيل: كان لإسماعيـل ولـد اسمه دُماً ولعله مغير منه، وقال ابن الكلبي: دوماءُ بـن إسماعيل، قال: ولما كثر ولد إسماعيل، عليه السلام، بتهامة خرج دوماءُ بن إسماعيل حتى نزل موضع دومة وبنى به حصناً فقيل دوماءُ ونسب الحصن إليه، وهي على سبع مراحل من دمشق بينهـا وبـين مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ وقال أبو سعد: دومة الجندل في غائط من الأرض خمسة فراسخ، قال: ومن قبل مغربـه عـينٌ تثجُّ فتسقي ما به من النخل والزرع، وحصنها ماردٌ، وسميت دومة الجندل لأن حصنها مبنيٌّ بالجندل؛ وقال أبو عبيد السكـوني: دومـة الجندل حصن وقرًى بين الشام والمدينة قرب جبلَيْ طيّء كانت به بنـو كنانة من كلب، قال: ودومة من القريات، مـن وادي القـرى إلى تيماءَ أربع ليـال، والقريات: دومة وسُكاكة وذو القارة، فأما دومة فعليها سـور يُتحصن به، وفي داخل السور حصـن منيـع يقـال له ماردٌ، وهو حصن أُكَيدر الملك بن عبد الملك بن عبد الحيّ بن أعيا بن الحارث بن معاوية بن خلاوة بن أبامة ابن سَلَمَة ابن شُكامة بن شبيب بن السكون بن أشْرَس بن ثور بن عُفَيْر وهو كندة السكوني الكندي .الحموي معجم البلدان ج ٢، ص ٤٨٦ .

حينما وصل خالد إلى دومة الجندل . وكان رؤساء أهلها :

١ - الجودي بن ربيعة .

٢ - وديعة الكلبي .

٣ - ابن رومانس الكلبي .

٤ - ابن الأيهم على غسان وتنوخ .

٥ - ابن الحدرجان على الضجاعم .

بهراء وكلب
وغسان وتنوخ والضجاعم إضافة إلى وديعة
في كلب وبهراء ومساندة ابن وبرة بن رومانس وآتاهم
ابن الحدرجان في الضجاعم وابن الأيهم في طوائف من
غسان وتنوخ تؤازر قبائل دومة الجندل في صدها
للقوات الإسلامية .

منطقة الجوف بالمملكة العربية السعودية

العـراق

الأردن

المملكة العربية السعودية

منطقة الحدود الشمالية

منطقة الجوف

منطقة تبوك

كاف

القريات

وادي سرمدة

حظوظا

الشويحطية

سكاكا

أعمدة الرجاجيل

دومة الجندل

٠ ٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠ كم

عدسة المؤلف

مؤلف ومصمم الأطلس أمام حصن الأكيدر بدومة الجندل

قال ياقوت: فأما دومة فعليها سور يُتحصن به، وفي داخل السور حصن منيع يقال له ماردٌ، وهو حصن أُكَيْدر الملك بن عبد الملك بن عبد الحيّ بن أعيا ابن الحارث بن معاوية بن خلاوة بن أبامة بن سَلَمَة ابن شُكامة بن شبيب بن السكون بن أشْرَس بن ثور ابن عُفَيْر وهو كندة السكوني الكندي، وكان النبي صلى الله عليه وسلم، وجَّه إليه خالد بن الوليد من تبوك وقال له ستلقاه يصيد الوحش، وجاءت بقرة وحشية فحكَّكَتْ قرونها بحصنه فنزل إليها ليلاً ليصيدها فهَجَمَ عليه خالد فأسره وقتل أخاه حسان بن عبد الملك وافتتحها خالد عنوةً، وذلك في سنة تسع للهجرة، ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم، صالح أُكيدر على دومة وآمنه وقرَّر عليه وعلى أهله الجزية، وكان نصرانيّاً فأسلم أخوه حُرَيْث فأقرَّه النبي صلى الله عليه وسلم، على ما في يده ونقض أُكيدر الصلح بعد النبي صلى الله عليه وسلم، فأجلاه عمر، رضي الله عنه، من دومة فيمن أجلى من مخالفي دين الإسلام إلى الحيرة فنزل في موضع منها قرب عين التمر وبَنَى به منازل وسمّاها دومة . معجم البلدان، المصدر السابق

مبان أثرية لدومة الجندل القديمة وهي ملاصقة لقصر الاكيدر بن عبد الملك
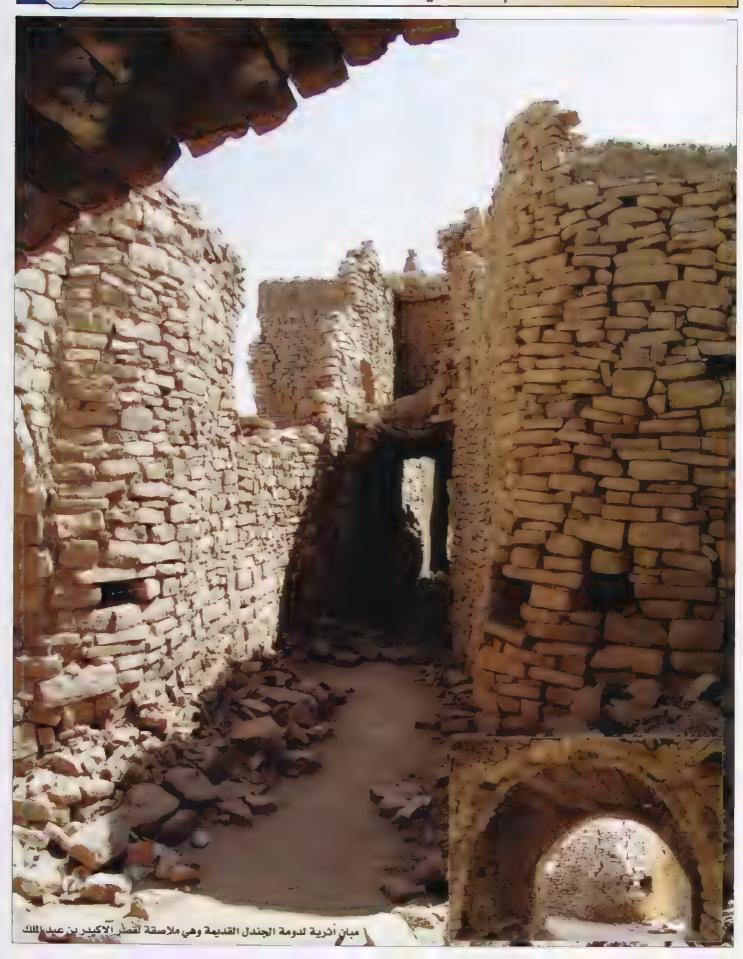
إبطال السيطرة الساسانية على الحصيد وخنافس

في شعبان من السنة الثانية عشرة من الهجرة المباركة

قال الطبري: وقد كان **خالد**

أقام **بدومة** فظن الأعاجم به وكاتبهم عرب الجزيرة غضباً لعقة فخرج **زرمهر** من بغداد ومعه **روزبه**

يريدان الأنبار واتعدا حصيداً والخنافس فكتب الزبرقان وهو على الأنبار إلى **القعقاع بن عمرو** وهو يومئذ خليفة خالد على الحيرة فبعث

القعقاع أعبد بن فدكي السعدي وأمره بالحصيد وبعث عروة بن الجعد البارقي وأمره بالخنافس وقال لهما: إن رأيتما مقدماً فاقدما؛ فخرجا فحالا بينهما وبين

الريف، وأغلقاهما وانتظر روزبه وزرمهر بالمسلمين اجتماع من كاتبهما من ربيعة، وقد كانوا تكاتبوا واتعدوا فلما رجع **خالد** من **دومة** إلى **الحيرة** على الظهر وبلغه ذلك

وقد عـزم على مصادمة أهل المدائن كره خلاف أبي بكر وأن يتعلق عليه بشيء فعجل القعقاع بن عمرو وأبو ليلى بن فدكي إلى روزبه وزرمهر فسبقاه إلى عين التمر وقدم على

خالد كتاب امرئ القيس الكلبي أن الهذيل بن عمران قد عسكر بالمصيخ ونزل ربيعة بن بجير بالثني وبالبشر في عسكر غضباً لعقة يريدان زرمهر وروزبه فخرج خالد

وعلى مقدمته الأقرع بن حابس واستخلف على الحيرة عياض بن غنم وأخذ طريق القعقاع وأبي ليلى إلى الخنافس حتى قدم عليهما بالعين فبعث القعقاع

إلى حصيد وأمره على الناس وبعث أبا ليلى إلى الخنافس وقال زجياهم ليجتمعوا ومن استثارهم وإلا فواقعاهم فأبيا إلا المقام.

الحَصِيدُ: بالفتح ثم الكسر، وياء ساكنة، ودال مهملة: موضع في أطراف العراق من جهة الجزيرة، وقال نصر: حُصَيْد، مصغَّرٌ، واد بين الكوفة والشام، أوْقَعَ به القَعْقاع بن عمرو في سنة ١٣ بالأعاجم ومن تجمَّعَ إليها من تغلب وربيعة وقعةً منكرة، فقتل في المعركة رُوزَمِهْر ورُوزَبَه مقدماهم. فقال القعقاع بن عمرو:

ألا أبْلِغا أسماءَ أنَّ حليلها
قَضى وطَراً من رُوزَمِهْر الأعاجم
غداةَ صَبَحنا، في حُصَيْد، جموعهم
بهِنْديَّة تَفْري فِراخَ الجماجم. ياقوت الحموي. معجم البلدان. ج ٢، ص ٢٦٦ - ٢٦٧.

١ عرب الجزيرة تكاتب الفرس من أجل الانتقام من المسلمين الذين قتلوا عقّة في عين التمر.

٢ الفرس يسيّرون جيشين للحصيد والخنافس استغلالاً لغياب خالد عن العراق ومساندة للعرب.

٣ الزبرقان بن بدر عامل خالد على الأنبار، يكاتب القعقاع في الحيرة ليخبره بالأمر.

٤ القعقاع يبعث بأعبد بن فدكي السعدي إلى الحصيد، وعروة بن الجعد البارقي إلى الخنافس.

٥ بعد وصول الجيش الإسلامي إلى الحصيد والخنافس حسب الخطة التي طرحها لهما القعقاع بن عمرو وكان أمره لهما: (إن رأيتما مقدماً فأقدما) فاستطاعا أن يحولا بين زرمهر وروزبة وبين مقصديهما وأغلقا عليهما الطريق. لذلك فضل الفرس عدم الدخول في قتال مع المسلمين وأن ينتظروا المدد من عرب الجزيرة. قال المؤرخ العسكري الأستاذ / أحمد عادل كمال: إننا نجد مثالاً حياً لسرعة المسلمين في اتخاذ قرارتهم وفي تحركهم لتنفيذها وتباطؤ الفرس ومن مالأهم من العرب. فمنذ خروج الفرس من بغداد (قرب المدائن) بلغ خبرهم إلى الزبرقان بالأنبار ثم إلى القعقاع بالحيرة، يعني أن الخبر قطع أكثر من ٢٥٠ كم، فأرسل القعقاع أعبد وعروة إلى مواقع تبعد أكثر من ١٧٠ كم، كل هذا ولما يبلغ الفرس الأنبار التي تبعد أقل من خمسين كم.

فتح حصيد والخنافس
تكريت
الحديثة
الامبراطورية الساسانية
وفينا بالخنافس باقيات
لمهبوذان في جنع الأصيل
هيت
بعقوبة
الأنبار
المصيّخ
(المُضَيَّخ)
الخنافس
الحصيد
نهر دجلة
نهر الفرات
المدائن
بهر سير
العـــراق
كربلاء
عين التمر
قس الناطف
بابل
الحيرة
الخنافس: أرض للعرب في طرف العراق قرب الأنبار من ناحية البَرَدان، تقام فيه سوق للعرب، أُوقع عندها بالمسلمين في أيام أبي بكر، رضي الله عنه، وأميرهم من قبل خالد بن الوليد، رضي الله عنه، أبو لَيلى بن فدكى فقال:
وقالوا: ما تريد؟ فقلت: أزمي
جموعاً بالخنافس بالخيول
فدونكم الخيولَ، فألجموها
إلى قوم بأسفـــل ذي أُوَل
فلما أن أحسُّوا ما تولوا،
ولم يعرُرْهـــمُ ضبحُ الفُيول
وفينا بالخنافس باقياتٌ
لَمهبوذان في جِنْح الأصيــل
ثم كانت بها وقعة أُخرى في أيام عمر، رضي الله عنه، وإمارة المثنّى بن حارثة كَبَسَهم يوم سوقهم وقتلهم وأخذ أموالهم. فقال المثنّى في ذلك:
صبَحنا بالخنافس جمعَ بكْر،
وحيّاً من قُضاعة غيــر ميل
بفتيان الوَغى من كل حيّ
تُباري، في الحوادث، كلَّ جيل
٢٠ كم
١٥٠
١٠٠
٥٠
١ خالد يأمر القعقاع بن عمرو وأبا ليلى بن فدكي السعدي بالتوجه إلى عين التمر .
٢ نصارى العرب الموالين للفرس يحتشدون في المصيَّخ لمساندة الفرس في حربهم ضد المسلمين .
٣ خالد يستخلف عياض بن غنم على الحيرة ، ثم يتوجه إلى عين التمر ليجعلها قاعدة له لقتال الفرس ويجعل على مقدمته الأقرع بن حابس التميمي .
٤ خالد يبعث القعقاع بن عمرو إلى حصيد لقتال (روزبة) الفارسي ويطلب منه أن يكون أميراً على الفرقتين .
٥ خالد يبعث أبا ليلى بن فدكي السعدي إلى الخنافس لقتال (زرمهر) الفارسي .
٦ روزبة يستنجد بزرمهر بعد وصول القعقاع إليه ، فلبى زرمهر النداء بعد أن استخلف على معسكره الخنافس (مهبوذان).
٧ مكان لقاء الطرفين بالحصيد والذي قَتل فيه القعقاع بن عمرو زرمهر الفارسي وقتل عصمة الظبي روزبة ، وغنم المسلمون غنائم عديدة .
٨ فلول الجيش الفارسي المنهزم في معركة حصيد تفر إلى الخنافس .
٩ القائد الفارسي المستخلف على الخنافس (مبهوذان) ومن معه يفرون إلى المصيّخ بعد هزيمة حصيد ، فدخل أبو ليلى إلى الخنافس من دون قتال بين الطرفين .

الحصيد والخنافس من خلال الأقمار الصناعية

الخنافـــس

الحصيـــد

العراق

أحد الجوامع الكبيرة في مدينة الرمادي بمحافظة الأنبار العراقية

معركة المصيـــخ

١١ شعبان من السنة الثانية عشرة من الهجرة المباركة

قال الطبري[١]: لما انتهى الخبر إلى **خالد** بمصاب أهل **الحصيد** وهرب أهل **الخنافس** كتب إليهم ووعد **القعقاع وأبا ليلى وأعبد وعروة** ليلة وساعة يجتمعون فيها إلى **المصيَّخ** وهو بين حوران والقلت، وخرج **خالد** من العين قاصداً للمصيخ على الإبل، يجنب الخيل، فنزل الجناب فالبردان فالحني واستقل من الحني: فلما كان تلك الساعة من ليلة الموعد، اتفقوا جميعاً بالمصيخ فأغاروا على الهذيل ومن معه ومن أوى إليه وهم نائمون من ثلاثة أوجه: فقتلوهم وأفلت الهذيل في أناس قليل وامتلأ الفضاء قتلى فبما شبهوا بهم إلا غنماً مصرعة وقد كان حرقوص بن النعمان قد محضهم النصح وأجاد الرأي فلم ينتفعوا بتحذيره وقال حرقوص بن النعمان قبل الغارة: ألا سقياني قبل خيل أبي بكر . الأبيات وكان حرقوص معرساً بامرأة من بني هلال تدعى أم تغلب فقتلت تلك الليلة وعبادة بن البشر وامرؤ القيس ابن بشر وقيس بن بشر وهؤلاء بنو الثورية من بني هلال، وأصاب جرير ابن عبدالله يوم **المصيَّخ** من النمر عبدالعزى بن أبي رهم بن قرواش أخا أوس مناة من النمر: وكان معه ومع لبيد بن جرير كتاب من أبي بكر بإسلامهما وبلغ أبا بكر قول عبدالعزى وقد سماه عبدالله ليلة الغارة وقال: **سبحانك اللهم رب محمد**.

فوداه وودى لبيداً - وكانا أصيباً في المعركة - وقال: أما إن ذلك ليس علي إذ نازلا أهل الحرب وأوصى بأولادهما وكان عمر يعتد على خالد بقتلهما إلى قتل مالك - يعني ابن نويرة - فيقول أبو بكر: كذلك يلقى من ساكن أهل الحرب في ديارهم وقال عبدالعزى:

أقول إذ طرق الصباح بغارة ... سبحانك اللهم رب محمد

سبحان ربي لا إله غيره ... رب البلاد ورب من يتورد

عن عدي بن حاتم قال أغرنا على أهل المصيَّخ وإذا رجل يدعى باسمه حرقوص بن النعمان من النمر وإذا حوله بنوه وامرأته وبينهم جفنة من خمر وهم عليها عكوف يقولون له: ومن يشرب هذه الساعة وفي أعجاز الليل فقال: اشربوا شرب وداع فما أرى أن تشربوا خمراً بعدها هذا خالد بالعين وجنوده بحصيد وقد بلغه جمعنا وليس بتاركنا ثم قال:

ألا فاشربوا من قبل قاصمة الظهر ... بعيد انتفاخ القوم بالعكر الدثر

وقبل منايانا المصيبة بالقدر ... لحين لعمري لا يزيد ولا يحري

---

١ - تاريخ الرسل (الأمم) والملوك، ص٥٤٦، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، طبعة بيت الأفكار الدولية .

المُصَيَّخُ: بضم الميم، وفتح الصاد المهملة، وياء مشددة، وخاء معجمة، يقال له مصيخ بني البَرْشاء: وهو بين حَوْران والقَلْت وكانت به وقعة هائلة لخالد على بني تغلب، فقال التغلبي:

يا ليلة ما ليلة المصيَّخ

وليلة العيش بها المديَّخ

أرقص عنها عُكَنَ المُشَيَّخ

وقد شدّد الياء ضرورة القعقاع بن عمرو فقال:

سائل بنا المصيَّخ تغلباً،

وهل عالمٌ شيئاً وآخر جاهل

طَرَقناهم فيه طروقاً فأصبحوا

أحاديث في أفناء تلك القبائل

وفيهم إياد والنمور وكلهم

أصاغ لما قد عزّهم للزلازل

ومُصيَّخ بَهْراء: هو ماء آخر بالشام وَرَدَه خالد بن الوليد بعد سُوَى في مسيره إلى الشام وهو بالقُصْواني فوجد أهله غارّين في مسيره إلى الشام وهو بالقُصْواني فوجد أهله غارّين وقد ساقهم بَغِيُّهم فقال خالد: احملوا عليهم، فقام كبيرهم فقال:

ألا يا اصبحاني قبل جيش أبي بكر،

لعلّ منايانا قريب وما نَدْرِي

فضُربت عنقُه واختلط دمه بخمره وغنم أهلها وبعث بالأخماس إلى أبي بكر، رضي الله عنه، ثم سار إلى اليرموك؛ وقال القعقاع يذكر مصيّخ بَهْراء:

قطعنا أباليس البلاد بخَيْلنا

نريد سُوَى من آبدات قُرَاقر

فلما صَبحنا بالمصيّخ أهلَهُ

وطار أباري كالطيور النوافر

أفاقت به بَهْراء، ثم تجاسرت

بنا العيس نحو الأعجميّ القُراقر

الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ١٤٤ .

معركة المصيـــخ
الشمال
الهذيـل فـي قلة مـن جيشه يفر مـن أرض المعركـة ويلجأ إلى الزُّمَيْل حيث كان عتاب ابن فـلان بالبشر في عسكر ضخـم فانحاز إليه. وامتـلأت أرض المصيـخ بجثث اتباعه حتى شبهوا بغنم مُصرعة.
نهر الفرات
الإمبراطورية الساسانية
نهر دجلة
هيت
الأنبار
المصيخ
الحصيد
المدائن (طيسفون)
العراق
الحنى
الخنافس
كربلاء
عين التمر
جيوش المسلمين تحاصر نصارى العرب في العراق والذين فروا بعد معركتي الحصيد والخنافس، وتباغتهم ليـلاً تحقيقاً للمفاجاة واطمئنانـاً إلى المستوى القتالي للجيش الإسلامي فأغاروا على الهذيل ومن معه وهم نائمون من ثلاثة أوجه:
جيش خالد بن الوليـد
جيش أبي ليلى بن فدكي
جيش القعقاع بن عمـرو
الحيرة
النجف
٢٠٠ كم
١٥٠
١٠٠
٥٠
٠
عاصمة الدولة الساسانية
قاعدة الجيش الإسلامي في العراق

معارك الثني والزميل والرضاب

في ٢٢ شعبان من السنة الثانية عشرة من الهجرة المباركة

قال الطبري: نزل ربيعة بن بجير التغلبي **الثني والبشر** غضباً لعقة وواعد روزبه وزرمهر والهذيل فلما أصاب **خالد** أهل المصيخ بما أصابهم به تقدم إلى **القعقاع وإلى أبي ليلى** بأن يرتحلا أمامه وواعدهما الليلة ليفترقوا فيها للغارة عليهم من **ثلاثة أوجه** كما فعل بأهل المصيخ، ثم خرج **خالد** من المصيخ فنزل حوران ثم الرنق ثم الحماة وهي اليوم لبني جنادة بن زهير من كلب ثم **الزميل** وهو البشر **والثني** معه **وهما اليوم شرقي الرصافة** فبدأ بالثني واجتمع هو وأصحابه فبيته من ثلاثة أوجه بياتاً ومن اجتمع له وإليه ومن تأشب لذلك من الشبان فجردوا فيهم السيوف فلم يفلت من ذلك الجيش مخبر واستبى الشرخ (الشباب) وبعث بخمس الله إلى **أبي بكر** مع النعمان بن عوف بن النعمان الشيباني وقسم النهب والسبايا فاشترى **علي بن أبي طالب عليه السلام** بنت ربيعة بن بجير التغلبي فاتخذها **فولدت له عمر ورقية** وكان **الهذيل** حين نجا أوى إلى الزميل إلى عتاب بن فلان وهو بالبشر في عسكر ضخم فبيتهم بمثلها غارة شعواء من **ثلاثة أوجه** سبقت إليهم الخبر عن ربيعة فقتل منهم مقتلة عظيمة لم يقتلوا قبلها مثلها، وأصابوا منهم ما شاؤوا، وكانت على خالد يمين **ليبغتن تغلب في دارها** وقسم **خالد** فيئهم في الناس وبعث الأخماس إلى **أبي بكر** مع الصباح بن فلان المزني وكانت في الأخماس ابنة مؤذن النمري وليلى بنت خالد وريحانة بنت الهذيل ابن هبيرة ثم عطف خالد من **البشر إلى الرضاب** وبها هلال بن عقة وقد ارفض عنه أصحابه حين سمعوا بدنو خالد وانقشع عنها هلال فلم يلق كيداً بها [1].

قال ياقوت: **الثَنيّ**: بالفتح ثم الكسر، وياء مشددة، بلفظ الثنيّ من الدوابّ، وهو الذي بلغ ثَنِيَّة: وهو علم لموضع الجزيرة قرب الشرقيّ **شرقيّ الرُصافة**، تجمَّعَتْ فيه بنو تغلب وبنو بجير لحرب **خالد بن الوليد**، رضي الله عنه، فأوقع بهم بالثنيّ وقتلهم كل قتلة في سنة ١٢ في أيام أبي بكر الصديق، فقال أبو مقرِّر:

طَرقنا بالثَّنيِّ بني بُجَير
بَياتاً، قبل تَصْدية الدُّيوك
فلم نترك بها أرماً وعجماً
مع النضر المؤَزَّر بالسهوك [2].

---

١ - تاريخ الرسل (الأمم) والملوك، ص ٥٤٦ ، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، طبعة بيت الأفكار الدولية .

٢ - معجم البلدان، ج ٢ ، ص ٨٦ .

الزُّمَيْلُ [١] : تصغير زمل: موضع في ديار بكر؛ قال: إلى عُنْصلاء بالزُّميل وعاسم

وفي الفتوح: الزميل عند البشر بالجزيرة **شرقي الرصافة** أوقع فيه خالد ببني تَغلب ونُمير وغيرهم في سنة ١٢ أيّام أبي بكر؛ وقال أبو مُقَرِّر:

ألا سائل الهذيل وما يُلاقي	على الحدثان من نعت الحروبِ
وعتّاباً فلا تنسي وعمراً	وأرباب الزميل بني الرُّقوبِ
ألم نفتقهُمُ بالبشر طعناً	وضرباً مثل تفتيق الضروبِ

وقال أيضاً:

ويُقبل بالزميل وجانبيه،	وطاروا حيث طاروا كالدموك
وأجلوا عن نسائهمُ فكنّا	بها أولى من الحيّ الرّكوك

الرضابُ [٢] : أوقع خالد بأهل البِشر في أيّام أبي بكر، رضي الله عنه، ثمّ عطف من البشر إلى الرضاب، وهو موضع **الرصافة** قبل بناء هشام إيّاها، فانقشع من بها من بني تغلب فلم يلقَ كيداً، فقال:

طلبنا بالرضاب بني زُهير	وبالأكتاف أكناف الجبالِ
فلم يزل الرضاب لهم مقاماً	ولم يُؤْنسهُمُ عند الرمالِ
فإن تثقف أسنّتنا زهيراً	يُكَفّ شريدُهم أخرى اللّيالي .

١ - الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٥١ . ٢ - الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٥٠ .

سور الرصافة القديم ويحتوي على ٥٠ برجاً دفاعياً وأربع بوابات رئيسة . وهذه الصورة أخذت في عام ١٩٣٥ م ، م . ص . أطلس سورية من الفضاء .

تبين الصورة الكنيسة المستطيلة (البازيليكا) وجزءاً من أسوار المدينة .

القسم الشمالي من الكنيسة المستطيلة (البازيليكا) ويدعى عند النصارى الصليب المقدس .

أسوار الرصافة والتي يبلغ ارتفاعها ١٥ م تقريباً لا تزال تحتفظ بهيلكية البناء المعزز بأبراج دفاعية تعود إلى العهد البيزنطي .

معركـــــة الفـــــراض

في ١٥ من ذي القعدة من السنة الثانية عشرة من الهجرة المباركة

تنص بعض الروايات على أن شهر رمضان أدرك خالداً والمسلمين بالفراض؛ لكن أ. أحمد عادل كمال، رجح أنه في ذي القعدة ! وهو الأصوب، والله أعلم .

الفراضـ إلى الجنـوب الشرقـي في طريـق العودة على تخـوم الشام والعـراق والجزيرة . والشام والجزيرة كانتا في قبضتي الروم، وقد كان إيغال خالد حتى الرضاب توغلاً في أرض يحكمها الروم . وفي الفراض اجتمـع خالد بباقي قواتـه التي خلّفها فـي أرض اندفاعتـه نحو الزميل والرضـاب. وأدركه شهر رمضان وهو بالفراضـ فأفطر والمسلمون. فلما تمـت جمـوع المسلمين بالفراض ونمـا علمهم إلى الفرس والروم وعرب تغلـب وإياد والنمر بدأ تجمعهـم. والظاهر أن الروم هم الذين تبنوا هذه الموقعـة، فقد اغتاظوا حين مخـر خالد تلك التخـوم مخترقاً حدودهم، واستعانـوا بمن جهتهم من الحاميات الفارسية كما كتبوا إلى من والاهم من العرب شرقي الفـرات، فقدمت أمدادهم عليهم وتحركوا تجاه خالد حتـى إذا كان الفـرات بينهـم، هم تجـاه الجزيرة وخالد تجـاه صحراء السمـاوة، قالوا له: (إما أن تعبر إلينـا أو نعبر إليكم). قال خالد: (بل اعبروا إلينا). ولا شك أن عبورهم كان أفضل لخالد حيث ينقطع عليهم خـط الرجعـة. فطلبوا من خالـد أن يتنحى حتى يعبروا. قـال: (لا نفعل ولكـن اعـبروا أسفل منا). ومـع ذلك فقد عبروا أسفـل من خالد بهذه الـروح المشبعـة بالهزيمة. ثم طلبت الروم أن يتميـز كل جند حتى تظهر مواقفهـم، فتميز الروم عن الفرس عن العرب . ثم التحموا واقتتلوا قتالاً شديـداً طويلاً واجه فيه خالد لأول مرة قوات مشتركة من العجم والروم والعـرب، وبدأت الكفة تميل في غير صالح الحلفاء وبدؤوا يتضعضعون . وأصـدر خالـد أمره: (ألحوا عليهـم ولا ترفهوا عنهـم) . فكان فرسان المسلمـين يحشرون الزمـرة منهم بالرماح فـإذا جمعوهم قتلوهم. فقتل المسلمون يوم الفراض في المعركة وفي المطاردة بعدها (١٠٠٠٠٠)[١] .

فِرَاضُ: بكسـر أولـه، وآخره ضـاد معجمة، جمـع الفُرْضة مثل بُرْمة وبِرَم وصُحْبة وصِحَاب، وهي المَشْرَعـة، والأصـل فـي الفرضة الثُّلْمـة فـي النهـر؛ **والفراض:** موضع بين البصرة واليمامة قرب فُليـج من ديار بكر بـن وائل، وفي كتـاب الفتوح: لما قصـد خالد ابن الوليـد، رضي الله عنـه، بغتة بني غالـب إلى الفراضـ، و الفراض: تخـوم الشـام والعـراق والجزيرة في شرقي الفرات، واجتمعت عليه الروم والعـرب والفرس فأوْقَعَ بهم وقعة عظيمة، قال سيف: قُتل فيها مائـة ألـف، ثـم رجـع خالـد إلى الحـيرة لعشر بقين من ذي الحجّة سنة ١٢؛ قال القعقاع:

لَقِينا بالفراض جموعَ رومٍ
وفرسٍ غَمّها طولُ السلامِ
أبَدْنا جَمعَهم لما التقينا،
وبَيّتنا بجمع بني رِزَامِ
فما فَتِئَتْ **جنودُ السِّلم** حتى
رَأَيْنا القومَ كالغَنَم السَّوَامِ[٢]

---

١ – أ. أحمد عادل كمال، الطريق إلى المدائن، ص ٣١٠ – ٣١١ .

٢ – معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٤٤

قال ابن كثير: ثم سار **خالد** بمن معه من المسلمين إلى **الفراض** وهي تخوم **الشام والعراق والجزيرة**، فأقام هنالك شهر رمضان مفطراً لشغله بالأعداء، ولما بلغ الروم أمر خالد ومصيره إلى قرب بلادهم، حموا وغضبوا وجمعوا جموعاً كثيرة، واستمدوا **تغلب وإياد والتمر**، ثم ناهدوا **خالداً** فحالت الفرات بينهم، فقالت **الروم لخالد**: اعبر إلينا، وقال خالد للروم: بل اعبروا أنتم، فعبرت الروم إليهم، وذلك **للنصف من ذي القعدة سنة ثنتي عشرة**، فاقتتلوا هنالك قتالاً عظيماً بليغاً، ثم هزم الله جموع الروم وتمكن المسلمون من اقتفائهم، فقتل في هذه المعركة مائة ألف، وأقام خالد بعد ذلك بالفراض عشرة أيام ثم أذن بالقفول إلى **الحيرة**، لخمس بقين من ذي القعدة، وأمر عاصم بن عمرو أن يسير في المقدمة وأمر شجرة بن الأعزّ أن يسير في الساقة، وأظهر خالد أنه يسير في الساقة، وسار خالد في عدة من أصحابه وقصد شطر **المسجد الحرام**، وسار إلى مكة في طريق لم يسلك قبله قط ... . ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ج ٧، ص ٣٥٠ .

أقام خالد بالفراض عشرة أيام، ثم أذن بالقفول إلى **الحيرة**، لخمس بقين من ذي القعدة، وأمر عاصم ابن عمرو أن يسير في المقدمة، وأمر شَجَرة بن الأعزّ أن يسير في الساقة، وأظهر خالد أنه يسير في الساقة ثـم انطلق في كوكبة من أصحابه، وقصد شطر **المسجد الحرام**، وسـار إلى مكة في طريق لم يُسْلك قبله قـط، وتأتـىّ له في ذلك أمر لم يقع لغيره، فجعل يسـير معتسفاً على غير جادّة، حتى انتهى إلى **مكة** فأدرك الحج هذه السنة (١٢هـ)، ثم عاد فأدرك أمر الساقة قبل أن يصلوا الحيرة، ولم يعلم أبو بكر الصدّيق بذلك ايضاً إلا بعدما رجع أهل الحج من الموسم ؟ !، فبعث يعتب عليه في مفارقته الجيش !.

وأمـره بالذهـاب إلى الشام وجاء في خطاب أبي بكـر - رضي الله عنه - لخالد: أن سر حتى تأتي جموع المسلمـين باليرمـوك، فإنهم قد شجوا وأشجوا، وإياك أن تعود لمثـل مافعلت، فإنه لم يشج الجموع من الناس بعون الله شجاك ولم ينزع الشجى من الناس نزعك، فليهنئك أبا سليمان النية والحظوة، فأتمم يتم الله لك، ولايدخلنك عُجب فتخسر وتخذل، وإياك أن تدل بعمل، فإن الله له المن وهو ولي الجزاء . الطبري، المصدر السابق.

صورة تاريخية للمسجد الحرام تعود إلى أوائل العقد السابع من القرن الهجري الماضي

[illegible]

لقد أسلم خالد في العام الثامن للهجرة، وفي نفس العام كان فتح مكة، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحج من عامه ذاك وإنما عاد إلى المدينة، وحج بالناس عتاب بن أسيد . وفي العام التاسع أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر على الحج ولم يحج هو بنفسه، ولكنه حج في السنة العاشرة حجة الوداع. ولم نقف على ما يدلنا إن كان خالد قد حج إحدى هاتيك الحجج، ولكننا ندرك ونحس أنه حين يحج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن أكثر صحابته يحجون معه، وإذا لم يحج كان المتخلفون أكثر . فمن الجائز ألا يكون خالد قد حج في العام الثامن أو التاسع، ولكننا نرجح أن يكون قد أدى الحج في العام العاشر . أما العام الحادي عشر فمن المؤكد أنه لم يحج فيه، إذ كان مشغولاً في حروب الرِّدَّة، ... أما في هذا العام الثاني عشر، فإنه أول موسم حج بعد خروجه إلى العراق وبعد ما فتح الله عليه، أفلا يحمد الله ويشكره ويتقرب إليه بأداء فريضة الحج ؟

لقد عرف أبو بكر فيما بعد بما فعل خالد دون أن يستأذنه ودون أن يلقاه في الحج !، وقد كان أبو بكر على الموسم . لكن خالداً أندس وأصحابه بين الناس حتى قضوا مناسكهم، ثم انفلتوا راجعين إلى الحيرة بالعراق، فعفى أبو بكر عنه وقال : (لا أشيم سيفاً سلَّه اللهُ على الكفار) . بتصرف عن أحمد عادل كمال. الطريق إلى المدائن، ص ٣١٣ - ٣١٦ .

تحرك خالد من العراق إلى الشام بأمر الخليفة أبي بكر رضي الله عنه

في أوائل صفر من السنة الثالثة عشر من الهجرة المباركة

قال أبو بكر: والله لأنسينَّ الروم وساوس الشيطان بخالد ابن الوليد.

دُومًا: بالكوفة والنجفُ محلة منها، ويقال: اسمها دومة لأن عمر لما أجلى أكيدر صاحب دومة الجندَل قدم الحيرة فبنى بها حصنًا وسماه دومة أيضا. معجم البلدان.

المؤلف في تدمر (بالميرا) السورية أحد المدن المحصنة الرئيسة على حدود الإمبراطورية الرومانية
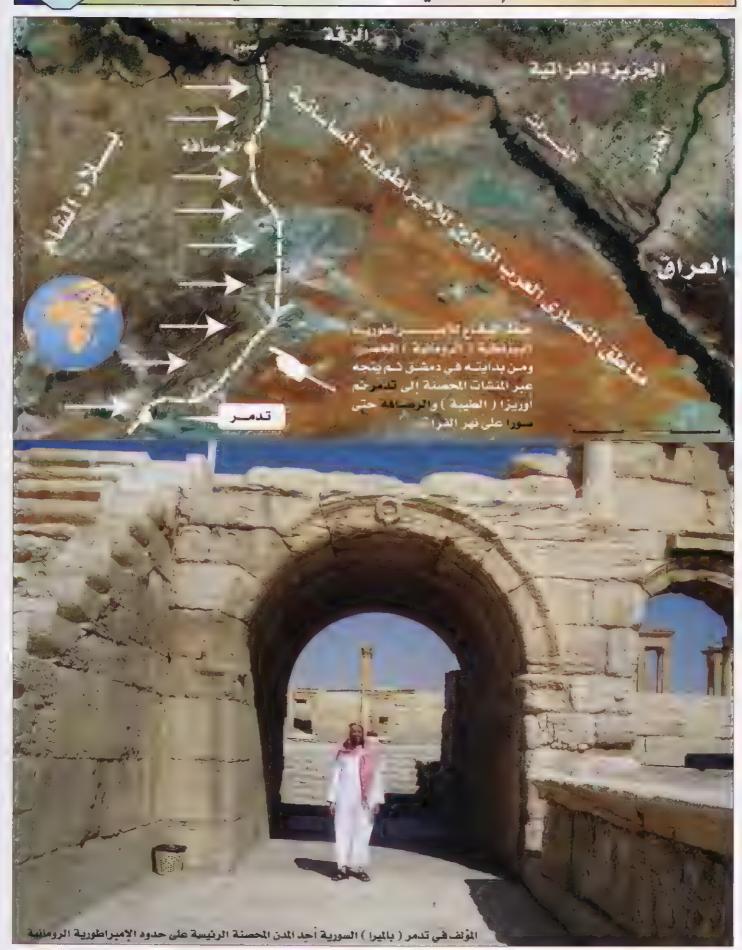
معركـــة بابـــل

أواخر ربيع أول من السنة الثالثة عشرة من الهجرة المباركة

استقام أهل فارس على رأس سنة من مقدم خالد الحيرة ، بعد خروج **خالد** بقليل وذلك في سنة ثلاث عشرة على شهر براز بن أردشير بن شهريار ممن يناسب إلى كسرى ثم إلى سابور فوجه إلى المثنى جنداً عظيماً عليهم هرمز جاذويه في عشرة آلاف ومعه فيل، وكتبت المسالح إلى **المثنى** بإقباله فخرج **المثنى** من **الحيرة** نحوه وضم إليه المسالح وجعل على مجنبتيه المعنى ومسعوداً ابني حارثة، وأقام له **ببابل** وأقبل **هرمز جاذويه** وعلى مجنبتيه **الكوكبذ والخوكبذ** وكتب إلى المثنى: من شهر براز إلى **المثنى** إني قد بعثت إليك جنداً من وخش أهل فارس إنما هم رعاة الدجاج والخنازير ولست أقاتلك إلا بهم. فأجابه المثنى من المثنى إلى شهر براز إنما أنت أحد رجلين إما باغ؛ فذلك شر لك وخير لنا، وإما كاذب فأعظم الكذابين عقوبة وفضيحة عند الله في الناس الملوك، وأما الذي يدلنا عليه الرأي فإنكم إنما اضطررتم إليهم؛ فالحمد لله الذي رد كيدكم إلى رعاة الدجاج والخنازير، فجزع أهل فارس من كتابه وقالوا: إنما أتي شهر براز من شؤم مولده ولؤم منشئه وكان يسكن **ميسان** وبعض البلدان شين على من يسكنه وقالوا له: جرأت علينا عدونا بالذي كتبت به إليهم فإذا كاتبت أحداً فاستشر فالتقوا **ببابل** فاقتتلوا بعدوة الصراة الدنيا على الطريق الأول قتالاً شديداً ثم إن المثنى وناساً من المسلمين اعتوروا الفيل وقد كان يفرق بين الصفوف والكراديس فأصابوا مقتله فقتلوه. وهزموا أهل فارس واتبعهم المسلمون يقتلونهم حتى جازوا بهم مسالحهم فأقاموا فيها وتتبع الطلب الفالة حتى انتهوا إلى **المدائن** . الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٤٢

بابِلُ: بكسر الباء، اسم ناحية منها الكوفة والحلّة، ينسب إليها السحرُ والخمرُ، قال الأخفش: لا ينصرف لتأنيثه، وذلك أن اسم كل شيء مؤنث إذا كان علماً وكان على أكثر من ثلاثة أحرف فإنه لا ينصرف في المعرفة. وقد ذكرت فيما يأتي في ترجمة بابليون معنى بابل عند أهل الكتاب. وقال المفسرون في قوله تعالى (وما أُنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت) قيل بابل العراق، وقيل بابل دُنباوند، وقال أبو الحسن: بابل الكوفة، وقال أبو معشر: الكلدانيون هم الذين كانوا ينزلون بابل في الزمن الأول، ويقال: إن أول من سكنها نوح، عليه السلام، وهو أول من عمرها، وكان قد نزلها بعقب الطوفان، فسار هو ومن خرج معه من السفينة إليها لطلب الدفء، فأقاموا بها وتناسلوا فيها وكثروا من بعد نوح، وملّكوا عليهم ملوكاً، وابتنوا بها المدائن، واتصلت مساكنهم بدجلة والفرات، إلى أن بلغوا من دجلة إلى أسفل كسكر ومن الفرات إلى ما وراء الكوفة، وموضعهم هو الذي يقال له السواد، وكانت ملوكهم تنزل بابل، وكان الكلدانيون جنودهم، فلم تزل مملكتهم قائمة إلى أن قُتل دارا آخر ملوكهم، ثم قُتل منهم خلق كثير فذلوا وانقطع مُلكهم؛ ... - الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٣٠٩.

من آثار بابل - العراق

المثنى بن حارثة يتولى القيادة بعد خالد ثم يتجه لمنازلة الفرس في بابل ويضع على ميمنته أخاه المعنى وعلى ميسرته أخاه مسعود .

هرمز جاذويه يتجه بقوته إلى بابل ويضع على ميمنته كوكبذ وعلى ميسرته خوكبذ .

شهربراز الفارسي يبعث رسالة إلى المثنى بن حارثة الشيباني جاء فيها [من شهربراز إلى المثنى . إني قد بعثت إليك جنداً من وخش [أرذل] أهل فارس، إنما هم رعاة الدجاج والخنازير ولست أقاتلك إلا بهم]

[من المثنى إلى شهربراز . إنما أنت أحد رجلين، إما باغ فذلك شر لك وخير لنا، فأعظم الكذابين عقوبة وفضيحة عند الله وفي الناس الملوك . وأما الذي يدلنا عليه الرأي فانكم إنما اضطررتم إليه . فالحمد لله الذي رد كيدكم إلى رعاة الدجاج والخنازير]

التقى الطرفان بأرض بابل وكان مع الفرس فيل من أفيال النزال أخذ يعيث في صفوف المسلمين فتداوله المثنى مع بعض المسلمين حتى أصابوا منه مقتلاً . وبموته تراجع الفرس وانهزمت صفوفهم وفروا من أرض المعركة خاسرين .

وفاة أبي بكـر الصدِّيق (رضي الله عنه)

عـاد الاضطـراب إلى بـلاد فارس، بعـد الفتنة التي حدثـت في بلاطه، فمـع انهزام هرمـز جاذويه مات شهربراز، قتله الحرس بعد أن ظل ملكاً أربعين يوماً. وعاد الفرس إلى اختلافهم في أزمة الملوك، وبقي ما دون دجلة وبُرس من السواد في أيدي **المثنى والمسلمين**، ثم ملكت دخت زنان بنت كسرى فلم ينفذ لها أمر فخلعت، وملـك سابور بن شهر براز بـن أردشير بن شهر براز . وقام بأمره فرخزاذ بن بندوان فسأل سابور أن يزوجه آزر ميدخـت بنـت كسرى فقبـل، ولكن ميدخت غضبت، وقالت: (يا ابن عـمِّ أتزوجني عبدي!؟). ثم تفاقم الوضع في البلاط الفارسي .

وحينمـا طـارد **المثنى** أعداء الله، حتى بلـغ أبواب **المدائن** كتب إلى **أبي بكر** - رضي الله عنه - بانتصاره على **الفرس**، واستأذنه في الاستعانة بمن تابوا من أهل الرِّدَّة، لكن انتظاره طال، وأبطأ عليه أبو بكر في الرد لتشاغلـه بأهـل الشام ومافيه من حـروب، فسار المثنى بنفســه إلى الصدِّيق واستناب علـى العراق بشير ابن الخصاصيــة، وعلى المسالح سعيد بن مـرة العِجْلي. فلما وصل **المدينة** وجد **أبا بكر** - رضي الله عنه - على فراش المرض وقـد شارف على المـوت، واستقبله **أبو بكـر** واستمع إليـه، واقتنع برأيه، ثـم طلب **عمر ابن الخطـاب** فجـاءه فقال له: اسمع ياعمر ما أقول لك، ثم اعمل به، إني لأرجوا أن أموت من يومي هذا، فإن أنا مـت فلا تمسيـنّ حتى تندب الناس مع المثنــى، ولاتشغلنكم مصيبة وإن عظمت عن أمـر دينكم ووصية ربكم، وقـدر رأيتنــي متوفَّـى رسول الله وماصنعـت ولم يُصَب الخلق بمثلـه... وإن فتح الله على أمـراء الشام فارْدُد أصحاب خالد إلى العراق فإنهم أهله وولاة أمره وحدّه، وهم أهل الضراوة بهم والجراءة عليهم .

قـال أبـو حامدالغـزالي: لما احتضر **أبو بكـر**- رضي الله تعالى عنه- جاءت **عائشـة** - رضي الله عنها - فتمثلـت بهـذا البيت: لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى ... إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدرُ ، فكشف عن وجهـه وقـال: ليس كذا ولكن قولي: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَـا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ) انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما فإن الحي إلى الجديد أحوج من الميت، وقالت عائشة - رضي الله عنها- عند موته: وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للأراملِ فقال **أبو بكر**: ذاك **رسول الله**. ودخلوا عليه فقالوا: ألا ندعو لك طبيباً ينظر إليك؟ قال: قد نظر إليَّ طبيبي وقال: إني فعال لما أريد، ودخل عليه **سلمان الفارسي** - رضي الله تعالى عنه - يعوده فقال: يا **أبا بكر** أوصنا فقال: إن الله فاتح عليكم الدنيا فلا تأخذنّ منها إلا بلاغك، واعلم أن من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله فلا تخفرن الله في ذمته فيكبك في النار

على وجهك. ولما ثقل **أبو بكر** - رضي الله تعالى عنه - وأراد الناس منه أن يستخلف، فاستخلف **عمر** - رضي الله عنه - ، فقال الناس له: استخلفت علينا فظاً غليظاً فماذا تقول لربك؟ فقال: أقول استخلفت على خلقك خير خلقك. ثم أرسل إلى **عمر** - رضي الله عنه - فجاء فقال: إني موصيك بوصية؛ اعلم أن لله حقاً في النهار لا يقبله في الليل، وأن لله حقاً في الليل لا يقبله في النهار، وأنه لا يقبل النافلة حتى تؤدي الفريضة، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا بالحق أن يثقل، وإنما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامة باتباع الباطل وخفته عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يخف، وإن الله ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم، فيقول القائل: أنا دون هؤلاء ولا أبلغ مبلغ هؤلاء؛ فإن الله ذكر أهل النار بأسوإ أعمالهم ورد عليهم صالح الذي عملوا، فيقول القائل: أنا أفضل من هؤلاء، وإن الله ذكر آية الرحمة وآية العذاب ليكون المؤمن راغباً راهباً ولا يلقي بيديه إلى التهلكة ولا يتمنى على الله غير الحق. فإن حفظت وصيتي هذه فلا يكون غائب أحب إليك من الموت ولا بدّ لك منه، وإن ضيعت وصيتي فلا يكون غائب أبغض إليك من الموت ولا بدّ لك منه، ولست بمعجزه.

وقال سعيد بن المسيب: لما احتضر **أبو بكر** - رضي الله عنه - أتاه ناس من الصحابة فقالوا: يا خليفة رسول الله زوّدنا فإنا نراك لما بك. فقال **أبو بكر**: من قال هؤلاء الكلمات ثم مات جعل الله روحه في الأفق المبين، قالوا: وما الأفق المبين؟ قال: قاع بين يدي العرش فيه رياض الله وأنهار وأشجار، يغشاه كل يوم مائة رحمة، فمن قال هذا القول جعل الله روحه في هذا المكان. اللهم إنك ابتدأت الخلق من غير حاجة بك إليهم، ثم جعلتهم فريقين فريقاً للنعيم وفريقاً للسعير فاجعلني للنعيم ولا تجعلني للسعير. اللهم إنك خلقت الخلق فرقاً وميزتهم قبل أن تخلقهم فجعلت منهم شقياً وسعيداً وغوياً ورشيداً، فلا تشقني بمعاصيك، اللهم إنك علمت ما تكسب كل نفس قبل أن تخلقها فلا محيص لها مما علمت، فاجعلني ممن تستعمله بطاعتك. اللهم إنّ أحداً لا يشاء حتى تشاء، فاجعل مشيئتك أن أشاء ما يقربني إليك. اللهم إنك قد قدّرت حركات العباد فلا يتحرّك شيء إلا بإذنك، فاجعل حركاتي في تقواك. اللهم إنك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهم عاملاً يعمل به، فاجعلني من خير القسمين. اللهم إنك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحدة منهما أهلاً، فاجعلني من سكان جنتك. اللهم إنك أردت بقوم الضلال وضيقت به صدورهم، فاشرح صدري للإيمان وزينه في قلبي، اللهم إنك دبرت الأمور وجعلت مصيرها إليك. فأحيني بعد الموت حياة طيبة وقرّبني إليك زلفى. اللهم من أصبح وأمسى ثقته ورجاؤه غيرك، فأنت ثقتي ورجائي ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال **أبو بكر**: هذا كله في كتاب الله عز وجل [١].

---

١ - إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٤١٤.

خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

كانت وفاة **الصدِّيق** رضي الله عنه في يوم الأثنين عشية، وقيل بعد المغرب ودفن من ليلته، وذلك لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة بعد مرض خمسة عشر يوماً، وكان عمر بن الخطاب يصلي عنه فيها بالمسلمين، وفي أثناء هذا المرض عهد بالأمر من بعده إلى **عمر بن الخطاب**، وكان الذي كتب العهد عثمان بن عفان، وقرىء على المسلمين فأقروا به وسمعوا له وأطاعوا، فكانت خلافة الصدِّيق سنتين وثلاثة أشهر، وكان عمره يوم توفي ثلاثاً ستين سنة، للسن الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد جمع الله بينهما في التربة، كما جمع بينهما في الحياة، فرضي الله عنه وأرضاه. فقام بالأمر من بعده أتم القيام الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وهو أول من سُمي بأمير المؤمنين. وكان أول من حياه بها المغيرة بن شعبة. وقد باشر عمر رضي الله عنه أعماله بصفته خليفة للمسلمين فور وفاة أبي بكر رضي الله عنه وفي أيامه، استكمل فتح الشام والعراق، والقدس ومصر والجزيرة. حتى قيل: انتصب في خلافته اثنا عشر ألف منبر في الإسلام. وهو أول من وضع للعرب التاريخ الهجري، وكانوا يؤرخون بالوقائع، واتخذ بيت مال للمسلمين، وأمر ببناء **البصرة والكوفة**. وهو أول من دوَّن الدواوين في الإسلام، جعلها على الطريقة الفارسية، لإحصاء أصحاب الأعطيات وتوزيع المرتبات عليهم، ورتب الناس على أسبقيتهم في العطاء والإذن والإكرام. وكان يطوف في الأسواق منفرداً. ويقضي بين الناس حيث يدركه الخصوم. وكتب إلى عماله[1]: (إذا كتبتم لي فابدأوا بأنفسكم).

روى الزهري: كان عمر إذا نزل به الأمر المعضل دعا الشبان فاستشارهم، يبتغي حدة عقولهم وهو أول من تفقد رعيته ليلاً وأول من حمل الدِّرَّة (وهي قطعة من الجلد) وأدَّب بها، ولقد قيل بعده لَدِرَّة عمر أهيب من سيفكم. وهو أول من سن الجماعة في قيام شهر رمضان وجمع الناس على ذلك، وأول من ضرب في الخمر ثمانين جلدة، وأول من وسّع مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، وأخرج اليهود من الحجاز وأجلاهم إلى الشام والكوفة. وكان أول ما فعله، لما ولي، أن ردَّ سبايا أهل الرِّدَّة إلى عشائرهن، وقال: كرهت أن يصير السبي سبة على العرب. وكانت الدراهم في أيامه على نقش الكسروية، وزاد في بعضها الحمد لله، ولله وفي بعضها لا إله إلا الله وحده، وفي بعضها محمد رسول الله. وكان نقش خاتمه: كفى بالموت واعظًا ياعمر. وفي أيامه، عام ١٨هـ، أصاب الناس مجاعة شديدة، وعرف بعام الرمادة لكثرة ما هلك به من الناس والأنعام جوعاً. وفيه ترك عمر قطع يد السارق وقال: لا يقطع في عذق ولا عام السنة والعذق: النخلة. فقد رأى عمر أن شرط القطع غير متحقق؛ لأن الضرورة مانع شرعي يبيح للإنسان أكل الميتة والدم ولحم الخنزير، فدرأ عنهم الحد لوجود الشبهة، وهي الجوع الذي لحق بالناس عام الرمادة. استمر الجدب تسعة أشهر، واستسقى عمر بالناس، وسأل العباس أن يدعو الله ويؤمِّن عمر والناس على دعائه، فأزال الله القحط.

---

١ - ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ج ٧، ص ٢٣.

وفي العام نفسه وقع طاعون عمواس بالشام، وهلك فيه خمسة وعشرون ألفاً. ومات فيه أبو عبيدة عامر بن الجراح ومعاذ بن جبل ويزيد بن أبي سفيان رضي الله عنهم. فلما بلغ عمر موتهم أمّر على الشام معاوية بن أبي سفيان. طعن أبو لؤلؤة فيروز الفارسي المجوسي (غلام المغيرة بن شعبة) غيلة الخليفة عمر بخنجر في خاصرته وهو في صلاة الصبح، وعاش بعد الطعنة ثلاث ليالٍ. وكانت ولايته عشر سنين وستة أشهر وأربع ليال. جعل الخلافة بعده شورى إلى ستة هم (عليّ، عثمان، طلحة، الزبير، سعد، عبد الرحمن بن عوف) وكانت الشورى فيمن يليه في الحكم ثلاثة أيام. حتى وقع اختيار المسلمين بالاجماع على ذي النورين (عثمان بن عفان رضي الله عنه).

جاء في منزلة **إيمان عمر** رضي الله عنه ما رواه عبد الله ابن هشام أنه قال: كنا مع **النبي صلى الله عليه وسلم** وهو آخذ بيد **عمر ابن الخطاب** فقال له عمر يا رسول الله، لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحبّ إليك من نفسك. فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحبُّ إليّ من نفسي. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: الآن يا عمر.

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: استأذن **عمر بن الخطاب** على **رسول الله صلى الله عليه وسلم** وعنده نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته فلما استأذن عمر بن الخطاب قمن فبادرن الحجاب، فأذن له رسول الله صلى فدخل عمر ورسول الله يضحك. فقال: أضحك الله سنك يا رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم: عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب. قال عمر: فأنت أحق أن يهبن يا رسول الله ثم قال عمر يا عدوات أنفسهن، أتهبنني ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن: نعم أنت أفظ وأغلظ من رسول الله فقال رسول : إيهاً يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً قط إلا سلك فجاً آخر هذا الحديث فيه بيان فضل عمر رضي الله عنه وأنه من كثرة التزامه الصواب لم يجد الشيطان عليه مدخلاً ينفذ إليه.

وأما القصة التي ذكرت في تسمية عمر نفسه أمير المؤمنين؛ فذكر الزبير قال: قال عمر لما ولي: كان أبو بكر يقال له خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يقال لي خليفة خليفة رسول الله يطول هذا قال: فقال له المغيرة بن شعبة: أنت أميرنا، ونحن المؤمنون. فأنت أمير المؤمنين. قال: فذاك إذن. قال أبو عمر: وأعلى من هذا في ذلك ما حدثنا خلف ابن قاسم حدثنا أبو أحمد بن الحسين بن جعفر ابن إبراهيم حدثنا أبو زكريا يحيى بن أيوب بن بادي العلاف حدثنا عمر بن خالد حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن موسى بن عقبة عن الزهري أن عمر ابن عبد العزيز سأل أبا بكر بن سليمان بن أبي خيثمة لأي شيء كان أبو بكر رضي الله عنه يكتب: من خليفة رسول الله؟ وكان عمر يكتب: من خليفة أبي بكر؟ ومن أول من كتب عبد الله أمير المؤمنين؟ فقال: حدثتني الشفاء وكانت من المهاجرات الأول أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى عامل العراق أن ابعث إليّ برجلين جلدين نبيلين، أسألهما عن **العراق وأهله**. فبعث إليه عامل العراق لبيد بن ربيعة العامري وعدي بن حاتم الطائي فلما قدما المدينة أناخا راحلتيهما بفناء المسجد ثم دخلا المسجد فإذا هما بعمرو بن العاص فقالا له: استأذن لنا على أمير المؤمنين يا عمرو؟ فقال عمرو: أنتما والله أصبتما باسمه، نحن المؤمنون وهو أميرنا. فوثب عمرو، فدخل على عمر، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين. فقال عمر: ما بدا لك في هذا الاسم؟ يعلم الله لتخرجن مما قلت أو لأفعلن. قال: إن لبيد بن ربيعة وعدي ابن حاتم قدما فأناخا راحلتيهما بفناء المسجد ثم دخلا المسجد وقالا لي: استأذن لنا يا عمرو على أمير المؤمنين، فهما والله أصابا اسمك، أنت الأمير ونحن المؤمنون. قال: فجرى الكتاب من يومئذ.

قال أبو عمر: وكانت الشفاء جدة أبي بكر وروينا من وجوه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يرمي الجمرة، فأتاه جمر فوقع على صلعته، فأدماه وثمة رجل من بني لهب، فقال: أشعر أمير المؤمنين، لا يحج بعدها. قال: ثم جاء إلى الجمرة الثانية، فصاح رجل: يا خليفة رسول الله. فقال: لا يحج أمير المؤمنين بعد عامه هذا. فقتل عمر بعد رجوعه من الحج.

ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب - (ج ١ / ص ٣٥٦)

أصبح الخليفة **عمر** - رضي الله عنه - قائداً للجيش الإسلامي. وكان أول عمل قام به، أن ندب الناس مع المثنى بن حارثة الشيباني على أهل فارس، وذلك قبل صلاة الفجر من الليلة التي مات فيها الصدِّيق - رضي الله عنه - ، ثم أصبح فبايعه الناس لقتال الفرس، وتتابع الناس على البيعة ثلاثة أيام، كل يوم يندبهم. حيث كانت سياسته الأولى التي اتبعها مع قواته هي سياسة التحشد والتعبئة، لذلك حرص كل الحرص على الحصول على المعلومات الدقيقة من قادته ومطالبته الدائمة منهم ببيانات عن العدو وعن الأرض التي يقاتلون عليها، مثال ذلك: كتابه إلى سعد قبيل معركة القادسية، وسوف ترى في قادم صفحات الأطلس ما يؤكد ذلك! بأن عمر كان يحيط نفسه باستخبارات دقيقة وبتفاصيل ودقائق المعلومات عن جيوشه وجيوش عدوه وعن طبيعة الأرض وساحة الحرب فكان يصدر تعليماته العسكرية عن هدًى وبصيرة. وكان **عمر** - رضي الله عنه - بوصفه القائد العام، يدير المعارك في الجبهات الثلاث وهو في مكانه بالمدينة النبوية، ويرسم لها الخطط، ويبعث بأوامره وتعليماته إلى القادة في الميدان ببصيرة نافذة، كأنه يشهد ببصره حركاتهم وقتالهم، وحينما كتب إلى أبي عبيدة بن الجراح ليصرف أهل العراق ومن اختارهم من أرض الشام على العراق ليمد بهم جيش سعد، فسرّح أبو عبيدة الجيش وهم ستة آلاف، وأمّر عليهم هاشم بن عتبة ابن أبي وقاص، وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو. وطلب من عمرو بن العاص أن يصف له مصر فأجابه بوصف بالغ الدقة. قال المؤرخون: إن الخليفة حين ورد عليه خطاب عمرو بن العاص قال: ((لله درك يا ابن العاص لقد وصفت لي خبراً كأنني أشاهده)). فكان عمر قائداً لجيوش المسلمين على جميع جبهات القتال.

لقد كان عمر - رضي الله عنه - حريصاً كل الحرص على أن لا يؤمّر على الجيش أميراً أو قائداً إلا إذا توافرت فيه شروط الجندية الحقة وقدره في القيادة وسبقه في الإسلام. (**انظر المستند**) وراح عمر ينشئ الجيش الإسلامي النظامي، بأسلوب متطور ينم عن عقلية فذة وكفاءة عالية، يقول الطبري: ((اتخذ عمر في كل مصر على قدره خيولاً، من فضول أموال المسلمين، وعُدةً لكون إن كان. فكان بالكوفة من ذلك أربعة آلاف فارس وكان كل مصر من الأمصار الثمانية كما كان بالكوفة))[١] ولعلك أخي القارئ الكريم.

١ - تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ج٤، ص ١٩٦.

شروط الجندية عند عمر

أولاً: أن يكون صحابياً لما للصحابة من تجارب مفيدة في ظل قيادة الرسول صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: تفضيله للسابقين الأولين من الصحابة، ولمن لهم أعمال بارزة في الإسلام.

ثالثاً: اختياره للقائد المكيث المتريث الغير متهور، فقد قال: لسيط بن عمرو الأنصاري يوماً (لولا عجلة فيك لوليتك، ولكن الحرب زبون لا يصلح لها إلا الرجل المكيث).

رابعاً: قوة شخصية القائد النافذة، فقد قال: (أني لأتحرج أن استعمل الرجل وأنا أجد أقوى منه).

خامساً: أن يكون القائد شجاعاً رامياً، فحين وجه سعد بن أبي وقاص على العراق قائداً عاماً للمسلمين قال: (إنه رجل شجاع رام).

سادساً: أن يكون القائد من أهل العلم والفقه.

الحياة الاجتماعية والاقتصادية في عصر الخلفاء الراشدين، ص ١١٧.

مستند

جاء في منزلة إيمان عمر- رضي الله عنه - ما رواه عبد الله بن هشام أنه قال: كنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحبّ إليك من نفسك. فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحبُّ إليّ من نفسي. فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : الآن يا عمر. وأما علمه فقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : بينما أنا نائم شربت – يعني اللبن – حتى أنظر إلي الرّي يجري في ظفري أو في أظفاري، ثم ناولت عمر. فقالوا: فما أولته قال العلم - فتح الباري، شرح صحيح البخاري، لابن حجر (٤٦/٧).

المهام الجهادية الأولى في عهد عمر رضي الله عنه

مستهل خلافة عمر الفاروق رضي الله عنه

قال الطبري: تكلم المثنى بن حارثة، فقال: يا أيها الناس، لا يعظمن عليكم هذا الوجه؛ فإنا قد تبحبحنا ريف فارس، وغلبناهم على خير شقي السواد وشاطرناهم ونلنا منهم؛ واجترأ من قبلنا عليهم؛ ولها إن شاء الله ما بعدها. وقام **عمر** رحمه الله في الناس؛ فقال: إن الحجاز ليس لكم بدار إلا على النجعة، ولا يقوى عليه أهله إلا بذلك؛ أين الطراء المهاجرون عن موعود الله! سيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها؛ فإنه قال: (ليظهره على الدين كله)، والله مظهر دينه، ومعز ناصره، ومول أهله مواريث الأمم. أين عباد الله الصالحون! فكان أول منتدب أبو عبيد ابن مسعود، ثم ثنى سعد بن عبيد - أو سليط بن قيس - فلما اجتمع ذلك البعث، قيل **لعمر**: أمر عليهم رجلاً من السابقين من المهاجرين والأنصار. قال: لا والله لا أفعل؛ إن الله إنما رفعكم بسبقكم وسرعتكم إلى العدو؛ فإذا أجبتم وكرهتم اللقاء؛ فأولى بالرياسة منكم من سبق إلى الدفع، وأجاب إلى الدعاء! والله لا أؤمر عليهم إلا أولهم انتداباً. ثم دعا أبا عبيد، وسليطاً وسعداً؛ فقال: أما إنكما لو سبقتماه لوليتكما ولأدركتما بها إلى مالكما من القدمة. **فأمر أبا عبيد** على الجيش، وقال لأبي عبيد: اسمع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وأشركهم في الأمر، ولا تجتهد مسرعاً حتى تتبين؛ فإنها الحرب، والحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث الذي يعرف الفرصة والكف[1].

بعث الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يعلى بن أمية إلى اليمن وأمره بإجلاء أهل نجران، لوصية رسول الله في مرضه بذلك، ولوصية أبي بكر رحمه الله بذلك في مرضه، وقال: ائتهم ولا تفتنهم عن دينهم ثم أجلهم من أقام منهم على دينه **وأقرر المسلم**، وامسح أرض كل من تجلي منهم ثم خيرهم البلدان، وأعلمهم أنا نجليهم بأمر الله ورسوله؛ **ألا يترك بجزيرة العرب دينان**؛ فليخرجوا؛ من أقام على دينه منهم ثم نعطيهم أرضاً كأرضهم؛ إقراراً لهم بالحق على أنفسنا، ووفاء بذمتهم فيما أمر الله من ذلك، بدلاً بينهم وبين جيرانهم من أهل اليمن وغيرهم فيما صار لجيرانهم بالرّيف[2].

أبو عبيد بن مسعود بن عمرو ابن عمير بن عوف بن عقدة ابن غيرة بن عوف بن ثقيف الثقفي، صاحب المنبر الذي استشهد في جماعة من المسلمين في قتال الفرس، فيقال قتل يوم جسر أبو عبيد؛ وهو والد المختار بن أبي عبيد الذي غلب على الكوفة في خلافة عبدالله بن الزبير سنة ثلاث عشرة، وقال أبو بكر ابن أبي شيبة في مصنفه: حدثنا أبو أسامة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: كان أبو عبيد بن مسعود الثقفي عبر الفرات إلى نهروان فقطعوا الجسر خلفه فقتل وقتل أصحابه وقال البلاذري: يقال إن الفيل برك على أبي عبيد فمات تحته فأخذ الراية أخوه الحكم فقتل فأخذها جبر ابن أبي عبيد فقتل[3].

أبو عبيد
ابن مسعود بن عمرو الثقفي
والد المختار بن أبي عبيد أمير العراق، ووالد صفية امرأة عبد الله بن عمر. أسلم أبو عبيدة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وذكره الشيخ أبو عمر بن عبد البر في الصحابة. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٧، ص ٥٨

١- تاريخ الرسل (الأمم) والملوك، مج، ص ٣٦١
٢- الطبري، تاريخ الرسل (الأمم) والملوك، مج، ص ٣٦١ - ٣٦٢
٣- الإصابة في معرفة (تمييز) الصحابة - ج ٣ / ص ٣٦٦

المهام الجهادية الأولى في عهد الخليفة عمر (رضي الله عنه)
شمال
الإمبراطورية البيزنطية
الإمبراطورية الساسانية
أرض الشام
العراق
أرض فارس
سيناء
مصر
النوبة
أرض السودان
مملكة أكسوم الحبشية
نجد
البحرين
أرض الحجاز
أرض اليمن
شبه الجزيرة العربية
بحر الروم (المتوسط)
خليج البحرين (العربي)
البحر الأحمر
(بحر القلزم)
المحيط الهندي (بحر العرب)
ج الأسيا
حماة
حمص
بيروت
دمشق
بصرى
عمان
بيت المقدس
غزة
معان
أيلة
البدع
أرض مدين
تبوك
تيماء
صباء
العُلا
وادي القرى
الوجه
خيبر
أملج
المدينة النبوية
ينبع
بدر
جدة
مكة المكرمة
الشعيبة
الليث
بيشة
القنفذة
أبها
جازان
ج فرسان
نجران
صنعاء
مصوع
اكسوم
سواكن
الحديدة
المكلا
حضرموت
تعز
شقرة
المخا
عدن
المدائن
الحيرة
الأبلة
كاظمة
١ المثنى بن حارثة الشيباني ، يستخلف بشير بن الخصاصية على العراق، ويضع على المسالح سعيد بن مرة، ويتوجه إلى المدينة النبوية .
٢ وصول المثنى بن حارثة الشيباني إلى المدينة النبوية، والخليفة أبو بكر يحتضر؛ فأوصى أبو بكر، عمر أن يندب المسلمين للقتال مع المثنى في العراق .
٣ عمر - رضي الله عنه - خليفة للمسلمين؛ ينادي في المسلمين (الصلاة جامعة) ، ثم يدعوهم بالجهاد في أرض العراق .
٤ عودة المثنى بن حارثة الشيباني إلى العراق، بعد أن وجدت دعوته صدى عند خليفة المسلمين الجديد عمر الفاروق - رضي الله عنه -.
٥ عمر - رضي الله عنه - يعيّن أبا عبيدة بن مسعود الثقفي، قائداً لجيش المسلمين في العراق، ويخرج معه ألف مقاتل بعد شهر من مسير المثنى .
٦ عمر - رضي الله عنه - يبعث؛ يعلى بن أمية إلى اليمن ويأمره بإجلاء أهل نجران لوصية رسول الله في مرضه بذلك، ولوصية أبي بكر رحمه الله بذلك في مرضه. انظر تفصيل ذلك في الصفحة السابقة.
٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠ ٥٠٠ كم

معركة النمارق

٨ شعبان سنة ١٣ هـ

قال الطبري: وإنما غزا - المسلمون - حين أذن **عمر** لأهل الرِّدَّة في الغزو وقد كانت فارس تشاغلت بموت شهر براز عن المسلمين؛ فملكت شاه زنان حتى اصطلحوا على سابور بن شهربراز بن أردشير بن شهريار، فثارت به آزرميدخت، فقتلته والفرخزاذ، وملكت ورستم بن الفرخزاذ بخراسان على فرجها، فأتاه الخبر عن بوران، وقدم المثنى الحيرة من المدينة في عشر ولحقه أبو عبيد بعد شهر، فأقام المثنى بالحيرة خمس عشرة ليلة، وكتب رستم إلى دهاقين السواد أن يثوروا بالمسلمين ودس في كل رستاق رجلاً ليثور بأهله، فبعث جابان إلى البهقباذ الأسفل وبعث نرسى إلى كسكر، ووعدهم يوماً وبعث جنداً لمصادمة المثنى، وبلغ المثنى ذلك، فضم إليه مسالحه وحذر وعجل جابان، فثار ونزل النمارق وتوالوا على الخروج. فخرج نرسي فنزل زندورد وثار أهل الرساتيق من أعلى الفرات إلى أسفله، وخرج المثنى في جماعة حتى ينزل خفان لئلا يؤتى من خلفه بشيء يكرهه وأقام حتى قدم عليه أبو عبيدة فكان أبو عبيد على الناس فأقام بخفان أياماً ليستجم أصحابه، وقد اجتمع إلى جابان بشر كثير، وخرج أبو عبيد بعد ما جم الناس وظهرهم، وتعبى فجعل المثنى على الخيل وعلى ميمنته والق بن جيدارة، وعلى ميسرته عمرو بن الهيثم بن الصّلت بن حبيب السلمي، **وعلى مجنبتي جابان جشنس ماه، ومردانشاه، فنزلوا على جابان بالنمارق فاقتتلوا قتالاً شديداً فهزم الله أهل فارس، وأسر جابان**؛ أسره مطر بن فضة التميمي، وأسر مردانشاه؛ أسره أكتل بن شماخ العكلي، فأما أكتل فإنه ضرب عنق مردانشاه، وأما مطر بن فضة فإن جابان خدعه حتى تفلت منه بشيء فخلى عنه، فأخذه المسلمون فأتوا به أبا عبيد وأخبروه أنه الملك، وأشاروا عليه بقتله فقال: إني أخاف الله أن أقتله، وقد آمنه رجل مسلم والمسلمون في التواد والتناصر كالجسد ما لزم بعضهم، فقد لزمهم كلهم فقالوا: له إنه الملك، قال: وإن كان لا أغدر، فتركه !؟ [1].

فتنة في البلاط الفارسي!؟

لما قتل سياوخش فرخزاذ ابن البندوان وملكت آزرميدخت اختلف أهل فارس وتشاغلوا عن المسلمين غيبة المثنى كلها إلى أن رجع من المدينة، فبعثت بوران إلى رستم بالخبر واستحثته بالسير وكان على فرج خراسان فأقبل في الناس حتى نزل المدائن لا يلقى جيشاً لآزرميدخت إلا هزمه فاقتتلوا بالمدائن فهزم سياوخش، وحصر وحصرت آزرميدخت، ثم افتتحها فقتل سياوخش وفقأ عين آزرميدخت ونصب بوران، ودعته إلى القيام بأمر أهل فارس وشكت إليه تضعضعهم وإدبار أمرهم على أن تملكه عشر حجج، ثم يكون الملك في آل كسرى إن وجدوا من غلمانهم أحداً وإلا ففي نسائهم، فقال رستم: أما أنا فسامع مطيع غير طالب عوضاً ولا ثواباً، وإن شرفتموني وصنعتم إلي شيئاً فأنتم أولياء ما صنعتم، إنما أنا سهمكم وطوع أيديكم. فقالت بوران: اغد علي، فغدا عليها ودعت مرازبة فارس، وكتبت له: بأنك على حرب فارس ليس عليك إلا الله عز وجل عن رضا منا وتسليم لحكمك، وحكمك جائز فيهم ما كان حكمك في منع أرضهم، وجمعهم عن فرقتهم، وتوجته وأمرت أهل فارس أن يسمعوا له ويطيعوا فدانت له فارس بعد قدوم أبي عبيد [2].

١- تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ط. دار الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، ص ٥٧٠

٢- تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ط. دار الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، ص ٥٧٠

١ - كتب رستم إلى دهاقين السواد أن يثوروا بالمسلمين ودس في كل رستاق رجلاً ليثور بأهله، ثم عجِل جابان فثار ونزل النمارق.

٢ - خرج **المثنى** في جماعة حتى نزل خَفّان؛ لئلا يؤتى من خلفه بشيء يكرهه، وأقام حتى قدِم عليه **أبو عبيد**؛ فكان أبو عبيد قائداً لجيش المسلمين بأمر الخليفة **عمر ابن الخطاب** – رضي الله عنه –، فأقام أبو عبيد بخفّان أياماً ليستجمّ أصحابه من وعثاء الطريق.

٣ - جابان يطلب من المدائن إمدادات تعبوية للجيش الفارسي في النمارق.

٤ - أبو عبيد يعبأ الجيش الإسلامي، ويجعل المثنى على الخيل، وعلى الميمنة والق بن جيدارة، وعلى الميسرة عمرو ابن الهيثم بن الصّلت، وتوجه بالجيش نحو النمارق.

النَّمَارِقُ: موضع قرب الكوفة من أرض العراق نزله عسكر المسلمين في أول ورودهم العراق؛ فقال المثنى ابن حارثة الشيباني:

غَلَبنا على خَفّانَ بيداً مُشيحةً
إلى النخلات السُّمر فوق النمارق
وإنّا لنرجو أن تجول خيولنا
بشاطئ الفرات بالسيوف البوارق

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٢٦.

معركة السقاطية

١٢ شعبان سنة ١٣ هـ

قال الطبري: وقال أبو عبيد حين انهزموا - الفرس - وأخذوا نحو كسكر ليلجؤوا إلى نرسي، وكان نرسي ابن خالة كسرى، وكانت كسكر قطيعة له، وكان النرسيان له يحميه لا يأكله بشر ولا يغرسه غيرهم أو ملك فارس إلا من أكرموه بشيء منه وكان ذلك مذكورا من فعلهم في الناس وأن ثمرهم هذا حمى فقال له رستم وبوران اشخص إلى قطيعتك فاحمها من عدوك وعدونا وكن رجلاً فلما انهزم الناس يوم النمارق ووجهت الفالة نحو نرسي - ونرسي في عسكره - نادى أبو عبيد بالرحيل، وقال للمجردة: أتبعوهم حتى تدخلوهم عسكر نرسي، أو تبيدوهم فيما بين النمارق إلى بارق إلى درتا.

وقال عاصم بن عمرو في ذلك:

لعمري وما عمري علي بهين ... لقد صبحت بالخزي أهل النمارق
بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم ... يجوسونهم ما بين درتا وبارق
قتلناهم ما بين مرج مسلح ... وبين الهوافي من طريق البذارق [١].

ومضى أبو عبيد حين ارتحل من النمارق حتى ينزل على نرسي بكسكر - ونرسي يومئذ بأسفل كسكر - والمثنى في تعبيته التي قاتل فيها جابان، ونرسي على مجنبتيه ابنا خاله - وهما ابنا خال كسرى بندويه وتيرويه ابنا بسطام-، وأهل باروسما ونهر جوبر والزوابي معه إلى جنده، وقد أتى الخبر بوران ورستم بهزيمة جابان فبعثوا إلى الجالنوس، وبلغ ذلك نرسي وأهل كسكر وباروسما ونهر جوبر والزاب، فرجوا أن يلحق قبل الوقعة وعاجلهم أبو عبيد فالتقوا أسفل من كسكر بمكان يدعى السقاطية فاقتتلوا في صحاري ملس قتالاً شديداً **ثم إن الله هزم فارس** وهرب نرسي وغلب على عسكره وأرضه وأخرب أبو عبيد ما كان حول معسكرهم من كسكر وجمع الغنائم فرأى من الأطعمة شيئاً عظيماً فبعث فيمن يليه من العرب، فانتقلوا ما شاؤوا وأخذت خزائن نرسي فلم يكونوا بشيء مما خزن أفرح منهم بالنرسيان؛ لأنه كان يحميه ويمالئه عليه ملوكهم فاقتسموه فجعلوا يطعمونه الفلاحين وبعثوا بخمسه إلى **عمر وكتبوا إليه: إن الله أطعمنا مطاعم كانت الأكاسرة يحمونها، وأحببنا أن تروها ولتذكروا إنعام الله وإفضاله.**

وأقام أبو عبيد وسرح المثنى إلى باروسما وبعث والقا إلى الزوابي وعاصماً إلى نهر جوبر، فهزموا من كان تجمع وأخربوا وسبوا، وكان مما أخرب المثنى وسبى أهل زندورد وبسوسيا، وكان أبو زعبل من سبي زندورد، وهرب ذلك الجند إلى الجالنوس فكان ممن أسر عاصم أهل بيتيق من نهر جوبر، وممن أسر والق أبو الصّلت. وخرج فروخ وفروندإذ إلى المثنى يطلبان الجزاء والذمة دفعاً عن أرضهم فأبلغهما أبا عبيد: أحدهما باروسما والآخر نهر جوبر فأعطياه عن كل رأس أربعة فروخ عن باروسما وفرونداذ عن نهر جوبر ومثل ذلك الزوابي وكسكر وضمنا لهم الرجال عن التعجيل ففعلوا وصاروا صلحاً وجاء فروخ وفرونداذ إلى أبي عبيد بآنية فيها أنواع أطعمة فارس من الألوان والأخبصة وغيرها، فقالوا هذه كرامة أكرمناك بها، وقرى لك. قال أأكرمتم الجند وقريتموهم مثله؟ قالوا: لم يتيسر ونحن فاعلون، وإنما يتربصون بهم قدوم الجالنوس. وما يصنع، فقال أبو عبيد: فلا حاجة لنا فيما لا يسع الجند فرده، وخرج أبو عبيد حتى ينزل بباروسما فبلغه مسير الجالنوس. كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن النضر بن السري الضبي، قال: فأتاه الأندرزغر بن الخركبذ بمثل ما جاء فروخ وفرونداذ. فقال لهم: أأكرمتم الجند بمثله وقريتموهم؟ قالوا: لا، فرده، وقال: لا حاجة لنا فيه، بئس المرء أبو عبيد، إن صحب قوماً من بلادهم أهراقوا دماءهم دونه، أو لم يهريقوا فاستأثر عليهم بشيء يصيبه! لا والله لا يأكل مما أفاء الله عليهم إلا مثل ما يأكل أوساطهم [٢].

١- تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ط. دار الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، ص ٥٧١

٢- تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ط. دار الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، ص ٥٧١

(١) الجيش الفارسي بقيادة (نرسي)، يفر من أرض المعركة إلى **كسكر** بعد هزيمة الفرس المدوية في النمارق .

(٢) القائد العام للقوات الإسلامية في العراق (أبو عبيد الثقفي)، يأمر قوات المسلمين؛ بقيادة المثنى بن حارثة مطاردة فلول الجيش الفارسي المنهزم.

> **السَّقَاطِيَةُ :** ناحية بكَسْكَر من أرض واسط وقع عندها أبو عبيد الثقفي بالنرسيان صاحب جيوش الفرس فهزمه شرّ هزيمة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣ ، ص ٢٢٦.

(٣) القائد الفارسي **رستم** يرسل من المدائن (جالينوس) ليدرك المعركة القادمة بين المسلمين والفرس المجوس في كسكر .

(٤) القائد المسلم **أبو عبيد** يقطع الطريق على (جالينوس)، ويلتقي معه في السقاطية، فاقتتلوا في صحاري ملس قتالاً شديداً، انتهت بنصر مؤزر للمسلمين .

(٥) حينما هرب **نرسي** غلبه **أبو عبيد** على عسكره وأرضه، فدمر معسكرهم من أرض **كسكر** .

كَسْكَرُ: بالفتح ثم السكون، وكاف أُخرى، وراء، معناه عامل الزرع: كورة واسعة ينسب إليها الفراريج الكسكرية لأنها تكثر بها جداً، رأيتها أنا، تباع فيها أربعة وعشرون فَرّوجاً كباراً بدرهم واحد؛ قال ابن الحجاج: ما كان قطّ غذاءها إلا الدجاج المُصْدر

والبط يجلب إليها لكن يجلب من بعض أعمال كسكر، وقصبتها اليوم **واسط** القصبة التي بين الكوفة والبصرة، وكانت قصبتها قبل أن يمصّر الحجاج واسطاً خسرو سابور. ويقال إن حدّ كورة كسكر من الجانب الشرقي في آخر سَقْي النهروان إلى أن تصبّ دجلة في البحر كله من كسكر فتدخل فيه على هذا البصرة ونواحيها، فمن مشهور نواحيها: المبارك، وعبدسي، والمذار، ونغيا، ومَيْسان، ودَسْتميسان، وآجام البريد، فلما مصّرت العرب الأمصار فرّقتها، ومن كسكر أيضاً في بعض الروايات: إسكاف العلْيا، وإسكاف السفْلى، ونفّر، وسمّر، وبَهَنْدَف، وقُرْقوب، وقال الهيثم بن عدي: لم يكن بفارس كورة أهلها أقوى من كورتين كورة سهلية وكورة جبلية، أما السهلية فكسكر وأما الجبلية فأصبهان، وكان خراج كل واحدة منهما اثني عشر ألف ألف مثقال. قالوا: وسميت كسكر بكسكر بن طهمورث الملك الذي هو أصل الفرس، وقد ذكر في فارس، وقال آخرون: معنى كسكر بلد الشعير بلغة أهل هراة؛ وقال عبيد الله بن الحُرّ:

أنا الذي أجليتُكم عن كَسكَر ثم هَزَمْتُ جمعكم بتُستَر
ثم انقضضْت بالخيول الضُّمّر حتى حَلَلْتُ بين وادي حِميَر

وسمع عِمْران بن حِطّان قوماً من أهل البصرة أو الكوفة يقولون: ما لنا وللخروج وأرزاقنا دارّة وأعطياتُنا جارية وفقرنا نائمٌ؛ فقال عمران بن حِطّان:

فلو بُعثت بعض اليهود عليهمُ تَؤمّهُمُ أو بعض من قد تَنَصّرا
لقالوا: رضينا إن أقمت عطاءنا وأجْريت ما قد سُنّ من بُرّ كسكرا.

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٦١.

نهـر دجلة وهو يخترق محافظه واسـط بجمهوريه العراق .

محافظة واسط

في الأعلى: المرئية الفضائية لمدينة الكوت بمحافظة واسط بجمهورية العراق، وفي الأسفل: صورة فوتوغرافية للكوت ونهر دجلة يخترقها
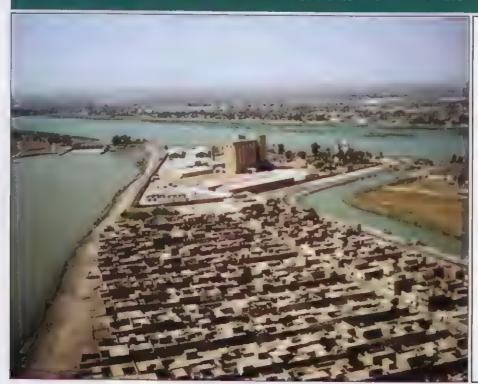
محافظة واسط: هـي محافظة تقع وسـط جمهوريـة العراق. سميت باسم مدينة واسط التي بناها الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٧٨ هجريـة، وأتمها في سنة ٨٦ هجرية؛ لتكون مقراً جديداً لجنوده المشاركين في عملية الفتح الإسلامي. وتعتبر مركز محافظة واسط الحالي هي مدينة الكوت التي من سماتها المميزة أنها على شكل شبه جزيـرة تحيط بهـا المياه من جهات الشرق والغرب والجنوب وتبعد عن بغداد التي تقع شمالها ١٨٠كم، وتربطها بجنوبي العراق.

مدينة الكوت (مركز محافظه واسط) يحيطها نهر دجلة و تقع فيها سـدة الكوت، وتحـاذي واسط من الغرب محافظـات القادسية التي مركزها مدينة الديوانية، ومحافظة بابل التي مركزها مدينة الحلة وهـي أقـرب المدن من ناحيـة الغـرب لواسط، ويحدها مـن الشرق مدينة مهران التابعه لإيران. وتقع الكوت على نهر دجلة وتتفرع منها أنهار: الدجيلي، والغراف، وشـط الشطرة، وشط البدعة، وغيرها، وهـي منطقة سهليـة يعد مناخهـا انتقالياً بين منـاخ البحر الأبيض المتوسـط والمنـاخ الصحـراوي الحـار والجـاف، أمطارهـا قليلـة وحرارتهـا عالية، وتبدأ الحرارة فيها بالارتفـاع اعتباراً من مارس، وتبلغ ذروتها في يوليو وأغسطس.

معركة باقسياثا

١٧ شعبان سنة ١٣ هـ

قـال الطبري: كان **جابان ونرسي** استمدا **بوران**، فأمدتهما **بالجالنوس** في جند جابان، وأمر أن يبدأ بنرسي، ثم يقاتل **أبا عبيد** بعد، فبادره أبو عبيد، فنهض في جنده قبل أن يدنو، فلما دنا استقبله أبو عبيد، فنزل الجالنوس بباقسياثا من باروسما، فنهد إليه أبو عبيد، في **المسلمين** وهو على تعبيته فالتقوا على باقسياثا، **فهزمهم المسلمون وهرب الجالنوس**، وأقام أبو عبيد، قد غلب على تلك البلاد.

(قـال الـرواة): أتاه أولئك الدهاقين المتربصون جميعاً بما وسع الجند، وهابوا وخافوا على أنفسهم وأما النضر ومجالد فإنهما قالا: قال أبو عبيد: ألم أعلمكم أني لست آكلاً إلا ما يسع من معي ممن أصبتم بهم؟ قالوا: لم يبق أحد إلا وقد أتى بشبعه من هذا في رحالهم وأفضل.

فلما راح الناس عليه سألهم عن قرى أهل الأرض فأخبروه، وإنما كانوا قصروا أولاً تربصاً ومخافة عقوبة أهل فارس. وأما محمد وطلحة وزياد فإنهم قالوا: فلما علم قبل منهم وأكل وأرسل إلى قوم كانوا يأكلون معه أضيافاً عليه يدعوهم إلى الطعام، وقد أصابوا من نزل فارس ولم يروا أنهم أتوا أبا عبيد بشيء فظنوا أنهم يدعون إلى مثل ما كانوا يدعون إليه من غليظ عيش أبي عبيد، وكرهوا ترك ما أتوا به من ذلك، فقالوا له: قل للأمير إنا لا نشتهي شيئاً مع شيء أتتنا به الدهاقين، فأرسل إليهم إنه طعام كثير من أطعمة الأعاجم، لتنظروا أين هو مما أتيتم به! إنه قرو ونجم وجوزل وشواء وخردل، فقال في ذلك عاصم بن عمرو وأضيافه عنده:

إن تك ذا قرو ونجم وجـوزل ... فعند ابن فروخ شواء وخردل
وقرو رقاق كالصحائف طويت ... على مزع فيها بقول وجـوزل

وقال أيضاً:

صبحنا بالبقايس رهط كسرى ... صبوحاً ليس من خمر السواد
صبحناهم بكل فتى كمي ... وأجرد سابح من خيل عاد

ثـم ارتحل أبو عبيد، وقدم المثنى، وسار في تعبيته حتى قدم **الحيرة**. وقال النضر ومجالد ومحمد وأصحابه: تقدم عمر إلى أبي عبيد فقال إنك تقدم على أرض المكر والخديعة والخيانة والجبرية تقدم على قوم قد جرؤوا على الشر فعلموه، وتناسوا الخير فجهلوه، فانظر كيف تكون! واخزن لسانك، ولا تفشين سرك، فإن صاحب السر ما ضبطه، متحصن لا يؤتى من وجه يكرهه، وإذا ضيعه كان بمضيعة [1].

١- تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ط. دار الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، ص ٥٧٢

(١) قائد المسلمين العام في العراق (أبو عُبيد)، يوجه جيشه صوب باقسياثا؛ بعد أن علم بمسير الجالونس (جالينوس) إليها، واجتماع فلول جابان فيها .

(٢) (جالينوس) يفر من أرض المعركة بعد الانتصار الكبير للمسلمين على الفرس في باقسياثا .

(٣) أبو عُبيد؛ يتوجه إلى الحيرة بعد أن جعل المثنى بن حارثة الشيباني على مقدمته وسار على تعبئته.

(٤) رؤساء القرى(الدهاقين) في أرض السواد يقومون بملاطفة المسلمين، بعد تضعضع الوجود الفارسي فيها.

باقُسْيَاثا: بضم القاف، وسكون السين، وياء، وألف، وثاء مثلثة، وألف أخرى: ناحية بأرض السواد من عمل بارُسْما، أوقع عندها أبو عبيد الثقفي بالجالينوس صاحب جيش الفُرس فهزمه، وذلك في سنة ١٣ للهجرة، في أيام عمر بن الخطاب، رضي الله عنه.

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١ ، ص ٣٢٧.

معركة الجسـر (المروحة)

[illegible] شعبان سنة ١٣ هـ

قـال الطـبري: لما رجع الجالنوس إلى رستـم ومن أفلت من جنوده، قال رستم: أي العجم أشد على العرب فيما ترون؟ قالوا: بهمن جاذويه، فوجهه ومعه فيلة، ورد الجالنوس معه، وقال له: قدم الجالنوس فإن عاد لمثلها فاضرب عنقه، فأقبل بهمن جاذويه ومعه **درفش كابيان راية كسرى**، وكانت من جلود النمر، عرض ثمانية أذرع في طول اثني عشر ذراعاً وأقبل أبو عبيد، فنزل المروحة، موضع البرج والعاقول، فبعث إليه بهمن جاذويه: إما أن تعبروا إلينا وندعكـم والعبـور وإما أن تدعونا نعبر إليكم ! فقال الناس: **لا تعبر يا أبا عبيد ننهاك عن العبور وقالوا له: قـل لهم فليعـبروا**،وكان من أشد الناس عليه في ذلك: سليط -فلج أبو عبيد، وترك الرأي، وقال: لا يكونون أجرأ على الموت منا، بل نعبر إليهم. فعبروا إليهم وهم في منزل ضيق المطرد والمذهب، فاقتتلوا يوماً - وأبو عبيد فيما بين الستة والعشرة - حتى إذا كان من آخر النهار، واستبطأ رجل من ثقيف الفتح، ألف بين الناس، فتصافحوا السيوف وضـرب أبـو عبيد **الفيل**، وخبط الفيل أبا عبيد، وقد أسرعت السيوف في أهل فارس، وأصيب منهم ستة آلاف في المعركـة، ولم يبـق ولم ينتظر إلا الهزيمـة فلما خبط أبو عبيد، وقـام عليه الفيل جال المسلمـون جولة ثم تموا عليها وركبهـم أهل فارس، فبـادر رجل من ثقيف إلى الجسر فقطعـه فانتهى الناس إليه والسيـوف تأخذهم من خلفهم، فتهافتـوا فـي الفـرات، فأصابوا يومئذ من المسلمين أربعـة آلاف من بين غريق وقتيل، وحمـى المثنى الناس وعاصم والكلـج الضبي ومذعـور، حتى عقدوا الجسـر وعبروهم ثم عبروا في آثارهـم، فأقاموا **بالمروحـة** والمثنى جريح والكلـج ومذعـور وعاصـم وكانوا حماة الناس مـع المثنى وهرب من النـاس بشر كثير على وجوههـم وافتضحوا في أنفسهـم واستحيـوا مما نزل بهم وبلغ ذلك عمر عن بعض من أوى إلى المدينة، فقال: عباد الله ! اللهم إن كل مسلم فـي حـل مني، أنا فئة كل مسلم، يرحـم الله أبا عبيد لو كان عبر فاعتصم بالخيف أو تحيز إلينا ولم يستقتل لكنا له فئـة ! وبينـا أهل فارس يحاولون العبور أتاهم الخبر أن الناس بالمدائن قد ثـاروا برستم، ونقضوا الذي بينهم وبينه فصاروا فرقتين: الفهلوج على رستم، وأهل فارس على الفيرزان، وكان بين وقعة اليرموك والجسر أربعون ليلة. وكان الـذي جـاء بالخبر عـن اليرموك جريـر بن عبـد الله الحميري، والـذي جاء بالخبر عـن الجسر عبـد الله بن زيد الأنصـاري - وليـس بالذي رأى الرؤيا - فانتهى إلى **عمر وعمر** على المنبر، فنادى عمر: الخبر يا عبد الله بن زيد! قـال: أتـاك الخبر اليقين، ثم صعد إليه المنبر فأسر ذلك إليه، وكانت اليرموك في أيام من جمادى الآخرة والجسر في شعبان.

واستعمل **رستم** على حرب **أبي عبيد بهمن جاذويه** وهو ذو الحاجب ورد معه **الجالنوس** ومعه الفيلة؛ فيها فيـل أبيض عليه النخل، وأقبل في الدهم، وقـد استقبله **أبو عبيد** حتى انتهى إلى **بابل** فلما بلغه انحاز حتى جعل الفرات بينه وبينه فعسكر بالمروحة، ثم إن أبا عبيد: ندم حين نزلوا به، وقالوا: إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر فحلف ليقطعن الفرات إليهم وليمحصن ما صنع، فناشده سليط بن قيس ووجوه الناس، وقالوا: إن العرب لم تلق مثل جنود

١- تاريـخ الأمم (الرسـل) والملوك، ط. دار الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، ص ٥٧٢

طريقا المسلمين والفرس إلى معركة الجسر (المروحة)

فارس مذ كانوا وإنهم قد حفلوا لنا واستقبلونا من الزهاء والعدة بما لم يلقنا به أحد منهم، وقد نزلت منزلاً لنا فيه مجال وملجأ ومرجع من فرة إلى كرة، فقال: لا أفعل، جبنت والله! وكان الرسول فيما بين ذي الحاجب وأبي عبيد مردانشاه الخصي، فأخبرهم أن أهل فارس قد عيروهم فازداد أبو عبيد محكاً ورد على اصحابه الرأي وجبّن سليطاً، فقال سليط: أنا والله أجرأ منك نفساً وقد أشرنا عليك الرأي فستعلم!. أقبل ذو الحاجب حتى وقف على شاطئ الفرات بقس الناطف، وأبو عبيد معسكر على شاطئ الفرات بالمروحة، فقال: إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم، فقال أبو عبيد: بل نعبر إليكم، فعقد ابن صلوبا الجسر للفريقين جميعاً، وقبل ذلك ما قد رأت دومة امرأة أبي عبيد رؤيا وهي بالمروحة، أن رجلاً نزل من السماء بإناء فيه شراب، فشرب أبو عبيد وجبر في أناس من أهله، فأخبرت بها أبا عبيد، فقال: هذه الشهادة وعهد أبو عبيد إلى الناس، فقال: إن قتلت فعلى الناس جبر، فإن قتل فعليكم فلان، حتى أمر الذين شربوا من الإناء على الولاء من كلامه[1].

ثم قال إن قتل أبو القاسم فعليكم المثنى، ثم نهد بالناس فعبر وعبروا إليهم وعضلت الأرض بأهلها، وألحم الناس الحرب، فلما نظرت الخيول إلى الفيلة عليها النخل والخيل عليها التجافيف والفرسان عليهم الشعر رأت شيئاً منكراً لم تكن ترى مثله، فجعل المسلمون إذا حملوا عليهم لم تقدم خيولهم، وإذا حملوا على المسلمين بالفيلة والجلاجل فرقت بين كراديسهم، لا تقوم لها الخيل إلا على نفار. وخزقهم الفرس بالنشاب، وعض المسلمين الألم، وجعلوا لا يصلون إليهم، فترجل أبو عبيد وترجل الناس، ثم مشوا إليهم فصافحوهم بالسيوف، فجعلت الفيلة لا تحمل على جماعة إلا دفعتهم، فنادى أبو عبيد: احتوشوا الفيلة وقطعوا بطنها واقلبوا عنها أهلها وواثب هو الفيل الأبيض فتعلق ببطانه فقطعه ووقع الذين عليه وفعل القوم مثل ذلك فما تركوا فيلا إلا حطوا رحله وقتلوا أصحابه وأهوى الفيل لأبي عبيد فنفح مشفره بالسيف فاتقاه الفيل بيده وأبو عبيد يتجرثمه، فأصابه بيده فوقع فخبطه الفيل، وقام عليه فلما بصر الناس بأبي عبيد تحت الفيل خشعت أنفس بعضهم وأخذ اللواء الذي كان أمره بعده فقاتل الفيل حتى تنحى عن أبي عبيد، فاجتره إلى المسلمين، وأحرزوا شلوه، وتجرثم الفيل فاتقاه الفيل بيده، دأب أبي عبيد وخبطه الفيل، وقام عليه، وتتابع سبعة من ثقيف، كلهم يأخذ اللواء فيقاتل حتى يموت ثم أخذ اللواء .

ثم أخذ اللواء المثنى، وهرب الناس، فلما رأى عبدالله بن مرثد الثقفي ما لقي أبو عبيد وخلفاؤه وما يصنع الناس، بادرهم إلى الجسر فقطعه وقال: يا أيها الناس موتوا على ما مات عليه أمراؤكم أو تظفروا وحاز المشركون المسلمين إلى الجسر، وخشع ناس فتواثبوا في الفرات فغرق من لم يصبر وأسرعوا فيمن صبر، وحمى المثنى وفرسان من المسلمين الناس، ونادى: يا أيها الناس، إنا دونكم فاعبروا على هينتكم ولا تدهشوا، فإنا لن نزايل حتى نراكم من ذلك الجانب، ولا تغرقوا أنفسكم فوجدوا الجسر وعبدالله بن مرثد قائم عليه يمنع الناس من العبور، فأخذوه فأتوا به المثنى فضربه وقال: ما حملك على الذي صنعت ؟ قال: ليقاتلوا، ونادى من عبر فجاؤوا بعلوج، فضموا إلى السفينة التي قطعت سفائنها، وعبر الناس، وكان آخر من قتل عند الجسر سليط بن قيس، وعبر المثنى وحمى جانبه، فاضطرب عسكره ورامهم ذو الحاجب فلم يقدر عليهم، فلما عبر المثنى وحمى جانبه ارفضّ عنه أهل المدينة حتى لحقوا بالمدينة وتركها بعضهم ونزلوا البوادي وبقي المثنى في قلة[2].

١- تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ط. دار الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، ص ٥٧٣

٢ المصدر السابق، ص ٥٧٤

نهر نرس (أحد تفرعات الفرات)

موقع بابل

نهر الفرات

٠ ٢ ٤ كم

موقـــع الجســـر

أحد فروع الفرات

بابل

٠ ٢٠ ٤٠ م

مرئيتان فضائيتان توضحان موقع معركة الجسر على أرض بابل العراقية

معركة الجسر

٢٣ شعبان سنة ١٣ هـ

الشمال

معسكر الفرس

نهر الفرات

الجسر

البرج

بابل

معسكر المسلمين

المشهد الأول لمعركة الجسر

صفر ٥ ١٠ ١٥ ٢٠ ٢٥ كم

مشـــاهد متنوعة لآثار مدينة بابل التاريخية بجمهورية العراق

معركة الجسر

الشمال

معسكر الفرس

نهر الفرات

الجسر

البرج

بابل

معسكر المسلمين

صفر ٥ ١٠ ١٥ ٢٠ ٢٥ كم

المشهد الثاني لمعركة الجسر

أبو عُبيد: يخالف رأي الأغلبية من قادة الجيش الإسلامي ويصر على عبور الجسر إلى مكان تحشّد القوات الفارسية .

القوات الفارسية: تفاجئ القوات الإسلامية بالأفيال والخيول ذات التجافيف (المدرعة) ، والفرسان أصحاب الشعارات الحربية .

الفرس يحملون على المسلمين **بالفيلة**، بعد أن علّقوا عليها أجراس وجلاجل ذات رنين، مما أدى إلى فرار خيول المسلمين وتفريق جمعهم وبينما المسلمون في مكان ضيق، فقد وجه إليهم الفرس وابلاً من السهام. يصف الأغر العجلي ذلك المشهد فيقول :((وخزقهم الفرس بالنشاب وعضّ المسلمين الألم)) .

القوات الإسلامية بقيادة أبي عُبيد: تضطر إلى خوض معركة غير متكافئة بعد أن تخلت عن الخيل للوصول إلى طلائع الجيش الفارسي وتصافحهم بالسيوف: فجعلت **الفيلة** لا تحمل على جماعة إلا دفعتهم: فنادى **أبو عُبيد**: احتوشوا الفيلة: وقطعوا بُطنها واقبلوا على أهلها: وواثب هو الفيل الأبيض، فتعلق ببطنه فقطعه: ووقع الذين عليه، وفعل القوم مثل ذلك: فما تركوا فيلاً إلا حطوا رحله: وقتلوا أصحابه. وأهوى الفيل لأبي عُبيد، فنفح مشفره بالسيف، فاتقاه الفيل بيده: وأبو عُبيد يتجرثمه: فأصابه بيده فوقع فخبطه الفيل. وقام عليه: فلما بصُر الناس بأبي عُبيد تحت الفيل، خشعت أنفسهم بعضهم. وأخذ اللواء الذي كان أمَّره بعده، فقاتل الفيل حتى تنحى أبي عُبيد، فاجترّه إلى المسلمين ... إلى أن خبط الفيل أبي عُبيد وقام عليه وتتابع سبعة من ثقيف: كلهم يأخذ اللواء فيقاتل حتى يموت. ثم أخذ اللواء المثنى، وهرب الناس(١٠٩) .

في نوبة من الحماس اندفع **عبد الله بن مرثد** الثقفي نحو **الجسر فقطعه**. فتساقط المسلمون المنسحبون في النهر ، وكادت الكارثة تقضي على البقية الباقية من الجيش الإسلامي، لولا براعة المثنى الذي عقد الجسر مع أصحابه مرة ثانية، ليعبر المسلمون من خلاله إلى معسكرهم على الجهة الغربية، بعد معركة لم تأت في صالح المسلمين .
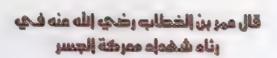
نَعَيــــتُ إلى أهل المدينة فتيةً

على مثلهم تبكي النساء الكواعبُ

نعيت إلى الأنصار فتيانها التي

بها كـــانت الأحـــياء طُرّاً تحاربُ

قال الطبري : هلك يومئذ - يعني يوم الجسر من المسلمين - أربعة آلاف بين قتيل وغريق؛ وهرب ألفان، وبقي ثلاثة آلاف ... الطبري ، مج ٢، ص ٣٦٨ .
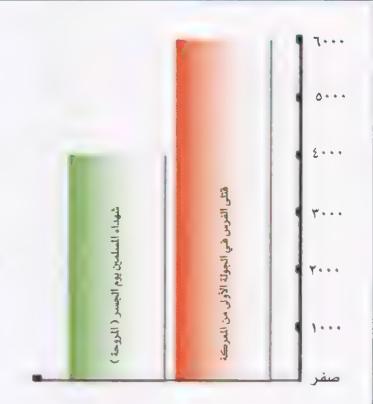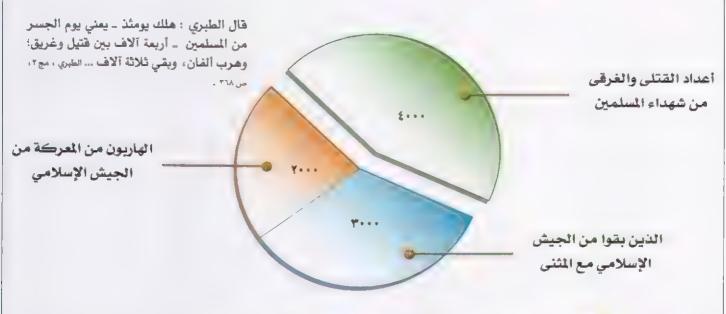
قال الشعبي : قال عمر : اللهم كل مسلم في حل منّي، انا فئة كل مسلم، من لقي العدو ففظع بشيء من امره فانا له فئة؛ يرحم الله ابا عُبيد لو كان انحاز إليّ لكنت له فئة ! وبعث المثنى بالخبر إلى عمر مع عبد الله بن زيد، وكان أول من قدم على عمر . الطبري ، مج ٢ ، ص ٣٦٨ .
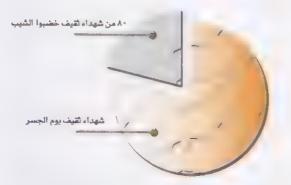
معركة أُليس الصغرى

٢٤ شعبان سنة ١٣ هـ

قال الطبري:وخرج **جابان ومردانشاه** حتى أخذا بالطريق، وهم يرون أنهم سيرفضون ولا يشعرون بما جاء **ذا الحاجب** من فرقة أهل فارس، فلما ارفض أهل فارس. وخرج ذو الحاجب في آثارهم وبلغ **المثنى** فعلة جابان ومردانشاه، استخلف على الناس عاصم بن عمرو، وخرج في جريدة خيل يريدهما، فظنا أنه هارب، فاعترضاه فأخذهما أسيرين، وخرج أهل أليس على أصحابهما، فأتوه بهم اسراء وعقد لهم بها ذمة وقدمهما، وقال: أنتما غررتما أميرنا، وكذبتماه واستفززتماه. فضرب أعناقهما، وضرب أعناق الأسراء، ثم رجع إلى عسكره وهرب أبو محجن من أليس، ولم يرجع مع المثنى وكان **جرير بن عبدالله** وحنظلة بن الربيع ونفر استأذنوا خالداً من **سُوَى** فأذن لهم، فقدموا على **أبي بكر** فذكر له جرير حاجته، فقال: أعلى حالنا! وأخره بها، فلما ولي عمر دعاه بالبينة، فأقامها فكتب له **عمر** إلى عماله السعاة في العرب كلهم: من كان فيه أحد ينسب إلى بجيلة في الجاهلية وثبت عليه في الإسلام يعرف ذلك فأخرجوه إلى جرير ووعدهم جرير مكاناً بين العراق والمدينة. ولما أعطي جرير حاجته في استخراج بجيلة من الناس فجمعهم فأخرجوا له، وأمرهم بالموعد ما بين مكة والمدينة والعراق، فتناموا، قال لجرير: اخرج حتى تلحق بالمثنى، فقال: بل الشأم، قال: بل العراق، فإن أهل الشأم قد قووا على عدوهم فأبى حتى أكرهه، فلما خرجوا له وأمرهم بالموعد عوضه لإكراهه واستصلاحاً له، فجعل له ربع خمس ما أفاء الله عليهم في غزاتهم هذه له ولمن اجتمع إليه، ولمن أخرج له إليه من القبائل وقال: اتخذونا طريقاً، فقدموا المدينة، ثم فصلوا منها إلى العراق ممدين للمثنى، وبعث عصمة بن عبدالله من بني عبد بن الحارث الضبي فيمن تبعه من بني ضبة، وقد كان كتب إلى أهل الرِّدَّة فلم يواف شعبان أحد إلا رمى به المثنى [١].

جريـر بـن عبـد الله ابـن جابر

جابر، (ع) بن مالك، بن نصر، بن ثعلبة، ابن خُشَم، بن عوف الأمير النبيل الجميل. أبو عمرو ــ وقيل: أبو عبد الله ــ البَجَلي القسري، وقسر: من قحطان من أعيان الصحابة. حدَّث عنه: أنس، وقيسٌ ابنُ أبي حازم، وأبووائل، والشعبيّ، وهَمَّامُ بنُ الحارث؛ وأولاده الأربعة: المنذرُ، وعبد الله، وإبراهيم ــ لم يدركه ــ وأيوب، وشَهْرُ بن حَوْشَب، وزيادُ ابن عِلاقة، وحفيدهُ أبو زُرعة بنُ عمرو بن جرير، وأبو إسحاق السبيعي؛ وجماعة. وبايع النبي على النصح لكل مسلم. قال جرير: لما دنوتُ من المدينة، أنختُ راحلتي، وحللتُ عيبتي، ولبستُ حُلَّتي، ثم دخلتُ المسجد؛ فإذا برسولِ الله يخطبُ؛ فرماني الناسُ بالحدق. فقلتُ لجليسي: يا عبدَ الله، هل ذكرَ رسولُ الله من أمري شيئاً؟ قال: نعم، ذكركَ بأحسنِ الذِّكر؛ بينما هو يخطبُ، إذ عرضَ له في خُطبته. فقال: «إنه سيدخُلُ عليكم من هذا الفَجّ من خير ذي يَمَن، ألا وإنَّ على وجهه مسحة ملك». قال: فحمدتُ الله. قلتُ: كان بديعَ الحُسن، كاملَ الجمال، وعن قيس: سمعتُ جرير ابن عبد الله يقولُ: ما رآني رسولُ الله إلا تبسم في وجهي، وقال: «يَطلعُ عليكم مِنْ هذا الباب رجلٌ مِنْ خَيْرِ ذِي يَمَن، على وجهه مِسْحةُ مَلَك». عن عديّ ابن حاتم، قال: لما دخل ـ يعني جريراً ـ على النبيِّ، ألقى ﷺ له وسادةً، فجلسَ على الأرض، فقال النبيُّ: «أشهدُ أنكَ لا تبغي عُلوّاً في الأرض ولا فساداً» فأسلم. ثم قال النبيُّ: «إذا أتاكُم كريمُ قوم، فأكرموه».

قال الواقدي: حدثنا عبدُ الحميد بنُ جعفر، عن أبيه، قال: قَدم جرير البجلي المدينةَ في رمضان سنة عشر، ومعه من قومه خمسون ومائة. فقال رسولُ الله: «يَطْلُعُ عَلَيْكُم مِنْ هذَا الفَجّ مِنْ خَيْرِ ذِي يَمَن»، فطلع جريرٌ على راحلته، ومعه قومه، فأسلموا ....

الإمام: شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء.

جرير
ابن عبد الله البجلي ويكنى
أبا عمرو أسلم في السنة التي قبض
فيها النبي ووجهه رسول الله إلى ذي
الخَلَصَة فهدمه ونزل الكوفة بعد ذلك وابتنى
بها دارا في بجيلة، وتوفي بالسراة في ولاية
الضحاك بن قيس على الكوفة. وكانت ولاية
الضحاك سنتين ونصفاً بعد زياد بن
أبي سفيان . ابن سعد، الطبقات
الكبرى

١- تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ط. دار الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، ص ٥٧٤

١ خروج جابان ومردنـشاه في بعض الخيل على بعض الأراضي التي تركتها القوات الإسلامية .

٢ عيون المثنى تخبره بتحرك جابان ومردنشاه نحو أليس .

٣ المثنـى يتحـرك صوب أُلّيس في جريدة خيل يريد (جابان ومردنشاه)؛ بعد أن استخلف على الناس عاصم بن عمرو .

٤ (جابان ومردنشاه)، يقعان في أسر المثنى بن حارثة .

٥ خرج أهل أُلّيس على صاحبيهما (جابان ومردنشاه)، فأتوا المثنى بهما أسراء؛ وعقد لهم بها ذمة وقدمهما، وقال : أنتما غررتما أميرنا، وكذبتماه.

تحشد القوات الإسلامية بعد انكسار معركة الجسر

منذ أواخر شعبان إلى منتصف رمضان سنة ١٣ هـ

تلقى الخليفة **عمر بن الخطاب** - رضي الله عنه - نبأ كبوة المسلمين في معركة الجسر بسكون لافت، إلا أنه تأثر ضمنياً بشكل بالغ، وشق ذلك أيضاً على المسلمين في المدينة ثم بدأت فلول الجند من المهاجرين والأنصار تصل إلى المدينة جزعين بما أصابهم . ورأى عمر فيهم ذلك، فنعى الشهداء وراح يواسي الناس، إلا أنه كان قلقاً على موقف المسلمين في العراق، وأدرك أن المثنى بحاجة إلى مدد يُرسل إليه على وجه السرعة كي يواجه هذا الموقف الدقيق. فقام بتكثيف حملاته التعبوية بين قبائل الرِّدَّة، وأرسل رسله إليها يدعوها للسير نحو فارس لغزوها، فاستجابت لندائه . وبدأت الحشود تتوافد على المدينة، من كافة أنحاء الجزيرة العربية، وعلى رأسها قبيلة بجيلة بزعامة جرير بن عبد الله - كما ذكرنا في الصفحة السابقة - ، وحشود أخرى من بني ضبَّة وكنانة والأزد، وبعض بني تميم من الرباب وبكر بن هوازن، وخثعم، وحنظلة . وكان على عمر أن يتفاوض بحدَّة وشدَّة مع هذه القبائل لإقناعها بضرورة الذهاب إلى العراق لقتال الفرس، لأن معظمها كان يبغي الالتحاق بجيوش المسلمين في بلاد الشام [١] .

وهكذا دفع عمر بحشود ضخمة إلى أرض العراق مدداً للمثنى . قال الطبري: وجاء عبد الله بن ذي السهمين في أناس من خثعم فأمره عليهم ووجهه إلى المثنى فخرج نحوه حتى قدم عليه، وجاء ربعي في أناس من بني حنظلة فأمره عليهم، وسرحهم وخرجوا حتى قدم بهم على المثنى، فرأس بعده ابنه شبث بن ربعي، وقدم عليه أناس من بني عمرو فأمَّر عليهم ربعي بن عامر بن خالد العنود وألحقه بالمثنى، وقدم عليه قوم من بني ضبة فجعلهم فرقتين؛ فجعل على إحدى الفرقتين: ابن الهوبر، وعلى الأخرى المنذر بن حسان، وقدم عليه قرط بن جماح في عبد القيس فوجهه، وقالوا جميعاً: اجتمع الفيرزان ورستم، على أن يبعثا مهران؛ لقتال المثنى، واستأذنا بوران، وكانا إذا أرادا شيئاً دنوا من حجابها حتى يكلماها به، فقالا: بالذي رأيا وأخبراها بعدد الجيش، وكانت فارس لا تكثر البعوث، حتى كان من أمر العرب ما كان، فلما أخبراها بكثرة عدد الجيش، قالت: ما بال أهل فارس لا يخرجون إلى العرب كما كانوا يخرجون قبل اليوم، ومالكما لا تبعثان كما كانت الملوك تبعث قبل اليوم، قالا: إن الهيبة كانت مع عدونا يومئذ، وإنها فينا اليوم فمالأتهما، وعرفت ما جاءاها به، فمضى مهران في جنده حتى نزل من دون الفرات، والمثنى وجنده على شاطئ الفرات، والفرات بينهما [٢] .

١ - د. محمد سهيل طقوش، تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية ، ص ١٨٧ .

٢ - الطبري، تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ص ٥٧٥ ، طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي .

قال الطبري: وقدم أنس بن هلال النمري ممداً للمثنى في أناس من النمر نصارى وجلاب جلبوا خيلاً ، وقدم ابن مردى الفهري التغلبي في أناس من بني تغلب نصارى، وجلاب جلبوا خيلاً ، وهو عبدالله بن كليب بن خالد، وقالوا: حين رأوا نزول العرب بالعجم، نقاتل مع قومنا. وقال مهران: إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم، فقال المسلمون: اعبروا إلينا فارتحلوا من بسوسيا إلى شوميا وهي موضع دار الرزق. **قلت** معقباً على رواية الطبري عن مشاركة هؤلاء الأعراب من النصارى للمسلمين: لقد جاءوا للدخول في الدين الجديد، ولاسيما أنهم خاضوا ضد المسلمين حروباً في الثني والزميل والرضاب، وعرفوا حقيقة هذا الدين الذي يعتنقه المسلمون، فرأوا اعتناق الإسلام وأن ينضموا لقوات المسلمين المحتشدة على أرض العراق لمنازلة الفرس في البويب، وهذا ما حدث بالفعل !؟.

معركة البويب (النخيلة)

رمضان سنة ١٣ هـ

جاءت هذه المعركة بعد تحشد كبير . قال الطبري[١] أن العجم - الفرس - لما أذن لهم العبور نزلوا شوميا موضع دار الرزق؛ فتعبوا هنالك فأقبلوا إلى المسلمين في صفوف ثلاثة، مع كل صف فيل ورجلهم أمام فيلهم، وجاءوا ولهم زجل، فقال المثنى: للمسلمين إن الذي تسمعون فشل فالزموا الصمت وائتمروا همساً، فدنوا من المسلمين وجاءوهم من قبل نهر بني سليم نحو موضع نهر بني سليم، فلما دنوا زحفوا وصف المسلمون فيما بين نهر بني سليم اليوم وما وراءها.

وكان على مجنبتي **المثنى** بشير وبسر بن أبي رهم وعلى مجردته المعنى، وعلى الرجل مسعود، وعلى الطلائع قبل ذلك اليوم النسير، وعلى الردء مذعور .وكان على مجنبتي مهران **ابن الآزاذبه** مرزبان الحيرة ومردانشاه، ولما خرج المثنى؛ طاف في صفوفه يعهد إليهم عهده وهو على **فرسه الشموس** وكان يدعى الشموس من لين عريكته وطهارته، فكان إذا ركبه قاتل وكان لا يركبه إلا لقتال ويدعه ما لم يكن قتال فوقف على الرايات، راية، راية، يحضضهم ويأمرهم بأمره ويهزهم بأحسن ما فيهم تحضيضاً لهم ولكلهم يقول: **إني لأرجو ألا تؤتى العرب اليوم من قبلكم والله ما يسرني اليوم لنفسي شيء إلا وهو يسرني لعامتكم**؛ فيجيبونه بمثل ذلك، وأنصفهم المثنى في القول والفعل وخلط الناس في المكروه والمحبوب فلم يستطع أحد منهم أن يعيب له قولاً ولا عملاً ثم قال: إني مكبّر ثلاثاً؛ فتهيؤوا، ثم احملوا مع **الرابعة**، فلما كبّر أول تكبيرة؛ أعجلهم **أهل فارس** وعاجلوهم، فخالطوهم مع أول تكبيرة وركدت حربهم ملياً فرأى المثنى خللاً في بعض صفوفه، فأرسل إليهم رجلاً، وقال: إن الأمير يقرأ عليكم السلام، ويقول: لا تفضحوا المسلمين اليوم، فقالوا: نعم، واعتدلوا وجعلوا قبل ذلك يرونه وهو يمد لحيته لما يرى منهم! فاعتنوا بأمر لم يجئ به أحد من المسلمين يومئذ، فرمقوه فرأوه يضحك فرحاً والقوم بنو عجل، فلما طال القتال واشتد عمد **المثنى** إلى أنس بن هلال فقال: يا أنس إنك امرؤ عربي وإن لم تكن على ديننا (*) فإذا رأيتني قد حملت على مهران فاحمل معي، وقال لابن مردى الفهر: مثل ذلك فأجابه، فحمل المثنى على مهران فأزاله حتى دخل في ميمنته ثم خالطوهم واجتمع القلبان وارتفع الغبار والمجنبات تقتتل لا يستطيعون أن يفرغوا لنصر أميرهم لا المشركون ولا المسلمون، وارتث مسعود يومئذ، وقواد من قواد المسلمين وقد كان قال لهم: إن رأيتمونا أصبنا فلا تدعوا ما أنتم فيه فإن الجيش ينكشف ثم ينصرف، الزموا مصافكم وأغنوا غناء من يليكم، وأوجع قلب المسلمين في قلب المشركين، وقتل غلام من التغلبيين نصراني مهران، واستوى على فرسه، فجعل المثنى سلبه لصاحب خيله وكذلك إذا كان المشرك في خيل رجل فقتل وسلب؛ فهو للذي هو أمير على من قتل، وكان له قائدان: أحدهما، جرير والآخر، ابن الهوير[٢].

---

١ - ٢، الطبري، تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ص ٥٧٦ ، طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي

* - أوضحت لك أخي القارئ طبيعة هذه الشبهة في الصفحة السابقة

موقع المدائن بالنسبة للحيرة
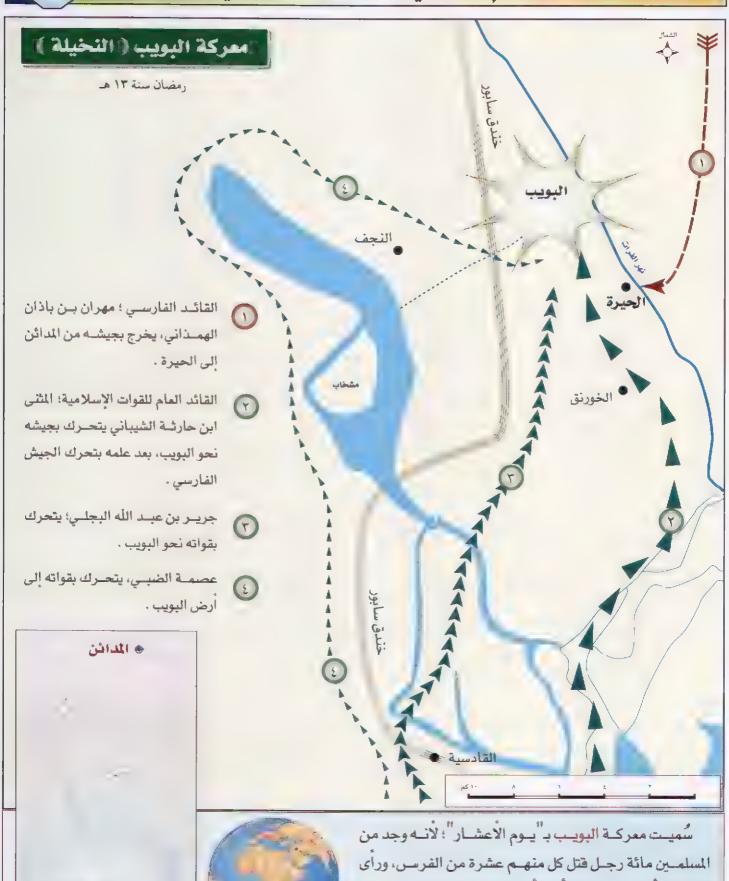
سُميت معركة البويب بـ"يوم الأعشار"؛ لأنه وجد من المسلمين مائة رجل قتل كل منهم عشرة من الفرس، ورأى المسلمون أن البويب كانت أول وأهم معركة فاصلة بين المسلمين والفرس، وأنها لا تقل أهمية عن معركة اليرموك في الشام.

لقد أمر **المثنى المسلمين** بالفطر، حتى يقووا على القتال. فأفطروا عن آخرهم، ورأى المثنى أن يجعل لكل قبيلة راية تقاتل تحتها؛ حتى يعرف من أين يخترق الفرس صفوف المسلمين؟، وفي هذا تحفيز للمسلمين للصمود والوقوف في وجه الفرس. وأوصى المثنى المسلمين بالصبر والصمت والجهاد؛ لأن الفرس عندما عبروا إلى المسلمين كانوا يرفعون أصواتهم بالأهازيج والأناشيد الحماسية، فرأى المثنى أن ذلك من الفشل وليس من الشجاعة. وخالط المثنى جيشه مخالطة كبيرة فيما يحبون وفيما يكرهون؛ حتى شعر الجنود أنه واحد منهم، وكانوا يقولون: "لقد أنصفتنا من نفسك في القول والفعل".

ونظم المثنى جيشه، وأمرهم ألا يقاتلوا حتى يسمعوا تكبيرته الثالثة. ولكن الفرس لم يمهلوه إلا أن يكبر تكبيرة واحدة حتى أشعلوا القتال. وكان قتالاً شديداً عنيفاً، تأخر فيه النصر على المسلمين. فتوجه **المثنى** إلى الله تعالى وهو في قلب المعركة بالدعاء أن ينصر المسلمين، ثم انتخب جماعة من أبطال المسلمين وهجموا بصدق على الفرس فهزموهم، وعندما استشهد "مسعود بن حارثة" وكان من قادة المسلمين وشجعانهم وهو أخو المثنى. قال المثنى: "يا معشر المسلمين لا يرعكم أخي؛ فإن مصارع خياركم هكذا"، فنشط المسلمون للقتال. حتى هزم الله الفرس.

ومن روعة المثنى أنه اعترف بخطأ ارتكبه أثناء المعركة رغم أنه حسم نتيجة المعركة، فقال: "عجزت عجزة وقى الله شرها بمسابقتي إياهم إلى الجسر حتى أحرجتهم؛ فلا تعودوا أيها الناس إلى مثلها؛ فإنها كانت زلة فلا ينبغي إحراج من لا يقوى على امتناع".

ويحمل هذا الاعتراف من المثنى بعداً إنسانياً إسلامياً وآخر عسكرياً؛ فالأول: أن هدف الإسلام من الجهاد والقتال ليس إبادة الخصم ولكن كسر شوكته عن إيذاء المسلمين، وألا يكون حائطاً منيعاً بين الناس وحرية الدخول في الإسلام، ومن ثم فالإبادة ليست شعاراً للقتال والحرب الإسلامية. والبعد الآخر: أن حصر الهاربين يدفعهم إلى أن يقاتلوا قتال اليأس والانتحار وهو ما قد يقلب ميزان المعركة أو يجعل ثمن الانتصار مكلفاً للغاية؛ ولهذا كان من روعة خالد بن الوليد أنه كان يترك في معاركه دوماً طريقا لهرب العدو؛ لأن ذلك يغري العدو بالفرار من المعركة وليس الثبات فيها؛ لأن الفرار من المعركة يتم بصورة تشبه العقل الجماعي في التصرف.

البُوَيْبُ أيضاً: نهر كان بالعراق موضع الكوفة. فَمُه عند دار الرزق يأخُذُ من الفرات، كانت عنده وقعة أيام الفتوح بين المسلمين والفرس في أيام أبي بكر الصديق، وكان مَجراه إلى موضع دار صالح بن عليّ بالكوفة ومَصَبُّه في الجَوْف العتيق، وكان مَغيضاً للفرات أيام المدود ليزيدوا به الجوْف تحصيناً، وقد كانوا فعلوا ذلك الجوف حتى كانت السُّفُنُ البحرية ترفأ إلى الجوف. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص٥١٢

المسلمون والفرس في معركة البويب
الشمال
الجسر
منطقة اللقاء بين الفريقين
المعسكر الفارسي
البويب
أقام المثنى بمكانه حتى كاتبه مهران « إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم » . وكان الخليفة عمر قد أوصى المسلمين ألا يعبروا بحراً ولا جسراً إلا بعد ظفر، وهذا ما دعا المثنى بن حارثة لزوم مكانه، الأمر الذي دعا الجيش الفارسي بالتحرك من معسكره عابرا الجسر إلى البويب للقاء المسلمين.
نهر الفرات
المعسكر الإسلامي
الحيرة
صفر
١
٢
٣
٤
٥ كم

ملاحقة فلول الجيش الفارسي المنهزم في البويب

أواخر شهر رمضان سنة ١٣ هـ

قال الطبري: لما أهلك **الله** مهران استمكن المسلمون من **الغارة على السواد** فيما بينهم وبين دجلة فمخروها لا يخافون كيداً ولا يلقون فيها مانعاً، وانتقضت مسالح العجم فرجعت إليهم، واعتصموا **بساباط** وسرهم أن يتركوا ما وراء دجلة، وكانت **وقعة البويب في رمضان سنة ثلاث عشرة**. قتل **الله** عليه مهران وجيشه وأفعموا جنبتي البويب عظاماً حتى استوى وما عفى عليها إلا التراب أزمان الفتنة، وما يثار هنالك شيء إلا وقعوا منها على شيء وهو ما بين السكون ومرهبة وبني سليم، وكان مغيضاً للفرات أزمان الأكاسرة، يصب في الجوف. وقال الأعور العبدي الشني:

هاجت لأعور دار الحي أحزانا ... واستبدلت بعد عبد القيس خفانا
وقد أرانا بها والشمل مجتمع ... إذ بالنخيلة قتلى جند مهرانا
أزمان سار المثنى بالخيول لهم ... فقتل الزحف من فرس وجيلانا
سما لمهران والجيش الذي معه ... حتى أبادهم مثنى ووحدانا[١].

قام جرير بن عبدالله في قومه، فقال: يا معشر بجيلة، إنكم وجميع من شهد هذا اليوم في السابقة والفضيلة والبلاء سواء وليس لأحد منهم في هذا الخمس غداً من النفل مثل الذي لكم منه، ولكم ربع خمسه نفلاً من أمير المؤمنين فلا يكونن أحد أسرع إلى هذا العدو ولا أشد عليه منكم للذي لكم منه، ونية إلى ما ترجون فإنما تنتظرون إحدى الحسنيين: الشهادة والجنة، أو الغنيمة والجنة. ومال المثنى على الذين أرادوا أن يستقتلوا من منهزمة يوم الجسر، ثم قال: أين المستبسل بالأمس وأصحابه؟ انتدبوا في آثار هؤلاء القوم إلى السيب وابلغوا من عدوكم ما تغيظونهم به فهو خير لكم وأعظم أجراً واستغفروا الله إن الله غفور رحيم[٢].

خاض المسلمون معركة البويب بروح معنوية مرتفعة، حتى كان لكل قبيلة موقفها الذي تتحدث عنه بعد المعركة وتفاخر به. وعندما خطب المثنى بالمسلمين يحثهم على الحرب تجنب الحديث عن يوم الجسر أو التذكير به، ولا شك بأنه كان حريصاً وهو على أبواب معركة كبرى أن لا يذكر لهم الهزيمة. استفاد المسلمون من أخطاء معركة **الجسر**. وأثبتت تجربة **البويب** التي خاضوها في ظروف مشابهة ذلك، بل إن المثنى استطاع أن يعيد مشاهد معركة الجسر بحذافيرها إنما بشكل معكوس، أي تبادل الغالب والمغلوب أوضاعهما، فضلاً عن أنه نجح في الانسحاب مع من تبقّى من جيشه، في حين لم ينجح الفرس في سحب قواتهم من البويب، بل تبددت وأبيدت على ضخامة حجمها.

---

١ – ٢، الطبري، تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ص ٥٧٦ ، طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي.

١ قائد المسلمين العام في العراق (المثنى بن حارثة)، يحث المسلمين بملاحقة الفرس؛ فيخرج منهزمو يوم الجسر وعددهم ٣٠٠٠ مقاتل، إضافة إلى ٢٠٠٠ مقاتل من بجيلة.

٢ القوات الإسلامية تصيب الكثير من الغنائم الفارسية؛ من سبي، وبقر وأنواع أخرى من الغنائم، وتعود إلى الحيرة سالمة غانمة.

٣ قائد المسلمين العام في العراق (المثنى بن حارثة)، يبعث بثلاثة أرباع الغنائم إلى الخليفة **عمر** بن الخطاب – رضي الله عنه – في المدينة.

٥ المثنى بن حارثة؛ يستخلف بشير بن الخصاصية على الحيرة، ويوجه جرير بن عبد الله إلى ميسان بمنطقة العمارة.

٦ المثنى بن حارثة؛ يرسل هلال بن عُلّفة التيمي، إلى دست ميسان (الأبلة).

٧ المثنى بن حارثة؛ يوجه المزيد من القوات إلى مختلف مناطق سواد العراق، بقيادة عصمة بن فلان الضبي، والكلج الضبي، وعرفجة بن هرثمة البارقي، وآخرين ..

٤ قال الطبري: لما أهلك **الله** مهران استمكن المسلمون من الغارة على **السواد** فيما بينهم وبين دجلة، فمخروها لا يخافون كيداً ولا يلقون فيها مانعاً، وانتقضت مسالح العجم فرجعت إليهم، واعتصموا **بساباط** وسرهم أن يتركوا ما وراء دجلة .

الغارة على سوق الخنافس

شوال سنة ١٣ هـ

قال الطبري: هذه الغزاة تدعى غزاة الأنبار الآخرة، وغزاة أليس الآخرة، وألز رجلان بالمثنى: أحدهما أنباري، والآخر، حيري، يدله كل واحد منهما على سوق؛ فأما الأنباري: فدله على **الخنافس** وأما الحيري فدله على **بغداد**، فقال المثنى: أيتهما قبل صاحبتها؟ فقالوا: بينهما أيام، قال: أيهما أعجل، قالوا: سوق الخنافس سوق يتوافى إليها الناس، ويجتمع بها ربيعة وقضاعة، يخفرونهم فاستعد لها المثنى حتى إذا ظن أنه موافيها يوم سوقها. ركب نحوهم فأغار على الخنافس يوم سوقه، وبها خيلان من ربيعة وقضاعة، وعلى قضاعة رومانس بن وبرة، وعلى ربيعة السليل بن قيس وهم الخفراء فانتسف السوق وما فيها، وسلب الخفراء، ثم رجع عوده على بدئه حتى يطرق دهاقين الأنبار طروقاً في أول النهار يومه، فتحصنوا منه فلما عرفوه نزلوا إليه فأتوه بالأعلاف والزاد، وأتوه بالأدلاء على بغداد، فكان وجهه إلى سوق بغداد، فصبحهم والمسلمون يمخرون السواد، والمثنى بالأنبار ويشنون الغارات فيما بين أسفل كسكر وأسفل الفرات، وجسور مثقب إلى عين التمر وما والاها من الأرض في أرض الفلاليج والعال. الطبري، تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ص ٥٧٩، طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي.

١ قائد المسلمين العام في العراق (المثنى بن حارثة)، يخرج في بني شيبان وبني عجل متجهاً إلى **أليس** تمويهاً على العدو. وينطلق منها متخذاً طريق الصحراء للوصول إلى **سوق الخنافس** من أرض الأنبار.

١ (المثنى بن حارثة)، يغير على سوق الخنافس وينسف السوق الذي كان وكراً للمؤامرات على المسلمين، ثم يسير مسرعاً حتى طرق دهاقين الأنبار في أول النهار.

الغارة على سوق بغداد

أواخر شهر شوال سنة ١٣ هـ

قـال ياقـوت: قـال أهل السير: ولما أهلـك الله مَهْرانَ بأرض الحيرة ومـن كان معه من العجم استمكن المسلمـون مـن الغارة على السـواد وانتقضت مسالح الفُرس وتشتـت أمرهم واجترأ المسلمـون عليهم وشنوا الغـارات ما بين سورا وكَسْكَر والصـراة والفلاليج والإستانات؛ قال أهل الحيرة للمثنى: إن بالقرب منا قرية تقـوم فيهـا سوق عظيمة في كل شهر مرة فيأتيها تجار فارس والأهـواز وسائر البلاد، يقال لها بغداد، وكذا كانت إذا ذاك، فأخذ المثنى على البرّ حتى أتى الأنبار، فتحصَّن فيها أهلها منه، فأرسل إلى سُفَرُّوخ مرزبانها ليسـير إليـه فيكلّمه بما يريد وجعل له الأمان، فعـبر المرزبان إليه، فخلا به المثنى وقال له: أُريد أن أُغير على سـوق بغداد وأُريد أن تبعث معي أدلاّءَ فَيَدلُّوني الطريـق وتعقد لي الجسر لأعبُرَ عليه الفرات، ففعل المرزبان ذلـك، وقـد كان قطع الجسر قبل ذلـك لئلا تعبر العرب عليه، فعـبر المثنى مع أصحابه وبعـث معه المرزبان الأدلاءَ، فسـار حتى وافى السوق ضَحْـوَةً، فهرب الناس وتركوا أموالهم فأخـذ المسلمون من الذهب والفضة وسائـر الأمتعـة ما قدروا على حمله ثم رجعوا إلى الأنبار، ووافى معسكـره غانماً موفوراً، وذلك في سنة ١٣ للهجرة، فهذا خبر بغداد قبل أن يمصّرها المنصور، لم يبلغني غير ذلك. الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٤٥٧.

مرئية فضائية من قوقل إرث لموقع بغداد عاصمة جمهورية العراق

الغارة على سوق بغداد

الشمال

الأنبار

الحبانية

الفلوجة

الخنافس

هور الحبانية

الإمبراطورية الساسانية

بغداد

المدائن

نهر دجلة

العراق

اللطيفية

الإسكندرية

المسيب

بحر الملح

نهر الفرات

كربلاء

بابل

٠ ١٠ ٢٠ كم

منمنة تاريخية تعكس صورة الحياة التجارية داخل الحوانيت القديمة في أسواق بغداد القديمة

١- المثنى: يمكث في الأنبار ويرسل المضارب العجلي وزيداً إلى الكبات . و يستخلف عليها فرات بن حيان العجلي ثم يخرج في آثارهما ، حيث استطاع المسلمون أن يوقعوا الكثير من القتلى في صفوف العدو .

٢- بعد عودة المثنى إلى الأنبار؛ بعث فرات بن حيان وعتيبة بن النهاس إلى صفّين وأمرهما بالغارة على أحياء العرب من تغلب والنمر، وقد استخلف على الأنبار عمرو ابن أبي سلمى الهجيمي واتبعهما. فلما اقتربوا من صفّين افترق المثنى عن فرات وعتيبة .

٣- قبائل النمر وتغلب تفر من صفّين، وتعبر الفرات إلى أماكن أكثر أمناً .

٤- القوات الإسلامية تلاحق تغلب والنمر وترميهم بنهر الفرات، ثم تعود إلى المثنى سالمة غانمة .

٥- الخليفة عمر يستدعي فرات وعتيبة إلى المدينة للتأكد من إثارتهما لنعرة جاهلية أثناء غزوهم لتغلب والنمر ثم يستحلفهما بالله؛ فحلفا أنهما ما أراد بذلك إلا المثل وإعزاز الإسلام ، فصدقهما الفاروق وردهما إلى العراق فرجعا إليها مع حملة سعد بن أبي وقاص .

٦- قوات المثنى تغير على عير لأهل دبا وحوران كانت إمدادات اقتصادية للفرس، وتأسر ثلاثة من بني تغلب كانوا خفراء لها. والمسلمون يتعقبون فلول الفرس إلى عين التمر .

٧- النسير بن ديسم العجلي يغير على عكبرا ويومن أهلها ، ثم يكتسح المخرّم ومسكن وقطرُ بل، ويغنم منهم غنائم كثيرة، ثم يواصل المثنى هذا الاكتساح على العدو قبل أن يصلوا إلى تكريت لعبور دجلة ، فيغنم منهم غنائم كثيرة . وبذلك يؤكد المثنى انتصار المسلمين المظفر يوم البويب وليزيد في ارتباك الفرس .

استنجاد المثنى الشيباني بالخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بعد تحركات الفرس الأخيرة

الجزيرة الفراتية
الأكراد
نهر الفرات
أرض العراق
المدائن
الحيرة
الأبلة
ذي قار
الإمبراطورية الساسانية
خليج البحرين (الخليج العربي)
جزيرة العرب
المدينة النبوية

بينما كان المثنى ينتظر قدوم سعد، مرض المثنى مرضاً شديداً نتيجة الجرح الذي أصابه يوم الجسر وانتقل على إثره إلى رحمة الله تعالى في موقع سيراف.

(١) الفرس تهيج على رستم لما حل بها وببلادها، وتجتمع على يزدجرد بن شهريار بن كسرى وهو في الحادية والعشرين من عمره وتنصبه ملكاً عليها، وترسل بالخبر إلى اتباعها في الأمصار، الأمر الذي جعل المجوس وأنصارهم الذين صالحوا المسلمين وأظهروا الطاعة ينقضون العهد؛ مستغلين تحسن الظروف السياسية على الجبهة الفارسية.

(٢) يزدجرد يجمع عساكره ويجعلها تحت قيادة رستم لمحاربة المسلمين ويحتل الجزيرة، ويحصن المدن إلى الحيرة.

(٣) المثنى بن حارثة؛ ينسحب بجيشه من الحيرة، بعد تحرك القوات الفارسية في المنطقة، ويتجه صوب ذي قار.

(٤) المثنى بن حارثة؛ يرسل إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن تحرك الفرس ويطلب منه المدد.

(٥) الخليفة عمر رضي الله عنه؛ يخرج على رأس الجيش الإسلامي من المدينة بعد أن استخلف عليها علي بن ابي طالب واستصحب معه عثمان بن عفان وكبار الصحابة حتى وصل إلى ماء يقال **صرار** فعقد مجلساً استشارياً في الذهاب، وأرسل إلى علي بن أبي طالب أن يأتي من المدينة، فاتفق الجميع على رأي عمر إلا عبد الرحمن بن عوف فإنه قال: إني أخشى إن كسرت أن تضعف أمر المسلمين في سائر أقطار الأرض، وإني أرى أن تبعث رجلاً وترجع إلى المدينة، فأخذ عمر بهذا الرأي ووقع الاختيار على سعد بن أبي وقاص قائداً لجيش المسلمين، وأوصاه بالبر والتقوى، وكتب إلى المثنى بن حارثة وجرير بن عبد الله البجلي في إطاعة سعد، كما أصبح جميع أمراء العراق تبعاً له، ولكن **المثنى** قد توفي قبل وصول سعد إذ انتقض عليه جرحه الذي أصابه يوم الجسر.

صرار : بكسر أوله، وآخره مثل ثانيه، وهي الأماكن المرتفعة التي لايعلوها الماء يقال لها صرار ؛ وصِرار: اسم جبل؛ قال جرير:

إن الفرزدق لا يُزايِلُ لؤمهُ حتى يزولَ عن الطريق صِرارُ

وقيل صرار موضع على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق ؛ قاله الخطابي ؛ وقال بعضهم:لعل صراراً أن تجيش بيارها ... وقال نصر: صرار ماء قرب المدينة محتفر جاهليّ على سمت العراق، وقيل أطم لبني عبد الأشهل له ذكر كثير في أيام العراب وأشعارها... ياقوت الحموي معجم البلدان، ج٣، ص ٣٩٨.

الطريق إلى القادسية

محرم سنة أربع عشرة من الهجرة

قال ابن كثير: استهلت هذه السنة والخليفة **عمر بن الخطاب** يحث الناس ويحرضهم على جهاد أهل العراق، وذلك لما بلغه من قتل أبي عبيد يوم الجسر، وانتظام شمل الفرس، واجتماع أمرهم على يزدجرد الذي أقاموه من بيت الملك، ونقض أهل المدينة بالعراق عهودهم، ونبذهم المواثيق التي كانت عليهم، وآذوا المسلمين وأخرجوا العمال من بين أظهرهم.
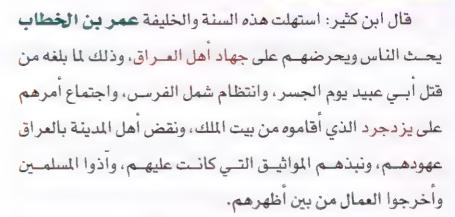
وقد كتب عمر إلى من هنالك من الجيش أن يتبرزوا من بين أظهرهم إلى أطراف البلاد. قال ابن جرير رحمه الله. وركب عمر رضي الله عنه في أول يوم من المحرم هذه السنة في الجيوش من المدينة فنزل على ماء يقال له صرار، فعسكر به عازماً على غزو العراق بنفسه واستخلف على المدينة **علي بن أبي طالب**؛ واصطحب معه **عثمان بن عفان** وسادات الصحابة. ثم عقد مجلساً لاستشارة الصحابة فيما عزم عليه، ونودي أن الصلاة جامعة، وقد أرسل إلى **عليّ** فقدم من المدينة، ثم استشارهم فكلهم وافقه على الذهاب إلى العراق، إلا **عبد الرحمن بن عوف** فإنه قال له: إني أخشى إن كسرت أن تضعف المسلمون في سائر أقطار الأرض، وإني أرى أن تبعث رجلاً وترجع أنت إلى المدينة. فأرثا عمر والناس عند ذلك واستصوبوا رأي ابن عوف. فقال عمر فمن ترى أن نبعث إلى العراق؟ فقال: قد وجدته. قال: ومن هو؟ قال الأسد في براثنه سعد بن مالك الزهري. فاستجاد قوله وأرسل إلى سعد فأمره على العراق وأوصاه فقال:[1] انظر الوصية في الصفحة المقابلة.

لقد تخرج على منهج هذا الدين قادة عظام خاضوا معارك فاصلة في تاريخ العالم، فخالد بن الوليد بطل اليرموك،وسعد بطل القادسية، وأبو عبيدة قائد فتوح الشام... أخضعوا الدول الكبرى من أجل إعلاء كلمة لا إله إلا الله خفاقة ونشر العدل والمساواة في رحاب الإسلام.

ولن يستطيع أبناء القصور الوارفة، والحلل الوثيرة من أبناء اليوم، أن يستردوا ما فتحه هؤلاء الأصحاب الكرام ، وإننا بحاجة لغرس أخلاق الرجولة والشجاعة في أبنائنا ، بدلاً من التباكي على مقدسات سلبت ، وأعراض انتهكت ، وما ترك المسلمون الجهاد قط إلا أذلهم عدوهم واستباح حماهم.

مجلة البيان، الأعداد (ج ٢٥ / ص ٢٤)

١- ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ج ٧، ص ٤٢

موعظة أمير المؤمنين الخليفة عمر بن الخطاب لسعد ابن أبي وقاص، رضي الله عنهما

يا سعد بن وهيب لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه، فإن الله لا يمحو السيىء بالسيىء، ولكن يمحو السيء بالحسن، وإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا بطاعته، فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء، الله ربهم وهم عباده، يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عند الله بالطاعة، فانظر الأمر الذي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ بعث إلى أن فارقنا عليه فألزمه، فانه الأمر. هذه عظتي إياك، إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين *

* ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ج ٧، ص ٤٢

وصية أمير المؤمنين الخليفة عمر بن الخطاب لسعد ابن أبي وقاص، رضي اللّه عنهما

ولما حان رحيل سعد إلى أرض العراق قام عمر فأوصاه قائلاً: « إني قد وليتك حرب العراق فاحفظ وصيتي فإنك تقدم على أمر شديد كريه لا يخلص منه إلا الحق، فعود نفسك ومن معك الخير، واستفتح به. واعلم أن لكل عادة عتاداً، فعتاد الخير الصبر ؛ فالصبر على ما أصابك أو نابك ؛ يجتمع لك خشية الله. واعلم أن خشية الله تجتمع في أمرين: في طاعته واجتناب معصيته ؛ وإنما أطاعه من أطاعه ببغض الدنيا وحب الآخرة، وعصاه من عصاه بحب الدنيا وبغض الآخرة ؛ وللقلوب حقائق ينشئها الله إنشاء ؛ منها السر، ومنها العلانية ؛ فأما العلانية فأن يكون حامده وذامه في الحق سواء، وأما السر فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه، وبمحبة الناس ؛ فلا تزهد في التحبب فإن النبيين قد سألوا محبتهم ؛ وإن الله إذا أحب عبداً حببه ؛ وإذا أبغض عبداً بغضه. فاعتبر منزلتك عند الله تعالى بمنزلتك عند الناس، ممن بشرع معك في أمرك »*

* الطبري : تاريخ الرسل والملوك - (ج ٢ / ص ٢٤٩)

٢٥٠٠
٢٠٠٠
١٥٠٠
١٠٠٠
٥٠٠
٠
حضرموت والصدف من كندة
منبه وجعفي وزبيد من مذحج وصداء وجنب ومسلية من كهلان
النخع بن عمرو من مذحج
أهل السراة (بارق وألمع وغامد ...)
من مراد بن مذحج ومن همدان
أهل اليمن بقيادة أشعث الكندي
الأزد (أكثرهم من بارق)
خثعم
بجيلة
طيء
قضاعة
أفراد قبيلة قحطان المشاركين في معركة القادسية
٦٠٠٠
٥٠٠٠
٤٠٠٠
٣٠٠٠
٢٠٠٠
١٠٠٠
٠
قيس عيلان
غطفان
سائر قيس
تميم
الرباب
أسد
بكر بن وائل
سائر ربيعة منهم عبد القيس
ضبة والرباب وحنظلة وسعد وعمرو
كنانة
العدد الكلي للجيش الإسلامي في القادسية
٣٢٨٠٠ مقاتل تقريباً
أفراد قبيلة عدنان المشاركين في معركة القادسية

الخليفة عمر رضي الله عنه يُسيّر الجيش الإسلامي إلى القادسية

١ الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ يشيّع الجيش من صرار إلى الأعوص ثم يخطب فيهم قائلاً : « إن الله تعالى إنما ضرب الكم الأمثال، وصرّف لكم القول، ليحيي به القلوب؛ فإن القلوب ميتة في صدورها حتى يحييها الله؛ من علم شيئاً فلينتفع به؛ وإن للعدل أمارات وتباشير؛ فأما الأمارات فالحياء والسخاء والهين واللين، وأما التباشير فالرحمة؛ وقد جعل الله لكل أمر باباً، ويسّر لكل باب مفتاحاً، فباب العدل الاعتبار ومفتاحه الزهد. والاعتبار ذكر الموت بتذكر الأموات، والاستعداد له بتقديم الأعمال، والزهد أخذ الحق من كل أحد قِبَله حق، وتأدية الحق إلى كل أحد له حق ... ثم أمر سعداً بالسير» الطبري مج ٢، ص ٣٨٣ .

٢ كتب عمر إلى سعد من خروجه من زرود إلى شراف « أن ابعث إلى فرج الهند **«الأبلة»** رجلاً ترضاه يكون بحياله ويكون ردءاً لك من شيء إن أتاك من تلك التخوم » .

٣ الفرس تبعث بعميل من عملائها العرب ويدعى قابوس بن قابوس بن المنذر إلى القادسية وتقول له: « ادع العرب وأنت على من أجابك وكن كما كان أبوك » . وأخذ يكاتب العرب من بكر بن وائل؛ فعلم المثنى بن حارثة بالخبر فخرج إليه ليلاً من ذي قار فكبس عليه وعلى أصحابه، ثم خرج إلى سعد بن أبي وقاص .

الحيرة

القادسية

العراق

حائل (أجا وسلمى)

المدينة النبوية

جزيرة العرب

١٠٠ ٢٠٠ كم
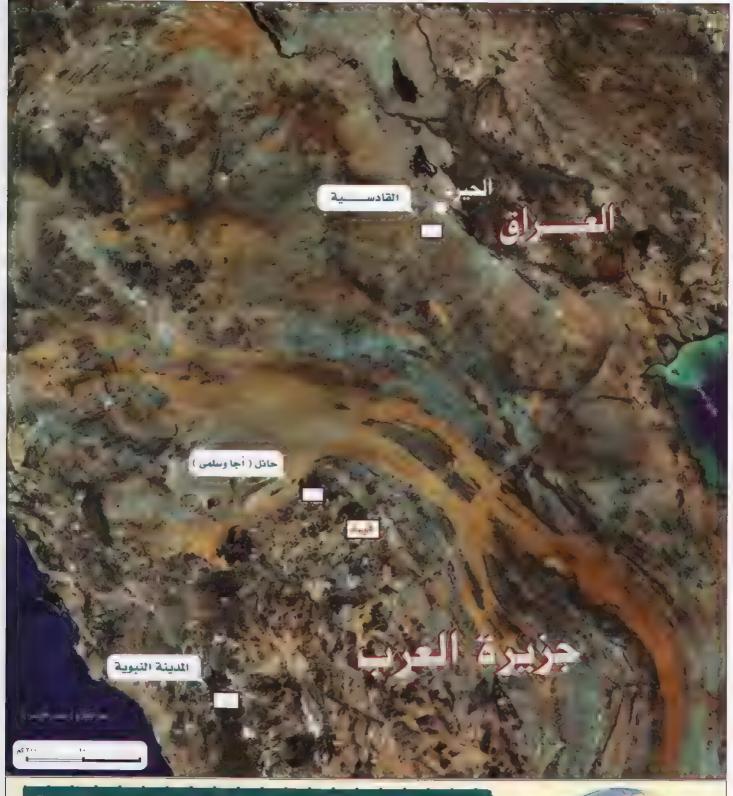
مرئية فضائية توضح طبيعة الطريق بين المدينة والقادسية

القادِسِيَّةُ: قال أبو عمرو: القادسُ السفينة العظيمة؛ قال المنجمون: طول القادسية تسع وستون درجة، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وثلثا درجة، ساعات النهار بها أربع عشرة ساعة وثلثان، وبينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً، وبينها وبين العذيب أربعة أميال، قيل: سميت القادسية بقادس هراة، وقال المدايني: كانت القادسية تسمى قديساً، وروى ابن عيينة قال: مرَّ إبراهيم بالقادسية فرأى زهرتها ووجد هناك عجوزاً فغسلت رأسه فقال: قُدِّستِ من أرض، فسميَت القادسية، وبهذا الموضع كان يوم القادسية بين سعد بن أبي وقّاص والمسلمين والفُرس في أيام عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، في سنة ١٦ من الهجرة، وقاتل المسلمون يومئذٍ وسعد في القصر ينظر إليهم فنسب إلى الجبن؛ فقال رجل من المسلمين:

ألم تر أن الله أنزل نصره وسعدٌ بباب القادسية مُعْصِمُ
فأُبنا وقد امتْ نساءٌ كثيرة ونسوة سعد ليس فيهنّ أيِّمُ

وقال بشر بن ربيعة في ذلك اليوم:

ألَمَ خيالٌ من أُميمة موْهناً وقد جعلتْ أُولى النجوم تغورُ
ونحن بصحراء العذيب ودوننا حجازية، إن المحلّ شطيرُ
فزارت غريباً نازحاً جلّ ماله جوادٌ ومفتوقُ الغرار طريرُ
وحلّتْ بباب القادسية ناقتي وسعدُ بن وقاص عليَّ أميرُ
تذكَّرْ، هداك الله، وقْعَ سيوفنا بباب قُديْس والمكرُّ ضريرُ
عشيَّة ودَّ القومُ لو أن بعضهم يُعارُ جناحيْ طائرٍ فيطيرُ
إذا برزتْ منهم إلينا كتيبةٌ أتونا بأُخرى كالجبال تمورُ
فضاربتهم حتى تفرَّ جمعهم، وطاعنْتُ، إني بالطّعان مهيرُ
وعمرو أبو ثور شهيدُ وهاشم وقيسٌ ونعمانُ الفتى وجريرُ

والأشعار في هذا اليوم كثير لأنها كانت من أعظم وقائع المسلمين وأكثرها بركة، **وكتب عمر**، رضي الله عنه، إلى سعد بن أبي وقاص يأمره بوَصف منزله من القادسية فكتب إليه سعد: إن القادسية فيما بين الخندق والعتيق وإنما عن يسار القادسية بحر أخضر في جوف لاحّ إلى الحيرة بين طريقين: فأما إحداهما؛ فعلى الظهر، وأما الأخرى؛ فعلى شاطئ نهر يسمى الحُضُوض يطلع بمن يسلكه على ما بين الخَورْنق والحيرة، وإنما عن يمين القادسية فيضٌ من فيوض مياههم، وإن جميع من صالح المسلمين قبلي ألّب لأهل فارس قد خفّوا لهم واستعدّوا لنا؛ وذكر أصحاب

الفتوح **أن القادسية كانت أربعة أيام**: فسموا الأول: يوم أرماث، واليوم الثاني: يوم أغواث، واليوم الثالث: يوم عماس، وليلة اليوم الرابع: ليلة الهرير، واليوم الرابع: سموه **يوم القادسية**، وكان الفتح للمسلمين وقُتل رستم جازَوَيه ولم يقم للفرس بعده قائمة، وقال ابن الكلبي فيما حكاه هشام قال: إنما سميت القادسية لأن ثمانية آلاف من **ترك الخزر** كانوا قد ضيّقوا على كسرى بن هُرْمز، وكتب قادس هَراة إلى كسرى: إنْ كفيتُك مؤونة هؤلاء الترك تعطيني ما أحتكمُ عليك؟ قال: نعم، فبعث النريمان إلى أهل القرى: أني سأُنزل عليكم الترك فاصنعوا ما آمركم، وبعث النريمان إلى الأتراك وقال لهم: تشتّوا في أرضي العامَ، ففعلوا وأقبل منها ثمانية آلاف في منازل أصحابه بهراة فبعث النريمان إلى أهل الدّور وقال: ليذبح كل رجل منكم نزيله الذي نزل عليه ثم يَغدو إليّ بسبلته، ففعلوا ذلك وذبحوهم عن آخرهم وغدوا إليه بسبلاتهم فنظمها في خيط وبعثها إلى كسرى، وقال: قد وفيْتُ لك فأوفِ لي بما شرطتُ عليك، فبعث إليه كسرى أن اقدم عليّ، فقدم عليه النريمان فقال له كسرى: احتكم، فقال له النريمان: تضعُ لي سريراً مثل سريرك وتعقد على رأسي تاجاً مثل تاجك وتنادمني من غدوة إلى الليل، ففعل ذلك به ثم قال: أوفيتُ؟ قال: نعم، فقال له كسرى: لا والله لا ترى هراة أبداً فتجلس بين قومك وتحدث بما جرى، وأنزله موضع القادسية ليكون رِدأً له من العرب، فسمي الموضع القادسية بقادس هراة، وكان قدم عليه النريمان ومعه أربعة آلاف فكانوا بالقادسية، فلما كان يوم القادسية قرن أصحاب النريمان بن النريمان أنفسهم بالسلاسل كيلا يفروا فقتلوا كلهم ورجعت ابنة النريمان إلى مرو وأُم النريمان بن النريمان كبشة بنت النعمان بن المنذر، قال هشام: فالشاه بن الشاه من ولد نريمان وهو الشاه بن الشاه بن لان بن نريمان بن نريمان، قال: ويقال إنما سميت القادسية بقديس وكان قصراً بالعُذَيب؛ وقد نسب إلى القادسية عدة قوم من الرواة، منهم: علي بن أحمد القادسي القطان، روى عن عبد الحميد بن صالح، يروي عنه جعفر الخلدي. و القادسية أيضاً: قرية كبيرة من نواحي دجيل بين حَربَى وسامرّا يعمل بها الزجاج؛ وقد نسب إليها قوم من الرواة، وإليها ينسب الشيخ أحمد المقري الضرير وولده محمد بن أحمد القادسي الكتبي؛ وفي هذه القادسية يقول جحظة:

إلى شاطىء القاطول بالجانب الذي ... به القصرُ بين القادسية والنخل

في قصيدة ذكرت في القاطول [١].

١- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٩١ - ٢٩٣

وصف القادسية

مرئية لموقع القادسية من الفضاء الخارجي

حينما وصل سعد بن أبي وقاص إلى **القادسية**، قدم عليه كتاب **جواب عمر**: أما بعد، فتعاهد قلبك، وحادث جندك بالموعظة والنية والحسبة، ومن غفل فليحدثهما ؛ والصبر الصبر ؛ فإن المعونة تأتي من الله على قدر النية ؛ والأجر على قدر الحسنة. والحذر الحذر على من أنت عليه وما أنت بسبيله، واسألوا الله العافية، وأكثروا من قول: **لا حول ولا قوة إلا بالله**، واكتب إليّ أين بلغك جمعهم؟، ومن رأسهم الذي يلي مصادمتكم؛ فإنه قد منعني من بعض ما أردت الكتاب به قلة علمي بما هجمتم عليه، والذي استقر عليه أمر عدوكم؛ **فصف لنا منازل المسلمين، والبلد الذي بينكم وبين المدائن صفة كأني أنظر إليها**، واجعلني من أمركم على الجليّة، وخف الله وارجه، ولا تدل بشيء. واعلم أن الله قد وعدكم. وتوكّل لهذا الأمر بما لا خلف له ؛ فاحذر أن تصرفه عنك، ويستبدل بكم غيركم [1] .

١ – الطبري، تاريخ الامم (الرسل) والملوك، ص ٥٨٧ ، طبعة بيت الافكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي

موقع القادسية

وجعل **عمر** يدعو لـ**سعد** خاصة، ويدعون له معه، و**للمسلمين** عامة، فقدم زهرة سعد حتى عسكر بعذيب الهجانات، ثم خرج في أثره حتى ينزل على زهرة بعذيب الهاجنات، وقدمه، فنزل زهرة القادسية بين العتيق والخندق بحيال القنطرة؛ وقديس يومئذ أسفل منها بميل.
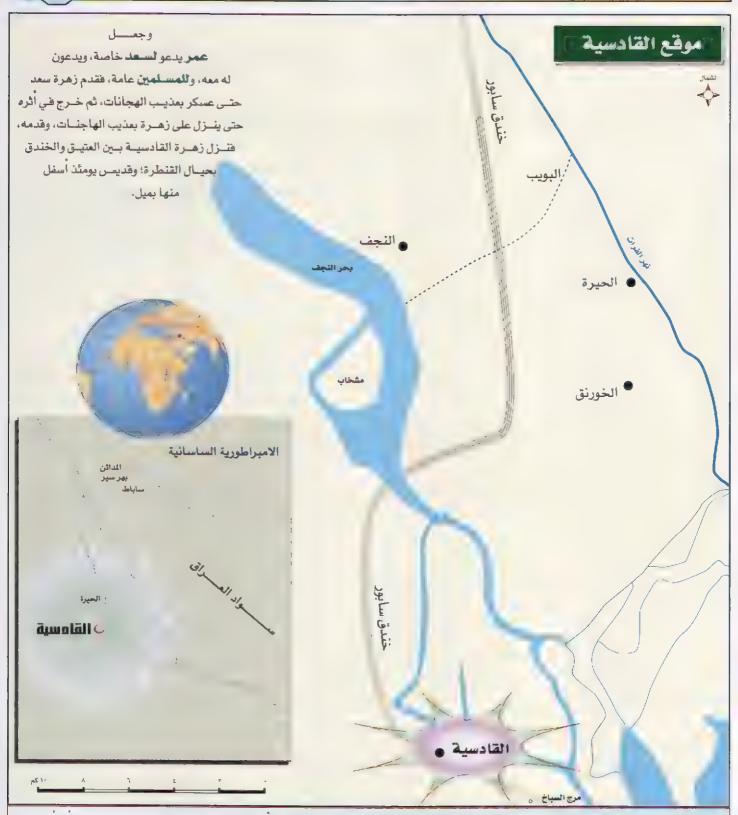
فكتب إليه **سعد** بصفة البلدان: إن **القادسية بين الخندق والعتيق**. وإن ما عن يسار القادسية بحر أخضر في جوف لاح إلى الحيرة بين طريقين: فأما أحدهما فعلى الظهر، وأما الآخر فعلى شاطئ نهر يدعى الحضوض: يطلع بمن سلكه على ما بين الخورنق والحيرة؛ وما عن يمين القادسية إلى الولجة فيض من فيوض مياههم. وإن جميع من صالح المسلمين من أهل السواد قبلي ألب لأهل فارس قد خفوا لهم، واستعدوا لنا. وإن الذي أعدوا لمصادمتنا **رستم** في أمثال منهم : فهم يحاولون إنغاضنا وإقحامنا؛ ونحن نحاول إنغاضهم وإبرازهم: وأمر الله بعد ماض؛ وقضاؤه مسلم إلى ما قدر لنا وعلينا؛ فتسأل الله خير القضاء، وخير القدر في عافية. فكتب إليه **عمر**: قد جاءني كتابك وفهمته، فأقم بمكانك حتى ينغض الله لك عدوك: واعلم أن لها ما بعدها، فإن منحك الله أدبارهم فلا تنزع عنهم حتى تقتحم عليهم **المدائن**: فإنه خرابها إن شاء الله.

الطبري، تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ص ٥٨٧ ، طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي.

الخريطة المفهومية لجيش سعد بن أبي وقاص في القادسية

أمير الجيش
سعد بن ابي وقاص الزهري رضي الله عنه

خليفة الأمير
خالد بن عُرفطة

أمراء التعبئة

ميمنة	ميسرة
عبد الله ابن المعتم	شرحبيل ابن السمط

الساقة	مقدمة	فرسان	ركبان	مشاة	طلائع
عاصم ابن عمرو التميمي	زهرة ابن عبد الله الحَوِيّة	سلمان ابن ربيعة الباهلي	عبد الله ابن ذي السهمين الخثعمي	حمال ابن مالك الأسدي	سواد ابن مالك التميمي
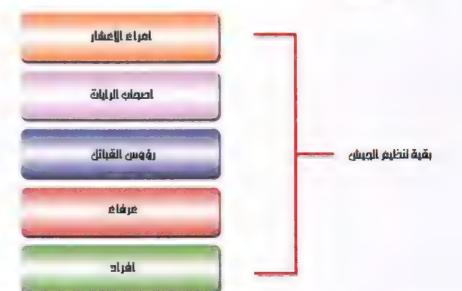
قال الطبري : فبعث سعد إلى المغيرة؛ فانضم إليه وإلى رؤساء القبائل، فأتوه، فقدّر الناس وعباهم بشراف، وأمّر أمراء الأجناد، وعرّف العُرفاء؛ على كل عشرة رجلاً، كما كانت المِرافات أزمان النبي ﷺ، وأمّر على الأعشار رجالاً من الناس لهم وسائل في الإسلام، وولى الحروب رجالاً ـ انظر الخريطة المفهومية بالهيكل التنظيمي لجيش سعد في القادسية ـ ... فكان أمراء التّعبية يلون الأمير، والذين يلون أمراء الأعشار، والذين يلون أمراء الأعشار أصحاب الرايات، والذين يلون أصحاب الرايات والقوّاد رؤوس القبائل، وقالوا جميعاً: لا يستعين أبو بكر في الرِّدّة ولا على الأعاجم بمرتدّ، واستنفرهم عمر ولم يول منهم أحداً ... وبعث عمر الأطبة، وجعل على قضاء الناس عبد الرحمن ابن ربيعة الباهلي ذا النور، وجعل إليه الأقباض وقسمة الفيء، وجعل داعيتهم ورائدهم سلمان الفارسي. الطبري، تاريخ الأمم والملوك ، مج ٢، ص ٣٨٥ و ص ٣٨٦.

قيادة الفاروق الإيمانية ؟ . !

حرص الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بتذكير جيشه بالله تعالى

بُنِيَت الدولة الإسلامية على أساس **العقيدة الإسلامية**، وعلى أساس الآيات التي استمرت تتنزل منجَمة على الرسول صلى الله عليه وسلم، إلى أن تم هذا الدين في السنة العاشرة من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً ﴾ المائدة ٣ وتخطت دولة الإسلام منذ قيامها الحدود الأرضية، والحواجز الجنسية، والعرقية، واللونية، وترفعت على جميع الروابط الأرضية، وجعلت أساس التفاضل التقوى، استجابة لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ الحجرات ١٣ وقد أكد **رسول الله** صلى الله عليه وسلم هذا المبدأ الرائع في حجة الوداع، حتى تهتديَ أمته بهديه فقال: "... إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي فضل على عجمي، ولا لأبيض على أسود فضل إلا بالتقوى" .

وعندما آلت الخلافة، للخليفة: أبي بكر - رضي الله عنه - قام بتأكيد هذه المبادئ العظيمة، كما ذكرناها في كتابنا السابق - أطلس حروب الرِّدَّة - وحينما تولى، عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، زمام الحكم في العهد الراشدي وضع استراتيجية غاية في الحكمة، فقد كان عمر بن الخطاب إذا بعث أمراء الجيوش **أوصاهم بتقوى الله** ثم قال لهم: "بسم الله، وعلى عون الله، وامضوا بتأييد الله بالنصر وبلزوم الحق والصبر، فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله، ولا تعتدوا، إن الله لا يحب المعتدين.. لا تجبنوا عند اللقاء، ولا تمثلوا عند القدرة، ولا تسرفوا عند الظهور، ولا تقتلوا هرماً، ولا امرأة ولا وليداً، وتوقوا قتلهم إذا التقى الزحفان وفي شن الغارات، ونزهوا الجهاد عن غرض الدنيا. وذلك هو الفوز العظيم" .

لقد وقفنا في الصفحات السابقة من هذا الأطلس على حرص عمر بتذكير جيشه بالله - سبحانه وتعالى -، حيث تأسى عمر **بالرسول** حينما جعل من أسس النصر في حروب الإسلام: **استغفار الله في المعركة** والإكثار من ذكره، يقيناً أن النصر من عنده وحده، فتخلص له النفوس، وتتجه إليه متوكلة صابرة، وقد أمر الله بالذكر فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ الأنفال ٤٥.حيث قال عمر في رسالته لسعد: (أكثروا من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله)، وينبني على هذا أن تدابير المؤمنين في الحذر والاستعداد والتخطيط لا غناء فيها إلا باليقين المطلق (أن لا نصر إلا بالله الواحد القهار)، ولا تنفع من غيره كثرة ولا عدة وكانت موقعة حُنين درساً بليغاً للمسلمين إذ قال قائل منهم: "لن نغلب اليوم من قلة"، فطارت الكثرة شعاعاً عند الصدمة الأولى فانهزمت وجاء الله بالظفر على يد القلة المؤمنة التي لبت نداء الرسول صلى الله عليه وسلم، وصبرت. قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴾ التوبة ٢٥ . وهذا ما حدث في القادسية حيث كان الذكر الشغل الشاغل للمسلمين، بعد الأخذ بالأسباب المادية، فكان النصر المؤزر من الله تعالى!! .

غارات المسلمين قبل القادسية

سنة أربع عشرة من الهجرة

قال الطبري: ثم بث **الغارات** وسرحهم في جوف الليل، وأمرهم بالغارة على **الحيرة** وأمَّر عليهم بكير بن عبد الله الليثي، وكان فيها الشماخ الشاعر القيسي، في ثلاثين معروفين بالنجدة والبأس، فسروا حتى جازوا السيلحين وقطعوا جسرها يريدون الحيرة، فسمعوا جلبة وأزفلة فأحجموا عن الإقدام وأقاموا كميناً حتى يتبينوا، فما زالوا كذلك حتى جازوا بهم، فإذا خيول تقدم تلك الغوغاء، فتركوها فنفذت الطريق إلى الصنين وإذا هم لم يشعروا بهم وإنما ينتظرون ذلك العين، لا يريدونهم ولا يأبهون لهم، إنما همتهم الصنين، وإذا أخت أزاذمرد ابن آزاذبه مرزبان الحيرة تزف إلى صاحب **الصنين** وكان من أشراف العجم، فسار معها من يبلغها مخافة ما هو دون الذي لقوا، فلما انقطعت الخيل عن الزواف، والمسلمون كمين في النخل وجازت بهم الأثقال، حمل بكير على شيرزاذ ابن أزاذبه وهو بينها وبين الخيل، فقصم صلبه، وطارت الخيل على وجوهها، وأخذوا الأثقال وابنة آزاذبه في ثلاثين امرأة من الدهاقين، ومائة من التوابع ومعهم مالا يدرى قيمته، ثم عاج واستاق ذلك فصبح سعداً بعذيب الهجانات بما أفاء الله على المسلمين؛ فكبروا تكبيرة شديدة، فقال سعد: أقسم بالله؛ لقد كبرتم تكبيرة قوم عرفت فيهم العز. فقسم ذلك سعد على المسلمين، فالخمس نفله وأعطى المجاهدين بقيته، فوقع منهم موقعاً، ووضع سعد بالعذيب خيلاً تحوط الحريم، وانضم إليها حاطة كل حريم، وأمَّر عليهم؛ غالب بن عبد الله الليثي، ونزل سعد القادسية فنزل بقديس ونزل زهرة بحيال قنطرة العتيق في موضع القادسية اليوم، وبعث بخبر سرية بكير وبنزوله قديساً فأقام بها شهراً، ثم كتب إلى **عمر** لم يوجه القوم إلينا أحداً ولم يسندوا حرباً إلى أحد علمناه، ومتى ما يبلغنا ذلك نكتب به، واستنصر الله، فإنا بمنحاة دنيا عريضة دونها بأس شديد قد تقدم إلينا في الدعاء إليهم، فقال: (ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد)[1].

---

١ – الطبري، تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ص ٥٨٧ ، طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي .

الصِّنَّين: بالكسر ثم التشديد مفتوح، بلفظ تثنية الصِّنّ، وهو شبه السَّلّ، والعامة يفتحونه، يُجعل فيه الطعام يُعمل من خُوص النخل، والصنين: يوم من أيّام العجوز، وقد ذكرت قبل في الصنبرة: وهو بلد كان بظاهر الكوفة كان من منازل المنذر وبه نهر ومزارع، باعه عثمان ابن عفّان، رضي الله عنه، من طلحة بن عبيد الله وكتب له به كتاباً مشهوراً مذكوراً عند المحدثين، وجدتُ نسخته سقيمة فلم أنقله.أ . هـ. الحموي، معجم البلدان

وذكرُ سيلحين في الفتوح وغيرها من الشعر يدلّ على أنّها قرب الحيرة ضاربة في البر قرب القادسية، ولذلك ذكرها الشعراء أيّام القادسية مع الحيرة والقادسية. الحموي، معجم البلدان
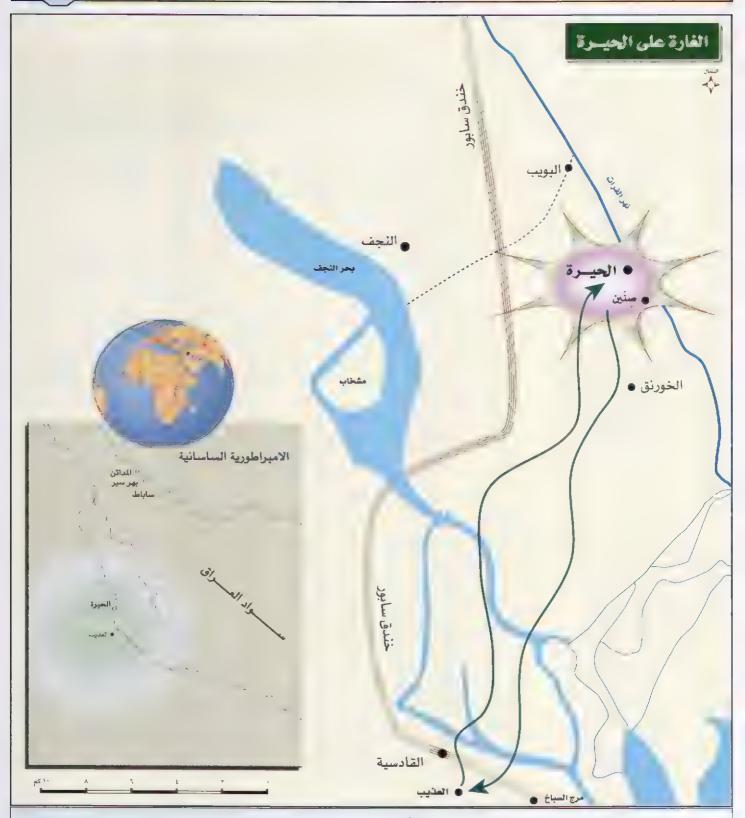
قائد المسلمين على الساحة العراقية؛ سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - يبعث قوة، بقيادة؛ بكير بن عبد الله الليثي، إلى **الحيرة**، حيث استطاعت هذه القوة؛ أن تكمن في مزارع النخيل القريبة، ومن ثم تغير على شيرزاذ بن آزاذبه، وتقصم صلبه وتأخذ ابنته في ثلاثين امرأة من الدّهاقين ومائة من التوابع، ومعه ما لايدرى قيمته، ثم عاد الجيش الإسلامي منتصراً ؛ بما أفاء الله عليه إلى قائد المسلمين (سعد) في **العذيب** بالقرب من القادسية .

الغارة على أسفل الفرات (يوم الأباقر)

سنة أربع عشرة من الهجرة

قال الطبري: وبعث سعد في مقامه ذلك إلى أسفل الفرات عاصم بن عمرو فسار حتى أتى ميسان فطلب غنماً أو بقراً فلم يقدر عليها، وتحصن منه من في الأفدان، ووغلوا في الآجام، ووغل حتى أصاب رجلاً على طف أجمة، فسأله واستدله على البقر والغنم، فحلف له وقال: لا أعلم؛ وإذا هو راعي ما في تلك الأجمة، فصاح منها ثور كذب والله وها نحن أولاء؛ فدخل فاستاق الثيران وأتى بها العسكر، فقسم ذلك سعد على الناس فأخصبوا أياماً؛ وبلغ ذلك الحجاج في زمانه، فأرسل إلى نفر ممن شهدها أحدهم نذير بن عمرو، والوليد بن عبد شمس، وزاهر، فسألهم فقالوا: نعم، نحن سمعنا ذلك، ورأيناه واستقناها، فقال: كذبتم! فقالوا: كذلك؛ إن كنت شهدتها وغبنا عنها، فقال: صدقتم، فما كان الناس يقولون في ذلك؟ قالوا: آية تبشير يستدل بها على رضا الله، وفتح عدونا؛ فقال: والله ما يكون هذا إلا والجمع أبرار أتقياء، قالوا: والله ما ندري ما أجنّت قلوبهم: فأما ما رأينا فإنا لم نر قوماً قط أزهد في دنيا منهم، ولا أشد لها بغضاً: ما اعتد على رجل منهم في ذلك اليوم بواحدة من ثلاث: لا بجبن ولا بغدر ولا بغلول؛ وكان هذا اليوم **يوم الأباقر**؛ وبث الغارات بين كسكر والأنبار، فحووا من الأطعمة ما كانوا يستكفون به زماناً، وبعث سعد عيوناً إلى أهل الحيرة وإلى صلوبا، ليعلموا له خبر أهل فارس؛ فرجعوا إليه بالخبر: بأن الملك قد ولى رستم بن الفرخزاذ الأزمنى حربه، وأمره بالعسكرة. فكتب بذلك إلى عمر، فكتب إليه عمر: لا يكربنك ما يأتيك عنهم، ولا ما يأتونك به؛ واستعن بالله وتوكل عليه، وابعث إليه رجالاً من أهل المنظرة والرأى والجلد يدعونه، فإن الله جاعل دعاءهم توهيناً لهم، وفلجاً عليهم؛ واكتب إلى كل يوم. ولما عسكر رستم بساباط كتبوا بذلك إلى عمر[1].

لما بلغ سعداً وصول رستم إلى ساباط، أقام في عسكره لاجتماع الناس؛ فأما إسماعيل فإنه قال: كتب إليه سعد أن رستم قد ضرب عسكره بساباط دون المدائن وزحف إلينا؛ وأما أبو ضمرة فإنه قال: كتب إليه أن رستم قد عسكر بساباط، وزحف إلينا بالخيول والفيول وزهاء فارس، وليس شيء أهم إلى ولا أنا له أكثر ذكراً مني لما أحببت أن أكون عليه؛ ونستعين بالله، ونتوكل عليه، وقد بعثت فلاناً وفلاناً وهم ما وصفت.

الطبري، تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ص ٥٨٨، طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي

١ - الطبري، تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ص ٥٨٨، طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي

مَيْسَانُ : بالفتح ثم السكون، وسين مهملة، وآخره نون: اسم كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط قصبتها ميسان، وفي هذه الكورة أيضاً قرية فيها قبر عزير النبي، عليه السلام، مشهور معمور يقوم بخدمته اليهود ولهم عليه وقوفٌ وتأتيه النذور وأنا رأيته؛ وينسب إليه ميساني وميسناني بنونين، وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، لما فتحت ميسان في أيامه ولاّها النعمان بن عدي بن نضلة بن عبد العزّى بن حُرثان بن عوف بن عَبيد بن عَويج بن عدي بن كعب بن لُؤيّ بن غالب وكان من مهاجرة الحبشة ولم يولّ عمر أحداً من قوم بني عدي ولاية قط غيره لما كان في نفسه من صلاحة، وأراد النعمان امرأته معه على الخروج إلى ميسان فأبت عليه، فكتب النعمان إلى زوجته:

ألا هل أتى الحسناءَ أن حليلَها   بمَيْسان يُسقى في زُجاج وحَنْتَم؟
إذا شئتُ غَنّتني دهاقينُ قرية   وصَنّاجةٌ تجثو على حرف مَنسم
فإن كنتَ نَدْماني فبالأكبر اسْقني   ، ولا تسقني بالأصغر المتثلّم
لعلّ أمير المؤمنين يســــوءُه   تنادُمنا في الجَوْسَق المتهدّم

فبلغ ذلك عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، فكتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب، وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو﴾ : أما بعد فقد بلغني قولك: لعلّ أمير المؤمنين يسوءُه تنادُمنا في الجوسق المتهدّم، وايم الله لقد ساءني ذلك وقد عزلتك! فلما قدم عليه قال له: والله ما كان من ذلك شيء وما كان إلا فضل من شعر وجدته وما شربتها قط. فقال عمر: أظنّ ذلك ولكن لا تعمل لي عملاً أبداً!... . الحموي، معجم البلدان، ج٥ ، ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .

وفد الخليفة عمر - رضي الله عنه - إلى ملك الفرس (يزدجرد)

قال الطبري: قالوا: فخرجوا (المسلمون) من العسكر حتى قدموا **المدائن** احتجاجاً ودعاة **ليزدجرد**، فطووا رستـم، حتى انتهوا إلى بـاب يزدجرد، فوقفوا على خيول عـروات، معهم جنائب، وكلها صهـال. فاستأذنوا فحبسوا، وبعـث يزدجـرد إلى وزرائـه ووجوه أرضه يستشيرهـم فيما يصنع بهـم، ويقوله لهم، وسمع بهـم النـاس فحضروهم ينظـرون إليهم، وعليهم **المقطعات** والبرود، وفي أيديهم سياط دقاق، وفي أرجلهم النعال. فلما اجتمع رأيهم أذن لهم فأدخلوا عليه.

كتـب إليَّ السـري، عـن شعيب، عـن سيف، عن طلحة، عن بنت كيسان الضبية، عـن بعض سبايا القادسية ممن حسن إسلامه، وحضر هذا اليوم الذي قدم **فيه وفود العرب**. قال: وثاب إليهم الناس ينظرون إليهم ؛ فلم أر عشرة قـط يعدلـون في الهيئة بألـف غيرهم، وخيلهم تخبط ويوعد بعضهـا بعضاً. وجعل أهل فارسـ يسوءهم ما يرون من حالهم وحال خيلهم؛ فلما دخلوا على يزدجرد أمرهم بالجلوس؛ وكان سيئ الأدب، فكان أول شيء دار بينه وبينهم أن أمر الترجمان بينه وبينهم، فقال: سلهم ما يسمون هذه الأردية؟ فسأل النعمان - وكان على الوفد: ما تسمي رداءك؟ قـال: الـبرد، فتطير، وقال: بردجهان، وتغيرت ألوان فارس وشق ذلك عليهـم. ثم قال: سلهم عن أحذيتهم، فقال: ما تسمـون هذه الأحذية؟ فقال: النعال، فعاد لمثلها، فقـال: ناله ناله فـي أرضنا، ثم سأله عن الذي فـي يده فقال: سوط، والسـوط بالفارسيـة الحريق، فقـال: أحرقوا فارسـ أحرقهم الله! وكان تطـيره على أهل فارس، وكانـوا يجدون من كلامه. الطبري، تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ص ٥٨٨ - ٥٨٩ ، طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي.

الرمادي
بغداد
المدائن
ساباط
بحر الملح
كربلاء
العـــراق
الحيرة
القادسية
٢ كم

قال الطبري:ثم قال الملك(يزدجرد): سلهم ما جاء بكم؟ وما دعاكم إلى غزونا والولوع ببلادنا؟ أمن أجل أنا أجممناكم، وتشاغلنا عنكم، اجترأتم علينا! فقال لهم النعمان بن مقرّن: إن شئتم أجبت عنكم ؛ ومن شاء آثرته. فقالوا: بل تكلم، وقالوا للملك: كلام هذا الرجل كلامنا. فتكلم النعمان، فقال: إن الله رحمنا فأرسل إلينا رسولاً يدلنا على الخير ويأمرنا به، ويعرفنا الشر وينهانا عنه، ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة ؛ فلم يدع إلى ذلك قبيلة إلا صاروا فرقتين؛ فرقة تقاربه، وفرقة تباعده، ولا يدخل معه في دينه إلا الخواص. فمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث، ثم أمر أن ينبذ إلى من خالفه من العرب ؛ وبدأ بهم وفعل ؛ فدخلوا معه جميعاً على وجهين: مكروه عليه فاغتبط ؛ وطائع أتاه فازداد؛ فعرفنا جميعاً فضل ما جاء به على الذي كما عليه من العداوة والضيق؛ ثم أمرنا أن نبدأ بمن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الإنصاف، فنحن ندعوكم إلى ديننا، وهو دين حسَّن الحسن وقبح القبيح كله. فإن أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه الجزاء؛ فإن أبيتم فالمناجزة، فإن أجبتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله، وأقمناكم عليه، على أن تحكموا بأحكامه، ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم؛ وإن اتقيتمونا بالجزاء قبلنا ومنعناكم؛ وإلا قاتلناكم. المصدر السابق.

قال الطبري: فتكلم يزدجرد، فقال: إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عدداً ولا أسوأ ذات بين منكم ؛ قد كنا نوكل بكم قرى الضواحى فيكفونناكم . لا تغزون فارس ولا تطمعون أن تقوموا لهم، فإن كان عدد لحق فلا يغرنكم منا، وإن كان الجهد دعاكم فرضنا لكم قوتاً إلى خصبكم ؛ وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم. وملكنا عليكم ملكاً يرفق بكم.

قال الطبري: فأسكت القوم. فقام المغيرة بن زرارة بن النبّاش الأسيدى، فقال أيها الملك، إن هؤلاء رؤوس العرب ووجوههم ؛ وهم أشراف يستحيون من الأشراف؛ وإنما يكرم الأشراف الأشراف، ويعظم حقوق الأشراف الأشراف، ويفخم الأشراف الأشراف، وليس كل ما أرسلوا به جمعوه لك، ولا كل ما تكلمت به أجابوك عليه، وقد أحسنوا ولا يحسن بمثلهم إلا ذلك؛ فجاوبني لأكون الذي أبلغك، ويشهدون على ذلك ؛ إنك قد وصفتنا صفة لم تكن بها عالماً، فأما ما ذكرت من سوء الحال، فما كان أسوأ حالاً منا، وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع، كنا نأكل الخنافس والجعلان والعقارب والحيات ؛ فنرى ذلك طعامنا. وأما المنازل فإنما هي ظهر الأرض، ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل وأشعار الغنم ؛ ديننا أن يقتل بعضنا بعضاً، ويغير بعضنا على بعض، وإن كان أحدنا ليدفن ابنته وهي حية كراهية أن تأل من طعامنا ؛ فكانت حالنا قبل اليوم على ما ذكرت لك ؛ فبعث الله إلينا رجلاً معروفاً، نعرف نسبه، ونعرف وجهه ومولده ؛ فأرضه خير أرضنا، وحسبه خير أحسابنا، وبيته أعظم بيوتنا؛ وقبيلته خير قبائلنا؛ وهو بنفسه كان خيرنا في الحال التي فيها أصدقنا وأحلمنا؛ فدعانا إلى أمر فلم يجبه أحد قبل ترب كان له وكان الخليفة من بعده، فقال وقلنا، وصدق وكذبنا، وزاد ونقصنا، فلم يقل شيئاً إلا كان، فقذف الله في قلوبنا التصديق له واتباعه ؛ فصار فيما بيننا وبين رب العالمين ؛ فما قال لنا فهو قول الله، وما أمرنا فهو أمر الله؛ فقال لنا: إن ربكم يقول: إني أنا الله وحدي لا شريك لي، كنت إذ لم يكن شيء، وكل شيء هالك إلا وجهي، وأنا خلقت كل شيء، وإليَّ يصير كل شيء، وإن رحمتي أدركتكم فبعثت إليكم هذا الرجل لأدلكم على السبيل التي بها أنجيكم بعد الموت من عذابي، ولأحلكم داري ؛ دار السلام، فنشهد عليه أنه جاء بالحق من عند الحق، وقال: من تابعكم على هذا فله ما لكم وعليه ما عليكم، ومن أبي فاعرضوا عليه الجزية، ثم امنعوا مما تمنعون منه أنفسكم، ومن أبي فقاتلوه، فأنا الحكم بينكم. فمن قتل منكم أدخلته جنتي، ومن بقي منكم أعقبته النصر على من ناوأه ؛ فاختر إن شئت الجزية عن يد وأنت صاغر؛ وإن شئت فالسيف، أو تسلم فتنجى نفسك. فقال: أتستقبلني بمثل هذا! فقال: ما استقبلت إلا من كلمني ولو كلمني غيرك لم أستقبلك به. فقال: لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم ؛ لا شيء لكم عندي، وقال : ائتوني بوقر من تراب، فقال: احملوه على أشرف هؤلاء، ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن ؛ ارجعوا إلى صاحبكم فأعلموه أنى مرسل إليكم رستم حتى يدفيكم ويدفيه في خندق القادسية، وينكل به وبكم من بعد، ثم أورده بلادكم، حتى أشغلكم في أنفسكم بأشد مما نالكم من سابور. ثم قال: من أشرفكم؟ فسكت القوم، فقال عاصم بن عمرو - وافتات ليأخذ التراب: أنا أشرفهم، أنا سيد هؤلاء فحملنيه، فقال : أكذاك؟ قالوا: نعم فحمَّله على عنقه، فخرج به من الإيوان والدار حتى أتى راحلته فحمله عليها؛ ثم انجذب في السير، فأتوا به سعداً وسبقهم عاصم فمر بباب قديس فطواه، فقال: بشروا الأمير بالظفر، ظفرنا إن شاء الله. ثم مضى حتى جعل التراب في الحجر، ثم رجع فدخل على سعد، فأخبر الخبر فقال: أبشروا فقد والله أعطانا الله أقاليد ملكهم.وجاء أصحابه وجعلوا يزدادون في كل يوم قوة، ويزداد عدوهم في كل يوم وهناً، واشتد ما صنع المسلمون، وصنع الملك من قبول التراب على جلساء الملك، وراح رستم من ساباط إلى الملك يسأله عما كان من أمره وأمرهم، وكيف رآهم، فقال الملك: ما كنت أرى أن في العرب مثل رجال رأيتهم دخلوا عليَّ وما أنتم بأعقل منهم، ولا أحسن جواباً منهم؛ وأخبره بكلام متكلمهم، وقال: لقد صدقني القوم، لقد وعد القوم أمراً ليدركنه أو ليموتن عليه، على أني قد وجدت أفضلهم أحمقهم، لما ذكروا الجزية أعطيته تراباً فحمله على رأسه، فخرج به، ولو شاء أتقى بغيره ؛ وأنا لا أعلم . قال: أيها الملك، إنه لأعقلهم، وتطير إلى ذلك، وأبصرها دون أصحابه. المصدر السابق.
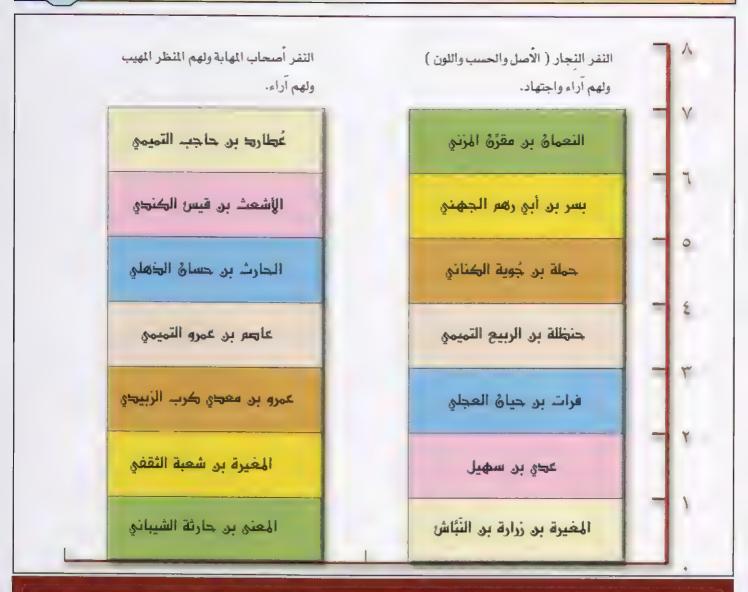
الفريقان اللذان توجها إلى يزدجرد لدعوته إلى الإسلام قبل بدء الحرب في القادسية، وأميرهم النعمان بن مقرن المزني

وصل كتاب الخليفة **عمر** – رضي الله عنه –، للقائد سعد يأمره فيه أن يرسل وفداً من عنده كمفاوضين ليزدجرد حتى يبلغوه رسالة الإسلام، ويسمع منهم؛ فأرسل سعد مجموعة من كبار الصحابة وقادة المسلمين، تجمعهم صفات القيادة والهيبة والإجلال !؟ وجعل عليهم النعمان بن مقرّن المزني، فدخلوا على يزدجرد وحاشيته وقد أخذوا زينتهم ليبهروا المسلمين بتلكم المظاهر الخادعة!، فلم يلتفت المسلمون لهذه البهرجة الزائفة، وأخذ النعمان بن مقرّن في الكلام، وعرض رسالة الإسلام ببساطة ويسر رائعين. ثم تكلم بعده يزدجرد وكان سفيهاً متكبراً متسرعاً فأساء الكلام!، فرد عليه المغيرة بن زرارة رداً قوياً خيره فيه بين الإسلام، أو الجزية، أو الحرب، فاستشاط يزدجرد غضباً، حتى هم بقتلهم، تمعن رواية الطبري في الصفحة السابقة!؟ .

... أن **سعد بن أبي وقاص** حين جاءه أمرُ **عمر** فيهم، جمع نفراً عليهم **نجار**، ولهم آراء، ونفراً لهم **منظر**؛ وعليهم مهابة ولهم آراء؛ فأما الذين عليهم نِجار ولهم آراء ولهم اجتهاد ـــ انظر خانة الأسماء الأولى في الشكل البياني ـــ وأما من لهم منظر لأجسامهم؛ وعليهم مهابة ولهم آراء؛ ـــ انظر خانة الأسماء الثانية في الشكل البياني ـــ فبعثهم دُعاة إلى الملك . الطبري، المصدر السابق .

قال الطبري: خرج رستم من عنده (أي: يزدجرد) كئيباً غضبان - وكان منجماً كاهناً - فبعث في أثر الوفد، وقال لثقته : إن أدركهم الرسول تلافينا أرضنا، وإن أعجزوه سلبكم الله أرضكم وأبناءكم. فرجع الرسول من **الحيرة** بفواتهم، فقال: ذهب القوم بأرضكم غير ذي شك، ماكان من شأن ابن الحجامة الملك ذهب القوم بمفاتيح أرضنا؟ فكان ذلك مما زاد الله به فارس غيظاً. وأغاروا بعدما خرج الوفد إلى يزدجرد، إلى أن جاءوا إلى صيادين قد اصطادوا سمكاً، وسار **سواد بن مالك التيمي** إلى **النجاف والفراض** إلى جنبها، فاستاق ثلثمائة دابة من بين بغل وحمار وثور، فأوقروها سمكاً، واستاقوها، فصبحوا العسكر، فقسم السمك بين الناس سعد، وقسم الدواب، ونفل الخمس إلا ما رد على المجاهدين منه، وأسهم على السبي؛ وهذا **يوم الحيتان**، وقد كان الآزاذ مرد ابن الآزاذبه خرج في الطلب، فعطف عليه سواد وفوارس معه، فقاتلهم على **قنطرة السيليحين**؛ حتى عرفوا أن الغنيمة قد نجت، ثم اتبعوها فأبلغوها المسلمين، فكانوا قد اكتسبوا منها ما اكتفوا به لو أقاموا زماناً؛ فكانت السرايا إنما تسري للحوم، ويسمون أيامها بها، ومن أيام اللحم يوم **الأباقر ويوم الحيتان**. وبعث **مالك بن ربيعة بن خالد التيمي**؛ تيم الرباب، ثم الواثلي ومعه **المساور بن النعمان التيمي** ثم الربيعي في سرية أخرى؛ فأغاروا على **الفيوم**؛ فأصابا إبلاً لبني تغلب والنمر فشلاها ومن فيها، فغدوا بها على سعد فنحرت الإبل في الناس. وأخصبوا، وأغار على النهرين **عمرو بن الحارث**، فوجدوا على باب ثوراء مواشي كثيرة، فسلكوا أرض **شيلى** - وهي اليوم نهر زياد - حتى أتوا بها العسكر. الطبري. تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ص ٥٩٠ - ٥٩١ ، طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي

الفَيُّوم: بالفتح، وتشديد ثانيه ثم واو ساكنة، وميم: وهي في موضعين: أحدهما بمصر **والآخر موضع قريب من هيت بالعراق**، وقيل: إن مروان بن محمد بن مروان الحمار آخر خلفاء بني أمية قُتل ببعض نواحيها؛ وقال أعرابيّ في **فيوم العراق:**

عجبتُ لعطّار أتانا يَسوُمنا
بدسكَرَة الفيوم دُهنَ البنفسج
فويحك يا عطار! هلاَّ أتيتنا
بضِغث خزامى أو بخوصة عرفج

كأنَّ هذا الأعرابي أنكر على العطار أن جاءه بما هو موجود بالفيوم وسأله أن يأتيه بما ألِفَه في صحاريه. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٨٦ - ٢٨٨ .

شِيلَى: ناحية من نواحي الكوفة ولها نهر يعرف بنهر شِيلى. لها ذكر في الفتوح، والنهر اليوم يعرف بنهر زياد ينسب إلى زياد ابن أبيه. والله أعلم، وقد ذكر في نهر. الحموي، المصدر السابق.

سرايا سعد بن أبي وقاص قبل القادسية
بنو ربيعة
نصارى العرب
٣
مالك بن ربيعة بن خالد التيمي
المساور بن النعمان التيمي ثم الربيعي
نهر العظيم
نهر ديالى
هيت
نهر الفرات
الأنبار
الفلوجة
بغداد
المدائن
الامبراطورية
الساسانية
نهر دجلة
الكوت
بابل
٢
عمرو بن الحارث الفهري
العراق
وادي الأبيض
شيلى
الكوفة
عفك
١
النجف
الحيرة
سواد بن مالك التيمي
القادسية
بنو شيبان
صفر
٥٠
١٠٠
١٥٠
٢٠٠
٢٥٠ كم

يزدجرد يوجه رستم نحو القادسية

قال الطبري: قالوا: وعج أهل السواد إلى **يزدجرد** بن شهريار، وأرسلوا إليه أن العرب قد نزلوا القادسية بأمر ليس يشبه إلا الحرب، وإن فعل العرب مذ نزلوا القادسية لا يبقى عليه شيء؛ وقد أخربوا ما بينهم وبين الفرات؛ وليس فيما هنالك أنيس إلا في الحصون، وقد ذهب الدواب وكل شيء لم تحتمله الحصون من الأطعمة، ولم يبق إلا أن يستنزلونا، فإن أبطأ عنا الغياث أعطيناهم بأيدينا. وكتب إليه بذلك الملوك الذين لهم الضياع بالطف، وأعانهم عليه، وهيجوه على بعثه رستم.

ولما بدا ليزدجرد أن يرسل **رستم** أرسل إليه، فدخل عليه، فقال له: إني أريد أن أوجهك في هذا الوجه؛ وإنما يعد للأمور على قدرها، وأنت رجل أهل فارس اليوم، وقد ترى ما جاء أهل فارس من أمر لم يأتهم مثله منذ ولي آل أردشير. فأراه أن قد قبل منه، وأثنى عليه. فقال له الملك: قد أحب أن أنظر فيما لديك لأعرف ما عندك، **فصف لي العرب وفعلهم منذ نزلوا القادسية، وصف لي العجم وما يلقون منهم.**

قال رستم: صفة ذئاب صادفت غرة من رعاء فأفسدت. فقال: ليس كذلك؛ إني إنما سألتك رجاء أن تعرب صفتهم فأقويك لتعمل على قدر ذلك فلم تصب، فافهم عني؛ إنما مثلهم ومثل أهل فارس كمثل عقاب أوفى على جبل يأوي إليه الطير بالليل، فتبيت في سفحه في أوكارها، فلما أصبحت تجلت الطير، فأبصرته يرقبها، فإن شذ منها شيء اختطفه، فلما أبصرته الطير لم تنهض من مخافته؛ وجعلت كلما شذ منها طائر اختطفه، فلو نهضت نهضة واحدة ردته؛ وأشد شيء يكون في ذلك أن تنجو كلها إلا واحداً؛ وإن اختلفت لم تنهض فرقة إلا هلكت؛ فهذا مثلهم ومثل الأعاجم؛ فاعمل على قدر ذلك. فقال له رستم: أيها الملك، دعني؛ فإن العرب لا تزال تهاب العجم ما لم تضرهم بي؛ ولعل الدولة أن تثبت بي فيكون الله قد كفى، ونكون قد أصبنا المكيدة ورأي الحرب؛ فإن الرأي فيها والمكيدة أنفع من بعض الظفر. فأبى عليه، وقال: أي شيء بقي! فقال رستم: إن للأناة في الحرب خير من العجلة، والأناة اليوم موضع، وقتال جيش بعد جيش أمثل من هزيمة بمرة وأشد على عدونا. فلج وأبى، **فخرج حتى ضرب عسكره بساباط،** وجعلت تختلف إلى الملك الرسل ليرى موضعاً لإعفائه وبعثه غيره، ويجتمع إليه الناس. وجاء العيون إلى **سعد** بذلك من قبل الحيرة وبني صلوبا، وكتب إلى **عمر** بذلك. ولما كثرت الإستغاثة على **يزدجرد** من أهل السواد على يدي الآزاذ به جشعت نفسه واتقى الحرب برستم، وترك الرأي - وكان ضيفاً لجوجاً - فاستحث رستم، فأعاد عليه رستم القول، وقال: أيها الملك؛ لقد اضطرني تضييع الرأي إلى إعظام نفسي وتزكيتها؛ ولو أجد من ذلك بداً لم أتكلم به، فأنشدك اللهفي نفسك وأهلك وملكك؛ دعني أقم بعسكري وأسرح الجالنوس؛ فإن تكن لنا فذلك؛ وإلا فأنا على رجل وأبعث غيره، حتى إذا لم نجد بداً ولا حيلة صبرنا لهم؛ وقد وهنا هم وحسرناهم ونحن جامون. فأبى إلا أن يسير [١].

١ - الطبري، تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ص ٥٨٧ ، طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي.

تحرك رستم نحو القادسية
المدائن
الإمبراطورية الساسانية
نهر دجلة
نهر الفرات
صرصر
خرج رستم من ساباط فلقيه جابان على قنطرتها فتشاكيا، ثم أمر رستم جابان بالتقدم نحو الحيرة، بينما بلغ جالنوس النجف فضرب عسكره وأقام فسطاطه بها .
ساباط
المسيب
كوثى
دير كعب
خرج رستم من كوثى حتى نزل في بُرس . فغصبت جنوده الناس أموالهم واعتدوا على حرماتهم فوقعوا على نسائهم وشربوا الخمور، فضجّ الأهالي من ذلك .
كيش
كربلاء
بابل
برس
نهر نرسى
خندق سابور الفارسي
إيسن
دلبات
ماراد
رستم يعسكر بين الفرات والنجف
عيون الرهبان
النجف
الحيرة
صنين
القادسية
العذيب
صفر ١٠ ٢٠ ٣٠ ٤٠ ٥٠كم

لما نزل رستم **بساباط**، وجمع آلة الحرب وأداتها بعث على **مقدمته** الجالنوس في أربعين ألفاً، وقال: ازحف زحفاً، ولا تنجذب إلا بأمري؛ واستعمل على **ميمنته** الهرمزان، وعلى **ميسرته** مهران بن بهران الرازي، وعلى **ساقته** البيرزان، وقال رستم ليشجع الملك: إن فتح الله علينا القوم فهو وجهنا إلى ملكهم في دارهم حتى نشغلهم في أصلهم وبلادهم، إلى أن يقبلوا المسالمة أو يرضوا بما كانوا يرضون به. فلما قدمت وفود **سعد** على الملك، ورجعوا من عنده رأى رستم فيما يرى النائم رؤيا فكرهها، وأحس بالشر، وكره لها الخروج ولقاء القوم، واختلف عليه رأيه واضطرب، . وسأل الملك أن يمضي الجالنوس ويقيم حتى ينظر ما يصنعون، وقال : إن غناء الجالنوس كغنائي، وإن كان إسمي أشد عليهم من إسمه، فإن ظفر فهو الذي نريد، وإن تكن الأخرى وجهت مثله، ودفعنا هؤلاء القوم إلى يوم ما: فإني لا أزال مرجواً في أهل فارس، ما لم أهزم ينشطون، ولا أزال مهيباً في صدور العرب ؛ ولا يزالون يهابون الإقدام ما لم أباشرهم؛ فإن باشرتهم اجترءوا آخر دهرهم، وانكسر أهل فارس آخر دهرهم. فبعث مقدمته أربعين ألفاً ؛ وخرج في ستين ألفاً، وساقته في عشرين ألفاً[١] .

قالوا: وخرج رستم في عشرين ومائة ومائة ألف، كلهم متبوع، وكانوا بأتباعهم أكثر من مائتي ألف، وخرج من المدائن في ستين ألف متبوع.

لما أبى الملك إلا السير، كتب رستم إلى أخيه وإلى رءوس أهل بلادهم: من رستم إلى البندوان مرزبن الباب، وسهم أهل، الذي كان لكل كون يكون،فيفض الله به كل جند عظيم شديد، ويفتح به كل حصن حصين، ومن يليه ؛ فرموا حصونكم، وأعدوا واستعدوا، فكأنكم بالعرب قد وردوا بلادكم، وقارعكم عن أرضكم وأبنائكم، وقد كان من رأي مدافتهم ومطاولتهم حتى تعود سعود هم نحوساً ؛ فأبى الملك.أن يزدجرد لما أمر رستم بالخروج من ساباط، كتب إلى أخيه بنحو من الكتاب الأول، وزادفيه: فإن السمكة قد كدرت الماء، وإن النعائم قد حسنت، وحسنت الزهرة ، واعتل الميزان، وذهب بهرام ؛ ولا أرى هؤلاء القوم إلا سيظهرون علينا، ويستولون على ما يلينا. وإن أشد ما رأيت أن الملك قال: لتسيرن إليهم أو لأسير إليهم أنا بنفسي. فأنا سائر إليهم[٢] .

١ - ٢ ، الطبري، تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ص ٥٩١ - ٥٩٢ ، طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي.

وكان الذي جرأ **يزدجرد** على إرسال **رستم** غلام جابان مُنَجِّم كسرى، وكان من أهل فرات بادقلى، فأرسل إليه فقال: ما ترى في مسير رستم **وحرب العرب اليوم**؟ فخافه على الصدق فكذبه، وكان رستم يعلم نحواً من علمه، فثقل عليه مسيره لعلمه، وخف على الملك لما غره منه، وقال: إني أحب أن تخبرني بشيء أراه أطمئن به إلى قولك، فقال الغلام **لزرنا الهندي**: أخبره، فقال: سلني، فسأله فقال: أيها الملك يقبل طائرفيقع على إيوانك فيقع منه شيء في فيه ها هنا - وخط داره - فقال العبد: صدق، والطائر غراب، والذي في فيه درهم.

وبلغ جابان أن الملك طلبه، فأقبل حتى دخل عليه، فسأله عما قال غلامه، فحسب فقال: صدق ولم يصب ؛ هو عقيق، والذي في فيه درهم، فيقع منه على هذا المكان، وكذب زرنا. ينزو الدرهم فيستقر ها هنا - ودور دارة أخرى - فما قاموا حتى وقع على الشرفات عقعق، فسقط منه الدرهم في الخط الأول، فنزا فاستقرفي الخط الآخر ونافر الهندي جابان حيث خطأه؛ فأتيا ببقرة نتوج ؛ فقال الهندي: سخلتها غراء سوداء، فقال جابان: كذبت، بل سوداء صبغاء، فنحرت البقرة فاستخرجت سخلتها، فإذا هي ذنبها بين عينيها، فقال جابان: من ها هنا أتى زرنا، وشجعاه على إخراج رستم، فأمضاه، وكتب جابان إل جشنسماه: إن أهل فارس قد زال أمرهم، وأديل عدوهم عليهم، وذهب ملك المجوسية، وأقبل ملك العرب، وأديل دينهم ؛ فاعتقد منهم الذمة، ولا تخلبنك الأمور، والعجل العجل قبل أن تؤخذ! فلما وقع الكتاب إليه خرج جشنسماه إليهم حتى أتى **المعنى**؛ وهو في خيل بالعتيق، وأرسله إلى **سعد**، فاعتقد منه على نفسه وأهل بيته ومن استجاب له ورده، وكان صاحب أخبارهم. وأهدى للمعنى فالوذق، فقال لامرأته: ما هذا؟ فقالت: أظن البائسة امرأته أراغت العصيدة فأخطأتها، فقال المعنى: بؤساً لها ![1].

مرتسم تخيلي لفارسي، وهو يخاطب بغلظة أحد ملاك الأراضي من العرب على أرض الرافدين، قبل الفتح الإسلامي !!.

١ - الطبري، تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ص ٥٩٢ ، طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي.

المسلمون والفرس قبل المعركة

قال الطبري: دعا **رستم** أهل الحيرة وسرادقه إلى جانب الدير، فقال: يا أعداء الله، فرحتم بدخول العرب علينا بلادنا، وكنتم عيوناً لهم علينا، وقويتموهم بالأموال! فاتقوه بابن بقيلة، وقالوا له: كن أنت الذي تكلمه، فتقدم، فقال: أما أنت وقولك: إنا فرحنا بمجيئهم. فماذا فعلوا؟ وبأي ذلك من أمورهم نفرح! إنهم ليزعمون أنا عبيد لهم، وما هم على ديننا؛ وإنهم ليشهدون علينا أنا من أهل النار. وأما قولك: إنا كنا عيوناً لهم، فما الذي يحوجهم إلى أن نكون عيوناً لهم، وقد هرب أصحابكم منهم، وخلوا لهم القرى! فليس يمنعهم أحد من وجه ارادوه؛ إن شاءوا أخذوا يميناً أو شكالاً. وأما قولك: إنا قويناهم بالأموال؛ فإنا صانعناهم بالأموال عن أنفسنا؛ وإذ لم تمنعونا مخافة أن نسبى وأن نحرب، وتقتل مقاتلتنا - وقد عجز منهم من لقيهم منكم - فكنا نحن أعجز؛ ولعمري لأنتم أحب إلينا منهم؛ وأحسن عندنا بلاء، فامنعونا منهم لكن لكم أعواناً: **فإنما نحن بمنزلة علوج السواد، عبيد من غلب.** فقال رستم: صدقكم الرجل[1].

قال الناس **لسعد**: لقد ضاق بنا المكان؛ فأقدم، فزبر من كلمه بذلك، وقال: إذا كفيتم الرأي، فلا تكلفوا؛ فإنا لن نقدم إلا على رأي ذوي الرأي، فاسكتوا ما سكتنا عنكم وبعث طليحة وعمراً في غير خيل كالطليعة، وخرج سواد وحمضية في مائة مائة؛ فأغاروا على النهرين؛ وقد كان سعدنها هما أن يمنعا، وبلغ رستم، فأرسل إليهم خيلاً، وبلغ سعداً أن خيله قد وغلت: فدعا **عاصم بم عمرو وجابراً الأسدي**، فأرسلهمافي آثارهما يقتصانها، وسلكا طريقهما، وقال لعاصم: إن جمعكم قتال فأنت عليهم، فلقيهم بين النهرين وإصطيميا؛ وخيل أهل فارس محتوشتهم، يريدون تخلص ما بين أيديهم؛ وقد قال سواد لحمضية: أختر؛ إما أن تقيم لهم وأستاق الغنيمة، أو أقيم لهم وتستاق الغنيمة. قال: أقم لهم ونهنههم عني، وأنا أبلغ لك الغنيمة؛ فأقام لهم سواد، وانجذب حمضية، فلقيه عاصم بن عمرو، فظن حمضية أنها خيل للأعاجم أخرى، فصد عنها منحرفاً؛ فلما تعارفوا ساقها؛ ومضى عاصم إلى سواد - وقد كان أهل فارس تنقذوا بعضها - فلما **رأت الأعاجم عاصماً** هربوا، وتنقذ سواد ما كانوا ارتجعوا؛ **فأتوا سعداً بالفتح والغنائم والسلامة**؛ وقد خرج طليحة وعمرو؛ فأما طليحة فأمره بعسكر رستم، وأما عمرو فأمره بعسكر الجالنوس؛ فخرج طليحة وحده، وخرج عمروفي عدة، فبعث قيس بن هبيرة في آثارهما؛ فقال: إن لقيت قتالاً فأنت عليهم - وأراد إذلال طليحة لمعصيته، وأما عمرو فقد أطاعه - فخرج حتى تلقى عمراً، فسأله عن طليحة، فقال: لا علم لي به، فلما انتهينا إلى النجف من قبل الجوف، قال له قيس: ما تريد؟ قال: أريد ن أغير على أدنى عسكرهم؛ قال:في هؤلاء! قال: نعم، قال: لا أدعك والله وذاك! أتعرض المسلمين لما لا يطيقون قال: وما أنت وذاك! قال: إني أمرت عليك؛ ولو لم أكن أميراً لم أدعك طليحة إذا اجتمعتم[2].

---

١ - ٢ ، الطبري، تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ص ٥٩٣ - ٥٩٤، طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي.

المسلمون والفرس قبل المعركة
المعسكر الفارسي
بحر النجف
النجف
الحيرة
نهر الفرات
الخورنق
سيلحين
خندق سابور
المعسكر الإسلامي
القادسية

فقال عمرو: والله يا قيس: إن زماناً تكون عليَّ فيه أميراً لزمان سوء ! لأن أرجع عن دينكم هذا إلى ديني الذي كنت عليه وأقاتل عليه حتى أموت أحب إليَّ من أن تتأمر عليَّ ثانية. وقال: لئن عاد صاحبك الذي بعثك لمثلها لنفارقنه ؛ قال: ذاك إليك بعد مرتك هذه، فرده؛ فرجعا إلى **سعد** بالخبر. وبأعلاج وأفراس، وشكا كل واحد منهما صاحبه ؛ أما قيس فشكا عصيان عمرو، وأما عمرو، فشكا غلظة قيس. فقال **سعد**: يا عمرو، الخبر والسلامة أحب إليَّ من مصاب مائة بقتل ألف، أتعمد إلى حلبة فارس فتصادمهم بمائة إن كنت لأراك أعلم بالحرب مما أرى. فقال: إن الأمر لكما قلت؛ وخرج طليحة حتى دخل عسكرهم في ليلة مقمرة، فتوسم فيه، فهتك أطناب بيت رجل عليه، واقتاد فرسه، ثم خرج حتى مر بعسكر ذي الحاجب، فهتك على رجل آخر بيته، وحل فرسه ثم دخل على الجالنوس عسكره فهتك على آخر بيته، وحل فرسه، ثم دخل على الجالنوس ؛ فهتك على آخر بيته، وحل فرسه ثم حتى أتى الحرارة وخرج الذي كان بالنجف، والذي كان في عسكر ذي الحاجب فاتبعه الذي كان في عسكر الجالنوس، فكان أولهم لحاقاً به الجالنوس ثم الحاجبي، ثم النجفي ؛ فأصاب الأولين، وأسر الآخر. وأتى به سعداً فأخبره، وأسلم ؛ فسماه سعد مسلماً؛ ولزم طليحة؛ فكان معه في تلك المغازي كلها [1].

كان عمر قد عهد إلى سعد حين بعثه إلى فارس: ألا يمر بماء من المياه بذي قوة ونجدة ورياسة إلا أشخصه؛ فإن أبى انتخبه، فأمره عمر، فقدم القادسية في أثني عشر ألفاً من أهل الأيام، وأناس من الحمراء استجابوا للمسلمين، فأعانوهم: أسلم بعضهم قبل القتال، وأسلم بعضهم غب القتال، فأشركوا في الغنيمة، وفرضت لهم فرائض أهل القادسية: ألفين ألفين ؛ وسألوا عن أمنع قبائل العرب، فعادوا تميماً ؛ **فلما دنا رستم، ونزل النجف** بعث **سعد** الطلائع ؛ وأمرهم أن يصيبوا رجلاً ليسأله عن أهل فارس: فخرجت الطلائع بعد اختلاف؛ فلما أجمع ملأ الناس أن الطليعة من الواحد إلى العشرة، سمحوا فأخرج سعد طليحة في خمسة، وعمرو بن معد يكرب في خمسة ؛ وذلك صبيحة قدم **رستم** الجالنوس وذا الحاجب ؛ ولا يشعرون بفصولهم من النجف؛ فلم يسيروا إلا فرسخاً وبعض آخر ؛ حتى رأوا مسالحهم وسرحهم على الطفوف قد ملئوها، فقال بعضهم: ارجعوا إلى أميركم فإنه سرحكم؛ وهو يرى أن القوم بالنجف؛ فأخبروه الخبر، وقال بعضهم: ارجعوا لا ينذر بكم عدوكم! فقال عمرو لأصحابه: صدقتم، وقال طليحة لأصحابه: كذبتم: ما بعثتم لتخبروا عن السرح، وما بعثتم إلا للخبر قالوا: فما تريد؟ قال: أريد أن أخاطر القوم أو أهلك. فقالوا: أنت رجل في نفسك غدر ؛ ولن تفلح بعد قتل عكاشة بن محصن؛ فارجع بنا فأبى. وأتى سعداً الخبر برحيلهم ؛ فبعث قيس بن هبيرة الأسدي، وأمره على مائة، وعليهم إن هو لقيهم. فانتهى إليهم وقد افترقوا، فلما رآه عمرو قال: تجلدوا له، أروه أنهم يريدون الغارة ؛ فردهم، ووجد طليحة قد فارقهم فرجع بهم. فأتوا سعداً، فأخبروه بقرب القوم. **ومضى طليحة، وعارض المياه على الطفوف ؛ حتى دخل عسكر رستم،** وبات فيه يجوسه وينظر ويتوسم ؛ فلما أدبر الليل، خرج وقرأتي أفضل من توسم في ناحية العسكر، فإذا فرس له

---

١ - . الطبري، تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ص ٥٩٥ ، طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي .

لم يـر فـي خيـل القوم مثله، وفسطاط أبيض لم يـر مثله: فانتضى سيفه، فقطع مقود الفرس، ثم ضمه إلى مقود فرسه، ثم حرك فرسه، فخرج يعدو به، ونذر به الناس والرجل، فتنادوا وركبوا الصعبة والذلول، وعجل بعضهم أن يسرج، فخرجوا فـي طلبه، فأصبح وقد لحقـه فارس من الجند، فلمـا غشيه وبوأ له الرمـح ليطعنه عدل طليحة فرسـه، فنـذر الفارسي بين يديه، فكر عليه طليحة، فقصم ظهره بالرمح، ثم لحـق له آخر، ففعل به مثل ذلك، ثم لحـق بـه آخر؛ وقد رأى مصـرع صاحبيه - وهما ابنا عمه - فازداد حنقاً، فلما لحـق بطليحة، وبوأ له الرمح، عدل طليحـة فرسـه، فنذر الفارسـي أمامه، وكر عليه طليحة أن يركضـ ؛ ودعاه إلى الإسار، فعـرف الفارسي أنه قاتله فاستأسـر، وأمره طليحة أن يركض بـين يديه؛ ففعل . ولحق الناس فرأوا فارسي الجند قد قتلا وقد أسري الثالث، **وقد شارف طليحة عسكرهم**، فأحجمـوا عنه، ونكسوا، وأقبل طليحة حتى غشي العسكـر، وهم على تعبية، فأفرغ النـاس، وجـوزوه إلى سعد؛ فلما انتهى إليه، قال: ويحك ما وراءك ! قال: دخلت عساكرهم وجستها منذ الليلة، وقد أخـذت أفضلهـم توسمـاً، ومـا أدري أصبـت أم أخطأت ! وها هـو ذا فاستخـبره. **فأقيم الترجمان بـين سعد وبين الفارسـي**، فقـال له الفارسي: أتؤمنني على دمي إن صدقتك؟ قال: نعم، الصدق في الحرب أحب إلينا من الكذب، قـال: أخبركـم عن صاحبكم هذا قبل أن أخبركم عمن قبلي: باشرت الحروب وغشيتها، وسمعت بالأبطال ولقيتها؛ منـذ أنـا غلام إلى أن بلغت ما تـرى، ولم أر ولم أسمع بمثل هذا؛ أن رجلاً قطع عسكرين لا يجترىء عليهما الأبطال إلى عسكرفيه سبعون ألفاً، يخدم الرجل منهم الخمسة والعشرة إلى ما هو دون؛ فلم يرض أم يخرج كما دخل حتى سلـب فارس الجند؛ وهتك أطناب بيتـه فأنذروه، فأنذرنا به، فطلبناه، فأدركـه الأول وهو فارس الناس، يعدل ألف فارسـ فقتلـه، فأدركـه الثاني وهو نظـيره فقتله، ثـم أدركته، ولا أظـن أنني خلقت بعـدي من يعدلنـي وأنا الثائر بالقتيلين، وهما ابنا عمي، فرأيت الموت فاستأسرت. ثم أخبره عن أهل فارس ؛ بأن الجند عشرون ومائة ألف، وأن الأتباع مثلهم خدام لهم. **وأسلم الرجل وسماه سعد مسلماً**، وعاد إلى طليحة، وقال: لا والله، لا تهزمون ما دمتم علـى مـا أرى من الوفـاء والصدق والإصلاح والمؤاسـاة ؛ لا حاجة لي في صحبة فارس ؛ فـكان من أهل البلاء يومئذ [١]

١ - الطبري، تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ص ٥٩٥ ، طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي.

وقـفة

قال سعد بن أبي وقاص لأسيره: الصدق في الحرب أحب إلينا من الكذب؟

عن جابر رضي الله عنه أن **النبي** صلى الله عليه وسلم قال: "الحرب خدعة" ونحن المسلمون نعتقد أن الحرب خدعة كمـا أخـبر ﷺ، وأن المسلـم قد يستعمل المكر مـع الأعداء ولكن هذا يختلف عـن التصريحات الكاذبـة أو نقض العهود. لذلـك اتفـق الفقهـاء على جواز خـداع الكفار في الحـرب؛ إلا أن يكون فيه نقض عهـد أو أمان فلا يجوز. كمـا يدل أيضاً علـى تحذيـر المؤمن من خداع الكفـار لئلا تكون الغلبة عليهم. ومعنـاه: أن الخصم قد يدرك من خصمـه بالمكر والخديعة فـي الحـرب ما لا يدركـه بالقوة والعدد وذلك مجرب معروف، وقـد وقع في يوم الأحزاب من الخديعـة للمشركين واليهود والكيـد لهـم علـى يد نعيم بن مسعود - رضي الله عنـه - بإذن **النبي** - صلى الله عليه وسلم - مـا كان من أسباب خذلان الكافرين وتفريق شملهم واختلاف كلمتهم، وإعزاز المسلمين ونصرهم عليهم .

رسل سعد بن أبي وقاص إلى رستم

قـال الطبري: لما نزل **رستم** علـى العتيق وبات به، أصبح غادياً على التصفح والحـزر، فساير العتيق نحو خفان؛ **حتى أتى على منقطع عسكر المسلمين، ثم صعد حتى انتهى إلى القنطرة؛ فتأمل القوم**؛ حتى أتى على شيء يشرف منه عليهم؛ فلما وقف على القنطرة **راسل زهرة**، فخرج إليه حتى واقفه، فأراده أن يصالحهم، ويجعل له جعلاً على أن ينصرفوا عنه، وجعل يقول فيما يقول: أنتم جيراننا وقد كانت طائفة منكم في سلطاننا؛ فكنا نحسن جوارهـم، ونكـف الأذى عنهم، ونوليهم المرافق الكثيرة، نحفظهم في أهـل باديتهم: فنرعيهم مراعينا، ونميرهم من بلادنا، ولا نمنعهم من التجارة في شيء من أرضنا؛ وقد كان لهم في ذلك معاش - يعرض لهم بالصلح؛ وإنما يخبره بصنيعهـم، والصلـح يريد ولا يصرح - فقال له **زهرة**: صدقت، قـد كان ما تذكر ؛ وليس أمرنا أمر أولئك ولا طلبتنا. إنا لم نأتكم لطلب الدنيا؛ إنما طلبنا وهمتنا الآخرة: كنا كما ذكرت، يدين لكم من ورد عليكم منا، ويضرع إليكم يطلب ما في أيديكم. ثم بعث الله تبارك وتعالى إلينا رسولاً، فدعانا إلى ربه، فأجبناه، فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم: إني قـد سلطت هـذه الطائفة علـى من لم يدن بديني، فأنا منتقم بهم منهم؛ وأجعل لهم الغلبة مـا دامـوا مقرين بـه، وهـو دين الحـق، لا يرغب عنـه أحـد إلا ذل، ولا يعتصم به أحـد إلا عز. **فقال له رستم**: وما هو؟ قال: أما عموده الـذي لا يصلـح منـه شـيء إلا بـه، **فشهادة أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله**. والإقـرار بما جـاء من عند الله تعـالى. قـال: مـا أحسـن هذا ؟ وأي شيء أيضاً؟ قال: وإخراج العبـاد من عبادة العباد إلى عبـادة الله تعـالى. قـال: حسـن، وأي شـيء أيضـاً؟ قـال: والنـاس بنو آدم وحواء، إخوة لأب وأم، قـال: ما أحسن هـذا؟ ثم قال له **رسـتم**: أرأيت لو أني رضيت بهذا الأمر وأجبتكم إليه؛ ومعي قومي كيف يكون أمركم أترجعون؟ قال: إي والله، ثم لا نقرب بلادكم أبداً إلا في تجارة أو حاجة. قال: صدقني الله، أما إن أهل فارس منذ ولي أردشـير لم يدعـوا أحداً يخـرج من عمله من السفلـة، كانوا يقولون إذا خرجـوا من أعمالهم: تعـدوا طورهم. وعادوا أشرافهـم. **فقـال لـه زهرة** ؛ نحن خير الناس للنـاس، فلا نستطيع أن نكون كما تقولون : نطيـع الله في السفلة، ولا يضرنـا من عصى الله فينا. فانصـرف عنه، ودعا رجال فارس فذاكرهم هذا فحموا من ذلك وأنفوا ، فقال: أبعدكم الله وأسحقكـم! أخـزى الله أخرعنا وأجبنا! ؟ فلما انصرف رستم ملت إلى **زهـرة**، **فكان إسلامي** ؛ وكنت له عديداً. وفرض لي فرائض أهل القادسية[١]

لقد حمل هؤلاء الرسل، الصورة الإيجابية لرجـالات الفتـح الإسلامـي، فلقـد كان هـؤلاء القادة فـي حروبهـم وفتوحاتهم خير من مثـل الإسـلام بين الشعـوب المفتوحـة؛ ممـا مهـد لتحريرهم من قبضة الجبابرة والظالمين، وإخراجهم من عبادة الخلق إلى عبـادة الخالق، ومن ذل الكفر إلى عـز الإيمـان، ومن جـور الأديـان إلى عدل الإسـلام. كان هـذا هـو شعـار الفاتحين المسلمين الموحدين .

١. الطبري، تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ص٦٥٩، طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي.

تقدم الفريقين نحو القادسية
بحر النجف
سيلحين
تقدم الجيش الفارسي من السيلحين إلى المنطقة القريبة من القادسية .
خرارة
موقع جيش رستم
الجيش
خندق سابور الفارسي
طيزناباذ
موقع جيش بهمن
المجوسي
موقع جيش جالنوس
١
قائد الجيش الفارسي (رستم) ينزل قريباً من الجيش الإسلامي ، ثم يأخذ بالاستعراض ، حيث نظر إلى معسكر المسلمين ، فأخذ يراسل قائد مقدمة الجيش الإسلامي (زهرة بن عبد الله الحوّية) فخرج إليه ووقف معه ؛ فحدثه رستم حديثاً يريد به الصلح وإن كان تلميحاً لا تصريحاً ، ثم انصرف رستم فدعا حاشيته وتدارسوا الوضع الحرج الذي يمرون به ؛ فوجدوا أن المراسلات خير وسيلة لذلك .
القادسية
٢
بعد انصراف رستم ، رأى من الأهمية بمكان بعد مشاورة اتباعه ، أن يقوم بعرض بعض الأفكار لعلها تصرف المسلمين عن القتال معهم ، فأرسل رستم أحد رجاله إلى زهرة فقال : « إن رستم يقول لكم أرسلوا إلينا رجلاً نكلمه ويكلمنا » وانصرف . فأرسل زهرة إلى سعد بن أبي وقاص القائد العام للمسلمين بهذا الخبر .
نهر العتيق
الجيش الإسلامي
الجيش الإسلامي من العذيب إلى القادسية
صفر ١ ٢ ٣ ٤ ٥ كم
مرج السباخ

أرسل **سعد بن أبي وقاص** – رضي الله عنه –، إلى **المغيرة بن شعبة وبسر بن أبي رهم وعرفجة بن هرثمة وحذيفة ابن محصن وربعي بن عامر وقرفة ابن زاهر التيمي ثم الوائلي ومذعور بن عدي العجلي، والمضارب بن يزيد العجلي ومعبد بن مرة العجلي** – وكان من دهاة العرب – فقال: إني مرسلكم إلى هؤلاء القوم ؛ فما عندكم؟ قالوا جميعاً: نتبع ما تأمرنا به، وننتهي إليه ؛ فإذا جاء أمر لم يكن منكفيه شيء نظرنا أمثل ما ينبغي وأنفعه للناس: فكلمناهم به. فقال **سعد**: هذا فعل الحزمة، اذهبوا فتهيئوا، فقال **ربعي بن عامر**: إن الأعاجم لهم آراء وآداب، ومتى نأتهم جميعاً يروا أنا قد احتفلنا بهم؟ فلا تزدهم على رجل: فمالئوه جميعاً على ذلك، فقال: فسرحوني، فسرحه، فخرج ربعي ليدخل على رستم عسكره، فاحتسبه الذين على القنطرة، وأرسل إلى رستم لمجيئه، فاستشار عظماء أهل فارس، فقال: ما ترون أنباهي أم نتهاون ! فأجمع ملؤهم على التهاون، فأظهروا الزبرج، وبسطوا البسط والنمارق، ولم يتركوا شيئاً، ووضع لرستم سرير الذهب، وألبس زينته من الأنماط والوسائد المنسوجة بالذهب. وأقبل ربعي يسير على فرس له رباء قصيرة، معه سيف له، غمدة لفافه ثوب خلق، ورمحه مغلوب بقد، معه حجفة من جلود البقر؛ على وجهها أديم أحمر مثل الرغيف، ومعه قوسه ونبله. فلما غشى الملك، وانتهى إليه وإلى أدنى البسط، قيل له: انزل، فحملها على البساط، فلما استوت عليه، نزل عنها وربطها بوسادتين فشقهما، ثم أدخل الحبلفيهما، فلم يستطيعوا أن ينهوه ؛ وإنما أرواه التهاون وعرف ما أرادوا، فأراد استحراجهم، وعليه درع له كأنها أضاة ويلمقه عباءة بعيره، قد جابها وتدرعها، وشدها على وسطه بسلب وقد شد رأسه بمعجرته: وكان أكثر العرب شعرة، ومعجرته نسعة بعيره؛ ولرأسه أربع ضفائر؛ قد قمن قياماً، كأنهن قرون الوعلة. فقالوا: ضع سلاحك، فقال: إني لم آتكم فأضع سلاحي بأمركم، أنتم دعوتموني، فإن أبيتم أن آتيكم كما أريد رجعت. فأخبروا رستم ؛ فقال: ائذنوا له: هل هو إلا رجل واحد؟ فأقبل يتوكأ على رمحه، وزجه نصل يقارب الخطو، ويزج النمارق والبسط ؛ فما ترك لهم نمرقه ولا بساطاً إلا أفسده وتركه منهتكاً مخرقاً؛ فملما دنا من رستم تعلق به الحرس، وجلس على الأرض، وركز رمحه بالبسط، فقالوا: ما حملك على هذا؟ قال: إنا لا نستحب القعود على زينتكم هذه فكلمه، **فقال: ما جاء بكم؟** قال: **الله ابتعثنا، والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العبادة إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه حتى نفضي إلى موعود الله** قال: وما موعود الله: **قال الجنة لمن مات على قتال من أبى لمن بقي** فقال رستم: قد سمعت مقالتكم، ورجعنا عنه، وتركناه وأرضه يليها دوننا، ومن أبى قاتلناه أبداً ؛ فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا! قال: نعم، كم أحب إليكم؟ أيوماً أو يومين؟ قال: لا بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا. وأراد مقاربته ومدافعته، فقال: إن مما سن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل به أئمتنا، ألا نمكن الأعداء من آذاننا، ولا نؤجلهم عند اللقاء أكثر من ثلاث، فنحن مترددون عنكم ثلاثاً، فانظرفي أمرك وأمرهم، واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل، اختر الإسلام وندعك وأرضك، أو الجزاء، فنقبل ونكف عنك ؛ وإن كنت عن نصرنا غنياً تركناك منه، وإن كنت إليه محتاجاً منعناك؛ أو المنابذة في اليوم الرابع: ولسنا نبدؤك فيما بيننا وبين اليوم الرابع إلا أن تبدأنا ؛

أنـا كفيـل لك بذلك علـى أصحابي وعلى جميع من ترى. قـال: أسيدهم أنت؟ قال: لا ؛ ولكـن المسلمين كالجسد بعضهـم مـن بعض: يجير أدناهم على أعلاهم. فخلص رستم برؤسـاء أهل فارس، ما ترون؟ هل رأيتم كلاماً قط أوضـح ولا أعـز مـن كلام هذا الرجل؟ قالوا: معاذ الله لك أن تميل إلى شيء مـن هذا وتدع دينك لهذا الكلب ! أما تـرى إلى ثيابـه ! فقـال: ويحكم لا تنظرو إلى الثياب؛ ولكـن انظروا؛ ولكن انظروا إلى الـرأي والكلام والسيرة؛ إن العـرب تستخف باللباس والمأكل ويصونون الأحسـاب، ليسوا مثلكم في اللباس، ولا يرون فيه ما ترون. وأقبلوا إليه يتناولون سلاحه، ويزهدونه فيه، فقال لهم: هل لكم إلى أن تروني فأريكم؟ فأخرج سيفه من خرقه كأنه شعلة نار. فقال القوم: اغمد ، فغمده؛ ثم رمى ترساً ورموا حجفته، فخرق ترسهم، وسلمت حجفته، فقال: يا أهل فارس؛ إنكم عظمتـم الطعـام واللباس والشراب؛ وإنا صغرناهن. ثم رجـع إلى أن ينظروا إلى الأجل، فلما كان من الغد بعثوا أن ابعـث إلينـا ذلك الرجل؛ فبعث إليهم **سعد** حذيفة بن محصن، فأقبل في نحو من ذلـك الزي، حتى إذا كان على أدنـى البساط، قيل له: انزل، قـال: ذلك لو جئتكم في حاجتي؛ فقولا لملككم: أله الحاجة أم لي؟ فإن قال: لي؛ فقد كـذب ؛ ورجعـت وتركتكم؛ فإن قال: لـه، لم آتكم إلا على ما أحب. فقال: دعوه، فجاء حتى وقف عليه **ورستم** على سريره، فقال: انزل، قال: لا أفعل، فلما أبى سأله: ما بالك جئت ولم يجيء صاحبنا بالأمس ؟ قال: إن أميرنا يحب أن يعدل بيننافي الشدة والرخاء؛ فهذه نوبتي. قال: ما جاء بكم؟ قال: إن الله عز وجل من علينا بدينه، وأرانا آياته، حتـى عرفنـاه وكنا له منكرين. ثم أمرنـا بدعاء الناس إلى واحدة من ثلاث ؛ فأيها أجابـوا إليها قبلناها: الإسلام وننصـرف عنكـم، أو الجـزاء ونمنعكم إن احتجتم إلى ذلك، أو المنابذة فقـال: أو الموادعة إلى يوم ما؟ فقال: نعم، ثلاثاً من أمس. فلما لم يجد عنده إلا ذلك رده وأقبل على أصحابه، فقال: ويحكم ! ألا ترون إلى ما أرى! جاءنا الأول بالأمـس فغلبنـا علـى أرضنا، وحقر ما نعظـم، وأقام فرسه على زبرجنـا وربطه به؛ فهو في يمـن الطائر، وذهب بأرضنا ومافيها إليهم، مع فضل عقله. وجاءنا هذا اليوم فوقف علينا؛ فهو في يمن الطائر يقوم على أرضنا دوننا ؛ حتـى أغضبهـم وأغضبوه. فلما كان من الغد أرسـل: ابعثوا إلينا رجلاً، فبعثوا إليهم **المغيرة بن شعبة** .؟ فأخرج سيفـه مـن خرقه كأنه شعلة نار. فقال القوم: اغمد، فغمده ؛ ثم رمى ترسـاً ورموا حجفته، فخرق ترسهم، وسلمت حجفتـه، فقـال: يا أهل فارس؛ إنكم عظمتم الطعام واللباس والشراب: وإنا صغرناهن. ثم رجع إلى أن ينظروا إلى الأجل، فلما كان من الغد بعثوا أن ابعث إلينا ذلك الرجل ؛ فبعث إليهم سعد حذيفة بن محصن، فأقبلفي نحو من ذلـك الـزي، حتـى إذا كان على أدنى البسـاط، قيل له: انزل، قال: ذلـك لو جئتكم في حاجتي؛ فقـولا لملككم: أله الحاجـة أم لي ؟ فـإن قال: لي: فقـد كـذب : ورجعت وتركتكم؛ فإن قال: له، لم آتكـم إلا على ما أحب. فقال: دعوه، فجاء حتى وقف عليه ورستم على سريره، فقال: انزل، قال: لا أفعل، فلما أبى سأله: ما بالك جئت ولم يجئ صاحبنا بالأمـس ؟ قـال: إن أميرنا يحـب أن يعدل بيننا في الشدة والرخاء؛ فهذه نوبتي. قال: ما جاء بكم؟ قال: إن الله عز وجل من علينا بدينه، وأرانا آياته، حتى عرفناه وكنا له منكرين. ثم أمرنا بدعاء الناس إلى واحدة من ثلاث ؛ فأيها أجابـوا إليهـا قبلناهـا: الإسلام وننصرف عنكـم، أو الجزاء ونمنعكـم إن احتجتم إلى ذلـك، أو المنابذة فقال: أو الموادعة إلى يوم ما؟ فقال: نعم، ثلاثـاً من أمـس. فلما لم يجـد عنــده إلا ذلـك رده وأقبل عـلى أصحـابه،

فقال: ويحكم ! ألا ترون إلى ما أرى! جاءنا الأول بالأمس فغلبنا على أرضنا، وحقر ما نعظم، وأقام فرسه على زبرجنا وربطه به؛ فهو في يمن الطائر، وذهب بأرضنا ومافيها إليهم، مع فضل عقله. وجاءنا هذا اليوم فوقف علينا؛ فهو في يمن الطائر يقوم على أرضنا دوننا؛ حتى أغضبهم وأغضبوه. فلما كان من الغد أرسل: ابعثوا إلينا رجلاً، فبعثوا إليهم المغيرة بن شعبة.

قال: لما جاء **المغيرة** إلى القنطرة فعبرها إلى أهل فارس حبسوه واستأذنوا رستم في إجازته، ولم يغيروا شيئاً من شارتهم، تقوية لتهاونهم؛ فأقبل المغيرة بن شعبة، والقوم في زيهم، عليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب، وبسطهم على غلوة لا يصل إلى صاحبهم؛ حتى يمشي عليهم غلوة؛ وأقبل المغيرة وله أربع ضفائر يمشي؛ حتى جلس معه على سريره ووسادته؛ فوثبوا عليه فترتروه وأنزلوا ومغثوه. فقال: كانت تبلغنا عنكم الأحلام؛ ولا أرى قوماً أسفه منكم ! إنا معشر العرب سواء؛ ولا يستعبد بعضنا بعضاً إلا أن يكون محارباً لصاحبه؛ فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى؛ وكان أحسن من الذي صنعتم أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض، وأن هذا الأمرفيكم فلا نصفه، نصنعه، ولم آتكم، ولكن دعوتموني اليوم، علمت أن أمركم لا يستقم فيكم مضمحل، وأنكم مغلوبون؛ وأن ملكاً لا يقول على هذه السيرة، ولا على هذه العقول.

فقال السفلة: صدق والله العربي، **وقالت الدهاقين**: والله لقد رمى بكلام لا يزال عبيدنا ينزعون إليه ؛ قاتل الله أولينا، ما كان أحمقهم حين كانوا يصغرون أمر هذه الأمة ! فمازحه رستم ليمحو ما صنع، وقال له: يا عربي ؛ إن الحاشية قد تصنع ما لا يوافق الملك ،فيتراخى عنها مخافة أن يكسرها عما ينبغي من ذلك ؛ فالأمر على ماتحب من الوفاء وقبول الحق ؛ ما هذه المغازل التي معك؟ قال: ما ضر الجمرة ألا تكون طويلة ! ثم راماهم. وقال: ما بال سيفك رثاً! قال: رث الكسوة، حديد المضربة. ثم عاطاه سيفه، ثم قال له رستم: تكلم أم أتكلم؟ فقال المغيرة: أنت الذي بعثت إلينا، فتكلم. فأقام الترجمان بينهما، وتكلم رستم، فحمد قومه، وعظم أمرهم وطوله. وقال: لم نزل متمكنين في البلاد، ظاهرين على الأعداء، أشرافاً في الأمم؛ فليس لأحد من الملوك مثل عزنا وشرفنا وسلطاننا، ننصر على الناس ولا ينصرون علينا إلا اليوم واليومين، أو الشهر والشهرين ؛ للذنوب ؛ فإذا انتقم الله فرضى رد إلينا عزنا، وجمعنا لعدونا شر يوم هو آت عليهم. ثم إنه لم يكن في الناس أمة أصغر عندنا أمراً منكم؛ كنتم أهل قشف ومعيشة سيئة، لا نراكم شيئاً ولا نعدكم، وكنتم إذا قحطت أرضكم، وأصابتكم السنة استغثتم بناحية أرضنا فنأمر لكم بالشيء من التمر والشعير ثم نردكم، وقد علمت أنه لم يحملكم على ما صنعتم إلا ما أصابكم من الجهدفي بلاد، فأنا آمر لأميركم بكسوة وبغل وألف درهم، وآمر لكل رجل منكم بوقر تمر وبثوبين، وتنصرفون عنا، فإني لست أشتهي أن أقتلكم ولا آسركم. فتكلم المغيرة بن شعبة، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: إن الله خالق كل شيء ورازقه ؛ فمن صنع شيئاً فإنما هو الذي يصنعه هو له. وأما الذي ذكرت به نفسك وأهل بلادك؛ من الظهور على الأعداء والتمكن في البلاد وعظم السلطان في الدنيا ؛ فنحن نعرفه، ولسنا ننكره ؛ فالله صنعه بكم ؛ ووضعه فيكم وهو له دونكم ؛ وأما الذي ذكرتفينا من سوء الحال، وضيق المعيشة واختلاف القلوب ؛ فنحن نعرفه ؛ ولسنا ننكره؛ والله ابتلانا بذلك، وصيرنا إليه، والدنيا دول؛ ولم يزل أهل شدائدها يتوقعون الرخاء حتى يصيروا إليها ؛

ولـو يـزل أهل رخاتهـا يتوقعون الشدائد حتى تنـزل بهم ويصيروا إليهـا ولوكنتم فيما آتاكـم الله ذوي شكر، كان شكركم يقصر عما أوتيتم، وأسلمكم ضعف الشكر إلى تغير الحال؛ ولو كنا فيما ابتلينا به أهل كفر؛ كان عظيم ما تتابـع علينـا مستجلباً من الله رحمة يرفه بها عنا، ولكن الشأن غـير ما تذهبون إليه : أو كنتم تعرفوننا به ؛ إن الله تبارك وتعالى بعث فينا رسولاً....ثم ذكر مثل الكلام الأول: حتى انتهى إلى قوله: وإن احتجت إلينا أن نمنعك فكن لنـا عبـد تؤدي الجزية عن يـد وأنت صاغر، وإلا فالسيـف إن أبيت ! **فنخر نخرة**، واستشـاط غضباً، **ثم حلف بالشمس لا يرتفع لكم الصبح غداً حتى أقتلكم أجمعين.**

فانصـرف **المغـيرة** ؛ وخلص **رسـتم** تألفـاً بأهل فارس، وقال: أين هؤلاء منكم؟ ما بعـد هذا ! ألم يأتكم الأولان فحسَّراكـم واستحرجاكم، ثـم جاءكم هذا، فلم يختلفوا، وسلكـوا طريقاً واحداً، ولزموا أمـراً واحداً: هؤلاء والله الرجـال: صادقـين كانوا أم كاذبين ! والله لئـن كان بلغ من إربهم وصونهم لسرهم ألا يختلفـوا، فما قوم أبلغ فيما أرادوا منهـم: لئـن كانوا صادقين ما يقول لهؤلاء شيء ! فلجوا وتجلدوا وقـال: والله إني لأعلم أنكم تصغون إلى ما أقول لكم ؛ وإن هذا منكم رثاء؛ فازدادوا لجاجة. الطبري، المصدر السابق.

قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُ ... ﴾ فاطر

العقيـدة، هي الضابط الأمين الذي يحكم التصرفات، ويوجه السلوك، ويتوقف على إيحائها واحكامها كل ما يصدر عن النفس من كلمات أو حركات، وهذه العزة جعلت العرب كما قال سيد قطب في ظلالـه : (تحت راية الإسلام ولأول مرة في تاريخ العرب أصبح لهم دور عالمي يؤدونه، وأصبحت لهم قوة دولية يحسـب لهـا حساب، قوة جارفة تكتسح الممالك وتحطم العروش، وتتولى قيادة البشرية بعد أن تزيح القيادات الجاهلية المزيفة الضالة... ولكن الذي هيأ للعرب هذا لأول مرة في تاريخهم هو أنهم نسوا أنهم عرب ! نسوا نعرة الجنس، وعصبية العنصر، وذكروا أنهم مسلمون. ومسلمون فقط. ورفعوا راية الإسلام، وراية الإسلام وحدها، وحملوا عقيدة ضخمة قوية يهدونها إلى البشرية رحمة وبراً بالبشرية، ولم يحملوا قوميـة ولا عنصريـة ولا عصبية. حملوا فكرة سماوية يعلمون الناس بها لا مذهباً أرضياً يخضعون الناس لسلطانه، وخرجوا من أرضهم جهاداً في سبيل الله وحده، ولم يخرجوا ليؤسسوا إمبراطورية عربية ينعمون ويرتعون في ظلها، ويشمخون ويتكبرون تحت حمايتها، ويخرجون الناس من حكم الروم والفرس إلى حكم العرب وإلى حكمهم أنفسهم ! إنما قاموا ليخرجوا الناس من عبادة العباد جميعاً إلى عبادة الله وحـده ، ...) لقدكانت هذه الفتوحات طريقاً لتحرر الفكر من القيود التي فرضتها اوضاع الجاهليات التي سادت والاضطهادات الدينية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية- فكان المسلمون كما قال ربعي بن عامر لرستـم قائـد الفرس في القادسية عام ١٤ هـ : "إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام" .

أيام القادسـية

بعد نهاية المفاوضات بين الطرفين قال **رستم**: (أتعبرون إلينا أم نعبر إليكم ؟) قالوا: (بل اعبروا إلينا). وخرج المسلمـون من رستم عشية، فأرسل **سـعد** إلى وحدات المسلمـين أن يقفوا مواقفهم. وأرسل إلى رستم يسمح له بالعبور ويقول له: (شأنكم والعبور)، وبدأت جموع الفرس تتجه نحو القنطرة ليعبروها، وكان سعد في مقامه الطويل بموقع القادسية، أراد أن يحتفظ بهذه القنطرة لأهميتها القصوى، فهي مخرج سهل للفرس حين تدور عليهم الدائرة لم يشأ أن يتركها لهم حتى لا يتاح لهذا الجيش الضخم أن ينسحب إلى مواقع أخرى فيصمد في معارك تالية [١].

لقد وضع **سـعد** خطته على عدم السماح بعبور الفرس لهذه القنطرة، حتى يظل محتفظاً بها، فاتجهوا إلى قبالة (قديس) وردموا نهر العتيق من الليل حتى أصبحوا، ثم اصطف الفريقان للمواجهة الحاسمة .

اليوم الأول (أرماث)

الخميس ١٣ شعبان ١٥ هـ - ٢٠ سبتمبر ٦٣٦م

كتب سعد إلى الرايات: إني قد استخلفت عليكم خالد بن عرفطة، وليس يمنعني أن أكون إلا وجعي الذي يعودني وما بي من الحبون، فإني مكب على وجهي وشخصي لكم باد، فاسمعوا له وأطيعوا، فإنه إنما يأمركم بأمري، ويعمل برأي فقـرىء علـى الناس فزادهم خيراً، وانتهوا إلى رأيه، وقبلوا منه وتحاثوا على السمع والطاعة، وأجمعوا على عذر سعد والرضا بما صنع [٢].

وقـام الأشعـث بـن قيس فقال: يـا معشر كندة : لله دربني أسد ! أي فريّ يفـرون ! وأي هذّ يهذُّون عن موقفهم منذ اليـوم ! أغنـى كل قوم ما يليهم؛ وأنتم تنتظرون من يكفيكم البأس ! أشهد ما أحسنتم أسوة قومكم العرب منذ اليوم، وإنهـم ليقتلون ويقاتلون؛ وأنتم جثاة على الركـب تنظرون ! فوثب إليه عدد منهم عشرة؛ فقالوا: عثر الله جدك ! إنك لتؤبسنـا جاهـداً، ونحن أحسـن الناس موقفاً ! فمـن أين خذلنا قومنا العـرب وأسأنا إسوتهم فهـا نحن معك. فنهد ونهـدوا، فأزالـوا الذيـن بإزائهم ؛ فلما رأى أهل فارس مـا تلقى الفيَلة من كتيبة أسد رموهـم بحدهم وبدر المسلمين الشدة عليهم ذو الحاجب والجالنوس، **والمسـلمون** ينتظرون التكبيرة الرابعة من **سـعد**، فاجتمعت حلبة فارس على أسـد ومعهـم تلك الفيلة، وقد ثبتوا لهم؛ وقد كبر سعد الرابعة فزحف إليهـم المسلمون ورحى الحرب تدور على أسد، وحملـت الفيـول على الميمنـة والميسرة على الخيـول؛ فكانت الخيول تحجم عنهـا وتحيد، وتلح فرسانهـا على الرجل يشمسون بالخيل؛ فكانت الخيول تحجم عنها وتحيد، وتلح فرسانها على الرجل يشمسون بالخيل؛ فأرسل سـعد إلى

---

١ - أحمد عادل كمال، القادسية، ص ١١٨ .

٢ - الطبري، تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ص ٦٠١ - ٦٠٢ ، طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي

عاصم بن عمرو، فقال: **يا معشر بني تميم**: ألستم أصحاب الإبل والخيل ! أما عندكم لهذه الفيَلة من حيلة ! قالوا: بلـى والله ؛ ثـم نادى في رجال من قومه رماة وآخرين لهم ثقافة، فقال لهم: يا معشر الرماة ذبوا ركبان الفيلة عنهم بالنبـل، وقال: يـا معشر أهل الثقافة استدبروا الفيلـة فقطعوا وضنها؛ وخرج يحميهم والرحى تدور على **أسـد**، وقد جالـت الميمنة والميسرة غير بعيد؛ وأقبل أصحــاب عاصم على الفيلة، وردوا فارس عنهم إلى مواقفهم ؛ فاقتتلوا حتى غربت الشمس حتى ذهبت هدأة من الليل ؛ ثم رجع هؤلاء وهؤلاء؛ وأصيب من أسد تلك العشية خمسمائة ؛ وكانوا ردءاً للناس؛ وكان عاصم عادية الناس وحاميتهم؛ **وهذا يومها الأول وهو يوم أرماث**[1].

١ - الطبري، تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ص ٦٠٤ ، طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي.

اليوم الثاني (أغواث)

الجمعة ١٤ شعبان ١٥ هـ = ٢١ سبتمبر ٦٣٦ م

في نهاية اليوم الأول، انصرف الفريقان لإعادة التنظيم وتأمين المتطلبات الإدارية، ولم يحقق أحد منهم نصراً حاسما؛ إلا أن المسلمين استطاعوا إحباط مخطط عدوهم الذي كان يعول عليه النصر من خلال زج الفيَلة بالمعركة. وقد استطاع المسلمون في عشاء يوم أرماث ليلة (الهدأة) أن يجمعوا شهداءهم وجرحاهم ومن ثم إرسالهم على ظهور الجمال إلى (العُذيب)، حيث كانت النساء هناك يقمن بالتطبيب والعمل على دفن الشهداء في قبور قمن بحفرها في أرجاء العذيب. وكان من عادة المجوس ترك جثث قتلاهم من دون دفن لتحريم الديانة المجوسية ذلك، بينما كانت أرض المعركة خالية من جثث المسلمين كما ذكرنا سابقاً، مما كان له أبلغ الأثر على الفريقين معنوياً، **وعند بزوغ الشمس في اليوم الثاني** الذي اصطلح عليه يوم **(أغواث)** جاء المدد من الشام بجيش العراق الذي شارك مع خالد بن الوليد - رضي الله عنه - في فتح الشام بـ (٦٠٠٠٠) مقاتل. عليهم، **هاشم بن عتبة ابن أبي وقاص**، وعلى مقدمته **القعقاع بن عمرو التميمي**، الذي أسرع بالمقدمة فسبق أصحابه حتى أدرك المعركة قبلهم، وقد أعملوا في أهل فارس،حيث استطاع القعقاع قتل **ذا الحاجب بهمن جاذويه**، نائب القائد العام، فكان لمقتله أثر معنوي على الجيش الفارسي، ثم قتل **القعقاع** قائد الساقة **(البيرزان)** إلى أن أكثر المسلمون القتلى في الجيش الفارسي؛ ويفسر الطبري هذا الضعف الذي اعترى الفرس **بأنهم لم يستخدموا الأفيال**. وتعليل ذلك بأنهم انشغلوا بإصلاح توابيتها والتي تحتاج إلى وقت لا باس به من أجل إصلاحها. ورغم إيجابية الوضع على الساحة الإسلامية بعض الشيء فقد استشهد من المسلمين أعداداً كثيرة، كان منهم **أبناء الخنساء الأربعة** والذي قالت فيهم : **(الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجوا من الله تعالى أن يجمعني بهم في مستقر رحمته)**[١].

وفي هذه المعركة (يوم أغواث) استخدم **المسلمون** حيلة: حينما قاموا بإلباس الإبل براقع، ثم جعلوها تحمل على خيل الفرس مما اثارت الرعب فيها، وفرارها من لقاء الخصم، واستطاع المسلمون بعد هذه الخطة الحكيمة التشديد على قلب الفرس حتى ازاحوهم عن خيلهم وكادوا يصلون إلى مقر القيادة الفارسية المجوسية (رستم)، إلا أن الفرس أعادوا ترتيب صفوفهم، وتصحيح أوضاعهم، فاستعادوا مواقعهم واقتتلوا حتى انتصف الليل فتحاجزوا. وهكذا انقضى اليوم الثاني دون أن يحرز الفريقان نتيجة حاسمة، بعد أن استمر القتال كما أسلفنا إلى الليل؛ ليلة (السواد)[٢].

---

١ - ٢ . الطبري، تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ص ٦٠٢ - ٦٠٥ . طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي.

اليوم الثالث (عُمَاس)

في يوم عماس عاد جيش الفرس تدعمه الفيَلة مرة ثانية، بعد أن اصلحوا توابيت أفيالهم، ولعب القعقاع وجنوده دوراً مهماً بصمودهم أمام جحافل الجيش الفارسي، وظل القتال مستعراً من الصباح إلى المساء دون أن يكون هناك منتصراً. قال الطبري: لما أمسى الناس من يومهم ذلك، وطعنوا في الليل، اشتد القتال، وصبر الفريقان، فخرجا على السواء، وسميت هذه الليلة **ليلة الهرير** ولم يكن بعدها بالقادسية قتال إلى الليل . قال أنس بن الحليس: شهدت ليلة الهرير، فكان **صليل الحديد** فيها كصوت القيون ليلتهم حتى الصباح، أفرغ عليهم الصبر إفراغاً، بات سعد بليلة لم يبت بمثلها، ورأى العرب والعجم أمراً لم يروا مثله قط، وانقطعت الأصوات والأخبار عن رستم وسعد، وأقبل سعد على الدعاء، حتى إذا كان وجه الصبح، انتهى الناس فاستدل بذلك على أنهم الأعلون، وأن الغلبة لهم قال: أول شيء سمعه **سعد** ليلتئذ مما يستدل به على الفتح في نصف الليل الباقي صوت القعقاع بن عمرو وهو يقول:

نحن قتلنا معشراً وزائدا ... أربعة وخمسة وواحدا

نحسب فوق اللبد الأساودا ... حتى إذا ماتوا دعوت جاهدا

الله ربي. واحترزت عامدا

مرتسم تخيلي لمعركة القادسية الحاسمة بين المسلمين والفرس

اليوم الرابع (القادسية)

الاحد ١٦ شعبان ١٥ هـ = ٢٣ سبتمبر ٦٣٦ م

في بداية اليوم الرابع، وهي صبيحة ليلة الهرير، وتسمى ليلة القادسية من بين تلك الأيام ... ، كان المسلمون حسرى لم يغمضوا عيونهم ليلتهم كلها، وكان لابد للمسلمين من الصبر على القتال وقد قام فيهم القعقاع، واجتمع إليه رؤوس الناس، وقرروا الصمود لرستم ثم خالطوا الناس دونه مع الصبح، واستطاعوا الوصول إلى حيث سرير رستم، الذي لم يستطع أن ينجو بنفسه إلا حين هوى في العتيق، ووراءه جند المسلمين فقتلوه، **ثم نادى المسلمون قتل رستم**، وكانت الرياح نشطة في اتجاه يحمل غبار المعركة ويلقي به فوق المجوس. ثم اشتدت وهي دبور، وقام عندئذ الجالنوس قائد المقدمة ونادى أهل فارس وطلب إليهم العبور، **فتهافتوا في النهر فوخزهم المسلمون برماحهم فقتلوا منهم الأعداد الكبيرة**، ولم يبلغ العصر حتى أمر **سعد القعقاع بن عمرو** بمطاردة من سفل في هربه نحو الشرق وخرج معه في تلك المطاردة أخوه عاصم وأمر شرحبيل بن السمط بقوة من ميسرته بمطاردة من علا في هروبه نحو الشمال والشمال الغربي، وذلك في مطاردة سريعة غير عميقة؛ فالفلول ما زالت قريبة. وأمر **خالد بن عرفطة** بسلب القتلى وبدفن الشهداء. **وبذلك انكسرت شوكة الفرس بعد هذه المعركة الحاسمة، والتي نصر الله فيها المسلمين على الفرس المجوس نصراً مؤزراً**[1].

شهداء المسلمين يوم القادسية

---

١ - المغلوث، سامي بن عبد الله، أطلس الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ص ٨٣ .
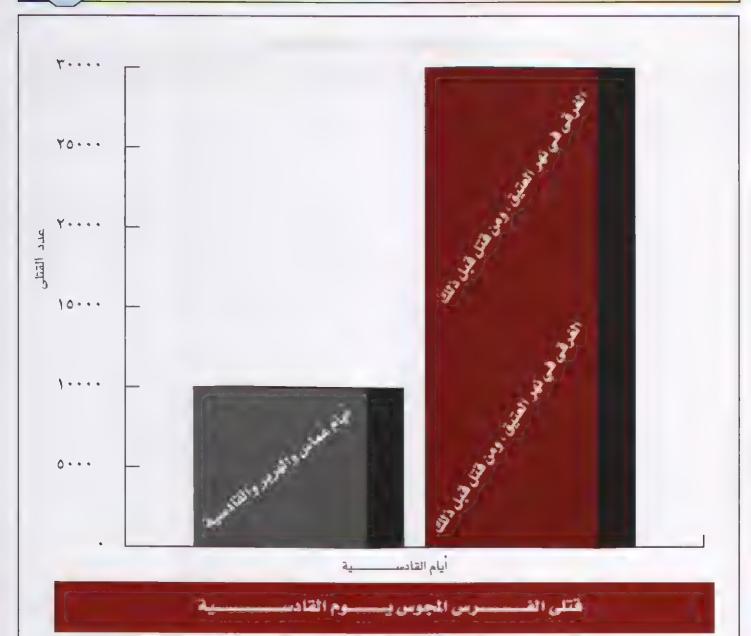
الأنفال في القادسية:

أخذ **سعد بن أبي وقاص** - رضي الله عنه - بتقسيم الغنائم على المجاهدين، فكان نصيب الراجل ألفين درهم، ونصيب الفارس ستة آلاف درهم. وقد أمر **عمر بن الخطاب** - رضي الله عنه - **سعداً** أن يفضل أهل البلاء عند العطاء، فزادهم **سعد** خمسمائة لكل منهم، وكانوا خمسة وعشرين رجلاً، منهم **زهرة وعصمة الضبي** ... . كذلك أمره أن يعطي من لحق بهم من جيش الشام ممن لم يدرك القتال. ووزع **سعد** وأعطى ثم بقي عنده شيء كثير فكتب إلى عمر يسأله، فأمره أن يعطي حملة القرآن، فجاءه عمرو بن معدي كرب وبسر بن أبي رهم ... فأعطاهما على بلائهما.

سعد بن أبي وقاص يزف بشرى نصر القادسية للخليفة عمر (رضي الله عنه)

أرسل **سعد بن أبي وقاص** - رضي الله عنه - ببشارة النصر للخليفة **عمر بن الخطاب** - رضي الله عنه - وكانت الجزيرة العربية بأسرها ومعها الروم والعالم كله في وقتها ينتظر نتيجة هذه المعركة الحاسمة.

قال الطبري: وكتب **سعد** بالفتح وبعدة من قتلوا وبعدة من أصيب من المسلمين؛ وسمى **لعمر** من يعرف مع سعد بن عميله الفزاري، وشاركهم النضر بن السري عن ابن الرفيل بن ميسور؛ وكان كتابه: أما بعد ؛ فإن الله نصرنا على أهل فارس، ومنحهم سنن من كان قبلهم من أهل دينهم، بعد قتال طويل وزلزال شديد، وقد لقوا المسلمين بعدة لم ير الراؤون مثل زهائها فلم ينفعهم الله بذلك، بل سلبهموه ونقله عنهم إلى المسلمين، واتبعهم المسلمون على الأنهار وعلى طفوف الآجام وفي الفجاج ؛ وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القارئ، وفلان، وفلان، ورجال من المسلمين لاتعلمهم، الله بهم عالم، كانوا يدوون بالقرآن إذا جن عليهم الليل دوي النحل، وهم آساد الناس؛ لا يشبههم الأسود، ولم يفضل من مضى منهم من بقي إلا بفضل الشهادة إذ لم تكتب لهم.

> سياسة عمر الرشيدة قد طبقت لشهرته الآفاق، التي كان من آثارها الفتوحات العظيمة: إذ تم على عهد حكمه فتح العراق، وفارس، والشام، وفلسطين، ومصر، وليبيا. وازدهرت على عهده البلاد الإسلامية ازدهاراً عظيماً، فعز الإسلام والمسلمون، ونعمت أمة الإسلام بالأمن والرخاء في كل ديارها .

لما أتى **عمر بن الخطاب** نزول رستم القادسية، كان يستخبر الركبان عن أهل القادسية من حين يصبح إلى انتصاف النهار، ثم يرجع إلى أهله ومنزله. قال: فلما لقى البشير سأله من أين ؟ فأخبره، قال: يا عبد الله، حدثني، قال: هزم الله العدو، و**عمر** يخب معه ويستخبره والآخر يسير على ناقته ولا يعرفه؛ حتى دخل المدينة، فإذا الناس يسلمون عليه بإمرة المؤمنين، فقال: فهلا أخبرتني رحمك الله، أنك أمير المؤمنين ! وجعل **عمر** يقول: لا عليك يا أخي ! .

ولما أتى **عمر** الفتح قام الناس فقرأ عليهم الفتح ، وقال: إني حريص على ألا أدع حاجة إلا سددتها ما اتسع بعضنا لبعض، فإذا عجز ذلك عنا تآسينا في عيشنا حتى نستوى في الكفاف، ولوددت أنكم علمتم من نفسي مثل الذي وقع فيها لكم، ولست معلمكم إلا بالعمل ؛ إني والله ما أنا بملك فأستعبدكم، وإنما أنا عبد الله عرض على الأمانة، فإن أبيتها ورددتها عليكم واتبعتكم وترووا سعدت، وإن أنا حملتها واستبقتها إلى بيتي شقيت؛ ففرحت قليلاً، وحزنت طويلاً، وبقيت لا أقال ولا أرد فأستعتب. (واغتم عمر كثيراً لمصاب سعد ابن عبيد)، وقال: (لقد كاد قتله ينغص عليّ هذا الفتح) .

الامبراطورية الساسانية

الشمال

العراق

النجف

الحيرة

القادسية

نهر دجلة

نهر الفرات

واقصة

الأبلة

زرود

فيد

جزيرة العرب

المدينة النبوية

بحر القلزم

قام عمر في الناس فقال: إنه من يعمل بالهوى والمعصية يسقط حظه ولا يضر إلا نفسه، ومن يتبع السُّنة وينته إلى الشرائع، ويلزم السبيل النهج ابتغاء ما عند الله لأهل الطاعة؛ أصاب أمره، وظفر بحظه، وذلك بأن الله عز وجل يقول: ﴿ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً﴾، وقد ظفر **أهل الأيام والقوادس** بما يليهم، وجلا أهله، وأتاهم من أقام على عهدهم، فما رأيكم فيمن زعم أنه استكره وحشر؛ وفيمن لم يدع ذلك ولم يقم وجلا، وفيمن أقام ولم يدع شيئاً، ولم يجل، وفي من استسلم. فأجمعوا على أن الوفاء لمن أقام وكف لم يزده غابه إلا خيراً، وأن من ادعى فصدق أو وفى فبمنزلتهم، وإن كذب نبذ إليهم وأعادوا صلحهم؛ وأن يجعل أمر من جلا إليهم، فإن شاءوا وادعوهم وكانوا لهم ذمة، وإن شاءوا تموا على منعهم من أرضهم ولم يعطوهم إلا القتال؛ وأن يخيروا من أقام واستسلم: الجزاء، أو الجلاء، وكذلك الفلاح. تاريخ الطبري

من سعد إلى أمير المؤمنين عمر

«أما بعد فإن الله نصرنا على أهل فارس ومنحهم سنن من كان قبلهم من أهل دينهم بعد قتال طويل وزلزال شديد. ولقد لقوا المسلمين بعدة لم ير الراؤون مثل زهائها فلم ينفعهم الله بذلك بل سلبهموه ونقله عنهم إلى المسلمين واتبعهم المسلمون على الأنهار وعلى طفوف الآجام وفي الفجاج. وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القارئ، وفلان وفلان ... ورجال من المسلمين لا نعلمهم، الله بهم عالم، كانوا يدوون بالقرآن إذا جن عليهم الليل دوي النحل. وهم آساد الناس لا يشبههم الأسود. ولم يفضل من مضى منهم من بقي إلا بفضل الشهادة إذ لم يكتب لهم»

صفر ٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠ ٢٥٠ كم

قال عاصم بن المقشَعر:

فلو شهدتني بالقوادس أبصرت — جلاد امرئ ماض إذا القوم أحجموا

أُضارب بالمشبوب حتى أفُلَّه — وأطعن بالرمح المتل وأقدم

التكتيك العسكري الإسلامي في المعركة:

كانت القادسية نموذجاً مميزاً من نماذج التكتيك العسكري الإسلامي، حيث برع المسلمون فيها بإتقان المناورة التكتيكية التي تتلاءم مع كل حالة قتالية من حالات المعركة، فقد ظهر على مسرح الأحداث قدرة الفاروق على التعبئة العامة، أو التجنيد الإلزامي والحشد الأقصى للوسائل، إذ حشد الخليفة لهذه المعركة أقصى ما يمكن حشده من الرجال، كما حشد لها الفئة المختارة من رجال المسلمين، فقد كتب إلى سعد أن ينتخب أهل الخيل والسلاح ممن له رأي ونجدة، فاجتمع لسعد في هذه المعركة بضعة وسبعون ممن حضروا بدراً، وثلاثمائة وبضعة عشر ممن صحبوا النبي ﷺ بعد بيعة الرضوان، وثلاثمائة ممن شهدوا فتح مكة، وسبعمائة من أبناء الصحابة ثم إنه لم يدع رئيساً ولا ذا رأي ولا ذا شرف ولا خطيباً ولا شاعراً إلا رماهم به، فرماهم بوجوه الناس وغررهم وهذا هو الحشد الأقصى للوسائل المادية والمعنوية للمعركة، ونجد في التعبئة لهذه المعركة، تجديداً لم نعهده عند المسلمين من قبل، إذ لم ينتظر سعد في ((صرار)) حتى يكتمل جيشه ثم ينطلق به إلى العراق بل انطلق في أربعة آلاف ووصل إلى مكان المعركة بالقادسية في سبعة عشر ألفاً، وهذه طريقة مبتكرة في تعبئة الجيوش لم يعتمدها المسلمون قبل عمر، وحدد الخليفة في رسائله إلى كل من المثنى وسعد مكان المعركة الحاسمة، وهو القادسية، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول قائد مسلم يعتمد (الرسالة الخارطة) في دراسته لأرض المعركة وبيئتها، إذ طلب من سعد أن يصف له في رسالة مفصلة، منازل المسلمين – أي مواقعهم – كأنه ينظر إليها، وأن يجعله من أمرهم – أي المسلمين على جلية، فكتب إليه سعد رسالة يشرح له فيها، بالتفصيل، جغرافية القادسية (بين الخندق والعتيق) وما يقع على يمينها ويسارها ثم يشرح له أوضاع البيئة التي تحيط بأرض المعركة فينبئه أن أهلها معادون للمسلمين، ويتخذ الخليفة، بناء على ذلك، قراره التكتيكي والإستراتيجي. واستخدم المسلمون أسلوب الغارات التموينية واستنزاف العدو منذ وصولهم إلى أرض العدو وتمركزهم فيها، وقد أفادت تلك الغارات التموينية في سد احتياجات الجيش من المؤن، فكان يوم الأباقر ويوم الحيتان وغيرها من الأيام والغارات، وقد اتخذت هذه الغارات بالإضافة إلى وجهها التمويني، وجهاً آخر هاماً، هو استنزاف طاقات العدو وقدرة الأهالي على تحمل آثار الحرب ومعاناتها. واستعمل المسلمون أسلوب الكمائن في مناوشاتهم مع الفرس قبل القادسية، وفي استنزافهم لطاقات العدو ومعنوياتهم، فقد كمن بكير بن عبد الله الليثي بفرقة من خيالة المسلمين، في أجمة من النخيل، وعلى الطريق إلى (الصنّين) لقافلة تضم أخت أزاد مرد بن أزاذبه مرزبان الحيرة، وهي تزف إلى صاحب (الصنين) من أشراف العجم، وما أن وصلت القافلة إلى مكان الكمين حتى انقض المسلمون عليها، فقصم بكير صلب (شيرزاد بن أزاذبه) أخي العروس، وكان على رأس الخيل التي تتقدم القافلة ونفرت الخيل تعدو بمن على ظهورها من رجال، وأخذ المسلمون الأثقال وابنة أزاذبه في ثلاثين امرأة من الدهاقين ومائة من التوابع وما معهما لا يدرى قيمته، واستعمل المسلمون في هذه المعركة أسلوب التكتيك المتغير وفقاً لكل حالة من حالات القتال وظرف من ظروفه، فبينما نراهم في اليوم الأول من المعركة يحتالون على الفيلة المهاجمة فيقطعون وضنها بعد أن يرموها بنبالهم فتفر من ميدان القتال ريثما يصل إليهم المدد القادم من الشام، كما يعمدون إلى إيصال هذا المدد إلى ساحة القتال تباعاً وزمرة زمرة بغية إيهام العدو بكثرته. ثم يعمدون إلى حيلة تكتيكية بارعة وذلك بأن يجللوا إبلهم ويبرقعوها تشبهاً بالفيلة ثم يطلقوها في صفوف العدو فتجفل خيلهم وتولي هاربة لا تلوي على شيء، ويعمد المسلمون في اليوم الثالث إلى مواجهة فيلة الفرس المحمية بخيالتهم ومشاتهم بأن يهاجموا أكبرها وأضخمها فيفقأوا عيونها ويقطعوا مشافرها، فتفر الفيلة هاربة، ويتساوى الفرس والمسلمون في ساحة القتال، بعد أن يخسر الفرس فيلتهم، أي مدرعاتهم ولما رأى المسلمون أن أمد القتال يمكن أن يطول قرروا الهجوم العام فعبأوا صفوفهم وزحفوا زحفة واحدة، وما أن تخلت صفوف العدو وانكشف قلبه حتى كان رستم قائد جيش العدو هدفهم، وما أن قضي على رستم حتى انهزم جيش الفرس هزيمة ساحقة، وهكذا نرى أن الأسلوب الذي اتبعه المسلمون في هذه المعركة لم يتقيد بالأساليب التقليدية التي كانت متبعة في القتال بل انه لبس لكل حالة لبوسها، فانتقل من الأساليب البدائية (المبارزة) إلى الحيل التكتيكية (الإبل المبرقعة وقطع وضن الفيلة وفقأ عيونها وقطع مشافرها إلى القتال الكلاسيكي التقليدي) ثم تميزت هذه المعركة بالهجوم العام واستهداف القائد من خلال التعبئة ذات الطابع القبلي، وميزة هذا الأسلوب أنه يوجد بين القبائل تنافساً فريداً في الحماسة والاندفاع في القتال هذه بعض الأساليب العسكرية الإسلامية التي مارسها المجاهدون في القادسية. د. علي الصلابي، فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ص ٥١٧ – ٥١٩، نقلاً عن كتاب (الفن العسكري الإسلامي)، للدكتور، ياسين سويد ص ٢٧١، ٢٧٥ .

بعض القصائد التي قيلت في نصر القادسية

مما قاله قيس بن المكشوح المرادي

جلبتُ الخيلَ من صَنعاءَ تَردِي ... بكل مُدَجَّجٍ كالليث سامي
إلى وادي القُرى فديار كلب ... إلى اليرموك فالبلدِ الشَامي
وجئنا القادسية بعد شهر ... مسَوَّمة دوابرها دوامي
فناهضنا هنالك جَمْعَ كسرى ... وأبناء المرازبة الكرام
فلمّا أن رأيت الخيل جالت ... قصدت لموقف الملك الهُمام
فاضربُ رأسه فهوى صريعا ... بسيفٍ لا أفلٍّ ولا كَهامِ
وقد أبلى الإله هناك خيراً ... وفعل الخير عند الله نامي

وقال بشر بن ربيع الخثعمي في القادسية:

تذكّر هداك الله ـ وقع سيوفنا ... بباب قُديس والمكرُّ عَسِيرُ
عشية ودَّ القوم لو أن بعضهم ... يعار جَنَاحَيْ طائر فيطيرُ
إذا ما فرغنا من قراع كتيبة ... دلَفنا لأخرى كالجبال تسير
ترى القوم فيها واجمين كأنّهم ... جمال بأجمال لهُنَّ زَفِيرُ

وقال بعض الشعراء:

وحيّتكَ عني عصبة نخعية ... حسان الوجوه آمنوا بمحمد
أقاموا لكسرى يضربون جنودَهُ ... بكلِّ رقيق الشفرتين مهنّدِ
إذا ثوّب الداعي أناخوا بكلكل ... من الموت مسودّ الغياطيل أجرد

وقال بعض الشعراء:

وجدنا الأكرمين بني تميم ... غداة الروع أكثرهم رجالا
هُمُوا ساروا بأرعن مكفهرٍ ... إلى لجب يرونهم رعالا
بحور للأكاسر من رجال ... كأسد الغاب تحسبهم جبالا
تركن لهم بقادس عز فخر ... وبالخيفين أياماً طِوالا
مقطعة أكفهم وسوق ... بمرد حيث قابلت الرجالا

تحركات القائد سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) بعد معركة القادسية .
المدائن
الإمبراطورية الساسانية
نهر دجلة
بهر سير
صرصر
ساباط
نهر الفرات
المسيب
كوثي
دير كعب
سورا
بابل
كيش
بُرس
العراق
كربلاء
خندق سابور الفارسي
دلبات
عيون الرهبان
النجف
الحيرة
صنّين
القادسية
١ أقام المسلمون في القادسية شهرين بعد المعركة انتظاراً لما يأمر به الخليفة عمر . ثم وردت عليهم مكاتبة الفاروق تامرهم بالسير إلى المدائن .
٢ نزل المسلمون على بُرس فلقوا بها جمعاً من الفرس بقيادة بصبهري ، فهزمهم المسلمون فهربوا نحو بابل وبها بقايا المنهزمين في القادسية . ولما هزم بصبهري وعلم بذلك دهقان برس، قدم على زهرة قائد هذه العملية لاجئاً وعارضاً عليه العون، وأخبر عن الفرس الذين اجتمعوا في بابل تأكيداً لحسن النية . فتوجه المسلمون إليهم .
٣ بقايا الفرس تفر من ملاقاة المسلمين: الهرمزان إلى الأهواز والفيرزان إلى نهاوند، والنخيرجان ومهران إلى بهر سير .
٤ سعد يمكث أياماً بكوثي، ثم يقدم زهرة إلى بهرسير .
٥ بلغ سعد بهرسير، فلما نزل عليها وأغلقت أبوابها بث خيوله فأغارت على من ليس له عهد فيما بين دجلة والفرات .

فتح بهـــرســـير

صفر الخير سنة ١٦ من الهجرة

قال أبو جعفر: ثم دخلت سنة ست عشرة، ففيها دخل المسلمون مدينة **بهر سير**، وافتتحوا المدائن، وهرب منها يزد جرد بن شهريار.

ولما نزل سعد على بهر سير بثّ الخيول، **فأغارت** على ما بين دجلة إلى عهد من أهل الفرات، فأصابوا مائة ألف فلاّح، فحسبـوا، فأصـاب كلّ منهم فلاحاً؛ وذلك أنّ كلهم فارس ببهرسير. فخندق لهم، فقال له شيرزاذ دهقان ساباط: إنك لا تصنع بهؤلاء شيئاً؛ إنما هؤلاء علوج لأهل فارس لم يجرّوا إليك، فدعهم إليّ حتى يفرق لكم الرأي. فكتب عليه بأسمائهم، ودفعهـم إليـه. فقال شيرزاذ: انصرفوا إلى قراكم. وكتب **سعد** إلى **عمـر**: إنّا وردنا بهر سير بعد الـذي لقينا فيما بين القادسيّة وبهر سير، فلم يأتنا أحد لقتال؛ فبثثت الخيول، فجمعت الفلاحين من القرى والآجام؛ فر رأيك. فأجابه: إنّ من أتاكم من الفلاحين إذا كانوا مقيمين لم يعينوا عليكم فهو أمانهم، ومن هرب فأدركتموه فشأنكم به.

فلما جاء الكتاب خلّى عنهم. وراسله الدّهاقين، فدعاهم إلى الإسلام والرجوع، أو الجزاء ولهم الذمّة والمنعة، فتراجعوا علـى الجـزاء والمنعة ولم يدخل فـي ذلك ما كان لآل كسرى، ومـن دخل معهم؛ **فلم يبق في غربـي دجلة إلى أرض العرب سواديّ إلاّ أمن واغتبط بملك الإسلام.** واستقبلوا الخراج؛ وأقاموا على بهر سير شهرين يرمونها بالمجانيق ويدبّون إليهم بالدبّابات، ويقاتلونهم بكلّ عدّة. الطبري، تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ص ٦٣٥ ، طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي.

بَهُرَسِيرُ: بالفتح ثم الضم، وفتح الراء، وكسر السين المهملة، وياء ساكنة، وراء: من نواحي سواد بغداد قرب المدائن، ويقال بَهُرَسير الرُّومَقان، وقال حمزة: بهرسير إحدى المدائن السبع التي سميت بها المدائن، وهي معرَّبة من دِه أردشير، وقال في موضع آخر: معرَّبة من به أردشير، كأن معناه خير مدينة أردشير، وهي في غربي دجلة، وقد خربت مدائن كسرى ولم يبق ما فيه عمارة غيرها، وهي تجاه الإيوان لأن الإيوان في شرقي دجلة وهي في غربيّة، رأيتها غير مرة، وبالقرب منها من جهة الجنوب زَريران ومن جهة الغرب صَرّصر؛ وقال أبو مُقَرِّن أيام الفتوح:

تولّى بنو كسرى وغاب نصيرُهم على بهرسير، فاستهدّ نصيرُها
غداة تَوَلَّتْ عن ملوك نصرها لدى غمرات لا يُبِلُّ بصيرها
مضى يزدجرد بن الأكاسر سادماً، شج وأدبَرَ عنه بالمدائن خِيرُها

والشعر في ذكرها كثير. وفي كتاب الفتوح: لما فرغ سعد بن أبي وقاص من القادسية سار حتى نزل بَهرسير ففتحها وأقام عليها تسعة أشهر، وقيل ثمانية، حتى أكلوا الرُّطَبَ مرّتين، ثم عبر دجلة فهرب منهم يزدجرد، وذلك في سنة خمس عشرة وست عشرة. الحموي، معجم البلدان، ج ١ ، ص ٥١٥

فتح بهرسير في صفر الخير سنة ١٦ هـ

أقام **سعد** على **بهرسير** وأهلها متحصنون وراء أسوارها وعليها خنادقها وحرسها، واستعمل سعد لأول مرة في حرب العراق الأسلحة الثقيلة، (انظر نماذج لهذه الأسلحة في الصفحة ما بعد القادمة)، فاستصنع شيرزاد المجانيق فصنع له عشرين منجنيقاً نصبها حول بهرسير وظل يرميهم بها وبالعرادات، ويدب إليهم بالدبابات ويقاتلهم بكل عدة، فشغلوهم بها والمسلمون مطيفون بهم شهرين. وقال : حبيب ابن صهبان (دفعنا إلى المدائن - بهرسير - وهي المدينة الدنيا فحصرنا ملكهم وأصحابه حتى أكلوا الكلاب والسنانير، قال: ثم لم يدخلوا حتى ناداهم مناد: والله ما فيها أحد، فدخلوها، وما فيها أحد) ثم دخل **سعد** بجيشه المدينة في جوف الليل،حتى وقفوا على النهر في مقابلة اسبانير إحدى **المدائن السبع** وهي مقر الأكاسرة **فلاح لهم وسط الظلام إيوان كسرى بقبته البيضاء الشامخة وجدرانه البيضاء**، يعلو على أشجار البساتين. فصاح **ضرار بن الخطاب القرشي**: (الله أكبر. أبيض كسرى، هذا ما وعد الله ورسوله ...) وارتج المكان بالصوت الرخيم لستين ألفاً ظلوا يكبّرون من الليل حتى أصبحوا بصوت الله أكبر الله أكبر ... .

١ القوات الإسلامية تحاصر بهرسير .

٢ أهل بهرسير يقعون تحت الحصار الإسلامي .

٣ القوات الإسلامية تقتحم بهرسير .

أماكن نصب العرادات والدبابات لضرب المنجنيق .

نماذج للأسلحة الهجومية القديمة (المنجنيق والعرادة والدبابة) [illegible]

كان المنجنيق أحد الأسلحة التي استخدمها المسلمون في هجومهم، حيث يستخدم في حالة الحصار فبحجارته تهدم الحصون والابراج، وبقذائفه الملتهبة تحرق الدور والمعسكرات، وكانت صناعة المنجنيق معروفة في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم، ويروي ابن هشام والطبري: أن عروة بن مسعود وغيلان بن سلمة لم يشهدا حنيناً ولا حصار الطائف لأنهما كانا بجرش يتعلمان صناعة الدبابة والضبور والمنجنيق، لذلك استخدم المسلمون في عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، هذا السلاح القوي، حيث وضع المسلمون عشرين منجنيقا ودبابة كبيرة مصنوعة من الخشب حول بهر سير، مما أضعف معنويات أهل بهر سير؛ فتركوا المدينة فارين.

شارات القادة العسكريين الفرس

كان جند الفرس على أربع طبقات :

- طبقة القواد العظام ويسمى واحدهم ميرميران ؛ أي : أمير الأمراء .
- ويلي هذا في رتبته أربعة قواد يسمى كل منهم إصفهبذ، أي : أمير حاكم
- ويلي كل إصفهبذ أربعة مرازبة، أي حاكم إقليم .
- ويلي كل مرزبان أربعة سالارية، أي؛ رئيس .
- وتحت كل سالار، عشرة أساورة؛ وهم الفرسان المفردة، وخمسة من المشاة، ويسمونهم البيادة .

فتح المدائن

منتصف صفر الخير سنة ١٦ من الهجرة

لما علم **سعد** أن كسرى قد عبر بالسفن إلى المدائن الشرقية وضم السفن كلها إليه وقع في حيرة من أمره، فالعدو أمامهم وليس بينهم إلا النهر ولا سبيل إلى عبوره لعدم توفر السفن، وهو يخشى أن يرتحل عدوه فيصعب القضاء عليه، وقد أتى **سعداً** بعض أهل فارس فدلوه على مخاضة يمكن اجتيازها مع المخاطرة، فأبى **سعد** وتردد عن ذلك، ثم فاجأهم النهر بمدٍّ عظيم حتى اسودَّ ماء النهر وقذف بالزبَّد من سرعة جريانه، وفي أثناء ذلك رأى **سعد** **رؤيا صالحة**[1] مفادها أن خيول المسلمين قد عبرت النهر، فعزم لتأويل رؤياه على العبور، وجمع الناس فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال: إن أعدائكم قد اعتصموا منكم بهذا البحر فلا تخلصون إليهم معه وهم يخلصون إليكم إذا شاؤوا فَيُنَاوشونكم في سفنهم وليس وراءكم شئ تخافون أن تؤتوا منه، قد كفاكموهم أهل الأيام، وعطلوا ثغورهم وأفنوا ذادتهم وقد رأيت من الرأي أن تبادروا جهاد عدوكم بنياتكم قبل أن تحصركم الدنيا، **ألا إني قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم فقالوا جميعاً: عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل** (مستند ١).

ندب القائد **سعد** الناس إلى العبور وقال: من يبدأ ويحمي لنا الفِراضَى حتى تتلاحق به الناس لكي يمنعوهم من الخروج؟ فانتدب له عاصم بن عمرو التميمي وكان من أصحاب البأس والقوة، وانتدب بعده ستمائة من أهل النجدات، فأمّر عليهم سعد عاصماً فسار فيه حتى وقف على شاطئ دجلة وقال: من ينتدب معي لنحمي الفِراضَى من

-أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتفاءلون خيراً بالرؤيا من الرجل الصالح، ويعتبرونها مُرجحاً للإقدام على العمل وكانوا رضي الله عنهم يحسنون الظن بالله تعالى ويعتبرون أن رُؤى الخير تثبيت وتأييد منه تعالى.

-أن قادة المسلمين في العهد الراشدي كانوا يتصفون غالباً بالحزم واغتنام الفرص وتفجير طاقة الجنود وهم في حماسهم وقوة إيمانهم، فهذا سعد رضي الله عنه يأمر جيشه بأن يعبروا إلى الأعداء بسلاح الإخلاص والتقوى وقد كان مطمئناً إلى مستوى جيشه الإيماني فأقدم على ما أقدم عليه مستعيناً بالله تعالى ثم بذلك المستوى الرفيع.

(مستند ١)

١- د. علي الصلاّبي، فصل الخطاب في سيرة عمر بن الخطاب، ص ٥٢٥ .

مرئية فضائية تبين موقع المدائن (طيسفون) وتحديد موقع طاق كسرى (القصر الابيض)

عدوكم ولنحميكم حتى تعبروا؟ فانتدب له ستون من أصحاب البأس والنجدة، ثم اقتحموا دجلة، واقتحم بقية الستمائة على إثرهم، وهكذا تكونت من جيش المسلمين فرقة من الفدائيين عددهم ستمائة وقد سميت كتيبة الأهوال، واستخلص عاصم منهم ستين تحت قيادته ليكونوا مقدمة لهذه الفرقة. وهذا تخطيط محكم من سعد أولا ثم من عاصم، وذلك أن مواجهة الأهوال والمغامرات لا تكون بالعدد الكبير، وإنما تكون بأصحاب البأس الشديد والقدرة القتالية العالية وإن كانوا قلائل، وذلك أنه إذا انضمَّ لهذه الفرقة من هم أقل كفاءة وشجاعة ثم ارتدوا عند هجوم الأعداء يسببون انهزام الفرقة كلها.

وقد اقتحم عاصم النهر بالستين على الخيول وقد ذُكر من طليعتهم الذين سبقوا إلى الشاطئ الآخر أصمُّ بني وَلَّاد التيمي، والكَلَج الضبيّ، وأبو مفزِّر الأسود بن قطبة، وشرحبيل بن السَّمط الكندي، وحَجْل العجلي، ومالك بن كعب الهمداني، وغلام من بني الحارث بن كعب فلما رآهم الأعاجم أعدُّوا لهم فرساناً فالتقوا بهم في النهر قرب الشاطئ الشرقي، فقال عاصم: الرماح الرماح، أشرعوها وتوخَّوا العيون، فالتقوا فاطعنوا وتوخَّى المسلمون عيونهم، فولّوا نحو الشاطئ والمسلمون ينخسون خيولهم بالرماح لتسرع في الهروب فصارت تسرع وأصحابها لا يملكون منعها، ولحق بهم المسلمون فقتلوا عامتهم ونجا من نجا منهم عوراناً، ولحق بقية الستمائة بإخوانهم فاستولوا على الشاطىء الشرقي .

١- د. علي الصلاّبي، المرجع السابق، ص ٥٢٥ .

لما رأى **سعد** عاصماً على الفراضي قد منعها أذن للناس في الإقتحام وقال: قولوا: **نستعين بالله ونتوكل عليه، حسبنا الله ونعم الوكيل لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم** وتلاحق مُعظم الجند فركبوا اللُّجَّة، وإنَّ دجلة لترمي بالزبد، وإنها لمسودَّة، وإن الناس ليتحدثون في مسيرهم على الأرض، وكان الذي يساير سعداً في الماء سلمان الفارسي فعامت بهم الخيل، وسعد يقول: **حسبنا الله ونعم الوكيل، والله لينصرنّ الله وليّه، وليظهرنّ الله دينه، وليهزمن الله عدوه إن لم يكن في الجيش بَغْي أو ذنوب تغلب الحسنات**، فقال له سلمان: الإسلام جديد، ذُلِّلَتْ لهم والله البحور كما ذُلِّلَ لهم البر، أما والذي نفس سلمان بيده ليخرجنّ منه أفواجاً كما دخلوه أفواجاً، وقول سلمان رضي الله عنه: الإسلام جديد، يعني لا يزال حياً واتباعه أقوياء الإيمان معتزون به، وقد جعلوه قضيتهم التي من أجلها يحيون ومن أجلها يموتون، وإليها يدعون وعنها يدافعون، أما حين يتقادم العهد فإنه تأتي أجيال ترث هذا الدين وراثة لا اختياراً، ولا تجعله القضية التي تأخذ على أفرادها مشاعرهم واهتماماتهم، بل يجعلون همهم الأكبر هو العلو في الدنيا والتمتع بمتاعها ويصبح الدين أمراً ثانوياً في قاموس حياتهم، فعند ذلك يخرجون منه أفواجاً كما دخلوه أفواجاً.

هذا وقد تم عبور المسلمين جمعياً سالمين لم يُصَب أحد منهم بأذى، ولم يقع منهم في النهر إلا رجل من بارق يدعى "غرقدة" زال عن ظهر فرس شقراء، فثنى القعقاع بن عمرو عنان فرسه إليه، فأخذ بيده فجره حتى عبر، فقال البارقي -وكان من أشد الناس- أعجَزَتَ الأخوات أن يلدن مثلك يا قعقاع، وكان للقعقاع فيه خؤولة، **لقد دهش الفرس من عبور المسلمين وهرب يزدجرد قاصداً حلوان ودخل المسلمون** من غير معارض ونزل **سعد** القصر الأبيض واتخذه مصلى وقرأ قوله تعالى:

﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (٢٨) ﴾ (الدخان)، وصلى ثمان ركعات صلاة الفتح وكان أول من دخل المدائن كتيبة الأهوال، ثم الكتيبة الخرساء، وكان الذي يقود كتيبة الأهوال، عاصم بن عمرو التميمي، وأما الكتيبة الخرساء فكان يقودها القعقاع بن عمرو[١].

أحمد الله وأرضى بثوابه: لما هبط المسلمون **المدائن** وجمعوا الأقباض أقبل رجل يحُق معه، فدفعه إلى صاحب الأقباض، فقال: والذي معه: ما رأينا مثل هذا قط، ما يعد له ما عندنا ولا يقاربه، فقالوا: هل أخذت منه شيئاً؟ فقال: أما والله لولا الله ما أتيتكم به، فعرفوا أن للرجل شأناً فقالوا: من أنت؟ فقال: لا والله لا أخبركم لتحمدوني: ولا غيركم ليقرظوني. ولكنني أحمد الله وأرضى بثوابه، فأتبعوه رجلاً حتى انتهى إلى أصحابه، فسأل عنه فإذا هو **عامر بن عبد قيس** . الطبري

١- د . علي الصلابي، فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص ٥٢٦ - ٥٢٧ .

المدائـــن

طاق كسرى

مرئية فضائية تبين موقع طاق كسرى (القصر الأبيض) بالمدائن عاصمة الدولة الساسانية

صورة لأطلال طاق كسرى (القصر الأبيض) بالمدائن عاصمة الدولة الساسانية

فتح المدائن في منتصف صفر الخير سنة ١٦ هـ

حينما أذن سعد في الاقتحام إلى المدائن، قال لجيشه: « قولوا نستعين بالله ونتوكل عليه، حسبنا الله ونعم الوكيل، لاحول ولاقوة إلا بالله العليّ العظيم »

لما وصل المسلمون إلى مقربة من المدائن رفع الفرس السفن والمعابر من نهر دجلة وأحرقوا الجسور التي توصل إلى القسم الشرقي من المدينة، غير أن سعد بن أبي وقاص استطاع أن يحضر سفناً غيرها من السكان المحليين ثم عبر بواسطتها مع قواته إلى المدينة، فلما شاهد كثير من السكان اقتراب الجيش الإسلامي من مدينتهم، لاذوا بالفرار، ومنهم من بقي للقتال إلى جانب حامية المدائن، فاشتبك المسلمون في قتال عنيف مع هذه الحامية التي لم تصمد طويلاً حتى استسلمت بعد حصار ضربه المسلمون حول المدائن، وبذلك تم فتح هذه العاصمة المهمة، وبفتحها انهار أكبر معقل من معاقل الفرس، بينما اتخذ المسلمون من المدائن قاعدة لانطلاق قواتهم المظفرة واتمام فتح بقية المدن الفارسية .

الغزوات الكبرى ومعارك الفتح في العراق والشام ومصر، عبد الكريم غزال ، ص ٣٩٦ .

١ نهر دجلة وهو فاصل طبيعي بين المدائن وبهر سير .

٢ منطقة عبور الجيش الإسلامي إلى المدائن، بقيادة: سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

٣ لما علم الملك يزدجرد بسقوط ساباط وبهر سير، وأن المسلمين قد توجهوا لفتح المدائن عاصمة ملكه، فر إلى حلوان .

٤ حينما أنتهى سعد إلى إيوان كسرى قرأ قوله تعالى: « كم تركوا من جنات وعيون ❁ وزروع ومقام كريم ❁ ونعمة كانوا فيها فاكهين ❁ كذلك وأورثناها قوماً آخرين » . الدخان الآيات ٢٥ ـ ٢٨ .

٥ سلمان الفارسي رضي الله عنه: يدعو قومه إلى الإسلام ويمهلهم ثلاثاً. فلما كان اليوم الثالث نزلوا على أداء الجزية .

المدائن

قال بطليموس: طول **المدائن** سبعون درجة وثُلث، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وثُلث، بالفتح جمع المدينة، تهمز ياؤها ولا تهمز، وإن أُخذت من دان يدين إذا أطاع لم تهمز إذا جمع على مداين لأنه مثل معيشة وياؤه أصلية، إن أُخذت من مدن بالمكان إذا أقام به همزت لأن ياءها زائدة فهي مثل قرينة وقرائن وسفينة وسفائن، والنسبة إليها مدائنيّ وإنما جاز النسبة إلى الجمع بصيغته لأنه صار علماً بهذه الصيغة وإلاّ فالأصل أن يردّ المجموع إلى الواحد ثم ينسب إليه، والنسبة إلى **مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم**، مَدَنيّ وربما قيل مَدِينيّ، والنسبة إلى مدينة أصبهان مدينيّ لا غير وربما نُسب إلى غيرها هذه النسبة كبَغداد ومَرْو ونيسابور والمدائن العظام، قال يزدجرد بن مهبندار الكسروي في رسالة له عملها في تفضيل بغداد، فقال في تضاعيفها: ولقد كنت أُفكر كثيراً في نزول الأكاسرة بين أرض الفرات ودجلة فوقفت على أنهم توسطوا مصبّ الفرات في دجلة هذا أن الإسكندر لما سار في الأرض ودانت له الأممُ وبنى المُدُنَ العظام في المشرق والمغرب رجع إلى المدائن وبنى فيها مدينة وسوّرها وهي إلى هذا الوقت موجودة الأثر وأقام بها راغباً عن بقاع الأرض جميعاً وعن بلاده ووطنه حتى مات، قال يزدجرد: أما أنوشروان بن قُباذ وكان أجلّ ملوك فارس حزماً ورأياً وعقلاً وأدباً فإنه بنى المدائن وأقام بها هو ومن كان بعده من ملوك بني ساسان إلى أيام **عمر بن الخطّاب**، رضي **الله** عنه، وقد ذكر في سير الفرس أن أول من اختطّ مدينة في هذا الموضع أردشير بن بابك، قالوا: لما ملك البلاد سار حتى نزل في هذا الموضع فاستحسنه فاختطّ به مدينة، قال: وإنما سميت المدائن لأن زاب الملك الذي بعد **موسى**، عليه السلام، ابتناها بعد ثلاثين سنة من ملكه وحفر الزوابي وكوّرها وجعل المدينة العظمى المدينة العتيقة، فهذا ما وجدتُه مذكوراً عن القدماء ولم أرَ أحداً ذكر لمَ سمّيت بالجمع، والذي عندي فيه أن هذا الموضع كان مسكن الملوك من الأكاسرة الساسانية وغيرهم فكان كلّ واحد منهم إذا ملك بَنَى لنفسه مدينة إلى جنب التي قبلها وسماها باسم، فأولها المدينة العتيقة التي لزاب، كما ذكرنا، ثم مدينة الإسكندر ثم طيسفون من مدائنها ثم اسفانبر ثم مدينة يقال لها رومية فسميت **المدائن** بذلك، والله أعلم، وكان **فتح المدائن** كلها على يد سعد بن أبي وقّاص في صفر سنة ١٦ في أيام **عمر ابن الخطاب**، رضي **الله** عنه، قال حمزة: اسم المدائن بالفارسية توسفون وعرّبوه على الطيسفون والطيسفونج وإنما سمّتها العرب المدائن لأنها سبع مدائن بين كل مدينة إلى الأخرى مسافة قريبة أو بعيدة، وآثارها وأسماؤها باقية، وهي: اسفابور ووه أردشير وهنبو شافور ودرزنيدان ووه جنديوخسره ونونيافاذ وكردافاذ، فعرّب اسفابور على اسفانبر، وعرّب وه أردشير على بهرسير، وعرب هنبو شافور على جنديسابور، وعرب درزنيدان على درزيجان، وعرب وه جنديوخسره على رومية، وعرب السادس والسابع على اللفظ، فلما ملك العرب ديار الفرس واختطت الكوفة والبصرة انتقل إليهما الناس عن المدائن وسائر مدن العراق ثم اختط الحجاج واسطاً فصارت دار الإمارة، فلما زال ملك بني أُميّة اختط المنصور بغداد فانتقل إليها الناس ثم اختط المعتصم سامرّا فأقام الخلفاء بها مدّة ثم رجعوا إلى **بغداد** فهي الآن أُم بلاد العراق: فأما في وقتنا هذا فالمسمى بهذا الاسم بليدة شبيهة بالقرية بينها وبين بغداد ستة فراسخ وأهلها فلاّحون يزرعون ويحصدون والغالب على أهلها التشيّع على مذهب الإمامية، وبالمدينة الشرقية قرب الإيوان قبر سَلْمان الفارسي، رضي الله عنه، ... . الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ٧٤ – ٧٥ .

حينما انتهى **سعد بن أبي وقاص** إلى **إيوان كسرى**، أقبل يقرأ: الآيات من سورة الدخان (انظر الصفحتين السابقتين). ثم صلّى فيه صلاة الفتح ـ ولا تصلى جماعة ـ فصلى ثماني ركعات لا يفصل بينهمّ، واتخذه **مسجداً**، وفيه تماثيل الجصّ رجال وخيل، ولم يمتنع ولا المسلمون لذلك، وتركوها على حالها. قالوا: وأتمّ سعد الصلاة يوم دخلها، وذلك أنه أراد المقام فيها. **وكانت أول جُمعة بالعراق جُمعت جماعة بالمدائن**، في صفر سنة ستة عشرة هجرية.

وقد قدم **سعد** زهرة بن الحوية، وأمره أن يبلغ **النهروان**. فبعث في كل وجه مقدار ذلك لنفي المشركين وجمع الفيوء، ثم تحول إلى القصر بعد ثالثة، ووكل بالأقباض، عمرو بن عمرو بن مقرّن، وأمره بجمع ما في القصر والإيوان والدور وإحصاء ما يأتيه به الطلب؛ وقد كان أهل المدائن تناهبوا عند الهزيمة غارةً، ثم طاروا في كل وجه، فما أفلت أحدٌ منهم بشيء لم يكن في عسر مِهران بالنهراوان ولا بخيط. وألحّ عليهم الطلب فتنقّذوا ما في أيديهم، ورجعوا بما أصابوا من الأقباض، فضمُّوه إلى ما قد جُمع؛ وكان أول شيء جُمِع يومئذ ما في القصر الأبيض ومنازل كسرى وسائر دور المدائن. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مج ٢، ص ٤٦٤.

قال سعد بن أبي وقاص: (والله إن الجيش لذو أمانة ولولا ما سبق لأهل بدر، لقلت: وايم الله على فضل أهل بدر، لقد تتبعت من أقوام منهم هنات وهنات فيما أحرزوا ما أحسبها ولا اسمعها من هؤلاء القوم).

عن ميمون أبي عبد الله عن البراء بن عازب قال: « أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق، قال: وعرض لنا صخرة في مكان من الخندق لا تأخذ فيها المعاول، قال: فشكوها إلى **رسول الله صلى الله عليه وسلم**، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال عوف: وأحسبه قال: وضع ثوبه. ثم هبط إلى الصخرة فأخذ المعول فقال: بسم **الله** فضرب ضربة فكسر ثلث الحجر، وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله أني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا، ثم قال: بسم الله وضرب أخرى فكسر ثلث الحجر، فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس **والله أني لأبصر المدائن وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا**، ثم قال: بسم الله وضرب ضربة أخرى فقلع بقية الحجر، فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله أني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا ». رواه أحمد في مسنده

بعد دخول **سعد** إيوان كسرى رفع الآذان معلناً كلمة التوحيد (**الله أكبر**) في ذلك القصر، وأخمد نيران المجوسية، وأقام صلاة الجمعة فيه . وقد حصل **المسلمون** على غنائم كثيرة بعثوا بخمسها إلى المدينة، فلما رآها **عمر بن الخطاب** رضي **الله** عنه، قال: إن قوماً أدوا هذا لأمناء . فقال له **علي بن أبي طالب** رضي **الله** عنه: إنك قد عففت فعفت رعيتك، ولو رتعت لرتعت .

معركة جلولاء

أول ذي القعدة سنة ١٦ من الهجرة

أنّ **الأعاجم** لما انتهوا بعد الهرب من المدائن إلى جلولاء، وافترقت الطرق بأهل أذربيجان والباب وبأهل الجبال وفارس، تذامروا وقالوا: إن افترقتم لم تجتمعوا أبداً، وهذا مكان يفرّق بيننا، **فهلمّوا فلنجتمع للعرب به ولنقاتلهم**. فإن كانت لنا فهو الذي نريد، وإن كانت الأخرى كنا قد قضينا الذي علينا، وأبلينا عذراً. **فاحتفروا الخندق**، واجتمعوا فيه على مهران الرازيّ. ونفذ **يزدجرد** إلى حلوان فنزل بها، ورماهم بالرّجال؛ وخلّف فيهم الأموال، فأقاموا في خندقهم، وقد أحاطوا به الحسك من الخشب إلاّ طرقهم. قال عمرو، عن عامر الشعبيّ: كان أبو بكر لا يستعين في حربه بأحد من أهل الرِّدَّة حتى مات، وكان عمر قد استعان بهم: فكان لا يؤمّر منهم أحداً إلى على النفر وما دون ذلك؛ وكان لا يعدل أن يؤمّر الصحابة إذا وجد من يجزى عنه في حربه: فإن لم يجد ففي التابعين بإحسان؛ ولا يطمع من انبعث في الردّة في الرياسة؛ وكان رؤساء أهل الرِّدّة في تلك الحروب حشوة إلى أن ضرب الإسلام بجرانه. ثم اشترك عمرو ومحمد والمهلب وطلحة وسعيد، فقالوا: ففصل **هاشم ابن عتبة** بالناس من المدائن في صفر سنة ستّ عشرة، في اثني عشر ألفاً: منهم وجوه المهاجرين والأنصار وأعلام العرب ممن ارتدّ وممن لم يرتدّ؛ فسار من المدائن إلى جلولاء أربعاً، حتى قدم عليهم، وأحاط بهم، فحاصرهم وطاولهم أهل فارس، وجعلوا لا يخرجون عليهم إلاّ إذا أرادوا؛ وزاحفهم المسلمون بجلولاء ثمانين زحفاً، كلّ ذلك يعطي الله المسلمين عليهم الظّفر، وغلبوا المشركين على حسك الخشب، فاتّخذوا حسك الحديد. ولما نزل هاشم على مهران **بجلولاء** حصرهم في خندقهم، فكانوا يزاحفون المسلمين في زهاء وأهاويل، وجعل هاشم يقوم في الناس، ويقول: إنّ هذا المنزل منزل له ما بعده؛ وجعل سعد يمدّه بالفرسان حتى إذا كان أخيراً احتفلوا للمسلمين؛ فخرجوا عليهم، فقام هاشم في الناس، فقال: أبلوا الله بلاء حسناً يتم لكم عليه الأجر والمغنم، واعملوا لله. فالتقوا فاقتتلوا، **وبعث الله عليهم ريحاً** أظلمت عليهم البلاد فلم يستطيعوا إلا

جَلُولاء: بالمدّ: طسوج من طساسيج السواد في طريق خراسان، بينها وبين خانقين سبعة فراسخ، وهو نهر عظيم يمتد إلى بعقوبا ويجري بين منازل أهل بعقوبا ويحمل السفن إلى باجسرا، وبها كانت الوقعة المشهورة على الفرس للمسلمين سنة ١٦، فاستباحهم المسلمون، فسمِّيت جلولاء الوقيعة لما أوقع بهم المسلمون، وقال سيف: قتل الله، عز وجل، من الفرس يوم جلولاء مائة ألف فجلّلت القتلى المجالَ ما بين يديه وما خلفه، فسميت جلولاء لما جلّلها من قتلاهم، فهي جلولاء الوقيعة؛ قال القعقاع ابن عمرو فقصرها مرَّة ومدها أُخرى:

ونحن قتلنا في جلولا أثابراً
ومهرانَ، إذ عزّت عليه المذاهبُ

ويومَ جلولاء الوقيعة أُفْنِيَتْ
بنو فارس، لمّا حوَتها الكتائبُ

والشعر ذكرها كثير.

الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٥٦.

مرئية فضائية تبين موقع جلولاء

المحاجزة، فتهافت فرسانهم في الخندق؛ فلم يجدوا بدّاً من أن يجعلوا فرضاً مما يليهم؛ تصعد منه خيلهم؛ فأفسدوا حصنهم؛ وبلغ ذلك المسلمين، فنظروا إليه، فقالوا: أننهض إليهم ثانية فندخله عليهم أو نموت دونه! فلما نهد المسلمون الثانية خرج القوم، فرموا حول **الخندق** مما يلي المسلمين بحسك الحديد لكيلا يقدم عليهم الخيل، وتركوا للمجال وجهاً، فخرجوا على المسلمين منه، فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يقتتلوا مثله إلا ليلة الهرير، إلا أنه كان أكمش وأعجل: وانتهى القعقاع بن عمرو في الوجه الذي زاحف فيه إلى باب خندقهم، فأخذ به، وأمر منادياً فنادى: يا معشر المسلمين، هذا أميركم قد دخل خندق القوم وأخذ به فأقبلوا إليه؛ ولا يمنعنّكم من بينكم وبينه من دخوله. وإنما أمر بذلك ليقوّى المسلمين به، فحمل المسلمون ولا يشكّون إلا أن هاشماً فيه، فلم يقم لحملتهم شيء، حتى انتهوا إلى باب الخندق، فإذا هم بالقعقاع بن عمرو، وقد أخذ به؛ وأخذ المشركون في هزيمة يمنة ويسرة عن المجال الذي بحيال خندقهم؛ فهلكوا فيما أعدّوا للمسلمين فعقرت دوابّهم، وعادوا رجّالة؛ وأتبعهم المسلمون، فلم يفلت منهم إلا من لا يعدّ، **وقتل الله منهم يومئذ مائة ألف**، فجللت القتلى المجال وما بين يديه وما خلفه، فسمّيت جلولاء بما جللها من قتلاهم؛ فهي جلولاء الوقيعة [1].

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ص ٦٤٢، طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي.

١ يزدجرد يفر من المدائن إلى حلوان حينما علِم أن المسلمين قادمون لفتحها، ويتخذ حلوان عاصمة لملكه البائد .

٢ يزدجرد يوجه مهران الرازي إلى جلولاء ويطلب وضع التحصينات الدفاعية توقعاً لهجوم المسلمين عليهم ! .

٣ القائد؛ سعد بن أبي وقاص يخبر الخليفة عمر بتحرك الفرس فكتب له عمر: « سرّح هاشم بن عتبة إلى جلولاء في اثني عشر ألفاً واجعل على مقدمته القعقاع بن عمرو وعلى ميمنته سعر بن مالك وعلى ميسرته عمرو بن مالك، واجعل على ساقته عمرو بن مرّة وإن هزم الله الجندين: جند مهران وجند الأنطاق، فقدم القعقاع في آثار القوم حتى ينزل بحلوان ويكون بين السواد والجبل فيكون ردءاً للمسلمين ويحرز الله لكم سوادكم » .

سقوط حلوان بعيد معركة جلولاء

محاسبة عمر لابنه عبد الله لما اشترى فيء جلولاء:

قال عبد الله بن عمر: شهدت جلولاء – إحدى المعارك ببلاد فارس – فابتعت من المغنم بأربعين ألفاً، فلما قدمت على عمر قال: أرأيت لو عرضت على النار فقيل لك: افتده، أكنت مفتدياً به ؟ قلت: والله ما من شيء يؤذي بك إلا كنت مفتدياً بك منه، قال: كأني شاهد الناس حين تبايعوا فقالوا: عبد الله بن عمر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وابن أمير المؤمنين وأحب الناس إليه، وأنت كذلك فكان أن يرخصوا عليك أحب إليهم من أن يغلوا عليك، وإني قاسم مسؤول وأنا معطيك أكثر ما ربح تاجر من قريش، لك ربح الدرهم درهم، قال: ثم دعا التجار فابتاعوه منه بأربعمائة ألف درهم، فدفع إلي ثمانين ألفاً وبعث بالباقي إلى سعد بن أبي وقاص ليقسمه.

الذهبي، (تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين)، ص٢٧٠، ٢٧١.

حينما دخل القعقاع حلوان ، أنزل من معه من العجم المسلمين وولى عليهم واحداً منهم اسمه قباذ وأصله من خراسان . وتقدم القعقاع فأقام على ثغرها فكان على الثغر وشؤون الجزية، ودعا الأهالي إلى الجزية فرجعوا إلى ديارهم وأقروا بها، وظلوا على ذلك إلى أن تحول سعد من المدائن إلى الكوفة فلحق به القعقاع .

- من خلال رسالة عمر إلى سعد في الصفحة السابقة ،قام سعد بإمداد الجيش الإسلامي بأكثر من ٣٠٠٠ مقاتل .
- القعقاع يواصل انتصارات المسلمين في خانقين ويتقدم نحو حلوان ويحقق الله تعالى على يديه نصراً مؤزراً على الفرس المجوس .
- يزدجرد يفر إلى الري (طهران) حينما علم بزحف القوات الإسلامية إلى عاصمته الثانية (حلوان) .
- ١ خاض المسلمون معركة مع بقايا المجوس في حلوان، انتهت بنصر مؤزر للمسلمين ومقتل دهقان حلوان وفرار قائد الفرس خسرو شنوم .
- ٢ سعد يتحول من المدائن إلى الكوفة بعد أن اطمأن على إسلام العجم الذين معه .

غنائم المسلمين من المدائن وجلولاء

سوار من الذهب

عن حبيب بن صُهبان، قال: دخلنا المدائن، فأتينا على قباب تركيّة مملوءة سِلالاً مختّمة بالرصاص، فما حسبناها إلاّ طعاماً، فإذا هي آنية الذهب والفضة فقسمت بعدُ بين الناس. وقال حبيب: وقد رأيتُ الرجل يطوف ويقول: من معه بيضاء بصفراء؟ وأتينا على كافور كثير، فما حسبناه إلا ملحاً، فجعلنا نعجن به حتى وجدنا مرارته في الخبز . الطبري ، تاريخ الأمم والملوك، مج ٢، ص ٤٦٤ .

قطعة من الذهب عليها نقوش ورسومات

الدرهم الساساني

قد قوّمت غنائم جلولاء بثلاثين مليون درهم كان خمسها ستة ملايين هي نصيب المدينة ولم تكن كل غنائم جلولاء نقداً، بل كان فيها من التحف ما نعجب لاحتفاظ المجوس به في ميدان قتال . احمد عادل كمال، سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية، ص ٩٠ .

مجسم من الذهب يمثل البذخ الفارسي الذي وصلوا إليه آنذاك

عن الشعبيّ، قال: أفاء الله على المسلمين ما كان في عسكرهم بجلولاء وما كان عليهم، وكلّ دابة كانت معهم إلاّ اليسير لم يفلتوا بشيء من الأموال، ووليَ قَسم ذلك بين المسلمين سلمان بن ربيعة؛ فكانت إليه يومئذ الأقباض والأقسام، وكانت العرب تسميه لذلك سلمان الخيل؛ وذلك أنه كان يقسم لها ويقصّر بما دونها، وكانت العِتاق عنده ثلاث طبقات، وبلغ سهم الفارس بجَلولاء مثل سهمه بالمدائن . الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، مج ٢، ص ٤٧٠ .

حين وفد رُسل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه على الخليفة عمر الفاروق رضي الله عنه ومعهم كنوز كسرى وسواراه وبساطه بذهبه وفضته ولؤلؤه، دعا بسراقة ابن مالك والبسه سوارى كسرى وقال: الحمد لله سوارا كسرى بن هرمز في يدي سراقة بن مالك، أعرابي من بني مدلج هو يشير بهذا إلى وعد الرسول ﷺ لسراقة حين قابله في هجرته من مكة إلى المدينة ومعه أبو بكر رضي الله عنه وقال له وقد نظر إلى ذراعيه: « كأني بك يا سراقة وقد لبست سوارى كسرى » فتحقق وعد الرسول ﷺ وقضى المسلمون على امبراطورية الفرس المجوس وآلت كنوزها بفضل من الله تعالى إلى أيدي المسلمين .

إبريق فارسي تغمره زخارف حيوانية ونقوش نباتية

فأس فارسي

قطعة نحاسية عليها نقوش ورسومات

مزهرية عليها طقوس مجوسية

ونظر عمر إلى الفيء فوجد شيئاً كثيراً، قال : « والله لا يجنّه سقف بيت حتى أقسمه » فلما أصبح جاء عمر وجاء الناس معه فكشف الأنطاع (الأغطية) عن الفيء فلمعت تحت ضوء الشمس ياقوته وزبرجده وبانت أبهته وفخفخته، فبكى عمر، قال عبد الرحمن بن عوف: « ما يبكيك يا أمير المؤمنين ! فو الله إن هذا لموطن شكر » . قال عمر: « والله ما ذاك يبكيني، وتالله ما أعطى الله هذا قوماً إلا تحاسدوا وتباغضوا، ولا تحاسدوا إلا ألقى بأسهم بينهم ».

تحركات المسلمين بعد جلولاء

أواخر ذي القعدة سنة ١٦ من الهجرة

جمع سعد من وراء المدائن، وأمر بالإحصاء فوجدهم بضعة وثلاثين ومائة ألف، ووجدهم بضعة وثلاثين ألف أهل بيت، ووجد قسمتهم ثلاثة لكلّ رجل منهم بأهلهم؛ فكتب في ذلك إلى عمر، فكتب إليه عمر: أن أقرّ الفلاحين على حالهم؛ إلاّ من حارب أو هرب منك إلى عدوّك فأدركته، وأجر لهم ما أجريت للفلاحين قبلهم؛ وإذا كتبت إليك في قوم فأجروا أمثالهم مجراهم. فكتب إليه سعد فيمن لم يكن فلاحاً فأجابه: أما من سوى الفلاّحين فذاك إليكم ما لم تغنموه - يعني تقتسموه - ومن ترك أرضه من أهل الحرب فخلاّها فهي لكم؛ فإن دعوتموهم وقبلتم منهم الجزاء ورددتموهم قبل قسمتها فذمّة؛ وإن لم تدعوهم ففيء لكم لمن أفاء الله ذلك عليه. وكان أحظى بفيء الأرض أهل جلولاء؛ استأثروا بفيء ما وراء النّهروان، وشاركوا الناس فيما كان قبل ذلك، فأقرّوا الفلاحين ودعوا من لجّ، ووضعوا الخراج على الفلاحين وعلى من رجع وقبل الذّمة، واستصفوا ما كان لآل كسرى ومن لجّ معهم فيئاً لمن أفاء الله عليه، لا يجاز بيع شيء من ذلك فيما بين الجبل إلى الجبل من أرض العرب إلاّ من أهله الذين أفاء الله عليهم، ولم يجيزوا بيع ذلك فيما بين الناس - يعني فيمن لم يفئه الله تعالى عليه ممن يعاملهم من لم يفئه الله عزّ وجلّ عليه - فأقرّه المسلمون؛ لم يقتسموه؛ لأن قسمته لم تتأتّ لهم؛ فمن ذلك الآجام ومغيض المياه وما كان لمن قتل، والأرحاء؛ فكان بعض من يرقّ يسأل الولاة قسم ذلك؛ فيمنعهم من ذلك الجمهور، أبوا ذلك، فانتهوا إلى رأيهم ولم يجيبوا، وقالوا: لولا أن يضرب بعضكم وجوه بعض لفعلنا؛ ولو كان طلب ذلك منهم عن ملإ لقسمها بينهم.

لم يثبت أحد من أهل السواد على العهد فيما بينهم وبين أهل الأيام إلاّ أهل قريات، أخذوها عنوة، كلهم نكث؛ ما خلا أولئك القريات، فلما دعوا إلى الرّجوع صاروا ذمّة، وعليهم الجزاء، ولهم المنعة، إلا ما كان لآل كسرى ومن معهم، فإنه صافية فيما بين حلوان والعراق؛ وكان عمر قد رضي بالسّواد من الرّيف.

١ - الطبري، تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ص ٦٤٤ - ٦٤٥، طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي.

عن جابر بن عبد الله، قال: والله الذي لا إله إلاّ هو؛ ما اطّلعنا على أحد من أهل القادسيّة، أنه يريد الدنيا مع الآخرة، ولقد اتّهمنا ثلاثة نفر، فما رأينا كالذي هجمنا عليه من أمانتهم وزهدهم: طليحة بن خويلد، وعمرو ابن معد يكرب، وقيس بن المكشوح. الطبري

ولعل جابر بن عبد الله ومن معه حينما تهيبوا من موقف هؤلاء الرجال الثلاثة؛ لأنهم كانوا من رؤوس الرِّدَّة في عهد الخليفة أبي بكر، لكن معارك الفتح الإسلامي على أرض العراق أثبتت حسن إسلامهم، وقوة ثباتهم على الحق، فأدوا الأمانة على الصورة المطلوبة.

١	جبهة المواجهة الرئيسة مع المجوس على أرض العراق : المدائن ـ جلولاء ـ حُلوان ، في أثر يزدجرد .
٢	جبهة المواجهة الثانية مع المجوس بالأبلة تمكن المسلمون من إعادة فتحها وفتح أسفل دجلة والفرات .
٣	جبهة المواجهة الثالثة بتكريت مع المجوس ونصارى العرب والروم .

فتح تكريت

جمادى الأولى سنة ١٦ من الهجرة

كتب **سعد** في اجتماع أهل الموصل إلى الأنطاق وإقباله حتى نزلت **بتكريت**، وخندق فيه عليه ليحمي أرضه، وفي اجتماع أهل **جلولاء** على مهران معه؛ فكتب في جلولاء ما قد فرغنا منه، وكتب في تكريت واجتماع أهل الموصل إلى الأنطاق بها: أن سرّح إلى الأنطاق عبد الله بن المعتمّ، واستعمل على مقدّمته ربعيّ ابن الأفكل العنزيّ، وعلى ميمنته الحارث بن حسان الذهليّ، وعلى ميسرته فرات بن حيّان العجليّ، وعلى ساقته هانئ بن قيس، وعلى الخيل عرفجة ابن هرثمة؛ ففصل عبد الله بن المعتمّ في خمسة آلاف من المدائن، فسار إلى **تكريت** أربعاً؛ حتى نزل على الأنطاق؛ ومعه **الرّوم وإياد وتغلب النّمر ومعه الشهارجة** وقد خندقوا بها، فحصرهم أربعين يوماً، فتزاحفوا فيها أربعة وعشرين زحفاً؛ وكانوا أهون شركة، وأسرع أمراً من أهل جلولاء، ووكّل عبد الله بن المعتمّ بالعرب ليدعوهم إليه وإلى نصرته على الرّوم؛ فهم لا يخفون عليه شيئاً؛ ولما رأت الرّوم أنهم لا يخرجون خرجة إلاّ كانت عليهم، ويهزمون في كلّ ما زاحفوهم؛ تركوا أمراءهم، ونقلوا متاعهم إلى السفن، وأقبلت العيون من تغلب وإياد والنّمر إلى عبد الله بن المعتمّ بالخبر، وسألوه للعرب السلم، وأخبروه أنهم قد استجابوا له؛ فأرسل إليهم: إن كنتم صادقين بذلك فاشهدوا **أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله**، وأقرّوا بما جاء به من عند الله؛ ثم أعلمونا رأيكم. فرجعوا إليهم بذلك، فردّوهم إليه بالإسلام؛ فردّهم إليهم، وقال: إذا سمعتم تكبيرنا فاعلموا أنا قد نهدنا إلى الأبواب التي تلينا لندخل عليهم منها، فخذوا بالأبواب التي تلي دجلة، وكبّروا واقتلوا من قدرت عليه؛ فانطلقوا حتى تواطئوهم على ذلك. ونهد عبد الله والمسلمون لما يليهم وكبّروا، وكبّرت تغلب وإياد والنّمر؛ وقد أخذوا بالأبواب، فحسب القوم أنّ المسلمين قد أتوهم من خلفهم، فدخلوا عليهم مما يلي دجلة، فبادروا الأبواب التي عليها المسلمون، فأخذتهم السيوف؛ سيوف المسلمين مستقبلتهم، وسيوف الرّبعيّين الذين أسلموا ليلتئذ من خلفهم؛ **فلم يفلت من أهل الخندق إلاّ من أسلم من تغلب وإياد والنّمر**. وقد كان **عمر** عهد إلى **سعد**؛ إن هم هزموا أن يأمر عبد الله بن المعتمّ ابن الأفكل العنزيّ إلى الحصنين؛ فسرّح عبد الله بن المعتمّ ابن الأفكل العنزيّ إلى الحصنين، فأخذ بالطريق، وقال: اسبق الخبر، وسر ما دون القيل، وأحي الليل. وسرّح معه تغلب وإياد والنّمر، فقدمهم وعليهم عتبة بن الوعل؛ أحد بني جشم بن سعد وذو القرط وأبو وداعة بن أبي كرب وابن ذي السّنينة قتيل الكلاب وابن الحجير الإياديّ وبشر بن أبي حوط متساندين، فسبقوا الخبر إلى الحصنين. ولما كانوا منها قريباً قدّموا عتبة ابن الوعل فادّعى بالظفر والنّفل والقفل، ثم ذو القرط، ثم ابن ذي السّنينة، ثم ابن الحجير، ثمّ بشر: ووقفوا بالأبواب، وقد أخذوا بها، وأقبلت سرعان الخيل مع ربعيّ بن الأفكل حتى اقتحمت عليهم الحصنين، فكانت إيّاها، فنادوا بالإجابة إلى

الصلح، فأقام من استجاب، وهرب من لم يستجب، إلى أن أتاهم عبد الله بن المعتمّ، فلما نزل عليهم عبد الله دعا من لجّ وذهب، ووفّى لمن أقام، فتراجع الهرّاب واغتبط المقيم، وصارت لهم جميعاً لذمة والمنعة، واقتسموا في تكريت على كلّ سهم ألف درهم، للفارس ثلاثة آلاف وللراجل ألف، وبعثوا بالأخماس مع فرات بن حيّان، **وبالفتح مع الحارث بن حسان** وولي حرب **الموصل** ربعيّ بن الأفكل، والخراج عرفجة ابن هرثمة [1].

١ - الطبري، تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ص ٦٤٥ - ٦٤٦ ، طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي

تكريت: مدينة
عراقية تقع على مسافة ١٦٠كم شمال غربي بغداد على نهر دجلة ويبلغ عدد سكانها
٢ مليون نسمة، وهي مركز محافظة صلاح الدين. وُلد فيها صلاح الدين الأيوبي. ذكرت المدينة في النصوص
الآشورية، وذكرها ابن جبير المتوفى ٦١٤هـ ١٢١٧م الذي وصل إلى تكريت في التاسع عشر من شهر صفر ٥٨٠هـ الموافق
حزيران عام ١١٨٨م بقوله عن مدينة تكريت: (مدينة كبيرة واسعة الإرجاء فسيحة المساحة، حفيلة الأسواق، كثيرة المساجد، غاصة
بالخلق، أهلها أحسن أخلاقاً وقسطاً في الموازين من أهل بغداد، ودجلة منها في جوفها). كانت تسكنها عدد من القبائل العربية منها
تغلب وأياد، حررها المسلمون في القرن السادس الميلادي بقيادة عبد الله بن مالك بن المعتم العبسي في عهد الخليفة **عمر بن
الخطاب**. وكذلك ولد فيها **صلاح الدين الأيوبي** في القرن الثاني عشر ميلادي، ونهبت المدينة ودمرت كما
أجزاء كبيرة من العراق إبّان السيطرة المغولية بقيادة تيمور لنك.

أحد الجوامع الكبيرة في تكريت

١ الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجيب سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بشأن تكريت .

٢ القائد سعد بن أبي وقاص يأتمر بأوامر الفاروق؛ ويوجه عبد الله بن المعتم إلى تكريت لملاقاة جيش الأنطاق .

٣ الأنطاق يقوم بحفر خندق للاحتماء خلفه، فضرب عليهم المسلمون حصاراً لمدة أربعين يوماً، انتهى بسقوط تكريت .

مرئيتان فضائيتان توضحان اختراق نهر دجلة لتكريت

فتح الموصل ونينوى

سنة ١٦ من الهجرة المباركة

كنا قد ذكرنا في فتح تكريت، أن المسلمين توجهوا نحو الحصنين (نينوى والموصل) لفتحها، وهنا يطيب لنا نقل رواية أخرى في فتح **الموصل** فيما ذكره البلاذري في فتوحه: أن **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه، ولى عتبة بن فرقد السلمي الموصل في سنة عشرين، فسار إليه فقاتله أهل **نينوى**، فأخذ حصنها وهو الشرقي من دجلة عنوة، وعبر دجلة فصالحه أهل الحصن الآخر على الجزية والإذن لمن أراد الجلاء في الجلاء، ووجد بالموصل **ديارات** (مستند ١) فصالحه أهلها على الجزية ثم فتح المرج وقراه وأرض باهذرى وباعذرى وحبتون ففتحها وأتى تل الشهارجة والسلق الذي يعرف ببني الحر بن صالح بن عبادة الهمداني صاحب رابطة الموصل ففتح ذلك كله وغلب عليه [1]. ثم عزله عمر رضي الله عنه - أي عتبة - عن الموصل وولاها هرثمة بن عرفجة البارقي، وكان بها في الجانب الغربي حصن وبيع للنصارى ومنازل ومحلة لليهود، فمصّرها هرثمة وأنزل العرب بها [2].

١- أبو الحسن البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٢٧.

٢- عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ٥٦٤.

ديارات النصارى

قال ابن سيده: **الدير** خان النصارى، والجمع أديار، وصاحبه ديار وديراني. قلتُ الدير عند النصارى يختص بالنساك المقيمين به، **والكنيسة** مجتمع عامتهم للصلاة. المقريزي ، المواعظ والاعتبار .

(مستند ١)

مدينة الموصل: هي مركز محافظة نينوى، تقع في شمالي جمهورية العراق، على ضفاف نهر دجلة، وهي ثاني مدينة في البلاد من حيث السكان بعد بغداد، حيث يبلغ عدد سكانها ٣,٥ مليون نسمة، وتشتهر بالتجارة مع الدول القريبة، مثل سوريا وتركيا. وسكان الموصل العرب يتحدثون باللهجة الموصلية (المصلاوية) العربية التي تحمل في طياتها وتعابيرها ملامح خاصة، ولهذه اللهجة الموصلية، الدور الأكبر في الحفاظ على هوية المدينة من الدخلاء، وسكان الموصل من المسلمين السُنَّة وينحدرون من أربع عشائر رئيسية: وهي شمر الطائية، والجبور، والدليم، وبقية طيء، ويوجد بها أيضاً النصارى، الذين ينحدرون من شعبيهما الآشوري والكلداني. ويتواجد أيضاً في المدينة أكراد والذين اندمجوا مع أخوانهم العرب، وتعتبر مدينة الموصل عاصمة محافظة نينوى.

(١) قوات عبد الله بن المُعْتَم؛ تواصل زحفها من تكريت إلى الحصنين (الموصل و نينوى) بقيادة : ربعي بن الأفكل العنزي، وبقي هو مع ألف من جنده في تكريت .

(٢) خرج مع ابن الأفكل القبائل التي أسلمت واشتركت مع المسلمين في فتح تكريت .

(٣) ربعي بن الأفكل يتقدم قواته إلى الحصنين، ويقسمها إلى فرقتين : فاقتحم المسلمون الحصنين بعد أن أذعن أهلها بالاستسلام .
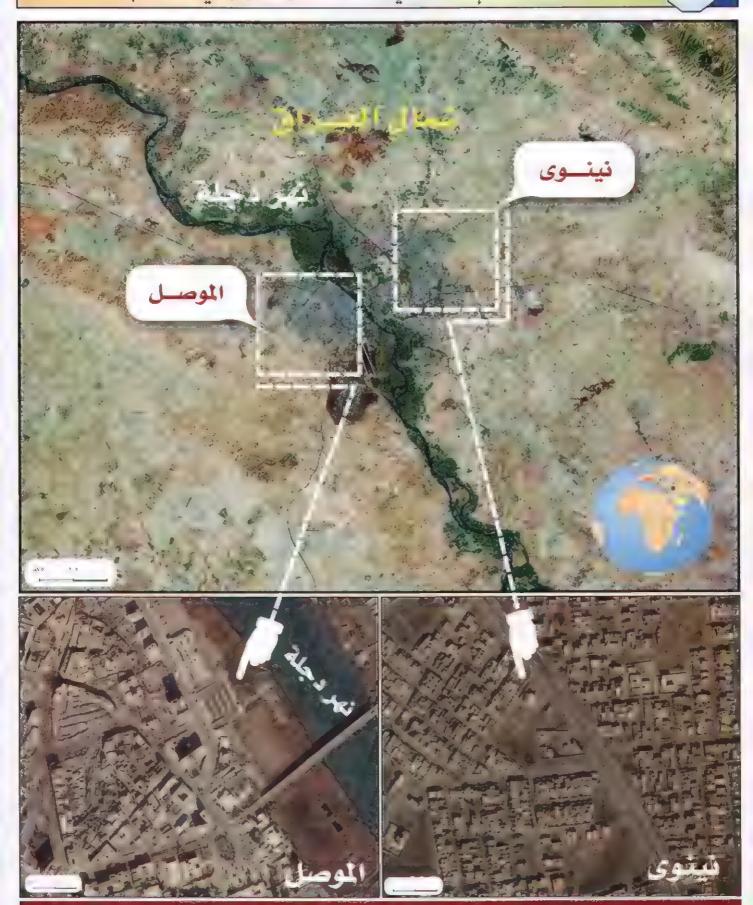
مرئية فضائية تبين موقع الموصل ونينوى (الحصنين)

مدينة نينوى: إحدى أهم المدن التاريخية في العراق، كانت عاصمة للإمبراطورية الآشورية في أوج اتساعها، وفيها تأسست أولى المكتبات (الألف الثاني قبل الميلاد) التي عرفتها البشرية آنذاك .

نشأت المدينة في العهد الآشوري على الضفة اليمنى لنهر دجلة، لذلك يعتبر بعض المؤرخين أن سكان الموصل القدماء هم من الآشوريين، ومن ثم اختلطوا بالكلدانيين الآتين من أرض بابل، ثم أصبحوا نصارى في القرن الثاني الميلادي وكان إلى جانب سكانها النصارى، جاء إليها اليهود كسبايا للقائد الآشوري؛ شلمنصر الثالث، عندما غزا واسقط مملكة السامرة اليهودية (مملكة الشمال) على أرض كنعان، وكان هذا في عام ٧٢١ قبل الميلاد. وقد بعث الله إلى أهل نينوى نبيه (يونس بن متى) عليه السلام قال تعالى: ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

قال ابن كثيرفي تفسيره: أن يونس بن متى عليه السلام، بعثه الله إلى أهل قرية **نينوى**، وهي قرية من **أرض الموصل**، فدعاهم إلى الله تعالى، فأبوا عليه وتمادوا على كفرهم، فخرج من بين أظهرهم مغاضباً لهم، ووعدهم بالعذاب بعد ثلاث، فلما تحققوا منه ذلك وعلموا أن النبي لا يكذب، خرجوا إلى الصحراء بأطفالهم وأنعامهم ومواشيهم، وفرقوا بين الأمهات وأولادها، ثم تضرعوا إلى الله عز وجل وجأروا إليه، ورغت الإبل وفصلانها، وخارت البقر وأولادها، وثغت الغنم وسخالها، فرفع الله عنهم العذاب، قال الله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ .

من آثار نينوى عاصمة الدولة الآشورية

كانت الموصل أهم مراكز انطلاق جيوش الفتح الإسلامي المجيد؛ بعد استقرار القبائل العربية فيها. ولعبت دوراً فاعلاً في التاريخ الإسلامي أبان الدولة الأموية، وتأسست فيها دويلات خلال العصر العباسي الثاني، مثل: الحمدانيين، ثم الزنكيين، والأيوبيين المقاومين والداحرين للغزوات الصليبية الأوربية.

جامع تحت الانشاء في مدينة الموصل

في اليمين: صورة لسد الموصل، وفي الصورة المقابلة لها: نهر دجلة وهو يخترق مدينة الموصل

كنيسة الطاهرة في الموصل بعد تجديدها .

رجل دين نصراني يمارس طقوساً داخل كنيسة الطاهرة بالموصل .

القبة الداخلية، وهي تتوسط الكنيسة .

فتح هيت (هيت) وقرقيسياء (البصيرة)

([illegible] من الهجرة [illegible])

لما رجع هاشم بن عتبة عن جلولاء إلى المدائن وقد اجتمعت جموع أهل **الجزيرة**، فأمدّوا هرقل على أهل حمص، وبعثوا جنداً إلى أهل **هيت**، وكتب بذلك **سعد** إلى **عمر**، فكتب إليه **عمر** أن ابعث إليهم عمر بن مالك بن عتبة بن نوفل بن عبد مناف في جند، وابعث على مقدّمته الحارث بن يزيد العامريّ، وعلى مجنّبتيه ربعيّ بن عامر ومالك ابن حبيب، فخرج عمر بن مالك في جنده سائراً نحو **هيت**، وقدّم الحارث ابن يزيد حتى نزل على من بهيت، **وقد خندقوا عليهم**. فلما رأى عمر ابن مالك امتناع القوم بخندقهم واعتصامهم به، استطال ذلك، فترك الأخبية على حالها وخلّف عليهم الحارث بن يزيد محاصرهم، وخرج في نصف الناس يعارض الطريق حتى يجئ **قرقيسياء** في غرّة، فأخذها عنوة، فأجابوا إلى الجزاء، وكتب إلى الحارث بن يزيد إن هم استجابوا فخلّ عنهم فليخرجوا، وإلاّ فخندق على خندقهم خندقاً أبوابه ممّا يليك حتى أرى من رأي. فسمحوا بالاستجابة، وانضمّ الجند إلى عمر والأعاجم إلى أهل بلادهم. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ص ٦٤٦ - ٦٤٧ .

نهر الفرات وهو يخترق (هيت)

هِيتُ: بالكسر، وآخره تاء مثناة، قال ابن السكيت: سميت هيتُ هيتَ لأنها في هُوّة من الأرض، انقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها؛ وقال رؤبة:

في ظلمات تحتهنّ هيت

أي هُـوّة من الأرض، وقال أبو بكر: سميت هيت لأنها في هُـوّة من الأرض، والأصل فيها هَـوْت فصارت الواو ياءً لسكونها وانكسار ما قبلها، وهذا مذهب أهل اللغة والنحو، وذكر أهل الأثر أنها سميت باسم بانيها وهو هيت ابن السبنْدَى ويقال البَلَنْدَى بن مالك بن دُعَر بن بويب بن عنقا بن مدين بن إبراهيم، عَلَيْهِ السَّلَامُ: وهي بلدة على **الفرات** من نواحي بغداد فوق الأنبار ذات نخل كثير وخيرات واسعة، وهي مجاورة للبرّية، طولها من جهة المغرب تسع وستون درجة، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة ونصف وربع، وهي في الإقليم الثالث، أنفذ إليها سعد جيشاً في سنة ١٦ وامتدّ منه فواقع منه أهل قرقيسيا؛ فقال عمرو بن مالك الزهري:

تطاولتِ أيامي بهيتَ فلم أُحم،
وسرتُ إلى قرقيسيا سيرَ حازم
فجئتُهمُ في غرّة فاحتويتها
على غَبَنٍ من أهلها بالصوارم

الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٢٠ - ٤٢١

مرئية فضائية تبين موقعي هيت (هيث) وقرقيسياء (البصيرة)

قَرْقِيسِياءُ: بالفتح ثم السكون، وقاف أخرى، وياء ساكنة، وسين مكسورة، وياء أخرى، وألف ممدودة، ويقال بياء واحدة: قال شاعر:

لعنَ سُخطه من خالقي أو لشقوة ... تبدلتُ قرقيسياء من دارة الردم

قال حمزة الأصبهاني: قرقيسيا معرب كركيسيا وهو مأخوذ من كركيس وهو اسم لأرسال الخيل المسمّى بالعربية الحلْبة وكثيراً ما يجيء في الشعر مقصوراً: وقال سعد بن أبي وقّاص وقد أنفذ جيشاً وهو بالمدائن في سنة ١٦ إلى هيتَ وقرقيسيا ورئيسهم عمرو بن مالك الزُّهري فنزلوا على حكمه فقال عند ذلك:

ونحن جمعنا جمعهم في حفيرهم ... بهيت.ولم نحفل لاهل الحفائر

وسرنا على عمد نريد مدينةً ... بقرقيسيا سير الكماة المساعر

فجئناهمْ في دارهم بغتة ضحًى. ... فطاروا وخلّوا أهل تلك المحاجر

فنادَوا إلينا من بعيد بأننا ... ندين بدين الجزيَة المُتواتر

قبلنا ولم نردُد عليهم جزاءهم، ... وحُطناهمُ بعد الجزا بالبواتر

بلد على نهر الخابور قرب رحبة مالك بن طوق على ستة فراسخ وعندها مصبّ الخابور في الفرات، فهي في مثلث بين الخابور والفرات، قيل: سميت بقرقيسيا بن طهمورث الملك، ... الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ٣٢٨ - ٣٢٩ .

(١) إمدادات رومية لمساندة نصارى العرب في أرض الجزيرة الفراتية، بعد خسائر الروم المتتالية على المسرح الشامي.

(٢) الجيش الرومي ونصارى العرب يبعثون جنودهم إلى أهل هيث، ويقومون بحفر خندق لتحصين المدينة ضد المسلمين.

(٣) كتب سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إلى الخليفة **عمر** رضي الله عنه بشأن جيش التحالف فجاء خطابه على النحو التالي: « ابعث إليهم عمر بن مالك بن عتبة بن نوفل بن عبد مناف في جند. وابعث على مقدمته الحارث بن يزيد العامري وعلى مجنبتيه ربعي بن عامر، ومالك بن حبيب » فخرج عمر من المدائن بجيشه إلى هيث وقد وجد العدو متمترس بالخندق، فترك الأخبية وخلّف على هيث الحارث بن يزيد.

(٤) عمر بن مالك يخرج بنصف الجند ويتجه صوب قرقيسياء ويفتحها عنوة ويجبر الأهالي على دفع الجزية مقابل حماية المسلمين لهم.

(٥) كتب عمر بن مالك إلى الحارث بن يزيد: « إنهم إن استجابوا فخل عنهم فليخرجوا، وإلا فخندق على خندقهم خندقاً أبوابه مما يليك حتى أرى من رأيي ». واستجاب المحاصرون في هيث لهذا العرض، فانضم جند المسلمين إلى عمر بن مالك وجلا الأعاجم فانضموا إلى أهل بلادهم.

قرقيسيا(البصيرة):مدينة أثرية هامة في وادي الفرات، أسمها القديم اللاتيني كركيسيوم [illegible] قرقيسيا في العصور العربية الإسلامية. تقع على الضفة اليمنى لنهر الخابور عند التقائه بنهر [illegible] عن السهل الفيضي المجاور، وهي تبعد ٤٠كم جنوب شرق مدينة دير الزور. وقد هدم قسم كبير من التل [illegible] منطقة الخابور بكاملها. ثم تبعت دولة السلوقيين، وبعدها خضعت لسيطرة الرومان بعد أستيلائهم على سورية. وفي العام الثالث عشر للهجرة مر بها القائد خالد بن الوليد عندما كان قادماً من العراق. وقد فتحت قرقيسيا في عهد الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -. قام بوصف معالمها [illegible] عصر الامبراطور ديوقلسيان.

مرئية فضائية تبين موقعي هيث (هيت) وقرقيسياء (البصيرة)

فتح ماسبذان من أرض فارس

سنة ١٦ من الهجرة المباركة

قال الطبري: لما رجع هاشم بن عتبة من **جلولاء** إلى **المدائن**، بلغ **سعداً** أن آذين بن الهرمزان قد جمع جمعاً، فخرج بهم إلى السهل، فكتب بذلك إلى **عمر**، فكتب إليه **عمر**: ابعث إليهم **ضرار بن الخطاب** في جند واجعل على مقدّمته ابن الهذيل الأسديّ، وعلى مجنّبتيه عبد الله بن وهب الراسبيّ حليف بجيلة، والمضارب بن فلان العجليّ؛ فخرج ضرار بن الخطاب، وهو أحد بني محارب بن فهر في الجند، وقدّم ابن الهذيل حتى انتهى إلى سهل ماسبذان، فالتقوا بمكان يدعى بهندف، فاقتتلوا بها، فأسرع المسلمون في المشركين، وأخذ **ضرار آذين** سلماً، فأسره فانهزم عنه جيشه فقدّمه فضرب عنقه. - قلت: لإن آذين جمع جمعاً قصد منه ضرب القوات الإسلامية وإنزال بها فاجعة قد تكلفهم ما قاموا بعمله، لكن الله سلم، وقيض له من جنوده من يريه عاقبة المكر، - ثم خرج في الطلب حتى انتهى إلى السيروان فأخذ ماسبذان عنوة فتطاير أهلها في الجبال، فدعاهم فاستجابوا له، وأقام بها حتى تحول سعد من المدائن فأرسل إليه، فنزل الكوفة استخلف ابن الهذيل على ماسبذان فكانت إحدى فروج الكوفة [1].

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ص ٦٤٦ ، طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي .

نقش أثري ساساني من كرمنشاه القريبة من ماسبذان

ماسَبَذَانُ: بفتح السين والباء الموحدة، والذال معجمة، وآخره نون، وأصله ماه سبذان مضاف إلى اسم القمر، وقد ذكر في ماه دينار فيما بعد بأبسط من هذا؛ وكان بعد فتح حُلْوان قد جمع عظيم من عظماء الفرس يقال له آذين جمعاً خرج بهم من الجبال إلى السهل وبلغ خبره سعد بن أبي وقّاص وهو بالمدائن فأنفذ إليهم جيشاً أميرهم ضرار بن الخطاب الفهري في سنة ١٦ فقتَل آذينَ ... قال مِسعر بن مهلهل: وخرجنا من مرج القلعة إلى الطَّزَر نعطف منها يَمنةً إلى ماسبذان ومهرجان قذق وهي مدن عدّة، منها: أريوجان وهي مدينة حسنة في الصحراء بين جبال كثيرة الشجر كثيرة الحمّات والكباريت والزاجات والبوارق والأملاح، وماؤها يخرج إلى البَنْدَنيجين فيسقي النخل بها ولا أثر لها إلا حمّات ثلاث وعين إن احتقن إنسان بمائها أسهلَ إسهالاً عظيماً وإن شربه قذف أخلاطاً عظيمة كثيرة، وهو يضرّ أعصاب الرأس، ومن هذه المدينة إلى الرَّذّ، بالراء، عدة فراسخ، وبها قبر المهدي وليس له أثر إلا بناء قد تعفّتْ رُسومه ولم يبق منه إلا الآثار، ثم نخرج منها إلى السِّيرَوان وبها آثار حسنة ومواطن عجيبة، ومنها إلى الصَّيْمَرة، وقد ذكرت في موضعها. الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٤١ .

(١) بعد رجوع هاشم بن عتبة من جلولاء إلى المدائن، بلغ سعداً أن آذين ابن الهرمزان قد جمع جمعاً فخرج بهم إلى سهل ماسبذان .

(٢) كتب سعد إلى عمر يخبره بهذا التحرك الفارسي، فكتب إليه عمر : « ابعث إليهم ضرار بن الخطاب في جند واجعل على مقدمته ابن الهذيل الأسدي، وعلى مجنبتيه عبد الله بن وهب الراسبي، حليف بجيلة، والمضارب بن فلان العجلي » .

(٣) القوات الإسلامية تتجه إلى سهل ماسبذان (هندف)، وتلتقي مع القوات المجوسية .

سقوط الأبلة الآخر سنة ١٦ هـ

قال عمر: « اجمع الناس موضعاً واحداً قريباً من الماء والمرعى ولا تفرقهم » فجمعهم عتبة في موضع البصرة وأقام شهراً لا يغزو ولا يقاتل ولا يخرج إليه أحد، حتى ذهب من أبلغ الحامية الفارسية بجنوب الفرات .

جاء في رواية المدائني عند البلاذري : أن الخليفة **عمر** رضي الله عنه وجّه عتبة ابن غزوان إلى البصرة وأمره بنزولها . وقد خرج إلى البصرة في بضعة عشر رجلاً، وقال له **عمر** : « يا عتبة إني استعملتك على أرض الهند وهي حومة من حومة العدو وأرجو أن يكفيك الله ما حولها وأن يعينك عليها. وقد كتبت إلى العلاء بن الحضرمي أن يمدّك بعرفجة بن هرثمة وهو ذو مجاهدة للعدو ومكايدته . فإذا قدم عليك فاستشره وقرّبه. وادع إلى الله، فمن أجابك فاقبل منه، ومن أبى فالجزية عن صغار وذلة ، وإلا فالسيف في غير هوادة. واتق الله فيما وليت . وإياك أن تنازعك نفسك إلى كبر يفسد عليك إخوتك وقد صحبت رسول الله ﷺ فعززت به بعد الذلة ... انطلق أنت ومن معك، حتى إذا كنتم في أقصى أرض العرب وأدنى أرض العجم فأقيموا » فانطلقوا وانضم إليهم من الأعراب وأهل البوادي، فبلغ البصرة في خمسمائة يزيدون قليلاً أو ينقصون . وعند البلاذري بلغوا ٨٠٠ قال الأستاذ/ أحمد عادل كمال : ربما كان ذلك بعد انضمام قطبة بن قتادة السدوسي ومن معه بتلك الجهات إليهم . وكانوا يقولون عن تلك البقعة أرض الهند، باعتبار أن الأبلة كانت ميناء التجارة مع الهند والشرق . أحمد عادل كمال: سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية ، ص ١١٦ـ١١٧ .

سعد بن أبي وقاص

سعد بن أبي وقاص، مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري، صحابي جليل، وأحد العشرة المبشرين بالجنة . جده أهيب بن عبد مناف، عم آمنة بنت وهب أم الرسول ص ، فكان بمنزلة الخال للنبي صلى الله عليه وسلم، وكان الرسول يفاخر به فيقول صلى الله عليه وسلم: (هذا خالي فليرني امرؤ خاله) أخرجه الترمذي.

أسلم سعد وعمره سبعة عشر عاماً، وكان يومئذ ثالث ثلاثة دخلوا الإسلام . وقد شهد المشاهد كلها مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان من المهاجرين الأولين . دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم: (اللهم سدد رميته وأجب دعوته) . كانت له مناقب جمّة من أبرزها: أنه أول من رمى بسهم في سبيل الله، وأنه الوحيد من بين الصحابة الذي افتداه الرسول بأبويه فقال له يوم وقعة أُحد : (ارم سعد .. فداك أبي وأمي) ، فكان له من الدنيا سلاحان رمحه ودعاؤه، حتى إنه لم يدع دعوة إلا استجيبت له . عارضته أمه كثيراً ورفضت إسلامه، حتى إنها أضربت عن الطعام فأشرفت على الموت، فراح إليها بصحبة بعض أهله حتى يلقي عليها نظرة أخيرة يتوقعون أن يرجع بعدها عن دين الله، لكنه كان راسخ العقيدة، قوي الإيمان، قال لوالدته: تعلمين والله يا أمي لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا لشيء فكلي إن شئت أو لا تأكلي، ونزل في ذلك قوله تعالى: (وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً) العنكبوت: ٨ .

كان سعد على صدقات هوازن بنجد حينما أمره الخليفة عمر للتوجه للعراق لقيادة الجيش الإسلامي فيها ضد المجوس، وكتب إليه بانتخاب ذوي الرأي والنجدة والسلاح لذلك، قاد معركة القادسية الفاصلة ضد الفرس سنة ١٥ هـ، وانتصر عليهم انتصاراً عظيماً، وفتح الله على يديه مدائن كسرى بالعراق، وطارد فلول الفرس المنهزمة حتى نهاوند اختط مدينة الكوفة ووُلّي عليها حتى عهد عثمان، اختاره عمر ضمن الستة المرشحين للخلافة. توفي في المدينة ودفن في البقيع سنة ٥٥ هـ .

سعد بن أبي وقاص

واسم أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري يكنى أبا إسحاق كان سابع سبعة في الإسلام أسلم بعد ستة.

قال الواقدي: حدثني سلمة عن عائشة بنت سعد عن سعد قال: أسلمت وأنا ابن تسع عشرة سنة. وروي عنه أنه قال: أسلمت قبل أن تفرض الصلوات. وشهد بدراً والحديبية وسائر المشاهد وهو أحد الستة الذين جعل عمر فيهم الشورى وأخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وهو عنهم راض. وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وكان مجاب الدعوة مشهوراً بذلك تخاف دعوته وترجى لا يشك في إجابتها عندهم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه: " اللهم سدد سهمه وأجب دعوته " .

وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، وذلك في سرية عبيدة بن الحارث وكان معه يومئذ المقداد بن عمرو وعتبة بن غزوان. ويروى أن سعداً قال في معنى أنه أول من رمى بسهم في سبيل الله عز وجل: ألا هل جا رسول الله أني ... حميت صحابتي بصدور نبلي

أذود بها عدوهم ذياداً ... بكل حزونة وبكل سهل

فما يعتد رام من معد ... بسهم مع رسول الله قبلي وجمع له رسول الله صلى الله عليه وسلم وللزبير أبويه، فقال لكل واحد منهما فيما روى عنه صلى الله عليه وسلم: " ارم فداك أبي وأمي " . ولم يقل ذلك لأحد غيرهما فيما يقولون والله أعلم. ابن عبد البر، الإستيعاب في معرفة الأصحاب.

القعقاع بن عمرو التميمي

أسلم في وقت متأخر سنة ٩ هـ، حينما قدم وفد تميم بعد غزوة تبوك إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأسلم على يديه، ونال شرف الصحبة، ساهم مع خالد في معركة كاظمة ضد الفرس،أرسله خالد إلى سواد العراق بعد فتحه، ظل يقاتل تحت راية خالد ابن الوليد في العراق، ثم اختاره خالد للمشاركة معه في فتوح الشام،ولاه خالد على كردوس العراق في معركة اليرموك، كان من ضمن المشاركين الذين صعدوا على سور دمشق فاتحين،عاد للعراق مرة ثانية على مقدمة جيش هاشم بن عتبة، لمؤازرة الجيش الإسلامي في القادسية،عاد مرة ثانية للشام حينما حشد هرقل قواته في حمص، فسار في أربعة آلاف إلى حمص مما أدى إلى فرار أهل الجزيرة بعد علمهم بالخبر ، شارك بعد عودته للعراق في معركة نهاوند على أرض فارس، فبذلك نال شرف المشاركة في معارك الفتح الكبرى (اليرموك، القادسية ، نهاوند) كان في أوقات الزينة يتقلد سيف هرقل (ملك الروم) ويلبس درع بهرام (أحد قادة الفرس العظام) وهما مما أصابه من الغنائم في الحروب، كان من فحول الشعراء، وقيل فيه: (لصوت القعقاع في الجيش خير من ألف فارس) توفي سنة ٤٠ هـ .

أبو عبيد بن مسعود بن عمرو الثقفي

أسلم مع قومه ثقيف وحسن إسلامه كما حسن إسلام قومه، ثبتوا على الإسلام بعد وفاة النبي ص، فنال أبو عبيد شرف الصحبة.من أوائل الأعمال التي قام بها عمر ر انتدابه لأبي عبيد بن مسعود إلى العراق الذي وصلها بعد المثنى بشهر تولى القيادة على أرض العراق، استطاع أن يهزم القوات الفارسية في النمارق (انظر معركة النمارق) وأن يأسر قائدهم، واستطاع المسلمون أن ينتصروا أيضاً في السقاطية، فما كان من الفرس الا أن أعدوا العدة لرد اعتبارهم بعد الهزائم الأخيرة، واستطاع الفرس أن يستدرجوا أبا عبيد على جسر المروحة من الضفة الغربية للفرات إلى قس الناطف في الضفة الشرقية،حيث لم تمهل القوات الفارسية الجيش الإسلامي بالعبور بل باغتتهم بهجوم عنيف شديد، وفيلة مدربة؛ استطاع أحدها أن يضرب برجله أبا عبيد ويلقيه أرضاً ثم وقف فوقه فأزهق روحه، فمات شهيداً في سنة ١٣ هـ .

المثنى بن حارثة بن سلمة الشيباني

صحابي من كبار قادة الفتح الإسلامي، أسلم سنة ٩ هـ ومن معه من وفد قومه، شارك في حروب الرِّدَّة مع جيش العلاء بن الحضرمي،يُعد أول من أغار على سواد العراق؛ أي أنه كان أول مسلم هاجم الإمبراطورية الساسانية، فبلغ خبره) أبو بكر (خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ولاه على قومه، قاتل المثنى تحت لواء خالد بن الوليد في جميع معاركه التي خاضها في العراق تارة تحت قيادة خالد المباشرة، وتارة قائداً مستقلاً؛ وكان خالد يقدِّر المثنى غاية التقدير، فبعد مغادرة خالد العراق إلى الشام، تولى المثنى قيادة الحرب ضد الفرس، وأنزل بهم الهزائم، ثم عمل تحت لواء أبي عبيد بن مسعود ، ثم عين قائداً على جيش العراق بعد استشهاد أبي عبيد؛ حيث انتصر على الفرس في البويب، والتي تُعتبر تمهيداً لمعركة القادسية الكبرى، وإيذاناً بانهيار الإمبراطورية الساسانية، وانتشار الإسلام في ربوعها، مات شهيداً متأثراً بجروحه في معركة الجسر، التي لولا الله ثم قيادة المثنى في أعقابها لكان مصير المقاتلين المسلمين الهلاك فيها .

الأعراق والأديان والمذاهب في العراق اليوم
شمال
أسماء القبائل الكردية باللون الأزرق
أسماء القبائل العربية باللون الأحمر
أسماء القبائل التركمانية باللون الأخضر
الأكراد وغالبيتهم من السُنَّة
السُنة العرب
خليط بين السُنة (العرب والأكراد)
الشيعة العرب
خليط بين العرب (السُنة والشيعة)
السُنة التركمان
مناطق مأهولة بالسكان بشكل متناثر
• هجرة اليهود العراقيين بعد قيام دولة الكيان الصهيوني في سنة ١٩٤٨م
الجزيرة الفراتية
سنجار
الموصل
أربيل
كركوك
السليمانية
حلبجة
طوز خرماتو
خانقين
تكريت
سامراء
ديالى
بعقوبة
حديثة
هيت
الرمادي
بغداد
عكاشات
الرطبة
الدليم
عنزة
شمر
العمارات (عنزة)
كربلاء
الكوت
النجف
النقيب
الأسلم (شمر)
آل حسان
الناصرية
السماوة
البصرة
الزبير
السلمان
الجلال
الظفير
بنو أسد
بنو كعب
بنو مالك
المنتفق
ربيعة
العمارة
تميم
البوجمعة
بنو لام
الجبور
زبيد
خزاعة
الكاكائية
البابانيون
٠ ٥٠ ١٠٠ كم
أديان أخرى ٢٪
العرب
٧٥ - ٧٨٪
الأكراد
١٦,٦٪
التركمان
٣٪
أخرى
النسبة المئوية
٠
١٠
٢٠
٣٠
٤٠
٥٠
٦٠
٧٠
٨٠

هجرة يهود العراق

يعتبر يهود العراق من أقدم الطوائف اليهودية في العالم بأسره، إذ يرجع تاريخ وجودهم إلى عهد الإمبراطورية الآشورية الأخيرة ٩١١-٦١٢ ق.م، وذلك في أعقاب عدة حملات قام بها الآشوريون على فلسطين وحرروها من اليهود ونقلوا من فيها إلى أماكن جبلية نائية شمالي العراق.

ولما قضى الكلدانيون البابليون على الآشوريين وأسسوا دولتهم في بابل ٦١٢-٣٥٩ ق.م، كان من أهم أعمالهم القضاء على مملكة يهوذا في فلسطين، فسبي يهودها إلى بابل في آب٥٨٧ ق٠م لتسقط أورشليم على يد نبوخذ نصر الكلداني ، ويحدث السبي البابلي، ولما احتل ملك الفرس الأخميني (قورش) بلاد بابل تبعته بلاد فلسطين تلقائياً، فرفع الاضطهاد عن بني إسرائيل وأعادهم إلى أرض كنعان، وسموا منذ ذلك الحين (اليهود) وسميت ديانتهم (اليهودية) ولكنهم كانوا شعباً بلا دولة ولا سلطة. في حين بقي قسم منهم على أرض العراق، وقد تقلبت أحوال الطائفة وفقاً لأحوال الإمبراطورية الفارسية حتى جاء الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي، حيث رأى اليهود فيه طوقاً للنجاة من الاضطرابات والاضطهادات الفارسية لهم، فاستقبلوا الفاتحين المسلمين بالرضا والسرور، وعاشوا فترة من الازدهار والأمان في ظل الخلفاء الراشدين ثم الدولة الأموية، وبلغت قمة الازدهار في العصر العباسي بعامة. وعاش اليهود في العراق إلى قبيل إعلان قيام الدولة الصهيونية سنة ١٩٤٨ م.

صورة تاريخية لمجموعة من **يهود العراق** قرب قبر حزقيال في بلدة الكفل بين بابل و كربلاء. وتعود هجرة اليهود العراقيين منذ قيام دولة إسرائيل في سنة ١٩٤٨ ، حيث انخفضت نسبتهم من ٢،٦٪ من السكان عام ١٩٤٧م إلى ٠،٠٣٪ عام ١٩٥١م حيث لم يبقى منهم في العراق خلال فترة الخمسينيات سوى ما يقارب الـ١٥ ألف نسمة. و استمرت نسبتهم بالانخفاض بسبب الهجرة خلال السبعينيات و الثمانينيات إلى أن أصبح عددهم لا يتعدى الـ٨٠ يهودياً في العراق بأكمله عام ٢٠٠٣ معظمهم من كبار السن ويتمركزون في بغداد .

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
العرب	٧٥ ٧٨٪	يشكل العرب غالبية سكان العراق . و ينقسم العرب الذين هم في الغالبية العظمى مسلمون إلى عرب شيعة و هم غالبية سكان محافظات جنوبي بغداد، و إلى عرب سنة وهم غالبية سكان محافظات شمال و غربي بغداد، في حين أن بغداد هي المدينة التي تختلط بها أثنيات و طوائف العراق جميعاً.	شيعة وسُنة	العربية
الأكراد	١٦،٦٪	يتركز الأكراد في المناطق الشمالية الشرقية حيث يشكلون أغلبية السكان في محافظات السليمانية و أربيل و دهوك مع تواجد للنصارى و التركمان و بشكل أقل للعرب في بعض المناطق في هذه المحافظات الثلاثة. كما يجدر بالذكر إلى ان الأكراد يتواجدون أيضاً في محافظات نينوى و كركوك و بغداد، ولهم لباسهم الذي يميزهم .	غالبية سُنية وأقلية شيعية (فيلية)	الكردية
التركمان	٣٪	يعيش التركمان في المنطقة التي تفصل بين العرب والأكراد؛ وبخاصة في محافظات كركوك و ديالى و نينوى، حيث يشكل التركمان غالبية أو نسبة كبيرة من سكان تلعفر و كركوك، و داقوق، و طوزخورماتو، و قرة تبه، و ألتون كوبري، و كفري. ويتوزع التركمان بنسب شبه متباينة بين السنة وهم الأكثرية والشيعة وهم الأقلية.	غالبية سُنية وأقلية شيعية (الشبك)	التركية
أخرى	٢،٤٪	يعيش أكثر الآشوريين (النصارى) قرب الموصل، وهم طوائف و أعراق، و تعتبر منطقة سهل نينوى و ما جاورها منطقة تمركز الوجود النصراني في العراق حيث تتواجد قراهم الرئيسة مثل القوش و تلكيف و عنكاوة و عقرة و سرسنك و قرة قوش و غيرها. في حين أن التمركز العددي الأكبر لنصارى العراق في بغداد. كما يتواجدون في جنوبي العراق (البصرة) في حين أنه توجد أقلية نصرانية بشكل أصغر في مدن العمارة و الحلة. أما الأرمن فتواجدهم في العراق إلى بدايات القرن ٢٠م، ويتمركزون في بغداد و البصرة و الموصل و غيرها من المدن.	توجد مجتمعات صغيرة من النصارى، الصابئة المندائيين، الشبك، البهائيين، وأتباع الديانة الإيزيدية.	الآرامية والفارسية

نصارى العراق

يعتبر نصارى العراق من سكانه القدامى، حيث يعودون إلى أصل كنسي واحد، فهم في الأصل كنيسة واحدة تشعبت إلى طوائف مختلفة على مر السنين ،لتدعي كل فئة أنها الأصل والأقدم.

انتشرت الديانة النصرانية في العراق بأواسط القرن الأول للميلاد، فقد نادى بها في العراق والجزيرة العربية (مار ماري) تلميذ (مار توما) أحد رسل المسيح الاثنى عشر، والذي أسس مقره الكنسي فيما بعد في المدائن (سلوقية وطيفسون)، وما لبث كرسي المدائن أن أصبح جاثليقاً (بطريقياً)، يشرف على الكراسي الدينية الأخرى، وسميت كنيسة العراق - في القرن الثالث الميلادى باسم - كنيسة المشرق تميزاً لها عن الكنائس الأخرى آنذاك؛ ككنيسة القدس وكنيسة الإسكندرية وكنيسة أنطاكية وكنيسة روما والقسطنطينية .

إحدى كنائس بغداد في بداية القرن الماضي الهجري

وقد قام الفرس المجوس الذين كانوا يحتلون العراق بشن غارات قتل وتدمير وحشية على نصارى العراق بتحريض من الجالية اليهودية التي كانت مستقرة فيه.

وعرفت كنيسة المشرق العراقية في أواخر القرن الخامس م، أكبر انتكاسة داخلية أصابتها من خلال الانشقاق الكبير الذي ظهر نتيجة مجادلات فلسفية - لاهوتية وخلافات على الكرسي الرئاسي، حيث تميزت نظرتان لاهوتيتان متباينتين، عرفتا **بالنسطورية واليعقوبية**، الأولى نسبة إلى (نسطور) بطريك القسطنطينية، والأخرى نسبة الى يعقوب البرادعي سميت فيما بعد (باليعقوبية) فانساق شطر من كنيسة العراق إلى المذهب النسطوري فعرفت (بالكنيسة النسطورية). بينما اعتنق الشطر الآخر المذهب اليعقوبي فسميت كنيستهم (باليعقوبية). د .عبد الوهاب محمود ، شبكة البصرة، رمضان ١٤٢٥ هـ .

الطوائف النصرانية المعترف بها في العراق عام ١٩٨١ م، وهي النحو الآتي:

١- طائفة الكلدان .
٢- الطائفة الآثورية .
٣- الطائفة الآثورية الجاثليقية .
٤- طائفة السريان الأرثذوكس .
٥- طائفة السريان الكاثوليك .
٦- طائفة الأرمن الكاثوليك .
٧- طائفة الأرمن الارثذوكس .
٨- طائفة الروم الأرثذوكس .
٩- طائفة الروم الكاثوليك .
١٠- طائفة اللاتين .
١١- الطائفة البروتستانتية.
١٢- طائفة الأدفنست السبتين .
١٣- الطائفة القبطية الأرثذوكسية .

كنيسة تكريت (أقدم كنيسة بنيت في العراق)

هاهو أطلس الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم (فتح العراق)، بين يديك يقدم قصة الفتح الإسلامي العظيم لأرض الرافدين بكل شفافية ووضوح، بعيداً عن التعصب والتزلف، ليقدم سيرة الرجال الأشاوس الذين حرروا العراق من احتلال مجوسي غاشم، ليمارس أهله عقيدة سماوية صافية لا لبس فيها ولا تدليس! بفضل الله ثم بفضل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين حملوا لهذا الجزء العزيز على المسلمين هذا الدين العظيم، في الوقت الذي كفل الإسلام لأصحاب الديانات الأخرى حرية ما يعتقدون به انطلاقاً من قوله تعالى: (لا إكراه في الدين) وهذه الصفحات الأخيرة خير شاهد على ممارسة أهل الأديان لعقائدهم، والله من وراء القصد .

معبد (مندي) لفئة الصابئة المندائية بالعراق

وادي(لالش) في شمالي العراق، وهو مكان يقدسه (الإيزيديون)، ويقع وسط جبال شاهقة تسمى بيت عذري، مكسوة بأشجار البلوط والجوز

الباب الثاني

فتح إيران والأقاليم المجاورة لها

موقع إيران بالنسبة لقارة آسيا
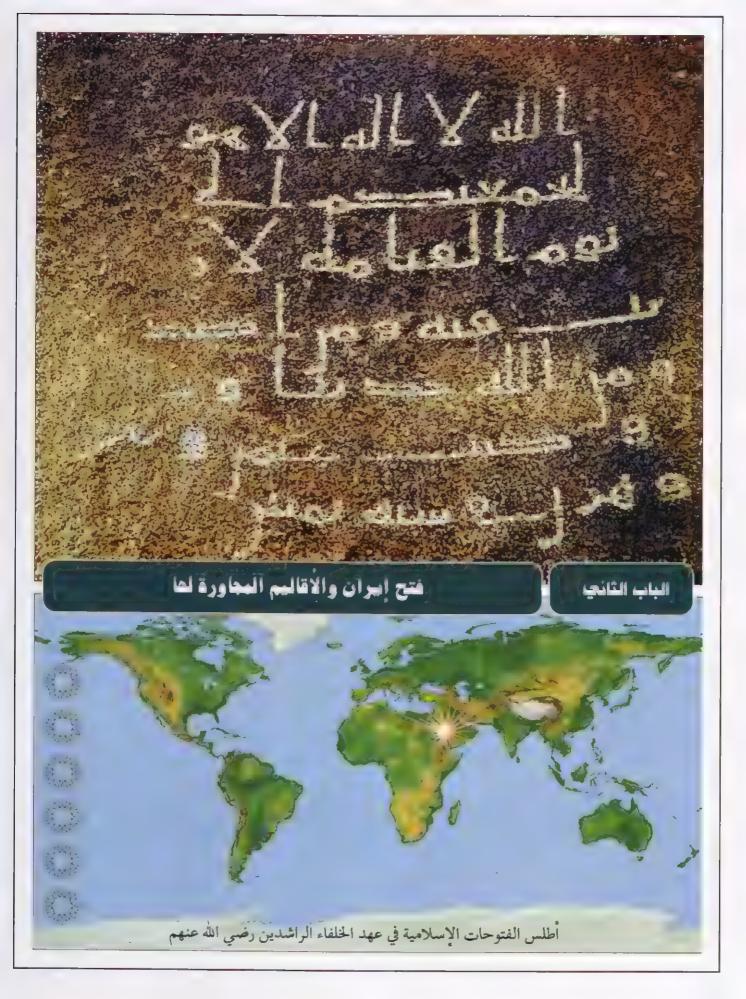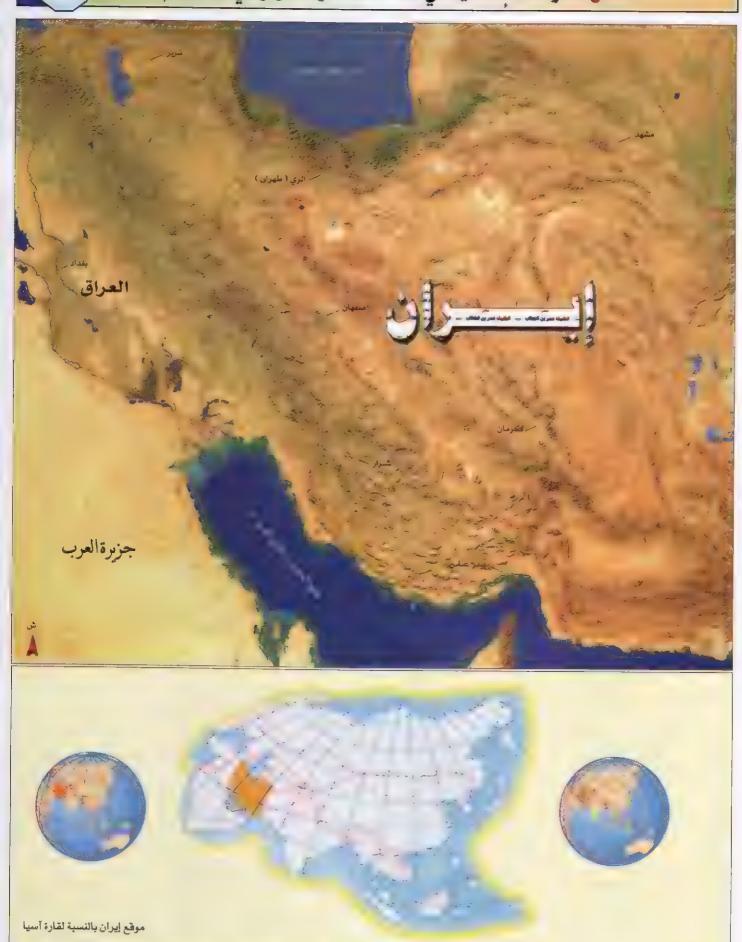
سُميت المناطق في هضبة إيران بأسماء القبائل التي سكنتها وكان أبرزها ثلاثة قبائل هي: (**ميديا، فارس، بارثيا**)، ثم شملت تسمية فارس لتطلق على الهضبة الإيرانية جميعها بعد قيام الامبراطورية الفارسية . حيث تمكن قورش الفارسي من تأسيس الدولة الأخمينية حوالي عام ٥٥٠ ق . م . على أنقاض الدولة الميدية، وبسط نفوذه على جميع ولايات إيران كلها، ثم توسع إلى خارج البلاد (انظر الخريطة الخاصة بالدولة الساسانية في أقصى اتساعها)، وقد بلغت الدولة الفارسية أقصى اتساعها زمن الملك دارا الذي يعتبر من أعظم ملوك الدولة الأخمينية على الإطلاق، ثم أخذت الدولة بالضعف بعد هزيمة الفرس على يد الإغريق في معركة ماراثون البرية سنة ٤٩٠ ق . م . وبعد معركة سلاميس البحرية سنة ٤٨٠ ق . م . واستمر الوضع بالإنحدار حتى سيطر عليها الإسكندر المقدوني سنة ٣٣٣ ق . م . ،ثم حكمها السلوقيون فترة من الزمن وبعد خمسة قرون متتالية؛ قامت الأسرة البارثية بالتخلص من النفوذ الأغريقي بدءاًمن منتصف القرن الثالث ق . م . حتى قيام الدولة الساسانية حوالي سنة ٢٢٦ م على يد أردشير بن بابك الساساني والتي استمر حكمها حتى الفتح الإسلامي لبلاد العراق وفارس .

المواقع الجغرافية لقبائل إيران

تركمانستان
أذربيجان
أرمينيستان
عشق آباد
طبرستان
الري
ميديا
كردستان
إيران
خراسان
بارثيا
الدولة الساسانية
الكوفة
خورستان
البصرة
سجستان
فارس
فارس
كرمان
مكران

قادة فتح بلاد الفرس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

م	القائد	البلاد التي فتحها	الإقليم	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي
١	القعقاع بن عمرو التميمي	حُلوان ـ همذان	الجبل	١٦ ١٩	٦٣٧ ٦٤٠
٢	جرير بن عبد الله البجلي	حُلوان ـ همذان قرميسين	الجبل	١٦ ١٩	٦٣٧ ٦٤٠
٣	ضرار بن الخطاب الفهري	ماسبذان	الجبل	١٦	٦٣٧
٤	حرملة بن مُريطة التميمي	مناذر ـ نهر تيري	الأهواز	١٦	٦٣٧
٥	سُلمى بن القين التميمي	مناذر ـ نهر تيري	الأهواز	١٦	٦٣٧
٦	العلاء بن الحضرمي	أول من هاجم الفرس	فارس	١٧	٦٣٨
٧	حُرقوص بن زهير السعدي	سوق الأهواز	الأهواز	١٦	٦٣٧
٨	جُـزء بن معاوية التميمي	دورق	الأهواز	١٧	٦٣٨
٩	النعمان بن مقرّن المُزني	رامهرمز ـ نهاوند	الأهواز ـ الجبل	١٧ ١٩	٦٣٨ ٦٤٠
١٠	أبو سبرة بن أبي رُهم العامري	تُستر ـ السوس جُنديْسابور	الأهواز	١٧	٦٣٨
١١	زرُّ بن عبد الله	جُنديْسابور	الأهواز	١٧	٦٣٨

م	القائد	البلاد التي فتحها	الإقليم	التاريخ	
				الهجري	الميلادي
١٢	الربيع بن زياد الحارثي	بيروذ ـ مناذر	الأهواز	١٧	٦٣٨
١٣	سلمة بن قيس الأشجعي	جبال الأهواز	الأهواز	٢٣	٦٤٣
١٤	أبو موسى الأشعري	الأهواز	الأهواز	١٧	٦٣٨
١٥	حُذيفة بن اليمان العبسي	ماه ـ الدّينور	الجبل	١٩	٦٤٠
١٦	المغيرة بن شعبة الثقفي	أرّجان	فارس	٢٢	٦٤٢
١٧	السائب بن الأقرع الثقفي	مهرجان قذق الصيمرة	الجبل	١٩ ـ ٢٢	٦٤٠ ـ ٦٤٢
١٨	نُعيم بن مقرّن المُزني	همذان ـ الري	الجبل	١٩ ـ ٢٢	٦٤٠ ـ ٦٤٢
١٩	عبد الله بن عبد الله الأنصاري	أصفهان	الجبل	٢١	٦٤١
٢٠	البراء بن عازب الأنصاري	أبْهَر ـ قزوين جيلان ـ زنجان	الجبل	٢٢	٦٤٢
٢١	سُويَد بن مقرّن المُزني	قومس ـ بسطام جرجان ـ طبرستان جبل جيلان	طبرستان	٢٢	٦٤٢
٢٢	بُكير بن عبد الله الليثي	أذربيجان ـ موقان	أذربيجان	٢٢	٦٤٢

قادة فتح بلاد الفرس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه					
م	القائد	البلاد التي فتحها	الإقليم	التاريخ	
				الهجري	الميلادي
٢٣	عتبة بن فرقد السُلمي	أذربيجان	أذربيجان	٢٢	٦٤٢
٢٤	سراقة بن عمرو الأنصاري	دربند (باب الأبواب)	أذربيجان	٢٢	٦٤٢
٢٥	الأحنف بن قيس التميمي	خُراسان	خُراسان	٢٢	٦٤٢
٢٦	مجاشع بن مسعود السُلمي	أردشير خُرّه سابور	فارس	٢٣	٦٤٣
٢٧	عثمان بن أبي العاص الثقفي	إصطخر بلاد فارس	فارس	٢٣	٦٤٣
٢٨	الحكم بن أبي العاص الثقفي	جزيرة شيخ شعيب (لاوان - أركاوان) توّج - إصطخر	الخليج العربي فارس	٢٣	٦٤٣
٢٩	سارية بن زنيم الكناني	فسا دارا بجرد	فارس	٢٣	٦٤٣
٣٠	سهيل بن عدي الخزرجي	كرمان	كرمان	٢٣	٦٤٣
٣١	عاصم بن عمرو التميمي	سجستان	سجستان	٢٣	٦٤٣
٣٢	الحكم بن عمير التغلبي	مُكران	مُكران	٢٣	٦٤٣
–	–	–	–	–	–

القائد المسلم

دأب القادة الناجحون من الخلفاء وغيرهم على حث الناس أن يمارسوا الرقابة على تصرفاتهم حتى لا تزل أقدمهم بقرار متعجل أو تصرف خاطئ يورث الندم والحسرة، ولذلك فإن من توفيق الله تعالى لصاحب المنصب أن يكون من معه في العمل من أهل الصلاح والتقى، ففي صحيح البخاري عن أبي سعيد مرفوعاً: "ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان، بطانة تأمره بالخير، وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالسوء، وتحضه عليه، فالمعصوم من عصمه الله"، وقوله صلى الله عليه وسلم: (من ولي من أمر الناس فأراد الله به خيراً جعل معه وزيراً صالحاً إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه). فسارت جيوش الإسلام في دروب النصر بفضل **الله** تعالى ثم بفضل **قيادة إسلامية** فريدة يعزى إليها الفضل في إنجاح الخطط وكسب المعارك، ويشهد الاستقراء التاريخي أن الحاكم الأعلى للمسلمين هو القائد الأعلى لقواتهم المسلحة وهو رئيس هيئة أركان حرب الجيش لا يبتعد عن الدراية الدقيقة بمواقف الجند المسلمين، ودرجة استعدادهم و فعاليتهم، وبالمهام المناطة بهم ويظهر من بعض أحاديث الرسول ﷺ ومن سيرته: أنه يستحسن للقائد الأعلى الاشتراك الفعلي في الحروب كلها، أو أكثرها، فكان عليه الصلاة والسلام القائد في الغزوات الشهيرة وكان يتمنى لو استطاع أن يكون على رأس السرايا كلها فقال في حديث له: "لولا أن أشق على أمتي ما تخلفت عن سرية ولكن لا أجد حمولة ولا أجد ما أحملهم عليه، ويشق على أن يتخلفوا عني" كما يشهد التاريخ أن الذين عهدت إليهم المسؤوليات في الفتوحات الكبرى كانوا أدهى الناس في شؤون الحرب وأشدهم مراساً لقتال وكان الخلفاء الراشدون يتابعون قادتهم على مسرح العمليات، وهناك محددات أساسية لازمة لأي قائد نوجزها فيما يلي :

أولاً: توافر القدرة القيادية في الشخصية المطلوب فيها أداء دور قيادي، وأن هذا الأمر ظهر في طلب أبي ذر الغفاري الولاية من الرسول صلى الله عليه وسلم على أساس أنه كان قيادة دعوية ناجحة إذ ساهم بمفرده في نشر الدعوة الإسلامية في مناطق عديدة إلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم أوضح له أنها أمانة بمعنى أن القيادة لها متطلبات ومواصفات خاصة ، وأن هذه المتطلبات غير متوافرة جميعها أو معظمها في ذلك الصحابي الجليل رغم ورعه وتقواه .

ثانياً: القدرة على معرفة المرؤوسين، وفي هذا الشأن على القائد أن يعرف قدرات ومهارات وسلوكيات مرءوسيه وميولهم واتجاهاتهم وقدرات الفريق الذى يقوده . وهنا تبرز القيادة الناجحه عن القيادة غير الناجحة، على أساس معرفة أن الأولى هي التي تدرك أن درجة نجاحها في تحقيق أهدافها على درجة قبول المرؤوسين لها وتعاونهم مع قيادتهم في سبيل تحقيق الهدف المنشود .

ثالثاً: أن للقيادة متطلب رئيس يرجع إلى صفات القائد نفسه والتي يجب أن تكون قادرة على تحديد الأعمال التي تساعد أكثر من غيرها على تحقيق أهداف الجماعة، ولهذا الأمر نجد أن هناك ضرورة لأن يتفهم القائد المسلم هدف جماعته بوضوح دون زيادة أو نقصان، وأن يحدد جميع الأعمال اللازمة لبلوغ هذا الهدف الأسمى بأحسن وسيلة ممكنة عن طريق اختيار أفضل البدائل المتاحة في ضوء ظروف المرحلة والموقف الذي يتخذ فيه القرار بفاعلية كاملة .

رابعاً: يتحدد دور القيادة تبعاً لبلوغ الهدف وبالتالي تكون القيادة قد أدت ما عليها من واجبات، ففي حالة تحقيق الهدف بأحسن كفاية ممكنة وأقل جهد ممكن وأن القيادة إذا ما حققت الهدف ولكن بتكاليف عالية فهي تكون مقصرة وغير ناجحة .

إقليم خوزستان

قال المقدسي البشاري: هذا إقليم أرضه نحاس نباتها الذهب، كثير الثمار والأرزاز والقصب، وفيه الإنجاص والحبوب والرطب، والأترنج الفائق والرمان والعنب، نزيه طيب أنهاره عجب. بزه الديباج والخز، والرقاق من القطن والقز. معدن السكر، والقند والحلواء الجيدة وعسل القطر. به تُستر التي اسمها في المشرقين، والعسكر التي تميز الدولتين، والأهواز المشهورة فى الخافقين، وبصنا التي ستورها في الدنيا إلى سدرة المنتهى!، ومثل خز السوس لا ترى، ومع هذا به معادن النفط والقار، ومزارع الرياحين والأطيار، ثم واسطة بين فارس والعراق به كانت وقائع الإسلام وثم معارك القوم وقبردانيال لا يخلو من فقيه وأستاذ ولا في الثمانية أفصح منهم لغات، به الدواليب الظريفة، والطواحين الغريبة، والأعمال العجيبة، والخصائص الكثيرة، والمياه الغزيرة. دخله كان يعضد الخليفة، وله آثين وطيبه. لم يطب لي في الثمانية غيره، فما أجله من إقليم لولا أهله، وما أحسن قصباته لولا مصره.... . أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، النسخة الرقمية .

صورة خوزستان لابن حوقل النصيبي المتوفى سنة ٣٦٧ هـ

وأما حدود خوزستان فإن شرقيّها حد فارس وأصبهان، وبينها وبين حدّ فارس من حدّ أصبهان نهر طاي وهو الحدّ إلى قرب مَهْرُوبان، ثم يصير الحد بين الدّوْرَق ومَهْرُوبان على الظهر إلى البحر، وغربيّها حدّ رستاق واسط ودور الراسبيّ، وشماليها حدّ الصَّيْمَرَة وكَرْخا واللور، حتى يتصل على حدود الجبال إي أصبهان، على أنه يقال إن اللور كانت من خوزستان فحولت إلى الجبال، وحدّ خوزستان ممايلي فارس وأصبهان وحدود الجبال وواسط على خط مستقيم في التربيع، الآن الحدّ الجنوبي من عبّادان إلى رستاق واسط يصير مخروطاً، فيضيق في التربيع عما قابله، وفي حدّ الجبوب أيضاً - من حدّ عبادان على البحر إلى فارس - تقويس يسير في الزاوية، فينتهي هذا الحدّ الجنوبي إلى شيء من البحر، ثم إلى دجلة حتى يجاوز بيان، ثم ينعطف وراء المفتح والمذار إلى أن يتصل برستاق واسط من حيث ابتدأنا. الإصطخري، المسالك والممالك، النسخة الرقمية .
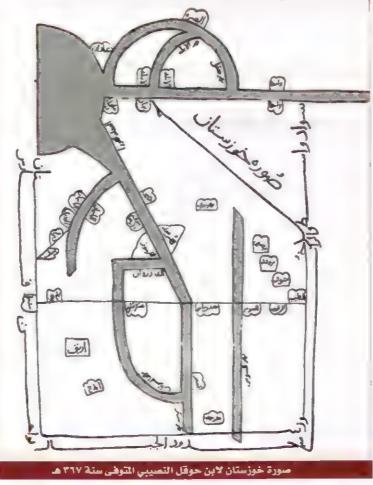
خوزستان

الجمهورية الإيرانية

إقليم الأحواز

خليج البحرين (الخليج العربي)

مرئية فضائية لإقليم الأحواز في خوزستان

فتح الأهواز (الأحواز)

أواخر سنة ١٦ من الهجرة

قال أبو جعفر: فتح سوق الأهواز ومناذر ونهر تيري وفي هذه السنة - أعني سنة سبع عشرة - فتحت سوق الأهواز ومناذر ونهر تيري في قول بعضهم، وفي قول آخرين: كان ذلك في سنة ستّ عشرة من الهجرة.

ذكر الخبر عن سبب فتح ذلك وعلى يدي من جرى كتب إليّ السريّ، يذكر أن شعيباً حدّثه عن سيف بن عمر، عن محمد وطلحة والمهلّب وعمرو، قالوا: كان الهرمزان أحد **البيوتات السبعة** في أهل فارس، وكانت أمّته مهرجان قذق وكور الأهواز، فهؤلاء بيوتات دون سائر أهل فارس، فلما انهزم يوم القادسيّة كان وجهه إلى أمّته، فملكهم وقاتل بهم من أرادهم، فكان الهرمزان يغير على أهل ميسان ودستميسان من وجهين، من مناذر ونهر تيرى، فاستمدّ عتبة بن غزوان سعداً، فأمدّه سعد بنعيم بن مقرّن ونعيم بن مسعود، وأمرهما أن يأتيا على ميسان ودستميسان حتى يكونا بينهم وبين نهر تيرى. ووجّه عتبة ابن غزوان سلمى بن القين وحرملة بن مريطة - وكانا من المهاجرين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهما من بني العدوية من بني حنظلة - فنزلا على حدود أرض ميسان ودستميسان، بينهم وبين مناذر، ودعوا بني العم، فخرج إليهم غالب الوائليّ وكليب بن وائل الكلبيّ، فتركا نعيماً ونعيماً ونكبا عنهما، وأتيا سلمى وحرملة، وقالا: أنتما من العشيرة، وليس لكما مترك؛ فإذا كان يوم كذا وكذا فانهدا للهرمزان، فإنّ أحدنا يثور بمناذر والآخر بنهر تيرى؛ فنقتل المقاتلة، ثم يكون وجهنا إليكم، فليس دون الهرمزان شيء إن شاء الله. ورجعا وقد استجابا واستجاب قومهما بنو العم ابن مالك[١].

قال ابو جعفر: كتب إليّ السرىّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو، قالوا: بينا الناس من أهل البصرة وذمتهم على ذلك وقع بين الهرمزان وبين غالب وكليب في حدود الأرضين اختلاف وادّعاء، فحضر ذلك سلمى وحرملة لينظروا فيما بينهم، فوجدا غالباً وكليباً محقّين والهرمزان مبطلاً، فحالا بينه وبينهما، فكفر الهرمزان أيضاً ومنع ما قبله، واستعان بالأكراد، فكثف جنده. وكتب سلمى وحرملة وغالب وكليب ببغي الهرمزان وظلمه وكفره إلى عتبة ابن غزوان، فكتب بذلك إلى **عمر**، فكتب إليه عمر يأمره بأمره، وأمدّهم عمر بحرقوص بن زهير السعديّ، وكانت له صحبة من **رسول الله صلى الله عليه وسلم**، وأمّره على القتال وعلى ما غلب عليه. فنهد الهرمزان بمن معه وسلمى وحرملة وغالب وكليب، حتى إذا انتهوا إلى جسر سوق الأهواز أرسلوا إلى الهرمزان: إمّا أن تعبروا إلينا وإمّا أن نعبر إليكم، فقال: اعبروا إلينا، فعبروا من **فوق الجسر، فاقتتلوا** فوق الجسر ممّا يلي سوق الأهواز، حتى هزم الهرمزان ووجّه نحو رامهرمز، فأخذ على قنطرة أربك بقرية الشّغر حتى حلّ برامهرمز، **وافتتح حرقوص سوق الأهواز**، فأقام بها ونزل الجبل، واتّسقت له بلاد سوق الأهواز إلى تُستر، ووضع الجزية، **وكتب بالفتح والأخماس إلى عمر**، ووفد وفدا بذلك، فحمد الله، ودعا له بالثبات والزيادة[٢].

---

١ - ٢ ، الطبري، تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ص ٦٥٩ - ٦٦٠ ، طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي.

١. حشود فارسية تصل إلى الأهواز، لتنضم إلى الهرمزان قائد ميمنة رستم في القادسية والذي انسحب بقواته نحو الأهواز .

٢. وجه الهرمزان قواته الأولى جهة دست ميسان . قال ابن خرداذبة : الأُبُلّة هي دست ميسان .

٣. ووجه الهرمزان قواته الثانية نحو ميسان وهي جهة العمارة في العراق اليوم .

٤. القائد سعد بن أبي وقاص ؛ يمد عتبة بن غزوان بنعيم بن مسعود الغطفاني إلى ميسان .

٥. ووجه سعد قوات نعيم بن مقرّن المازني إلى أعلى دست ميسان .

٦. بعد أن بلغ جيش المسلمين في البصرة، حوالي ٥٠٠٠ مقاتل، وجه عتبة اثنين من المهاجرين هما سلمى بن القين وحرملة بن مريطة ،توجهت جميع الجيوش لمنازلة الهرمزان في الأهواز؛ فانتصروا عليه وطلب الصلح ثم نقضه ثم عاد وطلب صلحاً آخر وطلب الخليفة **عمر** رضي الله عنه أن يقبلوا منه صلحه الثاني على ما لم يفتحوا من أرض رامهرمز وتستر وسوس وجندي سابور والبنيان ومهرجان قذق . فأقام الهرمزان بها حتى يجيء إليهم خراجها ولا يدخلون عليه وله الذمة والمنعة،فكانوا يحمونه من غارات الأكراد عليه .

قال أبو زيد: **الأهواز** اسمها هُرْمُزْشَهْر وهي الكورة العظيمة التي ينسب إليها سائر الكُوَر؛ وفي الكتب القديمة أن سابور بَنَى بخوزستان مدينتين سمَّى إحداهما باسم الله عز وجل، والأُخرى باسم نفسه ثم جمعها باسم واحد وهي هُرْمُزدادسابور، ومعناه عطاءُ الله لسابور، **وسمتها العرب** سوق الأهواز يريدون سوق هذه الكورة المحوزة، أو سوق الأخواز، بالخاء المعجمة، لأن أهل هذه البلاد بأسْرها يقال لهم الخوز؛ وقيل: إن أول من بَنى الأهواز أردشير وكانت تسمَّى هُرْمز أردشير؛ وقال صاحب كتاب العين: الأهواز سبع كُوَر بين البصرة والفارس، لكل كورة منها اسم ويجمعهن الأهواز ولا يُفْرَد الواحد منها بهَوْز؛ وأما طالعها فقال بطليموس: بلد الأهواز طوله أربع وثمانون درجة وعرضه خمس وثلاثون درجة وأربع دقائق تحت إحدى عشرة درجة من السرطان وست وخمسين دقيقة، يقابلها مثلها من الجدي، وبيت عاقبتها مثلها من الميزان، لها جزءٌ من الشعرى الغُمَيْضاء، ولها سبع عشرة دقيقة من الثور من أول درجة منه؛ قال صاحب الزيج: الأهواز في الإقليم الثالث، طولها من جهة المغرب خمس وسبعون درجة وعرضها من ناحية الجنوب اثنتان وثلاثون درجة؛ والأهواز: كورة بين البصرة وفارس، وسُوقُ الأهواز من مُدُنها كما قدمناه: ... ، ومن أقام بها سنة نقص عقلُهُ، وقد سكنها قوم من الأشراف فانقلبوا إلى طباع أهلها، وهي كثيرة الحُمَّى ووجوه أهلها مصفرَّة مغبرة؛ ولذلك قال مغيرة بن سليمان: أرض الأهواز نحاسٌ تُنْبِتُ الذهبَ وأرضُ البصرة ذهب تنبت النحاس؛ **وكُوَر الأهواز:** سوق الأهواز ورامُهرمز وإيذج وعَسْكَر مُكْرَم وتُسْتَر وجنديسابور وسُوس وسُرّق ونهرتيرَى ومَناذِر، وكان خراجُها ثلاثين ألف ألف درهم . الحموي، معجم البلدان، ج١، ٢٨٤ ـ ٢٨٥ .

كنيسة عبدان بإقليم خوزستان الايرانية
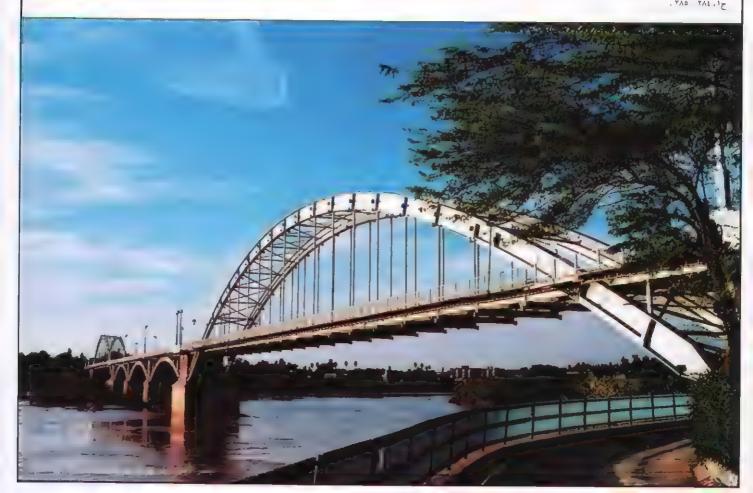
إن من حكمة القول في دعوة أهل الكتاب إلى الله- تعالى- أن يجادلوا بالتي هي أحسن ، بحسن خلق ولطف ولين كلام، ودعوة إلى الحق، وتحسينه بالأدلة العقلية والنقلية، ورد الباطل بأقرب طريق وأنسب عبارة. وأن لا يكون القصد من ذلك مجرد المجادلة والمغالبة وحب العلو ، بل أن يكون القصد بيان الحق، وهداية الخلق، كما قال تعالى « وَلا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن [illegible] به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » وهذا ما فعله صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم تأسيا به؛ حينما خرجوا فاتحين، حيث لم يجبروا من أراد التمسك بعقيدته على الدخول في الإسلام بل ترك المسلمون لهم الخيار؛ فأمن السواد الأعظم وظلت فئات متمسكة بعقيدتها حتى يومنا هذا كدليل على عدم الإكراه في الدين .

صورتان من مدينة خرمشهر بإقليم الاهواز (الاحواز)

١ يزدجرد يثير الفرس في الأقاليم بعد أن اتخذ من مرو مركزاً له، وقال لهم: « رضيتم يا أهل فارس أن قد غلبتكم العرب على السواد وما والاه والأهواز، ثم لم يرضوا بذلك حتى توردوكم في بلادكم وعقر دوركم » .

٢ جيوش الفرس تتجه من مرو إلى تستر لملاقاة المسلمين، واسترجاع الأهواز !.

٣ خبر تحركات الفرس تصل إلى المدينة، مما دعا بالخليفة **عمر** رضي الله عنه الكتابة إلى سعد بن أبي وقاص بتوجيه القوات الإسلامية .

فتح تُستر

سنة ١٧ من الهجرة

بعد أن مَن الله على المسلمين بفتح رامهرمز وصل جيش النعمان بن مقرّن وجيش سهل ابن عدي إلى تُستر، واجتمعا تحت قيادة **أبي سبرة بن أبي رُهْم**، وقد استمد أبو سبرة **أمير المؤمنين** فأمدهم **بأبي موسى الأشعري** فأصبح قائد جيش البصرة، وظل أبو سبرة قائد الجيش كله وقد بقي المسلمون في حصار تستر عدة شهور قابلوا فيها جيش الأعداء في ثمانين معركة وظهرت بطولة الأبطال بالمبارزة فاشتهر منهم عدد بقتل مائة مبارز سوى من قتلوا في أثناء المعارك، وقد ذكر منهم: البراء بن مالك ومجزأة بن ثورة وكعب بن سور وأبو تميمة وهم من أهل البصرة وفي الكوفيين مثل ذلك ذُكر منهم حبيب ابن قرة وربْعي بن عامر، وعامر بن عبد الله الأسود[١].

ولما كان آخر لقاء بين المسلمين وأعدائهم، واشتد القتال نادى المسلمون **البراء بن مالك** وقالوا: يا براء. أقسم على ربك ليهزمنّهم لنا، فقال: اللهمَّ اهزمهم لنا، واستشهدني، وقد باشر المسلمون القتال وهزموا أعداءهم حتى أدخلوهم خنادقهم ثم اقتحموها عليهم وأنه لما ضاق الأمر على الفرس واشتد عليهم الحصار اتصل اثنان منهم في جهتين مختلفتين بالمسلمين وأخبراهم بأن فتح المدينة يكون من مخرج الماء، وقد وصل الخبر إلى النعمان ابن مقرّن، فندب أصحابه كذلك، فالتقى الأبطال من أهل الكوفة والبصرة في ذلك المكان ليلاً، ودخلوا منه بساحة إلى المدينة فكبّروا وكبر من وقفوا في الخارج، وفتحوا الأبواب، فأبادوا من حولها بعد شيء من المقاومة[٢]، وقد استشهد في هذه المعركة البراء بن مالك ومجزأة ابن ثور حيث رماهما الهرمزان، وكان استشهادهما بعد انتصار المسلمين في المعركة ولجأ الهرمزان قائد الفرس إلى القلعة، وأطاف به المسلمون الذين دخلوا من مخرج الماء، فلما عاينوه وأقبلوا قِبلَه قال لهم: ما شئتم، قد ترون ضيق ما أنا فيه وأنتم ومعي في جعبتي مائة نشّابه، ووالله ما تصلون إليَّ ما دام معي نشابة، وما يقع لي سهم، وما خير إساري إذا أصبت منكم مائة بين قتيل وجريح، قالوا: فتريد ماذا؟ قال: أن أضع يدي في أيديكم على حكم عمر يصنع بي ما شاء قالوا: فلك ذلك، فرمى بقوسه وأمكنهم من نفسه، فشدوا وثاقه وأرصدوه. أي راقبوه. ليبعثوا إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، ثم تسلموا ما في البلد من الأموال والحواصل، فاقتسموا أربعة أخماسه، فنال كل فارس ثلاثة آلاف وكل راجل ألف درهم[٣].

مشاهد إيمانية في تُستر

١ - حين جاء خبر فتح (تُستر) إلى عمر الفاروق رضي الله عنه، قال: هل كان شيء؟ قالوا: نعم رجل ارتد عن الإسلام. قال: فما صنعتم به قالوا: قتلناه. قال: فهلا أدخلتموه بيتاً وأغلقتم عليه وأطعمتموه كل يوم رغيفاً فاستتبتموه فإن تاب وإلا قتلتموه، ثم قال: اللهم لم أشهد، ولم آمر، ولم أرضَ، ولم أسر إذ بلغني.

٢ - علّق النبي ﷺ على صدر البراء بن مالك وساماً عظيماً من أوسمة الشرف وذلك بقوله: (كم من أشعث أغبر ذي طِمْرين لا يُؤْبَه له، لو أقسم على الله لأبرّه، منهم البراء ابن مالك)، فقد كان البراء مستجاب الدعوة، وعرف الناس عنه ذلك بموجب هذا الحديث ولذلك طلبوا منه في هذه المعركة أن يدعوا الله ليهزم عدوهم، ومع هذا الثناء العظيم من رسول الله صلى الله عليه وسلم على البراء فإنه لم يَبْطَر ولم يتكبر، بل ظل الرجل المتواضع الذي يقتحم الأهوال، ويأتي بأعظم النتائج، من غير أن تكون له إمرة أو قيادة وإذا كان قد سأل الله تعالى النصر للمسلمين وهو عزٌ لهم وللإسلام فإنه لم يُغفل نفسه أن يسأل الله تعالى أغلى ما يتمناه المؤمن القوي الإيمان، حيث سأل الله تعالى الشهادة، وقد استجاب الله تعالى دعاءه فهزم الأعداء، ورزقه الشهادة في ذلك اليوم.

٣ - قال أنس بن مالك أخو البراء: شهدت مناهضة حصن تُستر عند إضاءة الفجر واشتد اشتعال القتال فلم يقدروا على الصلاة، فلم نصل إلا بعد ارتفاع النهار فصليناها ونحن مع أبي موسى ففتح الله لنا، قال أنس بن مالك الأنصاري: ما يسرني بتلك الصلاة الدنيا وما عليها.

---

١ - ٢ . د. الحميدي، التاريخ الإسلامي (١١/٢٠٣ - ٢٠٤).

٣ . الطبري، تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ص ٦٦٠ - ٦٦١ ، طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي.

فتح رامهرمز وتُستَر وإكمال فتح إقليم الأهواز وأسر الهرمزان سنة ١٧ هـ

١ - وصول قوات يزدجرد لتُستَر لملاقاة المسلمين في إقليم الأهواز (خوزستان) الفارسي .

٢ - جاء في كتاب **عمر** إلى سعد أن يبعث بجند كثيف من الكوفة إلى الأهواز بقيادة النعمان بن مقرّن المزني؛ وقوات أخـرى مع سويد بن مقرّن المزني وعبد الله بن ذي السهمين وجرير بن عبد الله البجلي لينزلوا تجاه الهرمزان حتى يتبينوا وجهته .

٣ - وكتب **عمر** إلى أبي موسى الأشعري: أن يبعث إلى الأهواز جنداً آخر من البصرة وأن يؤمر عليهم سهل بن عدي، وفيهم الـبراء ابن مالك وعاصم بن عمرو وجزأة بن ثور وكعب بن سور وعرفجة بن هرثمة وحذيفة بن محصن وعبد الرحمن بن سهل والحصين ابن معبد . وعلى قيادة الفريقين (البصري والكوفي)؛ أبو سبرة بن أبي رُهْم .

٤ - الهرمزان يتوجه بقواته نحو (أربك) بعد أن وصلت إمدادات المجوس إلى تُستَر؛ لكن المسلمين هزموه في (أربك)، مما أدى إلى انسحابه إلى تُستَر .

٥ - تمكن المسلمون من فتح رامهرمز بجيش الكوفة، ثم تجمعت القوات الإسلامية جميعها بقيادة: أبي سُبرة لملاقاة المجـوس في تُستَر .

٦ - القوات الإسلامية تحاصر تُستَر، وفيها الهرمزان، حصاراً دام أشهراً وقع خلالها ثمانون زحفاً كانت دولاً بين المسلمين والمجوس، حتى تمكن المسلمون من محاصرة الهرمزان في قلعة لم يجد منها مخرجاً، فسقطت بذلك تُستَر، وأرسل الهرمزان إلى **عمـر** .

[illegible]
(عربستان) الخصبة ذات المياه الوفيرة، كما نلحظ في الصورة .

مدينة تستر الأهوازية

نُقـل عـن علي رضي الله عنه هـذه الحكاية "لما ضاق بختنصر بنبي الله **دانيال** عليه السلام، أمر بوضعه في جب مـع أسدين، وأغلق عليه خمسة أيام، ثم نظر ليرى ماذا فعـل الأسـدان بدانيال، فوجـده بجانب الجـب يصلي، والأسـدان لم يفعلا به ضرا، فقال له بختنصر: أخبرني ماذا فعلت حتى دُفع عنك؟ قال: قلت: الحمد لله الذي لا ينسـى مَـنْ ذكره، الحمـد لله الذي يكشـف حزننا عند كربنـا، الحمد لله الذي يجزي بالصـبر نجاة)، ويقول شريح: "ما أصيب عبـد بمصيبة، إلا كان لله عليه فيها ثلاثُ نعم، ألا تكون كانت في دينه، وألا تكون أعظم مما كانت، وأنها لابد كائنة فكانت"، وذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ أنه صح عنه صلـى الله عليـه وسلم قوله في تعريف أصحاب هذه الآية "من ابتلي فصـبر، وأعطي فشكر، وظُلم فغفر، وظَلم فاستغفر، ثم شكر، وهنـا سكـت صلى الله عليه وسلـم، قالوا: ما له يا رسول الله؟ قال: أولئك لهم الأمن وهم مهتـدون". الشيخ عبد الفتاح عشماوي، كيف نكون شاكرين، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ٤٠.

خبر أمير المؤمنين (عمر) مع الهرمزان:

أرسل أبو سَبرة بن أبي رُهم قائد المسلمين في تلك المعارك وفداً إلى أمير المؤمنين **عمر رضي الله عنه**، وأرسل معهم **الهرمزان**، حتى إذا دخلوا المدينة هيأوا الهرمزان في هيئته، فألبسوه كسوته من الديباج الذي فيه الذهب، ووضعوا على رأسه تاجاً يُدعى الأذين مكللاً بالياقوت وعليه حليته، كيما يراه عمر والمسلمون في هيئته، ثم خرجوا به على الناس يريدون عمر في منزله فلم يجدوه، فسألوا عنه فقيل لهم: جلس في المسجد لوَفد قدموا عليه من الكوفة، فانطلقوا يطلبونه في المسجد، فلم يروه، فلما انصرفوا مرُّوا بغلمان من أهل المدينة يلعبون، فقالوا لهم: ما تلدُّدكم؟ أتريدون أمير المؤمنين؟ فإنه نائم في ميمنة المسجد، متوسداً برنسه - وكان عمر قد جلس لوفد أهل الكوفة في برنس - فلما فرغ من كلامهم وارتفعوا عنه وأخلوه نزع برنسه ثم توسده فنام - فانطلقوا ومعهم النظارة حتى إذا رأوه جلسوا دونه وليس في المسجد نائم ولا يقظان غيره، والدّرة في يده معلقة فقال الهرمزان: أين عمر؟ فقالوا: هو ذا، وجعل الوفد يشيرون إلى الناس أن اسكتوا عنه وأصغى الهرمزان إلى الوفد فقال: أين حرسه وحُجَّابه عنه؟ قالوا: ليس له حارس ولا حاجب ولا كاتب ولا ديوان، قال: فينبغي له أن يكون نبياً، فقالوا: بل يعمل عمل الأنبياء، وكثر الناس فاستيقظ عمر بالجلبة فاستوى جالساً ثم نظر إلى الهرمزان، فقال الهرمزان؟ قالوا: نعم، فتأمله وتأمل ما عليه وقال: أعوذ بالله من النار؟ واستعن الله، وقال: الحمد لله الذي أذل بالإسلام هذا و أشياعه، يا معشر المسلمين تمسكوا بهذا الدين، واهتدوا بهدي نبيكم صلى الله عليه وسلم، ولا تُبطرنكم الدنيا فإنها غرارة. فقال الوفد: **هذا ملك الأهواز فكلمه**، فقال: لا حتى لا يبقى عليه من حليته شيء فُرمي عنه بكل شيء عليه إلا شيئاً يستره، وألبسوه ثوباً صفيقاً، فقال عمر: هيه يا هرمزان ! كيف رأيت وبال الغدر وعاقبة أمر الله؟ فقال: يا عمر إنا وإياكم في الجاهلية كان الله قد خلىَّ بيننا وبينكم، فغلبناكم إذ لم يكن معنا ولا معكم، فلما كان معكم غلبتمونا، فقال عمر: إنما غلبتمونا في الجاهلية باجتماعكم وتفرقنا، ثم قال عمر: ما عذرك وما حجتك في انتقاضك مرة بعد مرة؟ فقال: أخاف أن تقتلني قبل أن أخبرك، قال: لا تخف ذلك، واستسقى ماء، فأتى به في قدح غليظ، فقال: لو متُّ عطشاً لم أستطع أن أشرب في مثل هذا، فأتي به في إناء يرضاه، فجعلت يده ترجف، وقال: إني أخاف أن أُقتل وأنا أشرب الماء، فقال عمر: لا بأس عليك حتى تشربه، فأكفأه فقال عمر: أعيدوا عليه ولا تجمعوا عليه القتل والعطش، فقال: لا حاجة لي في الماء، إنما أردت أن أستأمن به، فقال له عمر: إني قاتلك، قال: قد آمنتني، فقال كذبت، فقال أنس: صدق أمير المؤمنين، قد أمنته، قال ويحك يا أنس أنا أؤمّن قاتل مجزأة والبراء، والله لتأتين بمخرج أو لأعاقبنك، قال: قلت له: لا بأس عليك حتى تخبرني، وقلت: لا بأس عليك حتى تشربه، وقال له من حوله مثل ذلك، فأقبل على الهرمزان وقال: خدعتني، والله لا أنخدع إلا لمسلم، فأسلم، ففرض له على ألفين، وأنزله المدينة[1].

---

(١) د. علي الصلاَّبي، سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، النسخة الرقمية

قال أبو جعفر: كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن أبي سفيان طلحة ابن عبد الرحمن، عن ابن عيسى، قال: كان التّرجمان **يوم الهرمزان** المغيرة بن شعبة إلى أن جاء المترجم، وكان المغيرة يفقه شيئاً من الفارسيّة، فقال عمر للمغيرة: قل له: من أيّ أرض أنت؟ فقال المغيرة: أزكدام أرضي؟ فقال: مهرجانيّ، فقال: تكلم بحجّتك، قال: كلام حتى أو ميت؟ قال: بل كلام حي، قال: قد آمنتني، قال: خدعتني، إنّ للمخدوع في الحرب حكمه؛ لا والله لا أؤمّنك حتى تسلم، فأيقن أنه القتل أو الإسلام، فأسلم، ففرض له على ألفين وأنزله المدينة. وقال المغيرة: ما أراك بها حاذقاً، ما أحسنها منكم أحد إلا خبّ، وما خبّ إلا دقّ. إيّاكم وإيّاها، فإنها تنقض الإعراب. وأقبل زيد فكلّمه، وأخبر عمر بقوله، والهرمزان بقول عمر.

قال ابو جعفر: كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وعمرو، عن الشعبيّ وسفيان، عن الحسن، قال: قال عمر للوفد: لعلّ المسلمين يفضون إلى أهل الذمّة بأذى وبأمور لها ما ينتقضون بكم! فقالوا: ما نعلم إلاّ وفاء حسن ملكة، قال: فيكف هذا؟ فلم يجد عند أحد منهم شيئا يشفيه ويبصر به مما يقولون، إلاّ ما كان من الأحنف، فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرك أنّك نهيتنا عن الانسياح في البلاد، وأمرتنا بالاقتصار على ما في أيدينا، وإن **ملك فارس** حيٌّ بين أظهرهم؛ وإنهم لا يزالون يساجلوننا ما دام ملكهم فيهم؛ ولم يجتمع ملكان فاتفقا حتى يخرج أحدهما صاحبه؛ وقد رأيت أنّا لم نأخذ شيئاً بعد شئ إلاّ بانبعاثهم، وأنّ ملكهم هو الذي يبعثهم، ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا فلنسح في بلادهم حتى نزيله عن فارس، ونخرجه من مملكته وعزّ أمته، فهنالك ينقطع رجاء أهل فارس ويضربون جأشاً. فقال: صدقتني والله، وشرحت لي الأمر عن حقه. ونظر في حوائجهم وسرّحهم. وقدم الكتاب على عمر باجتماع أهل نهاوند وانتهاء أهل مهرجان قذق وأهل كور الأهواز إلى رأي الهرمزان ومشيئته، فذلك كان سبب إذن عمر لهم في الإنسياح[1].

الهرمزان لا أحد يعلم إن كان إسلام الهرمزان تقية وخوفًا من القتل (وقد قال سيدنا عمر بن الخطاب مقولة تذكرها بعض الروايات، يقول سيدنا عمر: إنَّ للمخدوع في الحرب حُكمَه؛ ولهذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "الْحَرْبُ خُدْعَةٌ"[1]، فيعرض سيدنا عمر بسلاح لم يستغله وبفتوى، وكما نعلم فإن سيدنا عمر بن الخطاب من كبار علماء المسلمين، فبعد مقالة سيدنا عمر أيقن أنه إما الإسلام أو القتل فأسلم الهرمزان)، أم أن إسلامه عن قناعة فهو لم يرتد بعد إسلامه، ولكن كثيرًا من الروايات تشكك في إسلام الهرمزان، ووصل بعض من يشككون في إسلام الهرمزان إلى أنه هو الذي أعان أبا لؤلؤة المجوسي على قتل سيدنا عمر بن الخطاب بعد ذلك، وكانوا يقولون: كان سيدنا عمر بن الخطاب يستشير الهرمزان ولا يأخذ بمشورته. المهم أسلم الهرمزان وأعتق نفسه من القتل، وأحضر له المسلمون لباسًا يرضاه، وعلّموه الإسلام واغتسل، وأصبح مسلمًا بعد هذا اللقاء التاريخي. ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم﴾ [النساء: ١٣٥].
إن الناظر في اللقاء الكائن بين أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه والهرمزان أمير الأهواز ليلمس معاني كبيرة تُسَطَّر بأحرفٍ من نور للمسلمين، ولا بد أن نخرج من هذا اللقاء بفائدة عملية نتعلم منها، وتكون منهجًا في تعاملاتنا، وأهم ما يجب تعلمه من هذا اللقاء: العدل في الحكم وإن كان المحكوم عليه عدوك، فلم يكن أحد يبغض الهرمزان قبل إسلامه أكثر من سيدنا أنس بن مالك؛ فهو قاتل أخيه البراء بن مالك الذي لم يجف دمه بعدُ، ولكنه يعطيه الأمان عدلاً، ولا بُدَّ أن يُوَفَّى له بهذا العهد. كانت هذه هي صورة الإسلام في ذلك الوقت. د. راغب السرجاني، موقع قصة الإسلام.

١- البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الحرب خدعة (٢٨٦٦)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب جواز الخداع في الحرب (١٧٣٩)

١، الطبري، تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ص ٦٦٥، طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي

فتح السُّوس

سنة ١٧ هـ

بعد إسلام الهرمزان، أرسل الخليفة **عمر بن الخطاب** إلى أبي سَبْرَة بن أبي رُهْم أن يعيد أبا موسى الأشعري إلى البصرة مرة أخرى، ويؤمّر على الجيش المقترب بن ربيعة، فيُؤمّر المقترب على جيش البصرة، ويظل النعمان كما هو على جيش تُسْتَر، وعلى الجيشين سيدنا أبو سبرة بن أبي رهم، ويتوجه هذا الجيش العظيم من تُسْتَر إلى مدينة السُّوس، ومن تُسْتَر - أيضاً - يتجه جيش على رأسه ذرّ بن كليب إلى جُنْدَيْسابُور في شمال تُسْتَر. ويتوجه الجيشان إلى مدينة السُّوس، وكما ذكرنا من قبل أن السّوس عاصمة الأهواز، ولكنها لم تكن على نفس درجة حصانة تُسْتَر، وكان على رأس مدينة السّوس شهريار أخو الهرمزان. وتتفاعل في نفس شهريار عدة عوامل تزيده ضراوة في حربه ضد المسلمين:

أولها: أوامر يزدجرد للقادة الفرس بمحاربة المسلمين.

ثانيها: ملكه هو فهو أمير السوس وهي عاصمة الأهواز، فلو هزم لضاع ملكه وضاعت إمرته.

ثالثها: العامل الانتقامي؛ فهو يريد أن ينتقم لأخيه من المسلمين بسبب أسرهم لأخيه. ومن المؤكد عنده قتل الهرمزان.

وفي هذا الوقت جمع شهريار قواته وعسكر في السُّوس، وأرسل رسائل شديدة اللهجة إلى المسلمين يقول فيها: "إنما أنتم كلاب، وإنما أنتم كذا وكذا". وكانت هذه محاولات لإهانة المسلمين حتى يشعرهم أنه غير مهتم بالقوات الإسلامية، وكأنه يريد محاربة المسلمين حرباً نفسيَّة، لكن المسلمين لم يشتغلوا بمثل هذه الأمور؛ فقد توجّهت الجيوش الإسلامية من تُسْتَر مباشرة إلى السُّوس لفتحها، وكان حصار مدينة السوس أقل من حصار مدينة تُسْتَر، وبدأ المسلمون بقذف حصون السوس بالمقلاع (والمقلاع آلة كالمنجنيق)، ورمي السهام داخل الحصون، وكان أهل الحصن يخرجون لمحاربة المسلمين المرة بعد المرة، ولم يحصدوا إلا الهزيمة في كل مرة كعادة الفرس، وتقهقروا مرة أخرى إلى الوراء داخل حصنهم خوفاً من فتك المسلمين بهم، ودام الحصار شهراً أو يزيد لم يستسلم فيه الفرس، ولم يتهاون المسلمون في حصارهم، وعلى المسلمين -كما ذكرنا- سيدنا أبو سبرة بن أبي رهم، وأثناء محاصرة المسلمين للسُّوس أشرف عليهم الرهبان، فقالوا: يا معشر العرب، إن مما عهد إلينا علماؤنا أنه لا يفتح السّوس إلا الدجال أو قوم معهم الدجال. حاول النصارى الموجودون في السّوس إرهاب المسلمين نفسيًّا، فالدجال -كما نعلم- شخصٌ منكر وبغيض، ولن يرضى المسلمون أن يكون بينهم الدجال، وقد حذرهم النبي ﷺ منه، ولم يؤثر مثل هذا الكلام في المسلمين، فلديهم مرجع لا يختلف عليه اثنان: القرآن الكريم والسُّنَّة المطهَّرة، فإذا وجد تعارض بين هؤلاء القوم وبين ما جاء في القرآن فهو هباء منثور، فقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم سيدنا عمر بن الخطاب مرةً يقرأ في صحيفة من التوراة، ولم يكن يمنعه هذا عن قراءة القرآن، فيغضب غضباً شديداً قائلاً له: «أمتهوّكون فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبونه، أو بباطل فتصدقونه. والذي نفسي بيده، لو أن موسى كان حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني». رواه أحمد. ولم يشغل بال المسلمين مثل هذه التهديدات، فأصروا على الحرب وشددوا في حصارهم وقذفهم للسُّوس، وكسر المسلمون الأبواب ودخلوا مدينة السُّوس **عنوة** واستسلم كل أهله، وكان فتحها يسيراً على المسلمين بخلاف مدينة تُسْتَر.

٢ أجاب المسلمون على رد أهل جندي سابور « ما فعلنا، فقالوا: إنما هو عبد، فقالوا: إنا لا نعرف حُرَّكم من عبدكم، قد جاء أمان فنحن عليه قد قبلناه، ولم نبدّل، فإن شئتم فاغدروا . فأمسكوا عنهم، وكتبوا بذلك إلى عمر، فكتب إليهم: إن الله عظَّم الوفاء، فلا تكونون أوفياء حتى تَفُوا، ما دمتم من شكّ أجيزوهم، وفُوا لهم. فوفُوا لهم، وانصرفوا عنهم » . ابن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مج٢ ص ٥٠٥.

١ القوات الإسلامية تضرب حصاراً على السوس، الذي كان يحكمها شهريار أخو الهرمزان، وبعد صولات للفريقين، شن المسلمون هجوماً ضارياً على المدينة، استطاعوا أن يخترقوا تحصيناتها المنيعة؛ الأمر الذي أدى إلى استسلام أهلها وطلب الصلح . وكان يقود جيش البصرة المقترب الأسود بن ربيعة مكان أبي موسى الأشعري، ويقود جند الكوفة النعمان بن مقرّن المزني مع أبي سبرة وعلى خيل النعمان صاف بن عياد .

٢ أبو سبرة يبعث المقترب الأسود بن ربيعة إلى جندي سابور فانضم بها إلى زر بن عبد الله بن كليب، ولحق بهم أبو سبرة فأقاموا على المدينة يتراوحون القتال . وفي يوم فوجئ المسلمون بأبواب جندي سابور تفتح ثم خرج الناس والمواشي ونصبوا أسواقهم، فأرسل المسلمون إليهم يسألونهم عن الأمر فقالوا: « رميتم إلينا بالأمان فقبلناه وأقررنا لكم بالجزية على أن تمنعونا » . انظر رقم ٢

صلح جُنْدَيْ سابور

سنة ١٧ هـ

بعد خروج الجيوش الإسلامية من تُسْتَر، وفي الوقت الذي توجه فيه أبو سبرة بن أبي رهم من مدينة تُسْتَر إلى مدينة السوس كان ذرّ بن كليب متوجهًا على رأس جيش إلى مدينة جُنْدَيْ سابور، وبمجرد وصوله إلى جُنْدَيْ سابُور ضرب عليها حصارًا شديدًا وخرج إليه أهلها لمحاربة المسلمين، وفي كل خروج يهزمون ويتقهقرون حتى يلجئوا إلى الحصن، ولم يستطع سيدنا ذرّ بن كليب تحقيق النصر الكامل على جيش جُنْدَيْ سابُور. فأرسل إليه سيدنا أبو سبرة بن أبي رهم من السوس سيدنا المقترب بن ربيعة على جيش البصرة مدداً له، فيذهب المقترب ويحاصرها معه، واشتد الحصار على هذه المدينة من الجيشين، ولم يتمكنا من تحقيق النصر على أهلها، فخرج إليهم سيدنا أبو سبرة بن أبي رهم بعد أن ترك حامية من جيش المسلمين في مدينة السوس، وحاصر المدينة حصارًا شديدًا، واشتد في ضربهم حتى خارت المدينة وأوشكت على الانهيار، وشعر المسلمون بالنصر، وقد عرض عليهم المسلمون من قبل الإسلام أو الجزية أو القتال، ورفضوا الإسلام والجزية وأبوا إلا القتال، ولو انتصر المسلمون في هذه المعركة ودخلوا البلد عَنْوَةً كان حكم أهلها كحكم المأسور في الحرب وليس كحكم الذمي المعاهد على جزية، وبعد أن لاحت في السماء تباشير النصر وقبل وقوع النصر بلحظات وفتح الأبواب لم ينتبه المسلمون إلا وقد فتحت أبواب المدينة، وأخرجوا أسواقهم وخرج أهلها رافعين الرايات البيضاء، وقالوا: قبلنا أمانكم. فسألهم المسلمون: وما أماننا؟ فقالوا: رميتم بالأمان فقبلناه، وأقررنا بالجزية على أن تمنعونا. فقالوا: ما فعلنا! فقالوا: ما كذبنا. فقرأ المسلمون الأمان، فإذا فيه: هذا أمن من مكنف بن عبد الله إلى أهل جُنْدَيْ سابُور، أن افتحوا الأبواب وأنتم آمنون على دمائكم ونسائكم وأموالكم وذراريكم. ولم يعرف أحد من قادة الجيش الإسلامي مصدر هذه الورقة، فقالوا: ما ألقينا هذا الأمان، إنما فعل هذا مكنف بن عبد الله، وهو عبد من عبيد المسلمين، قد أُسِرَ وأسلمَ وكان مع الجيش في هذه الموقعة، وألقى هذه الورقة بداخل المدينة؛ فقال أهلها: لا نعرف العبد من الحر، وقد قبلنا الجزية وما بدلنا، فإن شئتم فاغدروا. فكتبوا إلى عمر فأجاز أمانهم، فأمّنوهم وانصرفوا عنهم.

فكتب إليهم عمر بن الخطاب رسالة قصيرة يقول لهم فيها: **إن الله عظم الوفاء، فإن كنتم في شك فأمّنوهم، وأوفوا لهم عهدهم، وإنما ذلك العبد من المسلمين.** فأعطى المسلمون الأمان لهذه المدينة بكاملها بأمان عبد من عبيد المسلمين، ويكتشف المسلمون بعد ذلك أن أصل هذا العبد كان من مدينة جُنْدَيْ سابُور، وألقى إليهم هذا الأمان الذي وافق عليه عمر، وأعطى قائد الجيش الأمان للمدينة على أمان عبد من عبيد المسلمين، ووفّى لهم وأعطوا الجزية. وبفتح جُنْدَيْ سابُور أتم الله النعمة على المسلمين بفتح الأهواز.

وفي ذلك الوقت كان يزدجرد قد هرب إلى "مَرْو" في أقصى الدولة الفارسية، وبعد أن وصلت إليه أنباء الهزيمة وسقوط منطقة الأهواز بدأ يجرّئ الجيوش الفارسية مرة ثانية على قتال المسلمين، وكان الخليفة عمر بن الخطاب قد أمر المسلمين بعدم الانسياح في بلاد فارس، والوقوف على حدود آخر مدينة فتحوها، وقال: "وددت لو أن بيني وبين فارس جبلاً من نار،

« لا أغزوهم ولا يغزونني ». فقد كان صلى الله عليه وسلم يخشى أن تفتح الدنيا على المسلمين، ولا يريد أن يلتقي بالفرس إلا بعد أن يتأكد من وضع المسلمين.

فعلم قباذ بن عبد الله (وهو فارسي وكان على رأس حلوان) أن الفرس جمعوا مائة وخمسين ألفاً في نهاوند (وتقع نهاوند في شمال جُنْدَيْ سابُور في وسط بلاد فارس)، وتصل الأخبار إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المدينة؛ بأن يزدجرد يجهز الجيوش في نهاوند لقتال المسلمين، وفي الوقت نفسه يقدم وفد من الكوفة إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه شاكياً أمير منطقة فارس الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وقال الوفد لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن سعداً لا يقسم بالسوية، ولا يعدل في الرعية، ولا يغزو في السرية. يتهمون القائد سعد بن أبي وقاص سادس من أسلم، وخال الرسول صلى الله عليه وسلم، والوحيد الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم: "يَا سَعْدُ ارْمِ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي"، والذي دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بأن تُستجاب دعوتُه وتُسدد رميتُه، يتهمون هذا الرجل بأنه لا يقسم بالسوية، ولا يعدل في الرعية، ولا يغزو في السرية. وما إن سمع أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب هذه الكلمات حتى قرر التحقيق في أمر هذه القضية، ولم يشغله أن سعداً من السابقين الأولين في الإسلام، أو خال النبي عليه السلام، وأرسل من المدينة من يحقق في أمر القائد سعد بن أبي وقاص، أرسل الرجل الذي كان يبعثه النبي صلى الله عليه وسلم في مهامه الصعبة. د. راغب السراجي، المرجع السابق.

وعزل سعد بن أبي وقاص عن ولاية الكوفة ولعله رأى أن احترامه يقضي بإبعاده عن أناس كانوا يعيبونه في صلاته مع أن سعداً كان أشبه الناس صلاة برسول الله لعلمه التام بصفة صلاة النبي عليه السلام، فعزله عمر احتراماً له عن أن يقع فيه مثل هؤلاء الجهال، وبعد عزل سعد بن أبي وقاص عن الكوفة أصدر عمر قراراً بتعيين عمار بن ياسر على صلاة الكوفة، ويلاحظ أن عماراً رضي الله عنه كان ضمن القادة الذي كانوا في الكوفة، وكان سعد بن أبي وقاص يستعين بهم أثناء ولايته على الكوفة ولذلك كانت لدى عمار خبرة سابقة وشبه كاملة عن الولاية قبل أن يتولى عليها، وتختلف ولاية عمار هذه عن ولاية سعد، إذ أن عمر جعل مع عمَّار أناساً آخرين يشتركون معه في المسؤولية ويتقاسمون المهام، فكان عمار على الصلاة وابن مسعود على بيت المال وعثمان بن حنيف على مساحة الأرض. د. الصلابي، المرجع السابق.

غزو فارس عن طريق البحر

سنة ١٧هـ

وفي هذه السنة - أعني سنة سبع عشرة - غزا المسلمون أرض فارس من قبل البحرين فيما زعم سيف ورواه. ذكر الخبر بذلك كتب إليّ السريّ، يقول: حدّثنا شعيب. قال: حدّثنا سيف، عن محمد والمهلّب وعمرو، قالوا: كان المسلمون بالبصرة وأرضها - وأرضها يومئذ سوادها، والأهواز عل ما هم عليه إلى ذلك اليوم، ما غلبوا عليه منها ففي أيديهم، وما صولحوا عليه منها ففي أيدي أهله، يؤدّون الخراج ولا يدخل عليهم، ولهم الذمّة والمنعة - وعميد الصلح الهرمزان. وقد قال عمر: حسبنا لأهل البصرة سوادهم والأهواز، وددت أنّ بيننا وبين فارس جبلاً من نار لا يصلون إلينا منه ولا نصل إليهم، كما قال لأهل الكوفة: وددت أنّ بينهم وبين الجبل جبلاً من نار لا يصلون إلينا منه، ولا نصل إليهم.

وكان العلاء بن الحضرمي على البحرين أزمان أبي بكر، فعزله عمر، وجعل قدامة بن المظعون مكانه، ثم عزل قدامة وردّ العلاء، وكان العلاء يباري سعداً لصدع صدعه القضاء بينهما، فطار العلاء على سعد في الرِّدَّة بالفضل؛ فلما ظفر سعد بالقادسيّة، وأزاح الأكاسرة عن الدّار، وأخذ حدود ما يلي السواد، واستعلى، وجاء بأعظم مما كان العلاء جاء به، سرّ العلاء أن يصنع شيئاً في الأعاجم، فرجا أن يدال كما قد كان أديل، ولم يقدّر العلاء ولم ينظر فيما بين فضل الطاعة والمعصية بجدّ، وكان أبو بكر قد استعمله، وأذن له في قتال أهل الرّدّة، واستعمله عمر، ونهاه عن البحر، فلم يقدّر في الطاعة والمعصية وعواقبهما، **فندب أهل البحرين إلى فارس**، فتسرّعوا إلى ذلك، وفرّقهم أجناداً؛ على أحدهما الجارود ابن المعلىّ، وعلى الآخر السوّار بن همّام، وعلى الآخر خليد بن المنذر بن ساوى؛ وخليد على جماعة الناس، فحملهم في **البحر إلى فارس بغير إذن عمر**، وكان عمر لا يأذن لأحد في ركوبه غازياً؛ يكره التغرير بجنده استناناً بالنبي صلى الله عليه وسلم وبأبي بكر، لم يغز فيه النبيّ صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر. فعبرت تلك الجنود من البحرين إلى فارس، فخرجوا في إصطخر، وبإزائهم أهل فارس، وعلى أهل فارس الهربذ، اجتمعوا عليه، فحالوا بين المسلمين بين سفنهم، فقام خليد في الناس، فقال: أمّا بعد؛ فإنّ الله إذا قضى أمراً جرت به المقادير حتى تصيبه، وإنّ هؤلاء القوم لم يزيدوا بما صنعوا على أن دعوكم إلى حربهم؛ وإنما جئتم لمحاربتهم، والسفن والأرض لمن غلب، فاستعينوا بالصبر والصلاة، ثم ناهدوهم فاقتتلوا قتالاً شديداً في موضع من الأرض يدعى **طاوس**، وجعل السّوار يرتجز يومئذ ويذكر قومه، ويقول:

يا آل عبد القيس للقراع ... قد حفل الأمداد بالجراع

وكلّهم في سنن المصاع ... يحسن ضرب القوم بالقطّاع

حتى قتل. وجعل الجارود يرتجز ويقول:

لو كان سيبنا أمماً كلنه ... [illegible] وكل ما سادماً جهرنه

لكنّ بحراً جاءنا أنكرنه حتى قتل. ويومئذ ولى عبد الله بن السّوار والمنذر بن الجارود حياتهما إلى أن ماتا. وجعل خليد يومئذ يرتجز ويقول:

ياآل تميم أجمعوا النّزول ... وكاد جيش عمر يزول ... وكلكم يعلم ما أقول

انزلوا، فنزلوا. فاقتتل القوم فقتل أهل فارس مقتلة لم يقتلوا مثلها قبلها. ثمّ خرجوا يريدون البصرة وقد غرقت سفنهم، ثمّ لم يجدوا إلى الرجوع في البحر سبيلاً. ثم وجدوا شهرك قد أخذ على المسلمين بالطرق؛ فعسكروا وامتنعوا في نشوبهم. ولما بلغ **عمر** الذي صنع العلاء من بعثه ذلك الجيش في البحر ألقى في روعه نحو من الذي كان. فاشتدّ غضبه على العلاء، وكتب إله يعزله وتوعّده، وأمره بأثقل الأشياء عليه، وأبغض الوجوه إليه؛ بتأمير سعد عليه، وقال: الحق بسعد بن أبي وقاص فيمن قبلك، فخرج بمن معه نحو سعد. وكتب عمر إلى عتبة بن غزوان: إنّ العلاء ابن الحضرميّ حمل جنداً من المسلمين، فأقطعهم أهل فارس، وعصاني، وأظنه لم يرد الله بذلك، فخشيت عليهم إلاّ ينصروا أن يغلبوا وينشبوا، فاندب إليهم الناس، واضممهم إليك من قبل أن يجتاحوا. فندب عتبة الناس، وأخبرهم بكتاب عمر. الطبري، المصدر السابق، ص ٦٦٢ .

انتدب عاصم بن عمرو، وعرفجة بن هرثمة، وحذيفة بن محصن، ومجزأة بن ثور، ونهار بن الحارث، والترجمان بن فلان، والحصين بن أبي الحرّ، والأحنف بن قيس، وسعد بن أبي العرجاء، وعبد الرحمن بن سهل، وصعصعة بن معاوية؛ فخرجوا في اثنى عشر ألفا على البغال يجنبون الخيل، وعليهم أبو سبرة بن أبي رهم أحد بني مالك بن حسل بن عامر بن لؤيّ، والمسالح على حالها بالأهواز والذمّة، وهم ردء للغازي والمقيم. فسار أبو سبرة بالناس، وساحل لا يلقاه أحد. ولا يعرض له؛ حتى التقى أبو سبرة وخليد بحيث أخذ عليهم بالطرق غبّ وقعة القوم بطاوس، وإنما كان ولي قتالهم أهل إصطخر وحدهم، والشذّاذ من غيرهم؛ وقد كان أهل إصطخر حيث أخذوا على المسلمين بالطرق، وأنشبوهم: استصرخوا عليهم أهل فارس كلّهم: فضربوا إليهم من كلّ وجه وكورة. فالتقوا هم وأبو سبرة بعد طاوس، وقد توافت إلى المسلمين أمدادهم وإلى المشركين أمدادهم، وعلى المشركين شهرك: فاقتتلوا، ففتح الله على المسلمين، وقتل المشركين وأصاب المسلمون منهم ما شاءوا وهي الغزاة التي شرفت فيها نابتة البصرة؛ وكانوا أفضل نوابت الأمصار؛ فكانوا أفضل المصرين نابتة - ثم انكفئوا بما أصابوا، وقد عهد إليهم عتبة وكتب إليهم بالحثّ وقلة العرجة، فانضموا إليه بالبصرة، فخرج أهلها إلى منازلهم منها، وتفرّق الذين تنقّذوا من أهل هجر (البحرين) إلى قبائلهم، والذين تنقّذوا من عبد القيس في موضع سوق البحرين. ولما أحرز عتبة الأهواز وأوطأ فارس؛ استأذن عمر في الحجّ، فأذن له، فلمّا قضى حجّه استعفاه، فأبى أن يعفيه، وعزم عليه، الطبري ، المصدر السابق.

فارِسُ: ولاية واسعة وإقليم فسيح، أول حدودها من جهة العراق أرّجان ومن جهة كرمان السيّرجانُ ومن جهة ساحل بحر الهند سيراف ومن جهة السند مُكران، قال أبو علي في القصريات: فارس اسم البلد وليس باسم الرجل ولا ينصرف لأنه غلب عليه التأنيث كنَعمانَ وليس أصله بعربي بل هو فارسيّ معرّبٌ أصله بارس وهو غير مرتضى فعرّب فقيل فارس، قال بطليموس في كتاب ملحمة البلاد: مدينة فارس طولها ثلاث وستون درجة، وعرضها أربع وثلاثون درجة، طالعها الحوت تسع درجات منه تحت عشر درج من السرطان من الإقليم الرابع، لها شركة في سُرّة الجوزاء، يقابلها عشر درج من الجدي، بيت عاقبتها مثلها من الميزان، بيت ملكها مثلها من الحمل، وهي في هذه الولاية من أمهات المدُن المشهورة غير قليل، وقد ذكرت في مواضعها، وقصبتها الآن شيراز، سميت بفارس بن عَلَم بن سام بن نوح، عليه السلام، وقال ابن الكلبي: فارس بن ماسور بن سام ابن نوح، وقال أبو بكر أحمد بن أبي سهل الحلواني: الذي أحفظُ فارس بن مدين بن إرم ابن سام ابن نوح، وقيل: بل سميت بفارس بن طهمورث وإليه ينسب الفُرس لأنهم من ولده، وكان ملكاً عادلاً قديماً قريب العهد من الطوفان، وكان له عشرة بنين، وهم: جم وشيراز وإصطخر وفَسَا وجنّابة وكسكر وكلواذى وقرقيسيا وعقرقوف، فأقطع كل واحد منهم البلد الذي سميّ به، ووافق من العربية أن يقال: رجلٌ فارِسٌ بَيّنُ الفروسية والفراسة من ركوب الفَرَس، وفارس بيّنُ الفراسة إذا كان جيّدَ النظر والحَدْس، هذا مصدره بالكسر، ويقال: إنه لفارس بهذا الأمر إذا كان عالماً به، والفارس: الحاذق بما يُمارس، والعجم لا يقولون لهذا البلد إلا بارس، بالباء الموحدة، وقال الإصطخري: فارس على التربيع إلا من الزاوية التي تلي أصبهان والزاوية التي تلي كرمان مما يلي المفازة وفي الحد الذي يلي البحر تقويسٌ قليل من أوله إلى آخره، وإنما قلنا إن في زاويتها مما يلي كرمان وأصبهان زنقة لأن من **شيراز** وهي وسط فارس إليهما من المسافة نحواً من نصف ما بين شيراز وخوزستان وبين شيراز وجروم كرمان، وليس بفارس بلد إلا وبه جبل أو يكون الجبل بحيث لا تراه إلا اليسير، **وكُورُها المشهورة خمس**، فأوسعها كورة إصطخر ثم أردشير خُرّه ثم كورة دارابجرد ثم كورة سابور ثم قُباذ خُرّه، ونحن نصف كل كورة من هذه في موضعها، وبها خمسة رُموم: أكبرها رَمّ جِيلَوَيْه ثم رمّ أحمد ابن الليث ثم رمّ أحمد ابن الصالح ثم رمّ شهريار ثم رمّ أحمد ابن الحسن، فالرم منزل الأكراد ومحلتهم، وقد روي في فارس فضائل كثيرة، منها قال ابن لهيعة: فارس والروم قريشُ العجم، وقد روي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: أبعد الناس إلى الإسلام الروم ولو كان الإسلام معلقاً بالثريّا لتناولته فارس؛ وكانت أرض فارس قديماً قبل الإسلام ما بين نهر بلخ إلى منقطع أذربيجان وأرمينية الفارسية إلى الفرات إلى بريّة العرب إلى عُمان ومكران وإلى كابل وطخارستان وهذا صَفْوَة الأرض وأعدلها فيما زعموا، وفارس خمس كور: إصطخر وسابور وأردشير خُرّه ودارابجرد وأرّجان، قالوا: وهي مائة وخمسون فرسخاً طولاً ومثلها عرضاً، وأما فتح فارس فكان بدؤه أن العلاء الحضرمي عامل أبي بكر ثم عامل عمر على البحرين وجّه عرفجةَ بن هَرْثمة البارقي في البحر فعبره إلى أرض فارس ففتح جزيرة مما يلي فارس فأنكر عمر ذلك لأنه لم يستأذنه وقال: غررتَ المسلمين، وأمره أن يلحق بسعد بن أبي وقاص بالكوفة لأنه كان واجداً على سعد فأراد قمعه بتوجهه إليه على أكره الوجوه، فسار نحوه، فلما بلغ ذا قار مات العلاءُ الحضرمي وأمر عمر عرفجة ابن هرثمة أن يلحق بعُتبة بن فرقد السلمي بناحية الجزيرة ففتح الموصل وولّى عمر، رضي الله عنه، عثمان بن أبي العاصي الثقفي على البحرين وعُمان فدوّخها واتسقت له طاعة أهلها، فوجّه أخاه الحكم بن أبي العاصي في البحر إلى فارس في جيش عظيم ففتح
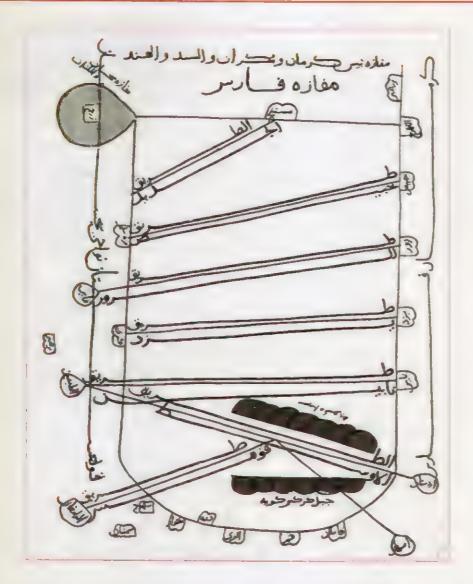
صورة أقليم فارس التاريخي لابن حوقل النصيبي، المتوفى سنة ٣٦٧ هـ.

جزيرة لافتَ وهي جزيرة بَركاوَان ثم سار إلى تَوَّج، ففتحها كما نذكره في توج، واتسق فتح فارس كلها في أيام عثمان بن عفان كما نذكره متفرقاً عند كل مدينة نذكرها،...

وبنواحي فارس من أحياء الأكراد ما يزيد على خمسمائة ألف بَيت شَعر ينتجعون المراعي في الشتاء والصيف على مذاهب العرب، وبفارس من الأنهار الكبار التي تحمل السفن نهر طاب ونهر سيرين ونهر الشاذكان ونهر درخيد ونهر الخوبَذان ونهر سكان ونهر جرسق ونهر الإخشين ونهر كُرّ ونهر فرواب ونهر بيرده، ولها من البحار بحر فارس وبحيرة البجكان وبحيرة دشتأرزن وبحيرة التوز وبحيرة الجوذان وبحيرة جنكان، قال: وأما القلاع فإنه يقال فيما بلغني إن لفارس زيادة على خمسة آلاف قلعة مفردة في الجبال وبقرب المدن وفي المدن ولا يتهيأ تقصيّها إلا من الدواوين، ومنها قلاع لا يمكن فتحها البتة بوجه من الوجوه، منها قلعة ابن عمارة، وهي قلعة الديكَذان، وقلعة الكارِيان وقلعة سعيداباذ وقلعة جُوذَرْز وقلعة الجصّ وغير ذلك، ونحن نصِفها في مواضعها من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى. الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٢٦ - ٢٢٧.

معركة نهاوند (فتح الفتوح)

[illegible] على الأرجح

بعد سيل الهزائم المتكررة للفرس، وجه **يزدجرد** رسله يستحثهم ضد المسلمين، فألقى بآخر ما لديه من قوة، فاجتمعت له جموع كثيرة وجههم إلى **نهاوند**. وقد اجتمعت بنهاوند الأعاجم، عليهم ذو الحاجب - رجل من الأعاجم - وكتب عمار ابن ياسر بذلك إلى **عمر**، فجمع الناس للمشورة واستقر الرأي على إرسال المدد، وكتب بذلك إلى الأمصار وقال: « والله لأولين الحرب رجلاً يكون لأول الأسنة إذا لقيها غداً ». قيل لأمير المؤمنين: من هو؟ فقال: النعمان ابن مقرّن المزني، فقالوا: هو لها، وكان النعمان يومئذ بالبصرة معه قواد من قواد أهل الكوفة أمدهم بهم عمر عند انتفاض الهرمزان فافتتحوا رامهرمز وايذج وأعانوهم على تستر وجندي سابور والسوس. كما سبق.. فكتب إليه عمر بذلك وقال: « إني وليتك حربهم، فسر؛ فإني قد كتبت إلى أهل الكوفة أن يوافوك بها » .

فكتب عمر إلى **النّعمان بن مقرّن**: بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى النعمان بن مقرّن، سلام عليك؛ فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو؛ أمّا بعد؛ فإنه قد بلغني أنّ جموعاً من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند؛ فإذا أتاك كتابي هذا فسر بأمر الله، وبعون الله، وبنصر الله، بمن معك من المسلمين، ولا توطئهم وعراً فتؤذيهم، ولا تمنعهم حقهم فتكفّرهم؛ ولا تدخلنّهم غيضة، فإنّ رجلاً من المسلمين أحبّ إليّ من مائة ألف دينار. والسلام عليك[1].

ويشير الطبري إلى أن عمر كتب إلى عبد الله بن عبد الله بن عتبان مع ربعي ابن عامر أن استنفر من أهل الكوفة مع النعمان كذا وكذا، كما كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري أن سر بأهل البصرة، وكتب رضي الله عنه إلى حذيفة ابن اليمان أن سر بأهل الكوفة حتى تجتمعوا جميعاً بنهاوند. كما توافى إلى النعمان أمداد المدينة فيهم بعض المهاجرين والأنصار وقبائل شتى. وعند وصول مدد المدينة بقيادة المغيرة، كبر النعمان فكبر الجند، وكان النعمان قد نادى بالرحيل إلى نهاوند وجيشه بالتعبئة، فطلب من مجاشع بن مسعود توفير المدد وسار على مقدمته نعيم بن مقرّن، وعلى الميمنة والميسرة حذيفة بن اليمان وسويد بن مقرّن، وكلف مجاشع بمؤخرة الجيش والتحقت أمداد المدينة المنورة ومن حولها .

نهاوند: نَهَاوَنْد: بفتح النون الأولى وتكسر، والواو مفتوحة، ونون ساكنة، ودال مهملة: هي مدينة عظيمة في قبلة همذان بينهما ثلاثة أيام، قال أبو المنذر هشام: سميت نهاوند لأنهم وجدوها كما هي، ويقال إنها من بناء نوح، عليه السلام، أي نوح وضعها وإنما اسمها نوح أَوَنْد فخففت وقيل نهاوند، وقال حمزة: أصلها بنوهاوند فاختصروا منها ومعناه الخير المضاعف، قال بطليموس: نهاوند في الإقليم الرابع، وطولها اثنتان وسبعون درجة، وعرضها ست وثلاثون درجة، وهي أعتق مدينة في الجبل، وكان فتحها سنة ١٩، ويقال سنة ٢٠، وذكر أبو بكر الهذلي عن محمد بن الحسن: كانت وقعة نهاوند سنة ٢١ أيام عمر ابن الخطاب، رضي الله عنه، وأمير المسلمين النعمان بن مُقَرّن المـزَني، وقال عمر: إن أُصيبت فالأمير حذيفة بن اليمان ثم جرير بن عبد الله ثم المغيرة بن شعبة ثم الأشعث بن قيس، فقُتل النعمان وكان صحابيّاً فأخذ الراية حذيفة وكان الفتح على يده صلحاً، كما ذكرناه في ماه دينار، وقال المبارك بن سعيد عن أبيه قال: نهاوند من فتوح أهل الكوفة والدِّينَور من فتوح أهل البصرة، فلما كثر الناس بالكوفة احتاجوا إلى أن يرتادوا من النواحي التي صولح على خراجها فصيّرت لهم الدينور وعوّض أهل البصرة نهاوند لأنها قريبة من أصبهان فصار فضل ما بين خراج الدينور ونهاوند لأهل الكوفة فسميت نهاوند ماه البصرة والدينور ماه الكوفة، وذلك في أيام معاوية بن أبي سفيان، ... . الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٣١٣.

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ص ٦٧٥، مطبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي.

روى الطبري في تاريخه « ... إنّ الذي هاج أمر نِهاوند أنّ أهل البصرة لما أشجوا الهُرمزان، وأعجلوا أهل فارس عن مصاب جند العلاء، ووطئوا أهل فارس، كاتبوا ملوكهم؛ وهم يومئذ بمرو، فحركوه، فكاتب الملك أهل الجبال من بين الباب والسند وخُراسان وحُلوان، فتحركوا وتكاتبوا، وركب بعضهم إلى بعض، فأجمعوا أن يوافوا نهاوند أوائلهم »

مج ٢، ص ٥٢١.

تحرك الجيش الإسلامي بقيادة **النعمان بن مقرّن** إلى **نهاوند**. ووجدها محصنة تحصيناً قوياً وحولها خندق عميق وأمام الخنـدق حسـك شائك مربع الأضـلاع يثبت منه ضلع في الأرض وتظـل الأضلاع الثلاثة الباقية أو إثنـان منها على الأقل فوق سطحهـا ، لتعيق تقدم المهاجمين أو تؤذي خيالتهـم بأحداث ثقوب في حوافر جيادهم مما يمنعها من متابعة الجري، أما جيش الفرس داخـل سور المدينة فكان على تعبئـة وقد انضم إليه بنهاونـد "كل من غاب عن القادسية"، وقد ركـز الفيروزان رماته بإتجاه محاور التقدم المحتملة للمسلمين كي يطالوا جندهم بنبالهم إذا ما حاولوا التقدم.

لقـد اصطدمـت خيول المسلمـين بالحسك الشائك ثم بالخندق فلـم يستطيعوا اجتيازها، بينما تولى رمـاة الفرس رمي جند المسلمين الذي تمكنوا من الإقتراب من السور. واستمر الأمر كذلك لمدة يومين ورأى النعمان أن يجمع أركان الجيش الإسلامي لتدارس الوضع معه، وخرجوا بنتيجة الاجتماع بالخطة التالية وكان صاحبها **طليحة بن خويلد الأسدي**:

١-تخرج خيول المسلمين فتنشب القتال مع الفرس، وتستفزهم حتى تخرجهم من أسوارهم.

٢- إذا خرجوا تقهقرت خيول المسلمين أمامهم فيعتقدون تراجعها ضعفاً ويطمعون بالنصر . فيلحقوا بها وهي تجري أمامهم.

٣- تستدرج خيول المسلمين المتظاهرة الفرس بالهزيمة، إلى خارج أسوارهم ومواقعهم.

٤- يفاجـئ المسلمون الذي يكونون قد كمنوا في أماكن محددة ومموهة الفرس المتدفقين خلف خيول المسلمين. ويطبقون عليهم وهم بعيدون عن مراكزهم وخنادقهم وأسوارهم، وشرع النعمان لتنفيذ هذه الخطة ووزع قواته فرقاً على الشكل التالي:

- **الفرقـة الأولى**: خيالـة بقيـادة القعقاع بن عمرو ومهمتهما تنفيـذ عملية التضليل وفقاً للخطـة المرسومة آنفاً، واقتحام أسوار العدو والإشتباك معه.

- **الفرقـة الثانيـة**: مشاة بقيادته هو ، ومهمتهما التمركز في مواقـع ثابتة ومموهة بانتظار وصول الفرس إليها حيث تنشب القتال معها في معركة جبهية.

- **الفرقة الثالثة**: خيالة ، وهي القوة الضاربة في الجيش ، ومهمتها التمركز في مواقع ثابتة ومموهة ثم الهجوم على قوات العدو من الجانبين.

- وأمر النعمان المسلمين في كمائنهم (أن يلزموا الأرض ولا يقاتلوهم حتى يأذن لهم) ، والتزم المسلمون بالأمر ينتظرون إشارة النعمان بالهجوم.

وشـرع القعقـاع في تنفيذ الخطة ونجح نجاحاً رائعـاً، وكانت مفاجأة الفرس مذهلة عندما وجدوا أنفسهم، في آخر المطاف محاصريـن بـين قوات المسلمين التـي شرعت سيوفهم في حصد رقـاب المشركين ولاذ المشركون بالفـرار ليتحصنوا بخندقهم وحصونهـم إلا أنهـم وقعوا في خنادقهم وفـي الحسك الشائك ،واستمر المسلمون يطاردونهـم ويعملون سيوفهم في ظهورهم واقفيتهـم حتى سقط من الفرس ألوف في الخنـدق واستطاع القعقاع أن يطارد الفيرزان فلحقه وقضى عليه ودخل المسلمون، بعـد هـذه المعركة "نهاوند" ثم همذان، ثم انطلقوا بعد ذلك يستكملون فتح ما تبقى من بلاد فارس دون مقاومة تذكر، ولم يكن للفرس بعد نهاوند اجتماع، وملك المسلمون بلادهم لذلك سميت معركة نهاوند بفتح الفتوح[١].

---

١ – د . علي الصّلاّبي، فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، شخصيته وعصره، ص ٥٣٨ - ٥٤٢ . نقلاً عن اللواء الدكتور، ياسين سويد في كتابه الفن العسكري الإسلامي

١) كان قباذ بن عبد الله الفارسي على ثغر حُلوان منذ استخلفه القعقاع بن عمرو عليها ، فكتب بذلك إلى سعد وكتب سعد إلى عمر . ثم عُزل سعد عن الكوفة وقدم المدينة فحدّث عمر في شأن حشود العجم بنهاوند وقال له : « إن أهل الكوفة يستأذنونك في الانسياح في أن يبادروهم الشدة » .

٢) بعد أن وصل خطاب أهل الكوفة إلى عمر مع قريب بن ظفر العبدي بطلب المبادرة لمقاتلة الفرس في نهاوند والتي احتشد فيها ١٥٠ ألف مقاتل؛ نودي في الناس الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس ووافاه سعد وقام عمر على المنبر فأخبر الناس حشود نهاوند واستشارهم (انظر المستند) . وردّ عمر قريب العبدي إلى الكوفة .

٣) كتب عمر إلى النعمان (... فسر من وجهك ذلك حتى تأتي ماه، فإني قد كتبت إلى أهل الكوفة أن يوفوك بها . فإذا اجتمع لك جنودك فسِر إلى فيرزان ومن تجمع إليه من الأعاجم من أهل فارس وغيرهم، واستنصروا الله وأكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله . والسلام عليك) .

٤) حذيفة بن اليمان؛ يتوجه بجيش الكوفة إلى (ماه) لمؤازرة جيش النعمان أثناء توجهه لفتح نهاوند .

٥) الجيش الإسلامي بقيادة النعمان بن مقرّن المُزنيّ يتوجه نحو نهاوند لملاقاة جموع الفرس فيها ! .

٦) مدد الجيش الإسلامي من المدينة النبوية بقيادة عبد الله بن عمر بن الخطاب لمؤازرة الجيش الإسلامي المتجه إلى نهاوند .

معركة نهاوند (فتح الفتوح) في يوم الجمعة من شهر المحرم سنة ١٩ هـ على الأرجح.

همدان
فهاوند
كميجان
كميازان
سنقر
ميلاجرد
نوبسركان
كوروان
كاروان
فيروزان
بيستون
كرمنشاه
هرسين
نهاوند
الجيش المجوسي
الجيش الإسلامي
اشربيان
كردكان دار
فبرور
بروجرد
عيلام
كودهشت
خرم آباد
دورود

كان على مقدمة جيش النعمان ابن مقرّن المُزني أخوه نعيم ، وعلى الميمنة حذيفة بن اليمان، وعلى الميسرة أخوه سويد بن مقرّن، وعلى المجردة (الفرسان) القعقاع ابن عمرو، وعلى المؤخرة مجاشع ابن مسعود .

أعداد الجيوش المشاركة في نهاوند
١٥٠٠٠٠
١٢٠٠٠٠
٩٠٠٠٠
٦٠٠٠٠
٣٠٠٠٠
الجيش الإسلامي
الجيش المجوسي

المسلمون
المجوس

نسبة الجيش الإسلامي في نهاوند بالنسبة للجيش المجوسي

مرتسم تخيلي لمعركة نهاوند (فتح الفتوح)

معركة نهاوند قال النعمان بن مقرّن اللهم إني أسألك أن تقر عيني اليوم بفتح يكون فيه عزّ الإسلام، وذلّ يُذَلّ به الكفّار، ثم اقبضني إليك بعد ذلك على الشهادة، أمّنوا يرحمكم الله ! فأمّنّا وبكينا . ثم قال إني هازٌّ لوائي فتيسّروا للسلاح، ثم هازٌّ الثانية، فكونوا متأهبين لقتال عدوكم، فإذا هززت الثالثة فليحمل كلُّ قوم على مَنْ يليهم من عدوّهم على بركة الله . قال: وجاؤوا بحسك الحديد . قال : فجعل يلبث حتى إذا حضرت الصلاة وهبّت الأرواح كبّر وكبّرنا ، ثم قال: أرجو أن يستجيب الله لي؛ ويفتح الله عليّ،ثم هزّ اللواء، فتيسرنا للقتال، ثم هزّه الثانية فكنّا بإزاء العدوّ، ثم هزّه الثالثة . قال: فكبّر وكبّر المسلمون، وقالوا: فتحاً يعزّ الله به الإسلام وأهله، ثم قال النعمان: إن أُصِبت فعلى الناس حُذيفة بن اليمان، وإن أُصيب حُذيفة ففلان؛ وإن أُصيب فلان ففلان؛ حتى عدّ سبعة آخرهم المغيرة، ثم هزّ اللواء الثالثة، فحمل كل إنسان على من يليه من العدوّ . قال: فو الله ما علمت من المسلمين أحداً يومئذ يريد أن يرجع إلى أهله، حتى يُقتل أو يظفر، فحملنا حملة واحدة، وثبتوا لنا ، فما كنّا نسمع إلا وقع الحديد على الحديد ، حتى أصيب المسلمون بمصائب عظيمة ، فلمّا رأوا صبرنا وأنا لا نبرح العرصة انهزموا ،فجعل يقع الواحد فيقع عليه سبعة؛ بعضهم على بعض في قياد ، فيُقتلون جميعاً ، وجعل يعقِرهم حسك الحديد الذي وضعوا خلفهم . فقال النعمان: رضي الله عنه: قدّموا اللواء ، فجعلنا نقدّم اللواء ، ونقتلهم ونهزِمهم . فلما رأى أن الله قد استجاب له ورأى الفتح، جاءته نُشّابة فأصابت خاصرته ، فقتلته . قال: فجاء أخوه معقل فسجّى عليه ثوباً ، وأخذ اللواء فقاتل، ثم قال: تقدّموا نقتلهم ونهزمهم؛ فلما اجتمع الناس قالوا: أين أميرنا ؟ قال معقِل: هذا أميركم، قد أقرّ الله عينه بالفتح؛ وختم له بالشهادة . فبايع الناس حُذيفة و**عمر** بالمدينة يستنصر له ، ويدعو له مثل الحبلى . قال: وكُتِب إلى **عمر** بالفتح؛ مع رجل من المسلمين؛ فلما أتاه قال له: أبشِرْ يا أمير المؤمنين بفتح أعزّ الله به الإسلام وأهله، وأذلّ به الكفر وأهله . قال: فحمد الله عزّ وجلّ، ثم قال: النّعمان بعثك ؟ قال: احتسب النعمان يا أمير المؤمنين، قال: فبكى عمر واسترجع . قال: ومَن ويحك ! قال : فلان وفلان؛ حتى عدّ له ناساً كثيراً ، ثم قال: وآخرين يا أمير المؤمنين، لا تعرفهم، **فقال عمر وهو يبكي: لا يضرهم ألاّ يعرفهم عمر؛ ولكنّ الله يعرفهم** . ابن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مج ٢ ،ص ٥٢١.

فتح همذان (همذان)

سنة ١٩ هـ

روى الطبري في سبب فتح **همذان** - فيما زعم - أنّ محمداً والمهلب وطلحةوعمراً وسعيداً أخبروه أنّ النعمان لما صرف إلى الماهين لاجتماع الأعاجم إلى نهاوند، وصرف إليه أهل الكوفة وافوه مع حذيفة؛ ولما فصل أهل الكوفة من حلوان وأفضوا إلى ماه هجموا على قلعة في مرج فيها مسلحة، فاستنزلوهم، وكان أوّل الفتح، وأنزلوا مكانهم خيلاً يمسكون بالقلعة، فسمّوا معسكرهم بالمرج: مرج القلعة؛ ثم ساروا من مرج القلعة نحو نهاوند؛ حتى إذا انتهوا إلى قلعة فيها قوم خلّفوا عليها النّسير بن ثور في عجل وحنيفة؛ فنسبت إليه؛ وافتتحها بعد فتح نهاوند ولم يشهد نهاوند عجليّ ولا حنفيّ - أقاموا مع النّسير على القلعة، فلما جمعوا فيء نهاوند والقلاع أشركوا فيها جميعاً؛ لأنّ بعضهم قوّى بعضاً. ثم وصفوا ما استقروا فيما بين مرج القلعة وبين نهاوند مما مرّوا به قبل ذلك فيما استقرّوا من المرج إليها بصفاتها، وازدحمت الرّكاب في ثنيّة من ثنايا ماه، فسمّيت بالركاب. فقيل: ثنيّة الرّكاب. وأتوا على أخرى تدور طريقها بصخرة، فسمّوها ملويّة، فدرست أسماؤها الأولى، وسمّيت بصفاتها، ومرّوا بالجبل الطويل المشرف على الجبال، فقال قائل منهم: كأنه سنّ سميرة - وسميرة امرأة من المهاجرات من بني معاوية، ضبيّة لها سنّ مشرفة على أسنانها، فسمّي ذلك الجبل بسنّها - وقد كان حذيفة أتبع الفالّة - فالّة نهاوند - نعيم بن مقرّن والقعقاع بن عمرو؛ فبلغا همذان، فصالحهم خسروشنوم، فرجعا عنهم، ثم كفر بعد. فلمّا قدم عهده في العهود من عند عمر ودّع حذيفة وودّعه حذيفة: هذا يريد همذان، وهذا يريد الكوفة راجعاً. واستخلف على الماهين عمرو بن بلال بن الحارث.

هَمَذَانُ: بالتحريك، والذال معجمة، وآخره نون، في الإقليم الرّابع، وطولها من جهة المغرب ثلاث وسبعون درجة، وعرضها ست وثلاثون درجة، قال هشام بن الكلبي: همذان سميت بهمذان بن الفلّوج بن سام ابن نوح، عليه السلام، وهمذان وأصبهان أخوان بنى كل واحد منهما بلدة، ووُجد في بعض كتب السريانيين في أخبار الملوك والبلدان: إن الذي بَنى همذان يقال له كرميس بن حليمون، وذكر بعض علماء الفرس أن اسم همذان إنما كان نادمه ومعناه المحبوبة، وروي عن شعبة أنه قال: الجبال عسكرٌ وهمذان معمعتها وهي أعذبها ماء وأطيبها هواء. ... وكتب عمر ابن الخطاب، رضي الله عنه، إلى بعض عماله بشأن بردها: إنه قد أظلكم الشتاء وهو العدو المحاصر فاستعدوا له الفِراء واستفلوا الحذاء. أ. هـ.

وقد قال الشاعر: إذا جاء الشتاء فأدفئوني، فإن الشيخ يهدمه الشتاء. الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٣١٢.

وكان كتاب **عمر** إلى نعيم بن مقرّن: أن سر حتى تأتي همذان، وابعث على مقدّمتك سويد بن مقرّن، وعلى مجنّبتيك ربعيّ ابن عامر ومهلهل ابن زيد؛ هذا طائيّ، وذاك تميميّ. فخرج نعيم بن مقرّن في تعبيته حتى نزل ثنيّة العسل - وإنما سمّيت ثنيّة العسل بالعسل الذي أصابوا فيها غبّ وقعة نهاوند حيث أتبعوا الفالّة تعالى فانتهى الفيرُزان إليها، وهي غاصّة بحوامل تحمل العسل وغير ذلك؛ فحبست الفيرزان حتى نزل: فتوقّل في الجبل وغار فرسه فأدرك فأصيب. ولما نزلوا كنكور سرقت دوابّ من دوابّ المسلمين، فسمّى قصر اللصوص. ثم انحدر نعيم من الثّنيّة حتى نزل على مدينة همذان، وقد تحصّنوا منهم، فحصرهم فيها، وأخذ ما بين ذلك وبين جرميذان، واستولوا على بلاد همذان كلها. فلما رأى ذلك أهل المدينة سألوا الصّلح، على أن يجريهم ومن استجاب مجرىً واحداً. ففعل، وقبل منهم الجزاء على المنعة، وفرّق دستبي بين نفر من أهل الكوفة، بين عصمة بن عبد الضّبيّ ومهلهل بن زيد الطائيّ وسماك بن عبيد العبسيّ وسماك بن مخرمة الأسديّ، وسماك بن خرشة الأنصاريّ: فكان هؤلاء أوّل من ولي مسالح دستبي وقاتل الديّلم. الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ص ٦٧٥، مطبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي.

ونجا الفيُرزان بين الصرعى في المعركة (نهاوند)، فهرب نحو همذان في ذلك الشَّريد، فأتبعه نُعيم بن مقرّن، وقدّم القعقاع قدامهُ فأدركه حين انتهى إلى ثَنِيّة همذان، والثنيّة مشحونة من بغال وحمير موقَرة عسلاً، فحبسه الدوابّ على أجلِه، فقتله على الثنيّة بعد ما امتنع، وقال المسلمون: إن للّه جنوداً من عسل، واستاقوا العسلَ وما خالطه من سائر الأحمال، فأقبل بها، وسمّيت الثنيّة بذلك ثَنِيّة العسَل: وإن الفيُرزان لّما غشيه القعقاع نزل فتوقّل في الجبل إذ لم يجد مساغاً، وتوقّل القعقاع في أثره حتى أخذه، ومضى الفُلّال حتى انتهوا إلى مدينة همذان والخيل في آثارهم، فدخلوها، فنزل المسلمون عليهم، وحووا ما حولها، فلما رأى ذلك خُسرَوْشنوم استأمنهم، وقبِل منهم على أن يضمن لهم همذان ودستبي، وألاّ يؤتَى المسلمون منهم: فأجابوهم إلى ذلك وآمنوهم؛ وأمِن الناس، وأقبل كلّ من كان هـرب، ودخل المسلمون بعد هزيمة المشركين يوم نهاوند مدينة نهاوند واحتووا ما فيها وما حولها، وجمعوا الأسلاب والرِّثاث إلى صاحب الأقباض السائب بن الأقرع . فبينما هم كذلك على حالهم وفي عسكرهم يتوقّعون ما يأتيهم من إخوانهم بهمذان، أقبل الهِرْبذ صاحب بيت النار على أمان؛ فأبلغ حذيفة، فقال: أتؤمنني على أن أخبرك بما أعلم ؟ قال: نعم، قال: إن النَخيْرجان وضع عندي ذخيرة لكسرى، فأنا أخرجها لك على أماني وأمان من شئت، فأعطاه ذلك، فأخرج له ذخيرة كسرى؛ جوهراً كان أعدّه لنوائب الزمان، فنظروا في ذلك، فأجمع رأي المسلمين على رفعه إلى عمر، فجعلوه له؛ فأخّروه حتى فرغوا فبعثوا به مع ما يرفع من الأخماس، وقسم حذيفة بن اليمان بين الناس غنائمهم، فكان سهم الفارس يوم نهاوند ستة آلاف، وسهم الراجل ألفين، وقد نفل حذيفة من الأخماس من شاء من أهل البلاء يوم نهاوند ، ورفع ما بقي من الأخماس إلى السائب بن الأقرع، فقبض السائب الأخماس، فخرج بها إلى **عمر** وبذخيرة كسرى . ابن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مج ٢، ص ٥٢٨ .

١- نقش مسماري على أحد جبال همدان

٢- مرئية فضائية لمدينة همدان الإيرانية

٣- مدينة اشتريتان القريبة من نهاوند

٤- الكنيسة الأثرية في همدان

سجادة من الصوف يعود صنعها إلى مدينة همدان (همذان) الفارسية .

خزانة (ظرف) منقوش سفالين من نهاوند يعود تاريخه إلى قبل ميلاد المسيح عليه الصلاة والسلام .

ملأنا شعاباً في نهاوند منهما

رجالاً وخيلاً أضرمت بالضرائم

شكل مذهب من لرستان يعود تاريخه إلى ما قبل ميلاد المسيح عليه السلام .

نتائج معركة نهاوند [فتح الفتوح]
المجال السياسي
بعد معركة نهاوند، تغيرت خريطة العالم القديم الذي كانت تتنازعه دولتا فارس والروم، وذلك بزوال دولة الفرس المجوسية. وسطوع نجم الدولة الإسلامية الفتية.
المجال الاستراتيجي
أصبحت جميع بلاد فارس مفتوحة أمام المجاهدين المسلمين؛ إذ أصبح ممكنا اتخاذ الأراضي الواقعة شرق دجلة قاعدة لانطلاق الجيوش الإسلامية ولاسيما بعد أن فتح المسلمون العراق والأقاليم الواقعة على شمال الخليج العربي؛ خصوصاً إذا عرفنا أن إقليم خوزستان (الأهواز) قد فتح بالكامل واعتنق حاكمه الهرمزان الإسلام.
المجال العسكري
اكتسب الجندي المسلم صلابة وقوة مكنته من انتزاع النصر في أحلك الظروف. واستمراراً لتحقيق النصر قرر الخليفة عمر تقسيم الجيش إلى عدة ألوية وعين على كل لواء قائداً ووجه كل لواء بقائده إلى أقليم من أقاليم الدولة الفارسية على النحو التالي :
الجبهة الشمالية
وتشمل الأقاليم الواقعة غرب بحر الخزر (قزوين) حتى نهاية جبل القفقاس وأرمينية، حيث فُتحت قزوين والديلم، وإقليم أذربيجان، وأرمينية والقفقاس والقوقاز، وجرجان وطبرستان.
الجبهة الوسطى والشرقية
الجبهة الجنوبية
وكانت في إقليم مكران وهو أقصى البلاد الفارسية من الجنوب وتقع سواحله على خليج عمان وجزء من الخليج العربي، انتصر المسلمون فيها انتصاراً مؤزرا على المجوس ودخل المسلمون على أثرها مكران.
الإقليم الجبلي
في غربي بلاد فارس: بعد معركة نهاوند الحاسمة، سيّر الخليفة عمر جيوشه إلى مدن هذا الإقليم ومن بينها :
أصفهان
إعادة فتح همذان
واج روذ بين همذان وقزوين
إقليم فارس
يقع هذا الإقليم في وسط إيران، حيث توجهت إليه الجيوش الإسلامية على النحو التالي :
اصطخر عاصمة فارس
فسا ودارابجراد
كرمان
إقليم خُراسان
يؤلف هذا الإقليم الجزء الشرقي للدولة الفارسية، وكان الأحنف ابن قيس أبرز قادة فتح هذا الإقليم وبعد أن أبلى بلاء طيباً في معركة نهاوند ولاه الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لواء فتح خُراسان ففتح هراة عنوة وسار نحو مرو فكتب يزدجرد مستنجداً بخاقان الترك وملك الصُغد وملك الصين، وحينما دخل المسلمون مرو فرّ يزدجرد إلى بلخ. وبعد أن فتحت بلخ فر يزدجرد إلى سمرقند، إلى أن قتله الفرس أنفسهم، وقضى على آخر أمل للدولة المجوسية.
إقليم سجستان
يشغل هذا الإقليم أجزاء كبيرة من إيران ومن أفغانستان ويُطلق عليه سجستان أو سيستان (ساستان).

قال الطبري : وفي هذه السنة أمر عمر جيوش العراق بطلب جيوش فارس حيث كانت؛ وأمر بعض من كان بالبصرة من جنود المسلمين وحواليها بالمسير إلى أرض فارس وكرمان وإصبهان، وبعض مَنْ كان منهم بناحية الكوفة وماهاتها إلى أصبهان وأذربيجان والريّ ... ولما أتى عمر انبعاث الجنود وانسياحهم أمّر عمّاراً بعدُ، وقرأ قول الله عزّ وجلّ: (ونريدُ أنْ نَمُنَّ على الذين استُضْعِفوا في الأرض وَنجْعَلَهُمْ أئمَّةً وَنجْعَلَهُمُ الوارِثينَ) . النص ٥ ، تاريخ الأمم والملوك ، مج ٢ ، ص ٥٣٠ - ٥٣١ .

فتح أصفهان (أصبهان)

سنة ٢١ هـ

لما قدم عمار إلى الكوفة أميراً وقدم كتاب **عمر** إلى عبد الله أن سر إلى **إصبهان** وزياد على الكوفة وعلى مقدمتك عبد الله ابن ورقاء الرياحي وعلى مجنبتيك عبد الله بن ورقاء الأسدي وعصمة بن عبد الله وهو عصمة بن عبد الله بن عبيدة ابن سيف بن عبد الحارث فسار عبد الله من نهاوند في الناس حتى قدم على حذيفة ورجع حذيفة إلى عمله وخرج عبد الله فيمن كان معه ومن انصرف معه من جند النعمان من نهاوند نحو جند قد اجتمع له من أهل إصبهان عليهم الأستندار وكان على مقدمته شهر براز جاذويه شيخ كبير في جمع عظيم فالتقى المسلمون ومقدمة المشركين برستاق من رساتيق إصبهان؛ فاقتتلوا قتالاً شديداً ودعا الشيخ إلى البراز فبرز له عبد الله بن ورقاء فقتله وانهزم أهل إصبهان وسمى المسلمون ذلك الرستاق رستاق الشيخ فهو اسمه إلى اليوم ودعا عبد الله بن عبد الله من يليه فسأل الأستندار الصلح فصالحهم فهذا أول رستاق أخذ من إصبهان ثم سار عبد الله من رستاق الشيخ نحو **جي** حتى انتهى إلى **جي** والملك **بإصبهان** يومئذ الفاذوسفان ونزل بالناس على جي فحاصرهم فخرجوا إليه بعد ما شاء الله من زحف فلما التقوا قال الفاذوسفان لعبد الله لا تقتل أصحابي ولا أقتل أصحابك ولكن ابرز لي فإن قتلتك رجع أصحابك وإن قتلتني سالمك أصحابي وإن كان أصحابي لا يقع لهم نشابة فبرز له عبد الله وقال إما إن تحمل علي وإما أن أحمل عليك فقال أحمل عليك فوقف له عبد الله وحمل عليه الفاذوسفان فطعنه فأصاب قربوس سرجه فكسره وقطع اللبب والحزام وزال اللبد والسرج وعبد الله على الفرس فوقع عبد الله قائماً ثم استوى على الفرس عرياً وقال: اثبت فحاجزه، وقال: ما أحب أن أقاتلك فإني قد رأيتك رجلاً كاملاً ولكن أرجع معك إلى عسكرك فأصالحك وأدفع المدينة إليك على أن من شاء أقام ودفع الجزية، وأقام على ماله وعلى أن تجرى من أخذتم أرضه عنوة مجراهم ويتراجعون ومن أبى أن يدخل فيما دخلنا فيه ذهب حيث شاء ولكم أرضه، قال لكم ذلك وقدم عليه أبو موسى الأشعري من ناحية الأهواز، وقد صالح الفاذوسفان عبد الله فخرج القوم من جي ودخلوا في الذمة إلا ثلاثين رجلاً من أهل إصبهان خالفوا قومهم وتجمعوا فلحقوا بكرمان في حاشيتهم لجمع كان بها ودخل عبد الله وأبو موسى جي، **وجي مدينة إصبهان** وكتب بذلك إلى **عمر** واغتبط من أقام وندم من شخص فقدم كتاب عمر على عبد الله أن سر حتى تقدم على سهيل بن عدي فتجامعه على قتال من بكرمان وخلف في جي من بقي عن جي واستخلف على إصبهان السائب بن الأقرع[1].

عن معقل بن يسار أن عمر بن الخطاب شاور الهرمزان فقال: ما ترى أبدأ بفارس أم بأذربيجان أم بإصبهان فقال: إن فارس وأذربيجان الجناحان وإصبهان الرأس فإن قطعت أحد الجناحين قام الجناح الآخر فإن قطعت الرأس وقع الجناحان؛ فابدأ بالرأس، فدخل عمر المسجد والنعمان بن مقرّن يصلي فقعد إلى جنبه فلما قضى صلاته قال إني أريد أن أستعملك قال: أما جابياً فلا ولكن غازياً، قال: فأنت غاز فوجهه إلى إصبهان. وكتب إلى أهل الكوفة أن يمدوه فأتاها وبينه وبنيهم النهر فأرسل إليهم المغيرة بن شعبة، فأتاهم فقيل لملكهم وكان يقال له ذو الحاجبين، إن رسول العرب على الباب فشاور أصحابه فقال: ما ترون أقعد له في بهجة الملك، فقالوا: نعم فقعد على سريره ووضع التاج على رأسه، وقعد أبناء الملوك نحو السماطين عليهم القرطة وأسورة الذهب وثياب الديباج ثم أذن له، فدخل ومعه رمحه وترسه فجعل يطعن برمحه بسطهم ليتطيروا وقد أخذ بضبعيه رجلان، فقام بين يديه فكلمه ملكهم، فقال: إنكم يا معشر العرب أصابكم جوع شديد فخرجتم فإن شئتم أمرناكم، ورجعتم إلى بلادكم، فتكلم المغيرة فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إنا معاشر العرب كنا نأكل الجيف والميتة ويطؤنا الناس ولا نطؤهم وإن الله عز وجل ابتعث منا نبياً أوسطنا حسباً وأصدقنا حديثاً فذكر النبي بما هو أهله وإنه وعدنا أشياء فوجدناها كما قال، وإنه وعدنا أنّا سنظهر عليكم ونغلب على ما ها هنا، وإني أرى عليكم بزة وهيئة ما أرى من خلفي يذهبون حتى يصيبوها، قال: ثم قلت في نفسي لو جمعت جراميزي، فوثبت وثبة، فقعدت مع العلج على سريره لعله يتطيرا، قال: فوجدت غفلة فوثبت فإذا أنه معه على سريره قال: فأخذوه يتوجئونه ويطئونه بأرجلهم، قال: قلت: هكذا تفعلون بالرسل فإنا لا نفعل هكذا، ولا نفعل برسلكم هذا فقال الملك: إن شئتم قطعتم إلينا وإن شئتم قطعنا إليكم. قال: فقلت: بل نقطع إليكم قال: فقطعنا إليهم فتسلسلوا كل عشرة في سلسلة وكل خمسة وكل ثلاثة، قال: فصاففناهم فرشقونا حتى أسرعوا فينا فقال: المغيرة للنعمان يرحمك الله؛ إنه قد أسرع في الناس فاحمل فقال والله إنك لذو مناقب لقد شهدت مع رسول الله القتال فكان إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر، قال: ثم قال: إني هاز لوائي ثلاث مرات فأما الهزة الأولى فقضى رجل حاجته وتوضأ، وأما الثانية فنظر رجل في سلاحه وفي شسعه فأصلحه، وأما الثالثة فاحملوا ولا يلوين أحد على أحد، وإن قتل النعمان فلا يلو عليه أحد فإني أدعو الله عز وجل بدعوة فعزمت على كل امرئ منكم لما أمن عليها اللهم أعط اليوم النعمان الشهادة في نصر المسلمين. وافتح عليهم وهز لواءه أول مرة ثم هز الثانية ثم هز الثالثة ثم شل درعه، ثم حمل فكان أول صريع؛ فقال: معقل فأتيت عليه فذكرت عزمته فجعلت عليه علما ثم ذهبت وكنا إذا قتلنا رجلاً شغل عنا أصحابه ووقع ذو الحاجبين عن بغلته فانشق بطنه فهزمهم الله ثم جئت إلى النعمان ومعي إداوة فيها ماء فغسلت عن وجهه التراب، فقال: من أنت قلت: معقل بن يسار قال: ما فعل الناس، فقلت: فتح الله عليهم، قال: الحمد لله اكتبوا بذلك إلى عمر وفاضت نفسه. واجتمع الناس إلى الأشعث ابن قيس وفيهم ابن عمر وابن الزبير وعمرو بن معد يكرب وحذيفة، فبعثوا إلى أم ولده ، فقالوا: أما عهد إليك عهداً ؟ فقالت: ها هنا سفط فيه كتاب، فأخذوه، فكان فيه: إن قتل النعمان ففلان، وإن قتل فلان ففلان. الطبري

---

١ – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ص ٦٨٤ – ٦٨٥ ، بيت الأفكار الدولية، أعتمى به أبو صهيب الكرمي .

صلح أصفهان

« بسم الله الرحمن الرحيم . كتاب من عبد الله للفاذوسفان وأهل إصبهان وحواليها؛ إنكم آمنون ما أديتم الجزية ، وعليكم من الجزية بقدر طاقتكم في كلّ سنة تؤدونها إلى الذي يلي بلادكم عن كلّ حالم؛ ودِلالةُ المسلم وإصلاح طريقه وقِراه يوماً وليلة، وحُملان الرّاجل إلى مرحلةٍ، لا تسلّطوا على مسلم، وللمسلمين نصحُكم وأداء ما عليكم، ولكم الأمان ما فعلتم؛ فإذا غيّرتم شيئاً أو غَيّر مغيّرٌ منكم ولم تسلموه فلا أمان لكم؛ ومن سبّ مسلماً بُلِغ منه؛ فإن ضربه قتلناه . وكتب وشهد عبد الله بن قيس وعبد الله بن ورقاء، وعصمة بن عبد الله ». ابن جرير الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، مج ٢ ، ص ٥٣٢ .

وأصبهان مدينتان إحداهما تعرف **باليهودية** والأخرى **شهرستان**، وبينهما مقدار ميلين كقرطبة والزهراء بأرض الأندلس متباينتان، وفي كل واحدة منهما منبر واليهودية أكبرهما، وهي مثل شهرستان في الكبر وبناؤهما من طين، وهما أخصب مدن الجبال وأوسعها عرصةً وأكثرها مالاً وأهلاً وتجارة وسابلة ونعماً وخيرات وفواكه وطيّبات، وهي فرضة لفارس والجبال وخُراسان وخوزستان وليس بالجبال كلها أكثر جِمالاً للحمولات منها . ويرتفع منها العتّابي والوشي وسائر ثياب الإبريسم والقطن ما يجهّز بذلك إلى العراق وفارس وسائر الجبال وخراسان وخوزستان، وليس كعتّابي أصبهان في الجودة والجوهرية، وبها زعفران وفواكه تجلب إلى العراق وإلى سائر النواحي، وليس من العراق إلى خُراسان بعد الرَيّ مدينة أكثر من أصبهان تجارة . وهي ذات نواح نزهة ورساتيق حسنة ومن وصل إلى قربها من طريق فارس وصعد عقبة سرفراز، أشرف على المدينتين والرساتيق المتصلة بالبلد، ورأى أنزه مكان وأطيبه مما يستوقف النظر وترتاح له النفس ولا يسأمه البصر، ومن كرائم هذه الرساتيق رستاق جي، وبه من الضياع الحسنة والقرى الخطيرة ما يُذكر أنها على عدد أيام السنة . ويقال إن الإسكندر عند ابتنائه سور شهرستان جعل فيه ثلاثمائة وخمسة وستين برجاً لكل ضيعة بُرج، ليتحصّن فيه عند الفزع ويأوي إليه أهلها عند الحصار وتغلُّب الأشرار، وذلك أن نواحي أصبهان كانت في قديم الأيام ثغراً من ثغور الترك والديلم، ومن الرساتيق المحيطة بالبلد: رستاق لنجان ومهرين وجُنبه وكراج وكدر وكه كاوسان وبراخوار وبر آن: وبهذه الرساتيق ضياع كبار آهلة غزيرة الغلاّت ومنها ذوات منابر وخطباء وأسواق وحمامات ... ابن حوقل النصيبي،صورة الأرض ، ص ٣٠٩ .

هَمَذَانُ: بالذال المعجمة، مدينة من عِراق العجم من كور الجبل، كبيرة جداً فرسخ في مثله، محدثة إسلامية، ولها أربعة أبواب، وهي كثيرة المياه والبساتين والزروع، وقيل: بل هي قديمة البناء ولذلك قالوا: بهمذان باب يعرف بباب الأسد لأن أسداً من حجارة كان على قرب من هذا الباب على الطريق المؤدية إلى الريّ، وكان هذا الأسد كأعظم ما يكون من الخلقة، قد صوّر أحكم تصوير وأُتقن أتمّ اتقان، وكان أهل همذان يتوارثون في أخبارهم عن أسلافهم مستفيضاً فيهم، أن الإسكندر لمّا أتى همذان منصرفاً عن بلاد خُراسان وصادراً من مطافه بالهند والصين وغيرهما، جعل ذلك الأسد طلسماً للمدينة وسوّرها، فكانوا يرون أن خراب البلد وفناء أهله يكون عند كسر ذلك الأسد أو قلعه، فكان أهل همذان يمنعون من يجتاز بهم من العساكر والسابلة أن يمسُّوا ذلك الأسد ويكسروا منه شيئاً، ولم يقلب لعظمه وصلابة حجره إلا بالخلق الكثير من الناس، فبقي كذلك حتى كان من أمر مرداويج الجيلي ما كان، فكسرت جيوشه ذلك الأسد وقبلوه، فكانت الدبرة لأهل همذان عليهم فقتلوهم كيف شاؤوا، ثم عاودهم .... الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار ، ص ٥٩٦ .

١

٢

٣

١

٢
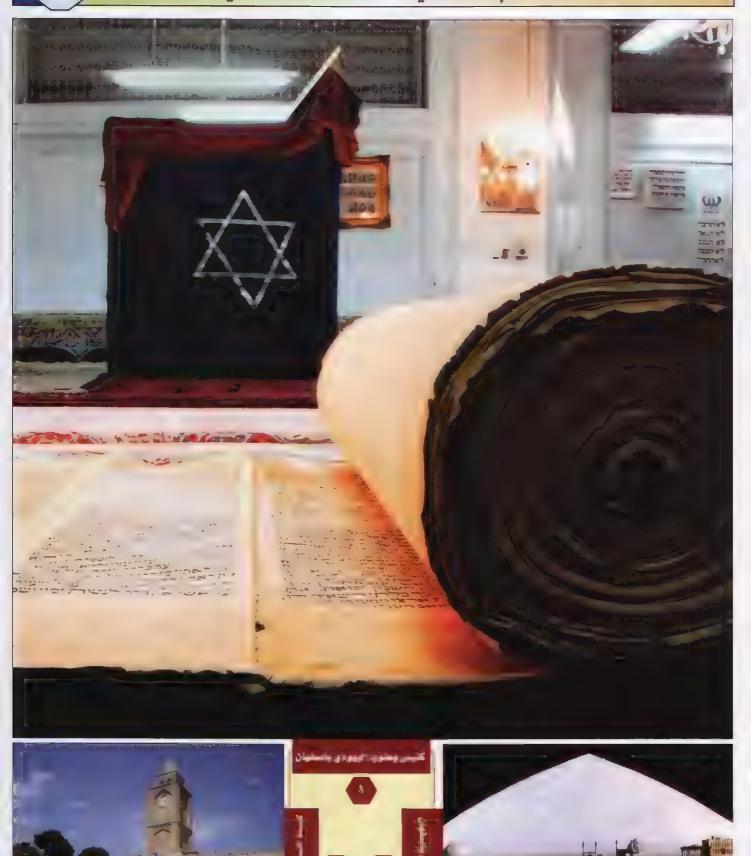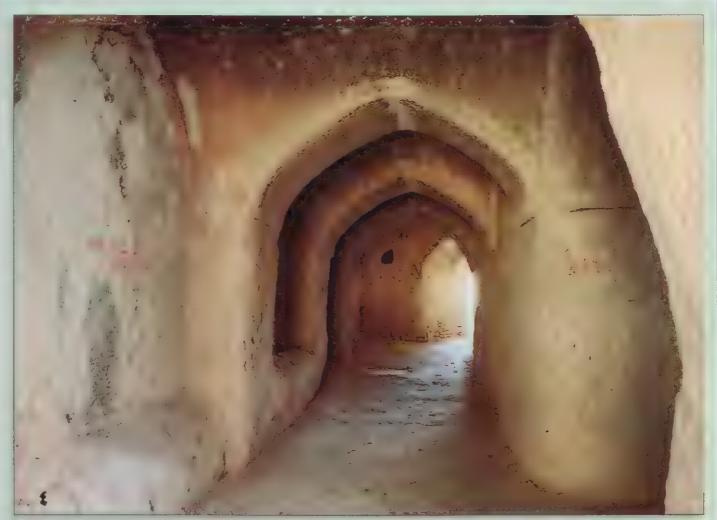
١ بل شهرستان؛ جسر بُني منذ العهد الساساني ، جُدِد بناؤه حديثاً .

٢ مصنوعات قديمة من أصفهان .

٣ صناعة السجاد في أصفهان .

٤ زقاق قديم في أحد أحياء أصفهان القديمة .

٥ نهر نياصرم بأصفهان .

٦ تفرع نهري .
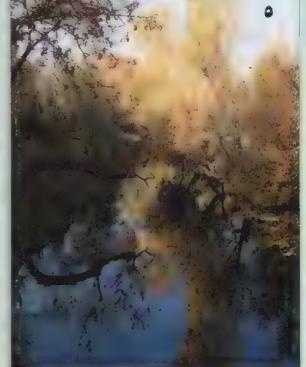
قال الطبري: « فبينما نُعَيم في مدينة همذان في توطئتها في اثني عشر ألفاً من الجند تكاتب الديلم وأهل الرّيّ وأهل أذربيجان، ثم خرج موتا في الديلم حتى ينـزل بواج روذ؛ وأقبل الزينبيّ أبو الفَـرُخان في أهل الرّي حتى انضمّ إليه، وأقبل إسفندياذ أخو رستم في أهل أذْرَبيجان؛ حتى انضـمّ إليه، وتحصّــن أمراء مسالح دسْتَبى، وبعثوا إلى نُعيم بالخبر، فاستخلف يزيد بن قيس، وخرج إليهم في الناس حتى نزل إليهم بـواجِ الروذ، فاقتتلوا بها قتالاً شديداً؛ وكانت وقعة عظيمة تعدِل نهاوند؛ ولم تكـن دونها، وقتل من القوم مقتلةٌ عظيمةٌ لا يحصـون ولا تقصـر ملحمتهم من الملاحم الكبار؛ وقد كـانوا كتبوا إلى **عمر** باجتماعهم، ففزع منها عمـر، واهتمّ بحـربها، وتوقع ما يأتيه عنهم، فلم يفاجأه إلا البريد بالبشـارة، فقال: أبشير ؟ فقال: بل عروة؛ فلما ثنّى عليه : أبشـير ؟ فطِن، فقال: بشير؛ فقال عمر: رسول نُعيم ؟ قال: رسـول نُعيم، قال: الخبر ؟ قال: البشـرى بالفتح والنصر؛ وأخبره الخبر؛ فحمد الله، وأمر بالكتاب فقرئ على الناس؛ فحمـدوا الله . ثم قدم سِماك بن مخرمة وسِماك بن عُبيد وسِماك بن خَرَشة في وفود من أهل الكوفة بالأخماس على عمر، فنسبهم، فانتـسب له سِماك وسِماك وسِماك، فقال: بارك الله فيكم؛ اللهمّ اسْمُكْ بهم الإسلام وأيّدهم بالإسلام . فكـانت دَسْتَبى من همـذان ومسالحها إلى همذان، حتى رجع الرسول إلى نُعيم بن مقرّن بجواب **عمر بن الخطاب**: أما بعد فاستخلف على همذان، وأمدّ بُكَـير بن عبد الله بسِماك ابن خرشة، وسر حتى تقدم الريّ، فتلقى جمعهم، ثم أقِم بها، فإنها أوسـط تلك البلاد وأجمعها لما تريد . فأقرّ نُعَيم يزيد بن قيس الهمذانيّ على همذان، وسـار من واج الروذ بالناس إلى الريّ » . تاريخ الأمم والملوك، مج ٢، ص ٥٢٦.

١ منطقة أثرية في همدان اكتشفت حديثًا

٢ آثار مبنى من همدان تم ترميمه

٣ قبر مردخاي اليهودي في نهاوند

فتح الرّي (طهران) وصلح دنباوند

سنة ٢٢ من الهجرة

قال أبو جعفر: خرج نعيم بن مقرّن من واج روذ في الناس - وقد أخربها - إلى دستبي، ففصل منها إلى **الرّيّ**، وقد جمعوا له، وخرج الزينبيّ أبو الفرّخان، فلقيه الزينبيّ بمكان يقال له قها مسالماً ومخالفاً لملك الريّ، وقد رأى من المسلمين ما رأى، مع حسد سياوخش وأهل بيته، فأقبل مع نعيم والملك يومئذ بالريّ سياوخش بن مهران بن بهرام شوبين، فاستمدّ أهل **دنباوند** وطبرستان وقومس وجرجان. وقال: قد علمتم أنّ هؤلاء قد حلّوا بالرّيّ، إنه لا مقام لكم، فاحتشدوا له، فناهده سياوخش، فالتقوا في سفح جبل الرّيّ إلى جنب مدينتها، فاقتتلوا به، وقد كان الزينبيّ قال لنعيم: إنّ القوم كثير، وأنت في قلّة: فابعث معي خيلاً أدخل بهم مدينتهم من مدخل لا يشعرون به، وناهدهم أنت، فإنهم إذا خرجوا عليهم لم يثبتوا لك. فبعث معه نعيم خيلاً من الليل، عليهم ابن أخيه المنذر بن عمرو، فأدخلهم الزينبيّ المدينة، ولا يشعر القوم، وبيّتهم نعيم بياتاً فشغلهم عن مدينتهم، فاقتتلوا وصبروا له حتى سمعوا التكبير من ورائهم. ثمّ إنهم انهزموا فقتلوا مقتلةً عدّوا بالقصب فيها، وأفاء الله على المسلمين بالرّي نحواً من فيء المدائن، وصالحه الزينبيّ على أهل الرّيّ ومرزبه عليهم نعيم، فلم يزل شرف الريّ في أهل الزينبيّ الأكبر، ومنهم شهرام وفرّخان، وسقط آل بهرام، وأخرب نعيم ميدنتهم، وهي التي يقال لها العتيقة - يعني مدينة الرّي - وأمر الزينبيّ فبنى مدينة الرّيّ الحدثي. وكتب نعيم إلى عمر بالذي فتح الله عليه مع المضارب العجليّ، ووفّد بالأخماس مع عتيبة بن النّهاس وأبي مفزّر في وجوه من وجوه أهل الكوفة، وأمدّ بكير بن عبد الله بسماك بن خرشة الأنصاريّ بعد ما فتح الرّي، فسار سماك إلى أذربيجان مدداً لبكير، وكتب نعيم لأهل الرّي كتاباً [١]:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى نعيم بن مقرّن الزينبيّ بن قوله، أعطاه الأمان على أهل الرّيّ ومن كان معهم من غيرهم على الجزاء، طاقة كلّ حالم في كلّ سنة، وعلى أن ينصحوا ويدلّوا ولا يغلّوا ولا يسلّوا، وعلى أن يقروا المسلمين يوماً وليلة، وعلى أن يفخّموا المسلم، فمن سبّ مسلماً أو استخفّ به نهك عقوبة، ومن ضربه قتل، ومن بدّل منهم فلم يستلم برمّته فقد غيّر جماعتكم. وكتب وشهد.

وراسله المصمغان في الصّلح على شيء يفتدي به منهم من غير أن يسأله النصر والمنعة، فقبل منه، وكتب بينه وبينه كتاباً على غير نصر ولا معونة على أحد، فجرى ذلك لهم:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من نعيم بن مقرّن لمردانشاه مصمغان دنباوند وأهل دنباوند والخوار واللارز والشّرّز. إنك آمن ومن دخل معك على الكفّ، أن تكفّ أهل أرضك، وتتقي من ولي الفرج بمائتي ألف درهم وزن سبعة في كلّ سنة، لا يغار عليك، ولا يدخل عليك إلاّ بإذن؛ ما أقمت على ذلك حتى تغيّر، ومن غيّر فلا عهد له ولا لمن لم يسلمه. وكتب وشهد [٢].

١ - ٢ ، الطبري، تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ص ٦٨٨ ، طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي
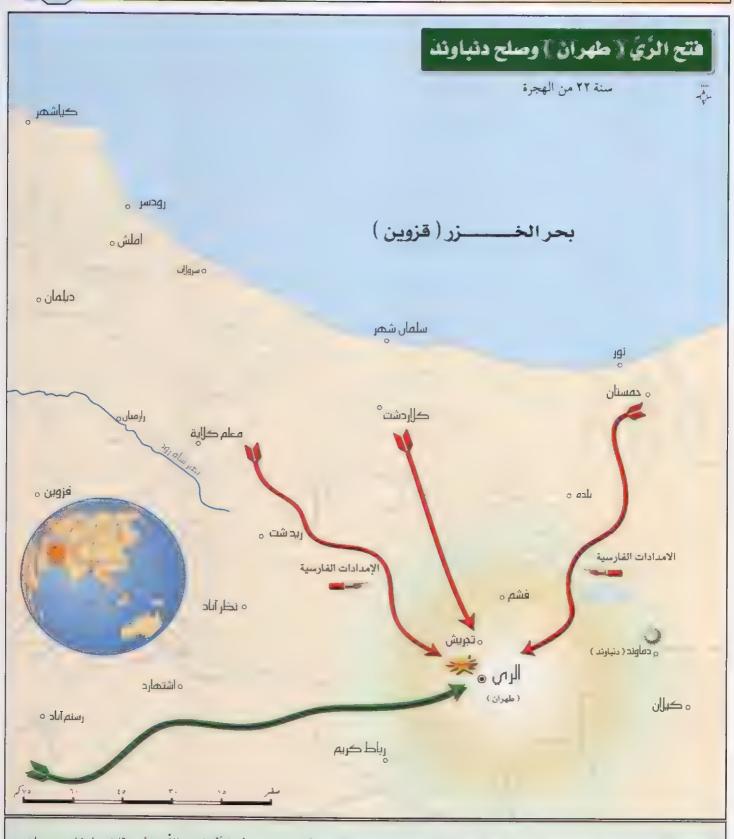
القوات الإسلامية بقيادة نعيم بن مقرّن تتقدم نحو الري، حيث استطاعت في طريقها أن تضم الزينبي أبو القَرُخان مسالماً وهو أحد قادة سياوخش بن مهران .

بعد الإمدادات الفارسية ، التقى المسلمون بقيادة نُعَيم، والفرس بقيادة سياوخش، على سفح جبل الري إلى جانب مدينتها، فاقتتلوا به ، وانتصر المسلمون على الفرس انتصاراً عظيماً، ثم كتبوا لهم عهد أمان (انظر الصفحة المقابلة) .

الفرس يعقدون صلحاً مع المسلمين؛ « انظر الصفحة السابقة ».

الرَّيّ: وأهل الري **شافعية وحنفية**. وأصحاب الشافعي أقل عدداً من أصحاب أبي حنيفة، والعصبية واقعة بينهم حتى أدت إلى الحروب، وكان الظفر لأصحاب الشافعي في جميعها مع قلة عددهم. والغالب على أهل الري القتل والسفك، ومعهم شيء من الأريحية، من ذلك حكي أن رجلاً من أرباب الثروة كان جاراً لبعض العيارين، فجاء وقت وضع حمل زوجة صاحب الثروة، ومن عادتهم أنهم يزينون الدار في هذا الوقت ويظهرون الأثاث والقماش، فلما أمسوا وكان لهم داران اجتمعوا كلهم عند صاحبة الطلق وخلت الدار الأخرى، فقال العيار: ما منعكم أن تنزلوا وتجمعوا جميع ما في هذه الدار؟ فنزلوا وأصعدوا جميع ما فيها إذ سمعوا ضجيج النساء يقلن: وضعت غلاماً! فقال العيار لأصحابه: إن هؤلاء فرحوا بهذا المولود، وإذا أحسوا بالقماش يتبدل فرحهم بالترح ويعدون الولد شؤماً. ردوا القماش إليهم ليزداد فرحهم ويكون المولود ميمون النقيبة. فقالوا للقوم: خذوا قماشكم فإنا رددناها لأجل هذا المولود. وينسب إليها الإمام العلامة أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، إمام الوقت ونادرة الدهر وأعجوبة الزمان:

لقد وجدت مكان القول ذا سعة ... فإن وجدت لساناً قائلاً فقل

ذكر أبو القاسم علي بن حسن بن عساكر عن أبي هريرة عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، انه قال: إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة في كل مائة سنة من يجدد لها دينها. قال: فكان على رأس المائة الأولى عمر بن عبد العزيز، وعلى الثانية محمد ابن أدريس الشافعي، وعلى رأس المائة الثالثة أبو العباس أحمد ابن شريح، وعلى رأس المائة الرابعة القاضي أبو بكر محمد ابن الطيب الباقلاني، وعلى رأس الخامسة أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، وعلى رأس المائة السادسة أبو عبد الله محمد ابن عمر الرازي.

حكي أن فخر الدين الرازي ورد بخارى، وحضر حلقة رضى الدين النيسابوري، وكان في حلقته أربعمائة فاضل مثل ركن الدين العميدي وركن الدين الطاووسي ومن كان من طبقاتهم ومن كان دونهم، واستدل في ذلك المجلس فلم يبق من القوم إلا من أورد عليه سؤالاً أو سؤالين، فأعادها كلها، فلما قال: والاعتداد عن هذه الفوائد، قال رضي الدين: لا حاجة إلى الجواب فإنه لا مزيد على هذا. وتعجب القوم ضبطه وإعادته وترتيبه. وحكي أنه قبل اشتهاره ذهب إلى خوارزم مع رسول، فقال أهل خوارزم للرسول: سمعنا إن معك رجلاً فاضلاً نريد أن نسمع منه فائدة، وكانوا في الجامع يوم الجمعة بعد الصلاة، فأشار الرسول إلى فخر الدين بذلك، فقال فخر الدين: أفعل ذلك بشرط أن لا يبحثوا الا موجهاً. فالتزموا ذلك. فقال: من أي علم تريدون؟ قالوا: من علم الكلام فإنه دأبنا. قال: أي مسألة تريدون؟ اختاروا مسألة شرع فيها وقررها بأدنى زمان، وكان هناك من العوام خلق كثير وعوام خوارزم متكلمة كلهم عرفوا أن فخر الدين قرر الدليل وغلبهم كلهم. فأراد مرتب القوم أن يخفي ذلك محافظة لمحفل الرئيس فقال: قد طال الوقت وكثرت الفوائد. اليوم نقتصر على هذا، وتمامه في مجلس آخر في حضرة مولانا، فقال فخر الدين: أيها الخوارزمي إن مولانا لا يقوم من هذا المجلس إلا كافراً أو فاسقاً. لأني ألزمته الحكم بالحجة، فإن لم يعتقد فهو كافر على زعمه، وان اعتقد ولم يعترف به فهو فاسق على زعمه.

---

١ - القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥٤

وحكي أنه ورد بخارى، وسمع أن أحداً من أهل بخارى ذكر اشكالات على إشارات أبي علي، فلما ورد فخر الدين بخارى أوصى لأصحابه أن لا يعرضوا ذلك على فخر الدين، فقال فخر الدين لأحد من أصحاب الرجل: أعزني ليلة واحدة. ففعل فضبطها كلها في ليلة واحدة، وقام وذهب إليه أول النهار وقال له: سمعت أنك أوردت الاشكالات على أبي علي، فمعنى كلام أبي علي هذا كيف تورد عليه الاشكال حتى أتى على جميعها، ثم قال له: أما تتقي الله فهو كلام الرجل ما تعرف وتفسرها من عندك تفسيراً فاسداً وتورد عليه الاشكال ؟ فقال الرجل: **أظن أنك الفخر الرازي** ! فقال: ما أخطأت في هذا الظن ! وقام وخرج. المصدر السابق .

قال ابن حوقل: وأعظم مدينة في هذه الناحية الريّ... وذلك أن طولها فرسخ ونصف في مثله وهي مدينة بناؤها من طين ويستعمل فيها الآجر والجص، ولها حصن مشهور له أبواب مشهورة ... ومن أسواقها المشهورة: روذة وبليسان ودك بُر ونصراباذ وساربانان وباب الجبل وباب هشام وباب سين، وأعظمها الروذة وبها معظم التجارات والخانات وهو شارع عريض مشتبك الأبنية والعقارات والمساكن . ولها مدينة عليها حصن وفيها مسجد الجامع وأكثر المدينة خراب والعمارة في الربض، ومياههم من الآبار ولهم أيضاً قنيّ وفي المدينة نهران للشرب يسمى أحدهما سوريني ويجري على روذة، والآخر الجيلانيّ يجري على ساربانان ومنهما شربهم . ولهم قني كثيرة ما يفضل عن مشربهم ويتفرع إلى ضياعهم . ونقودهم الدراهم والدنانير وزيّ أهلها زيّ أهل العراق ويرجعون إلى مروؤة ولهم دهاء وفيهم تجارب ... ويرتفع من الري بالجلب منها إلى غيرها من البلاد القطن المحمول إلى العراق وأذربيجان وغيرهما والثياب المنيرة والأبراد والأكسية . صورة الأرض ، ابن حوقل النصيبي، ص ٣٢١ ـ ٣٢٢ .

... وعددت من بلخ إلى الرَّيّ ثلاثمائة وخمسين فرسخاً، ويقال إن من الرَّيّ إلى ساوه ثلاثين فرسخاً، ومن ساوه إلى همدان كذلك ،ومن الرَّيّ إلى أصفهان خمسون فرسخاً (٢٢٧ كم) وإلى آمل ثلاثون . وبين الرَّيّ وآمل **جبل دماوند**، وهو كالقبة ويسمى لواسان، ويقال إن بقمته بئراً يستخرج منه النوشادر ويقال والكبريت أيضاً، فيصعد عليها رجال يحملون جلود البقر ويملئونها بالنوشادر، ثم يدحرجونها من قمة الجبل، لتعذر إيجاد طريق لنقلها. ناصر خسرو، سفر نامه ، ص ٣٦ .
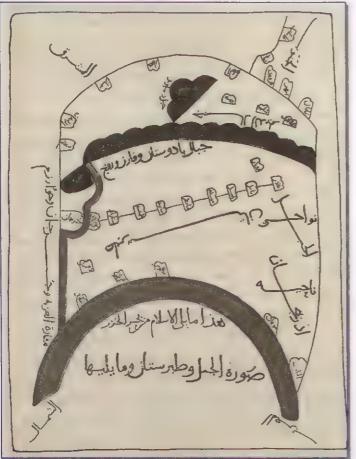
صورة الديلم وطبرستان لابن حوقل النصيبي المتوفى ٣٦٧ هـ

١ ترك الفاتحون المسلمون لأصحاب الديانات الأخرى في البلاد المفتوحة حرية ممارسة عقائدهم، وفي الصورة مجموعة من أحفاد يهود طهران يمارسون طقوسهم الدينية في كنيس يهودي بطهران.

٢ كنيسة نصرانية من الخارج بطهران

٣ كنيسة نصرانية من الداخل مكتظة بالمصلين بطهران

برج طهران في أحد الميادين الرئيسة
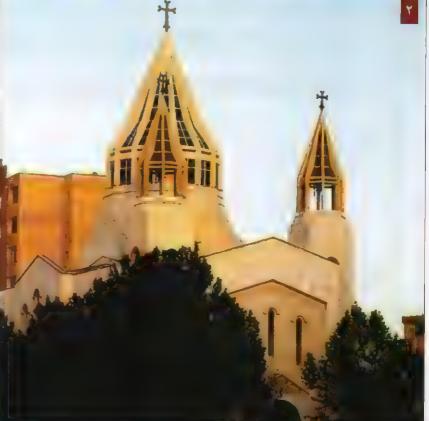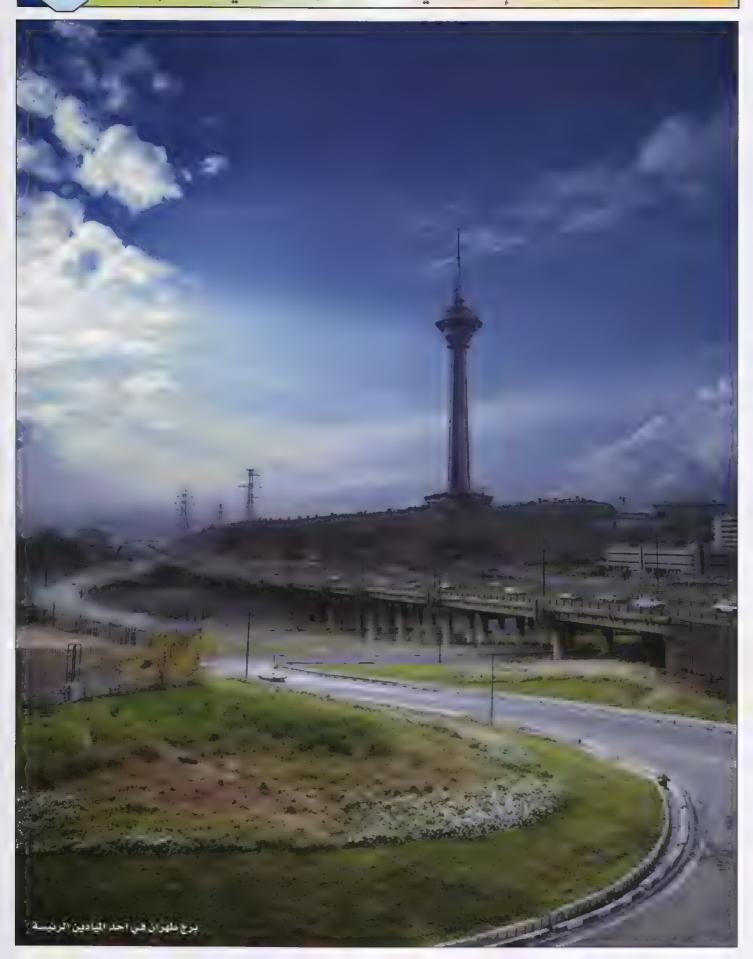
مشاهد من الري (طهران) اليوم

قمة جبل دماوند (دنباوند)
كيلان
ديلمان
جبل آلموت بالقرب من قزوين
مصيف آب علي بطهران

فتح قومس

سنة ٢٢ من الهجرة

قال أبو جعفر: ولما كتب نعيم **بفتح الرّي** مع المضارب العجليّ، ووفد بالأخماس كتب إليه **عمر**: أن قدّم سويد بن مقرّن إلى **قومس**، وابعث على مقدّمته سماك بن مخرمة وعلى مجنّبتيه عتيبة بن النّهاس وهند بن عمرو الجمليّ، ففصل سويد بن مقرّن في تعبيته من الرّيّ نحو قومس: فلم يقم له أحد، **فأخذها سلماً**، وعسكر بها، فلمّا، شربوا من نهر لهم يقال له ملاذ، فشا فيهم القصر؛ فقال لهم سويد: غيّروا ماءكم حتى تعودوا كأهله؛ ففعلوا، واستمرءوه، وكاتبه الذين لجئوا إلى طبرستان منهم، والذين أخذوا المفاوز، فدعاهم إلى الصلح والجزاء، وكتب لهم: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى سويد بن مقرّن أهل قومس ومن حشوا من الأمان على أنفسهم ومللهم وأموالهم، على أن يؤدّوا الجزية عن يد؛ عن كلّ حالم بقدر طاقته؛ وعلى أن ينصحوا ولا يغشّوا، وعلى أن يدلّوا، وعليهم نزل من نزل بهم من المسلمين يوماً وليلة من أوسط طعامهم، وإن بدّلوا واستخفّوا بعهدهم فالذمّة منهم بريئة. وكتب وشهد [1].

بناء أثري من قومس الإيرانية

قُومِسُ: بالضم ثم السكون، وكسر الميم، وسين مهملة؛ وقومس في الإقليم الرابع، طولها سبع وسبعون درجة ورُبع، وعرضها ست وثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة، وهو تعريب كومس: وهي كورة كبيرة واسعة تشتمل على مدن وقرى ومزارع وهي في ذيل جبال طبرستان وأكبر ما يكون في ولاية ملكها، وقصبتها المشهورة دامغان، وهي بين الري ونيسابور، ومن مدنها المشهورة بسطام وبيار، وبعض يُدْخل فيها سمنان وبعض يجعل سمنان من ولاية الري، وقرأتُ في كتاب نُتف الطرف للسلامي: حدثني ابن علويّة الدامغاني قال حدثني ابن عبد الدامغاني قال: كان أبو تمام حبيب بن أوس نزل عند والدي حين اجتاز بقومس إلى نيسابور ممتدحاً عبد الله ابن طاهر فسألناه عن مقصده فأجابنا بهذين البيتين:

تقول في قومس صحبي وقد أخذت
منّا السُّرى وخُطى المهريّة القُود:
أَمَطْلِعَ الشمس تبغي أن تَؤمّ بنا؟
فقلتُ: كلّا ولكن مطلع الجُود

وقدم يحيى بن طالب الحنفي في مسيره إلى خراسان من دين كان عليه، فلما وصل إلى قومس سأل عنها فأخبر باسمها، فبكى وحَنّ إلى وطنه وقال:

أقول لأصحابي ونحن بقومس،
ونحن على أثباج ساهمة جُرْد:
بَعُدْنا، وبيت الله، عن أرض قَرْقَرى
وعن قاع موحوش وزدنا على البعد

وكان الجوهري صاحب كتاب الصحاح بلغ قومس فقال:

يا صاحب الدعوة لا تجزعَنْ،
فكلّنا أزهَدُ من كُرّز
فالماء كالعنبر في قومس،
من عزّه يُجعل في الحرْز
فسَقّنا ماء بلا منّة.
وأنت في حلّ من الخُبز

وقومس أيضاً إقليمُ القومس: بالأندلس من نواحي كورة قَبْرَة. ... ، الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤١٤ ـ ٤١٥.

١ ـ الطبري، تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ص ٦٨٨ ـ ٦٨٩ ، طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي.

فتح قومس سنة ٢٢ هـ

بحر الخزر
(قزوين)

قسدكاووس
صوفيكم
سقر عربي
أزاد شهر
دلند
رامبان
ممبش
آق قلا
سرحنكلاته
على آباد
جرجان
مواسطل
كاردبا
رئيس آباد
سرخرود
حردجوي
بهمنيه
بوكنده
بهشهر
بسطام
شاهرود
جوبيار
بيشة بنة
مجن
ساري
جلمردي
ديباج
بابل
آمل
مانم شهر
اسحر
صالح آباد
مهماندوست
لجنة
حوش
كباسر
دامغان
قومس
زيراب
بل سعيد
فيل بند
الشب
عمروان
جاهجام
رسم رودبار
بردر
يزدان آباد
بيريان بالا
شهميراد
ارحصد
فيروزكوه
ده مراغ
سمنان
ابجبلو
سمين دشت

خريطة توضح بداية انطلاق الجيش الإسلامي من الري إلى قومس

أطلال مدينة قومس الأثرية

فتح جُرجان

سنة ٢٢ من الهجرة

قـال أبـو جعفر: عسكر سويد بـن مقرّن ببسطام، وكاتب ملك **جُرْجان** رزبـان صول ثم سار إليها، وكاتبه رزبان صول، وبادره بالصّلح على أن يؤدّي الجــزاء، ويكفيه حرب **جُرجان**، فـإن غلب أعانه. فقبل ذلـك منه، وتلقّاه رزبان صول قبل دخول سويد جرجان؛ فدخل معه وعسكر بها حتى جبى إليه الخــراج، وسمى فروجهــا، فسدّها بترك دهستان، فرفع الجــزاء عمّن أقام يمنعهــا، وأخــذ الخراج من سائر أهلهــا؛ وكتب بينهم وبينه كتاباً: **بســم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من ســويد بن مقرّن لرزبان صول ابن رزبان وأهل دهســتان وسائر أهل جرجان؛ إنّ لكم الذّمة، وعلينا المنعة؛ على أنّ عليكم من الجزاء فـي كلّ سنة على قدر طاقتكم؛ على كلّ حالم؛ ومن اسـتعنّا به منكم فله جزاؤه فـي معونته عوضــاً من جزائه؛ ولهم الأمان على أنفســهم وأموالهم ومللهم وشــرائعهم، ولا يغيّر شيء من ذلك هو إليهم ما أدّوا وأرشــدوا ابن الســبيل ونصــحوا وقروا المسلمين، ولم يبد منهم سلّ ولا غلّ، ومن أقام فـيهم فله مثل ما لهم، ومن خرج فهو آمن حتى يبلغ مأمنه؛ وعلى أنّ من ســبّ مسلماً بلغ جهده، ومن ضربه حلّ دمه. شــهد سواد بن قطبة، وهند بن عمرو، وسماك بن مخرمة، وعتيبة ابــن النّهاس.** وكتب فــي سنة ثمان عشرة. وأما المدائنــيّ، فإنه قال – فيما حدّثنا أبو زيد، عنه: فتحت جرجان في زمن عثمان سنة ثلاثين[1].

الطبيعة في جرجان

جُرْجـانُ: بالضم، وآخــره نون،وجُرْجان: مدينـة مشهورة عظيمـة بين طبرستـان وخراسـان، فبعضٌ يعدهـا مـن هـذه وبعض يعدّهـا مـن هـذه، وقيـل: إن أول مـن أحدث بناءهـا يزيـد بن المهلّب بن أبي صفـرة، وقد خرج منها خلق من الأدبـاء والعلماء والفقهاء والمحدثـين، ولهـا تاريـخ ألفه حمـزة بن يزيد السّهمي. قـال الإصطخري: أما جرجان فإنها أكـبر مدينـة بنواحيها، وهي أقـل ندى ومطراً مـن طبرسـتـان، وأهلها أحســن وقـاراً وأكثر مـروءة ويساراً مـن كبرائهم، وهـي قطعتان: إحداهما المدينـة والأخرى بكراباذ، وبينهما نهـر كبير يجري يحتمل أن تجري فيه السفن، ويرتفـع منها من الإبريسم وثياب الإبريسم ما يحمـل إلى جميـع الآفـاق. قـال: وإبريسـم جرجـان بَـزْرُ دُودة يحمـل إلى طبرستان، ولا يرتفـع من طبرستان بـزر إبريسم، ولجرجان مياه كثيرة وضياع عريضة، وليس بالمشرق بعد أن تجاوز العـراق مدينة أجمع ولا أظهر حسناً مـن جرجان على مقدارها، وذلك أن بها الثلج والنخل، وبها فواكه الصُّرود والجروم، وأهلها يأخذون أنفسهم بالتـأني والأخلاق المحمودة، قال: وقد خرج منها رجــال كثيرون موصوفون بالسِّـتر والسخـاء، منهـم: البرمكي صاحب المأمـون، ونقودهم نقـود طبرستـان الدنانير والدراهـم، وأوزانهـم المنُّ ستمائـة درهـم، وكذلـك الـري وطبرستان.وقـال مسعَـرُ بـن مهلهـل: ســرت مـن دامغـان متياسـراً إلى جرجـان فـي صعـود وهبـوط وأوديـة هائلة وجبال عاليـة، وجرجان مدينة حسنة على واد عظيم فـي ثغور بلـدان السهـل والجبل والبر والبحر، بها الزيتـون والنخل والجوز والرمان وقصـبُ السكر والأترج، وبهــا إبريسم جيد لا يستحيـل صبغَــه، وبهــا أحجــار كبـيرة، ولها خواصّ عجيبة، وبهــا ثعابين تهول الناظر لكن لا ضــررَ لها! ... . الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ١١٩ - ١٢٠

1 - الطبري، تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ص ٦٨٩ ، طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي.

فتح طبرستان

سنة ٢٢ من الهجرة

قال أبو جعفر: أرسل الإصبهبذ سويداً في الصّلح، على أن يتوادعا؛ ويجعل له شيئاً على غير نصر ولا معونة على أحد؛ فقبل ذلك منه، وجرى ذلك لهم، وكتب له كتاباً: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من سويد ابن مقرّن للفرّخان إصبهبذ خراسان على طبرستان وجيل جيلان من أهل العدوّ؛ إنك آمن بأمان الله عزّ وجلّ على أن تكفّ لصوتك وأهل حواشي أرضك، ولا تؤوي لنا بغية، وتتّقي من ولي فرج أرضك بخمسمائة ألف درهم من دراهم أرضك فإذا فعلت ذلك فليس لأحد منا أن يغير عليك، ولا يتطرّق أرضك، ولا يدخل عليك إلاّ بإذنك؛ سبيلنا عليكم بالإذن آمنة؛ وكذلك سبيلكم، ولا تؤوون لنا بغية، ولا تسلّون لنا إلى عدوّ، ولا تغلّون، فإن فعلتم فلا عهد بيننا وبينكم. شهد سواد بن قطبة التميميّ، وهند بن عمرو المراديّ، وسماك ابن مخرمة الأسديّ، وسماك بن عبيد العبسيّ، وعتيبة بن النهّاس البكريّ. وكتب سنة ثمان عشرة[١].

جمل شؤون هذا الإقليم: هو إقليم حارّ إلا قومس، كثير المياه والامطار ليس به نهر تجري فيه السفن إلا بناحية الخزر، أشر مياهه وهوائه بجرجان وهو قشف مؤذ كثير الذمة ولا يعمل فيه النخيل.

ومذاهبهم مختلفة، أما قومس وأكثر أهل جُرجان وبعض **طبرستان** فحنفيون **والباقون** حنابلة وشفعوية، ولا ترى ببيار صاحب حديث إلا شفعوياً، والنجارية بجرجان كثيرة، وللكرامية بجرجان وبيار و**جبال طبرستان** خوانق، وللشيعة بجرجان وطبرستان جلبة. فإن قال قائل: ألم تقل انه ليس ببيار مبتدع؟ ثم قلت: أن بها كرامية، قيل له: الكرامية أهل زهد وتعبد، ومرجعهم إلى أبي حنيفة، وكل من رجع إلى أبي حنيفة أو إلى مالك أو إلى الشافعي أو إلى أئمة الحديث الذين لم يغلوا فيه، ولم يفرطوا في حب معاوية ولم يشبهوا الله ويصفوه بصفات المخلوقين فليس بمبتدع[٢].

طَبَرِستانُ: بفتح أوله وثانيه، وكسر الراء، قد ذكرنا معنى الطبر قبله، واستان: الموضع أو الناحية، كأنه يقول: ناحية الطبر، وسنذكر سبب تسمية هذا الموضع بذلك، والنسبة إلى هذا الموضع الطَبَري؛ قال البُحتري:
وأقيمَت به القيامَة في قَمِّ على خالع وعات عنيد وثنى معلماً إلى طبرستان بخيل يَرْحَن تحت اللُبود وهي بلدان واسعة كثيرة يشملها هذا الاسم؛ خرج من نواحيها من لا يُحصى كثرة من أهل العلم والادب والفقه، والغالب على هذه النواحي الجبال، فمن أعيان بُلدانها دهستان وجرجان واستراباذ وآمُل، وهي قصبتها، وسارية، وهي مثلها، وشالوس، وهي مقاربة لها، وربما عُدّت جرجان من خراسان إلى غير ذلك من البلدان، وطبرستان في البلاد المعروفة بمازَنْدَران، ولا ادري متى سُميت بمازندران فانه اسم لم نجده في الكتب القديمة وإنما يُسمَع من افواه اهل تلك البلاد ولا شك أنهما واحد، وهذه البلاد مجاورة لجيلان وديلمان، وهي بين الرّي وقومس والبحر وبلاد الديلم والجيل، رأيت اطرافها وعاينتُ جبالها، وهي كثيرة المياه متهدّلة الأشجار كثيرة الفواكه إلا أنها مخيفة وخمَة قليلة الارتفاع كثيرة الإختلاف والنّزاع، ... وقد كان في القديم أول طبرستان آمُل ثم مامَطير، وبينها وبين امل ستة فراسخ، ثم ويمة، وهي من مامطير على ستة فراسخ، ثم سارية ثم طميس، وهي من سارية على ستة عشر فرسخاً، هذا اخر حدّ طبرستان وجرجان، ومن ناحية الديم على خمسة فراسخ من آمُل مدينة يقال لها ناتل ثم شالوس، وهي ثغر الجبل، هذه مُدُنُ السهل، وأما مدن الجبل فمنها مدينة يقال لها الكَلار ثم تليها مدينة صغيرة يقال لها سعيداباذ ثم الرويان، وهي أكبر مدن الجبل، ثم في الجبل من ناحية حدود خراسان مدينة يقال لها تَمار وشَرْز ودهستان، فإذا جُزت الارْز وقعت في جبال وَنْداد هُرمُز، فإذا جزت هذه الجبال وقعت في جبال شروين، وهي مملكة ابن قارن، ثم الديلم وجيلان؛ . الحموي، معجم البلدان، ج ٤ ص ١٣ - ١٤.

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ص ٦٨٩ ، طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي.

٢ - المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، النسخة الرقمية
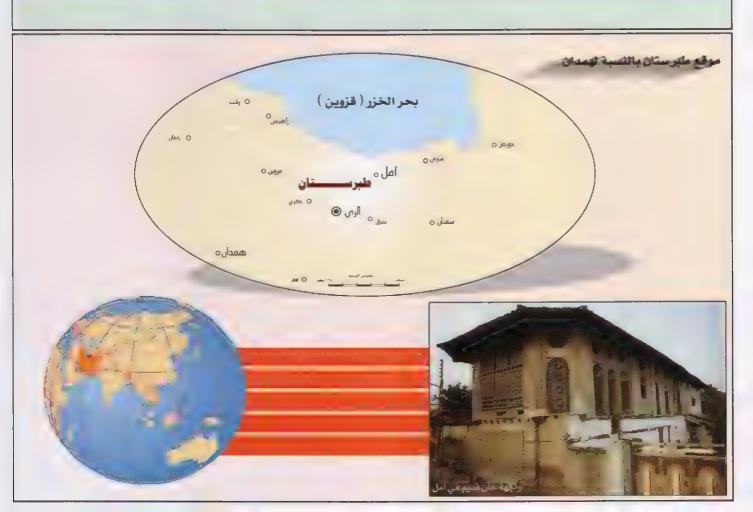
فتح أذربيجان

سنة ٢٢ من الهجرة

قال أبو جعفر: لما افتتح نعيم همذان ثانية، وسار إلى الرَّيّ من واج روذ، كتب إليه عمر: أنّ يبعث سماك بن خرشة الأنصاريّ ممدّاً لبكير بن عبد الله بأذربيجان؛ فأخّر ذلك حتى افتتح الريّ، ثم سرّحه من الرّيّ، فسار سماك نحو بكير بأذربيجان؛ وكان سماك بن خرشة وعتبة بن فرقد من أغنياء العرب؛ وقدما الكوفة بالغنى؛ وقد كان بكير سار حين بعث إليها؛ حتى إذا طلع بحيال جرميذان – طلع عليهم إسفندياذ بن الفرّخزاذ مهزوماً من واج روذ، فكان أوّل قتال لقيه بأذربيجان، فاقتتلوا، فهزم الله جنده؛ وأخذ بكير **إسفندياذ أسيراً**، فقال له إسفندياذ: الصلح أحب إليك أم الحرب؟ قال: بل الصلح، قال: فأمسكني عندك؛ فإنّ أهل أذربيجان إن لم أصالح عليهم أو أجيء لم يقيسوا لك، وجلوا إلى الجبال التي حولها من القبج والروم ومن كان على التحصّن تحصّن إلى يوم ما، فأمسكه عنده، فأقام وهو في يده، وصارت البلاد إليه إلاّ ما كان من حصن. وقدم عليه سماك بن خرشة ممدّاً وإسفندياذ في إساره، وقد افتتح ما يليه، وافتتح عتبة بن فرقد ما يليه. وقال بكير لسماك مقدمه عليه، ومازحه: ما الذي أصنع بك وبعتبة بأغنيين؟ لئن أطعت ما في نفسي لأمضينّ قدما ولأخلفنّكما، فإن شئت أقمت معي، وإن شئت أتيت عند فقد أذنت لك، فإني لا أراني إلاّ تارككما وطالباً وجهاً هو أكره من هذا. فاستعفى عمر؛ فكتب إليه بالإذن على أن يتقدّم نحو الباب؛ وأمره أن يستخلف على عمله، فاستخلف عتبة على الذي افتتح منها، ومضى قدما، ودفع إسفندياذ إلى عتبة، فضمّه عتبة إليه، وأمّر عتبة سماك ابن خرشة – وليس بأبي دجانة – على عمل بكير الذي كان افتتح، وجمع عمر أذربيجان كلّها لعتبة بن فرقد قالوا: وقد كان بهرام بن الفرّخزاذ أخذ بطريق عتبة بن فرقد، وأقام له في عسكره حتى قدم عليه عتبة، فاقتتلوا، فهزمه عتبة، وهرب بهرام. فلما بلغ الخبر بهزيمة بهرام ومهربه إسفندياذ وهو في الإسار عند بكير، قال: الآن تمّ الصّلح، وطفئت الحرب، فصالحه، وأجاب إلى ذلك كلهم، وعادت أذربيجان سلماً، وكتب بذلك بكير وعتبة إلى عمر، وبعثوا بما خمّسوا مما أفاء الله عليهم، ووفّدوا الوفود بذلك؛ وكان بكير قد سبق عتبة بفتح ما ولى، وتمّ الصلح بعد ما هزم عتبة بهرام. وكتب عتبة بينه وبين أهل أذربيجان كتاباً حيث جمع له عمل بكير إلى عمله: **بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عتبة بن فرقد، عامل عمر بن الخطّاب أمير المؤمنين أهل أذربيجان – سهلها وجبلها وحواشيها وشفارها وأهل مللها – كلّهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم؛ على أن يؤدّوا الجزية على قدر طاقتهم، ليس على صبيّ ولا امرأة ولا زمن لي في يديه شيء من الدنيا، ولا متعبّد متخلّ ليس في يديه من الدنيا شيء، لهم ذلك ولمن سكن معهم؛ وعليهم قرى المسلم من جنود المسلمين يوماً وليلة ودلالته، ومن حشر منهم في سنة وضع عنه جزاء تلك السنة، ومن أقام فله مثل ما لمن أقام من ذلك، ومن خرج فله الأمان حتى يلجأ إلى حرزه. وكتب جندب، وشهد بكير بن عبد الله الليثي وسماك بن خرشة الأنصاريّ**. وكتب في سنة ثمان عشرة.

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ص ٦٨٩ - ٦٩٠، طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي.

فتح أذربيجان سنة ٢٢ هـ
داغستان
جورجيا
كرجستان
أرمينية
أذربيجان
كردستان
إيران
دربند
(باب الأبواب)
محاتشكالا
سلبس (تفليس)
شكي
ليسكان
سمور
كيروف
برذا
شروان
شماخه
باكو
اليان
ساجات
موقان
أردبيل
تبريز
أرومية
مراغة
خونج
رشت
قزوين
الري
زرند
قم
همدان
سنندج
حلوان
نهاوند
الموصل
اربيل
كركوك
سقر
خوي
جيش عتبة بن فرقد
جيش بكير بن عبد الله
(قزوين)
بحر الخزر
صفر ٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠ ٢٥٠ كم

أذربيجان: بالفتح، ثم السكون، وفتح الراء، وكسر الباء الموحدة، وباء ساكنة، وجيم: هكذا جاء في شعر الشمّاخ:

تذكّرتها وهْناً، وقد حال دونها قُرى أذْرَبيجانَ المسالحُ والجال

وقد فتح قومٌ الذال، وسكّنوا الراءَ؛ ومدّ آخرون الهمزة مع ذلك. وروي عن المهلب، ولا أعرف المهلَّبَ هذا، آذْرِبيَجان، بمد الهمزة، وسكون الذّال، فيلتقي ساكنان، وكسر الراء، ثم ياء ساكنة، وباءٌ موحدة مفتوحة، وجيم، وألف، ونون. قال أبو عون إسحاق بن علي في زيجه: أذربيجان في الإقليم الخامس، طولها ثلاث وسبعون درجة، وعرضها أربعون درجة. قال النَّحويون: النسبة إليه أَذَريٌّ، بالتحريك، وقيل: أذْري بسكون الذال، لأنه عندهم مركب من أذر وبيجان، فالنسبة إلى الشطر الأول، وقيل أذْرَبي: كلٌّ قد جاءَ. ... وقيل: بل أذر اسم النار بالفهلوية، وبايكان معناه الحافظ والخازن، فكأن معناه بيت النار، أو خازن النار؛ وهذا أشبه بالحق وأحرى به، لأن بيوت النار في هذه الناحية كانت كثيرة جداً. وحَدُّ أذربيجان من بَرْذَعة مشرقاً إلى أرزنجان مغرباً؛ ويتّصل حدُّها من جهة الشمال ببلاد الديلم، والجيل، والطَّرْم، وهو إقليم واسع. ومن مشهور مدائنها: تبريز، وهي اليوم قصبتها وأكبر مُدُنها، وكانت قصبتها قديماً المَراغة؛ ومن مدنها خُوَيّ، وسَلَماس، وأُرمية، وأرْدَبيل، ومَرَند، وغير ذلك. وهو صُقْع جليل، ومملكة عظيمة. الغالب عليها الجبال؛ وفيه قلاع كثيرة، وخيرات واسعة، وفواكه جمة، ما رأيت ناحية أكثر بساتين منها، ولا أغزر مياهاً وعيوناً، لا يحتاج السائر بنواحيها إلى حمل إناء للماء، لأن المياه جارية تحت أقدامه أين توجه، وهو ماءٌ بارد عذب صحيح. وأهلها صِبَاحُ الوجوه حُمْرها، رقاق البَشَرَة، ولهم لغة يقال لها: الأذرية، لا يَفهمُها غيرهم. وفي أهلها لين وحُسنُ معاملة، إلا أن البُخلَ يَغلب على طباعهم. وهي بلاد فتنة وحروب، ما خَلت قط منها، فلذلك أكثرُ مُدُنها خراب، وقُراها يباب. وفي أيامنا هذه، في مملكة جلال الدين منكبرني بن علاء الدين محمد بن تكش خوارزم شاه. وقد فتحت أولاً في أيام عمر بن الخطاب، رضي الله عنه. وكان عمر قد أنفذ المغيرة بن شُعْبة الثَّقفي والياً على الكوفة، ومعه كتابٌ إلى حُذَيْفة بن اليمان، بولاية أذربيجان، فورد الكتاب على حذَيفة وهو بنهاوند، فسار منها إلى أذربيجان في جيش كثيف، حتى أتى أردبيل، وهي يومئذ مدينة أذربيجان. وكان مرزبانها قد جمع المقاتلة من أهل باجروان، وميمَذ، والبذّ، وسراو، وشيز، والميانج، وغيرها، فقاتلوا المسلمين قتالاً شديداً أياماً. ثم إن المرزبان صالح حذيفة على جميع أذربيجان، على ثمانمائة ألف درهم وزن، على أن لا يقتُل منهم أحداً، ولا يَسبيه، ولا يهدم بيت نار، ولا يعرض لأكراد البَلاشجان، وسَبَلان، وميان روذان، ولا يمنع أهل الشيز خاصَّةً من الزّفْن في أعيادهم، وإظهار ما كانوا يُظهرونه. ثم إنه غزا مُوقان، وجيلان، فأوْقَعَ بهم، وصالحهم على إتاوة. ثم إنَّ عمرَ، رضي الله عنه، عزل حذيفة، وولّى عُتْبَة بن فَرْقَد على أذربيجان، فأتاها من الموصل؛ ويقال: بل أتاها من شهرزور على السَّلَق الذي يُعْرَف بمعاوية الأذري، فلما دخل أردبيل، وجد أهلها على العهْد، وقد انتقضتْ عليه نوَاح فغزاها وظفر وغنم، فكان معه ابنه عمرو بن عتبة بن فرقد الزاهد؛ وعن الواقدي: غزا المغيرة بن شُعبة أذربيجان من الكوفة، سنة اثنتين وعشرين، ففتحها عنوة، ووضع عليها الخراج. وروى أبو المنذر هشام بن محمد عن أبي مخنَف، أن المغيرة بن شُعبة غزا أذربيجان في سنة عشرين ففتحها، ثم إنهم كفروا، فغزاهم الأشعث بن قيس الكندي، ففتح حصن جابَرْوان، وصالحهم على صلح المغيرة، ومضى صُلْحُ الأشعث إلى اليوم. وقال المدائني: لما هُزِمَ المشركون بنهاوند، رجع الناس إلى أمصارهم، وبقي أهل الكوفة مع حذيفة، فغزا بهم أذربيجان، فصالحهم على ثمانمائة ألف درهم، ولما استعمل عثمان بن عفان، رضي الله عنه، الوليدَ بن عقبة على الكوفة، عزل عتبة بن فرقد عن أذربيجان، فنقضوا، فغزاهم الوليد بن عقبة سنة خمس وعشرين، وعلى مقدمته عبد الله بن شُبَيْل الأحمَسي، فأغار على أهل موقان، والتبريز، والطَّيْلسان، فغنم وسبا، ثم صالح أهل أذربيجان على صُلْح حذيفة. الحموي. معجم البلدان، ج ١ ص ١٢٨ - ١٢٩
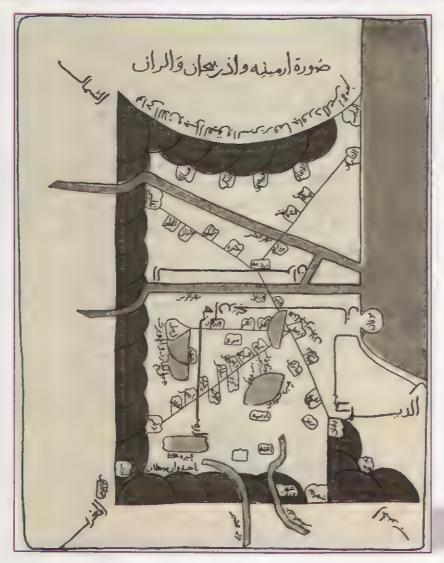
صورة أرمينية وأذربيجان والران لابن حوقل النصيبي، المتوفى سنة ٣٦٧ هـ.

قال ابن حوقل ... والذي ابتدأ به أرمينية والران وأذربيجان، وقد جعلتُها أقليماً واحداً لأنها مملكة إنسان واحد فيما شاهدته سائر عمري، وما نُقِلَت الأخبار به لم تقدَّمني ... والذي يحيط به مما يلي المشرق فالجبال والديلم وغربي بحر الخزر، والذي يحيط به مما يلي المغرب حدود الأرمن واللان وشيء من حدود الجزيرة، والذي يحيط به من الشمال فاللان وجبال القبق، والذي يحيط به من الجنوب حدود العراق وشيء من حدود الجزيرة . وهذه صورة أرمينية وأذربيجان والران ـ انظر خريطة ابن حوقل في الأعلى ـ، وأكمل هذه النواحي **أذربيجان** وأكبر مدنها **أردبيل** وأجلّها ... ويلي أردبيل في الكبر المراغة وكانت في قديم الأيام المعسكر ودار الإمارة وخزانة دواوين الناحية بها ... ويلي المراغة في الكبر أرمية (أرومية) وهي مدينة نزهة: كثيرة الكروم، والمياه الجارية في المدينة والضياع والرساتيق، وافرة الحظ من التجارات والغلات وبينها وبين المراغة بحيرة كبوذان (رضائية) ... والميانج والخونج وداخرقان وخوى وسلماس، ومرند وتبريز وبرزند وورثان وموقان والبيلقان والجابروان؛ فهي مدن صغار متقاربة في الكبر والاقتصاد ... . صورة الأرض، ص ٢٨٥ ـ ٢٨٩ .
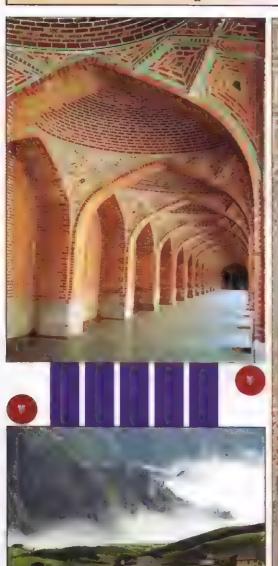
١ أحد مزارات الشيعة في أذربيجان

٢ أحد مساجد تبريز الأثرية

٣ قرية من قرى أردبيل

٤ معبد نار مجوسي في باكو

٥ الممر المؤدي إلى المرصد الفلكي الذي بناه المغول

١ باكو عاصمة أذربيجان

٢ مرئية فضائية لبحيرة أرومية (رضائية)

٣ بحيرة أرومية (كبوذان - رضائية)

فتح دربند (باب الأبواب) وموقان

سنة ٢٢ من الهجرة

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة كان فتح الباب في قول سيف وروايته، قال: وقالوا - يعني الذين ذكرت أسماءهم قبل: ردّ **عمر** أبا موسى إلى البصرة، وردّ سراقة بن عمرو - وكان يدعى ذا النور - إلى الباب، وجعل على مقدّمته عبد الرحمن بن ربيعة - وكان أيضاً يدعى ذا النور - وجعل على إحدى المجنّبتين حذيفة بن أسيد الغفاريّ، وسمّى للأخرى بكير بن عبد الله الليثيّ - وكان بإزاء الباب قبل قدوم سراقة بن عمرو عليه، وكتب إليه أن يلحق به - وجعل على المقاسم سلمان بن ربيعة. فقدّم سراقة عبد الرحمن بن ربيعة، وخرج في الأثر، حتى إذا خرج من أذربيجان نحو الباب، قدم على بكير في أداني الباب، فاستدفّ ببكير، ودخل بلاد الباب على ما عبّاه عمر. وأمدّه عمر بحبيب بن مسلمة، صرفه إليه من الجزيرة، وبعث زياد بن حنظلة مكانه على الجزيرة. ولما أطلّ عبد الرحمن بن ربيعة على الملك بالباب - والملك بها يومئذ شهربراز، واستأمنه على أن يأتيه، ففعل فأتاه، فقال: إنّي بإزاء عدوّ كلب وأمم مختلفة، لا ينسبون إلى أحساب، وليس ينبغي لذي الحسب والعقل أن يعين أمثال هؤلاء، ولا يستعين بهم على ذوي الأحساب والأصول، وذو الحسب قريب ذي الحسب حيث كان، ولست من القبج في شيء؛ ولا من الأرمن؛ وإنكم قد غلبتم على بلادي وأمتي، فأنا اليوم منكم ويدي مع أيديكم، وصغوى معكم، وبارك الله لنا ولكم، وجزيتنا إليكم النصر لكم، والقيام بما تحبّون، فلا تذلّونا بالجزية فتوهنونا لعدوّكم. فقال عبد الرحمن: فوقي رجل قد أظلك فسر إليه، فجوّزه، فسار إلى سراقة فلقيه بمثل ذلك، فقال سراقة: قد قبلت ذلك فيمن كان معك على هذا ما دام عليه، ولا بدّ من الجزاء ممّن يقيم ولا ينهض. فقبل ذلك، وصار سنّة فيمن كان يحارب العدوّ من المشركين، وفيمن لم يكن عنده الجزاء، إلاّ أن يستنفروا فتوضع عنهم جزاء تلك السنة. وكتب سراقة إلى **عمر بن الخطاب** بذلك، فأجازه وحسّنه، وليس لتلك البلاد التي في ساحة تلك الجبال نبك لم يقم الأرمن بها إلاّ على أوفاز؛ وإنما هم سكان ممّن حولها ومن الطرّاء استأصلت الغارات نبكها من أهل القرار، وأرز أهل الجبال منهم إلى جبالهم، وجلوا عن قرار أرضهم، فكان لا يقيم بها إلا الجنود ومن أعانهم أو تجر إليهم؛ واكتتبوا من سراقة بن عمرو كتاباً: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى سراقة بن عمرو عامل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شهربراز وسكان أرمينية والأرمن من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وملّتهم ألاّ يضارّوا ولا ينتقضوا، وعلى أهل أرمينية والأبواب؛ الطرّاء منهم والتّناء ومن حولهم فدخل معهم أن ينفروا لكلّ غارة، وينفذوا لكلّ أمر ناب أولم ينب رآه الوالي صلاحاً؛ على أن توضع الجزاء عمّن أجاب إلى ذلك إلاّ الحشر، والحشر عوضٌ من جزائهم ومن استغنى عنه منهم وقعد فعليه مثل ما على أهل أذربيجان من الجزاء والدلالة والنّزل يوماً كاملاً، فإن حشروا وضع ذلك عنهم، وإن تركوا أخذوا به. شهد عبد الرحمن بن ربيعة، وسلمان ابن ربيعة، وبكير بن عبد الله. وكتب مرضيّ بن مقرّن وشهد [1].

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ص ٦٩٠، طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي

ووجّه سراقة بعد ذلك بكير بن عبد الله وحبيب بن مسلمة وحذيفة بن أسيد وسلمان بن ربيعة إلى أهل تلك الجبال المحيطة بأرمينية، فوجّه بكيراً إلى **موقان**، ووجه حبيباً إلى **تفليس**، وحذيفة بن أسيد إلى من بجبال **اللآن**، وسلمان ابن ربيعة إلى الوجه الآخر، وكتب سراقة بالفتح وبالذي وجّه فيه هؤلاء النفر إلى **عمر بن الخطاب**، فأتى عمر أمر لم يكن يرى أنه يستتمّ له على ما خرج عليه في سريع بغير مؤونة. وكان فرجاً عظيماً به جند عظيم، إنما ينتظر أهل فارس صنيعهم، ثم يضعون الحرب أو يبعثونها.

فلما استوسقوا واستحلوا عدل الإسلام مات سراقة. واستخلف عبد الرحمن ابن ربيعة، وقد مضى أولئك القوّاد الذين بعثهم سراقة، فلم يفتح أحد منهم ما وجّه له إلاّ بكير فإنه فضّ موقان، ثم تراجعوا على الجزية، فكتب لهم: **بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى بكير بن عبد الله أهل موقان من جبال القبج الأمان على أموالهم وأنفسهم وملّتهم وشرائعهم على الجزاء، دينار على كلّ حالم أو قيمته، والنصح، ودلالة المسلم ونزله يومه وليلته، فلهم الأمان ما أقرّوا ونصحوا، وعلينا الوفاء؛ والله المستعان. فإن تركوا ذلك واستبان منهم غشّ فلا أمان لهم إلا أن يسلموا الغششة برمّتهم؛ وإلاّ فهم متمالئون. شهد الشمّاخ بن ضرار والرسارس بن جنادب، وحملة بن جويّة. وكتب سنة إحدى وعشرين.**

قالوا: ولما بلغ عمر موت سراقة واستخلافه عبد الرحمن بن ربيعة أقرّ عبد الرحمن على فرج الباب، وأمره **بغزو الترك**، فخرج عبد الرحمن بالناس حتى قطع الباب، فقال له شهربراز: ما تريد أن تصنع؟ قال: أريد بلنجر؛ قال: إنّا لنرضى منهم أن يدعونا من دون الباب. قال: لكنّا لا نرضى منهم بذلك حتى نأتيهم في ديارهم؛ وتالله إنّ معنا لأقواماً لو يأذن لنا أميرنا في الإمعان لبلغت بهم لاردم. قال: وما هم؟ قال: **أقوام صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلّم ودخلوا في هذا الأمر بنيّة**، كانوا أصحاب حياء وتكرّم في الجاهلية، فازداد حياؤهم وتكرّمهم، فلا يزال هذا الأمر دائماً لهم، ولا يزال النصر معهم حتى يغيّرهم من يغلبهم، وحتى يلفتوا عن حالهم بمن غيّرهم. فغزا بلنجر غزاة في زمن عمر لم تئم فيها امرأة، ولم ييتم فيها صبيّ، وبلغ خيله في غزاتها البيضاء على رأس مائتي فرسخ من بلنجر، ثم غزا فسلم؛ ثمّ غزا غزوات في زمان عثمان، وأصيب عبد الرحمن حين تبدّل أهل الكوفة في إمارة عثمان لاستعماله من كان ارتدّ استصلاحاً لهم، فلم يصلحهم ذلك، وزادهم فساداً أن سادهم من طلب الدنيا، وعضّلوا بعثمان حتى جعل يتمثل:

وكنت وعمراً كالمسمّن كلبه ... فخدّشه انيابه واظافره

قال أبو جعفر: كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن الغصن بن القاسم، عن رجل، عن سلمان بن ربيعة، قال: لما دخل عليهم عبد الرحمن بن ربيعة حال الله بين **الترك والخروج عليه**، وقالوا: ما اجترأ علينا هذا الرجل إلاّ ومعه الملائكة تمنعه من الموت؛ فتحصنوا منه وهربوا، فرجع بالغنم والظّفر، وذلك في إمارة عمر؛... وفي هذه السنة عدّل عمر فتوح أهل الكوفة والبصرة بينهم [1].

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ص ٦٩١ ، طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي

بـابُ الأبْـواب: ويقال له الباب، غير مضاف، والباب والأبواب: وهـو الدَّرْبَنْد دربند شروان: قال الإصطخري: وأما باب الأبواب فإنها مدينة ربما أصاب ماءُ البحر حائطها، وفي وسطها مَرْسى السُّفُن، وهذا المرسى من البحر قد بُنِيَ على حافتي البحر سُدَّين، وجُعل المدخلُ مُلْتَوياً، وعلى هذا الفم سلسلة ممدودة فلا مَخْرَجَ للمركب ولا مَدْخَلَ إلا بإذنٍ، وهذان السُّدَّان من صخر ورصاص؛ وباب الأبواب على بحر طبرستان، وهو بحر الخَزَر، وهي مدينة تكون أكبر من أردبيل نحو ميلين في ميلين، ولهم زروع كثيرة وثمار قليلة إلا ما يُحمل إليهم من النواحي، وعلى المدينة سور من الحجارة ممتدٌّ من الجبل طولاً في غير ذي عرض، لا مسلك على جبلها إلى بلاد المسلمين لدُرُوس الطرق وصعوبة المسالك من بلاد الكفر إلى بلاد المسلمين، ومع طول السور فقد مَدَّ قطعة من السور في البحر شبه أنف طولانيّ ليمنعَ من تقارُب السُّفن من السور، وهي محكمة البناء موثّقة الأساس من بناء أنو شروان، وهي أحد الثغور الجليلة العظيمة لأنها كثيرة الأعداء الذين حَفُّوا بها من أُمم شَتَّى وألسنة مختلفة وعدد كثير، وإلى جنبها جبل عظيم يعرف بالذئب، يُجمع في رأسه في كلّ عام حطب كثير ليُشعلوا فيه النار، إن احتاجوا إليه، يُنذرون أهل أذربيجان وأرّان وأرمينية بالعدوّ إن دَهِمَهم؛ وقيل: إن في أعلى جبلها، الممتدّ المتصل بباب الأبواب نيفاً وسبعين أُمة لكلّ أمة لغة لا يعرفها مجاورهم، وكانت الأكاسرة كثيرة الاهتمام بهذا الثغر لا يَفْتُرون عن النظر في مصالحه لعظم خَطَره وشدة خوفه، وأُقيمت لهذا المكان حفظة من ناقلة البلدان وأهل الثقة عندهم لحفظه، وأُطلق لهم عمارة ما قدروا عليه بلا كُلْفة للسلطان ولا مؤامرة فيه ولا مراجعة حِرْصاً على صيانته من أصناف الترك والكفر والأعداء؛ فممن رتبوا هناك من الحفظة أُمةٌ يقال لهم طَبَرْسَران، وأُمة إلى جنبهم تُعْرَف بفيلان. وأمة يعرفون باللكز كثير عددهم عظيمة شَوْكتهم، والليران وشِرْوان وغيرهم، وجُعل لكل صنف من هؤلاء مركزٌ يحفظه، وهم أُولو عدد وشدّة رجالة وفُرسان: وباب الأبواب فرضة لذلك البحر، يجتمع إليه الخزر والسرير وشنذان وخَيزان وكرج ورُقْلان وزِريكران وغُميك، هذه من جهة شماليها، ويجتمع إليه أيضاً من جرجان وطبرستان والدَّيْلَم والجبل؛ وقد يقع بها شغل ثياب كتّان، وليس بأرَّان وأرمينية وأذربيجان كتّان إلا بها وبرساتيقها، وبها زعفران، ويقع بها من الرقيق من كل نوع؛ وبجنبها مما يلي بلاد الإسلام رستاق يقال له مسقط، ويليه بلدُ اللكز، وهم أُمم كثيرة ذوو خَلْقٍ وأجسام وضياع عامرة وكور مأهولة فيها أحرارٌ يُعرفون بالخماشرة، وفوقهم الملوك ودونهم المشاق. وبينهم وبين باب الأبواب بلد طبرسران شاه، وهم بهذه الصفة من البأس والشدة والعمارة الكثيرة، إلا أن اللكز أكثر عدداً وأوسعُ بلداً وفوق ذلك فيلان وليس بكورة كبيرة، وعلى ساحل هذا البحر دون المسقط مدينة الشابران، صغيرة حصينة كثيرة الرساتيق؛ وأما المسافات فمن إتِل مدينة الخزر إلى باب الأبواب اثنا عشر يوماً، ومن سَمَنْدَر إلى باب الأبواب أربعة أيام، وبين مملكة السرير إلى باب الأبواب ثلاثة أيام: وقال أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني: وباب الأبواب أفواهُ شعاب في جبل القَبْق فيها حصون كثيرة، منها: باب صُول وباب اللاّن وباب الشابران وباب لازقة وباب بارقة وباب سَمِسْجَن وباب صاحب السرير وباب فيلانشاه وباب طارونان وباب طبرسران شاه وباب إيران شاه؛ وكان السبب في بناء باب الأبواب على ما حدّث به أبو العباس الطوسي، قال: هاجت الخزر مرّة

في أيام المنصور فقال لنا: أتدرون كيف كان بناءُ أنو شروان الحائط الذي . يقال له الباب؟ قُلْنا: لا، قال: كانت الخزر تُغير في سلطان فارس حتى تبلغ همذان والموصل، فلما ملك أنوشروان بعث إلى ملكهم فخطب إليه ابنته على أن يزوّجه إياها ويعطيه هو أيضاً ابنته ويتوادعا ثم يتفرّغا لأعدائهما، فلما أجابه إلى ذلك عمد أنوشروان إلى جارية من جواريه نفيسة فوجه بها إلى ملك الخزر على أنها ابنته وحَمَّلَ معها ما يُحمل مع بنات الملوك، وأهدى خاقان إلى أنوشروان ابنته: فلما وصل إليه كتب إلى ملك الخزر: لو التقينا فأوجبنا المودَّة بيننا، فأجابه إلى ذلك وواعده إلى موضع سماه ثم التقيا فأقاما أياماً، ثم إن أنوشروان أمر قائداً من قُوَّاده أن يختار ثلاثمائة رجل من أشدَّاء أصحابه فإذا هَدَأت العيونُ أغار في عسكر الخزر فحرق وعقر ورجع إلى العسكر في خفاء، ففعل، فلما أصبح بعث إليه خاقان: ما هذا؟ بَيَّتَّ عسكري البارحة! فبعث إليه أنوشروان: لم تُؤتَ من قِبَلنا فابحث وانظُرْ؛ ففعل فلم يقف على شيء، ثم أمهلَهُ أياماً وعاد لمثلها حتى فعل ثلاث مرات وفي كلها يعتذر ويسأله البحث، فيبحث فلا يقف على شيء، فلما أثقل ذلك على خاقان دعا قائداً من قُوَّاده وأمره بمثل ما أمر به أنوشروان، فلما فعل أرسل إليه أنوشروان. ما هذا؟ استُبيحَ عسكري الليلة وفُعِلَ بي وصُنِعَ! فأرسل إليه خاقان: ما أسرَعَ ما ضَجِرْتَ! قد فُعِلَ هذا بعسكري ثلاث مرات وإنما فُعِلَ بك أنتَ مَرَّةً واحدة. فبعث إليه أنوشروان: هذا عملُ قوم يريدون أن يفسدوا فيما بيننا، وعندي رأيٌ لو قبلتَهُ رأيت ما تُحِبُّ؛ قال: وما هو؟ قال: تَدَعُني أن أبني حائطاً بيني وبينك وأجعل عليه باباً فلا يدخُلَ بلدك إلا من تحبُّ ولا يدخل بلدي إلا من أُحبُّ؛ فأجابه إلى ذلك، وانصرف خاقان إلى مملكته؛ وأقام أنوشروان يبني الحائط بالصخر والرصاص، وجعل عرضه ثلاثمائة ذراع وعَلَّاه حتى ألحقه برؤوس الجبال ثم قاده في البحر، فيقال: إنه نفخ الزقاق وبنى عليها فأقبلَتْ تنزل والبناء يَصعدُ حتى استقرت الزقاق على الأرض، ثم رفع البناء حتى استوى مع الذي على الأرض في عرضه وارتفاعه، وجعل عليه باباً من حديد، ووكّل به مائة رجل يحرسونه بعد أن كان يحتاج إلى مائة ألف رجل، ثم نصب سريره على الفِنْدِ الذي صنعه على البحر وسجد مسروراً بما هيأه الله على يده: ثم استلقى على ظهره وقال: الآن حين استرحت؛ قال: ووصف بعضهم هذا السُّدُّ الذي بناه أنوشروان فقال: إنه جعل طرفاً منه في البحر فأحكمه إلى حيث لا يتهيأ سلوكه، وهو مبني بالحجارة المنقورة المربعة المهندمة لا يُقلُّ أصغرَها خمسون رجلاً، وقد أُحكمت بالمسامير والرصاص، وجُعِلَ في هذه السبعة فراسخ سبعة مسالك على كلّ مسلك مدينة، ورُتِّبَ فيها قوم من المقاتلة من الفُرْس يقال لهم الانشاستكين، وكان على أرمينية وظائف رجالٍ لحراسة ذلك السور مقدار ما يسير عليه عشرون رجلاً بخيْلهم لا يتزاحمون. وذكر أن بمدينة الباب على باب الجهاد فوق الحائط أُسطوانتين من حجر، على كل أُسطوانة تمثال أسد من حجارة بيض، وأسفل منهما حجرين على كل حجر تمثال لَبُوَتَيْن، وبقُرْب الباب صورة رجل من حجر وبين رجليه صورة ثعلب في فمه عنقود عنب، وإلى جانب المدينة صهريج معقود له درجة يُنزل إلى الصهريج منها إذا قل ماؤه، وعلى جنبي الدرجة أيضاً صورتا أسد من حجارة يقولون إنهما طِلَّسْمان للسور. الحموي. معجم البلدان. ج ٥، ص ٣١٣.

فتح دربند وموقان سنة ٢٢ هـ
موقان: بالضم ثم السكون وقاف، وآخره نون، قال ابن الكلبي: موقان وجيلان وهما أهل طبرستان ابنا كماشج من يافث بن نوح عليه السلام، وأهله يسمّونه موغان، بالغين المعجمة، وهي عجمية، ويجوز أن يجعل جمعاً للمُوق وهو الحُمق، ولاية فيها قرى ومروج كثيرة تحتلها التركمان للرّعي فأكثر أهلها منهم، وهي بأذربيجان يمرّ القاصد من أردبيل إلى تبريز في الجبال ... . الحموي، معجم البلدان، مادة موقان.
بعد فتح دربند توفي سراقة، وقد استخلف عبد الرحمن بن ربيعة على الجيش، حيث مضى القادة بقواتهم على ما كلفوا به، ولم يفتح أحدٌ منهم ما وُجِّه إليه فيما عدا بُكير بن عبد الله فقد فتح موقان، ثم اتفقوا على الجزية، وكتب كتاباً لشعب موقان بذلك.
داغستان
جروزني
أوردجونيكيدزة
مخاشكالا
جورجيا
جوري
دربند (باب الأبواب)
جيش عبد الرحمن بن ربيعة
حبيب بن مسلمة
تبليسي (تفليس)
كرجستان
شكي
ليبسكان
سمور
كبروف
كنجه
شروان
شماخه
بردا
باكو
بحر الخزر (قزوين)
بربعان
أذربيجان
امرى
أرمينية
الياث
ساجات
موقان
ناخيتشيفان
جيش بكير بن عبد الله ينضم إلى جيش سراقة بن عمرو.
خوي
أردبيل
تبريز
أرومية
مراغة
خونج
رشت
الجيش الإسلامي إلى دربند بقيادة سراقة ابن عمرو الأنصاري رضي الله عنه.
زنجان
الموصل
اربيل
سقز
قزوين
كردستان
بيجار
كركوك
الري
سنندج
زرند
إيران
حلوان
همدان
قم
نهاوند
صفر ٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠ ٢٥٠ كم

نماذج من المخطوطات العربية في باكو، تصوير معالي الشيخ / محمد بن ناصر العبودي

مدينة دربند (باب الأبواب) كما ترى من القلعة، تصوير معالي الشيخ / محمد بن ناصر العبودي

معالي الشيخ / محمد بن ناصر العبودي ووفد رابطة العالم الإسلامي على شاطئ بحر الخزر (قزوين) في باكو

قال البحتري:

أتسلى عن الخطوب وآسـي	لمَحل من آل ساسـان، دَرْس
ذكرتنيهم الخطوب التوالي	ولقد تُذكرُ الخطوب وتنسي
وهم خافضون في ظل عـال	مُشْرف يُحسر العيونَ ويخسي
مُغلق بابه على جبل (القَبْق)	إلى دارتي خلاطٍ ومَكـس

مع باب الأبواب (دربند) :

قال شيخنا محمد بن ناصر العبودي في وصف باب الأبواب : لا أدري كيف أصف شعوري وأنا أقبل على باب الأبواب الذي سماه أسلافنا العرب بهذا الاسم لمناعته وصعوبة الدخول منه، ولم يراعوا الترجمة الحرفية لاسمه وهي (دربند) التي معناها الحرفي: الباب المغلق ومعناها الفقهي: الباب الذي يستحيل الدخول منه عنوة . ولكن الإسلام فتحه فتح قلوب لا فتح حروب لأن فتوحات الحروب تزول بزوال الفاتحين وأما هذا الباب الذي كان مغلقاً على غير المسلمين فإن المسلمين فتحوه ولم يبالوا لفتحه بالألوف الذين استشهدوا منهم في سبيل إعلاء كلمة الله ورفع راية التوحيد على هذه البلاد المنيعة في جبال القفج (القفقاس) . وقال الإخوة المرافقون ونحن على بلدة لا تبدو كبيرة: هذه دربند: لم يعرفوا أو ربما لم يريدوا أن يذكروا التسمية التاريخية الإسلامية (باب الأبواب) وتبادر إلى ذهني الزهو بالدخول مع الباب المغلق حسب الترجمة الحرفية لاسمها القديم الذي لاتزال تعرف به أو (باب الأبواب) الذي لا تزال ذكرى المعركة بل الملحمة التي خاضها المسلمون فيه حية تؤثر ولكنني عدت إلى التفكير في - دخولنا ودخول أسلافنا - إلى دربند ... ومن الغريب أن أسلافنا العرب قد سموا (دربند) باب الأبواب: لما سبق وسموها أيضاً بالباب وهم لايعرفون في ذلك الوقت أنها كما أنها باب الدخول إلى القبج الحصينة فإنها أيضاً تعتبر باباً للقارة الأوروبية فنحن عندما دخلنا هنا كنا من الناحية الجغرافية الشكلية قد دخلنا منها إلى القارة الأوروبية، وفارقنا القارة الآسيوية وأن كنا في الجميع داخل الاتحاد السوفيتي .

إلى الباب المغلق :

توجه الموكب بعد ذلك إلى رؤية السور العظيم الذي سُمي المكان من أجله بالفارسية الباب المغلق (دربند) وسماه العرب الباب، أو باب الأبواب . وهو جدير بأن يرى، بل جدير بأن نرحل إليه نحن العرب إذا كان ذلك للاتعاظ والاقتداء بالسلف في الجهاد في سبيل الله وركوب الصعاب في ذلك والتضحية بالنفس والنفيس في سبيل إعلاء كلمة الله ... صعد الموكب إلى الجبل المطل على مدينة دربند على طريق لا بأس به إلى أن وقف في ميدان صخري قد حفت به أفاريز من الصخور المنقوشة على هيئة حواجز شرفات المنازل وبدت منه مدينة دربند واضحة أكثر المناظر فيها وضوحاً مسجدها العتيد الذي يتطاول عمره إلى ما يقرب من ثلاثة عشر قرناً، وبقايا مسجد قديم لا تزال أعمدته منتصبة كأنها الشهود على مجد زال، وعـز أضاعه أهله فأضاعـوا أنفسهم، وهذا المسجـد المتهدم هو خارج العمارة في المدينة فوقها في الجبل ... قال الأصطخري: وأما باب الأبواب فإنها مدينة ربما أصاب ماء البحر حائطها، أقول: يريد بحر الخزر المعروف الآن ببحر قزوين الذي يوجد فيه دون غيره من البحار سمك الكافيار الشهير ... وقيل إن في أعلى جبلها الممتد المتصل بباب الأبواب نيفاً وسبعين أمة، لكل أمة لغة لا يعرفها مجاوروهم . وهم أولوا عدد وشدة ورجالة وفرسان . وباب الأبواب : فرضة ذلك البحر . أقول: ذكر اللغات وكثرتها في تلك الجبال قد تكرر وقد صار الخبر عنه متواتراً لأنه صحيح شاهدناه حتى إنني عندما ألقيت كلمتي في مسجد في تلك البلاد صار عن يميني مترجم وعن يساري مترجم لأن جماعة المسجد الواحد لايعرفون لغة واحدة تجمعهم ... بتصرف عن كتاب (بلاد الداغستان) لمعالي الشيخ / محمد ابن ناصر العبودي ، الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة .

مدينة دربند (باب الأبواب) الداغستانية

كنيسة قديمة في دربند

داغستان: جزء من الرَّان؛ والرَّان إقليم كبير أطلق عليه المؤرخون والجغرافيون العرب (الرحاب) وكان يضم إلى جانب الرَّان كلاً من أرمينيا وأذربيجان. وداغستان اليوم جمهورية ذات حكم ذاتي بالاتحاد الروسي: ويشكل المسلمون فيها الغالبية العظمى. وعاصمتها (محج قلعة) . ومن أبرز مدنها دربند (باب الأبواب) لأنها تشرف على الممر السهلي الذي يعتبر بابا بين قارتي آسيا وأوروبا.

مدينة تفليس (تبليسي) والتي توجهت إليها القوات الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتحها بقيادة حبيب بن مسلمة سنة ٢٢هـ

تفليس : بفتح اوله ويكسر : بلد بارمينية الاولى، وبعض يقول بارّان، وهى قصبة ناحية ... باب الابواب، وهى مدينة قديمة ازلية، طولها اثنتان ... درجة، وعرضها اثنتان واربعون درجة، قال ... سالته:

... ى تفليس، وهي مدينة لا إسلام وراءها، يجرى فى وسطها نهر يقال له الكرّ ... وفيها ... وعليها سور ...

استسقاء الماء؛ قلت: هذا ... جماعة من اهل تفا...

نهر الكر الذي يخترق تفليس

استكمال فتح أرض فارس

سنة ٢٣ من الهجرة

فتح تَوَّج:

قال أبو جعفر: قالوا: خرج أهل البصرة الذين وجهّوا إلى **فارس** أمراء على فارس؛ ومعهم سارية بن زنيم ومن بعث معهم إلى ما وراء ذلك، وأهل فارس مجتمعون **بتَوَّج** فلم يصمدوا لجمعهم بجموعهم؛ ولكن قصد كلّ أمير كورة منهم قصد إمارته وكورته التي أمر بها؛ وبلغ ذلك أهل فارس؛ فافترقوا إلى بلدانهم؛ كما افترق المسلمون ليمنعوها؛ وكانت تلك هزيمتهم وتشتت أمورهم وتفريق جموعهم؛ فتطير المشركون من ذلك؛ وكأنما كانوا ينظرون إلى ما صاروا إليه، فقصد مجاشعبن مسعود لسابور وأردشير خره فيمن معه من المسلمين، فالتقوا بتوج وأهل فارس، فاقتتلوا ما شاء الله. ثم إن الله عزّ وجلّ هزم أهل توج للمسلمين، وسلط عليهم المسلمين، فقتلوهم كل قتلة، وبلغوا منهم ما شاءوا، وغنمهم ما مفي عسكرهم فحووه؛ وهذه توَّج الآخرة؛ ولم يكن لها بعدها شوكة، والأولى التي تنقذ فيها جنود العلاء أيام طاوس، الوقعة التي اقتتلوا فيها؛ والوقعتان الأولى والآخرة كلتاهما متساجلتان. ثم دعوا إلى الجزية والذمة؛ فراجعوا وأقروا، وخمس مجاشع الغنائم، وبعث بها، ووفدوا وفداً؛ وقد كانت البشراء والوفود يجازون وتقضى لهم حوائجهم، لسنة جرت بذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلّم .

قال أبو جعفر:كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن سوقة، عن عاصم بن كليب، عن أبيه، قال: خرجنا مع مجاشع بن مسعود غازين توَّج، فحاصرناها، وقاتلناهم ما شاء الله، فلما افتتحناها وحوينا نهبها نهباً كثيراً، وقتلنا قتلى عظيمة؛ وكان على قميص قد تخرّق؛ فأخذت إبرة وسلكاً وجعلت أخيط قميصي بها. ثم إني نظرت إلى رجل في القتلى عليه قميص فنزعته، فأتيت به الماء، فجعلت أضربه بين حجرين حتى ذهب ما فيه، فلبسته؛ فلما جمعت الرثة، قام مجاشع خطيباً، فحمد الله، وأثنى عليه، فقال: **أيها الناس لا تغلوا، فإنه من غل جاء بما غل يوم القيامة. ردوا ولو الخميط. فلما سمعت ذلك نزعت القميص فألقيته في الأخماس** [1].

تَوَّج: بفتح أوله، وتشديد ثانيه وفتحه أيضاً، وجيم، وهي تَوَّز، بالزاي، وسنُعيد ذكرها أيضاً: مدينة بفارس قريبة من كازَرُون شديدة الحرّ لأنها في غور من الأرض ذات نخل، وبناؤها باللِّبن، بينها وبين شيراز اثنان وثلاثون فرسخاً، ويعمل فيها ثياب كتّان تُنسب إليها، وأكثر من يعمل هذا الصنف بكازرون لكن اسم توَّج غالب عليه لأن أهل توَّج أحذَقُ بصناعته، وهي ثياب رقيقة مهلهلة النسج كأنها المُنخل، إلا أن ألوانها حسنة، ولها طرز مذهبة، تباع حزماً بالعدد، وكان أهل خراسان يرغبون فيها، وتجلب إليهم كثيراً، وقد يعمل منها صنف صفيق جداً ينتفع به، وهي مدينة صغيرة واسمها كبير؛ وقد فتحت في أيام عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، .... وأمير المسلمين مجاشع بن مسعود فالتقوا أهل فارس بتَوَّج فهزم الله أهل فارس وافتتح توَّج بعد حروب عنوة، وأغنمهم عسكره ثم صالحهم على الجزية، فرجعوا إلى أوطانهم وأقرّوا؛ فقال مجاشع بن مسعود في ذلك:

ونحن ولينا مرّة بعد مرّة
بتَوَّج، أبناءَ الملوك الأكابر
لقينا جيوش الماهِيَان بسُحْرة،
على ساعة تلوي بأهل الحظائر
ثم فئنا حين نكرّ عليهم،
ويلحق منها لاحقٌ غير حائر

وقال أحمد بن يحيى: وجّه عثمان بن أبي العاصي الثقفي أخاه الحكم في البحر من عُمان لفتح فارس، ففتح مدينة بَرْكاوان ثم سار إلى توَّج، وهي أرض أردشير خره، وفي رواية أبي مخنف أن عثمان بن أبي العاص بنفسه قطع البحر إلى فارس فنزل تَوَّجَ ففتحها، وبنى بها المساجد وجعلها داراً للمسلمين، وأسكنها عبد القيس وغيرهم، وكان يُمير منها إلى أرّجان، وهي متاخمة لها، ثم شخص منها ومن فارس إلى عُمان والبحرين بكتاب عمر إليه في ذلك واستخلف أخاه الحكم، .... . الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٥٦.

---

[1] - الطبري، تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ص ٦٩٧ ، طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي.

فارس: فالذي يحيط بها مما يلي المشرق حدود كرمان ومما يلي المغرب كور خوزستان، ومما يلي الشمال المفازة التي بين فارس وخراسان وبعض حدود أصبهان ومن الجنوب بحرها. وفيها زنقة وزاوية تلي كرمان مما يلي المفازة، وفي الحد الذي يصاقب البحر تقويس قليل من أوله إلى آخره وزنقة وزاوية أخرى مما يلي أصبهان، وإنما وقعت هاتان الزنقتان كالزاويتين لأن من شيراز وهي واسطة فارس إليهما من المسافة نحو نصف ما بين خوزستان وبين شيراز، وكذلك جرم كرمان . وما في بطن هذه الصفحة صورة فارس ... قد صوّرت فارس بحدودها ولم آت فيها برستاق لانتشار ذلك وكثرته ولا الجبال، لأنه ليس بفارس بلد إلا وبه جبل أو يكون الجبل بحيث تراه إلا اليسير، ولم أصـوّر إلا مدينة لها منبر مذكور مشهور وقد تحريت واجتهدت في هذه الرسالة فيما يُعْلِم من قرأها موقع كل كورة برساتيقها ومواضع المدن بها . فأما ما بها من المدن والزموم والأحياء والحصون وبيوت النيران والأنهار والبحيرات والكور فإن كـورها خمس، وأوسعـها وأعرضها وأكثرها مدناً ونواحي كورة أصطخر ومدينتها أصطخر، ومدينتها جور، ... وتليها في الكبر؛ كورة دارابجرد ومدينتها دارابجراد، وفسا هي أكبر منها وأعمر غير، أن الكورة منسوبة إلى دارا الملك وهي مدينته التي ابتناها لهذه الكورة . وتليها في الكبر كورة الرجان؛ وتليها كورة سابور وهي أصغر كور فارس ومدينتها سـابور، وبـهذه الكورة مدن كبيرة هي أكبر منها كالنوبندجان وكازرون، ولكن هذه الكورة تُنسب إلى سابـور وهو الذي ابتنى المدينة المعروفة بسابور المشهورة بالثياب السابوريّ . ... وأما بيوت نيرانها فإنه لا تخلو ناحية ولا مدينة بفارس إلا القليل من بيوت النيران، والمجـوس أكثر أهل الملل بها ولهم من هذه البيوت بيوت يفضلونها في التعظيم ... غير أن المشاهير التي يفضلونها على غيرها في التعظيم منها بيت نار الكاريان ويعرف ببيت نار فرّا . وبيت نار بجـرّه ينسب إلى دارا بن دارا، وبه تحلف المجوس في المبالغة بأيمانهم . وبيت نار عند بركـة جور ويسمّى بارين، وحدثني من قـرأ عليه بالفهلوية أنه أُنفق عليه ثلاثون ألف ألـف درهم . وبيت النار الذي على باب سابور يُعرف بسيوخشين وآخر على باب سابـور محاذياً لباب ساسـان يعرف بجنبذ كاوسن، وبكازرون بيت نار يُعرف بحفته، وبها أيضـاً بيت نار يعرف بكـواذن . وبشـيراز بيت نار يعرف بالكارنيان وبها بيت آخر يعرف بهرمزد . وعلى باب شيراز بالقرية المعروفة بالسوكان بيت نار يعرف بالمنسريان ويُرى هذا البيت من شيراز ... • ابن حوقل، صورة الأرض ص ٢٣٤- ٢٤٥

خرج أهل البصرة الذين وُجّهوا إلى فارس أمراء على فارس؛ ومعهم سارية بن زُنيم ومن بُعث معهم إلى ما وراء ذلك، وأهل فارس مجتمعون بتوّج؛ فلم يصمدوا لجمعهم بجموعهم، ولكن قصد كلّ أمير كورة منهم قَصْدَ إمارته وكورته التي أمر بها؛ وبلغ ذلك أهل فارس: فافترقوا إلى بلدانهم؛ كما افترق المسلمون ليمنعوها؛ وكانت تلك هزيمتهم وتشتُّت أمورهم وتفريق جموعهم: فتطيّر المشركون من ذلك؛ وكأنما كانوا ينظرون إلى ما صاروا إليه؛ فقصد مجاشع بن مسعود لسابور وأردشير خُرّة فيمن معه من المسلمين، فالتقوا بتوّج وأهل فارس، فاقتتلوا ما شاء الله. ثم إن الله عزّ وجلّ هزم أهل توّج للمسلمين، وسلّط عليهم المسلمين، فقتلوهم كلّ قِتلة، وبلغوا منهم ما شاؤوا، وغنّمهم ما في عسكرهم فحوَوه، وهذه توّج الآخرة، ولم يكن لها بعد شوكة، والأولى التي تُنُقِّذ فيها جنود العلاء أيام طاوس، الوقعة التي اقتتلوا فيها؛ والوقعتان الأولى والآخرة كلتاهما متساجلتان . الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مج ٢، ص ٥٥١ .

فتح إصطخر

سنة ٢٣ من الهجرة

قال أبو جعفر: قصد عثمان بن أبي العاص لإصطخر؛ فالتقى هو وأهل إصطخر بجور فاقتتلوا ما شاء الله. ثم إنّ الله عز وجل فتح لهم جور؛ وفتح المسلمون إصطخر، فقتلوا ما شاء الله، وأصابوا ما شاءوا، وفر من فر. ثم إن عثمان دعا الناس إلى الجزاء والذمة، فراسلوه وراسلهم، فأجابه الهربذ وكل من هرب أو تنحى؛ فتراجعوا وباحوا بالجزاء، وقد كان عثمان لما هزم القوم جمع إليه ما أفاء الله عليهم، فخمسه، وبعث بالخمس إلى عمر، وقسم أربعة أخماس المغنم في الناس وعفّت الجند من النهاب، وأدوا الأمانة، واستدقوا الدنيا. فجمعهم عثمان؛ ثم قام فيهم، وقال: إنّ هذا الأمر لا يزال مقبلاً: ولا يزال أهله معافين مما يكرهون، ما لم يغلوا، فإذا غلوا رأوا ما ينكرون ولم يسد الكثير مسد القليل اليوم [١].

إصطخر: بالكسر، وسكون الخاء المعجمة، والنسبة إليها إِصْطَخْرِيّ وإِصْطَخْرَزِيّ بزيادة الزاي: بلدة بفارس من الإقليم الثالث، ... قال الإصطخري: وأمّا إصطخر فمدينة وَسَطَة وسعتها مقدار ميل، وهي من أقدم مدن فارس وأشهرها، وبها كان مسكن ملك فارس حتى تحوّل أردشير إلى جُور. وفي بعض الأخبار أن سليمان بن داود، عليه السلام، كان يسير من طبرية إليها من غدوة إلى عشية، وبها مسجد يعرف بمسجد سليمان، عليه السلام. وزعم قوم من عوامّ الفرس إن الملك الذي كان قبل الضَّحّاك هو سليمان ابن داود؛ قال: وكان في قديم الأيام على مدينة إصطخر سورٌ فتهدّم، وبناؤه من الطين والحجارة والجصّ على قدر يَسَار الباني، وقنطرة خراسان خارجة عن المدينة على بابها مما يلي خراسان، ووراءَ القنطرة أبنية ومساكن ليست بقديمة، ولا زال باصطخر وباءٌ، إلا أن خارج المدينة صحيح الهواء، وبين اصطخر وشيراز اثنا عشر فرسخاً؛ قال: ويرتفع من جبال إصطخر حديد، وبقَرْيَةٍ من كورة إصطخر تعرف بدارابجرد معدن الزيبق؛ ويقولون: إن كُوَرَ فارس خمس، وقيل: سبع، أكبرها وأجلُّها كورة إصطخر، وبها كانت قبل الإسلام خزائن الملوك؛ وكان إدريس ابن عمران يقول: أهل إصطخر أكرم الناس أحساباً ملوك وأبناءُ ملوك؛ ومن مشهور مُدُن كورتها البيضاءُ ومائين ونَيرين وابرقويه ويَزْد وغير ذلك، وطول ولايتها اثنا عشر فرسخاً في مثلها، والمنسوب إليها جماعة وافرة من أهل العلم؛ منهم: أبو سعيد الحسن بن أحمد بن يزيد ابن عيسى بن الفضل الإصطخري القاضي أحد الأئمة الشافعية وصاحب قول فيهم، مولده سنة ٢٤٤ ووفاته في جمادى الآخرة سنة ٣٢٨، وأبو سعيد عبد الكريم بن ثابت الإصطخري ثم الجَزَري مولى بني أمية وهو ابن خُصَيْف، أصلُه من اصطخر سكن حَرَّان، وأحمد بن الحسين ابن داناج أبو العباس الزاهد الإصطخري، سكن مصر وسمع إبراهيم بن دُحَيْم ومحمد ابن صالح بن عِصْمة بدمشق، وعبد الله بن محمد بن سلام المقدسي، ومحمد بن عبيد الله بن الفَضْل الحمصي، وعبدان بن أحمد الأهوازي، وجعفر الفريابي، وعبد الله ابن أحمد بن حنبل، والحسن بن سهل بن عبد العزيز المجوّز بالبصرة، وعليّ بن عبد العزيز البغوي بمكة، وأبا عليّ الحسن بن أحمد بن المسلم الطبيب بصنعاء، وغيرهم؛ روى عنه أبو بكر محمد بن أحمد ابن عليّ بن إبراهيم بن جابر التّنّيسي وأبو محمد بن النَّحّاس وغيرهما؛ ومات بمصر لعشرين ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة ٣٣٦. الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٢١١.

١ - الطبري، تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ص ٦٩٧، طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي.

هاتان الصورتان خصيصا لمؤلف ومصمم الاطلس بعدسة الطبيب الدكتور / محمود أبو حماد أحد التلاميذ الاوفياء وهي من اثار تخت جمشيد القريبة من مدينة برسيبوليس (إصطخر) الفارسية .

تخت جمشيد
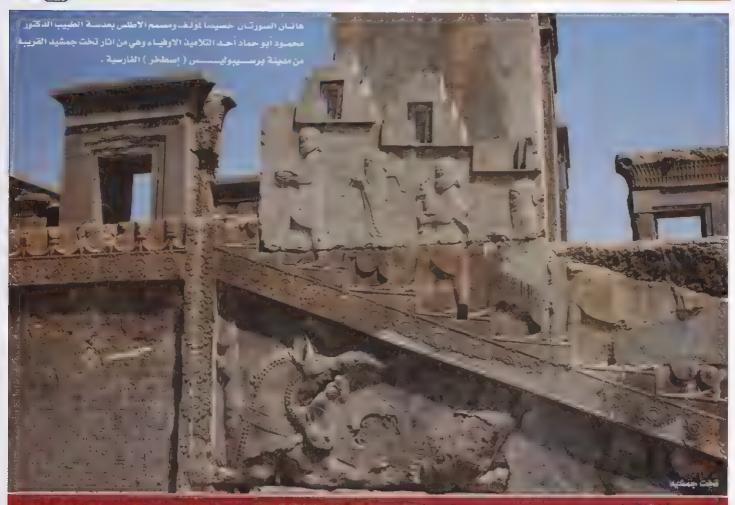
ظلت لإصطخر أهميتها حتى بنيت شيراز عام ١٤ هـ وهي على مسيرة يوم إلى الجنوب منها، ومنذ القرن الثالث الهجري اضمحلت إصطخر بشكل محسوس . وفي جنوب إصطخر على مرحلة ساعة منها على الشاطئ الجنوبي لنهر بلور يوجد تخت (عرش) جمشيد، كما يوجد بشمالها بحوالي ٢ كم نقش رستم على الشاطئ الشمالي لهذا النهر، وهما من أهم الآثار [illegible]

تخت جمشيد

مدينة اصطخر : جاء بدائرة المعارف الإسلامية [illegible] هي مدينة فارس ومقر الزعماء الوطنيين قبل اضمحلال دولة الأشكانيين بعشرات السنين، كما [illegible] وكان ساسان جد أردشير الأول سادنا لبيت نار [illegible] [illegible] [illegible] بعد قيام الدولة الساسانية، وكان ملوكهم يلقون [illegible] المدينة التي اعتبرت العاصمة الرسمية للدولة وإن ظلت طيسفون (المدائن) هي العاصمة [illegible] [illegible] مركزاً مناسباً لدولة قوية ... وقد كانت بعض نقود الساسانيين تسك في إصطخر، وظلت تسك بها [illegible] [illegible]

٢٧٦ ـ ٢٧٧

فتح فسا ودارابجرد

سنة ٢٣ من الهجرة

قال أبو جعفر: قصد سارية بن زنيم، فسا ودارا بجرد، حتى انتهى إلى عسكرهم، فنزل عليهم وحاصرهم ما شاء الله. ثم إنهم استمدّوا، فتجمّعوا وتجمّعت إليهم أكراد فارس، فدهم المسلمين أمر عظيم، وجمع كثير؛ فرأى عمر في تلك الليلة فيما يرى النائم معركتهم وعددهم في ساعة من النهار، فنادى من الغد: الصّلاة جامعة! حتى إذا كان في الساعة التي رأى فيها ما رأى خرج إليهم؛ وكان أريهم والمسلمون بصحراء؛ إن أقاموا فيها أحيط بهم، وإن أرزوا إلى جبل من خلفهم لم يؤتوا إلا من وجه واحد ثمّ قام فقال: يأيها الناس؛ إني رأيت هذين الجمعين - وأخبر بحالهما - ثم قال: يا سارية، الجبل، الجبل! ثمّ أقبل عليهم، وقال: إنّ لله جنوداً، ولعل بعضها أن يبلغهم؛ ولما كانت تلك الساعة من ذلك اليوم أجمع سارية والمسلمون على الإسناد إلى الجبل، ففعلوا وقاتلوا القوم من وجه واحد؛ فهزمهم الله لهم؛ وكتبوا بذلك إلى عمر واستيلائهم على البلد ودعاء أهله وتسكينهم [١].

مرئية فضائية تبين موقع دارابجرد وفسا

١ - الطبري، تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ص ٦٩٨، طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي.

فَسَا: بالفتح والقصر، كلمة عجمية، وعندهم بَسَا، بالباء، وكذا يتلفظون بها وأصلها في كلامهم الشمال من الرياح: مدينة بفارس أنزَهُ مدينة بها فيما قيل، بينها وبين شيراز أربع مراحل، وهي في الإقليم الرابع، طولها سبع وسبعون درجة ورُبع، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وثلثان. قال الإصطخري: وأما كورة **دارابجرد** فإن أكبر مُدُنها فَسَا، وهي مدينة مفترشة البناء واسعة الشوارع تقارب في الكبر شيرازَ وهي أصحّ هواء من شيراز وأوسع أبنيةً، وبناؤهم من طين وأكثر الخشب في أبنيتهم السَّرْو، وهي مدينة قديمة ولها حصنٌ وخندقٌ ورَبَضٌ وأسواقها في ربضها، وهي مدينة يجتمع فيها ما يكون في الصُّرُود والجُرُوم من البَلَح والرُّطَب والجوز والأترج وغير ذلك، وباقي مُدُن دارابجرد متقاربة، وبين فَسا وكازَرُون ثمانية فراسخ، ومن شيراز إلى فَسا سبعة وعشرون فرسخاً، وقال حمزة ابن الحسن في كتاب الموازنة: المنسوب إلى مدينة فَسا من كورة دارابجرد يسمّى بساسيريّ ولم يقولوا فسائيّ، وقولهم بساسير مثل قولهم كرْم سير وسَرْدسير، وكذلك النسبة إلى كسنا ناحية قرب نائين كسناسيري؛ وإليها ينسب أبو عليّ الفارسي الفَسوي؛ وأبو يوسف يعقوب بن سفيان ابن جوان الفسوي الفارسي الإمام، رحل إلى المشرق والمغرب وسمع فأكثر وصنّف مع الورع والنسك، روى عن عبد الله بن موسى وغيره، روى عنه أبو محمد بن دُرُستَوَيْه النحوي، وتوفي سنة ٢٧٧، .... الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٦٠.

دارابْجِرْد: بعد الألف الثانية باء موحدة ثم جيم ثم راء، ودال مهملة: ولاية بفارس؛ ينسب إليها كثير من العلماء، منهم: أبو علي الحسن ابن محمد بن يوسف الدارابجردي الخطيب. ودارابجرد: قرية من كورة إصطخر، وبها معدن الزيبق. ودارابجرد أيضاً: موضع بنيسابور؛ ينسب إليه أبو الحسن علي ابن الحسن بن موسى بن ميسرة الدارابجردي؛ الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤١٩.

فتح فسا ودارابجرد سنة ٢٣ هـ
الشمال
جاه سرخ
جوكاران
جاه سوارآقا
مشكان
جشمة شيرين
جهان آباد
خانة كت
فتح آباد
أكراد فارس تهب لنصرة مجوس الفرس
نی ریز
قطرويه
روبير
أرض فارس
اسهبان
قوات فارسية
درب قلعة
أكبر آباد
ششده
جيش سارية لفتح دارابجرد
فسا
جيش سارية بن زنيم إلى فسا
داراب
دارابجرد
خاوران
نوبندقان
داركوية
نصر آباد
زاهد شهر
حت سهر
قطب آباد
دولت آباد
قوات فارسية
قوات فارسية
إيران
رحيم آباد
مابيان
جهرم
قادر آباد
حاجی آباد
شبحه
مجوس الفرس يهبون لنجدة أهالي دارابجرد
سهر بير
مبارك آباد
جويم
قل قاوية
خورده دره
مزايجان
كاريان
بناروية
بريز
هود
دهكوية
خنج
كورده
أوز
هفتوان
لار
جاه طوس
براك

فتح كرمان

سنة ٢٣ من الهجرة

قال أبو جعفر: قصد سهيل بن عدي إلى كرمان، ولحقه عبد الله بن عبد الله بن عتبان، وعلى مقدمة سهيل بن عدي، النسير بن عمرو العجلي، وقد حشد له أهل كرمان، واستعانوا بالقفس؛ فاقتتلوا في أدنى أرضهم، ففضّهم الله، فأخذوا عليهم بالطريق، وقتل النسير مرزبانها، فدخل سهيل من قبل طريق القرى اليوم إلى جيرفت، وعبد الله بن عبد الله من مفازة شير، فأصابوا ما شاءوا من بعير أوشاء، فقوّموا الإبل والغنم فتحاصوها بالأثمان لعظم البخت على العراب، وكرهوا أن يزيدوا، وكتبوا إلى عمر؛ فكتب إليهم: إن البعير العربيّ إنما قوم بتعيير اللحم؛ وذلك مثله؛ فإذا رأيتم أنّ في البخت فضلاً فزيدوا فإنما هي من قيمه.

وأما المدائنيّ، فإنه ذكر أنّ عليّ بن مجاهد أخبره عن حنبل بن أبي حريدة - وكان قاضي قهستان - عن مرزبان قهستان، قال: فتح كرمان عبد الله ابن بديل بن ورقاء الخزاعي في **خلافة عمر بن الخطاب**، ثم أتى الطبسين من كرمان، ثم قدم على **عمر**، فقال: يا أمير المؤمنين؛ إني افتتحت الطبسين فأقطعنيهما، فأراد أن يفعل، فقيل لعمر: إنهما رستاقان عظيمان، فلم يقطعه إياهما؛ وهما بابا خراسان[1].

أحد رساتيق (قرى) جيرفت بأقليم كرمان الإيراني

١- الطبري، تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ص ٦٩٩، طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي.

كَرمَانُ: بالفتح ثم السكون، وآخره نون، وربما كسرت والفتح أشهر بالصحة، وكرمان في الإقليم الرابع، طولها تسعون درجة، وعرضها ثلاثون درجة: وهي ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومُدُن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان، فشرقيّها مُكْران ومفازة ما بين مكران والبحر من وراء البَلُوص، وغربيّها أرض فارس، وشماليّها مفازة خراسان، وجنوبيّها بحر فارس، ولها في حدّ السيرجان دَخْلَةٌ في حد فارس مثل الكُمّ وفيما يلي البحر تقويس، وهي بلاد كثيرة النخل والزرع والمواشي والضرع تشبّه بالبصرة في كثرة التمور وجودتها وسعة الخيرات، قال محمد بن أحمد البنّاء البشاري: كرمان إقليم يشاكل فارس في أوصاف ويشابه البصرة في أسباب ويقارب خراسان في أنواع لأنه قد تاخم البحر واجتمع فيه البرد والحَرّ والجوز والنخل وكثرت فيه التمور والأرطاب والأشجار والثمار، ومن مُدنه المشهورة جيرَفت وموقان وخَبيص وبَمّ والسيرجان ونرماسير وبُرْدَسير وغير ذلك، وبها يكون التوتيا ويُحمَل إلى جميع البلاد، وأهلها أخيار أهل سُنّة وجماعة وخير وصلاح إلا أنها قد تشعث بقاعُها واستوحشت معاملها وخربت أكثر بلادها لاختلاف الأيدي عليها وجور السلطان بها لأنها منذ زمن طويل خلَت من سلطان يقيم بها إنما يتولاّها الولاة فيجمعون أموالها ويحملونها إلى خراسان، وكل ناحية أُنفقت أموالها في غيرها خربت إنما تعمر البلدان بسكنى السلطان، وقد كانت في أيام السلجوقية والملوك القارونية من أعمر البلدان وأطيبها ينتابها الركبان ويقصدها كل بكر وعَوان. الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٥٤.

فتح كرمان سنة ٢٣ هـ
الشمال
جيش عبد الله بن عبد الله بن عتبان بعد أن فرغ من فتح اصبهان يتوجه لمساعدة المسلمين في فتح كرمان .
كرمان
إمدادات فارسية
إيران
إقليم كرمان
بم
جيرفت
بافت
إمدادات فارسية
شهداد
سامان
ماهان
كريم آباد
راين
رمان آباد
قصر ميان
سروستان
داريس
كراه
درب مزار
رودة
حاران
طريق
نظام آباد
امجر
عسر آباد
خط سير سهيل بن عدي الأنصاري الخزرجي من جيش البصرة . وكان على مقدمته النسير بن عمرو العجلي .

صـــورة كرمَان لابن حوقـل النصيبي، المتوفى سنة ٣٦٧ هـ.

وأمـا **كرمـان** فشرقيها أرض مُكران ومفازة ما بين مُكران والبحر من وراء البلوص، وغربيها أرض فارس وشماليها مفـازة خراسان وسجستـان، وجنوبيها بحر فارس . ولها في حد السيرجان دخلةُ فـي حـد فارس مثل الكمّ وفيما يلي البحـر تقويس قريب ... والذي يرتفع فيها من المـدن المشهورة فالسيرجان وهي قصبة كرمان وجيرُفت و**بم** وهرموز، وهذه أعلام مدنها وكبارها مشهورة معروفة وفي أضعافها دونها ... ومن مشاهير جبالها المنيعة جبال القفص وجبال البارز وجبال معدن الفضة، ... والبلوص طائفة في سفح جبل القفص ولم يخف القفـص أحـداً إلا من البـلوص، وهم أصحاب نعـم وبيـوت شعـر كالبـادية وهم قوم ذوو سلامة لا يتأذى بهم أحد ولا يعترضون لأبناء السبيل إلا بخير ... **ومدينة بم** بها نخيل ولها قرى كثيرة وهي أصـح هواء من جـيرفت ولها **قلعة منيعة مشهـورة**، وهي في المديـنة . وبمدينـة بم ثلاثة مسـاجد يجمّعون فيها الجمـعات فمنها مسجد للخـوارج في السوق ....، ومسجد جامع في البزازين لأهل الجماعة، ومسجد جامع القلعة . ابن حوقل النصيبي، صورة الأرض ، ص ٢٦٦ ـ ٢٧١ .

خان (جاكرو) للقوافل التجارية في الماضي أثناء مرورها على كرمان

فتح سجستان

سنة ٢٣ من الهجرة
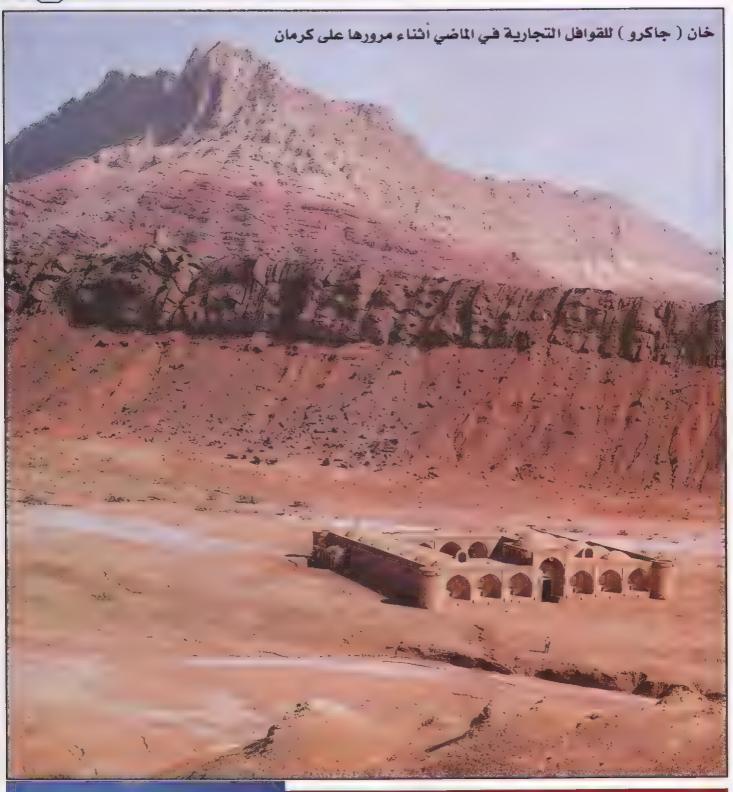
قـال أبـو جعفر: قصـد عاصم بن عمرو لسجستان، ولحقه عبد الله ابن عمـير، فاستقبلوهـم فالتقـوا هـم وأهـل **سجستـان** فـي أدنـى أرضهم، فهزموهـم ثم أتبعوهم، حتى حصروهم **بزرنج**، ومخروا أرض سجستان ما شــاءوا. ثمّ إنهم طلبوا الصّلح على زرنج مـا احتازوا من الأرضين؛ فأعطوه، **وكانوا قد اشترطوا في صلحهم** أنّ فدا فدها حمى؛ فكان المسلمون إذا خرجـوا تناذروا خشية أن يصيبوا منهـا شيئاً، فيخفروا. فتم أهل سجستان علـى الخراج والمسلمون على الإعطاء؛ فكانت سجستان أعظم من خراسان، وأبعد فروجاً، يقاتلون القندهار والترك وأمماً كثيرة، وكانت فيما بين السند إلى نهـر بلـخ بحياله، فلم تزل أعظـم البلدين، وأصعـب الفرجين، وأكثرها عـدداً وجنداً؛ حتى زمان معاوية، فهرب الشـاه من أخيه - واسم أخي الشاه يومئذ رتبيل - إلى بلد فيها يدعى آمل، ودانوا لسلم بن زياد، وهو يومئذ على سجسـان، ففرح بذلك وعقد لهـم، وأنزلهم بتلك البـلاد، وكتب إلى معاوية بذلـك يرى أنه قد فتح عليـه. فقال معاوية: إنّ ابن أخي ليفرح بأنه ليحزنني وينبغـي له أن يحزنه، قالـوا: ولم يا أمير المؤمنين؟ قـال: لأنّ آمل بلدة بينها وبـين زرنج صعوبة وتضايـق، وهؤلاء قوم نكر غـدر، فيضطرب الحبل غداً، فأهـون ما يجيء منهـم أني يغلبوا على بلاد آمـل بأسرها وتم لهم على عهد ابـن زياد؛ فلمّا وقعت الفتنة بعد معاوية كفر الشـاه، وغلب على آمل، وخاف رتبيـل الشـاه فاعتصم منه بمكانـه الذي هوبه اليـوم، ولم يرضه ذلك حين تشاغـل النـاس عنـه حتى طمع فـي زرنج، فغزاهـا فحصرهم حتـى أتتهم الأمـداد مـن البصرة، فصار رتبيـل والذين جاءوا معـه؛ فنزلوا تلك البلاد شــجاً لم ينتــزع إلى اليـوم؛ وقد كانت تلـك البـلاد مذلّلـة إلى أن مـات معاوية[1].

سَجِسْتَانُ: بكسر أوّله وثانيه، وسين أخرى مهملة، وتـاء مثنـاة من فـوق، وآخره نون: وهـي ناحية كبيرة وولايـة واسعة، ذهـب بعضهـم إلى أن سجستان اسم للناحيـة وأن اسم مدينتهـا زَرَنج، وبينهـا وبين هراة عشـرة أيّـام ثمانـون فرسخـاً، وهـي جنوبـي هراة، وأرضهـا كلّها رملة سبخة، والرياح فيها لا تسكن أبداً ولا تـزال شديدة تُدير رحيّهم، وطحنهم كلّه على تلك الرحـى ... قال الإصطخري: أرض سجستان سبخة ورمال حارة، بهـا نخيل، ولا يقع بها الثلج، وهي أرض سهلـة لا يرى فيها جبل، وأقرب جبال منها من ناحية فَرَه، وتشتد رياحهم وتدوم على أنّهم قد نصبوا عليها أرحيـة تـدور بها وتنقـل رمالهم من مـكان إلى مكان ولـولا أنّهم يحتالون فيها لطمسَت على المدُن والقرى، وبلغنـي أنّهم إذا أحبوا نقل الرمل من مكان إلى مكان مـن غـير أن يقع علـى الأرض التـي إلى جانب الرمل جمعـوا حـول الرمل مثـل الحائط من حطـب وشوك وغيرهمـا بقدر مـا يعلو على ذلك الرمـل وفتحوا إلى أسفله باباً فتدخله الريح فتطير الرمال إلى أعلاه مثل الزّوبعة فيقع على مدّ البصر حيث لا يضرّهم، وكانت مدينـة سجستان قبل زَرَنج يقال لهـا رام شهرستان، وقد ذكرت في موضعها، وبسجستان نخل كثير وتمر، وفـي رجالهـم عِظَـم خلـق وجـلادة ويمشـون فـي أسواقهـم وبأيديهم سيوف مشهـورة، ويعتمّون بثلاث عمائـم وأربـع كلّ واحـدة لون مـا بين أحمـر وأصفر وأخضـر وأبيض وغير ذلك من الألـوان على قلانس لهـم شبيهـة بالمكّـوك ويلفونها لفّـاً يظهر ألـوان كل واحـدة منهـا، وأكثر ما تكون هذه العمائـم إبريسم طولهـا ثلاثـة أذرع أو أربعة وتشبـه الميانبندات، وهم فرسـان **وليس بينهـم من المذاهب غير الحنفية** مـن الفقهاء إلاّ قليـل نادر، ولا تخرج لهـم امرأة من منزل أبداً وإن أرادت زيارة أهلها فبالليل، وبسجستان كثير من الخوارج يظهرون مذهبهم ولا يتحاشون منه ويفتخـرون بـه عنـد المعاملـة، ... وفـي شـرط أهل سجستـان علـى المسلمين لـما فتحوهـا أن لا يُقتل في بلدهـم قُنفُـذ ولا يصطـاد لأنّهـم كثيـرو الأفاعـي والقنافـذ تأكل الأفاعي، فما من بيت إلاّ وفيه قنفذ، .

الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٩٠ - ١٩١.

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ص ٦٩٩، طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي.

سار عاصم بن عمرو التميمي على رأس لوائه إلى سجستان ولحق به عبد الله بن عمير الأشجعي فالتقوا بجيش سيجستان على أول حدودهم في معركة انتصر المسلمون فيها؛ ثم اتبعوهم حتى حاصروهم بزرنج ومخروا أرض سجستان بعد ذلك ما شاؤوا ، حتى طلب أهل سجستان الصلح مع المسلمين .

صـــــورة سجستان
لابن حوقــل النصيبي،
المتوفى سنة ٣٦٧ هـ.

سجستـــان: ومــا يتصــل بها مما قد جمعت إليها في الصــورة فإن الذي يحيط بها مما يلي المشــرق مفازة بين كرمان وأرض السنــد وبـين سجستان وشيء من عمل الملتان، ومما يلي المغـرب خراسان وشــيء من عمل الهند، ومما يلي الشمال أرض الهند ومـمــا يلــي الجنوب المفازة التي بـين سجستان وكرمان، وفيما يلي خراســان والغور والهند تقويــس. وسجستان فالذي يقع في أضعافهــا ممــا يحتاج إلى معرفته من المدن فإنه زرنج وكش ونه والطــاق والقرنين ... ومدينتها العظمى زرنج وهي مدينة عليها حصــن ولهــا ربض واســع الأبنية كثير السكان، وفيــه دور الإمارة لآل الصفّــار إلى غير ذلك من المحال والفنــادق، وعليه سور وحصن دائر بالربض وخندق على الربض حصين، وفيه ماء؛ وماؤه ينبع من مكانه ويقع فيه فضل من المياه الجارية إليها. ولها خمسة أبواب: أحدها الباب الجديد، والآخر الباب العتيق وكلاهما يُخرج منهما إلى فارس وبينهما قريب مسافة، وباب كركويه يُخــرج منــه إلى خراسان، والرابع باب نيشـك يُخرج منه إلى بست، والخامـس يُعرف بباب الطعام يُخرج منــه إلى الرساتيق؛ وأعمر أبوابها باب الطعام وكلها حديد. وللربض ثلاثة عشر باباً فمنها باب مينا يأخذ إلى فارس، وعليه باب دخان ... وأرضها سبخــة ورمــال وهي بلاد حارة بها نخيل ولا يقع بها الثلوج، وهي أرضــ سهلة لا يُرى منها جبل وأقرب جبالها بناحية فره وتشتد رياحهــم وتدوم حتى أنهم قد نصبوا عليهــا أرحية لطحن قموحهم يديرونها بالريح ... فأما أنهارها فأعظمها هيل مند ويخرج من ظهور الغور ... حتى ينتهي إلى سجستان ثم يقع في بحيرة زره ... . ابن حوقل النصيبي، صورة الأرض، ص ٣٤٧ ـ ٣٥٣ .

موقع سجستان بالنسبة لإقليمي كرمان ومكران

ببرجند
فراح
يزد
قندهار
لشكرغاه
زرنج
سجستان
شرمان
زابل
صحراء لوط
كويتا
كرمان
كرمان
سيرجان
بم
زهدان
تلال تشاغاي
دارابجرد
جيرفت
ارض السند
بندر عباس
مكران
جبال مكران
جبل باشكرد
خليج البحرين (العربي)
كراتشي
خليج عمان
عمان
صفر ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠ ٥٠٠كم

بناء أثري من زابل

فتح مُكْــران

سنة ٢٣ من الهجرة

قال أبو جعفر: وقصد الحكم بن عمرو التغلبي لمكران: حتى انتهى إليها؛ ولحق به شهاب بن المخارق بن شهاب، فانضمّ إليه، وأمدّه سهيل بن عدي، وعبد الله بن عبد الله بن عتبان بأنفسهما، فانتهوا إلى دوين النهر، وقد انفضّ أهل مكران إليه حتى نزلوا على شاطئه، فعسكروا، وعبر إليهم راسل ملكهم ملك السند، فازدلف بهم مستقبل المسلمين. فالتقوا فاقتتلوا بمكان من مكران من النهر على أيام، بعد ما كان قد انتهى إليه أوائلهم، وعسكروا به ليلحق أخراهم، فهزم الله راسل وسلبه، وأباح المسلمين عسركهن وقتلوا في المعركة مقتلة عظيمة، وأتبعوهم يقتلونهم أياماً، حتى انتهوا إلى النهر. ثم رجعوا فأقاموا بمكران. وكتب الحكم إلى عمر بالفتح، وبعث بالأخماس مع صحار العبدي، واستأمره في الفيلة، فقدم صحار على عمر بالخبر والمغانم، فسأله عمر عن مكران – وكان لا يأتيه أحد إلا سأله عن الوجه الذي يجيء منه – فقال: يا أمير المؤمنين، أرض سهلها جبل، وماؤها وشل، وتمرها دقل، وعدوها بطل، وخيرها قليل، وشرّها طويل، والكثير بها قليل، والقليل بها ضائع وما وراءها شر منها. فقال: اسجاعٌ أنت أم مخبر؟ قال: لا بل مخبر، قال: لا، والله يغزوها جيش لي ما أطعتُ؛ وكتب إلى الحكم بن عمرو وإلى سهيل ألا يجوزن مكران أحد من جنودكما واقتصرا على ما دون النهر؛ وأمره ببيع الفيلة بأرض الإسلام، وقسم أثمانها على من أفاءها الله عليه.

وقال الحكم بن عمرو في ذلك:

لقد شبع الأرامل غير فخر ... بفيء جاءهم من مكران

أتاهم بعد مشغبة وجهد ... وقد صفر الشتاء من الدخان

فإني لا يذم الجيش فعلى ... ولا سيفي يذم ولا سناني

غداة أدفع الأوباش دفعاً ... إلى السند العريضة والمداني

ومهران لنا فينا أردنا ... مطيع غير مسترخي العنان

فلولا ما نهى عنه أميري ... قطعناه إلى البدد الزواني [1].

مُكْرَانُ: بالضم ثم السكون، وراء، وآخره نون أعجمية، وأكثر ما تجيء في شعر العرب مشددة الكاف، واشتقاقها في العربية أن تكون جمع ماكر مثل فارس وفُرْسان، ويجوز أن تكون مكران جمع مَكر مثل وَغْد ووُغْدان وبطن وبُطْنان، قال حمزة: قد أُضيفت نواح إلى القمر لأن القمر هو المؤثر في الخصب فكل مدينة ذات خصب أُضيفت إليه، وذكر عدّة مواضع ثم قال: وماه كرمان هو الذي اختصروه فقالوا مكران، ومكران: اسم لسيف البحر؛ وقد شدّد كافه الحكم بن عمرو التغلبي وكان قد افتتحها في أيام عمر.... قال الإصطخري: مكران ناحية واسعة عريضة والغالب عليها المفاوز والضرّ والقحط، والمتغلب عليها في حدود سنة ٣٤٠ رجل يعرف بعيسى بن معدان ويسمّى بلسانهم مهرا ومقامه بمدينة كيز وهي مدينة نحو من النصف من مُلْتان وبها نخل كثير وهي فرضة مكران، فأكبر مدينة بمكران القيرَبون وبها بَيْدُ وقصر قيد ودَرَك وفهلفهرة كلها صغار وهي جروم ولها رساتيق تسمى الخروج ومدينتها راسك ورستاق يسمى جربان، وبها فانيذ وقصب سكر ونخيل، وعامّة الفانيذ الذي يُحمل إلى الآفاق منها إلا شيء يسير يحمل من ناحية ماسكان، وطول عمل مكران من التيز إلى قُصْدار نحو اثنتي عشرة مرحلة؛ وإياها عَنَى عمرو بن معدي كرب بقوله:

قومٌ هُمُ ضربوا الجبابر إذ بغَوْا
بالمشرفية من بني ساسان
حتى استبيح قرى السواد وفارس
والسهل والأجبال من مكران.

الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٧٩ – ١٨٠.

---

١ – الطبري، تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، ص ٦٩٩ – ٧٠٠، طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي.

فتح مُكران سنة ٢٣ هـ

لقد شبع الأراملُ غير فَخْرٍ ... بفيءٍ جاءهم من مُكْرانِ
أتاهم بعد مسغبةٍ وجهدٍ ... وقد صَفِرَ الشتاءُ من الدُّخانِ

جزيرة قشم
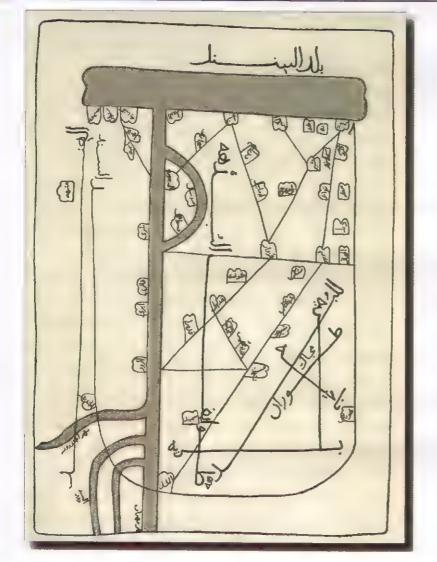
صورة السند لابن حوقل النصيبي، المتوفى سنة ٣٦٧ هـ.

يذكر البلدانيون مُكران من بلاد السند (باكستان حالياً)، ولكن جانباً منها ضمن أراضي إيران بحدودها الحالية . وصفها الإصطخري فقال: « ومُكران ناحية واسعة عريضة الغالب عليها المفاوز والقحط والضيق » . أ. أحمد عادل كمال، سقوط المدائن، ص ٢٩٠ .

قال ابن حوقل: **وأما بلاد السند** وما يصاقبها للإسلام مما جمعته في صورة واحدة فهي بلاد السند وشيء من بلاد الهند **ومُكران** وطوران والبدهه . وشرقي ذلك كله بحر فارس وغربيها كرمان ومفازة سجستان وأعمالها، وشماليها بلاد الهند وجنوبيها مفازة ما بين مُكران والقفص ومن ورائها بحر فارس . وإنما صار بحر فارس يحيط بشرقي هذه البلاد والجنوبي من وراء هذه المفازة من أجل أن البحر يمتد من صيمور على الشرقي إلى تيز مُكران، ثم ينعطف على هذه المفازة إلى أن يتقوّس على بلاد كرمان وفارس . والذي يقع من المدن في هذه البلاد فبناحية مُكران التيز وكيز وفنزبور.

ومُكران ناحية واسعة عريضة والغالب عليها المفارز والقحط والضيق، والمتغلب عليها رجل يُعرف بعيسى بن معدان سهمياً ومُقامه بمدينة كيز، وهي مدينة نحو نصف الملتان وبها نخيل كثيرة وهي فرضة مكران، وبتلك النواحي التيز ويعرف بتيز مكران، وأكبر مدينة بمكران الفنجبور وبه فانيذ كثير وقصب سُكّر ونخيل، وعامة الفانيذ الذي يُحمل إلى الآفاق منها إلا شيء يُحمل من ناحية ماسكان وبقصدار أيضاً فانيذ، وسكان هذه الرساتيق الشراة وتتصل بنواحي كُرمان من ناحية تُسمّى مشكى، وهي مدينة قد تغلب عليها رجل يُعرف بمطهّر بن رجاء ويخطب لبني العباس، ولا يذكر غيرهم ولا يطيع أحداً من الملوك الذين يصاقبونه . ابن حوقل النصيبي، صورة الأرض، ص ٣٤٧ ـ ٣٥٣ .

في الأعلى ميناء بندر عباس على ساحل الخليج العربي، وفي الأسفل كنيسة استيانوس بإيران شهر

فتح خراسان

سنة ٢٢ من الهجرة

قال أبو جعفر: خرج الأحنف بن قيس إلى **خُراسان**، ... فدخلها من الطبسين، فافتتح **هُراة** عنوة، واستخلف عليها صحار بن فلان العبدي ثم سار نحو مرو الشاهجان، وأرسل إلى **نيسابور** ـ وليس دونها قتال ـ مطرّف ابن عبد الله بن الشخّير والحارث بن حسان إلى **سرخس**؛ فلما دنا الأحنف من **مرو الشاهجان** خرج منها **يزدجرد** نحو مرو الروذ حتى نزلها، ونزل الأحنف مرو الشاهجان، وكتب يزدجرد وهو بمرو الرّوذ إلى خاقان (الترك) يستمدّه؛ وكتب إلى ملك الصُّغد يستمدّه؛ فخرج رسولاه نحو خاقان وملك الصُّغد، وكتب إلى ملك الصين يستعينه، وخرج الأحنف من مرو الشاهجان؛ واستخلف عليها حاتم بن النعمان الباهليّ بعد ما لحقت به إمداد أهل الكوفة، على أربعة أمراء: علقمة بن النضر النضريّ، وربعي ابن عامر التميمي، وعبد الله بن أبي عقيل الثقفيّ، وابن أم غزال الهمداني؛ وخرج سائراً نحو مرو الروذ؛ حتى إذا بلغ ذلك يزدجرد خرج إلى بلخ ونزل الأحنف مرو الروذ؛ وقدم أهل الكوفة؛ فساروا إلى بلخ، وأتبعهم الأحنف، فالتقى أهل الكوفة ويزدجرد **ببلخ**؛ **فهزم الله يزدجرد**، وتوجّه أهل فارس إلى النهر فعبر، ولحق الأحنف بأهل الكوفة؛ وقد فتح الله عليهم؛ فبلْخُ من فتوح أهل الكوفة . **وتتابع أهل خُراسان ممن شذّ أو تحصّن على الصلح فيما بين نيسابور إلى طخارستان** ممن كان في مملكة كسرى؛ وعاد الأحنف إلى مرو الروذ، فنزلها واستخلف على طخارستان ربعي ابن عامر ... كتب الأحنف إلى عمر بفتح خراسان، فقال: لوددتُ أني لم أكن بعثتُ إليها جنداً، ولوددتُ أنه كان بيننا وبينها بحر من نار؛ فقال عليّ: ولِمَ يا أمير المؤمنين؟ قال: لأن أهلها سينفضُّون منها ثلاث مرات، فيُحتاجون في الثالثة، فكان أن يكون ذلك بأهلها أحبَّ إليّ من أن يكون بالمسلمين [١].

خُراسانُ: بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق أزاذْوار قصبة جوَين وبَيهق، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وليس ذلك منها إنما هو أطراف حدودها، وتشتمل على أمّهات من البلاد منها نيسابور وهراة ومَرْو، وهي كانت قصبتها، وبلخ وطالقان ونَسا وأبيورد وسرخس وما يتخلل ذلك من المدُن التي دون نهر جيحون، ومن الناس من يُدخل أعمال خوارزم فيها ويَعدُّ ما وراء النهر منها وليس الأمر كذلك، وقد فتحت أكثر هذه البلاد عنوة وصلحاً، ونذكر ما يُعرف من ذلك في مواضعها، وقال البلاذري: خراسان أربعة أرباع، فالربع الأول إيران شهر وهي نيسابور وقهستان والطَّبَسان وهراة وبُوشَنْج وباذ غيس وطوس واسمها طابران، والربع الثاني مرو الشاهجان وسرخس ونسا وأبيورد ومرو الروذ والطالقان وخوارزم وآمل وهما على نهر جيحون، والربع الثالث، وهو غربي النهر وبينه وبين النهر ثمانية فراسخ، الفارياب والجوزجان وطخارستان العُليا وخَسْت واندرابة والباميان وبغلان ووالج، وهي مدينة مُزاحم بن بسطام، ورستاق بيل وبَذَخْشان، وهو مدخل الناس إلى تُبّت، ومن اندرابة مدخل الناس إلى كابُل، والترمذ، وهو في شرقي بلخ، والصغانيان وطخارستان السُّفلى وخُلْم وسِمِنْجان، والربع الرابع ما وراءَ النهر بُخارى والشاش والطُّرَاربَنْد والصُّغد، وهو كسّ، ونَسَف والرويستان وأشروسنة وسَنام، قلعة المقنع، وفرغانة وسمرقند، قال المؤلف: فالصحيح في تحديد خراسان ما ذهبنا إليه أوّلاً وإنما ذكر البلاذري هذا لأن جميع ما ذكره من البلاد كان مضموماً إلى والي خراسان وكان اسم خراسان يجمعها، فأما ما وراء النهر فهي بلاد الهياطلة ولاية برأسها وكذلك سجستان ولاية برأسها ذات نخيل، لا عمل بينها وبين خراسان؛ الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٥٠ - ٣٥١.

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مج ٢، ص ٥٤٦ - ٥٤٧.

كتب **عمر** إلى الأحنف بعد فتح خراسان، أما بعد، فلا تجوزَنّ النهر واقتصر على ما دونه، وقد عرفتم بأي شيء دخلتم على خُراسان، فداوموا على الذي دخلتم به خراسان يدمْ لكم النصر؛ وإياكم أن تعبروا فتنفضّوا .
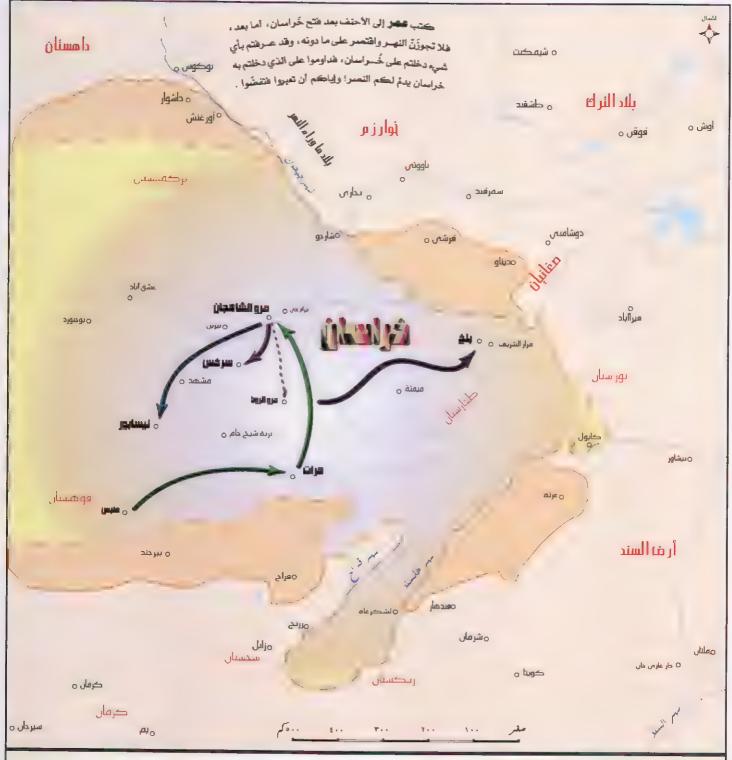
فتح خُراسان سنة ٢٢ هـ

قال ابن خرداذبه: ثم نبدأ بالمشرق وهو ربع المملكة ونبدأ بذكر **خراسان** وكانت تحت يدي أصبهبذها باذوسبان وأربعة مرازبة إلى كل مرزبان ربع خراسان فربع إلى مرزبان مرو الشاهجان وأعمالها وربع إلى مرزبان بلطخ وطخارستان وربع إلى مرزبان هراة وبوشنج وباذغيش وسجستان.

قال ابن مُفَرّغ: ويوم هراة أسمعك المنادي ... ذهبت تياسراً ودعا يمينا

وربع إلى مرزبان ما وراء النهر. المسالك والممالك .
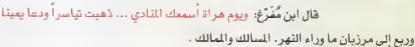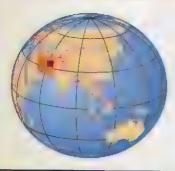
خُراسان؛ قطر معروف، قال الجرجاني: معنى خر: كل، وسان معناه سهل. أي كل بلا تعب، وقال غيره: معنى خراسان بالفارسية مطلع الشمس. وهو عمل كبير وإقليم جليل معتبر. وفي شعر الحكيم الذي ذكر أقطار الأرض وحكم لها قوله: " والدنيا خراسان " ؟ والعرب إذا ذكرت المشرق كله قالوا: فارس، فخراسان من فارس، وعلى هذا يؤول حديث النبي صلى الله عليه وسلم: " **لو كان الإيمان معلقاً بالثريا لنالته رجال من فارس** " أنه عنى أهل خراسان، لأنك إن طلبت مصداق هذا الحديث في فارس لم تجده لا أولاً ولا آخراً وتجد هذه الصفة نفسها في خراسان، **دخلوا في الإسلام رغبة**، ومنهم العلماء والمحدثون والنساك والمتعبدون، وإذا حصلت المحدثين في كل بلد وجدت نصفهم من أهل خراسان ومنهم، البرامكة والقحاطبة وطاهر وبنوه وغيرهم. وأما أهل فارس فإنهم كانوا كنار خمدت لم تبق لهم بقية تذكر إلا ابن المقفع وابنا سهل: الفضل وحسن وخراسان تشتمل على كور عظام وأعمال جسام، وكانت خراسان تسمى في القديم بلد أشرنيه سميت بأشورين بن سام بن نوح وهو أول من اعتمر الصقع بعد الطوفان، وحدها الذي يحيط بها من شرقيها سجستان وبلد الهند، وغربها مفازة الغزية ونواحي جرجان، وشمالها ما وراء النهر وشيء من بلاد الترك وجنوبها مفازة فارس وقومس إلى نواحي جبال الديلم مع جرجان وطبرستان والري وما يتصل بها. وكور خراسان وأعمالها التي يتفرق فيها الحكام وأصحاب البرد نيف وثلاثون عملاً.

وفي خراسان كان خروج رافع بن الليث بن نصر بن سيار سنة تسعين ومائة وقتله سليمان بن حميد عامل علي بن عيسى فوجه علي ابنه عيسى بن علي لمحاربته فالتقيا بسمرقند فهزمه رافع، ويقال إنه عد في دراعة عيسى التي كانت عليه يوم الوقيعة عشرون خرقاً من ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بنشاب وإن عيسى قال: من تعرض لهذا عجب في الحياة.

قال القتيبي: يتلو العرب في الشرف أهل خراسان فإنهم لم يزالوا لقاحاً لا يؤدون إلى أحد إتاوة. وكانت ملوك العجم قبل ملوك الطوائف تنزل بلخ ثم نزلوا بابل ثم نزل أزدشير بن بابك فارس فصارت دار ملكهم، وصارت خراسان لملوك الهياطلة، وهم قتلوا فيروز ابن يزدجرد ابن بهرام ملك فارس، وكان غزاهم فكادوه بمكيدة في طريقه حتى سلك سبيلاً معطشة فخرجوا إليه فأسروه وأكثر أصحابه فأعطاهم موثقاً من الله لا يغزوهم أبداً ولا يجوز حدودهم، ونصب حجراً بينه وبين بلدهم وجعله الحد الذي حلف عليه وأشهد الله ومن حضره من قرابته وأساورته فمنوا عليه وأطلقوه، فلما عاد إلى مملكته دخلته الأنفة مما أصابه فعاد لغزوهم ناكثاً لأيمانه غادراً بذمته، وجعل الحجر الذي نصبه أمامه في مسيره، يتأول أنه ما تقدم الحجر، فلما صار إليهم ناشدوه الله واذكروه ما جعل على نفسه من العهد والذمة، فأبى إلا لجاجاً ونكثاً، فواقعوه فقتلوه وقتلوا حماته واستباحوا عسكره وأسروا ضمفته ثم أعتقوهم، وغبروا بعد ذلك زماناً طويلاً ثم قتلوا كسرى بن قباذ بن هرمز، وهذا شيء يخبر به أهل فارس من سيرهم.

وبخراسان اعتدال الهواء وطيب الماء وصحة التربة وعذوبة الثمر وإحكام الصنعة وتمام الخلقة وطول القامة وحسن الوجوه وفراهة المراكب من الخيل والإبل والحمير وجودة السلاح والدروع والثياب. وهم يثخنون في الترك القتل ويأسرونهم وبهم يدفع الله عن المسلمين معرتهم، وهم أشد العدو بأساً وأغلظهم أكباداً وأصبرهم على البؤس أنفساً. وقد جاء في الحديث: " اتركوا الترك ما تركوكم " .

وجاء في خراسان ما لا يعلم جاء مثله إلا في الحرمين والأرض المقدسة، حكوا عن بريدة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا بريدة ستبعث من بعدي بعوث فكن في بعث خراسان ثم كن في بعث أرض منه يقال لها هرات وإذا أتيتها فانزل مدينتها وصل فيها فإنها بناها ذو القرنين، غزيرة أنهارها تجري بالبركة، على كل نقب منها ملك يدفع عن أهلها السوء إلى يوم القيامة "، فقدمها بريدة رضي الله عنه فمات فيها.

ومن خراسان البرامكة لم يقرب أحد السلطان قربهم ولا أعطي عطاءهم ومنهم القحاطبة وعلي بن هاشم. عبد الله بن طاهر حدث بعض قواده بخراسان أنه فرق في مقام واحد بخراسان ألف ألف دينار، وهذا يكبر أن يملك فكيف أن يوهب. وإذا تدبرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **لو كان الإيمان معلقاً بالثريا لنالته رجال من أهل فارس** " لم تجد مصداق هذا القول في أهل فارس، لأنهم كانوا أعداء الإسلام حتى غلبوا ومزقوا كل ممزق، ولم تجد منهم رجالاً برعوا في العلم ولا عرفوا بحفظ الأثر والتفقه في الدين والاجتهاد والعبادة، وتجد هذه الصفة بعينها في أهل خراسان لأنهم دخلوا في الإسلام رغبة وطوعاً وهم أشد الناس تمسكاً بالدين، فمنهم المحدثون والعلماء والعباد المجتهدون، وكانت خراسان وفارس شيئاً واحداً لأنهما متحاذيان ومتصلان ولسانهما واحد بالفارسية. ابن حوقل النصيبي، صورة الأرض .

صـــورة السند لابن حوقـل النصيبي، المتوفى سنة ٣٦٧ هـ.

طبس: مدينة في برّية بين نيسابور وأصبهان وكرمان، وهما طبسان: طبس كيلكي وطبس مسينان ويقال لهما الطبسان في موضع واحد، الحموي، معجم البلدان.

مكمن عن العدو بالقرب من طبس
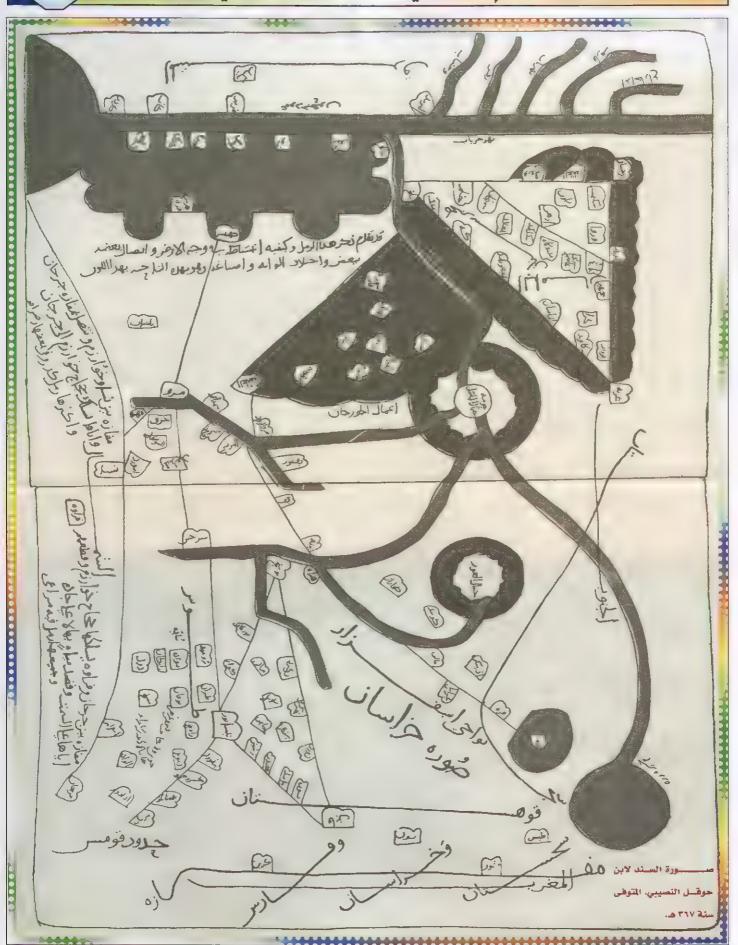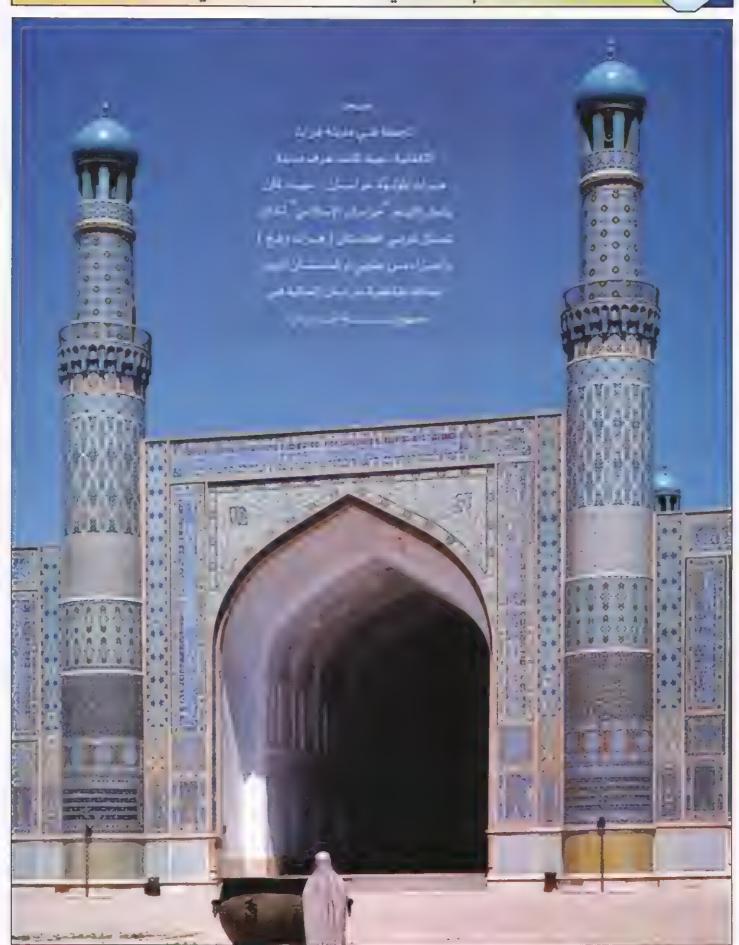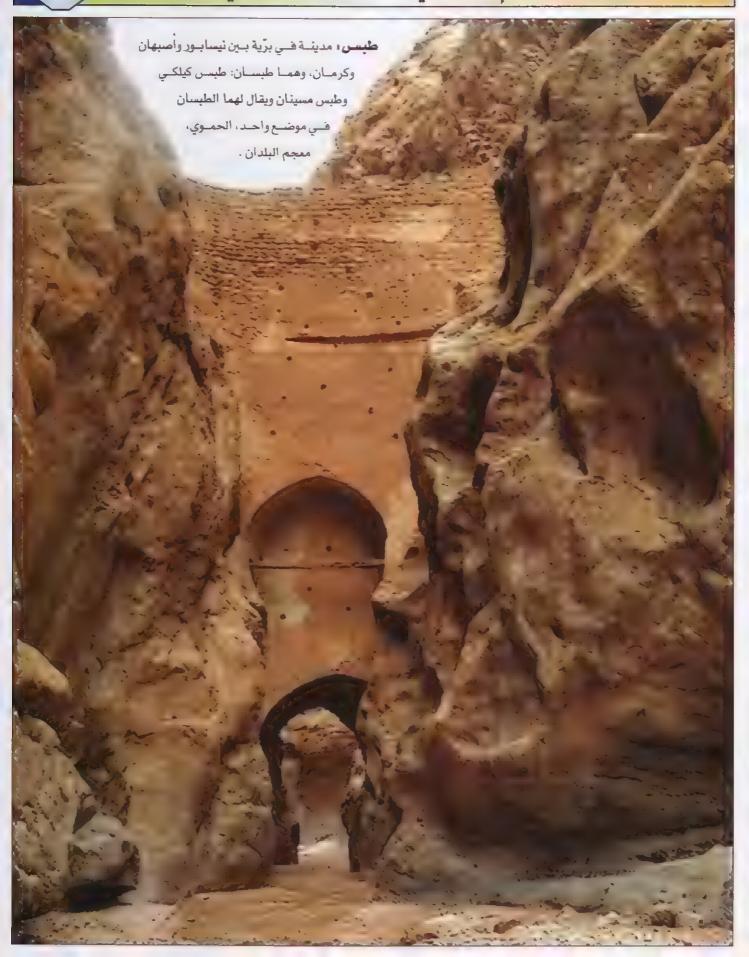
كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حينما وصله خبر فتح خراسان، قال للناس في المدينة النبوية: «لا تبدلوا، ولا تغيروا، فيستبدل الله بكم غيركم، فإني لا أخاف على هذه الأمة إلا أن تؤتى من قبلكم». وهذا هو يؤتى إليه بغنائم «جلولاء»، فيرى ياقوتة وجوهرة، فيبكي، فيقول له عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه -: ما يبكيك يا أمير المؤمنين وهذا موطن شكر؟! فيقول عمر: «والله ما ذاك يبكيني، وتالله ما أعطى الله هذا أقواماً إلا تحاسدوا وتباغضوا، ولا تحاسدوا إلا ألقى الله بأسهم بينهم»! وقد كان ما خافه رحمه الله تعالى!

نبات الزعفران

خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه

عنون البخاري - رحمه الله تعالى - في صحيحه لبيعة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - بقوله: (باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان - رضي الله عنه -) ثم ذكر بعد ذلك حديثاً طويلاً اشتمل على ذكر مقتل الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ؛ وعلى قصة بيعة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - بالخلافة على يد من اختارهم الفاروق؛ ورسول الله ﷺ راض عنهم.

« ... فَقَالُوا: أَوْصِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اسْتَخْلِفْ قَالَ: مَا أَجِدُ أَحَدًا أَحَقَّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ أَوْ الرَّهْطِ الَّذِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ فَسَمَّى عَلِيًّا وَعُثْمَانَ وَالزُّبَيْرَ وَطَلْحَةَ وَسَعْدًا وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَقَالَ: يَشْهَدُكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ كَهَيْئَةِ التَّعْزِيَةِ لَهُ فَإِنْ أَصَابَتْ الْإِمْرَةُ سَعْدًا فَهُوَ ذَاكَ وَإِلَّا فَلْيَسْتَعِنْ بِهِ أَيُّكُمْ مَا أُمِّرَ فَإِنِّي لَمْ أَعْزِلْهُ عَنْ عَجْزٍ وَلَا خِيَانَةٍ وَقَالَ: أُوصِي الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي بِالْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ أَنْ يَعْرِفَ لَهُمْ حَقَّهُمْ وَيَحْفَظَ لَهُمْ حُرْمَتَهُمْ وَأُوصِيهِ بِالْأَنْصَارِ خَيْرًا، الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَنْ يُقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَأَنْ يُعْفَى عَنْ مُسِيئِهِمْ وَأُوصِيهِ بِأَهْلِ الْأَمْصَارِ خَيْرًا فَإِنَّهُمْ رِدْءُ الْإِسْلَامِ وَجُبَاةُ الْمَالِ، وَغَيْظُ الْعَدُوِّ، وَأَنْ لَا يُؤْخَذَ مِنْهُمْ إِلَّا فَضْلُهُمْ عَنْ رِضَاهُمْ وَأُوصِيهِ بِالْأَعْرَابِ خَيْرًا: فَإِنَّهُمْ أَصْلُ الْعَرَبِ وَمَادَّةُ الْإِسْلَامِ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ حَوَاشِي أَمْوَالِهِمْ وَيُرَدَّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ وَأُوصِيهِ بِذِمَّةِ اللَّهِ وَذِمَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُوفَى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ وَأَنْ يُقَاتَلَ مِنْ وَرَائِهِمْ وَلَا يُكَلَّفُوا إِلَّا طَاقَتَهُمْ فَلَمَّا قُبِضَ خَرَجْنَا بِهِ فَانْطَلَقْنَا نَمْشِي، فَسَلَّمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ قَالَ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَتْ: أَدْخِلُوهُ فَأُدْخِلَ فَوُضِعَ هُنَالِكَ مَعَ صَاحِبَيْهِ فَلَمَّا فُرِغَ مِنْ دَفْنِهِ اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ الرَّهْطُ فَقَالَ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ اجْعَلُوا أَمْرَكُمْ إِلَى ثَلَاثَةٍ مِنْكُمْ فَقَالَ الزُّبَيْرُ: قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عَلِيٍّ، فَقَالَ طَلْحَةُ: قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عُثْمَانَ وَقَالَ سَعْدٌ: قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَيُّكُمَا تَبَرَّأَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ فَنَجْعَلُهُ إِلَيْهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ وَالْإِسْلَامُ لَيَنْظُرَنَّ أَفْضَلَهُمْ فِي نَفْسِهِ فَأُسْكِتَ الشَّيْخَانِ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَفَتَجْعَلُونَهُ إِلَيَّ وَاللَّهُ عَلَيَّ أَنْ لَا آلُ عَنْ أَفْضَلِكُمْ قَالَا: نَعَمْ فَأَخَذَ بِيَدِ أَحَدِهِمَا، فَقَالَ: لَكَ قَرَابَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْقَدَمُ فِي الْإِسْلَامِ، مَا قَدْ عَلِمْتَ فَاللَّهُ عَلَيْكَ لَئِنْ أَمَّرْتُكَ لَتَعْدِلَنَّ وَلَئِنْ أَمَّرْتُ عُثْمَانَ لَتَسْمَعَنَّ وَلَتُطِيعَنَّ ثُمَّ خَلَا بِالْآخَرِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ فَلَمَّا أَخَذَ الْمِيثَاقَ، قَالَ: ارْفَعْ يَدَكَ يَا عُثْمَانُ؛ فَبَايَعَهُ فَبَايَعَ لَهُ عَلِيٌّ وَوَلَجَ أَهْلُ الدَّارِ فَبَايَعُوهُ». صحيح البخاري.

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصي. يكنى أبا عمرو، ويقال: أبا عبد الله. وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب ابن عبد شمس. وأمها أم حكيم، وهي البيضاء بنت عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف. كان عثمان يكنى في الجاهلية أبا عمرو، فلما ولد في الإسلام من رقية عبد الله اكتنى به، فبلغ ست سنين، فنقره ديك في عينه، فمرض، فمات.

ومن صفته؛ أنه كان حسن الوجه، رقيق البشرة، بوجهه نكتات من جدري، ليس بالقصير ولا بالطويل، كبير اللحية عظيمها، أسمر اللون، عظيم الكراديس، بعيد ما بين المنكبين، أصلع، وكان نقش خاتمه: آمن عثمان بالله العظيم. ابن الجوزي، المنتظم

ولي عثمان بن عفان رضي الله عنه الخلافة بعد استشهاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المحرم سنة ٢٤ للهجرة، وعمره ٦٨ عاماً ميلادياً، أو ٧٠ عاماً هجرياً، وكان غنياً وديعاً ليناً. عاشت البلاد الإسلامية في سني خلافته الأولى سعة وطمأنينة، بعد أن استقر الأمن في الدولة الإسلامية، وكثرت الفتوحات، وعمّ الرغد بين الناس، وكتائب الجهاد مستمرة في خوض غمار الفتوحات والخيرات تفد على المدينة من كل صوب وحدب. والناس يشتغلون بالعلم وبأمور حياتهم اليومية وزاد اتساع الدولة الإسلامية بعد إخضاع أكثر حركات التمرد في البلاد المفتوحة. وفتحت في عهده إرمينية وإفريقية (تونس) وخراسان وجهات أخرى سيرد تفصيلها في جوانب هذا الأطلس إن شاء الله تعالى. وحينما بَطر أصحاب **الفتنة** نعمة الله تعالى، وتمالؤوا على عثمان، وأرادوا قتله **بسبب الكذب المدسوس**، الذي دسته **أياد يهودية** غادرة لزرع الفتنة بين المسلمين، ترعزع الوضع وصار الخليفة ضحية لذلك: حينما جاء الموتورن وحصروا أمير المؤمنين في داره، سارع جماعة من أبناء الصحابة، منهم **الحسن والحسين** لحمايته. وكان **علي** رضي الله عنه يحمل الماء بنفسه إلى عثمان حتى قتل رضي الله عنه وأرضاه. وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

كُتب عثمان بن عفان بعد توليه الخلافة

أول كتاب كتبه الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى عماله :

« أما بعد، فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة، و لم يتقد إليهم أن يكونوا جباة، وإن صدر هذه الأمة خلقوا رعاة و لم يخلقوا جباة، وليوشكن أئمتكم أن يصيروا جباة ولا يكونوا رعاة، فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء. ألا وإن أعدل السيرة أن تنظروا في أمور المسلمين وفيما عليهم فتعطوهم مالهم وتأخذوهم بما عليهم، ثم تثنوا بالذمة فتعطوهم الذي لهم وتأخذوهم بالذي عليهم، ثم العدو الذي تنتابون فاستفتحوا عليهم بالوفاء » .

الطبري. تاريخ الأمم والملوك. ج ٢. ص ٥٩٠

أول كتاب كتبه الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى أمراء الأجناد في الفروج:

« أما بعد، فإنكم حماة المسلمين وذادتهم، وقد وضع لكم عمر ما لم يغب عنا بل كان عن ملأ منا. ولا يبلغني عن أحد منكم تغيير ولا تبديل فيغير الله ما بكم ويستبدل بكم غيركم. فانظروا كيف تكونون فيما ألزمني الله النظر فيه والقيام عليه » .

الطبري. تاريخ الأمم والملوك. ج ٢. ص ٥٩١

معاودة فتح أذربيجان

في سنة [illegible] من الهجرة المباركة

فتح المسلمون أذربيجان في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث عقد حذيفة بن اليمان رضي الله عنه صلحاً مع أهالي أذربيجان، على ثمانمائة ألف درهم وزن، على أن لا يقتُل منهم أحداً، ولا يَسبيه، ولا يهدم بيت نـار، ولا يعرضـ لأكراد البَلاشجان، وسَبَـلان، وميان روذان، ولما أسند الخليفة عثمان بن عفـان رضي الله عنه، إمارة الكوفة للوليد ابن عقبة؛ **انتفض أهل أذربيجان**، فمنعوا ما كانوا قد صالحوا عليه حذيفة بن اليمان أيام الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، وثاروا على واليهم عقبة بن فرقد (انظر تفصيل ذلك في الصفحة المقابلة) .

أذربيجان : هي كورة تلي الجبل من بلاد العراق وهي مفتوحة الألف وتلي كور أرمينية من جهة المغرب، ينسب إليها أذربي، وفـي خـبر الصديق رضي الله عنـه أنه قال حين حضرته الوفـاة وعزم على استخلاف عمر رضـي الله عنه لمن كره ذلك: فكلكم ورم أنفه أن يكون له الأمر من دونه، والله لتتخذن نضائد الديباج وستور الحرير ولتألمن النوم على الصوف الأذربي كمـا يـألم أحدكم النـوم على حسك السعـدان، يشير إلى ما كان مـن الاتساع في الدنيـا. والصوف الأذربـي منسوب إلى أذربيجـان ينسـب إلى أذربيجـان أبو عبد الله الحسـن بن جابر الأزدي صاحب كتـاب " اللامع " في أصـول الفقه، وأهل أذربيجان مشهورون بالإكباب على العلم والاشتغال به، وفيهم يقول الحافظ أبو الطاهر السلفي:

ديار أذربيجان في الشرق عندنا ... كأندلس في الغرب في النحو والأدب

فلست ترى في الدهر شخصاً مقصراً ... من أهلها إلا وقد جد في الطلب وكان عمر رضـي الله عنه قد فرق أذربيجان بين بكـير بـن عبـد الله وبين عتبة بـن فرقد وأمر كل واحـد منهما بطريـق غير طريق صاحبـه، ثم جمع عمـر رضي الله عنه أذربيجان كلها لعتبة بن فرقد وعادت أذربيجان سلماً، وكتب عتبة بينه وبين أهلها كتاباً : هذا ما أعطاه عتبة بن فرقد عامل عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل أذربيجان، سهلها وجبلها وحواشيها وشعابها وأهل مللها كلهم، على الأمان على أنفسهم وأموالهم وشرائعهم على أن يؤدوا الجزية على قدر طاقتهم، ليس ذلك على صبي ولا امرأة ولا زمن ليس في يديه من الدنيا شيء ولا متعبد متخل ليس في يديه من الدنيا شيء، لهم ذلك ولمن سكن معهم، وعليهم قرى المسلم من جنود المسلمين يوماً وليلـة ودلالتـه، ومن حشر منهـم في سنة رفع عنه جزاء تلك السنة، ومن أقام فله مثل مـا لمن أقام في ذلك ومن خرج فله الأمان حتى يرجع إلى حرزه.

ثـم غـزا الوليـد بن عقبة رضي الله عنه أذربيجان وأرمينية في السنة التـي بويع فيها عثمان رضي الله عنه، وقيل سنة خمسـ وعشريـن بعدها، وقيل سنة ست، فصالحهم على ثلاثمائة ألف درهم وعلى التي صالح عليها حذيفة بن اليمان أيام عمـر رضـي الله عنهما. محمد بن عبـد المنعم الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ٣٠، تحقيق إحسان عباس، الناشر : مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت -مطابع دار السراج، الطبعة : ٢ - ١٩٨٠ م .

- الخليفة **عثمان بن عفان** - رضي الله عنه - يولّي الوليد بن عقبة إمارة الكوفة، بعد أن عزل **سعد بن أبي وقاص** عنها.
- أهل أذربيجان يمنعون ما كانوا صالحوا عليه حذيفة بن اليمان أيام **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه، ويثورون على واليهم عقبة ابن فرقد .
- الخليفة **عثمان**؛ يأمر الوليد بن عقبة، بغزو أهل أذربيجان لتأديبهم على نقضهم العهد مع المسلمين .
- الوليد بن عقبة يضع سلمان بن ربيعة الباهلي مقدمة لجيشه .
- الوليد بن عقبة يتوغل في أرض أرمينية ثم يمضي إلى أذربيجان .
- أهل أذربيجان حينما علموا بمقدم المسلمين؛ طلبوا الصلح على ما كانوا صالحوا عليه حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - ؛ أيام الخليفة **عمر بن الخطاب** - رضي الله عنه -، فأجابهم الوليد على ذلك وأخذ برأيهم حقناً للدماء ! .

ـ **الوليد بن عقبة**، يبث السرايا ويشن الغارات من أذربيجان على النحو التالي:

١ ـ عبد الله بن شبيل الأحمسي يتقدم بقوة تقدر بـ ٤٠٠٠ مقاتل للإغارة على أهل موقان، البير (الببر) الطيلسان، وتخضع المتمردين فيها لسلطان الدولة الإسلامية، ثم تعود إلى قواعدها سالمة غانمة.

٢ ـ سلمان بن ربيعة الباهلي يتقدم قوة تقدر بـ ٦٠٠٠ مقاتل مدداً لحبيب بن مسلمة الفهري في فتوح أرمينيا، لكنه وصل بعدما تمكن حبيب من هزيمة الروم على نهر الفرات، وقد عاد الجيش محملاً بالغنائم. (انظر تفصيل ذلك في الفصل الثاني ـ الفتح الإسلامي على الجبهة الشمالية)

٣ ـ بعد إخماد حركات التمرد في أذربيجان؛ الوليد بن عقبة يعود إلى الكوفة.

موقان: إحدى مدن أذربيجان.

البير (الببر): بلد حصين من نواحي شهر روز ـ البغدادي، ج ٢ ص ٢٤٠.

طيلسان: إقليم واسع كثير البلدان والسكان من نواحي الديلم والخزَر.

١) بعد عودة الوليد بن عقبة إلى الكوفة، عاود أهل أذربيجان تمردهم على المسلمين ٢٤هـ.

٢) الأشعث بن قيس والي المسلمين على (أذربيجان)، يبعث بخبر التمرد إلى الوليد بن عقبة بالكوفة.

٣) الوليد بن عقبة، يمد جيش المرابطين المسلمين بأذربيجان بجيش الكوفة.

٤) بعد وصول الإمدادات الإسلامية إلى أذربيجان: استطاع الأشعث أن يخمد حركات التمرد فيها؛ حتى طالب أهلها الصلح مع المسلمين على نهج صلحهم السابق، وخوفاً من تكرار حركة التمرد مرات أخرى، قام الأشعث بوضع حامية عربية فيها، وجعل لها عطايا، وسجلها في الديوان، وأمرها بأن تدعو الناس إلى الدخول في الإسلام بالتي هي أحسن.

٥) أهل أذربيجان، ينكثون العهد مع المسلمين بعد أن تولى أمرها سعيد بن العاص؛ فبعث الوليد إليهم جرير بن عبد الله البجلي، الذي استطاع أن يلحق بهم هزيمة نكراء، بعدما تمكن من قتل رئيسهم، ثم استقرت الأمور بعد ذلك بعد أن أسلم معظم سكانها بأثر دعوة المسلمين فيهم.

مغارة أثرية في زنجان الإيرانية

حمامات بخارية في باكو

إحدى قرى أردبيل المطلة على بحر قزوين

موقان

الطبيعة في أردبيل

جيلان

الري في التراث الجغرافي الإسلامي

الري: بلد جليل، بهي نبيل، كثير المفاخر والفواكه، فسيح الأسواق، حسن الحانات، طيب الحمامات، كثير الأدامات، قليل المؤذيات، غزير المياه، مفيد التجارات، علماء سراة، وعوام دهاة، ونسوان مدبرات، بهي المحلات خفيف ظريف نظيف، لهم جمل وعقل، وآئين وفضل، وبه مجالس ومدارس وقرائح، وصنائع ومطارح ومكارم وخصائص، لا يخلو المذكر من فقه، ولا الرئيس من علم، ولا المحتسب من صيت، ولا الخطيب من أدب، هو أحد مفاخر الإسلام وأمهات البلدان؛ به مشايخ واجله، وقراء وائمة وزهاد وغزاة وهمة، كثير الجليد والثلج ولفقاعهم ذكر، ولبزهم اسم، ولمذكريهم فن، ولرساتيقهم شأن، به دار الكتب الأحدوثة، وعرضه البطيخ العجيبة، والروذة البهية، وبه قلعة ومدينة، حسن الخانات، كامل الآلات نفيس سري، ودخلنا يوماً على أبي العباس اليزدادي وقد أنزله ناصر الدولة موضعاً نزيهاً بنيسابور فقال: ما علمت أن نيسابور بهذه الطيبة فهل الري مثلها فتكلم كل أحد بما عنده، فقلت: أيد الله الشيخ، نيسابور أكبر وأهلها أيسر، والرَّي أبهى وأنزه، وماؤها أغزر؛ فالري فوق ما وصفنا إلا أن ماءهم يسهل، وبطيخهم يقتل، وعالمهم يضل، أكثر ذبائحهم البقر، قليل الحطب، كثير الشغب، لحوم عاسية، وقلوب قاسية، وجماعة منكرة، وائمة الجامع مختلفة؛ يوم للحنفيين ويوم للشفعويين، وقال بعض الرجاز:

الري فيها درهم كدانق — والخبز في أعلى علو الخالق

واللحم قد علق بالشواهق — وكم بها من قاطع وسارق

اسرق للحبات من عقاعق — وليس بالمأمون من ترافق

يحلف بالطور وبالمشارق — إني على حق فغير صادق

وهو إذا خصك عين الفاسق

وهو بلد كبير نحو فرسخ في مثله؛ إلا أن أطرافه قد خربت، والجامع على أطرف المدينة الداخلة عند القلعة ليس خلفه عمارة، والقلعة خربة، والمدينة الجارجة عامرة، بلا أسواق والأسواق والعمارات بالربض، والمياه تتخلله، وفيه قني ودار الكتب بأسفل الروذة في خان ودار البطيخ عند الجامع ... أما بالري فالغلبة للحنيفيين وهم بخارية إلا رساتيق القصبة؛ فإنهم زعفرانية يقفون في خلق القرآن، وسمعت بعض دعاة الصاحب يقول: قد لان لي أهل السواد في كل شيء، إلا في خلق القرآن. ورأيتُ أبا عبد الله بن الزعفراني قد عدل عن مذهب آبائه إلى مذهب النجار، وتبرأ منه أهل الرساتيق. وبالري حنابلة كثير، لهم جلبة والعوام قد تابعوا الفقهاء في خلق القرآن، وأهل قم شيعة غالية؛ قد تركوا الجماعات، وعطلوا الجامع، إلى أن الزمهم ركن الدولة عمارته ولزومه، وهمذان وأجنادها أصحاب حديث إلا الدينور فإن بها خاصاً وعاماً وجلبة لمذهب سفيان الثوري والإقامة في الجامع مثنى، وعلى ذلك كان أهل أصفهان في القديم... أما التجارة؛ فتجاراتهم مفيدة، يحمل من الري البرود والمنيرات والقطن والقصاع والمسال والأمشاط، ومن قزوين الأكسية والجوارب، والقسي ومن قم الكراسي ،واللجم والركب وبز وزعفران كثير ومن همذان ونواحيها البز والزعفران والأسبيذروي والثعالب أولسمور والجفاف والأجبان، ومن سر الطيالسة الرفيعة، والأكسية الحسنة، ومن خصائصهم بطيخ الري وخوخها وحلل أصفهان وأقفالها، ونمكسودها وألبانها، وقماقم قاشان وطلخونها وجبن الدينور ودروع قزوين وقسيها. محمد بن أحمد المقدسي، أحسن التقاسيم، ج١، ص. ٣٦١ـ ٢٦٨.

ذكرنا في كتابنا السابق (أطلس الخليفة عمر بن الخطاب) رضي الله عنه في ص ١٣٥ نص معاهدة الأمان التي وقعها المسلمون مع أهل الري؛ لكن أهل الري نقضوا هذا العهد الذي كانوا عقدوه مع حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

ـ قيام أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أثناء ولايته على الكوفة بإعادة الري إلى فلك الدولة الإسلامية، حيث أرسل إليها قريظة بن كعب الأنصاري؛ وبذلك واصل المسلمون في عهد عثمان - رضي الله عنه - العمل على توطيد الإسلام في هذه البلاد التي انتفض أهلها محاولين الخروج على سلطان الدولة الإسلامية.

وصف الإصطخري الري قائلاً: أنها كانت أكبر من أصبهان وليس بالجبال بعد الريّ أكبر من أصبهان، ثمّ قال: والرَّيّ مدينة ليس بعد بغداد في المشرق أعمر منها وإن كانت نيسابور أكبر عوصة منها، وأما اشتباك البناء واليسار والخصب والعمارة فهي أعمر، وهي مدينة مقدارها فرسخ ونصف في مثله، والغالب على بنائها الخشب والطين، قال: وللرّيّ قرى كبار كلّ واحدة أكبر من مدينة، وعدّد منها قوهذ والسُّدّ ومرجبى وغير ذلك من القرى التي بلغني أنها تخرج من أهلها ما يزيد على عشرة آلاف رجل، قال: ومن رساتيقها المشهورة قصران الداخل والخارج وبهزان والسن وبشاويه ودُنباوند. وقال ابن الكلبي: سميت الريّ بريّ رجل من بني شيلان ابن أصبهان بن فلوج . ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ١١٧ .

تحرير همذان من بقايا المجوس سنة ٢٤ هـ

همذان (همدان)

إيـــــران

نهاوند

مسار الجيش الإسلامي إلى همذان

شيرين سو، رزن، رازقان، سامان، شوه، سريش آباد، دلبران، كومين، كبودر أهنق، بويران، غرق آباد، ساوه، قروه، بهارلو، هامنين، ناعجة عاز، مرق، قردكانة، آباد، جورقان، قهاوند، بازرجان، حنار عليا، أسد آباد، كميجان، تفرش، سنقر، شهر ستانه، اشتران، ميلاجرد، آشتيان، فرمهين، توسر كان، كناكور (قصر اللصوص)، كارزان، فيروزان، هرسين، اشتربنان، كردكان دار، بروجرد، فيروز

ــــ أمير الكوفة (المغيرة بن شعبة الثقفي) ، يسير بجيش المسلمين ويحرر همذان من السيطرة المجوسية بعد قتال مرير مع المدافعين عنها سنة ٢٤ هـ .

ــــ عيّن المغيرة بن شعبة القائد (جريـــر بن عبد الله البجلي) عاملاً على همذان بعد تحريرها من قبضة الفرس المجوس .
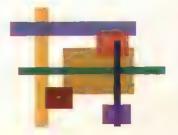
ونبدأ من ذلك بذكر **همذان** فنقول: إن همذان مدينة كبيرة القطر، كثيرة العامر، ولها أسواق وتجارات دائرة، وأهلها أهل نبالة وأدب وفضل ومروة، وأسعارها مع الأيام مرفقة، وبها كثير الأغنام واللحمان السمان والألبان والأجبان .

ـــــــــــــــــــــــــــ

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ج ٢ ص ٦٧٣

وكور الجبل **همذان** والروذ راور وبروجرد والكرج وفراونده وقصر اللصوص، وصحنة وأسد أباذ والمرج وطزر وحومة سهرورد وشهرزور وزنجان وأبهر وسمنان وقم وقاشان وروذه وبوسته والكرج والبرج وإصبهان وخان لنجان وبارما ومدينة الصيمرة وماسبذان ومهرجان قذق وماه الكوفة وهي الدينور وماه البصرة وهي نهاوند وهمذان وقم .

ومن الدكان إلى قصر اللصوص أحد وعشرون ميلاً ثم إلى أسد أباذ أحد وعشرون ميلاً .

ـــــــــــــــــــــــــــ

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ج:٢ ص:٦٧٤

من آثار همدان

أحد المغارات في همدان

قزوين وأبهر في التراث الجغرافي الإسلامي

قَزْوِينُ: بالفتح ثم السكون، وكسر الواو، وياء مثناة من تحت ساكنة، ونون: مدينة مشهورة بينها وبين الرّيّ سبعة وعشرون فرسخاً وإلى أبهرَ اثنا عشر فرسخاً، وهي في الإقليم الرابع، طولها خمس وسبعون درجة، وعرضها سبع وثلاثون درجة، قال ابن الفقيه: أول من استحدثها سابور ذو الأكتاف واستحدث أبهر أيضاً. قال: وحصن قزوين يسمّى كشرين بالفارسية وبينه وبين الديلم جبل كانت ملوك الأرض تجعل فيه رابطة من الأساورة يدفعون الديلم إذا لم يكن بينهم هُدْنة ويحفظون بلدهم من اللصوص، وكان **عثمان بن عفان**، رضي الله عنه، ولّى البراء بن عازب الرّيّ في سنة ٢٤ ، فسار منها إلى أبهر ففتحها، كما ذكرنا، ورحل عنها إلى قزوين فأناخ عليها، وطلب أهلُها الصلح فعرض عليهم ما أعطى أهل أبهر من الشرائط فقبلوا جميع ذلك: إلا الجزية فإنهم نفروا منها، فقال: لا بدّ منها، فلما رأوا ذلك أسلموا وأقاموا مكانهم فصارت أرضهم عُشْريّة ثم رتب البراء فيهم خمسمائة رجل من المسلمين فيهم طليحة بن خُوَيلد الأسدي وميسرة العائذي وجماعة من بني تغلب وأقطعهم أرضين وضياعاً لا حقّ فيها لأحد، فعمروا وأجرَوْا أنهارها وحفروا آبارها فسُمّوا تُنّاءها، وكان نزولهم على ما نزل عليه أساورة البصرة على أن يكونوا مع من شاؤوا فصار جماعة منهم إلى الكوفة وحالفوا زُهرة بن حَويّة فسموا حمراء الديلم وأقام أكثرهم مكانهم؛ وقال رجل ممن قدم مع البراء:

قد يعلمُ الدّيلَمُ إذ تحاربُ ... لما أتى في جيشه ابن عازبْ
بأنّ ظنَّ المشركين كاذبْ ... فكم قطعنا في دُجى الغياهبْ
من جبل وَعْرٍ ومن سَباسبْ ،

قالوا: ولما ولي سعيد بن العاصي بن أميّة الكوفة بعد الوليد بن عقبة غزا الديلم فأوقع بهم وقدم قزوين فمصّرَها وجعلها مَغْزَى أهل الكوفة إلى الديلم، ... وكان المبارك التركي بَنَى بها حصناً سماه المباركية وبه قوم من مواليه، وحدث محمد بن هارون الأصبهاني قال: اجتاز الرشيد بهمذان وهو يريد خراسان فاعترضه أهل قزوين وأخبروه بمكانهم من بلد العدوّ وعنائهم في مجاهدتهم وسألوه النظر لهم وتخفيف ما يلزمهم من عُشْر غلاتهم في القصبة فسار إلى قزوين ودخلها وبنى جامعها وكتب اسمه على بابه في لوح حجر وابتاع بها حوانيت ومستغلات ووقفها على مصالح المدينة وعمارة قُبّتها وسورها، قال: وصعد في بعض الأيام القُبّة التي على باب المدينة وكانت عالية جداً فأشرف على الأسواق ووقع النفيرُ في ذلك الوقت فنظر إلى أهلها وقد غلّقوا حوانيتهم وأخذوا سيوفهم وتراسهم وجميع أسلحتهم وخرجوا على راياتهم، فأشفق عليهم وقال: هؤلاء قوم مجاهدون يجب أن ننظر لهم، واستشار خواصّه في ذلك فأشار كلٌّ برأي، فقال: أصلَحُ ما يُعمل بهؤلاء أن يُحَطّ عنهم الخراجُ ويُجعل عليهم وظيفة القصبة فقط، فجعلها عشرة آلاف درهم في كل سنة مقاطعةً، ... . معجم البلدان ج ٤ ص ٣٤٢ـ٣٤٤ .

وأما مدينتا **أبهر** و **زنجان** فصغيرتان حصينتان كثيرتا المياه والأشجار والزروع. وزنجان أكبرُ من أبهر. وأهل أبهر أحذق وأنبل طباعاً؛ وأهل زنجان تدركهم غفلة وجهل. وبين زنجان والدينور تسعون ميلاً وتتصل بأرض البهلويين وهي أرض الجبال كورة طبرستان وطبرستان بلاد كثيرة عامرة كثيرة المياه والثمار والأشجار والغياض بها كثيرة وأبنيتها الخشب والقصب والمطر عندهم في أكثر الأوقات ومن مدن طبرستان آمل وناتل وكلار وميلة ومامطير وسارية وطميسة وأستاراباذ وجرجان ودهستان وآبسكون وشالوس وموقان والطالقان وويمه وخوار وسمنان والدامغان وبسطام ورويان وترنجي وجبال الديلم والمدخل إلى طبرستان من الري على شالوس وشالوس مدينة على نحر البحر الملح وهذا البحر يسمى بحر الخزر ويعرف أيضاً ببحر طبرستان وسنذكره في موضعه إذا بلغ بنا القول إليه بحول الله تعالى . نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ج٢ ص: ٦٧٨ .

- المغيرة بن شعبة يوجّه البراء بن عازب لتحرير قزوين من بقايا المجوس المنهزمين فيها؛ بعد أن أصبح والياً على الري من قبل الخليفة **عثمان بن عفان** رضي الله عنه .
- البراء بن عازب يصل بقواته إلى أحد الحصون القريبة من (أبهر) ويضرب الحصار عليه !
- بعد اشتداد وطأة الحصار على الفرس، رأى الأهالي طلب الصلح من المسلمين على نفس شروط صلح نهاوند .
- البراء بن عازب ، يحرر أراضي (أبهر) ثم يتقدم صوب قزوين .
- حينما شاهد الديلم قوة بأس القوات الإسلامية المحاصرة لقزوين. رأوا من الصالح العام أن يتقدموا بطلب الصلح مع المسلمين، مما مهد لفتح بلادهم كما سيتبين لنا ذلك في الصفحات القادمة إن شاء الله تعالى .
- أهل قزوين حينما شاهدوا موقف الديلم مع المسلمين، رأوا من الأهمية بمكان عقد صلحاً مماثلاً مع المسلمين، على أثر ذلك قام البراء بترتيب حامية عسكرية في قزوين تتألف من ٥٠٠ مقاتل تحت قيادة طليحة بن خويلد الأسدي، وأقطعهم أرضاً ليستقروا عليها .

الجزء الجنوبي من بحر قزوين (الخزر) من الفضاء الخارجي

بحر قزوين من
أكبر البحيرات في العالم، وقديماً كان يسمى بحر الخزر وبحر طبرستان وبحر مازندران، وهذا البحر (البحيرة المالحة الكبيرة)، تتميز بوفرة محصول الكافيار الممتاز على مستوى بحار العالم، وتتميز المدن التي تطل على سواحله بالهواء الرطب والمشمس .

أحد المساجد الحديثة في مدينة قزوين الإيرانية.

شاطئ بحر قزوين من الناحية الجنوبية (إيران)

ـــــ البراء بن عازب يتقدم بقواته نحو أرض الديلم، بعد أن تقدم الأهالي بطلب الصلح من المسلمين، وبذلك استطاع تحرير أرض الديلم من السيطرة المجوسية الفارسية .

ـــــ بعد أن أمّن البراء بن عازب جبهة الديلم، رأى تصفية الجيوب التالية:

جيلان . الببر . الطيلسان . زنجان ، حيث خاض بقواته حروباً طاحنة انتهت بفتح هذه البلاد وإخضاعها للدولة الإسلامية الراشدة .

زَنْجانُ بفتح أوّله وسكون ثانيه ثم جيم، وآخره نون: بلد كبير مشهور من نواحي الجبال بين أذربيجان وبينها، وهي قريبة من أبهر و قزوين، والعجم يقولون زَنْكان بالكاف؛ وقد خرج منها جماعة من أهل العلم والأدب والحديث، فمن المتقدمين: أحمد بن محمد بن ساكن الزنجاني، روى عن إسماعيل بن موسى ابن بنت السري وغيره ممّن لا يحصى كثرة؛ وكان عثمان بن عفّان، رضي الله عنه، سنة ٢٤ ولّى البراء بن عازب الري فغزا أبهر وفتحها ثمّ قزوين وملكها ثم انتقل إلى زنجان فافتتحها عنوة؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣ ، ص ١٥٢ - ١٥٣ .

طَيْلَسانُ بفتح أوله، وسكون ثانيه، ولام مفتوحة، وسين مهملة، وآخره نون: قال الليث: الطلس والطلسة مصدر الأطلس من الذئاب وهو الذي تساقط شعره وهو أخبث ما يكون، قال: والطيلسان بفتح اللام منه ويكسر ولم أسمع فَيْعِلان بكسر العين إنما يكون مضموماً كالخيزُران والحيْسُمان، ولكن لما صارت الكسرة والضمة أختين اشتركتا في مواضع كثيرة ودخلت الكسرة مدخل الضمة، قال الأصمعي: الطيلسان معرَّبٌ فارسيّ وأصله تالشان؛ وطيلسان: إقليم واسع كثير البلدان والسكان من نواحي الديلم والخزَر افتتحه الوليد بن عقبة في سنة ٣٥ . ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤ ، ص ...
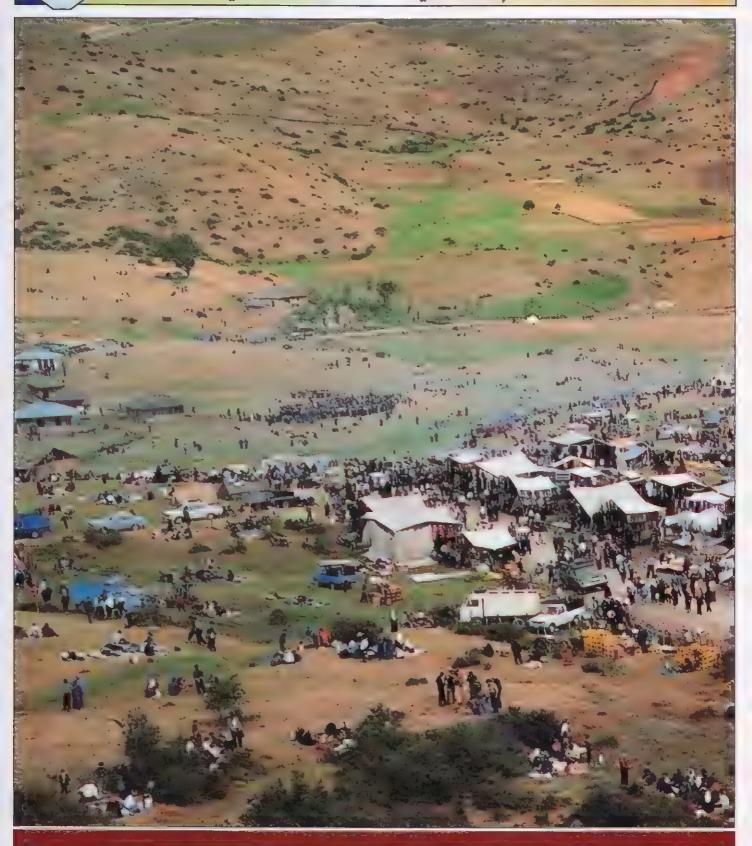
سابور وكازرون في التراث الجغرافي الإسلامي

سابورُ: بلفظ اسم سابور أحد الأكاسرة، وأصله شاه بور أي ملك بور، وبور: الابن بلسان الفرس، قاله الأزهري: وقال الأعشى:

وساقَ له شاه بور الجنود عامين يُضرَب فيه القُدُمْ

ومن سابور إلى شيراز خمسة وعشرون فرسخاً (الفرسخ = ٣ أميال = ٥٥٤٤ م) .

وسابور في الإقليم الثالث، وطولها ثمان وسبعون درجة وربع، وعرضها إحدى وثلاثون درجة: كورة مشهورة بأرض فارس ومدينتها النّوبَنْدَجان في قول ابن الفقيه، وقال البشّاري: مدينتها شهرستان، وقال الإصطخري: مدينتها سابور، وبهذه الكورة مُدُنٌ أكبر منها مثل النوبندجان وكازرون، ولكن هذه كورة تنسب إلى سابور الملك لأنه هو الذي بنى مدينة سابور، وهي في السعة نحو إصطخر إلاّ أنّها أعمر وأجمع للبناء وأيسر أهلاً، وبناؤها بالطين والحجارة والجصّ، ومن مدن هذه الكورة: كازرون وجرَه ودشتبارين وخُمَايجان السفلى والعليا وكُندُران والنوبندجان وتوّز ورموم الأكراد وجُنْبُذ وخشت وغير ذلك؛ وبسابور الأدهان الكثيرة، ومن دخلها لم يزل يشم روائح طيبة حتى يخرج منها، وذلك لكثرة رياحينها وأنوارها وبساتينها، وقال البشاري: نيسابور كورة نزهة قد اجتمع في بساتينها النخل والزيتون والأترج والخرّوب والجوز واللوز والتين والعنب والسدر وقصب السكر والبنفسج والياسمين، أنهارها جارية وثمارها دانية والقرى متصلة تمشي أياماً تحت ظل الأشجار مثل صُغْد سمرقند، وعلى كلّ فرسخ بقّال وخبّاز، وهي قريبة من الجبال؛ وقال العمراني: سابور نهر؛ وأنشد:

أبيتُ بجَسر سابورٍ مقيماً يؤرِّقني أنينُك يا مَعين

وقد نسبوا إلى سابور فارس جماعة من العلماء، منهم: محمد بن عبد الواحد بن محمد بن الحسن بن حمدان الفقيه أبو عبد الله السابوري، حدث بشيراز عن أبي عبد الله محمد بن علي بن عبد الملك، روى عنه أبو القاسم هبة الله بن عبد الوارث الشيرازي وغيره؛ وكان للمهلّب وقائع بسابور مع قَطَريّ بن الفجاءة والخوارج طويلة ذكرها الشعراء؛ قال كعب الأشقري:

تساقوا بكأس الموتِ يوماً وليلةً بسابور حتى كادت الشمس تطلعُ

بمعترك رضراضه من رحالهم وعفر يُرى فيه القنا المتجزّعُ

و سابور أيضاً: موضع بالبحرين فتح على يد العلاء بن الحضرمي في أيام أبي بكر، رضي الله عنه، عنوة في سنة ١٢، وقال البلاذُري: فتح في أيام عمر، رضي الله عنه. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٦٧ - ١٦٨ .

كورة سابور :وهي أصغر كور فارس ومدينتها سابور، وبهذه الكورة مدن هي أكبر منها مثل النُّوبَجَان وكَازَرُون، ولكن هذه الكورة تنسب إلى سابور، لأن سابور الملك هو الذي بنى مدينة سابور. وأما زمومها فهي خمسة: وأكبرها زَمّ جِيلُوية ويعرف بزَمّ الزميجان، ثم الذي يلي هذا الزّم في الكبر زَمّ أحمد بن الليث ويعرف باللّوالِجَان، ويلي ذلك في الكبر زَمّ الحسين بن صالح ويعرف بزمّ الديوان، ثم زَمّ شهريار ويعرف بزمّ البازنجان، والبازنجان الذين في حدود أصبهان ناقلة من هذا الزمّ، وزمّ أحمد بن الحسن ويعرف بزمّ الكاريان وهو زمّ أردشير. وأما أحياء الأكراد فإنها تكثر في الإحصاء، غير أنهم بجميع فارس يقال إنهم يزيدون على خمسمائة ألف بيت شعر ينتجعون المراعي في المشتى والمصيف على مذاهب العرب، ويخرج من بيت واحد من الأرباب والأجراء والرعاء واتباعهم ما بين رجل واحد إلى عشرة من الرجال ونحو ذلك، وسأذكر من أسامي أحيائهم ما يحضرني ذكره على أنهم لا يتقصون في العدد إلا من ديوان الصدقات... .الإصطخري، المسالك والممالك، النسخة الرقمية

كازِرُونُ: بتقديم الزاي، وآخره نون: مدينة بفارس بين البحر وشيراز. قال البشّاري: كازرون بلدة عامرة كبيرة وهي دمياط الأعاجم وذلك أن ثياب الكَتّان التي على عمل القصب وشبه الشَّطَوِيّ وإن كانت خَطْباً تُعمل بها وتباع بها إلاّ ما يُعمل بتَوَّزَ، ثم هي كلها قصور وبساتين ونخيل ممتدّة عن يمين وشمال وبها سماسرة كبار وسوق كبيرة جادّةٌ، ومعظم الدور والجامع على تلّ يصعد إليه والأسواق وقصور التجار تحت، وقد بَنَى عَضدُ الدولة بن بُوَيْه داراً جمع فيها السماسرة، دخلها للسلطان كلّ يوم عشرة آلاف درهم، للسماسرة في البلد قصور حصينة حسنة وليس بها نهر مادٌّ إنما هي قنيٌّ وآبار، وبكازرون تمرٌ يقال له الجيلان يتفرَّد به ذلك الموضع ولا يكون بالعراق ولا بكرمان مثله ويحمل منه إلى العراق في الهدايا على كثرة التمور بالعراق، وبينها وبين شيراز ثلاثة أيام ثمانية عشر فرسخاً، قال الإصطخري: وأما كازَرُون والنوبندَجان فهما أكبر مُدُن كورة سابور، وكازَرُون والنوبندجان متقاربتان في الكبر إلاّ أنّ بناء كازَرُون أوثق وأكثر قصوراً وأصح تربة وليس بجميع فارس أصحّ هواء وتربة من كازرون، ومياههم من الآبار، وهي مدينة حصينة واسعة كثيرة الثمار وأخصب مُدن كورة سابور، وبينها وبين فَسَا ثمانية فراسخ، ولكازرون ذكر في أخبار الخوارج والمهلّب؛ قال النعمان بن عُقبة العتكي من أصحاب المهلّب:

ليت الحواصن في الخدُور شَهِدْننا ... فيرَين مَنْ وَغَلَ الكتيبة أوّلا
وقَرُوا وكنّا في الوقار كمثلهم، ... إذ ليس تسمع غير قدّم أوْ هَلا
رعدوا فأبرقنا لهم بسيوفنا ... ضرباً ترى منه السواعد تُخْتَلى
تركوا الجماجم، والرماحُ تُجيلها ... في كازرون كما تُجيل الحنظلا

وينسب إلى كازرون جماعة من أهل العلم، منهم من المتأخرين: أحمد بن منصور بن أحمد بن عبد الله بن إبراهيم بن جعفر أبو العباس الكازروني، قدم بغداد في سنة ٥٣٩ وأقام بها للتفقه على مذهب الشافعي وسمع بها من جماعة، منهم: أبو محمد عبد الله بن عليّ المغربي سبط أبي منصور الخَيّاط وشيخ الشيوخ أبو البركات إسماعيل بن أحمد النيسابوري وأبو الفضل محمد بن عمر الأرْمَوي وغيرهم وعاد إلى بلده وتولى العصامة ثم قدم بغداد في سنة ٥٨٦ رسولاً وحدَّث بها وجمع لنفسه نسخة في سبعة أجزاء، وكان خبيراً، له فهم ومعرفة، ومولده في ذي الحجة سنة ٥١٦، وخرج ومات بشيراز في جمادى الأولى سنة ٥٨٧؛ وأبو الحسين بن أبي علي الكازروني الصوفي، حدَّث عن أحمد بن العباس بن حوّى وسمع أبا الحسن علي بن أحمد بن محمد بن عتيق الشيرازي وعلي بن محمد بن إبراهيم الحربي السُّتَيتي، ومات سنة ٤٥٤؛ ذكره أبو القاسم. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٢٩ - ٤٣٠.

كازرون: مدينة بفارس عامرة حصينة كثيرة الغلات وافرة الثمرات، كلها قصور وبساتين ونخيل ممتدة عن يمين وشمال؛ قال الاصطخري: ليس بأرض فارس أصح هواءً وتربةً من كازرون. يقال لها دمياط العجم لأنه تنسج بها ثياب الكتان على عمل القصب والشطوى وإن لم يكن رقاعاً. ومعظم دورها والجامع على تل، والأسواق وقصور التجار تحت التل.

بنى عضد الدولة بها داراً جمع فيها السماسرة كان دخلها كل يوم عشرة آلاف درهم. بها تمر يقال له الجيلان، لا يوجد في غير كازرون، يحمل إلى العراق للهدايا مع كثرة تمر العراق. القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، النسخة الرقمية

إعادة السيطرة على ثغره سابور وكازرون

سنة ٢٤ هـ

- في سنة ٢٤ للهجرة ، الخليفة **عثمان بن عفان** رضي الله عنه يُكلّف عثمان بن أبي العاص (أمير البحـــرين) بالتوجه إلى سابور من أرض فارس وإعادتها إلى الدولة الإسلامية.
- بعد قدوم القوات الإسلامية إليها، رات سابور من الأهمية بمكان الإذعان لمطالب المسلمين حقناً للدماء، وعقدت صلحاً لذلك .
- عثمان بن أبي العاص: يأمر قائـده (هَرِم بن حيان العبدي) بتحـريـر قلعة الشيوخ في أحد رساتيـق (قرى) سابور، وتم له ذلك .
- القائد (هرم بن حيان العبدي) ، يواصل فتوحاته في أرض سابور الفارسية، ثم يقوم بفتح قلعة الرهبان وهي إحد قلاع (كازرون) الحصينة .

هو هَرِم بن حيان العَبدي الربعي البصري، روى عن عمر، وتوفي في حدود الثمانين للهجرة،ذكر خليفة عن الوليد بن هشام عن أبيه عن جدّه قال: وجّه عثمان بن أبي العاص هرم بن حيّان إلى قلعة بجُرة، يقال لها قلعة الشيوخ، فافتتحها عنوة وسبى أهلها، وذلك في سنة ست وعشرين، وقال أبو عُبيد: كان الأمير في وقعة صهاب هرم، وقال غيره: بل كان الحَكَم بن أبي العاص. الوافي بالوفيات ، صلاح الدين الصفدي

شهرستان كازرون

كازرون

مرئية فضائية لمدينة كازرون الإيرانية .

الطبيعة في إقليم كازرون بالجمهورية الإيرانية .

إعادة فتح إصطخر

في سنة ٢٤ من الهجرة المباركة

قال الإدريسي: ... ومدينة إصطخر مدينة جليلة كبيرة جميلة كثيرة الأسواق والمتاجر وبناؤها بالطين والحجارة والجص ومدينة إصطخر أقدم مدن فارس وأشهرها اسماً، وكانت مداراً لملكها وملوكها، إلى أن ولي أردشير الملك فنقل ملكه إلى جور، وجعلها داراً لملكه ويروى في الأخبار أن سليمان بن داوود، كان يسير من طبرية إليها من غدوة إلى عشية، وبها مسجد يعرف بمسجد سليمان .

وإصطخر على نهر فرواب ولها قنطرة تسمى بقنطرة خراسان، وهي قنطرة حسنة وخارج القنطرة أبنية ومساكن بنيت في عهد الإسلام ومن إصطخر إلى شيراز ستة وثلاثون ميلاً، وهواء إصطخر هواء فاسد وخيم؛ وبإصطخر تفاح عجيب تكون التفاحة منه نصفها حلو صادق الحلاوة ونصفها حامض صادق الحموضة، ومن شيراز إلى جور ستون ميلاً . ومدينة جور ؛ بناها أردشير وكان مكانها فيما يحكى منفع مياه تجتمع به فاحتال لخروج ذلك الماء، وبنى مدينة جور بها وهي مدينة جليلة، لها سور من طين وخلفه خندق ولها أربعة أبواب، ومقدارها نحو إصطخر وسابور ودارابجرد، كثيرة البساتين والجنات، رحيبة الأبنية والجهات، غدقة الفواكه والثمرات، نزيهة جداً فرجة من جميع جهاتها الأربع، يسير السائر بها بين قصور عالية، ومتنزهات سامية، كاملة الحسن، طيبة الهواء، وكان في وسطها فيما سلف من الزمان: بنيان يسمى الطربال؛ بناه أردشير الملك وجعل له من العلو مقدار ما إذا صعد الإنسان إلى أعلاه أشرف على جميع المدينة ورساتيقها، وكان له في أعلى هذا البناء؛ بيت نار فهدمت الإسلامية أكثره، ولم يبق منه الآن إلا رسم داثر، ويعمل بمدينة جور ماء الورد الكثير الخالص، البالغ في الطيب والصفاء، وعبق الرائحة وقلة التغيير، في المدة الكثيرة، وإليها ينسب ماء الورد الجوري ... .

وأما مدينة ويشهر فإنها صغيرة: لكنها عامرة ولها جامع ورستاق كبير منسوب إليها، وبه عمارات وقرى ومزارع، وكذلك وايج حصن جامع ومعقل مانع، وبه منبر، وله عمالة وقرى، وجنابة مدينة كبيرة عامرة آهلة ذات أسواق عامرة وطرز يصنع بها ثياب الكتان الفاخرة على ضروب، وبها أنواع من التجارات ولها رستاق وعمالة، ومنها مدينة سينيز وهي بقرب البحر وبها منبر وينسب إليها الكتان السينيزي المجمع عليه بالقول العام أنه ليس بجميع أقطار الأرض كتان يعدله ولا يقاومه قوة وليناً، ومن شأنه أنه لا يتعلق بالثياب كفعل الكتان في ذاته وحاله في التعليق بالثياب الملامسة له، ومن رساتيقها العامرة.أسلجان؛ وبها منبر ومنها الملجان وفرزك وباش كلها حصون ومواطن معمورة تتقارب في أقدارها وتتشابه في عماراتها وفي كل واحدة منها منبر وجماعات ... [١].

---

١ – نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ج:١ ص:٤٠٧ ـ ٤١٣ .

الناصرية
الأهواز
العراق
البصرة
الأبلة
أرجان
كاظمة
جيش البصرة؛ بقيادة: عبيد الله بن معمر
وشبل بن معبد البجلي
الملك (شهرك بن ماهك) يعلن
التمرد ضد القوات الإسلامية
وذلك بتحريض من ملك الفرس
الهرب
جيش عثمان بن أبي العاص
إصطخر
أرض فارس
كازرون
شيراز
سابور
توج
ريشهر
دارابجرد
الخليفة (عثمان بن عفان)، يوجه عثمان بن أبي العاص بعد نجاحاته السابقة للذهاب إلى إصطخر لإخماد الثورة التي أضرمها الملك الفارسي، وزوده بجيش البصرة بقيادة عبيد الله ابن معمر وشبل بن معبد البجلي.
بعد انتصار الجيش الإسلامي في إصطخر خاض المسلمون حرباً قوية بالقرب من مدينة (ريشهر) انتهت بنصر مؤزر للمسلمين على الفرس المجوس. بعد أن قتلوا قائدهم (شهرك).
خليج البحرين (الخليج العربي)
لنجة
ج. أوال
هجر البحرين
قطر
جزيرة العرب
تحرير إصطخر من السيطرة الفارسية
٠ ٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠ كم

أصفهان
دز فول
مسجد سليمان
العمارة
يــزد
الأهــواز
أبادة
القرنة
حرمشهر
أزحان
فارس
البصــرة
عبادان
إصطخر
كازرون
شيراز
خليج البحرين
(الخليج العربي)
سابور (شهرستان)
ريشهر
جهرم

أهل سابور ينقضون الصلح الذي أبرموه مع المسلمين ويعلنون تمردهم على الدولة الإسلامية .

أمير البصرة (عبد الله بن قيس الأشعري) يتقدم صفوف الجيش الإسلامي لإعادة سابور إلى سيطرة الدولة الإسلامية .

القائد: عثمان بن أبي العاص (أمير البحرين) يساند قوات البصرة في إعادة تحرير سابور للمرة الثانية .

شهرستان: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وبعد الراء سين مهملة، وتاء مثناة من فوقها، وآخره نون، في عدّة مواضع، منها: شهرستان بأرض فارس، وربما سموها شرستان تحميماً وهم يريدون بالاستان الناحية والشهر المدينة كأنها مدينة الناحية، قال البشاري هي قصبة سابور وقد كانت عامرة آهلة طيبة، واليوم قد اختلّت وخرب أطرافها إلا أنها كثيرة الخيرات ومعدن الخصائص والأضداد ويحتمع بها الأُترج والقصب والزيتون والعنب، وأسعارهم رخيصة، وبها بساتين كثيرة وعيون غزيرة ومساجد محفوظة، ولها أربعة أبواب باب هُرْمُز وباب مِهْر وباب بهرام وباب شهر وعليها خندق، والنهر دائر على القصبة كلها، وعلى طرف البلد قلعة تسمى دُنْبُلا، وهناك مسجد يزعمون أن النبي. صلى الله عليه وسلم، صلى فيه، ومسجد الخصر بقرب القلعة، وهي في لحف جبل، والبساتين محيطة بها، وبها أثر قنطرة وقد اختلّت بعمارة كازرون، ومع ذلك فهي وبيئة، وجملة أهلها مصفرو الوجوه. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٣٧٦ ـ ٣٧٧ .

عبد الله بن قيس (أبو موسى الأشعري) رضي الله عنه

هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن غنم بن بكر بن عامر بن عذر بن وائل بن ناجية ابن الجماهر بن الأشعر (أبو موسى الأشعري)، مشهور باسمه وكنيته معاً، وأمه ظبية بنت وهب بن عك. أسلمت وماتت بالمدينة، وكان هو سكن الرملة، وحالف سعيد بن العاص، ثم أسلم وهاجر إلى الحبشة وقيل، بل رجع إلى بلاد قومه، ولم يهاجر إلى الحبشة، وهذا قول الأكثر، فإن موسى بن عقبة بن إسحاق والواقدي لم يذكروه في مهاجرة الحبشة، وقدم المدينة بعد فتح خيبر، صادفت سفينته سفينة جعفر بن أبي طالب فقدموا جميعاً، واستعمله النبي - صلى الله عليه وسلم - على بعض اليمن كزبيد وعدن وأعمالهما، واستعمله **عمر** على البصرة بعد المغيرة، فافتتح الأهواز، ثم أصبهان، ثم استعمله **عثمان** على الكوفة، ثم كان أحد الحكمين بصفين، ثم اعتزل الفريقين.

وأخرج ابن سعد والطبري من طريق عبد الله بن بريدة، أنه وصف أبا موسى فقال: كان خفيف الجسم، قصيراً ثطاً، وروى أبو موسى، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وعن الخلفاء الأربعة ومعاذ وابن مسعود وأُبي ابن كعب وعمار، روى عنه أولاده موسى وإبراهيم، وأبو بردة، وأبو بكر، وامرأته أم عبد الله، ومن الصحابة أبو سعيد وأنس وطارق بن شهاب ، ومن كبار التابعين فيمن بعدهم، زيد بن وهب، وأبو عبد الرحمن السلمي، وعبيد بن عمير، وقيس بن أبي حازم، وأبو الأسود، وسعيد ابن المسيب، وزر بن حبيش، وأبو عثمان النهدي، وأبو رافع الصائغ، وأبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود، وربعي ابن حراش وحطان الرقاشي، وأبو وائل وصفوان بن محرز وآخرون.

قال مجاهد عن الشعبي: كتب **عمر** في وصيته لا يقر لي عامل أكثر من سنة، وأقروا الأشعري أربع سنين، وكان حسن الصوت بالقرآن، في الصحيح المرفوع لقد أوتي مزماراً من مزامير آل داود.

وقال أبو عثمان النهدي: ما سمعت صوت صنج ولا بربط ولا ناي أحسن من صوت أبي موسى بالقرآن. وكان **عمر** إذا رآه قال: ذكرنا ربنا يا أبا موسى، وفي رواية شوقنا إلى ربنا، فيقرأ عنده، وكان أبو موسى هو الذي فقه أهل البصرة، وأقرأهم.وقال الشعبي انتهى العلم إلى ستة، فذكره فيهم، وذكره البخاري من طريق الشعبي بلفظ العلماء، وقال ابن المدائني: قضاة الأمة أربعة: عمر وعلي وأبو موسى وزيد بن ثابت .وأخرج البخاري من طريق أبي التياح، عن الحسن قال: ما أتاها يعني البصرة راكب خير لأهلها منه، يعني من أبي موسى ، وقال البغوي: حدثنا علي بن مسلم، حدثنا أبو داود، حدثنا حماد، عن ثابت ، عن أنس كان لأبي موسى سراويل يلبسه بالليل مخافة أن ينكشف، صحيح. وقال أصحاب الفتوح: كان عامل النبي - صلى الله عليه وسلم - على زبيد وعدن وغيرهما من اليمن وسواحلها، ولما مات النبي - صلى الله عليه وسلم - قدم المدينة، وشهد فتوح الشام ووفاة أبي عبيدة، واستعمله **عمر** على إمرة البصرة بعد أن عزل المغيرة، وهو الذي افتتح الأهواز، وأصبهان، وأقره **عثمان** على عمله قليلاً، ثم صرفه، واستعمل عبد الله بن عامر، فسكن الكوفة، وتفقه به أهلها حتى استعمله عليهم بعد عزل سعيد بن العاص قال البغوي: بلغني أن أبا موسى مات سنة اثنتين، وقيل أربع، وأربعين، وهو ابن نيف وستين... . موسوعة الصحابة، حرف لتقنية المعلومات.

- في سنة ٢٦ هـ ،أمير البصرة (عبد الله بن قيس)، وأمير البحرين (عثمان بن أبي العاص)، يتقدمان الجيش الإسلامي لإخضاع الجيوب المتمردة من إقليم فارس على النحو التالي:

١ - أرّجان، وقد تم تحريرها صلحاً .

٢ - شيراز، وتم التوصل مع أهلها على تأدية الخراج .

٣ - سينيز (بلد على الساحل أقرب إلى البصرة من سيراف) ، استطاع عثمان بن العاص من تحرير حصنها (جنايا) بعد أن أخذ الأمان من أهلها .

٤ - أميرا البصرة والبحرين، يحرران (دارا بجرد) صلحاً .

٥ - قيام عثمان بن أبي العاص؛ بمقاتلة أهل (جهرم) وتحريرها من بقايا المجوس.

٦ - بعد تحرير جهرم سار عثمان بن أبي العاص لتحرير (فسا) والذي ارتضت الصلح.
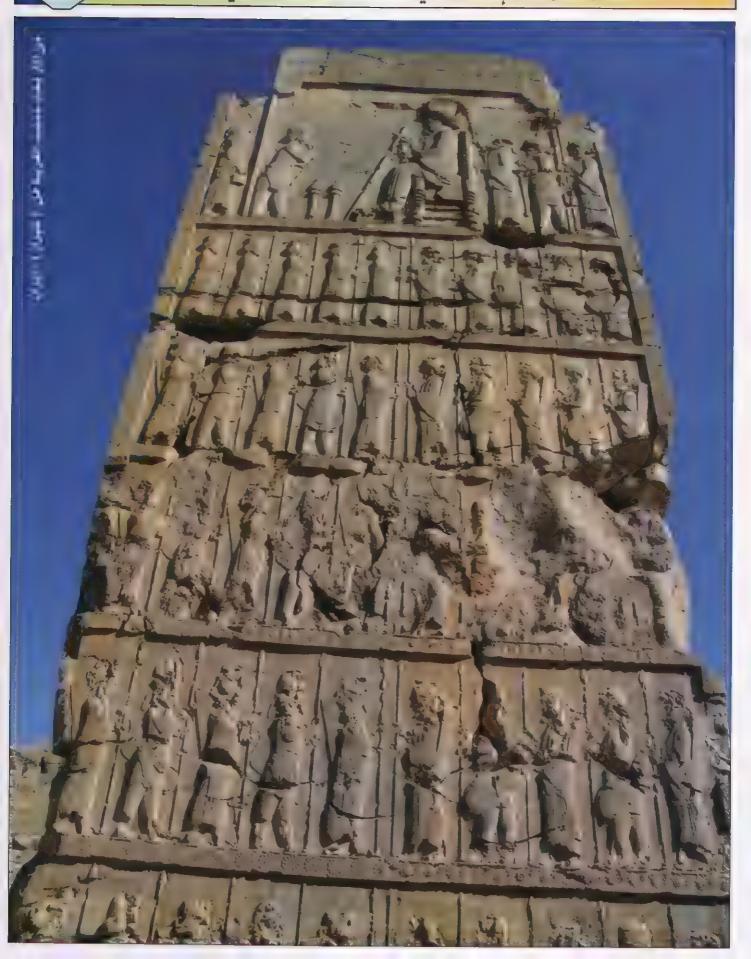
مشاركة أهل الكوفة في نجدة أهل الشام

في سنة ٢٤ من الهجرة المباركة

قال هشام: حدثني أبو مخنف قال: حدثني فروة بن لقيط الأزدي قال: لما أصاب الوليد حاجته من أرمينية في الغزوة التي ذكرتها في سنة أربع وعشرين من تاريخه، ودخل الموصل فنزل الحديثة أتاه كتاب من **عثمان** رضي الله عنه، «أما بعد: فإن معاوية بن أبي سفيان كتب إلي يخبرني أن الروم قد أجلبت على المسلمين بجموع عظيمة وقد رأيت أن يمدهم إخوانهم من أهل الكوفة، فإذا أتاك كتابي هذا فابعث رجلاً ممن ترضى نجدته، وبأسه، وشجاعته، وإسلامه؛ في ثمانية آلاف أو تسعة آلاف أو عشرة آلاف إليهم من المكان الذي يأتيك فيه رسولي والسلام». تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٢٤٧

قال ابن كثير: وجاءه (الوليد بن عقبة)، كتاب عثمان وهو بها (الحديثة أو الكوفة). يأمره أن يمدَّ أهل الشام على حرب أهل الروم. قال ابن جرير: وفي هذه السنة جاشت الروم حتى خاف أهل الشام وبعثوا إلى **عثمان** رضي الله عنه يستمدونه فكتب إلى الوليد بن عقبة: أن إذا جاءك كتابي هذا فابعث رجلاً أميناً كريماً شجاعاً في ثمانية آلاف أو تسعة آلاف أو عشرة آلاف إلى إخوانكم بالشام. فقام الوليد بن عقبة في الناس خطيباً حين وصل إليه كتاب **عثمان** فأخبرهم بما أمره به أمير المؤمنين وندب الناس وحثهم على الجهاد ومعاونة معاوية وأهل الشام، وأمّر سلمان بن ربيعة على الناس الذين يخرجون إلى الشام فانتدب في ثلاثة أيام ثمانية آلاف فبعثهم إلى الشام وعلى جند المسلمين حبيب بن مسلم الفهري، فلمَّا اجتمع الجيشان شَنُّوا الغارات على بلاد الروم فغنموا وسبوا شيئاً كثيراً وفتحوا حصوناً كثيرة ولله الحمد.

وزعم الواقدي أنَّ الذي أمدَّ أهل الشام بسلمان بن ربيعة إنّما هو سعيد بن العاص عن كتاب **عثمان** رضي الله عنه فبعث سعيد بن العاص سلمان بن ربيعة بستة آلاف فارس حتى انتهى إلى حبيب بن مسلمة وقد أقبل إليه الموريان الرومي في ثمانين ألفاً من الروم والترك، وكان حبيب بن مسلمة شجاعاً شهماً فعزم على أن يبيت جيش الروم فسمعته امرأته يقول للأمراء ذلك، فقالت له: فأين موعدي معك ـ تعني أين أجتمع بك غداً ـ فقال لها: موعدك سرادق الموريان أو الجنة، ثم نهض إليهم في ذلك الليل بمن معه من المسلمين فقتل أشرافهم وسبقته امرأته إلى سرادق الموريان فكانت أول امرأة من العرب ضرب عليها سرادق وقد مات عنها حبيب بن مسلمة بعد ذلك، فخلف عليها بعده الضحاك بن قيس الفهري، فهي أم ولده. ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ج ٨، ص ٥٢.

الكوفة: قصبة جليلة خفيفة، حسنة البناء، جليلة الأسواق، كثيرة الخيرات، جامعة رفقة مصرها **سعد بن أبي وقاص** أيام **عمر** وكل رمل خالطه حصى فهو كوفة ألا ترى إلى أرضها وكان البلد في القديم الحيرة وقد خربت. وأول من نزلها من الصحابة **علي بن أبي طالب** وتبعه عبد الله ابن مسعود وأبو الدرداء ثم تتابعوا عليها والجامع على ناحية الشرق على أساطين طوال من الحجارة الموصلة، بهي حسن، والنهر على طرفها من قبل بغداد. ولهم آبار عذيبية حولها نخيل وبساتين ولهم حياض وقني ومحلة الكناسة من قبل البادية وهو بلد مختل قد خرب أطرافه وقد كان نظير بغداد. محمد بن أحمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ج:١ ص: ١١٦.

التحركات الرومية الأخيرة على الساحة الشامية

إلى المدينة النبوية

الجيش الرومي بقيادة (الموريان)، يزحف بقواته صوب أرض الشام، مما أخاف الأهالي في هذا الشأن !.
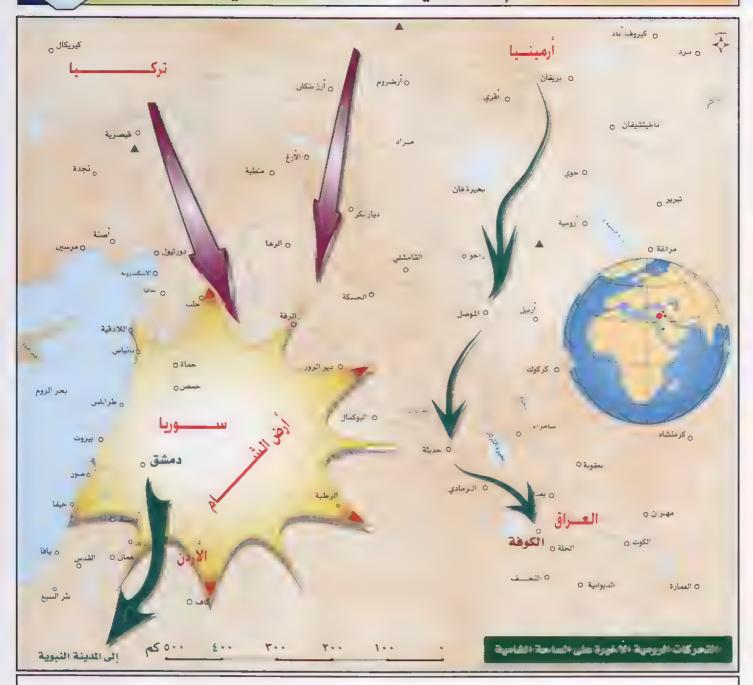
أهل الشام يكاتبون الخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وهو في المدينة النبوية، بشأن تحركات الروم الأخيرة !.

- الوليد بن عقبة يعود إلى الكوفة عن طريق الموصل، الحديثة، بعد أن أدى مهمته القيادية بنجاح في أذربيجان وأرمينية.
- الخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - : يوجه الوليد بن عقبة بنجدة أهل الشام في حربهم مع الروم الذي يقودها (الموريان).

« ... ومدينة الكوفة في أقل من مرحلة، والحيرة مدينة صغيرة، جاهلية البناء، طيبة الثرى، مفترشة البناء، وكانت فيما سلف أكبر من قطرها الآن؛ لكن أكثر أهلها إنتقلوا إلى الكوفة وخف أهل القادسية والحيرة لذلك، والكوفة والقادسية والحيرة كلها داخلة في أعمال العراق وجباياتها مرتفعة إلى ديوان بغداد وكذلك عمالها والناظرون في جميع أعمالها من قبل عمال بغداد » أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس (الشريف الإدريسي).نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ج:١ ص:٣٨٢ .

جاء تأسيس **الكوفة** لسببين رئيسين:

الأول: **سبب عسكري** وهو توغل العرب في فتوحاتهم إلى مناطق واسعة خارج صحرائهم فأبعدتهم عن عاصمة الخلافة المدينة النبوية؛ ولذا بات الجيش في حاجة إلى مركز إمداد ثابت وقاعدة حربية تنطلق منها جيوش الفتح. وهو ما عبر عنه **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه بقوله: "دار هجرة ومنزل جهاد"، والهدف من هذه القاعدة حماية البلاد المفتوحة، وكذلك إمداد أهل المدن بالجيوش اللازمة لحمايتها وهو ما عبَّر عنه **عمر** بقوله: "يحرزون ثغورهم، ويمدون أهل الأمصار".

الثاني: **سبب جغرافي** ترتب على انتقال الجند العرب من البيئة الصحراوية إلى البيئة السهلية في مناطق الفتوح. فقد تغيرت صحة الجند تبعًا لذلك، فتغيرت ألوانهم وذبلت أجسامهم؛ لذا رأى العرب أن تكون قواعد جيوشهم في منطق صحية، ويبدو أن مسألة القلق على صحة الجيش المحارب، لم تكن السبب الوحيد الذي دفع عمر رضي الله عنه إلى الأمر بتأسيس الكوفة، وإنما أضيف له رغبة عمر في أن يحفظ للعرب جيشًا محاربًا بعيدًا عن الشعوب المغلوبة وترفها.موقع إسلام أون لاين ، دكتور خالد عزب .

الطيفة

قال ابن سعد: وأخبرنا مسلمة بن إبراهيم، قال: أخبرنا قرة بن خالد ، قال: حدثنا محمد بن سيرين، قال: بلغت **النخلة** على عهد **عثمان بن عفان** ألف درهم، قال: فعمد أسامة إلى نخلة فنقرها وأخرج جمارها فأطعمها أمه. فقالوا له: ما يحملك على هذا وأنت ترى النخلة قد بلغت ألف درهم؟ قال: إن أمي سألتنيه ولا تسألني شيئاً أقدر عليه إلا أعطيتها. سكن أسامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وادي القرى، ثم نزل المدينة فمات بالجرف، فحمل إلى المدينة. ابن الجوزي، المنتظم

سيرد تفصيل أكبر لهذه الخارطة في القسم الثاني من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

أرمينيا
بلاد الشام
دمشق
سوريا
فلسطين
الأردن
العراق
الكوفة
فارس
إلى أذربيجان
إلى المدينة
٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠ ٥٠٠ كم

معاودة فتح طبرستان

في سنة [illegible] من الهجرة المباركة
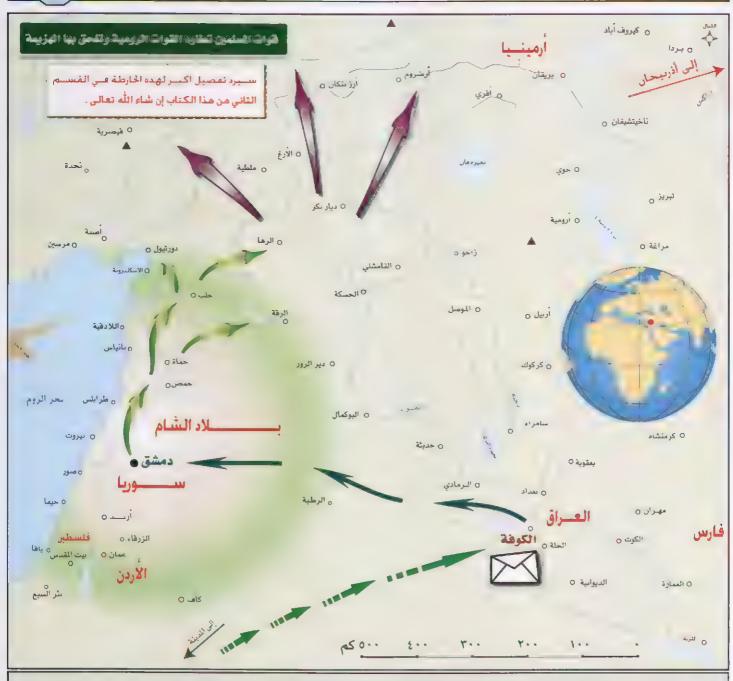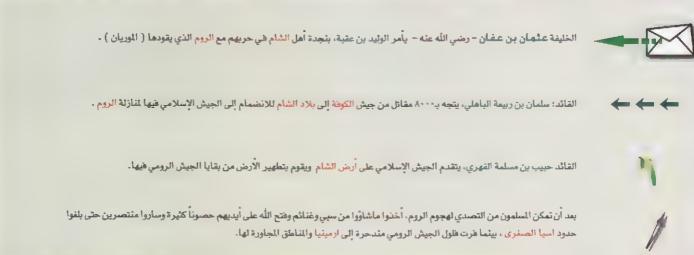
حدثني عمر بن شبة قال: حدثني علي بن محمد عن علي بن مجاهد عن حنش بن مالك قال: غزا سعيد ابن العاص من الكوفة سنة ثلاثين يريد خراسان ومعه حذيفة بن اليمان وناس من أصحاب رسول الله ومعه الحسن والحسين وعبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر وعبدالله بن عمرو بن العاص وعبدالله بن الزبير وخرج عبدالله بن عامر من البصرة يريد خراسان، فسبق سعيداً ونزل أبرشهر وبلغ نزوله أبرشهر سعيداً فنزل سعيد قومس وهي صلح صالحهم حذيفة بعد نهاوند،فأتى جرجان فصالحوه على مائتي ألف، ثم أتى طميسة وهي كلها من طبرستان جرجان وهي مدينة على ساحل البحر وهي في تخوم جرجان فقاتله أهلها حتى صلى صلاة الخوف فقال لحذيفة: كيف صلى رسول الله؟. فأخبره، فصلى بها سعيد صلاة الخوف وهم يقتتلون وضرب يومئذ سعيد رجلاً من المشركين على حبل عاتقه، فخرج السيف من تحت مرفقه، وحاصرهم فسألوا الأمان فأعطاهم، على ألا يقتل منهم رجلاً واحداً ففتحوا الحصن، فقتلهم جميعاً إلا رجلاً واحداً وحوى ما كان في الحصن، فأصاب رجل من بني نهد سفطاً عليه قفل فظن فيه جوهراً وبلغ سعيداً فبعث إلى النهدي فأتاه بالسفط فكسروا قفله، فوجدوا فيه سفطاً ففتحوه فإذا فيه خرقة سوداء مدرجة فنشروها، فوجدوا خرقة حمراء فنشروها، فإذا خرقة صفراء، وفيها إيران: كميت وورد فقال شاعر يهجو بني نهد:

آب الكرام بالسبايا غنيمة   وفاز بنو نهد بأيرين في سـفط
كميت وورد وافرين كلاهما   فظنوهما غنما فتاهيك من غلط

الطبري،تاريخ الامم والملوك، ج:٢ ص ٦٠٧

كورة طبرستان: وطبرستان بلاد كثيرة عامرة كثيرة المياه والثمار والأشجار والغياض بها كثيرة وأبنيتها الخشب والقصب والمطر عندهم في أكثر الأوقات، ومن مدن طبرستان امل وناتل وكلار وميلة ومامطير وسارية وطميسة وأستاراباذ وجرجان ودهستان وأبسكون وشالوس وموقان والطالقان وويمه وخو ز وسمنان والدامغان وبسطام ورويان وترنجي وجبال الديلم، والمدخل إلى طبرستان من الري على شالوس وشالوس مدينة على نحر البحر الملح وهذا البحر يسمى بحر الخزر ويعرف أيضاً ببحر طبرستان وسنذكره في موضعه إذا بلغ بنا القول إليه بحول الله تعالى،والطريق من الري إلى آمل من الري إلى برزيان مرحلة خفيفة، ومن برزيان إلى نامهند مرحلة، وهي مدينة كبيرة ومنها إلى أشك مرحلة، ومن أشك إلى بلور مرحلة، ومن بلور إلى آمل مرحلة، ومن آمل إلى عين الهم على البحر مرحلة، وبقرب هذه العين يصب نهر آمل في البحر، والطريق من الري إلى ناحية الجبال من الري إلى قسطانة مرحلة، ومن قسطانة إلى مشكويه مرحلة، ومن مشكويه إلى ساوه سبعة وعشرون ميلاً ،

صــــورة إقليــم الجبــل وطبرســـتان وجبـال الديلـم لابـن حوقـــل النصيبي، المتوفى سنة ٣٦٧ هـ.

بلاد جرجان فيما بين الجبلين، ومنها بسطام ووراء هذا الجبل قطعة من هـذا الجـزء فيها بقية المفـازة التي بـين فـارس وخراسان وهي في شرقي قاشان، وفي آخرها عند هذا الجبل بلد أستراباذ، وحافات هذا الجبل من شرقيه إلى آخر الجزء بلاد نيسابور من خراسان، ففي جنوب الجبل وشرق المفازة بلد نيسابور ثم مرو الشاهجان آخر الجزء، وفي شماله وشرقي جرجان بلد مهرجان وخازرون وطوس آخر الجزء شرقاً وكل هذا تحت الجبل وفي الشمال عنها بلاد نساو يحيط بها عند زاوية الجزئين الشمال والشرق مفاوز معطلة ... ابن خلدون، المقدمة ١.

الطميسي : بفتح الطاء وكسر السين المهملتين بينهما الميم المكسورة والياء الساكنة آخر الحروف هذه النسبة إلى طميسة وهي قرية من قرى مازندران يقال لها طميسة بالعربية بت بها ليلة فيما أظن منها أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الطميسي يروي عن أبي عبد الله محمد بن محمد السكسكي روى عنه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الجناري وغيره . السمعاني، الأنساب ج ١ ص:٢٢

قومس: بالضم ثم السكون، وكسر الميم، وسين مهملة؛ وقومس في الإقليم الرابع، طولها سبع وسبعون درجة ورُبع، وعرضها ست وثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة، وهو تعريب كومس: وهي كورة كبيرة واسعة تشتمل على مدن وقرى ومزارع وهي في ذيل جبال طبرستان وأكبر ما يكون في ولاية ملكها، وقصبتها المشهورة دامغان، وهي بين الري ونيسابور، ومن مدنها المشهورة بسطام وبِيار، وبعض يُدْخل فيها سمنان وبعض يجعل سمنان من ولاية الري ... . ياقوت الحموي،معجم البلدان ج ٤ ص:٤١٤ .

أبرشهر: هي مدينة نيسابور، وقصدها غازياً الأحنف بن قيس من قبل ابن عامر فلقيه الهياطلة فقاتلهم فهزمهم، ثم أتى ابن عامر نيسابور فافتتح مدينة أبرشهر هذه، قيل صلحاً وقيل عنوة، وفتح ما حولها: طوس وبيورد ونسا وسرخس، ولما أفتتحها ابن عامر أعطوه جاريتين من آل كسرى. الروض المعطار في خبر الأقطار . ابن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار ، ص: ٩

امل قصبة طبرستان بلدة لها ذكر وشان بها ثياب عجيبة، حسان ومرافق، وخصائص وبيمارستان؛ ولهم مع ذلك جامعان في العتيق، نهر وأشجار يلي في طرف الأسواق، والآخر بقربه أحاط بكل جامع رواق يدير أرحية رقاق حسنة وجوههم، وضية رشاق، متجر مفيد، وحاكة حذاق، كثير ذكره، وهم تجار، ولا تسأل عن طيب نكهة ورقة أخصار ونظر بعيد بحسن أبصار، فالثوم طيبها، والأرز دقها وجل العيون أنهار، بها علم كثير، لا تخلو من إمام ونظار ! . إلا أن خبزهم أثير وادمهم كريه، وعيبهم كثير، وبقهم عجيب، وفسقهم عظيم، وغيثهم مديد، وحرهم شديد، ودورهم حشيش، ورسمهم خسيس، خبز الحنطة يسكر، وطير الماء يزمن، والبراغيث تلقلق، والبيت يكف، والهواء قشف، والكلام عجل، والبلد وفر، والسوق قذر، والصيف مطر. **ومذاهبهم مختلفة** أما قومس وأكثر أهل جرجان وبعض طبرستان؛ فحنفيون والباقون حنابلة وشفعوية، ولا ترى ببيار صاحب حديث الا شفعوياً، والنجارية بجرجان كثير، وللكرامية بجرجان وبيار وجبال طبرستان خوانق، وللشيعة بجرجان وطبرستان جلبة، فإن قال قائل: ألم تقل أنه ليس ببيار مبتدع ثم قلت: أن بها كرامية قيل له الكرامية أهل زهد وتعبد ومرجعهم إلى أبي حنيفة، وكل من رجع إلى أبي حنيفة أو إلى مالك أو إلى الشافعي أو إلى أئمة الحديث؛ الذين لم يغلوا فيه ولم يفرطوا في حب معاوية. ولم يشبهوا الله ويصفوه بصفات المخلوقين فليس بمبتدع وأنا عازم على ألا أطلق لساني في أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ولا أشهد عليهم بالضلالة ما وجدت إلى ذلك طريقاً ... . المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ج:١ ص:٢٤٣ ـ ٢٤٤ .

فتوحات سعيد بن العاص في إقليم طبرستان

طبرستان
بحر الخزر (قزوين)
شمال
قنبد كاووس
صوفيكم
سنقر غربي
أزاد شهر
دلند
راميان
قميش
آق قلا
علي آباد
سرخنكلاته
جرجان
قواسطل
كندريا
جرد حوي
بهمنية
بوكسه
زرين آباد
بهشهر
حوبيار
سرخ رود
بيشة نة
مجر
بسطام
شاه رود
ساري
حلمردي
بابُل
ديباج
استجر
قائم شهر
آمل
صالح آباد
مهما ندوست
لجنة
حوش
كياسر
دامغان
زير آب
قومس
هيل بند
بل سفيد
الأشت
رسم رودبار
عمروان
حاهجام
بردر
بريان بالا
شهميرزاد
ارجمند
فيروز كوه
حاه هراج
سمنان

طميس: ويقال طميسة، بفتح أوله، وكسر ثانيه ثم ياء مثناة من تحت، وهي في الإقليم الخامس، طولها ثمان وسبعون درجة وثلثان، وعرضها ثمان وثلاثون درجة ونصف وربع: بلدة من سهول طبرستان، بينها وبين سارية ستة عشر فرسخاً، وهي آخر حدود طبرستان من ناحية خراسان وجرجان وعليها درب عظيم ليس يقدر أحد من أهل طبرستان أن يخرج منها إلى جرجان إلا في ذلك الدرب لأنه ممدود من الجبل إلى جوف البحر من آجُرّ وجصّ وكان كسرى أنوشروان بناه ليحول بين الترك وبين الغارة على طبرستان، فتحها **سعيد بن العاصي في سنة ٣٠** في أيام عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وكان بطميس خلق كثير من الناس ومسجد جماعة وقائد مرتب في ألفي رجل، والعجم يسمونها تميسة؛ ينسب إليها أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الطميسي، يروي عن أبي عبد الله محمد بن محمد السكسكي، روى عنه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الجنازي وغيره. ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج ٤ ، ص

مقتل آخر ملوك الفرس (يزدجرد)

سنة ٣٠ من الهجرة المباركة

جاء في رواية الإمام الطبري: ... سار يزدجرد من كرمان قبل ورود العرب إياها فأخذ على طريق الطبسين وقهستان حتى شارف مرو، في زهاء أربعة آلاف رجل، ليجمع من أهل خراسان جموعاً ويكر إلى العرب ويقاتلهم؛ فتلقاه قائدان متباغضان متحاسدان، كانا بمرو يقال لأحدهما: براز والآخر سنجان، ومنحاه الطاعة وأقام بمرو، وخص براز فحسده ذلك سنجان وجعل براز يبغي سنجان الغوائل ويوغل صدر يزدجرد عليه، وسعى بسنجان حتى عزم على قتله وأفشى ما كان عزم عليه من ذلك إلى امرأة من نسائه، كان براز واطأها فأرسلت إلى براز بنسوة زعمت بإجماع يزدجرد على قتل سنجان وفشا ما كان عزم عليه يزدجرد من ذلك فنذر سنجان وأخذ حذره وجمع جمعاً كنحو أصحاب براز ومن كان مع يزدجرد من الجند وتوجه نحو القصر الذي كان يزدجرد نازله، وبلغ ذلك براز فنكص عن سنجان لكثرة جموعه ورغب جمع سنجان يزدجرد وأخافه فخرج من قصره متنكراً ومضى على وجهه راجلاً لينجو بنفسه فمشى نحواً من فرسخين حتى وقع إلى رحاً، فدخل بيت الرحا فجلس فيه كالاً لغباً (أي منهك من التعب)، فرآه صاحب الرحا ذا هيئة وطرة، وبزة كريمة، ففرش له؛ فجلس وأتاه بطعام فطعم ومكث عنده يوماً وليلة فسأله صاحب الرحا أن يأمر له بشيء، فبذل له منطقة مكللة بجوهر كانت عليه فأبى صاحب الرحا أن يقبلها، وقال: إنما كان يرضيني من هذه المنطقة أربعة دراهم كنت أطعم بها وأشرب فأخبره أنه لا ورق معه، فتملقه صاحب الرحا، حتى إذا غفا قام إليه بفأس له فضرب بها هامته فقتله واحتز رأسه، وأخذ ما كان عليه من ثياب ومنطقة، وألقى جيفته في النهر الذي كان تدور بمائه رحاه، وبقر بطنه، وأدخل فيه أصولاً من أصول طرفاء (شجر)، كانت نابتة في ذلك النهر لتحبس جثته في الموضع الذي ألقاه فيه فلا يسفل فيعرف ويطلب قاتله وما أخذ من سلبه وهرب على وجهه وبلغ قتل يزدجرد رجلاً من أهل الاهواز كان مطراناً على مرو يقال له إيلياء فجمع من كان قبله من النصارى وقال لهم: إن ملك الفرس قد قتل وهو ابن شهريار بن كسرى وإنما شهريار ولد المؤمنة التي قد عرفتم حقها وإحسانها إلى أهل ملتها من غير وجه، ولهذا الملك عنصر في النصرانية مع ما نال النصارى في ملك جده كسرى من الشرف، وقبل ذلك في مملكة ملوك من أسلافه من الخير حتى بنى لهم بعض البيع وسدد لهم بعض ملتهم، فينبغي لنا أن نحزن لقتل هذا الملك من كرامته بقدر إحسان أسلافه، وجدته شيرين كان إلى النصارى وقد رأيت أن أبني له ناووساً وأحمل جثته في كرامة حتى أواريها فيه فقال النصارى: أمرنا لأمرك أيها المطران تبع، ونحن لك على رأيك هذا مواطئون، فأمر المطران فبنى في جوف بستان المطارنة بمرو ناووساً ومضى بنفسه ومعه نصارى مرو حتى استخرج جثة يزدجرد من النهر وكفنها وجعلها في تابوت وحمله من كان معه من النصارى على عواتقهم حتى أتوا به الناووس، الذي أمر ببنائه له وواروه فيه وردموا بابه، فكان ملك يزدجرد عشرين سنة، منها أربع سنين في دعة وست عشرة سنة في تعب من محاربة العرب إياه وغلظتهم عليه، وكان آخر ملك ملك من آل أردشير بن بابك وصفاً الملك بعده للعرب، تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ٢٩٥ـ٢٩٧ .

قال ابن إسحاق: هرب يزدجرد من كرمان في جماعة يسيرة إلى مرو، فسأل من بعض أهلها مالاً فمنعوه وخافوه على أنفسهم، فبعثوا إلى الترك يستفزونهم عليه، فأتوه فقتلوا أصحابه وهرب هو حتى أتى منزل رجل ينقر الأرحية على شط، فأوى إليه ليلاً، فلما نام قتله. وقال المدائني: لما هرب بعد قتل أصحابه انطلق ماشياً عليه تاجه ومنطقته وسيفه، فانتهى إلى منزل هذا الرجل الذي ينقر الأرحية فجلس عنده فاستغفله وقتله وأخذ ما كان عليه ◆ وجاءت الترك في طلبه فوجدوه قد قتله وأخذ حاصله، فقتلوا ذلك الرجل وأهل بيته وأخذوا ما كان مع كسرى، ووضعوا كسرى في تابوت وحملوه إلى إصطخر ... • ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ج ٨، ص ٦٤ •

وكان مَقْتل يزدجرد بن شهريار بن كسرى ملك الفرس في طاحونة على الرزيق. فقال أبو نجيد نافع بن الأسود التميمي:

ونحن قَتلنا يزدجرد ببعجة ... مَن الرعب إذ ولى الفرار وغارا

غداة لقيناهم بمرو نخالُهم ... نموراً على تلك الجبال وبارا

قتلناهم في حربة طحنت بهم ... غداة الرزيق إذ أراد حوارا

ضممنا عليهم جانبيهم بصادق ... من الطَّعن ما دام النهارُ نهارا

فو الله لولا الله لا شيء غيره ... لعادت عليهم بالرزيق بوارا

الحموي ، معجم البلدان.

بيت النار في الديانة المجوسية
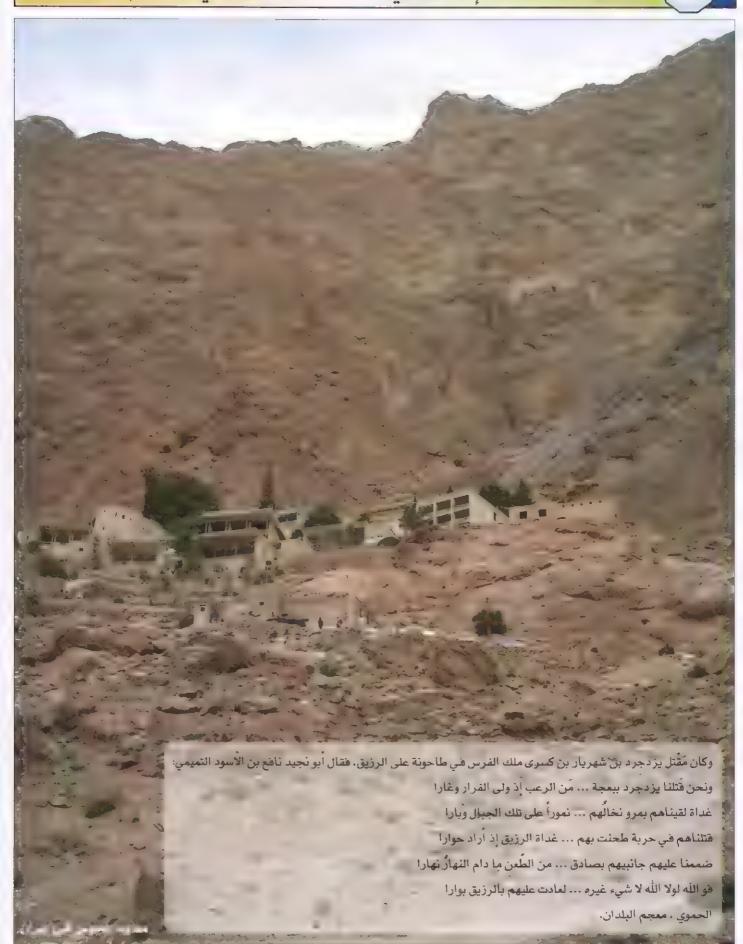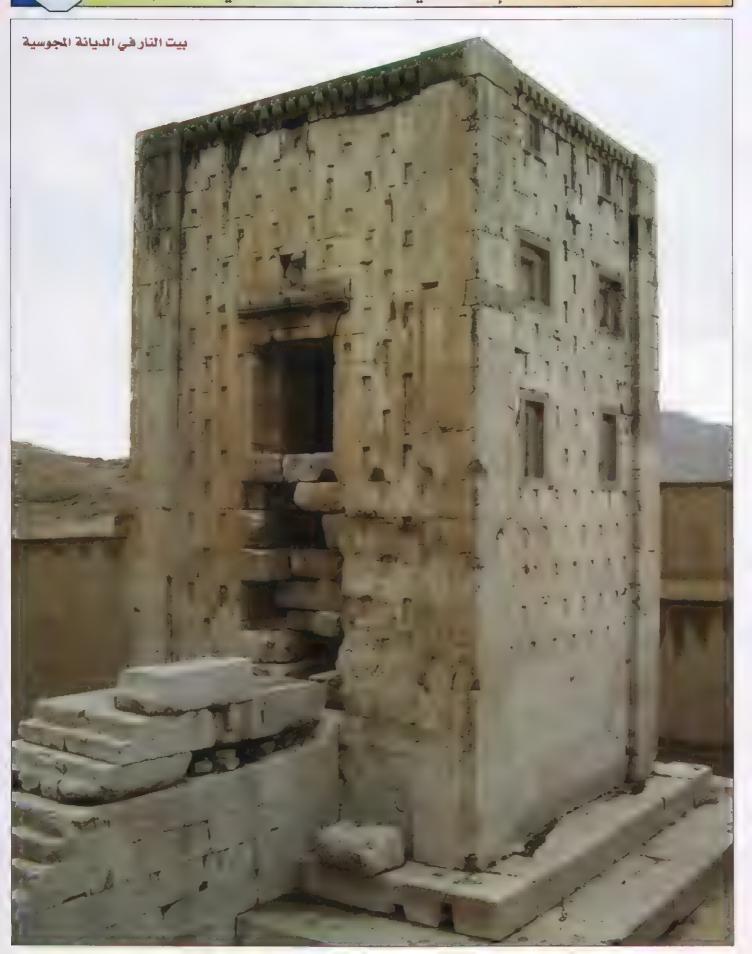
إعادة فتح خراسان

سنة ٣١ من الهجرة المباركة

قال أسيد بن المتشمس بعد استرداد خراسان

زميناهمُ بالخيل من كلّ جانب   فولّوا سراعاً واستقادوا النوائحا

عداة رأوا خيل العراب معيرة   تُقرّب منهم أُسدهــنّ الكوالحا

تنادوا إلينا واستجاروا بعهدنا   وعادوا كلاباً في الديـــار نوابحا

خُراسَانُ : بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق أزاذوار قصبة جوَين وبَيهق، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وليس ذلك منها إنما هو أطراف حدودها، وتشتمل على أُمّهات من البلاد منها نيسابور وهراة ومَرْو، وهي كانت قصبتها، وبلخ وطالقان ونَسا وأبيورد وسرخس وما يتخلل ذلك من المدُن التي دون نهر جيحون، ومن الناس من يُدخل أعمال خوارزم فيها ويَعدُّ ما وراء النهر منها وليس الأمر كذلك، وقد فتحت أكثر هذه البلاد عنوة وصلحاً، ونذكر ما يُعرف من ذلك في مواضعها، وذلك في سنة ٣١ في أيام عثمان، رضي الله عنه، بإمارة عبد الله بن عامر بن كُرَيز... [illegible]

خُراسَانُ : بلد معروف قال الجرجاني معنى خر كل، وأسان معناه سهل أي كل بلا تعب. وقال غيره: معنى خراسان بالفارسية مطلع الشمس، والعرب إذا ذكرت المشرق كله قالوا: فارس. فخراسان من فارس، وعلى هذا تأويل حديث النبي صلى الله عليه وسلم، لو كان الإيمان بالثريا؛ لناله رجال من فارس أنه عني أهل خراسان لأنك إن طلبت مصداق هذا الحديث في فارس لم تجده لا أولاً ولا آخراً وتجد هذه الصفة نفسها في أهل خراسان دخلوا في الإسلام رغبة، ومنهم العلماء والنبلاء والمحدثون والنساك والمتعبدون وأنت إذا حصلت المحدثين في كل بلد وجدت نصفهم من خراسان ...؛ البكري،معجم ما استعجم ج ٢ ص،٤٨٩ ـ ٤٩٠ .

نكث أهل فارس العهد بعد مقتل الخليفة **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه، قال البلاذري: لما استخلف **عثمان بن عفان** ولّى عبد الله بن عامر بن كريز البصرة في سنة ثمان وعشرين ويقال في سنة تسع وعشرين، وهو ابن خمس وعشرين سنة فافتتح من أرض فارس ما افتتح، ثم غزا خراسان في سنة ثلاثين - وعند الطبري سنة ٣١ هـ - واستخلف على البصرة زياد بن أبي سفيان وبعث على مقدمته الأحنف بن قيس ويقال عبد الله ابن حازم ابن أسماء بن الصلت بن حبيب السلمي فأقر صلح الطبسين وقدم ابن عامر الأحنف بن قيس، البلاذري، فتوح البلدان ج:١ ص:٣٩٤ .

ووجه ابن عامر الأحنف إلى (طخارستان)، فأتى الموضع الذي يقال له: قصر الأحنف، وهو حصـــن (مرو الروذ) وله رستاق عظيم يعرف برستاق الأحنف، فحصر الأحنف أهله، فصالحوه على ثلاثمائة ألف درهم: ومضى الأحنف إلى مرو الروذ فصالح أهلها بعد قتال شديد، وسيَّر الأحنف سرية فاستولت على رستاق (بغ) وصالحت أهله. وجمع له أهل (طخارستان)، فاجتمع أهل (الجوزجان) و (الطالقان) و(الفارياب) ومن حولهم، فبلغوا ثلاثين ألفاً، وجاءهم أهل الصغانيان وهم من الجانب الشرقي من نهر جيحون ، فالتقوا وقاتل قتالاً شديداً، فانهزم الفرس وحلفاؤهم فطاردهم المسلمون وألحقوا بهم خسائر فادحة بالأرواح .

ولحق بعض العدو (بالجوزجان) فوجه إليهم الأحنف الأقرع بن حابس التميمي في خيل ، وأوصى قومه بني تميم بقوله: ((يابني تميم ! تحابوا وتباذلوا تعدل أموركم، وابدؤا بجهاد بطونكم وفروجكم يصلح لكم دينكم، و لاتغلوا يسلم لكم جهادكم))، فسارع الأقرع ولقي العدو بالجوزجان عنوة؛ فكانت بالمسلمين جولة ثم عادوا فهزموا عدوهم وفتحوا الجوزجان عنوة .

واستعاد الأحنف فتح (الطالقان) صلحاً وفتح (الفارياب)، ثم سار إلى بلخ وهي مدينة طخارستان فصالحه أهلها أيضاً، فسار إلى خوارزم وهي على نهر جيحون، فلم يقدر عليها، فاستشار أصحابه فأشاروا عليه بالعودة إلى بلخ . وهكذا استعاد الأحنف فتح خراسان ثانية، لو.د. محمود شيت خطاب، قادة فتح بلاد فارس (إيران)، ص ٢٢٧ ٢٢٨

عبد الله بن عامر – رضي الله عنه – يتوجه إلى أبرشهر (نيسابور) عن طريق الطبسين (بوابة خراسان) والرساتيق المحيطة بها، حتى انتهى إلى سرخس .

عبد الله بن عامر – رضي الله عنه – يوجه الأحنف بن قيس إلى قوهستان لملاقاة الهياطلة في مدينة هرات، حيث استطاع أن يخمد ثورتهم على الدولة الإسلامية .

عبد الله بن عامر – رضي الله عنه – يوجه حاتم بن النعمان إلى مرو الروذ ويسيطر عليها، لكن ابن عامر لم يستطع خلال هذه الفترة اجتياز مرو الشاهجان .

فتوحات عبدالله بن عامر

من الهجرة المباركة

قال علي: أخبرنا سلمة بن عثمان وغيره عن إسماعيل بن مسلم عن ابن سيرين قال: بعث ابن عامر الأحنف ابن قيس إلى مرو روذ، فحصر أهلها، فخرجوا إليهم فقاتلوهم، فهزمهم المسلمون حتى اضطروهم إلى حصنهم فأشرفوا عليهم، فقالوا: يا معشر العرب، ما كنتم عندنا كما نرى، ولو علمنا أنكم كما نرى لكانت لنا ولكم حال غير هذه، فأمهلونا ننظر يومنا وارجعوا إلى عسكركم، فرجع الأحنف، فلما أصبح غاداهم وقد أعدوا له الحرب، فخرج رجل من العجم معه كتاب من المدينة، فقال: إني رسول فأمنوني، فأمنوه، فإذا رسول من مرزبان مرو بن أخيه وترجمانه، وإذا كتاب المرزبان إلى الأحنف، فقرأ الكتاب، قال: فإذا هو إلى أمير الجيش، إنا نحمد الله الذي بيده الدول، يغير ما شاء من الملك، ويرفع من شاء بعد الذلة، ويضع من شاء بعد الرفعة، إنه دعاني إلى مصالحتك وموادعتك ما كان من إسلام جدي، وما كان رأي من صاحبكم من الكرامة والمنزلة، فمرحباً بكم وأبشروا، وأنا أدعوكم إلى الصلح فيما بينكم وبيننا، على أن أؤدي إليكم خراجاً ستين ألف درهم، وأن تُقرُّوا بيدي ما كان ملك الملوك كسرى أقطع جد أبي حيث قتل الحية التي أكلت الناس، وقطعت السبل من الأرضين والقرى بما فيها من الرجال، ولا تأخذوا من أحد من أهل بيتي شيئا من الخراج ولا تخرج المرزبة، - الرئاسة عند العجم - من أهل بيتي إلى غيركم، فإن جعلت ذلك لي خرجت إليك، وقد بعثت إليك ابن أخي ماهك ليستوثق منك بما سألت. قال: فكتب إليه الأحنف « بسم الله الرحمن الرحيم، من صخر بن قيس أمير الجيش إلى باذان مرزبان مروروذ ومن معه من الأساورة والأعاجم، سلام على من اتبع الهدى، وآمن واتقى، أما بعد، فإن ابن أخيك ماهك قدم علي فنصح لك جهده، وأبلغ عنك، وقد عرضت ذلك على من معي من المسلمين، وأنا وهم فيما عليك سواء، وقد أجبناك إلى ما سألت وعرضت على أن تؤدي عن أكرتك وفلاحيك والأرضين ستين ألف درهم إليّ وإلى الوالي من بعدي من أمراء المسلمين إلا ما كان من الأرضين التي ذكرت أن كسرى الظالم لنفسه أقطع جد أبيك لما كان من قتله الحية التي أفسدت الأرض وقطعت السبل، والأرض لله ولرسوله يورثها من يشاء من عباده، وإن عليك نصرة المسلمين وقتال عدوهم بمن معك من الأساورة، إن أحب المسلمون ذلك وأرادوه، وإن لك على ذلك نصرة المسلمين على من يقاتل من وراءك من أهل ملتك، جار لك بذلك مني كتاب يكون لك بعدي، ولا خراج عليك ولا على أحد من أهل بيتك من ذوي الأرحام، وإن أنت أسلمت واتبعت الرسول كان لك من المسلمين العطاء والمنزلة والرزق وأنت أخوهم، ولك بذلك ذمتي وذمة أبي وذمم المسلمين وذمم آبائهم، شهد على ما في هذا الكتاب جزء بن معاوية - أو معاوية بن جزء السعدي، وحمزة بن الهرماس، وحميد بن الخيار المازنيان، وعياض ابن ورقاء الأسيدي، وكتب كيسان مولى بني ثعلبة يوم الأحد من شهر الله المحرم، وختم أمير الجيش الأحنف بن قيس، ونقش خاتم الأحنف: نعبد الله » الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٣١٦ .

مَروُ الرُّوذ: المَروُ: الحجارة البيض تُقتدَح بها النار، ولا يكون أسوَدَ ولا أحمر ولا تقتدح بالحجر الأحمر ولا يسمّى مَرواً، والروذ، بالذال المعجمة: هو بالفارسية النهر، فكأنه مَرْوُ النهر: وهي مدينة قريبة من مرو الشاهجان بينهما خمسة أيام، وهي على نهر عظيم فلهذا سميت بذلك، وهي صغيرة بالنسبة إلى مرو الأخرى، خرج منها خلق من أهل الفضل ينسبون مَرْوَرُوذي ومَرُّوذي، ومات المهلب بن أبي صُفْرة بمرو الروذ .... ياقوت الحموي، معجم البلدان .

قصر أثري مبني من الطين في بيرجند

البناء الطيني في قرى خراسان
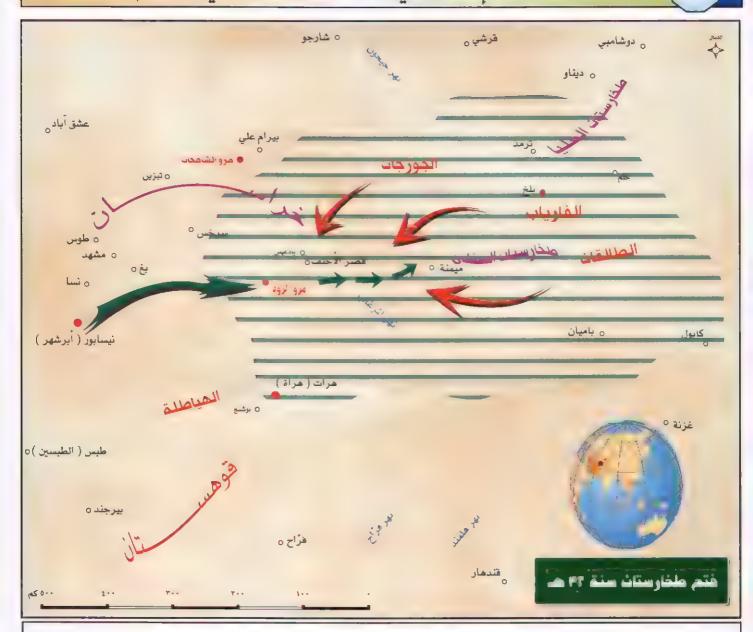
طَخارستان: بالفتح وبعد الألف راء ثم سين ثم تاء مثناة من فوق، ويقال طَخَيرستان: وهي ولاية واسعة كبيرة تشتمل على عدة بلاد، وهي من نواحي خراسان، وهي طخارستان العليا والسفلى، فالعليا شرقي بلخ وغربي نهر جيحون، وبينها وبين بلخ ثمانية وعشرون فرسخاً، وأما السفلى فهي أيضاً غربي جيحون إلا أنها أبعد من بلخ وأضرب في الشرق من العليا؛ وقد خرج منها طائفة من أهل العلم، ومن مدُن طخارستان: خُلْم وسِمِنْجان وبَغْلان وسَكَلْكَنْد وورواليز؛ قال الإصطخري: وأكبر مدينة بطخارستان طالقان، وهي مدينة في مُسْتو من الأرض وبينها وبين الجبل غلوة سهم. ياقوت الحموي معجم البلدان ج، ص ٢٣.

حينما وصلت القوات الإسلامية إلى مرو روذ، وقع صلح بين المسلمين والأهالي (انظر الصفحة السابقة).

أهل طخارستان العليا والسفلى يحشدون قواتهم من الجوزجان، والطالقان، والفارياب لمنازلة المسلمين في ثلاثة زحوف بـ ٣٠٠٠ ألف مقاتل.

ابن عامر يوجه الجيش الإسلامي بقيادة الأحنف بن قيس في ٤٠٠٠ مقاتل إلى طخارستان للتصدي لقوات المشركين.
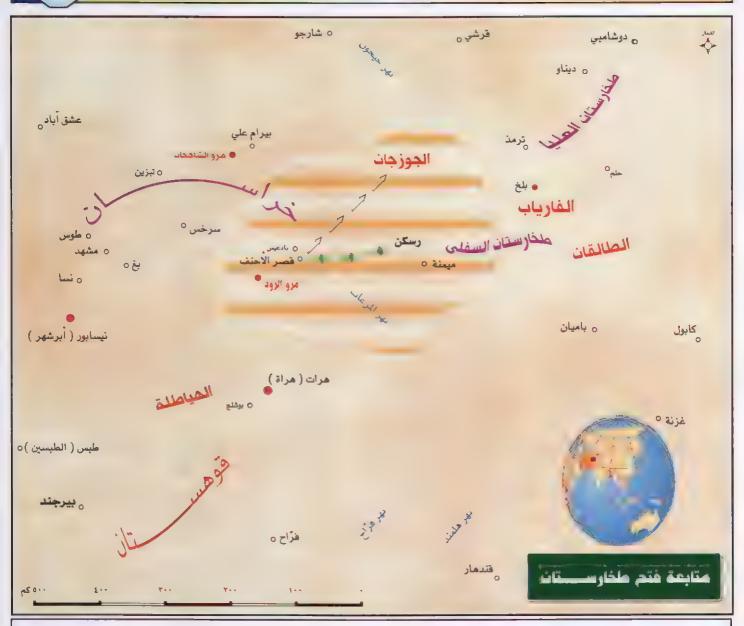
الفتوحات الإسلامية تتابع فلول أهالي طخارستان المنهزمة، وتنتهي بهم إلى مدينة رسكن.

سار الأقرع بن حابس إلى الجوزجان بعثه الأحنف في جريدة خيل، حيث انتصر على أهلها.

رَسْقَسكَن: بلد بطُخارستان فتحه الأحنف سنة اثنتين وثلاثين عنوةً.

قال علي: أخبرنا أبو الأشهب السعدي عن أبيه قال: لقي الأحنف أهل مرو روذ والطالقان والفارياب والجوزجان في المسلمين ليلاً فقاتلهم، حتى ذهب عامة الليل ثم هزمهم الله (، فقتلهم المسلمون حتى انتهوا إلى رسكن وهي على اثني عشر فرسخاً من قصر الأحنف، وكان مرزبان مرو روذ قد تربص بحمل ما كانوا صالحوه عليه؛ لينظر ما يكون من أمرهم قال: فلما ظفر الأحنف سرح رجلين إلى المرزبان وأمرهما ألا يكلماه حتى يقبضاه ففعلا؛ فعلم أنهم لم يصنعوا ذاك به إلا وقد ظفروا، فحمل ما كان عليه، ثم سار الأقرع بن حابس إلى الجوزجان بعثه الأحنف في جريدة خيل إلى بقية كانت بقيت من الزحوف الذين هزمهم الأحنف، فقاتلهم فجال المسلمون جولة، فقتل فرسان من فرسانهم ثم أظفر الله المسلمين بهم فهزموهم وقتلوهم فقال كثير النهشلي:

سقى مزن السحاب إذا استهلت مصارع فتية بالجـوزجان
إلى القصرين من رستاق خوط أقادهم هنـاك الأقـرعان

الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٣٤٧-٣٠١.

سار الأحنف من مرو الروذ إلى بلخ فحاصرهم فصالحه أهلها على أربعمائة ألف، فرضي منهم بذلك، واستعمل ابن عمه وهو أسيد بن المتشمس ليأخذ منهم ما صالحوه عليه .

ومضى الأحنف إلى خارزم. فأقام حتى هجم عليه الشتاء، فقال لأصحابه: ما ترون قال له حصين: قد قال لك عمرو بن معديكرب، قال وما قال: قال:

إذا لم تستطع أمراً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

فأمر الأحنف بالرحيل، ثم انصرف إلى بلخ !.

جامع بلخ القديم

بلخ. نبدأ فنصفها بما وصفها به أبو القاسم الكي، لأنها بلده قال: بلخ في الأخلاق الجميلة والشجاعة وشدة الخلق والعقل وجودة الرأي ونيل الهمة وحسن المعاشرة والحرص على قضاء الحقوق والتباذل عند الحاجة وحسن وضع الكورة وتقديرها وتقارب أحوال أهلها ورخص الأسعار بها، وكثرة الخضر واختراق الأنهار المحفوفة بالشجر في المحال والمنازل وقرب الجبال والأودية، ومرافقها نظير دمشق الشام، وفضل بغداد راجع إلى خراسان: لأنها لهم بنيت، ثم انظر إلى بهاء بلخ، وحسن موقعها وسعة طرقها، وبهجة شوارعها وكثرة أنهارها والتفاف شجرها، وصفاء مائها وإشراق قصورها، وسور مدينتها ومسجد جامعها وإحكام صنعته، وجلالة موضعه، ليس بأقاليم العجم مثلها حسناً ويسارًا يُحمل من غلاتها في كل سنة مال عظيم إلى خزانة السلطان، زائداً عمَّا يحتاج إليه وهي في مستوى منها إلى أقرب الجبال أربعة فراسخ، وعليها سور ولها ربض، ويقال: إن اسمها في كتب الأعاجم بلخ البهية.

قال الطبري: ... ولما رجع الأحنف إلى ابن عامر قال الناس لابن عامر ما فتح على أحد ما قد فتح عليك فارس وكرمان وسجستان وعامة خراسان قال: لا جرم لأجعلن شكري لله على ذلك **أن أخرج محرماً معتمراً** من موقفي هذا فأحرم بعمرة من نيسابور فلما قدم على عثمان؛ لامَهُ على إحرامه من خراسان، وقال: ليتك تضبط ذلك من الوقت الذي يحرم منه الناس. تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص ...

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرني أحمد بن الحسين القاضي ببخارى ثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن بِسْطَام المَرْوَزِيُّ ثنا أحمد بن سيار الفقيه قال قُرِئَ على الحسن بن إسحاق عن سليمان بن صالح قال ذكر مسلم ابن محارب عن داودَ بن أبي هند أن عبد الله بن عامر بن كُرَيْز حين فتح خراسان قالَ: لأجعلنَّ شُكْرِيَ لِلَّهِ أَنْ أَخرجَ من موضعي مُحْرِماً، فأَحْرَمَ من نَيْسَابُورَ، فلما قدمَ على عثمان لامهُ على ما صنع قال ليتك تضبطُ من الوقت الذي يحرمُ منه الناسُ. السنن الكبرى للبيهقي، ج٧، ص ٦٥ .

[illegible] اليوم (قبلة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها) في العهد السعودي الميمون

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ الحج. فيه سبع مسائل: - وانتقيت لك أخي قارئ هذا الأطلس هذه المسألة - (الثالثة): ﴿ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ ﴾ وعده إجابة الناس إلى حج البيت ما بين راجل وراكب، وإنما قال: «يأتوك» وإن كانوا يأتون الكعبة لأن المنادَى إبراهيم، فمن أتى الكعبة حاجاً فكأنما أتى إبراهيم؛ لأنه أجاب نداءه، وفيه تشريف إبراهيم. ابن عطية: «رجالاً» جمع راجل مثل تاجر وتجار، وصاحب وصحاب. وقيل: الرجال جمع رَجْل، والرَّجْل جمع راجل؛ مثل تجار وتجر وتاجر، وصحاب وصحب وصاحب. وقد يقال في الجمع: رُجّال، بالتشديد؛ مثل كافر وكفار. وقرأ ابن أبي إسحاق وعكرمة «رُجَالا» بضم الراء وتخفيف الجيم، وهو قليل في أبنية الجمع، ورويت عن مجاهد. وقرأ مجاهد «رُجَالَى» على وزن فُعَالَى؛ فهو مثل كسالى. قال النحاس: في جمع راجل خمسة أوجه، رُجّال مثل رُكّاب، وهو الذي روى عن عكرمة، ورجال مثل قيام، ورَجْلة، ورَجْل، ورَجّالة. والذي روي عن مجاهد رُجَالاً غير معروف، والأشبه به أن يكون غير منون مثل كُسالى وسُكارى، ولو نُوّن لكان على فُعالٍ، وفُعَالٌ في الجمع قليل. وقدّم الرجال على الرُّكبان في الذكر لزيادة تعبهم في المشي. ﴿ وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ ﴾ لأن معنى «ضامر» معنى ضوامر. قال الفراء: ويجوز «يأتي» على اللفظ. والضامر: البعير المهزول الذي أتعبه السفر؛ يقال: ضَمَرَ يَضْمُر ضُموراً؛ فوصفها الله تعالى بالمآل الذي انتهت عليه إلى مكة. وذكر سبب الضمور فقال: ﴿ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ أي أثّر فيها طول السفر. وردّ الضمير إلى الإبل تكرمة لها لقصدها الحج مع أربابها؛ كما قال: ﴿ وَٱلْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾ في خيل الجهاد تكرمة لها حين سعت في سبيل الله. تفسير القرطبي. سورة الحج.

خروج الترك مع ملكهم قارن

سنة ٣٢ من الهجرة المباركة

قال الطبري: وخرج ابن عامر منها – خراسان – في سنة اثنتين وثلاثين قال: فجمع قارن جمعاً كثيراً من ناحية الطبسين وأهل باد غيس وهراة وقهستان فأقبل في أربعين ألفاً فقال لعبد الله بن خازم: ما ترى؟ قال: أرى أن تخلي البلاد فإني أميرها، ومعي عهد من ابن عامر، إذا كانت حرب بخراسان فأنا أميرها وأخرج كتاباً قد افتعله عمداً، فكره قيس مشاغبته وخلاه والبلاد وأقبل إلى ابن عامر فلامه ابن عامر وقال: تركت البلاد حرباً وأقبلت قال: جاءني بعهد منك فقالت له أمه: قد نهيتك أن تدعهما في بلد فإنه يشغب عليه، قال: فسار ابن خازم إلى قارن في أربعة آلاف وأمر الناس فحملوا الودك، فلما قرب من عسكره أمر الناس فقال: ليدرج كل رجل منكم على زج رمحه ما كان معه من خرقة، أو قطن، أو صوف، ثم أوسعوه من الودك من سمن أو دهن أو زيت أو إهالة. ثم صار حتى إذا أمسى قدم مقدمته ستمائة، ثم اتبعهم وأمر الناس فأشعلوا النيران في أطراف الرماح، وجعل يقتبس بعضهم من بعض قال: وانتهت مقدمته إلى عسكر قارن، فأتوهم نصف الليل، ولهم حرس فناوشوهم وهاج الناس على دهش، وكانوا آمنين في أنفسهم من البيات، ودنا ابن خازم منهم فرأوا النيران يمنة ويسرة وتتقدم وتتأخر وتنخفض وترتفع فلا يرون أحدا فهالهم ذلك ومقدمة ابن خازم يقاتلونهم ثم غشيهم ابن خازم بالمسلمين فقتل قارن وانهزم العدو: فأتبعوهم يقتلونهم كيف شاؤوا، وأصابوا سبياً كثيراً فزعم شيخ من بني تميم، قال: كانت أم الصلت بن حريث من سبي قارن وأم زياد بن الربيع منهم وأم عون أبي عبد الله بن عون الفقيه منهم قال علي: حدثنا مسلمة، قال: أخذ ابن خازم عسكر قارن بما كان فيه، وكتب بالفتح إلى ابن عامر فرضي وأقره على خراسان، فلبث عليها حتى انقضى أمر الجمل، فأقبل إلى البصرة فشهد وقعة ابن الحضرمي وكان معه في دار سبيل قال علي: وأخبرنا الحسن بن رشيد عن سليمان بن كثير العمي الخزاعي قال جمع قارن للمسلمين جمعاً كثيراً فضاق المسلمون بأمرهم، فقال: قيس بن الهيثم لعبد الله بن خازم، ما ترى؟ . قال: أرى أنك لا تطيق كثرة من قد أتانا، فأخرج بنفسك إلى ابن عامر، فتخبره بكثرة ! من قد جمعوا لنا ونقيم نحن في هذه الحصون ونطاولهم، حتى تقدم ويأتينا مددكم، قال: فخرج قيس بن الهيثم، فلما أمعن أظهر ابن خازم عهداً وقال: قد ولاني ابن عامر خراسان فسار إلى قارن فظفر به، وكتب بالفتح إلى ابن عامر، فأقره ابن عامر على خراسان فلم يزل أهل البصرة يغزون من لم يكن صالح من أهل خراسان فإذا رجعوا خلفوا أربعة الآف للعقبة، فكانوا على ذلك حتى كانت الفتنة . تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٣١٩ .

وفيها أقبل قارن في أربعين ألفاً، فالتقاه عبد الله بن حازم في أربعة الآف، وجعل لهم مقدمة ستمائة رجل، وأمر كلا منهم أن يحمل على رأس رمحه ناراً، وأقبلوا إليهم في وسط الليل فبيتوهم فثاروا إليهم فناوشتهم المقدمة فاشتغلوا بهم، وأقبل عبد الله بن حازم بمن معه من المسلمين فالتقوا هم وإياهم، فولى المشركون مدبرين، واتبعهم المسلمون يقتلون من شاؤوا وكيف شاؤوا، وغنموا سبياً كثيراً وأموالاً جزيلة، ثم بعث عبد الله بن حازم بالفتح إلى ابن عامر، فرضي عنه وأقره على خراسان ــ وكان قد عزله عنها ــ فاستمر بها عبد الله بن حازم إلى ما بعد ذلك. ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ج ٧ /ص ١٦٧ .

أصل الأتراك

في منطقة ما وراء النهر والتي نسميها اليوم (تركستان) والتي تمتد من هضبة منغوليا وشمال الصين شرقاً إلى بحر الخزر (بحر قزوين) غرباً، ومن السهول السيبرية شمالاً إلى شبه القارة الهندية وفارس جنوباً، استوطنت عشائر الغز وقبائلها الكبرى تلك المناطق وعرفوا بالترك أو الأتراك .

ثم تحركت هذه القبائل في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي، في الانتقال من موطنها الأصلي نحو آسيا الصغرى في هجرات ضخمة، وذكر المؤرخون مجموعة من الأسباب التي ساهمت في هجرتهم: فالبعض يرى أن ذلك بسبب عوامل اقتصادية، فالجدب الشديد وكثرة النسل، جعلت هذه القبائل تضيق درعاً بمواطنها الأصلية، فهاجرت بحثاً عن الكلاء والمراعي والعيش الرغيد والبعض الآخر يعزوا تلك الهجرات لأسباب سياسية حيث تعرضت تلك القبائل لضغوط كبيرة من قبائل أخرى أكثر منها عدداً وعدة وقوة وهي المغولية، فأجبرتها على الرحيل، لتبحث عن موطن آخر وتترك أراضيها بحثاً عن نعمة الأمن والاستقرار .

واضطرت تلك القبائل المهاجرة أن تتجه غرباً، ونزلت بالقرب من شواطئ نهر جيحون، ثم استقرت بعض الوقت في طبرستان، وجرجان، فأصبحوا بالقرب من الأراضي الإسلامية والتي فتحها المسلمون بعد معركة نهاوند وسقوط الدولة الساسانية في بلاد فارس سنة ٢١هـ/٦٤١م .

إتصالهم بالعالم الاسلامي:

في عام ٢٢هـ/٦٤٢م تحركت الجيوش الإسلامية الى بلاد الباب لفتحها وكانت تلك الأراضي يسكنها الأتراك، وهناك التقى قائد الجيش الإسلامي عبد الرحمن بن ربيعة بملك الترك شهربراز، فطلب من عبد الرحمن الصلح وأظهر استعداده للمشاركة في الجيش الإسلامي لمحاربة الأرمن، فأرسله عبد الرحمن إلى القائد العام سراقة بن عمرو، وقد قام شهر براز بمقابلة سراقة فقبل منه ذلك، وكتب للخليفة عمر بن الخطاب يعلمه بالأمر، فوافق على مافعل، وعلى إثر ذلك عقد الصلح، ولم يقع بين الترك والمسلمين أي قتال، بل سار الجميع إلى بلاد الأرمن لفتحها ونشر الإسلام فيها .

وتقدمت الجيوش الإسلامية لفتح البلدان في شمال شرقي بلاد فارس حتى تنتشر دعوة الله فيها، بعد سقوط دولة الفرس أمام الجيوش الإسلامية والتي كانت تقف حاجزاً منيعاً أمام الجيوش الإسلامية في تلك البلدان، وبزوال تلك الموانق، ونتيجة للفتوحات الإسلامية، أصبح الباب مفتوحاً أمام تحركات شعوب تلك البلدان والأقاليم ومنهم الأتراك فتم الاتصال بالشعوب الاسلامية، واعتنق الأتراك الإسلام، وانضموا إلى صفوف المجاهدين لنشر الإسلام وإعلاء كلمة الله - بتصرف عن الدكتور / علي بن محمد الصلابي - في كتابه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه .

الملك التركي (قارن) يتحرك بقوات يبلغ عددها (٤٠،٠٠٠) ألف مقاتل (انظر انطلاق أماكن الأسهم الحمراء على الخارطة في الأعلى) .

القوات الإسلامية بقيادة : عبد الله بن خازم، تخرج بـ (٤٠٠٠) مقاتل . وتبتكر طريقة إشعال النيران على أسنة الرماح ليلاً !، مما أربك الخصم، حيث اعتقدوا بأن إمدادات إضافية جاءت للقوات الإسلامية، إلى أن تمكن المسلمون من قتل قائد الترك (قارن)، في وسط المعركة. أقرأ الصفحة السابقة للأهمية ! .

الميدان الرئيس في مدينة هراة (هرات) في إقليم خراسان الأفغاني
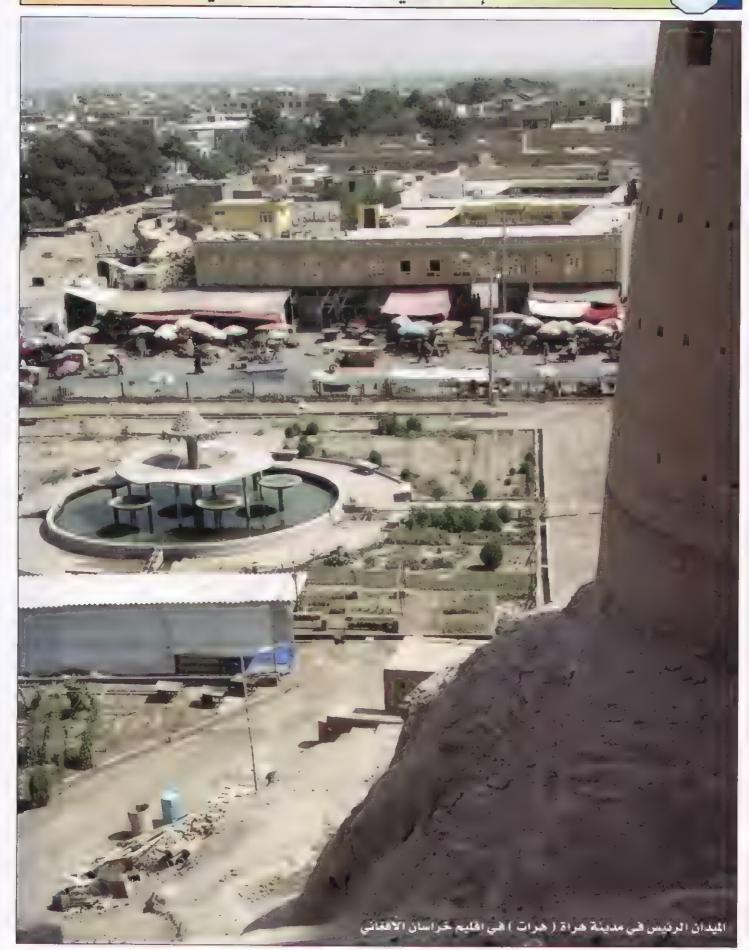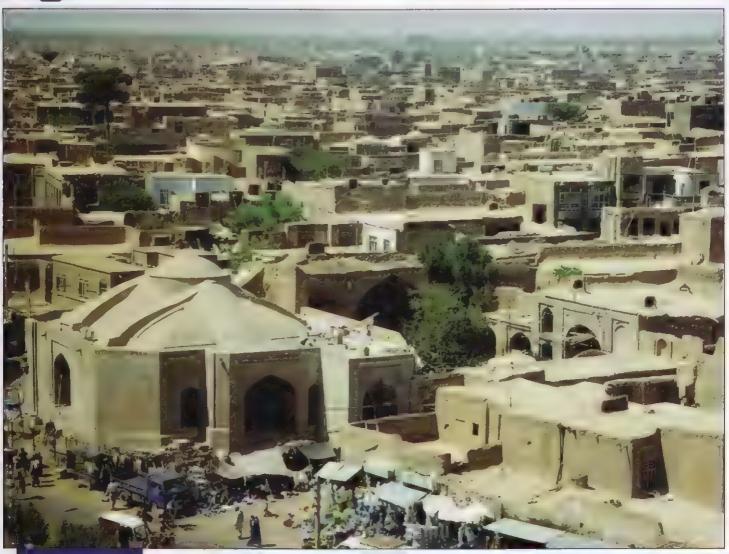
المباني الطينية في هرات.

الشارع الرئيس في مدينة هرات الأفغانية .

غزو الباب وبلنجر

سنة ٣٢ من الهجرة المباركة

قال الطبري: فمما كتب به إلي السري، عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا: كتب عثمان إلى سعيد، أن أغز سلمان الباب، وكتب إلى عبد الرحمن ابن ربيعة وهو على الباب، أن الرعية قد أبطر كثيراً منهم البطنة، فقصر، ولا تقتحم بالمسلمين؛ فإني خاش أن يبتلوا ! . فلم يزجر ذلك عبد الرحمن عن غايته ! ، وكان لا يقصر عن بلنجر، فغزا سنة تسع من إمارة عثمان حتى إذا بلغ بلنجر حصروها، ونصبوا عليها المجانيق، والعرادات، فجعل لا يدنو منها أحد إلا أعنتوه، أو قتلوه، فأسرعوا في الناس وقتل معضد في تلك الأيام، ثم إن الترك اتعدوا يوماً فخرج أهل بلنجر، وتوافت إليهم الترك؛ فاقتتلوا فأصيب عبد الرحمن بن ربيعة وكان يقال له: ذو النور، وانهزم المسلمون فتفرقوا !، فأما من أخذ طريق سلمان بن ربيعة فحماه حتى خرج من الباب، وأما من أخذ طريق الخزر وبلادها فإنه خرج على جيلان وجرجان وفيهم سلمان الفارسي وأبو هريرة، وأخذ القوم جسد عبد الرحمن فجعلوه في سفط فبقي في أيديهم فهم يستسقون به إلى اليوم ويستنصرون به ! . الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٣٠٨ – ٣٠٩ .

عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي

أخو سلمان بن ربيعة الباهلي يعرف بذي النور أدرك النبي صلى الله عليه وسلم بسنه ولم يسمع منه ولا روى عنه كان أسن من أخيه سلمان وكان يعرف بذي النور. ذكر سيف عن مجالد عن الشعبي قال: لما وجه عمر سعداً إلى القادسية جعل على قضاء الناس عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي ذا النور وجعل إليه الأقباض وقسمة الفيء ثم استعمل عمر عبد الرحمن بن ربيعة على الباب والأبواب وقتال الترك وقتل ذو النور هذا ببلنجر في خلافة عثمان بعد ثمان سنين مضين منها. ابن عبد البر، الإستيعاب في معرفة الأصحاب

للأهمية: تقدمت ترجمة دربند (الباب) من هذا الأطلس

بَلَنْجَرُ: بفتحتين، وسكون النون، وجيم مفتوحة، وراء: مدينة ببلاد الخزَرِ خلف باب الأبواب، قالوا: فتحها عبد الرحمن بن ربيعة، وقال البلاذُري: سَلْمان بن ربيعة الباهلي، وتجاوَزَها ولقيه خاقان في جيشه خلف بَلَنْجَرَ فاستشهد هو وأصحابه، وكانوا أربعة آلاف، وكان في أول الأمر قد خافهم التُّركُ وقالوا: إنَّ هؤلاء ملائكة لا يعمل فيهم السلاح، فاتَّفق أن تركيّاً اختفى في غيضة ورشق مسلماً بسهم فقتله، فنادى في قومه: إنَّ هؤلاء يموتون كما تموتون فلمَ تخافونهم؟ فاجترأوا عليهم وأوقعوهم حتى استشهد عبد الرحمن بن ربيعة، وأخذ الراية أخوهُ ولم يزل يقاتل حتى أمكنه دفن أخيه بنواحي بَلَنْجَرَ، ورجع ببقية المسلمين على طريق جيلان؛ فقال عبد الرحمن بن جُمانة الباهلي:

وإن لنا قَبْرَيْن قبرَ بَلَنجَر،
وقبراً بصين اسْتَانَ يا لك من قَبْرِ!
فهذا الذين بالصين عَمَّتْ فُتوحُهُ،
وهذا الذي يُسقى به سَبَلُ القَطرِ

يريد أن الترك لما قتلوا عبد الرحمن بن ربيعة، وقيل سلمان بن ربيعة وأصحابه كانوا ينظرون في كل ليلة نوراً على مصارعهم، فأخذوا سلمان ابن ربيعة وجعلوه في تابوت، فهم يستسقون به إذا قحطوا. وأما الذي بالصين فهو قتيبة بن مسلم الباهلي؛ وقال البُحتُري يمدح إسحاق بن كُنداجيق:

شَرَفٌ تَزَيَّدَ بالعراق إلى الذي
عهدوه في خَمْليخ أو ببَلَنجَرا، الحموي، معجم البلدان

الشمال
أرض الخزر
تيرك
بحر بنطس (البحر الأسود)
كرجستان
داوبند (باب الأبواب)
قرة قوم
سينوب
حوري
باطوم
تفليس
سامسون
أرمينستان
ذربيجان
قبريل
طرابزون
باكو
بردا
كراسنوفودسك
سيا الصعرى
أرضروم
أرمينستان (فالسملا)
قيزيل أرفات
قيصرية
أذربيجان
دهستان
ملطية
زدبير
تبرير
ديار بكر
حاسان
أصنة
الرها
راحو
الديلم
جرجان
أنطاكية
حلب
كردستان
ساري
الموصل
قزوين
طبرستان
الري
سمنان
حمص
همدان
طرابلس
البوكمال
الجبل
دمشق
صور
ايــــران
بغداد
أصفهان
يافا
القدس
عمان
الكوفة
العمارة
يزد
العراق
بئر السبع
معان
البصرة
أيلة
دومة لجندل
الخــزر
بلنجر
فوورس
تيرك
تبوك
صباء
تيماء
(باب الابواب)
العُلا
تفليس
أذربيجـــان
موقع بلنجر بالنسبة لباب الأبواب
ينبع
المدينة النبوية
بحر القلزم (البحر الأحمر)
بــدر
حلايب
الحجاز
نجد
جدة
مكة المكرمة
الخليفة عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ يأمر والي الكوفة سعيد ابن العاص؛ بتوجيه سلمان بن ربيعة إلى باب الأبواب، ويأمر عبد الرحمن ابن ربيعة البقاء عند حدوده التي هو عليها في أذربيجان
والي الكوفة سعيد بن العاص؛ يستجيب لتوجيهات الخليفة عثمان حيث وجّه سلمان بن ربيعة إلى باب الأبواب .
مسرح عملية قتال المسلمين مع جيوش المشركين في المنطقة الأذرية .
٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠كم
غزو الباب وبلنجر سنة

- المجوس في إصطخر ينتفضون مرة أخرى على الدولة الإسلامية .
- القائد عبيد الله بن معمر، يتلقى هزيمة من المجوس على باب إصطخر سنة ٢٩ هـ، فبلغ الخبر عبد الله ابن عامر؛ فسار إليهم من البصرة، حيث وصل إلى إصطخر بقواته ،ثم دارت رحى الحرب بين الطرفين، آل النصر فيها للمسلمين بعد أن قتل عدد كبير من المجوس، ثم فتح المسلمون المدينة عنوة .
- المسلمون يتقدمون نحو دارا بجرد، بعد أن غدر أهلها بالعهد مع المسلمين حتى تم فتحها .
- الجيش الإسلامي يتقدم نحو جور فيفتحها عنوة .
- المسلمون يعيدون الكرة على إصطخر لتمردها مرة أخرى، مما حدا بالمسلمين استخدام المنجنيق كوسيلة ردع لدك حصونها المنيعة، حيث قتل المسلمون المحاربين فيها، ثم استخلفوا عليها شريك بن الأعور الحارثي والذي قام بدوره ببناء مسجداً فيها . قال البلاذري: ((لما فرغ عبد الله بن عامر من فتح جور كرّ على أهل إصطخر وفتحها عنوة بعد قتال شديد ورمى بالمناجيق وقتل بها من الأعاجم ٤٠٠٠٠ ...)) فتوح البلدان ج ١ ص ٣٨٢ .

● بعد انتصارات المسلمين في أرض فارس والقضاء على القوات المجوسية المتمردة فيها، رأى عبد الله بن عامر توجيه مجاشع بن مسعود السلمي إلى كرمان ، بعد أن نكث أهلها العهد الذي أبرم مع المسلمين أيام عمر رضي الله عنه، قال الطبري: (قدم ابن عامر البصرة ثم خرج إلى فارس فافتتحها وهرب يزدجرد من جور وهي أردشير خرَّة في سنة ثلاثين فوجّه ابن عامر في أثره مجاشع بن مسعود السلمي فأتبعه إلى كرمان فنزل مجاشع السيرجان بالعسكر وهرب يزدجرد إلى خراسان) . ⟵

قال البلاذري:ثم لما توجه ابن عامر يريد خراسان ولى مجاشعاً كرمان. ففتح بيمند عنوة واستبقى أهلها، وأعطاهم أماناً. وبها قصر يعرف بقصر مجاشع. وفتح مجاشع بروخروة، وأتى الشيرجان وهى مدينة كرمان، وأقام عليها أياماً يسيرة، أهلها متحصنون وقد خرجت لهم خيل، فقاتلهم، ففتحها عنوة وخلف بها رجلاً، ثم إن كثيراً من أهلها جلوا عنها. وقد كان أبو موسى الاشعري وجه الربيع بن زياد ففتح ما حول الشيرجان، وصالح أهل بم والاندغار. فكر أهلها ونكثوا. فافتتحها مجامع بن مسعود. وفتح جيرفت عنوة وسار في كرمان فدوخها. واتى القفص وتجمع له بهرموز خلق ممن جلا من الأعاجم فقاتلهم، فظفر بهم وظهر عليهم.

وهرب كثير من أهل كرمان فركبوا البحر، ولحق بعضهم بمكران، وأتى بعضهم سجستان، فأقطعت العرب منازلهم وأرضهم، فعمروها وأدوا العشر فيها، واحتفروا القنى في مواضع منها. فتوح البلدان، ص ٤٨٢ .

استكمال فتح إقليم (كرمان) سنة ٣٠ هـ

• القوات الإسـلامية تدخل إلى كرمان وتفتح (بيمند) عنوة، ثم استبقوا أهلها وأعطوهم أماناً؛ وبنى المسلمون فيها قصراً عُرف بقصر مجاشع .

• واصل المسلمون تقدمهم في كرمان حيث استطاعوا فتح بروخروة ثم وصل إلى سِيرجانُ: (الشيرجان) من نواحي كرمان، وأقام عليها أياماً يسيرة وأهلها متحصنون، وقد خرجت لهم خيل فقاتلهم المسلمون وفتحوا المدينة عنوة ! .

• استمر المسلمون في فتح ما تبقى من أراضي كرمان ، حيث فتحوا جيرفت عنوة والقفص (القُفْسُ) وهرمور . بينما هرب كثير من أهل كرمان إلى ركوب البحر، ولحق بعضهم إلى مكران ، وأتى بعضهم سجستان ، (انظر الخارطة المقابلة)، فأقطعت العرب منازلهم وأراضيهم فعمروها وأدوا العشر فيها واحتفروا القنوات في مواضع منها .

كرمان
جمهورية إيران
باكستان
إقليم كرمان
كرمان

معاودة تحرير سجستان سنة
الشمال
لاش وجوين
سموز
كده
صالحان
شند
الربيع بن زياد يصل إلى قرية كركويه فصالحوه على غير قتال.
شاه حرما
كمشاد
دراز
فرفرى
حجا نسور
كنمك
أكبر آباد
مزي عليا
مارقان
زرنج
ملكى
أديمي
جهان آباد سفى
ميل نادر
نيحار
ميلك
دشت مارقو
زابل
قل آباد
صحراء لوط
شاهقل
الربيع بن زياد يستعين بأدلاء زالق في الوصول إلى زرنج وسار حتى وصل الهندمند وأتى زوشت فقاتلوه أهلها قتالاً شديداً، وأصيب رجال من المسلمين، ثم كر المسلمون وهزموهم واصل الربيع تقدمه في الفتح فوصل إلى ناشرود فظفر بها، ثم حاصر مدينة زرنج بعد أن قاتل أهلها فبعث إليه أبرويز مرزبانها يستأمنه ليصالحه فلما رأى الربيع هاله منظره من طول وعرض فصالحه على ألف وصيف مع كل وصيف جام من ذهب ودخل المسلمون المدينة.
باغك
زهك
ده مهاجري
تيمور آباد
جزينك
زالق
محمد آباد
دولت صادق
خالق دادو
سة كوهة
لوتك
زالقَ
لامُـهُ مكسورة، وقاف: من نواحي سجستـان، وهـو رستـاق كبير فيـه قصور وحصون، أرسل عبدُ الله بن عامر بن كُرَيْز الربيعَ بن زيـاد الحارثي إلى زالق في سنة ٣٠ فافتتحها عنوة وسبى منها عشـرة آلاف رأس، وأصاب مملوكاً لدهقـان زَرَنج وقد جمع ثلاثمائـة ألف درهم ليحملهـا إلى مولاه فقـال له: ما هذه الأموال؟ فقال: من غلّـة قرى مولاي، فقال له الربيع: أله مثل هذا في كلّ عـام؟ قال: نعم، قـال: فمن أين اجتمع هـذا المال؟ فقال: يجمعه بالفؤوس والمناجل، قال المدائني: وكان حديث فتح زالق أن الربيع أغار عليهم يوم المِهْرَجان فأخذ دهقان زالق فقال له: أنا أفدي نفسي وأهلي وولدي، فقال: بكم تفديهم؟ فقال: اركُز عنـزَةً وأطمها لك بالذهب و لفضـة، فأدّاه وأعطاه ما ضمن له، ويقال سبى منهم ثلاثين ألفاً.
ورمال
حسن آباد
سنارود
قلعة فتح
قلعة رستم
شهر سوخته
مير آباد
لما توجه ابن عامر إلى خراسان سير إليها من كرمان الربيع بن زياد الحارثي، فأتى حصن زالق فأغار على أهله فأخذ الدهقان بافتداء نفسه، وطلب الصلح مع المسلمين على ما صالح عليه أهل فارس.
١٥
٣٠
٤٥
٦٠
٧٥ كم

بحر قزوين
باكو
افغانستان
زابل
إقليم سجستان
جمهورية ايران
باكستان
إقليم سجستان

مدخل جامعة زابل

استكمال تحرير سجستان سنة هـ
شمال
• عبـد الرحمن بن سمرة يحاصر مرزبان زرنج في عيد للمجوس فصالحه علـى ألفـي ألف درهم ، وألفي وصيف وغلب عبـد الرحمن على ما بين زرنج وكش من ناحية الهند وغلب من ناحية الرُّخج على ما بينه وبين بلاد الداور، فلما انتهى إلى بلاد الداور حصرهم في جبل الزور ثم صالحهم فكانت عدة من معه من المسلمين ٨٠٠٠ فأصاب كل رجل منهـم ٤٠٠٠ ودخل على الزور وهـو صنـم من ذهـب عينـاه ياقوتتان فقطع يـده وأخذ الياقوتتـين ثم قال للمرزبان: دونك الذهـب والجوهر وإنما أردت أن أعلمك أنه لايضر ولا ينفع وفتح كابل وزابلستان .
لاش وجوين
سمور
صالحان
شاه خرما
كمشاد
درار
قرقرى
جحا نسور
كنمك
أكبر اباد
بري عليا
مارقان
زرنج
سجستان
ملكى
أديمي
جهان آباد سمي
نيجار
ميل نادر
زابل
ميلك
دشت مارقو
قل آباد
صحراء لوط
شاهقل
باغك
زهك
ده مهاجري
تيمور آباد
حربنك
رالف
محمد آباد
دولت صادق
خالق دادنو
عبدالرحمـن بـن سمـرة يتقـدم إلى زرنج ويقيـم بها حتى اضطرب أمر عثمان فاستخلف عليها أمير بن أحمر اليشكري، ثم انصرف من سجستان فقام أهلها بإخراج أمير ابن أحمر وامتنعوا.
سة كوهة
لوتك
ورمال
حسن آباد
سناروذ
قلعة فتح
قلعة رستم
شهر سوخته
سـوختة
مير آباد
• الربيع بن زياد بن أنس بن الديان الحارثي يقطع وادي (سناروذ) نحو القريتين وهي مكان مربط فرس رستم فقاتله أهلها فظفر بهم، ثم عاد إلى زرنج، وأقام بها سنتين .
• الربيع يذهب لملاقاة ابن عامر بعد أن استخلف على سجستان رجلاً من بني الحارث، ثم ولى ابن عامر عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب عليها .
٠
١٥
٣٠
٤٥
٦٠
٧٥ كم

كلية الهندسة في مدينة زهك بإقليم سجستان.

إسناق (قرية) من قرى زهك القريبة من زالق.

قال تعالى

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ التوبة

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ الأحزاب

أطلس

الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين
رضي الله عنهم

القسم الثاني

الفتح الإسلامي على الجبهة الغربية

(بلاد الشام ومصر والأقاليم المجاورة لهما)

الباب الأول
فتح بلاد الشام والأقاليم المجاورة لها

حلب
نهر الفرات
اللاذقية
حماة
طرابلس
لبنان
دمشق
سوريا
بلاد الشام
عمان
فلسطين
القدس الشريف
الاردن
سيناء
العقبة

موقع بلاد الشام بالنسبة لقارة اسيا
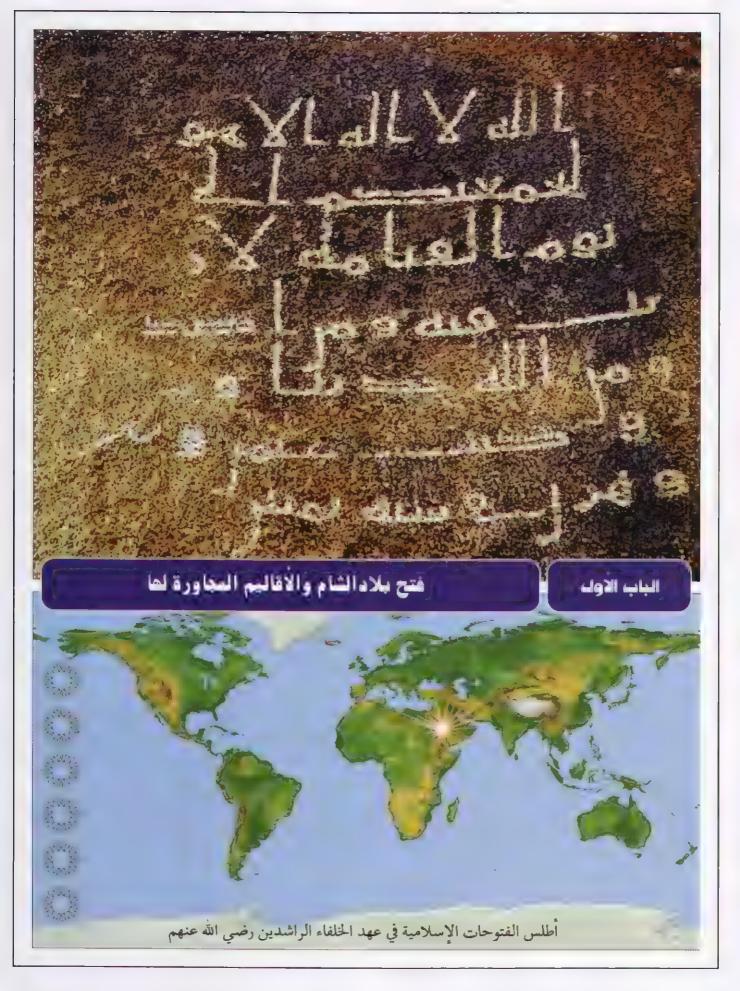
إقليم الشام

((يقال: إنما سميت الشام؛ لأنها شامة الكعبة وقيل: بل من تشاؤم الناس إليها وقيل: بل لشامات بها حمر وبيض وسود، وأهل العراق يسمون كل ما كان وراء الفرات شاماً ولهذا أرسل محمد بن الحسن القول في دواوينه وليس وراء الفرات من الشام غير كورة قنّسرين حسب، والباقي بادية العرب، والشام من ورائها وإنما أراد محمد التقريب والمتعارف بين الناس كما يقال: لخراسان المشرق وإنما هو من ورائها، وإنما الشام كل ما قابل اليمن وكان الحجاز بينهما فإن قال قائل: ما تنكر أن يكون طرف البادية الى حدود العراق من الشام ليصح ما قاله أهل العراق قيل: قد قسمنا الأقليم ورسمنا الحدود فلا ينبغي لنا أن ندخل في إقليم من غيره فإن قال قائل : فمن أين لك ؟! إنه ليس منه في القديم قيل له لم يختلف فقهاء الشريعة وأهل هذا العلم، أن هذه الأرض المتنازع فيها إنها من جزيرة العرب ولو جعلها أحد من الشام لا مجازاً لكان لنا أن نقول له حدود الشام التي رسمناها مجمع عليها وما زدتم مختلف فيه وعلى من أدعى الزيادة الدليل....))١.

---

١. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم : لمحمد بن أحمد المقدسي، ج:١ ص:١٤٠ .

جمل شؤون هذا الإقليم أنواء الشام

((هو إقليم متوسط الهواء إلا وسطه من الشراة إلى الحولة فإنه بلد الحر والنيل والموز والنخيل وقال لي يوماً غسان الحكيم ونحن بأريحا: ترى هذا الوادي، قلت: بلى، قال: هو يمد إلى الحجاز ثم يخرج إلى اليمامة، ثم إلى عمان وهجر، ثم البصرة ثم إلى بغداد، ثم يصعد إلى ميسرة الموصل إلى الرقة وهو وادي الحر والنخيل .

وأشد هذا الإقليم برداً بعلبك وما حولها ومن أمثالهم قيل للبرد: أين نطلبك؟ قال: بالبلقاء، قال: فإن لم نجدك، قال: بعلبك بيتي، وهو إقليم مبارك بلد الرخص والفواكه والصالحين وكل ما علا منه نحو الروم كان أكثر أنهاراً وثماراً وأبرد هواء وما سفل منه فإنه أفضل وأطيب وألذ ثماراً وأكثر نخيلاً وليس فيه نهر يسافر فيه إنما يعبر))٢.

---

٢. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: لمحمد بن أحمد المقدسي، ج:١ ص:١٦٢، ١٦٣ .

وثيقة نص رسالة الرسول ﷺ إلى قيصر الروم
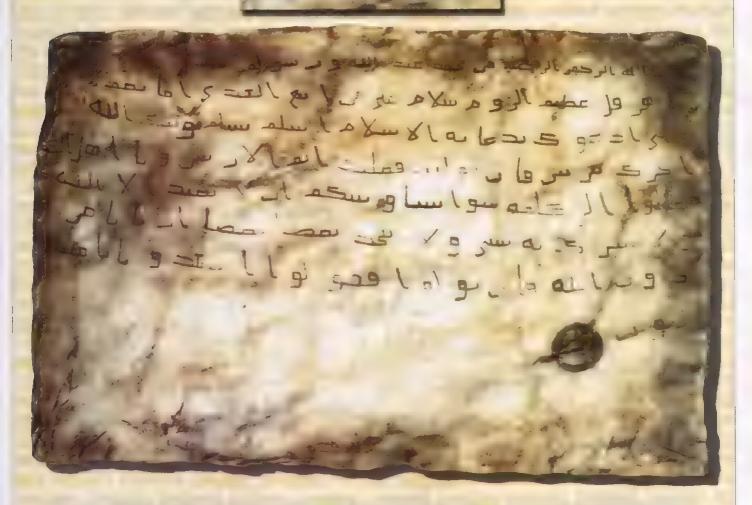
في أواخر السنة السادسة للهجرة المباركة حين رجع النبي ﷺ من الحديبية وبعد عقد الصلح مع قريش كتب إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام. ولما اراد أن يكتب إلى هؤلاء الملوك والأمراء قيل له: إنهم لا يقرءون كتاباً إلا وعليه خاتم، فاتخذ النبي ﷺ خاتماً من فضة، نقشه: محمد رسول الله، وكان هذا النقش ثلاثة أسطر : محمد سطر، ورسول سطر، والله سطر (انظر الشكل في الوثيقة) .

فبعث الرسول ﷺ الرسل تحمل كتبه القيّمة الكريمة إلى كل من كسرى ملك الفرس، وقيصر ملك الروم، والنجاشي ملك الحبشة، والمقوقس ملك مصر، وأرسل شجاع بن وهب إلى الحارث بن ابي شِمر الغساني، وأرسل سليط بن عمرو إلى هوذة الحنفي، وأرسل العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى .

واختار الرسول ﷺ لحمل رسالة (هرقل)، دحية بن خليفة الكلبي. وإليك نص كتاب الرسول ﷺ لقيصر .

روى البخاري ضمن حديث طويل نص الكتاب الذي كتبه النبي ﷺ إلى هرقل كما في نص الرسالة (الوثيقة) :

((بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، أن لانعبد إلا الله، ولا نُشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)) . وحينما وصل دحية إلى قيصر وقرأ الكتاب، اجازه بمال وكسوة، ولما كان دحية بحسمي في طريقه إلى المدينة لقيه ناس من جذام، فقطعوها عليه، فبعث النبي ﷺ زيد بن حارثة إلى حسمي بوادي القرى وانتصر عليهم .
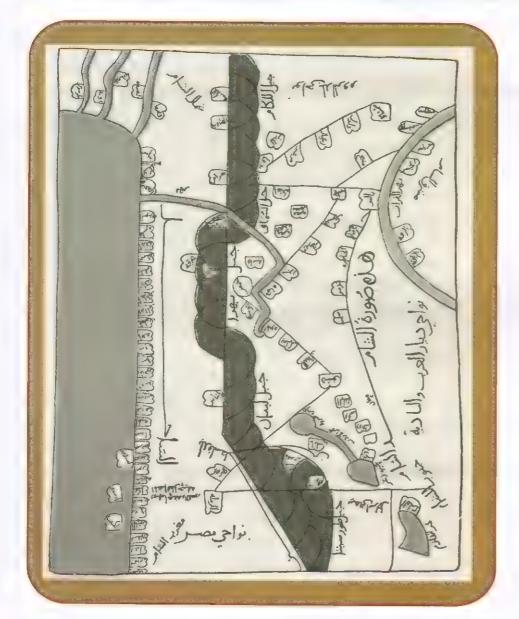
صورة الشام لابن حوقل النصيبي المتوفى سنة ٣٦٧هـ

قال الاصطخري: « وأما الشام فإن غربيها بحر الروم، وشرقيها البادية من أيلة إلى الفرات، ثم من الفرات إلى حد الروم، وشماليها بلاد الروم، وجنوبيها حد مصر وتيه بني إسرائيل، وآخر حدودها مما يلي مصر رفح، ومما يلي الروم الثغور، وهي ملطية والحدث ومرعش والهارونية والكنيسة وعين زربة والمصيصة وأذنة وطرسوس والذي يلي الشرقي والغربي مدن قد ذكرناها في تصوير الشام، "وفي إعادتها تطويل". قد جمعت الثغور إلى الشام، وبعض الثغور تعرف بثغور الشام، وبعضها تعرف بثغور الجزيرة، وكلاهما من الشام، وذلك أن كل ما وراء الفرات من الشام، وإنما سمي من ملطية إلى مرعش ثغور الجزيرة، لأن أهل الجزيرة بها يرابطون وبها يغزون، لا لأنها من الجزيرة. وكور الشام إنما هي جند فلسطين وجند الأردن وجند حمص وجند دمشق وجند قنسرين والعواصم والثغور، وبين ثغور الشام وثغور الجزيرة جبل اللكام، وهو الفاصل بين الثغرين، وجبل اللكام هو جبل داخل في بلد الروم، ويقال إنه ينتهي

في بلد الروم إلى نحو من مائتي فرسخ، ويظهر في بلد الإسلام بين مرعش والهارونية وعين زربة فيسمى اللكام، إلى أن يجاوز اللاذقية ثم يسمى جبل بهراء، وتنوخ إلى حمص ثم يسمى جبل لبنان، ثم يمتد على الشام حتى ينتهي إلى بحر القلزم. وأما جند فلسطين - وهو أول أجناد الشام مما يلي المغرب - فأنه تكون مسافته للراكب طول يومين من رفح إلى حد اللجون، وعرضه من يافا إلى ريحا يومان، وأما زغر وديار قوم لوط والجبال والشراة فمضمومه إليها، وهي منها في العمل إلى أيلة، وديار قوم لوط والبحيرة الميتة وزغر إلى بيسان وطبرية تسمى الغور لأنها بين جبلين، وسائر بلاد الشام مرتفع عليها، وبعضها من الأردن وبعضها من فلسطين في العمل، وأما نفس فلسطين فهو ماذكرته، وفلسطين ماؤها من الأمطار، وأشجارها وزروعها أعداء إلا نابلس، فإن بها مياهاً جارية، وفلسطين أزكى بلدان الشام، ومدينتها العظيمة الرملة، وبيت المقدس يليها في الكبر، وبيت المقدس مدينة مرتفعة على جبال يصعد إليها من كل مكان قصد في فلسطين، وبها مسجد ليس في الإسلام مسجداً أكبر منه، والبناء في زاوية من غربي المسجد يمتد على نحو نصف عرض المسجد، والباقي من المسجد عارض صخرة من الأرض إلى صدر القائم، وطولها وعرضها متقارب يكون بضعة عشر ذراعاً، وينزل إلى باطنها بمراق من باب شبيه بالسرداب، إلى بيت يكون طوله نحو بسطة في مثلها، وليس بيت المقدس ماء جار سوى عيون لا تتسع للزروع، وهي من أخصب بلدان فلسطين، ومحراب داود عليه السلام بها - وهي بنية مرتفعة ارتفاعها يشبه أن يكون خمسين ذراعاً من حجارة، وعرضها نحو ثلاثين ذراعاً على الحزر والتخمين، وأعلاه بناء مثل الحجرة وهي المحراب، إذا وصلت إليها من الرملة فهو أول ما يتلقاك من بناء بيت المقدس، وفي مسجد بيت المقدس لعامة الأنبياء المعروفين لكل واحد منهم محراب معروف، وعلى ناحية جنوب بيت المقدس على ستة أميال منه قرية تعرف ببيت لحم، وهي مولد عيسى عليه السلام، ويقال إن في كنيسة منها قطعة من النخلة التي أكلت منها مريم، وهي مرفوعة عندهم يصونونها، ومن بيت لحم على سمته في الجنوب مدينة صغيرة، شبيهة في القدر بقرية - تعرف بمسجد إبراهيم عليه السلام، وفي المسجد الذي يجتمع فيه الجمعة قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام صفاً، وقبور نسائهم صفاً بحذاء كل قبر من قبورهم قبر امرأة صاحبه، والمدينة في وهدة بين جبال كثيرة كثيفة الأشجار، وأشجار هذه الجبال وسائر جبال فلسطين وسهلها زيتون وتين وجميز وعنب، وسائر الفواكه أقل من ذلك. ونابلس مدينة السامرة، يزعمون أن بيت المقدس هو نابلس، وليس للسامرة مكان من الأرض إلا بها، وآخر مدن فلسطين مما يلي جفار مصر مدينة يقال لها غزة، بها قبر هاشم ابن عبد مناف، وبها مولد محمد بن إدريس الشافعي، وفيها أسر عمر بن الخطاب في الجاهلية، لأنها كانت مستطرقاً لأهل الحجاز، وبفلسطين نحو من عشرين منبراً على صغر رقعتها، وهي من أخصب بلاد الشام؛ وأما الجبال والشراء فإنهما بلدان متميزان، أما الشراة فمدينتها تسمى أذرح، وأما الجبال فإن مدينتها تسمى روات، وهما بلدان في غاية الخصب والسعة، وعامة سكانها العرب. الأردن فإن مدينتها الكبرى طبرية، وهي على بحيرة عذبة الماء، طولها اثني عشر ميلاً في عرض فرسخين أو ثلاثة، وبها عيون جارية، مستنبطها على نحو فرسخين من المدينة، فإذا انتهى الماء إلى المدينة على ما دخله من الفتور بطول السير إذا طرحت فيه الجلود انمعطت، وليمكن استعماله إلا بالمزاج، وزعيم ذلك الماء ومياضي لهم، والغور أوله هذه البحيرة، ثم يمتد إلى بيسان حتى ينتهي إلى زغر وأريحا إلى البحيرة الميتة، والغور ما بين جبلين غائر في الأرض جداً، وبه عيون وأنهار ونخيل،ولا تساقر به الثلوج، وبعض الغور من حد الأردن إلى أن تجاوز بيسان، فإذا جاوزته كان من حد فلسطين، وهذا البطن إذا امتد فيه السائر أداه إلى أيلة؛ وصور بلد من أحسن الحصون

عامـرة خصبة، ويقال إنه أقدم بلـد الساحل، وأن عامة حكام اليونان منها، وبالأردن كان مسكن يعقوب النبي عليه السلام، وجب يوسف عليه السلام على أثنى عشر ميلاً من طبرية، على ما يلي دمشق ومياه طبرية من البحيرة. وأما جند دمشق فإن قصبتهـا مدينـة دمشق، وهي أجل مدينة بالشام كلها، وهي في أرض واسعة بـين جبال تحيط بها مياه كثيرة وأشجار وزروع متصلـة، وتسمى تلـك البقعة الغوطة، عرضها مرحلة في مرحلتين، ليس بالمغرب مكان إنزه منه، ومخرج مائها مـن تحـت كنيسة يقال لها الفيجة، وأول ما يخرج مقداره ارتفاع ذراع في عرض باع، ثم يجري في شعب تتفجر فيها العيون، فيأخذ منه نهر عظيم أجراه يزيد بن معاوية، يعرض في كثير ثم يستنبط منه نهر المزة ونهر القنوات، ويظهر عنـد الخروج مـن الشعب بموضع يقال له النيرب، ويقال إنه المكان الذي قال الله فيـه ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ ثم يبقي من هذا الماء عمود النهر فيسمى بردى، وعليه قنطرة في وسط مدينة دمشق، لا يعبره الراكب غزارة وكـثرة فيفضي إلى قرى الغوطـة، ويجري الماء في عامة دورهم وسككهم وحماماتهـم، وبها مسجد ليس في الإسلام مسجـد أحسـن ولا أكثر نفقة منـه، وأما الجدار والقبـة التي فوق المحراب عنـد المقصورة في بنـاء الصابئين، وكان مصلاهـم ثم صار في أيدي اليونانيين، فكانوا يعظمون في دينهم، ثم صار لليهود وملوك من عبدة الأوثان، فقتل في ذلـك الزمـان يحيى بن زكريا عليه السلام، ونصب رأسه على باب هذا المسجد بباب يسمى جيرون، ثم تغلب عليه النصارى فصـار في أيديهـم كنيسة، يعظمون فيهـا دينهم، حتى جاء الإسلام فصـار للمسلمين واتخذوه مسجـداً، وعلى باب جـيرون حيـث نصب رأس يحيى بن زكريـا نصب رأس الحسين بن علي عليهما السلام، فلمـا كان أيام الوليد بن عبد الملـك عمره فجعل أرضـه رخاماً مفروشاً، وجعل وجه جدرانه رخاماً مجزعاً، وأساطينه رخاماً موشى، ومقاعد رؤوس أساطينه ذهباً، ومحرابه ذهباً مرصعاً بالجواهر، ودور السقف كله ذهباً مكتباً، كما تطوف ترابع جدار المسجد، يقال أنـه انفـق فيه وحده خراج الشام، وسطحه رصاص، وسقفه خشب مذهب، يدور الماء على رقعة المسجد، حتى إذا فجر فيـه انبسـط على جميـع الأركان سواء، ومن جند دمشق بعلبـك وهي مدينة على جبل، عامـة أبنيتها من حجارة وبها قصـور من حجارة، قد بنيـت على أساطين شاهقة،ليس بأرضـ الشام أبنية حجارة أعجـب ولا أكبر منها، وطرابلس مدينة على بحر الروم عامرة، ذات نخل وقصب سكر وخصب. وأما جند حمص فإن مدينتها حمص، وهي مدينة في مستو خصبة جداً، من أصح بلدان الشام تربة، في أهلها جمال مفرط، وليس بها عقارب ولا حيات، ولها مياه وأشجار وزروع كثـيرة، وأكـثر زروع رساتيقها أعذاء، وبها كنيسة بعضها مسجد جامـع وبعضها كنيسة، وهي من أعظم كنائس الشـام، وعامة طريـق حمص مفروشة بالحجارة؛ وأما أنطرطوس فهو حصن علـى بحر الروم، ثغر لأهل حمص، وبه كان مصحف عثمان بن عفان؛ وأما سلمية فهي المدينة الغالب على سكانها بنو هاشم، على طرف البادية خصبة، وأما

شيزر وحماة : فإنهما مدينتان صغيرتان نزهتان، كثيرتا الماء والشجر والزرع. وجند قنسرين مدينتها حلب، وهي عامرة بالأهل جداً، على مدرج طريق العراق إلى الثغور وسائر الشامات وقنسرين مدينة تنسب الكورة إليها، وهي من أصغر المدن بها؛ ومعرة النعمان مدينة هي وما حواليها من القرى أعذاء، ليس بجميع نواحيها ماء جارٍ ولا عين، وكذلك أكثر ما بجميع جند قنسرين أعذاء، ومياههم من السماء وخناصرة حصن على شفير البرية، كان يسكنه عمر بن عبد العزيز؛ وأما العواصم فاسم الناحية، وليس موضع بعينه يسمى العواصم، وقصبتها إنطاكية، وهي بعد دمشق أنزه بلد بالشام، عليها سور من صخر يحيط بها، وبجبل مشرف عليها فيه مزارع وأرحية ومراع وأشجار، وما يستقل به أهلها من مرافقها، ويقال إن دور السور للراكب يومان، وتجري مياههم في دورهم وسككهم ومسجد جامعهم، وبها ضياع وقرى ونواح خصبة جداً، وأما الصخرة فإنها تعرف بصخرة موسى، ويقال إن موسى اجتمع مع الخضر عليهما السلام في هذا الموضع؛ وأما بالس فهي مدينة على شط الفرات صغيرة، وهي أول مدن الشام من العراق، والطريق إليها عامر، وهي فرضة الفرات لأهل الشام؛ وأما منبج فهي مدينة في بريةٍ، والغالب على مزارعها الأعذل وهي خصبة، ومنها البحتري الشاعر وثابت ابنه بها، وسكانها عرب، وبقربها سنجة، وهي مدينة صغيرة بقربها قنطرة حجارة تعرف بقنطرة سنجة، ليس في الإسلام قنطرة أعجب منها، وأما سميساط فهي على الفرات، وكذلك جسر منبج، وهما مدينتان صغيرتان خصبتان، لهما زروع سقي ومباخس، وماؤهما من الفرات، وملطية مدينة كبيرة من أكبر الثغور التي دون جبل اللكام، وتحتف بها جبال كثيرة الجوز، وسائر الثمار مباح لا مالك له، وهي من قرى بلد الروم على مرحلة، وحصن منصور حصن صغيرة فيه منبر وزروعه عذى، والحدث ومرعش هما مدينتان صغيرتان عامرتان، فيهما مياه وزروع وأشجار كثيرة، وهما ثغران؛ وأما زبطرة فإنها حصن كان من أقرب هذه الثغور إلى بلد الروم، خربه الروم؛ والهارونية من غربي جبل الكام في بعض شعابه، وهي حصن صغيرة بناه هارون الرشيد فنسب إليه؛ وإسكندرونة حصن على ساحل بحر الروم صغير به نخيل؛ وبياس مدينة صغيرة على شط بحر الروم، ذات نخل وزروع خصبة، والتينات حصن على شط البحر أيضاً، فيه مجمع لخشب الصنوبر، الذي ينقل إلى الشامات وإلى مصر والثغور، والكنيسة حصن فيه منبر، وهو ثغر في معزل من شط البحر؛ والمثقب حصن صغيرة بناه عمر بن عبد العزيز، به منبر ومصحف له؛ وعين زربة بلد يشبه مدن الثغور، بها نخيل وهي خصبة واسعة الثمار والزروع والمرعى، وهي المدينة التي أراد وصيف الخادم أن يدخل بلد الروم منها، فأدركه المعتضد هناك، والمصيصة مدينتان: إحداهما تسمى المصيصة والأخرى كفربيا على جانبي جيحان، وبينهما قنطرة حجارة حصينة جداً، على شرف من الأرض ينظر منها الجالس في المسجد الجامع إلى قرب البحر نحو أربعة فراسخ، وجيحان يخرج من بلد الروم حتى ينتهي إلى

المصيصة ثم إلى رستاق يعرف بالملون حتى يقع في بحر الروم، وأذنة مدينة تكون مثل أحد جانبي المصيصة على نهر يسمى سيحان، وهي مدينة خصبة عامرة، وهي منقطعة على نهر سيحان في غربي النهر، وسيحان هو دون جيحان في الكبر، عليه قنطرة؛ قنطرة حجارة عجيبة البناء طويلة جداً، ويخرج هذا النهر من بلد الروم أيضاً، وطرسوس مدينة كبيرة عليها سوران من حجارة، تشتمل على خيل ورجال وعدة، وهي في غاية العمارة والخصب، وبينها وبين حد الروم جبال، هي الحاجز بين المسلمين والروم، ويقال إنه كان بها زهاء مائة ألف فارس - فيما يزعم أهلها، وليس من مدينة عظيمة من حد سجستان إلى كرمان وفارس والجبال وخوزستان وسائر العراق والحجاز واليمن والشامات ومصر إلا وبها لأهلها دار وأكثر، ينزلها أهلها إذا وردوها: وأولاس حصن على ساحل البحر، بها قوم متعبدون، وهي آخر ما على بحر الروم من العمارة للمسلمين. وأما رقيم فإنها مدينة بقرب البلقاء، وهي صغيرة منحوتة بيوتها كلها، وجدرانها من صخر كأنها حجر واحد، والبحيرة الميتة من الغور بقرب زغر، وإنما تسمى الميتة لأنه ليس فيها شيء من الحيوان لا أسماك ولاغيره، وتقذف بشيء يسمى الحمر، منه يلقحون كروم فلسطين - كما يلقح النخل بطلع الفحال - منها، وبزغر بسر يقال له الانقلاء، لم أر بالعراق ولا بمكان أعذب ولا أحسن منظراً منه، كأن لونه الزعفران لا يغادر منه شيئاً، ويكون أربعة منه شبراً، وديار قوم لوط هي أرض تسمى الأرض المقلوبة، وليس بها زرع ولا ضرع ولا حشيش، وهي بقعة سوداء قد فرشت بحجارة كلها متقاربة في الكبر، ويروى أنها الحجارة المسومة التي رمى بها قوم لوط، وعلى عامة تلك الحجارة كالطابع؛ ومعان مدينة صغيرة سكانها بنو أمية ومواليهم وهو حصن من الشراة، وحوران والبثنية هما رستاقان عظيمان من جند دمشق، مزارعهما مباخس، وهناك بصرى وعند البلقاء عمّان التي جاء في الخبر في ذكر الحوض أنه ما بين عمّان وبصرى، وبغراس على طريق الثغور، وبها دار ضيافة لزبيدة، وليس بالشام دار ضيافة غيرها، وبيروت مدينة على شط بحر الروم، خصبة من عمل دمشق، بها كان مقام الأوزاعي.

وأما المسافات بالشام فإن طولها من ملطية إلى رفح: فمن ملطية إلى منبج ٤ أيام، ومن منبج إلى حلب يومان، ومن حلب إلى حمص ٥ أيام، ومن حمص إلى دمشق ٥ أيام، ومن دمشق إلى طبرية ٤ أيام، ومن طبرية إلى الرملة ٣ أيام، ومن الرملة إلى رفح يومان، فذاك ٢٥ مرحلة، وعرضها في بعض المواضع أكثر من بعض، فأعرضها طرفاها، وأحد طرفيها من الفرات من جسر منبج على منبج، ثم على قورس في حد قنّسرين، ثم على العواصم في حد إنطاكية، ثم يقطع جبل اللكام إلى بياس، ثم إلى التينات ثم على المثقب ثم على المصيصة ثم على أذنة ثم على طرسوس وذلك نحو ١٠ مراحل، وإن سلكت من بالس فإلى حلب، ثم إلى إنطاكية ثم إلى إسكندرونة ثم إلى بياس حتى تنتهي إلى طرسوس، فالمسافة أيضاً نحو ١٠ مراحل، غير أن السمت المستقيم هو الطريق الأول. وأما الطرف الآخر فهو حد فلسطين، فيأخذ من البحر من حد يافا حتى ينتهي إلى الرملة، ثم إلى القدس، ثم إلى أريحا، ثم إلى زغر ثم إلى جبال الشراة ثم إلى الشراة إلى أن ينتهي إلى معان ومقدار هذا ٦ مراحل. فأما ما بين هذين الطرفين من الشام فهو مختصر، ولا يكاد يزيد

موضع من الأردن ودمشق وحمص على أكثر من ٣ أيام، لأن من دمشق إلى طرابلس على بحر الروم يومين غرباً، ومن حمص إلى سلمية على البادية شرقاً يوماً، ومن طبرية إلى صور على البحر غرباً يوماً، ومنها إلى أن تجاوز فيق على حد ديار بني فزارة شرقاً يوماً. فهذه مسافتا طول الشام وعرضه.

وأما المسافة في أضعافه فإنا نبدأ بفلسطين وهي أول أجناد الشام مما يلي المغرب وقصبتها الرملة، فمن الرملة إلى يافا نصف مرحلة، ومن فلسطين إلى عسقلان مرحلة، وإلى غزة مرحلة، ومن الرملة إلى بيت المقدس يوم، ومن بيت المقدس إلى مسجد إبراهيم يوم، ومن بيت المقدس إلى أريحة مرحلة، ومن بيت المقدس إلى البلقاء يومان، ومن الرملة إلى قيسارية يوم، ومن الرملة وإلى نابلس يوم، ومن أريحة إلى زغر يومان، ومن زغر إلى جبال الشراة يوم ومن جبال الشراة إلى آخر الشراة يوم، وأما الأردن فإن قصبتها طبرية، فمنها إلى صور يوم، ومنها إلى عقبة فيق يوم، ومنها إلى بيسان يومان خفيفان، ومنها إلى عكّا يوم، والأردن أصغر أجناد الشام وأقصرها مسافة. وأما جند دمشق فإن قصبتها دمشق، ومنها إلى بعلبك يومان، وإلى إطرابلس يومان، وإلى بيروت يومان، وإلى صيدا يومان، وإلى أذرعات ٤ أيام، وإلى أقصى الغوطة يوم، وإلى حوران والبنية يومان وأما جند قنسرين فإن مدينتها قنسرين، غيرأن دار الإمارة والأسواق ومجمع الناس والعمارات بحلب، فمن حلب إلى بالس يومان، ومن حلب إلى قنسرين يوم، ومن حلب إلى الأثارب يوم، ومن حلب إلى قورس يوم، ومن حلب إلى منبج يومان، ومن حلب إلى الخناصرة يومان.

وأما العواصم فإن قصبتها إنطاكية، ومنها إلى اللاذقية ٣ مراحل، ومنها إلى بغراس يوم، وإلى الأثارب يومان، وإلى حمص ٥ مراحل، ومنها إلى مرعش يومان، وإلى الحدث ٣ أيام. وأما الثغور فإنه لا قصبة لها، وكل مدينة قائمة بنفسها، ومنبج قريبة من الثغور، ومن منبج إلى الفرات مرحلة خفيفة، ومن منبج إلى قورس مرحلتان، ومن المنبج إلى ملطية ٤ أيام، ومن منبج إلى سميساط يومان، ومن منبج إلى الحدث يومان، ومن سميساط إلى شمشاط يومان، ومن شمشاط إلى حصن منصور يوم، ومن حصن منصور إلى ملطية يومان، ومن حصن منصور إلى زبطرة يوم، ومن حصن منصور إلى الحدث يوم، ومن الحدث إلى مرعش يوم، ومن ملطية إلى مرعش ثلاث مراحل كبار. فهذه مسافات ثغور الجزيرة وأما الثغور الشامية: فمن إسكندرونة إلى بياس مرحلة خفيفة، ومن بياس إلى المصيصة مرحلتان، ومن المصيصة إلى عين زربة يوم، ومن المصيصة إلى أذنة يوم، ومن أذنة إلى طرسوس يوم، ومن طرسوس إلى أولاس على بحر الروم يومان، ومن طرسوس إلى الحوزات يومان، ومن طرطوس إلى بياس على بحر الروم فرسخان، ومن بياس إلى الكنيسة والهارونية أقل من يوم، ومن الهارونية إلى مرعش نت ثغور الجزيرة أقل من يوم، فهذه جملة مسافات الثغور. وقد انتهى قولنا فيما أردنا ذكره من الشام وذكرنا المغرب ومصر والشام وأقاليم ممتدة على بحر الروم واستوفيناها، ويصل ذلك بذكر الروم ».الاصطخري: المسالك والممالك ، النسخة الرقمية .

بداية فتح بلاد الشام

إن أبا بكر لما حدث نفسه بأن يغزو الروم فلم يطلع عليه أحداً إذ جاءه شرحبيل بن حسنة، فجلس إليه فقال: يا خليفة رسول الله، أتحدث نفسك أن تبعث إلى الشام جنداً؟ فقال: نعم، قد حدثت نفسي بذلك، وما أطلعت عليه أحداً. وما سألتني عنه إلا لشيء. قال: أجل، إني رأيت يا خليفة رسول الله فيما يرى النائم كأنك تمشي في الناس فوق خرشفة من الجبل، ثم أقبلت تمشي حتى صعدت فيه من القنان العالية، فأشرفت على الناس ومعك أصحابك، ثم إنك هبطت من تلك القنان إلى أرض سهلة دمثة، فيها الزرع والقرى والحصون، فقلت للمسلمين: شنوا الغارة على أعداء الله وأنا ضامن لكم بالفتح والغنيمة، فشد المسلمون وأنا فيهم معي راية، فتوجهت بها إلى أهل قرية، فسألوني الأمان فأمنتهم ثم جئت، فأجدك قد انتهيت إلى حصن عظيم، ففتح الله لك، وألقوا إليك السلم. ووضع الله لك مجلساً فجلست عليه، ثم قيل لك يفتح الله عليك وتنصر فاشكر ربك واعمل بطاعته، ثم قرأ ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ إلى آخرها. ثم انتبهت، فقال له أبو بكر: نامت عيناك، خيراً رأيت، وخيراً يكون إن شاء الله، ثم قال: بشرت بالفتح ونعيت إلي نفسي، ثم دمعت عينا أبي بكر ثم قال: أما الخرشفة التي رأيتنا نمشي عليها حق صعدنا إلى القنة العالية، فأشرفنا على الناس، فإنا نكابد من أمر هذا الجند والعدو مشقة ويكابدونه، ثم نعلو بعد ويعلو أمرنا، وأما نزولنا من القنة العالية إلى الأرض السهلة الدمثة والزرع والعيون والقرى والحصون فإنا ننزل إلى أمر أسهل مما كنا فيه من الخصب والمعاش. وأما قولي للمسلمين: شنوا على أعداء الله الغارة، فإني ضامن لكم الفتح والغنيمة فإن ذلك دنو المسلمين إلى بلاد المشركين، وترغيبي إياهم على الجهاد والأجر والغنيمة التي تقسم لهم، وقبولهم. وأما الراية التي كانت معك، فتوجهت بها إلى قرية من قراهم ودخلتها، واستأمنوا فأمنتهم فإنك تكون أحد أمراء المسلمين ويفتح الله على يديك. وأما الحصن الذي فتح الله لي، فهو ذلك الوجه الذي يفتح الله لي، وأما العرش الذي رأيتني عليه جالساً فإن الله يرفعني ويضع المشركين. قال الله تبارك وتعالى: ﴿ ورفع أبويه على العرش ﴾ وأما الذي أمرني بطاعة الله وقرأ علي السورة فإنه نعى إلي نفسي، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم نعى الله إليه نفسه حين نزلت هذه السورة، وعلم أن نفسه قد نعيت إليه، ثم سالت عينا فقال: لآمرن بالمعروف ولأنهين عن المنكر ولأجهدن فيمن ترك أمر الله، ولأجهزن الجنود إلى العادلين (المشركين) بالله في مشارق الأرض ومغاربها حتى يقولوا: الله أحد أحد لا شريك له، أو يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون. هذا أمر الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا توفاني الله عز وجل لا يجدني الله عاجزاً ولا وانياً ولا في ثواب المجاهدين زاهداً. فعند ذلك أمر الأمراء. وبعث إلى الشام البعوث.

وعن عبد الله بن أبي أوفى الخزاعي قال: لما أراد أبو بكر غزو الروم دعا علياً وعمر وعثمان وعبد الرحمن ابن

عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وأبا عبيدة بن الجراح، ووجوه المهاجرين والأنصار من أهل بدر وغيرهم فدخلوا عليه. قال عبد الله بن أبي أوفى وأنا فيهم فقال: إن الله عز وجل لا تحصى نعماؤه ولا يبلغ جزاء الأعمال، فله الحمد، قد جمع الله كلمتكم وأصلح ذات بينكم وهداكم إلى الإسلام ونفى عنكم الشيطان، فليس يطمع أن تشركوا به ولا تتخذوا إلهاً غيره، فالعرب اليوم بنو أم وأب، وقد رأيت أن أستنفر المسلمين إلى جهاد الروم بالشام ليؤيد الله المسلمين، ويجعل الله كلمته العليا مع أن للمسلمين في ذلك الحظ الوافر لأنه من هلك منهم هلك شهيداً. وما عند الله خير للأبرار، ومن عاش عاش مدافعاً عن الدين مستوجباً على الله ثواب المجاهدين، وهذا رأيي الذي رأيت، ما شار امرؤ علي برأيه، فقام عمر بن الخطاب فقال: الحمد لله الذي يخص بالخير من يشاء من خلقه. والله ما استبقنا إلى شيء من الخير قط إلا سبقتنا إليه، " ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم " قد والله أردت لقاءك بهذا الرأي الذي رأيت. فما قضى أن يكون حتى ذكرته، فقد أصبت أصاب الله فيك سبيل الرشاد، سرب إليهم الخيل في إثر الخيل، وابعث الرجال بعد الرجال، والجنود تتبعها الجنود. فإن الله ناصر دينه، ومعز الإسلام وأهله.

ثم إن عبد الرحمن بن عوف قام فقال: يا خليفة رسول الله، إنها الروم وبنو الأصفر، حد حديد وركن شديد، ما أرى أن تقحم عليهم إقحاماً. ولكن نبعث الخيل فنغير في قواصي أرضهم ثم نرجع إليك. فإذا فعلوا ذلك بهم مراراً أضروا بهم وغنموا من أدنى أرضهم فقووا بذلك على عدوهم، ثم تبعث إلى أرضي أهل اليمن وأقاصي ربيعة ومضر ثم تجمعهم جميعاً إليك، فإن شئت بعد ذلك غزوتهم بنفسك وإن شئت أغزيتهم ثم سكت وسكت الناس. قال: فقال لهم أبو بكر: ماذا ترون؟ فقال عثمان بن عفان: إني أرى أنك ناصح لأهل هذا الدين شفيق عليهم، فإذا رأيت رأياً تراه لعامتهم صلاحاً فاعزم على إمضائه، فإنك غير ظنين. فقال طلحة والزبير وسعد وأبو عبيدة وسعيد بن زيد ومن حضر ذلك المجلس من المهاجرين والأنصار: صدق عثمان، ما رأيت من رأي فامضه، فإنا لا نخالفك، ولا نتهمك. وذكروا هذا وأشباهه، وعلي في القوم لم يتكلم. قال أبو بكر: ماذا ترى يا أبا الحسن؟ فقال: أرى أنك إن سرت إليهم بنفسك أو بعثت إليهم نصرت عليهم إن شاء الله فقال: بشرك الله بخير! ومن أين علمت ذلك؟ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا يزال هذا الدين ظاهراً على كل من ناوأه حتى يقوم الدين وأهله ظاهرون. فقال: سبحان الله ما أحسن هذا الحديث. لقد سررتني به سرك الله.

ثم إن أبا بكر رضي الله عنه قام في الناس فذكر الله بما هو أهله وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال: أيها الناس، إن الله قد أنعم عليكم بالإسلام، وأكرمكم بالجهاد وفضلكم بهذا الدين على كل دين فتجهزوا عباد الله إلى غزو الروم بالشام، فإني مؤمّر عليكم أمراء، وعاقد لكم، فأطيعوا ربكم ولا تخالفوا أمراءكم لتحسن نيتكم وشربكم وأطعمتكم. ف ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ فسكت القوم، فوا لله ما أجابوا فقال عمر: يا معشر المسلمين، مالكم لا تجيبون خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ﴿ دعاكم لما يحييكم ﴾ . أما إنه ﴿ لو كان عرضاً

موجز تاريخ الإمبراطورية الرومانية (البيزنطية)

الإمبراطورية البيزنطية: تُعد استمراراً للإمبراطورية الرومانية. وعُرفت أيضاً باسم الإمبراطورية الرومانية الشرقية؛ لأنها حكمت ما يشكل القسم الشرقي من الإمبراطورية الرومانية. وقد اشتملت الإمبراطورية البيزنطية خلال القرن السادس الميلادي- وهي الفترة التي وصلت فيها إلى أكبر اتساعها- على أجزاء من جنوبي أوروبا وشرقيها وإفريقيا الشمالية، والشرق الأوسط.

قامت الإمبراطورية البيزنطية بعدة أدوار مهمة في التاريخ. فقد تصدت للقسم الأكبر من أوروبا من هجمات القبائل البربرية الجرمانية، وأبطأت الزحف الإسلامي العظيم مؤقتاً نحو آسيا الصغرى وشرقي أوروبا . وحافظ البيزنطيون على الأدب والفلسفة الإغريقية القديمة.كما حافظوا على التقاليد الحكومية والتشريعية الرومانية. وازدهرت في الإمبراطورية البيزنطية كل من **الديانة النصرانية** والثقافة الإغريقية، والتقاليد الرومانية، الأمر الذي يربط ما بين الحضارة الأوروبية القديمة والحضارة الأوروبية الحديثة.

أطلق سكان الإمبراطورية البيزنطية على أنفسهم اسم الرومان. وكلمة **بيزنطي** جاءت من كلمة بيزانتيوم (بيزنطة)، الاسم الإغريقي لمدينة تقع على البوسفور، وهو مضيق يشكل جزءاً من الممر المائي الذي يربط البحر الأسود بالبحر المتوسط. نقل الإمبراطور الروماني **قسطنطين الكبير**، سنة ٣٣٠م، عاصمة الإمبراطورية الرومانية من روما إلى بيزنطة، (مدينة إسطنبول الحالية في تركيا)، والتي أُطلق عليها اسم القسطنطينية بعد موت قسطنطين. ويرى بعض المؤرخين أن الإمبراطورية البيزنطية قد بدأت في تلك السنة، أي عام ٣٣٠م. في حين يرى آخرون أنها بدأت سنة ٣٩٥م، وهي السنة التي انقسمت فيها الإمبراطورية الرومانية إلى إمبراطوريتين؛ هما الإمبراطورية الرومانية الغربية والإمبراطورية الرومانية الشرقية. وزالت الإمبراطورية البيزنطية بعد أن فتح الأتراك العثمانيون مدينة القسطنطينية سنة ١٤٥٣م.

بلغت الإمبراطورية البيزنطية أقصى اتساعها في عهد جستنيان الذي حكم ما بين عامي ٥٢٧م و٥٦٥م. وتم استرداد إيطاليا بما فيها روما على يد قائده بليزاريوس.كما اتسعت الإمبراطورية بضم آسيا الصغرى (تركيا الحالية) وشبه جزيرة البلقان وسوريا وشمالي إفريقيا وفلسطين والساحل الجنوبي لأسبانيا. وقد ساعدت بطولة بليزاريوس وبسالته في ميدان القتال على رسم صورة لعهد جستنيان كعصر ذهبي في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية.

علم الإمبراطورية البيزنطية

أدى الدين دوراً مهماً في حياة البيزنطيين. فقد تنصّر قسطنطين، وشجع رعاياه على التنصّر وأصبحت النصرانية في عهد ثيودوسيوس الأول الذي اعتلى العرش في سنة ٣٧٩م الديانة الرسمية للدولة. نشر المنصرون البيزنطيون النصرانية في شتى أرجاء الإمبراطورية، ونصّروا الكثيرين من الروس والشعوب السلافية الأخرى. وما زالت الكنائس الأرثوذكسية الشرقية إلى اليوم تتبع التقاليد الدينية البيزنطية.

هو مصطلح أحدثه المؤرخون ولم يستعمل قط خلال عصر الإمبراطورية . وهذا المصطلح "البيزنطيه" يأتي من اسم مدينة القسطنطينية نفسها "بيزنطة" . ويرجع أصل اللفظة Byzantion اليونانية Buzavntion إلى اسم بلدة قديمة بناها الأغريق على ساحل البوسفور الأوروبي . قبل أن تصبح عاصمة قسطنطين. وهذا الاسم الأقدم للمدينة نادراً ما استخدم من هذه النقطه فصاعداً إلا في سياقات تاريخية أو شعريه. بيد أن تسمية الإمبراطوريه الرومانيه الشرقية بالإمبراطوريه "البيزنطية" بدأت في أوروبا الغربية في سنة ١٥٥٧م.

وكان العرب يطلقون عليها اسم بلاد الروم، وهذا ما اشار إليه القرآن الكريم حينما جاءت سورة من سوره الكريمة باسم (الروم).

الإمبراطورية في أقصى اتساعها

الحد الفاصل بين الإمبراطوريتين

الشرقية (البيزنطية) والغربية

في سنة ٢٨٥ م قسم دقلديانوس الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين: شرقي وغربي، كان هو إمبراطور القسم الغربي وكان قسطنطين إمبراطوراً على القسم الشرقي . وفي سنة ٤٧٦ م، سقطت الإمبراطورية الغربية على أيدي البرابرة، وفي سنة ١٤٥٣ م، استطاع المسلمون العثمانيون إسقاط القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية الشرقية نهائياً .

الإمبراطـور

ويمتلك جميع السلطات

سلطات سياسية	سلطات عسكرية	سلطات اقتصادية
وضع القوانين	قيادة الجيش	سك العملة باسمه
تنفيذ القوانين	تعيين كبار القادة	تحديد الضرائب
ملاحقة المخالفين		الإشراف على صرف أموال الدولة .
تعيين الموظفين		

عملة رومانية

للإمبراطور قسطنس قيصر

خارطة أوروبية قديمة للإمبراطورية الرومانية (البيزنطية)

مسكوكات نقدية بيزنطية تعود إلى الإمبراطور البيزنطي (تراجان)

أطلال من العهد البيزنطي في مدينة قنوات السورية

الطريق إلى دمشق

تحدثت أشعار العرب عن ديار غسان وأشارت إلى أنها تقع ما بين الجولان واليرموك وكانوا يقيمون بالقرب من **دمشق** في موضع على نهر بردى يعرف **بجلّق** يقول حسان بن ثابت:

انظر خليلي ببطن جلّق هل

تونس دون البلقاء من أحد

ويقول أيضاً:

لله در عصابة نادمتهم

يوماً بجلّق في الزمان الأول

وقد امتدحهم حسان بن ثابت أيضاً من خلال جبلة بن الأيهم قائلاً:

إن الدار أقفرت بمعان

بين أعلى اليرموك فالخمان

فالقريات من بلاس فداريا

فسكاء فالقصور الدواني

فقفا جاسم فأودية الصفراء

فمغنا قنا بل وهجان

والجولان كانت قاعدة لملك الغساسنة ومعسكراً لهم في بلاد الشام وفيه يقول النابغة يرثي النعمان بن الحارث:

بكى حارث الجولان من فقد ربه

وحوران منه موحش متضائل

قال الحموي: **بُصرى**: بُصْرَى: في موضعين، بالضم، والقصر: إحداهما بالشام من أعمال دمشق، وهي قصبة كورة حَوْران، مشهورة عند العرب قديماً وحديثاً، ذكرها كثير في أشعارهم؛ قال أعرابي:

أيا رُفقةً، من آل بُصرَى، تحمّلوا

رسالتنا لُقّيت من رُفقة رُشدَا

إذا ما وصلتم سالمين فبلغوا

تحية مَن قد ظنّ أن لا يرى نجداً

وقولوا لهم: ليس الضلالُ أجازنا،

ولكننا جُزنا لنلقاكُمُ عَمْداً

وإنا تركنا الحارثيَّ مكبّلا

بكَبْل الهوى، من ذكركم، مضمِراً وَجداً

دولة الغساسنة

هاجرت من اليمن بعد خراب سد مأرب "السيل العرم"، مجموعة من القبائل العربية؛ أي بدءاً من أواخر الألف الأول قبل الميلاد. فكان من هذه الهجرات هجرة الغساسنة إلى بلاد الشام وكان استقرار قبائل الغساسنة في جنوبي سورية في بصرى. ثم أصبحت عاصمتهم الجابية بمرتفعات الجولان اليوم.

سكن الغساسنة في مشارف الشام وتغلبوا على قبائل "الضجاعمة" التي كانت تنزل هناك، وأنشئوا دولة عاصمتها بصرى واعتنقوا النصرانية الأرثوذكسية المشرقية المعروفة في سورية آنذاك باليعقوبية وهي مخالفة لمذهب الروم الأرثوذكس المعروف بالملكاني. وجد **الرومان** في **الغساسنة** حلفاء أقوياء يمكن الاعتماد عليهم في الصراع ضد **الفرس الساسانيين** الذين دأبوا على تهديد الولايات الرومانية الشرقية، لذلك سمحوا للغساسنة بتكوين دولة حدودية ضمن نطاق الدولة الرومانية وكان الهدف من ذلك أن تصبح المملكة الغسانية دولة فاصلة بين الإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية الساسانية. وكانوا حلفاء الروم فاشتركوا معهم في حروبهم مع الفرس وحلفائهم **المناذرة العرب**.

المملكة الغسانية في ظل العصر البيزنطي: أولى البيزنطيون الولايات الشرقية اهتماماً خاصاً؛ نظراً للتهديد الساساني لها، فقد كانت المملكة الغسانية بمثابة الحارس الرئيس لطرق التجارة، كما انضم الكثير منهم للجيش البيزنطي. قام الملك الغساني الحارث بن جبلة (حكم من ٥٢٩-٥٦٩) بمساعدة بيزنطة في حربها ضد الفرس، وقد منحه الإمبراطور جستنيان لقب بتريسيوس سنة ٥٢٩م مكافأة له على إخلاصه لهم. ومن آثارهم اليوم صهاريج الرصافة والقصر الأبيض والأزرق وكثير من الأديرة، ولقد التحق بالغساسنة شعراء مشهورون مثل لبيد بن ربيعة والنابغة الذبياني وآخرون ...، ظلت المملكة الغسانية دولة تابعة للبيزنطيين حتى الربع الأول من القرن السابع الميلادي عندما أسقط المسلمون مملكتهم عقب معركة اليرموك الحاسمة سنة ٦٣٦م.

دولة الغساسـنة
الشمال
القامشلي
جبال طوروس
عين زربة
عثمانية
عنتاب
أضنة
الإمبراطورية
الإسكندرونة
اعزاز
منبج
تل بيص
الحسكة
جبل سنجار
جبل عبد العزيز
أنطاكية
حلب
الرشيدية
سنجار
الساسانية
السدروسية
أدلب
المعرة
مسكنة
الرقة
الجزيرة
الحمام
اللاذقية
جبل الزاوية
الحمدانية
الرصافة
الإمبراطورية
تغلب
دير الزور
بانياس
حماة
السلمية
الميادين
طرطوس
الرستن
لجبال التدمرية الشمالية
السخنة
حمص
كلب
الصالحية
القائم
نهر الفرات
البحر الكبير (بحر الروم - البحر الأبيض المتوسط)
طرابلس
تدمر
البوكمال
إياد
جبيل
جبال لبنان الغربية
جونية
جبال لبنان الشرقية
الجبال التدمرية الجنوبية
تنوخ
بيروت
بعلبك
سبع بيار
بنو لخم
دولة
دولـــة المناذرة
صيدا
البيزنطية
دمشق
جبل الشيخ
صور
القنيطرة
نهاريا
صفد
عكا
الجابية
شهباء
حيفا
طبريا
السويداء
قنوات
جبل العرب
درعا
إربد
الرمثا
بصرى
صلخد
لرويشد
عجلون
المفرق
غسان
جبل عنيزة
يافا
نابلس
جرش
الضجاعمة
رام الله
السلط
الزرقاء
أريحا
عمّان
إيلياء
الأزرق
بيت لحم
مادبا
الغساسنة
غزة
الخليل
الكرك
بئر السبع
الطفيلة
جبل العاذريات
الشوبك
البتراء
معان
فروع من طيء وأسد
سيناء
قضاعة
جبل رم
جبل الطبيق
بلي
المدورة
دولة الغساسـنة
الإمبراطورية البيزنطية
الإمبراطورية الساسانية
دولة الغساسـنة
العاصمة القديمة
العاصمة الجديدة
دولـــة المناذرة
٠ ٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠ ٢٥٠ كم

قريباً وسفراً قاصداً ﴾ لابتدرتموه. فقام عمرو بن سعيد فقال: يا بن الخطاب، ألنا تضرب الأمثال أمثال المنافقين؟! فما منعك مما عبت علينا فيه أن تبتدئ به؟! فقال عمر: إنه يعلم أني أجيبه لو يدعوني، وأغزو لو يغزيني. قال عمرو ابن سعيد، ولكن نحن لا نغزو لكم إن غزونا، إنما نغزو لله. فقال عمر: وفقك الله فقد أحسنت. فقال أبو بكر لعمرو: اجلس رحمك الله فإن عمر لم يرد بما سمعت أذى مسلم ولا تأنيبه، إنما أراد بما سمعت أن ينبعث المتثاقلون إلى الأرض إلى الجهاد فقام خالد بن سعيد فقال: صدق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم. اجلس ابن أخي. فجلس. وقال خالد: الحمد لله الذي لا إله إلا هو الذي بعث محمداً بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. فالله منجز وعده ومظهر دينه ومهلك عدوه، ونحن غير مخالفين ولا مختلفين، وأنت الوالي الناصح الشفيق، تنفر إذا استنفرتنا ونطيعك إذا أمرتنا. ففرح بمقالته أبو بكر وقال: جزاك الله خيراً من أخ وخليل، فقد كنت أسلمت مرتغباً وهاجرت محتسباً، وقد كنت هربت بدينك من الكفار لكيما يطاع الله ورسوله وتعلو كلمته، وأنت أمير لناس، فسر يرحمك الله ثم إنه نزل، ورجع خالد بن سعيد فتجهز. وأمر أبو بكر بلالاً فأذن في الناس **أن انفروا أيها الناس إلى جهاد الروم بالشام**، والناس يرون أن أميرهم **خالد بن سعيد**. وكان الناس لا يشكون أن خالد بن سعيد أميرهم، وكان أول خلق الله عسكر. ثم إن الناس خرجوا إلى معسكرهم من عشرة وعشرين وثلاثين وأربعين وخمسين ومئة، كل يوم، حتى اجتمع أناس كثير.

فخرج أبو بكر ذات يوم. ومعه رجال من الصحابة حتى انتهى إلى عسكرهم فرأى عدة حسنة لم يرض عدتها للروم، فقال لأصحابه: ما ترون في هؤلاء؟ أن نشخصهم إلى الشام في هذه العدة؟ فقال عمر: ما أرضى هذه العدة لجموع بني الأصفر. فقال لأصحابه: ماذا ترون فقالوا: نحن نرى ما رأى عمر. فقال: ألا أكتب كتاباً إلى **أهل اليمن** ندعوهم إلى الجهاد فنرغبهم في ثوابه، فرأى ذلك جميع أصحابه. قالوا: نعم ما رأيت. افعل. فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم: من خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من قرئ عليه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين من أهل اليمن: سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد. فإن الله تعالى كتب على المؤمنين الجهاد وأمرهم أن ينفروا خفافاً وثقالاً ويجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله. والجهاد فريضة مفروضة، والثواب عند الله عظيم، وقد استنفرنا المسلمين إلى جهاد الروم بالشام وقد سارعوا إلى ذلك. وقد حسنت في ذلك نيتهم وعظمت حسبتهم، فسارعوا عباد الله إلى ما سارعوا إليه ولتحسن نيتكم فيه، فإنكم إلى إحدى الحسنيين، إما الشهادة وإما الفتح والغنيمة، فإن الله تبارك وتعالى لم يرض من عباده بالقول دون العمل، ولا يزال الجهاد لأهل عداوته حتى يدينوا بدين الحق ويقروا بحكم الكتاب. حفظ الله لكم دينكم، وهدى قلوبكم، وزكا أعمالكم، ورزقكم أجر المجاهدين الصابرين. وبعث بهذا الكتاب مع أنس بن مالك رضي الله عنه [1].

---

١ - ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، النسخة الإلكترونية.

لواء خالد بن سعيد بن أمية

في ٢ ربيع الآخر من السنة الثانية عشرة من الهجرة المباركة

١- كان خالد بن سعيد فيمن معه **بتيماء** قوة مقيمة في عقر دار الرِّدَّة التي قضي عليها للتو، وهي قريبة من عاصمة الدولة الإسلامية (المدينة)، فهي بذلك تأميناً لأي انتقاض من هذا النوع في تلك البقعة الحساسة.

٢- هي قوة متقدمة تجاه الشام تؤمن الطريق إليه لما عسى أن يأتي من إمبراطورية الروم كرد فعل محتمل لغزو المسلمين لإمبراطورية الفرس وما قد يتبع ذلك من استشعار الروم لخطر الدولة الجديدة الناشئة في شبه جزيرة العرب، أو نتيجة للمعلومات التي قد تصل إلى الروم عن استعداد أبي بكر الصدّيق لغزو مستعمراتهم في الشام. وسواء كان رد الفعل ذلك في صورة تحرك الجيش الرومي أو في صورة تحريض الروم وبعثها القبائل العربية الموالية لهم من بني غسان وجدير بالذكر أن هذا وذاك قد حدث بالفعل.

٣- تعتبر تلك القوة قاعدة في العمق الاستراتيجي لجزيرة العرب سواء من جهة انتقاض الرِّدَّة في أي مكان فيها أو بالنسبة لجيش خالد بن الوليد الذي تقدم نحو العراق. أحمد عادل كمال، الطريق إلى دمشق، ص ١٧١ - ١٧٢.

عدسة المؤلف

عين هداج الأثرية بتيماء

حشود اليمن للمشاركة في فتح الشام

بداية من منتصف شهر رجب من السنة ١٢ من الهجرة المباركة

عن أنس بن مالك قال: أتيت أهل اليمن، فبدأت بهم حياً حياً أقرأ عليهم كتاب **أبي بكر**، حتى إذا فرغت قلت: الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله أما بعد، فإني رسول خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول المؤمنين، ألا وإني تركتهم معسكرين، ليس يثقلهم عن الشخوص إلى عدوهم إلا انتظاركم، فاحتملوا إلى إخوانكم بالنصر، رحمة الله عليكم أيها المسلمون. فكل من أقرأ عليه ذلك الكتاب ويسمع مني هذا القول يرد أحسن الرد ويقول: نحن سائرون إلى إخواننا؛ حتى انتهينا إلى ذي الكلاع، فلما قرأنا عليه الكتاب وقلت هذا القول، دعا بفرسه وسلاحه، ثم نهض في قومه وأمر بالمعسكر، فما برحنا حتى عسكر وقام فيهم فقال لهم: أيها الناس: إن من رحمة الله عليكم ونعمته فيكم أن بعث فيكم نبياً، أنزل عليه الكتاب، وأحسن عنه البلاغ، فعلمكم ما يرشدكم، ونهاكم عما يفسدكم حتى علمكم ما لم تكونوا تعلمون، ورغبكم فيما لم تكونوا ترغبون فيه من الخير؛ وقد دعاكم إخوانكم الصالحون إلى جهاد المشركين، واكتساب الأجر العظيم؛ فلينفر من أراد النفر معي. قال: فنفر معه بعدة من الناس، وأقبل إلى أبي بكر. قال: ورجعنا نحن فسبقناه بأيام، فوجدنا أبا بكر بالمدينة، ووجدنا ذلك العسكر على حاله، وأبو عبيدة يصلي بأهل العسكر؛ فلما قدمت حمير معها أولادها ونساؤها، فقال لهم أبو بكر: عباد الله: ألم نكن نتحدث فنقول: إذا مرت حمير معها نساؤها وأولادها نصر الله المسلمين، وخذل المشركين. أبشروا أيها الناس فقد جاءكم النصر [1]. ثم تتابعت وفود اليمن من مذحج ومراد والأزد وخثعم للمشاركة مع الجيش الإسلامي.

اليَمَنُ: بالتحريك، قال الشرقي: إنما سميت اليمن لتَيَامُنهم إليها، قال ابن عباس: تفرّقت العرب فمن تَيامَنَ منهم سُمّيت اليمن، ويقال إن الناس كثروا بمكة فلم تحملهم فالتأمَتْ بنو يمن إلى اليمن وهي أيمَنُ الأرض فسميت بذلك، قلت: قولهم تَيامَنَ الناس فسمّوا اليمن فيه نظرٌ لأن الكعبة مربعة فلا يمين لها ولا يسار فإذا كانت اليمن عن يمين قوم كانت عن يسار آخرين وكذلك الجهات الأربع إلا أن يريد بذلك من يستقبل الركن اليماني فإنه أجلها فإذاً يصحّ، والله أعلم، وقال الأصمعي: اليمن وما اشتمل عليه حدودها بين عُمان إلى نجران ثم يلتوي على بحر العرب إلى عَدَن إلى الشِّحر حتى يجتاز عمان فينقطع من بَيْنُونة، وبينونة: بين عمان والبحرين وليست بينونة من اليمن، وقيل: حدّ اليمن من وراء تثليث وما سامتها إلى صنعاء وما قاربها إلى حضرموت والشحر وعمان إلى عدن أبْيَنَ وما يلي ذلك من التهائم والنجود، واليمن تجمع ذلك كله، والنسبة إليهم يمنيّ ويمانٍ، مخففة، والألف: عوض من ياء النسبة فلا تجتمعان، وقال سيبويه: وبعضهم يقول يمانيّ، بتشديد الياء؛ قال أمية بن خلف الهذلي:

يمانيّاً يظلّ يشدّ كيراً. وينْفُخُ دائباً لَهَبَ الشُّواظ

وقوم يمانَيةٌ ويمانُون مثل ثمانية وثمانون، وامرأة يمانية أيضاً، وأيْمَنَ الرجلُ ويمّنَ ويامَن إذا أتى اليمن وكذلك إذا أخذ في مسيره يميناً؛ قال الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمذاني اليمني: صفة يمن الخضراء، سميت اليمن الخضراء لكثرة أشجارها وثمارها وزروعها... . ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج ٥، ص ٤٤٧.

١ - ابن منظور؛ مختصر تاريخ دمشق، النسخة الإلكترونية.

اليُمْـنُ، بالضـم: البَرَكَـةُ، كالمَيْمَنَة، يَمِنَ، كعَلِمَ وعُنِـيَ وجَعَلَ وكَرُمَ، فهو مَيْمون وأيْمنُ ويامنٌ ويمينٌ ج. أيامِنُ ومَيامِينُ. وتَيَمَّنَ به واسْتَيْمَنَ. وقَدِمَ على أيْمَـنِ اليمين، أي: اليُمْنِ. واليَمينُ. ضدُّ اليَسار ج: أيْمُنٌ وأيْمانٌ وأيامِنُ وأيامينُ. والبركَةُ. والقُوَّة. ويَمَنَ به يَيْمِنُ ويامَنَ ويَمَّنَ ونَيامَن: ذَهَبَ به ذاتَ اليَمين. و« كُنْتُم تأتوننا عن اليمين »، أي: تخدعوننا بأقوى الأسباب. أو من قِبَلِ الشهوة، لأنَّ اليمينَ موضعُ الكَبِد، والكَبِـدُ مَظِنَّـةُ الشهـوة والإرادَة. والتَّيَمُّـنُ. الموتُ، ووضعُ المَيِّتِ في قبره على جَنْبِه الأيْمَن. وأخذَ يَمْنَةً ويَمَناً. محركةً، أي. ناحيةَ يمين. واليَمَـنُ. محركةً: ما عن يَمينِ القِبْلَةِ من بلادِ الغَوْرِ. وهو يَمَنِيٌّ ويمانيٌّ ويمـانٍ. ويَمَّـنَ تَيْميـناً وأيْمَنَ ويامَـنَ: أتاها. وتَيَمَّنَ: إنتسبَ إليها (والتَّيْمَنِيُّ: أُفُـقُ اليَمَنِ). والأيْمَنُ: من يَصْنَعُ بيُمْناه، ويَمَنَـهُ. كَمَنَعَهُ وعَلِمَهُ. جاءَ عن يَمينه. واليَمينُ: القَسَـمُ. مؤنَّثٌ لأنَّهُم كانوا يتماسحونَ بأيْمانِهِمْ، فيتحالفونَ ج: أيْمُنٌ وأيْمانٌ. وأيْمُنُ الله . الفيروز أبادي. القاموس المحيط. مادة يمن .

الجيوش الإسلامية تتجه لفتح بلاد الشام

في شهر محرم من السنة ١٣ من الهجرة المباركة

عـزم أبـو بكر الصدّيق - رضي الله عنه - على تسيير الجيوش لبلاد الشـام، فدعا الناس إلى الجهاد، وعقد الألوية لأربعة جيوش أرسلها لفتح الشام وهي[١]:

١- جيش يزيد بن أبي سفيان:

وهـو أول الجيوش التـي تقدمت إلى بلاد الشـام وكانت مهمته الوصـول إلى **دمشـق** وفتحهـا ومساعـدة الجيوش الأربعـة عنـد الضـرورة وكان جيش يزيد أول الأمر ثلاثـة آلاف ثم عززه الخليفة بالإمـدادات حتى صار معه بحـدود السبعة آلاف رجـل، وقبل رحيل جيش يزيد أوصاه الخليفة أبو بكر وصية بليغة عالية المستوى تشتمل على حكم باهرة في مجالي الحـرب والسلم، وشيّعه ماشياً وأوصـاه بما يأتي (انظر مستند « ١ »).

٢- جيش شرحبيل بن حسنة:

حـدد أبوبكـر الصديق لمسير شرحبيل ثلاثـة أيام بعد مسير يزيد ابن أبي سفيان فلما مضى اليوم الثالث ودع أبوبكر شرحبيل وقال له: ياشرحبيـل ألم تسمع وصيتي ليزيد بـن أبي سفيان؟ قال: بلى، قال: فـإني أوصيـك بمثلهـا، وأوصيـك بخصـال أغفلت ذكرهـن ليزيد، أوصيـك بالصـلاة في وقتها، وبالصـبر يوم البأس حتـى تظفر، أو تُقتـل، وبعيـادة المرضى وبحضور الجنائز، وذكـر الله كثيراً على كل حـال، فقال شرحبيل: الله المستعـان وماشاء الله أن يكون كان، وكان جيش شرحبيل مابين ثلاثة آلاف الى أربعة آلاف وأمره أن يسير الى تبـوك والبلقـاء ثم بصـرى وهي آخر مرحلـة وتقـدم شرحبيل نحو **البلقـاء** حيث لم يلق مقاومة تذكر وكان يسـير على الجناح الأيسر لجيش أبي عبيدة والجناح الأيمن لجيش عمرو بن العاص في فلسطين

وصية أبي بكر ليزيد بن أبي سفيان

(إني قـد وليتك لأبلوك وأجربك وأخرجك، فإن أحسنت رددتك إلى عملك وزدتُك، وإن أسأت عزلتك، فعليك بتقوى الله فإنه يرى من باطنك مثل الذي من ظاهرك، وإن أولى الناس بالله أشدهم توليـاً له، وأقرب النـاس من الله أشدهم تقربـاً إليه بعمله، وقد وليتك عمل خالد (ابن سعيد): فإياك وعُبّيَّة الجاهلية، فإن الله يبغضها ويبغض أهلها، وإذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم وابدأهـم بالخـير وعدهم إيـاه، وإذا وعظتهم فأوجـز فإن كثير الكلام ينسي بعضه بعضاً، وأصلح نفسك يصلح لك الناس، وصل الصـلوات لأوقاتها بإتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها، وإذا قدم عليك رسل عـدوك فأكرمهم وأقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به ولا ترينهم فيروا خللك ويعلموا علمك، وأنزلهم في ثروة عسكرك، وامنع من قبلك من محادثتهم، وكن أنت المتولي لكلامهـم، ولا تجعل سرك لعلانيتك فيخلط أمرك، وإذا استشـرت فاصدق الحديث تصدق المشـورة، ولا تخزن عن المشير خبرك فتؤتى من قبل نفسك، واسمر بالليل في أصحابك تأتك الأخبار وتنكشف عندك الأستار، وأكثر حرسك وبددهم في عسكـرك، وأكثر مفاجأتهم فـي محارسهم بغير علم منهم بك، فمـن وجدته غفل عـن محرسه فأحسـن أدبه وعاقبـه في غير إفـراط، وأعقب بينهـم بالليل، واجعـل النوبـة الأولى أطول من الأخـيرة فإنها أيسرهما لقربها من النهـار، ولا تخف من عقوبة المستحق، ولا تلجن فيهـا، ولا تسرع إليها، ولا تخذلها مدهماً، ولا تغفل عن أهل عسكرك فتفسده، ولا تجسس عليهم فتفضحهم، ولا تكشـف النـاس عـن أسرارهم، واكتـف بعلانيتهـم، ولا تجالس العباثـين، وجالس أهل الصدق والوفاء، واصدق اللقاء، ولا تجبن فيجبن النـاس، واجتنب الغلول فإنه يقرب الفقر ويدفع النصر، وستجدون أقواماً حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعهم وما حبسوا أنفسهم له). ابن الأثير، الكامل في التاريخ، النسخة الإلكترونية

مستند (١)

---

١ - أبوبكر الصديق، نزار الحديثي، ص٦٢

جيوش الخليفة الراشد أبي بكر الصديق رضي الله عنه
وهي متجهة لفتح بلاد الشام .
الإمبراطورية البيزنطية
سوريا
الغساسنة
الأردن
أرض البلقاء
فلسطين
مصر
سيناء
وادي السرحان
بحر الروم (البحر المتوسط)
بحر القلزم (البحر الأحمر)
الجيش الإسلامي وهو قادم من المدينة
سيليفك
أنامور
الإسكندرونة
أنطاكية
الرقة
اللاذقية
آلاسيا
بانياس
حماة
دير الزور
حمص
طرابلس
البوكمال
بيروت
دمشق
صور
الجابية
حيفا
الرطبة
بصرى
يافا
إيلياء
عمان
بورسعيد
العريش
بئر السبع
الكرك
كاف
العربة
عرعر
معان
السويس
أيلة
سكاكا
دومة الجندل
رأس غارب
الطور
مدين
تبوك
ضباء
الجيوش الأربعة (أبي عبيدة عامر ابن الجراح ، ويزيد بن أبي سفيان و شرحبيل بن حسنة وعمرو بن العاص).
الجيوش الثلاثة الأولى
يزيد بن أبي سفيان
شرحبيل بن حسنة
أبو عبيدة عامر بن الجراح
عمرو بن العاص
٠ ٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠ ٢٥٠ كم

فأوغل في البلقاء حتى بلغ بصرى فأخذ يحاصرها فلم يوفق في فتحها لانها كانت من المراكز الحصينة.

٣- جيش أبي عبيدة عامر بن الجراح:

لما عزم الصديق على بعث أبي عبيدة بن الجراح بجيشه دعاه فودعه ثم قال له: اسمع سماع من يريد أن يفهم ماقيل له، ثم يعمل بما أمر به، إنك تخرج في أشراف الناس، وبيوتات العرب، وصلحاء المسلمين، وفرسان الجاهلية، كانوا يقاتلون إذ ذاك على الحمية، وهم اليوم يقاتلون على الحسبة، والنية الحسنة، أحسن صحبة من صحبك، وليكن الناس عندك في الحق سواء، واستعن بالله وكفى بالله معيناً، وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً، اُخْرج من غد إن شاء الله، وكان جيشه يترواح مابين ٣-٤ آلاف مجاهد وهدف ذلك الجيش **حمص**، سار أبو عبيدة من المدينة، ماراً بوادي القرى ثم اطلع إلى الحجر (مدن صالح) ثم إلى ذات منار ثم إلى زيزا ومنها إلى مؤاب فالتقى بقوة للعدو فقاتلهم ثم صالحوه؛ **فكان أول صلح عقد في الشام** ثم واصل تقدمه نحو الجابية، وكان هذا الجيش الجناح الأيسر للجيش الأول، والجناح الأيمن للجيش الثاني، وكان في صحبة أبي عبيدة بن الجراح فارس من فرسان العرب المشهورين، **قيس بن هبيرة بن مسعود المرادي** فأوصى به **الصدّيق** أباعبيدة قبل سفره وقال له: إنه قد صحبك رجل عظيم الشرف، فارس من فرسان العرب، ليس بالمسلمين غناء عن رأيه ومشورته وبأسه في الحرب فأدنه وألطفه وأره أنك غير مستغن عنه، ولا مستهين بأمره، فإنك تستخرج بذلك نصحيته لك وجهده وجدّه على عدوك، ودعا أبوبكر قيس بن هبيرة فقال: إن بعثتك مع أبي عبيدة الأمين، الذي إذا ظُلم لم يَظلم، وإذا أسيء إليه غفر، وإذا قطع وصل، رحيم بالمؤمنين، شديد على الكافرين، فلا تعصين له أمراً، ولا تخالفن له رأياً، فإنه لن يأمرك إلا بخير، وقد أمرته أن يسمع منك، فلا تأمره إلا بتقوى الله، فقد كنا نسمع أنك شريف ذو بأس، سيّد مجرَّب في زمان الجاهلية الجهلاء، إذ ليس فيهم إلا الإثم، فاجعل بأسك وشدتك ونجدتك في الإسلام على المشركين، وعلى من كفر بالله وعبد معه غيره فقد جعل الله في ذلك الأجر العظيم والثواب الجزيل، والعزّ للمسلمين، فقال قيس بن هبيرة: إن بقيتَ وأبقاك الله فسيبلغك عني من حيطتي على المسلم، وجهدي على الكافر ماتحب ويسرك ويرضيك، فقال له أبوبكر رضي الله عنه: إفعل ذلك، رحمك الله . قال، فلما بلغ أبابكر مبارزة قيس بن هبيرة البطرقين بالجابية وقتله إياهما قال: صدق قيس وبرّ، ووفى .

ونلحظ أن أبابكر رضي الله عنه يشحذ همة قيس بن هبيرة، وفجّر طاقاته الكامنة في نفسه، واستخرج منه أعلى ما أمكن من طاقة وصرفها في حماية الاسلام والجهاد في سبيله، ولا شك أن الثناء على العظماء والنبلاء بذكر فضائلهم يرفع من معنوياتهم، ويمنحهم قوة عالية تدفعهم الى التضحية والفداء [١].

---

١ - التاريخ الاسلامي، محمود شاكر، (٩/٢٠٦).

٤- جيش عمرو بن العاص:

وجّه **أبو بكر الصدِّيق** عمرو بن العاص بجيش إلى **فلسطين**، وكان الصدّيق قد خيّره بين البقاء في عمله الذي أسنده إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يختار له ماهو خير له في الدنيا والآخرة إلا أن يكون الذي هو فيه أحب إليه. فكتب إليه عمرو بن العاص: إني سهم من سهام الإسلام، وأنت بعد الله الرامي، بها والجامع لها، فانظر أشدّها وأخشاها وأفضلها، فارم به، فلما قدم المدينة أمره أبو بكر رضي الله عنه أن يخرج من المدينة وأن يعسكر حتى يندب معه الناس، وقد خرج معه عدد من أشراف قريش، منهم الحارث بن هشام وسهيل ابن عمرو وعكرمة ابن أبي جهل، فلما أراد المسير خرج معه أبو بكر يشيعه وقال: ياعمرو إنك ذو رأي وتجربة بالأمور وبصر بالحرب، وقد خرجت مع أشراف قومك ورجال من صلحاء المسلمين وأنت قادم على إخوانك فلا تألُهم نصيحة ولاتدخر عنهم صالح مشورة، فرب رأي لك محمود في الحرب مبارك في عواقب الأمور. فقال عمرو بن العاص: ما أخْلَقني أن أصدق ظنك، وأن لا أفيّل رأيك، وخرج عمرو بقواته وكان تعداده يتراوح من ٦-٧ آلاف مجاهد وهدفها فلسطين وسلكت طريق لساحل البحر الأحمر حتى وادي عربه بالقرب من البحر الميت في البحر الميت، ونظم عمرو بن العاص قوة استطلاع مؤلفة من ألف مجاهد ودفعها باتجاه محور تقدم الروم ووضع على قيادتها عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه واصتدمت هذه القوة بقوات الروم واستطاعت انتزاع النصر وتمزيق قوة العدو وعادت ببعض الأسرى فاستنطقهم عمرو بن العاص وعلم منهم أن جيش العدو بقيادة (رويس) يحاول مباغتة المسلمين بالقيام بالهجوم وعلى ضوء المعلومات الجديدة نظم عمرو قواته، وشن الروم هجومهم واستطاع المسلمون صده ونجحوا في رد قوات الروم وبعد ذلك شنوا هجومهم المضاد ودمروا قوة العدو، وارغموهم على الفرار وترك ميدان المعركة وتابع الفرسان المطاردة وانتهت المعركة بسقوط الألوف القتلى من الروم[١].

وأمر الصدّيق رضي الله عنه كل أمير أن يسلك طريقاً غير طريق الآخر، تأسياً بنبي الله يعقوب عليه السلام، حين قال لبنيه:

﴿ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (سورة يوسف، آية:٦٧)

ملحان بن زياد الطائي يلتحق مع جيش ابي عبيدة لينضم تحت قيادة حابس بن سعد الطائي

وبعد مسير الأمراء إلى بلاد الشام جاء إلى أبي **بكر الصدِّيق** رضي الله عنه ، نحو من ألف رجل من طيء عليهم ملحان ابن زياد الطائي، وهو أخ لعدي بن حاتم الطائي لأمه فقال له: « إنا أتيناك رغبة في الجهاد وحرصاً على الخير، ونحن الحي الذي تعرف، قاتلنا معكم من ارتد منّا حتى أقروا بمعرفة ماكانوا ينكرون؛ وقاتلنا معك من ارتد منكم حتى أسلموا طوعاً وكرهاً، فسرّحنا في آثار الناس، واختر لنا أميراً صالحاً نكون معه. فقال : قد اخترت لكم أفضل أمرائنا أميراً وأقدم المهاجرين هجرة . إلحق بأبي عبيدة فقد رضيت لكم صحبته وحمدت لكم إليه، فنعم الرفيق هو في السفر ونعم الصاحب في الحضر »

١- العمليات التعرضية الدفاعية عند المسلمين، ص١٤٣.

رد أبي بكر الصدِّيق على رسائل قادة الفتح الإسلامي ببلاد الشام

كتب **أبو بكر الصدِّيق** رضي الله عنه إلى **أبي عبيدة** : « بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فقد بلغني كتابك، وفهمت ماذكرت فيه من أمر **هرقل** ملك الروم، فأما منزله **بأنطاكية** فهزيمة له ولأصحابه، وفتح من الله عليك وعلى المسلمين، وأما ماذكرت من حشره لكم أهل مملكته، وجمعه لكم الجموع، فإن ذلك ماقد كنّا وكنتم تعلمون أنه سيكون منهم، وما كان قوم ليدعوا سلطانهم ويخرجوا من ملكهم بغير قتال، وقد علمت والحمد لله، قد غزاهم رجال كثير من المسلمين يحبون الموت حب عدوهم للحياة، ويرجون من الله في قتالهم الأجر العظيم، ويحبون الجهاد في سبيل الله أشد من حبهم أبكار نسائهم وعقائل أموالهم، الرجل منهم عند الفتح خير من ألف رجل من المشركين، فالقهم بجنودك، ولاتستوحش لمن غاب عنك من المسلمين فإن الله معك، وأنا مع ذلك مُمدُّك بالرجال حتى تكتفي ولاتريد أن تزداد إن شاء الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ».

وكتب **يزيد بن أبي سفيان** إلى **أبي بكر الصدِّيق** رضي الله عنه بنفس مضمون كتاب أبي عبيدة بن الجراح وردّ الصدِّيق على يزيد رضي الله عنهم جميعاً وهذا مضمون النص: « بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فقد بلغني كتابك تذكر فيه تحوُّل ملك الروم إلى أنطاكية، وأن الله ألقى الرعب في قلبه من جموع المسلمين، فإن الله -وله الحمد- قد نصرنا ونحن مع رسول الله بالرُّعب، وأمدنا بملائكته الكرام، وإن ذلك الدين الذي نصرنا الله به بالرعب، هو هذا الدين الذي ندعو الناس إليه اليوم، فوربك لايجعل الله المسلمين كالمجرمين، ولامن يشهد أن لا إله إلا الله كمن يعبد معه آلهة آخرين، ويدين بعبادة شتى، فإذا لقيتموهم فانهد إليهم بمن معك، وقاتلهم، فإن الله لن يخذلك، وقد نبأنا الله تبارك وتعالى أن الفئة القليلة مما تغلب الفئة الكثيرة بإذن الله، وأنا مع ذلك مُمدُّك بالرجال في إثر الرجال، حتى تكتفوا ولا تحتاجوا إلى زيادة إنسان، إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله »، وبعث الصدِّيق بهذا الكتاب مع عبدالله ابن قُرْط الثمالي حتى قدم على يزيد فقرأه على المسلمين، ففرحوا به وسُرُّوا !؟.

وجاء كتاب من **عمرو بن العاص** بخصوص جموع الروم ورد عليه **أبو بكر** رضي الله عنه فقال: « سلام عليك، أما بعد .. فقد جاءني كتابك تذكر ماجمعت الروم من الجموع، وإن الله لم ينصرنا مع نبيه صلى الله عليه وسلم بكثرة جنود، وقد كنّا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومامعنا إلا فَرَسان، وإن نحن إلا نتعاقب الإبل، وكنّا يوم أُحد مع رسول الله ومامعنا إلا فرس واحد، كان رسول الله يركبه، ولقد كان يظهرنا ويعيننا على من خالفنا، واعلم ياعمرو أن أطوع الناس لله أشدهم بغضاً للمعاصي، فأطع الله، ومر أصحابك بطاعته » [1].

---

١ - أ. محمد أحمد عاشور، خطب أبي بكر الصديق، ص٩٢.

دعـا **أبـو بكر الصدّيق** رضي الله عنه، **هاشم بـن عتبة بن أبي وقاص** فقــال لــه: « يا هاشم إن من سعادة جدّك ووفاء حظـك أنك أصبحت ممن تستعين به الأمة على جهـاد عدوها من المشركين وممن يثق الوالي بنصيحتـه ووفائه وعفافه وبأسه. وقد بعـث إلي المسلمون يستنصرون على عدوهم من الكفـار، فسر إليهم فيمن تبعك، فإني نادب الناس معك ، فاخرج حتى تقدم على أبي عبيدة أو يزيد، قال هاشم: لا بل علـى أبي عبيدة، قال: فاقدم على أبي عبيدة، وقـام أبو بكر في الناس فحمد الله وأثنى عليـه ثم قال: ... كلاماً طيباً كعادته... ، ثم انصـرف أبو بكر إلى منزله ومال الناس إلى هاشـم حتى كـثروا، فلما أتموا ألفاً أمره أبو بكر أن يسير، فجاءه هاشم فسلم عليه وودعه، فقـال لـه أبو بكر « يا هشـم إنا إنما كنا ننتفع مـن الشيخ الكبير برأيـه ومشورته وحسن تدبيره، وكنّا ننتفع من الشاب بصبره وبأسه ونجدته. وإن الله عز وجل قد جمع لك تلك الخصال كلها وأنت حديث السن مستقبل الخير، فإذا لقيت عدوك فاصبر وصابر واعلم أنك لا تخطو خطوة ولا تنفق نفقة ولا يصيبك ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله إلا كتـب الله لك به عملاً صالحـاً . إن الله لا يضيع أجر المحسنين» فقال هاشم« إن يرد الله بـي خـيراً يجعلني كذلك وأنا أفعل ولا قوة إلا بالله وأنا أرجو إن أنا لم أقتل أن أقتل ثـم أقتل إن شـاء الله » وخرج هاشم فسلـك الطريق الذي سلكه أبـو عبيدة؛ فتباشر المسلمون بمقدمه ومن معه وسروا بهم سروراً كبيراً - الطريق إلى دمشق، أحمد عادل كمال، ص٢٠١ - ٢٠٢

بداية الالتحام مع القوات الرومية على أرض الشام

في أواخر شهر ربيع الأول سنة ١٣هـ

كانت الجيوش المكلفة بفتح بلاد الشام تلاقي صعوبة في تنفيذ المهمات الموكلة إليها، فقد كانت تواجه جيوش الإمبراطورية الرومانية التي تمتاز بقوتها وكثرة عددها، وقد بنت الحصون والقلاع للدفاع عن مراكز المدن واستخدمت أسلوب الكراديس في تنظيم جيوشها، لقد كان للروم في الشام جيشان كبيران أحدهما في فلسطين والآخر في أنطاكية وتمركز هذان الجيشان في سبع مواضع على الشكل الآتي:

أ-أنطاكية: وهي عاصمة الشام في العهد الرومي.

ب-قنَّسرين: وتقع بين حماة وحلب على مسافة ٢٥كم جنوبي غربي حلب وهي حدود بلاد الشام التي تحاذي فارس في الشمال الغربي.

ت-حمص: ويمتد نفوذها العسكري حتى تدمر وصحراء الشام وهي حدود بلاد الشام التي تحاذي فارس من الشمال الشرقي. **جـ - دمشق:** وكانت فيها حامية رومانية في قلعتها، وقلب الشام النابض.

د-عمَّان: قاعدة البلقاء وفيها قلعة محصنة.

هـ - أجنادين: قاعدة الروم العسكرية في جنوبي فلسطين وعلى حدود بلاد العرب الشرقية والغربية وعلى حدود مصر.

و- قيسارية: في شمالي فلسطين وتبعد عن حيفا ١٣كم ولاتزال انقاضها قائمة، أما مقر القيادة العامة فهي انطاكية أو حمص وعندما شهد قائد الروم هرقل الذي كان يشرف على الموقف بنفسه في (إيليا) توغل الجيوش الإسلامية أصدر أوامره إلى قواته بالتوجه لتدمير هذه الجيوش وكانت خطة مواجهة الجيوش الإسلامية كالآتي:

-يتراجع الروم أمام المسلمين ويتخلوا لهم عن الحدود الشامية الحجازية.

-تتجمع وحدات الجيش الأول في فلسطين بعد تقريرها بقيادة سرجون.

-تتجمع وحدات الجيش الثاني في أنطاكيا بقيادة تيدور.

-تتحرك هذه الجيوش وتهاجم أمراء الإسلام الأربعة؛ الواحد بعد الآخر وذلك لتسهيل تصفية جيوش الإسلام على انفراد، وعلى أساس هذه الخطة التي وضعها هرقل تحركت جيوش الروم وحسب الترتيب الآتي:

-توجيه اخاه تذارق في تسعين ألفاً للقضاء على جيش عمرو بن العاص.

-توجيه بن توذر إلى يزيد بن أبي سفيان.

-توجيه القبقار بن نتطوس في ستين ألفاً إلى جيش أبي عبيدة.

-الدارقص نحو شرحبيل بن حسنة.

---

١ - أبوبكر الصديق، نزار الحديثي، ص٦٢

استطاع المسلمون الحصول على المعلومات الدقيقة عن الجيوش الرومية، ونواياها بكل تفاصيلها، وعن تفاصيل الخطة الرومية التي كان قد وضعها **هرقل** لتدمير الجيوش الإسلامية كل على انفراد، وراسل قادة المسلمين الخليفة بالمدينة، فكتب أبو عبيدة إلى أبي بكر رضي الله عنهما يخبره بما بلغه مما جمع هرقل ملك الروم من الجموع وهذا نص كتاب أمين الأمة إلى الصدّيق رضي الله عنه:

« بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله أبي بكر، خليفة رسول الله، من أبي عبيدة ابن الجراح، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإنا نسأل الله أن يعز الإسلام وأهله عزاً متيناً، وأن يفتح لهم فتحاً يسيراً، فإنه بلغني أن هرقل ملك الروم نزل قرية من قرى الشام، تدعى أنطاكية وأنه بعث إلى أهل مملكته فحشرهم إليه، وأنهم نفروا إليه على الصعب والذلول، وقد رأيت أن أعلمك ذلك، فترى فيه رأيك، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته».

معركتا العربة والداثنة

تظافرت الروايات على أن أول المواقع على أرض الشام بعد سرية أسامة بن زيدكانت موقعة **العربة وداثن** (داثنة) وذكروا أنها كانت قبل قدوم خالد بن الوليد إلى الشام، ويرى الأستاذ / أحمد عادل كمال: أنها كانت قبل قدوم عمرو بن العاص أيضاً إلى فلسطين، حيث دارت الموقعة على أرض فلسطين ولم يرد لعمرو ذكر فيها سوى رواية واحدة.

فبعد أن نزل يزيد **البلقاء** ونزل شرحبيل نواحي **بصرى** ونزل أبو عبيدة **الجابية** كل في جيشه، دفع الروم قوة قوامها ٣٠٠٠ مقاتل بقيادة سرجيوس البطريق الرومي (رتبة في الجيش الروماني وهي ليست مرتبة كنسية كالبطريرك) لمدينة **غزة**، وقد تكون هذه القوة خرجت من غزة إلى **وادي عربة** من غور فلسطين جنوبي البحر الميت . ومن شأن قوة كهذه أن تشكل خطراً على جيوش المسلمين التي تقدمت على الطريق الشرقي - امتداد التبوكية - والتي رابطت على امتداده حتى جنوبي دمشق بنحو ٥٠ كم ، ونعني الجابية . إنها جيش يأتيهم من خلفهم وفي استطاعته مهاجمتهم من خلف وقطع مادة المدينة وشبه الجزيرة العربية عنهم، فضلاً عن وجود قوة أخرى لهم في بصرى تجاه شرحبيل بن حسنة .

طبقاً لتخطيط **أبي بكر الصديق** رضي الله عنه المرسوم كان المفروض أن يتصدى لهذه القوة خالد بن سعيد الذي أمره أبو بكر بلزوم تيماء ليكون احتياطياً للمسلمين، ثم أمره أن يتقدم دون أن يقتحم حتى لا يؤتى من خلفه، غير أن خالداً قد تقدم أكثر مما سمح له حتى أنه سبق جيش أبي عبيدة المرابط في الجابية فبلغ مرج الصُّفر من ضواحي دمشق . وبلغت أخبار سرجيوس إلى يزيد بن ابي سفيان وهو **بالبلقاء** ونقدر أنه كان في مكان ما شرقي البحر الميت . ولنستمع إلى القصة الموجزة لهذه الموقعة على لسان أبي أمامة الصدي بن عجلان الباهلي، قال: « كنت ممن سرَّح أبو بكر رضي الله عنه مع أبي عبيدة في نفر من قومي ... فكانت أول موقعة يوم العربة والداثنة وليسا من الأيام العظام، فخرجت إلينا ستة قواد من الروم مع كل قائد ٥٠٠ رجل فكانوا ٣٠٠٠ آلاف رجل، فأقبلوا حتى انتهوا ، فبعث يزيد بن أبي سفيان إلى أبي عبيدة يعلمه بذلك ، فبعثني إليه بـ ٥٠٠ رجل وأقبل يزيد في آثارنا في الصف . فلما رأينا الروم حملنا عليهم فهزمناهم وقتلنا قائداً من قوادهم ثم مضوا واتبعناهم، فجمعوا لنا بالداثنة (من قرى غزة) فسرنا إليهم ، فقدمني يزيد وصاحبي في عدتنا فهزمناهم . فعند ذلك فزعوا واجتمعوا وأمدهم ملكهم » [١] .

رواية أبي أمامة الباهلي تنتهي عند هزيمته للروم ويزيد يسير في أثرهم ، ثم لا يذكر ما كان بعد ذلك، والظاهر أنهم لم يتوغلوا في فلسطين وإنما عادت قواتهم إلى مراكزها الأولى [٢] .

---

١ ، ٢ - أ . أحمد عادل كمال، الطريق إلى دمشق، ص ٢٠٩ - ٢١٢

معركتا العربة وداثن
الشمال
طرابلس
بعلبك
النبك
جبيل
بحر الروم (البحر المتوسط)
صيدا
دمشق
صور
الجابية
القوات الرومية تسيّر ثلاثة آلاف مقاتل إلى غـزة، لتنظم تحت لواء البطريق الرومي (سرجيوس) لقتال المسلمين فيها .
الإمبراطورية البيزنطية
سوريا
صفد
حيفا
طبرية
تحرك جيش أبي عبيدة عامر ابن الجراح من الجابية والمناطق المحيطة بها، للتصدي للقوات الرومية المتجهة إلى العربة .
الغساسنة
تحرك جيش يزيد بن أبي سفيان من أرض البلقاء وما حولها، للتصدي للقوات الرومية المتجهة إلى العربة .
يافا
فلادلفيا (عمان)
إيلياء
فلسطين
غزة
الأردن
داثن
فلول الجيش الرومي
القوات الإسلامية تحقق نصرها في العربة ثم تتجه إلى داثن (الداثنة) من قرى غزة ، وتلتقي بفلول الجيش الرومي المنهزم وتوقع به الهزيمة الثانية في داثن .
الكرك
أرض البلقاء
عربة
مؤتة
القوات الرومية تزحف صوب العربة لقتال المسلمين فيها .
البتراء
الطريق المؤدي إلى وادي عربة للقادم من جهة الكرك
٠
٣٠
٦٠
٩٠
١٢٠
١٥٠ كم

ذكر الطبري: أن أول صلح كان بالشام صلح مـؤاب؛ وهي فسطاط ليست بمدينة، مر أبو عبيدة بهم في طريقه، وهي قرية من البلقاء، فقاتلوه، ثم سألوه الصلح فصالحهم. واجتمع الروم جمعاً بالعربة من أرض فلسطين؛ فوجه إليهم يزيد بن أبي سفيان أبا أمامة الباهلي؛ ففض ذلك الجمع، قالوا: فأول حرب كانت بالشأم بعد سرية أسامة بالعربة. ثم أتوا الداثية – ويقال الداثن – فهزمهم أبو أمامة الباهلي، وقتل بطريقاً منهم. ثم كانت مرج الصُّفَّر، استشهد فيها خالد ابن سعيد بن العاص، أتاهم أدرنجار في أربعة آلاف وهم غارون، فاستشهد خالد وعدة من المسلمين.

قال أبو جعفر: وقيل إن المقتول في هذه الغزوة كان ابناً لخالد ابن سعيد، وإن خالداً انحاز حين قتل ابنه، فوجه أبو بكر خالد بن الوليد أميراً على الأمراء الذين بالشأم، ضمهم إليه: فشخص خالد من الحيرة في ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة في ثمانمائة – ويقال في خمسمائة – واستخلف على عمله المثنى بن حارثة.

تحرك خالد من العراق إلى الشام بأمر من الخليفة أبي بكر رضي الله عنه

في أوائل صفر من السنة الثالثة عشر من الهجرة المباركة

قال أبو بكر: والله لأنسينَّ الروم وساوس الشيطان بخالد ابن الوليد .

قال أبو جعفر: قالوا: فوافى خالداً كتاب أبي بكر بالحيرة منصرفه من حجه أن سر حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك فإنهم قد شجوا وأشجوا (تعبوا وأتعبوا) وإياك أن تعود لمثل ما فعلت؛ فإنه لم يشج الجموع من الناس بعون الله شجاك، ولم ينزع الشجى من الناس نزعك؛ فليهننك أبا سليمان النية والحظوة، فأتمم يتمم الله لك ولا يدخلنك عجب فتخسر وتخذل، وإياك أن تدل (تفتر) بعمل فإن الله له المن وهو ولي الجزاء .

دُومًا: بالكوفة والنجفُ محلة منها، ويقال: اسمها دومة لأن عمر لما أجلى أكيدر صاحب دومة الجندل قدم الحيرة فبنى بها حصنًا وسماه دومة أيضًا. معجم البلدان .

بعد وصول قوات خالد بن الوليد إلى بلاد الشام ، أمر الخليفة **أبوبكر** رضي الله عنه خالداً أن يتولى أمر القيادة فيها . حيث كانت قوات المسلمين موزعة في الأقاليم المخصصة لها .

أما القوات الرومية فقد توزعت في ناحيتين : **الناحية الأولى**، على الساحل وهدفها ملاقاة عمرو بن العاص في أرض فلسطين ، **أما الناحية الثانية**، ووجهتها حمص وبعلبك ودمشق . والهدف من ذلك شل قوات عمرو بن العاص ثم الالتفاف حول بقية قوات المسلمين وتدميرها. لذلك قرر خالد بن الوليد أن تتجمع جيوش المسلمين في (سهل اليرموك) على أن يظل عمرو بن العاص في فلسطين لصد تقدم القوات الرومية تجاهه .

الإمبراطورية البيزنطية
طرطوس
شمال
أرك
تدمر
عين البيداء
حُوّارين
القريتين
بعلبك
نبك
بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط)
بيروت
مكان غارة خالد على أعراب غسان
مرج راهط
صيدا
دمشق
لجابية
درعا
بصرى
سوريا
الغساسنة
فلسطين
أربد
إيلياء
الخليل
بحيرة لوط (الميت)
أرض البلقاء
حينما مر خالد على أرك حاصر أهلها وأغار عليهم فأخذ الأموال وتحصن أهلها فلم يبارحهم حتى صالحوه .
انتصر خالد في القريتين ، ثم مر على حوارين وانتصر عليهم ، فبعثوا إلى من حولهم ليعينوهم فجاءهم مددان . انظر النص
حاصر خالد تدمر ثم ارتحل عنها بعد أن هدد أهلها بالقتل والسبي إذا غدروا بالمسلمين، فبعثوا في أثره فرجع إليهم ففتحوا له مدينتهم وصالحوه .
حُوّارِيْن ، بالضم، وتشديد الواو، ويختلف في الراء فمنهم من يكسرها ومنهم من يفتحها، وياء ساكنة، ونون؛ وحُوّارين: من قرى حلب معروفة؛ وحُوّارين: حصن من ناحية حمص: قال بعضهم:
يا ليلة لي بحوّارين ساهرة، حتى تكلم في الصبح العصافير
وقال أحمد بن جابر: مرّ خالد بن الوليد في مسيره من العراق إلى الشام بتدْمُر والقَرْيَتَين ثم أتى حُوّارين من سَنِير فأغار على مواشي أهلها، فقاتلوه وقد جاءهم عدد من أهل بَعْلَبَك، ثم أتى مرجَ راهط، وفي كتاب الفتوح لأبي حذيفة إسحاق بن بشير: وسار خالد بن الوليد من تدْمُر حتى مَرّ بالقريتين، وهي التي تُدْعى حُوّارين، وهي من تدمر على مرحلتين، وبها مات يزيد بن معاوية في سنة ٦٤؛ ... . ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣١٥-٣١٦ .
جاء المددان إلى أهالي حُوّارين من بعلبك والآخر من بصرى وكل منهما أكثر من ألفين . فلما رأى خالد المددين ، صف صفوفه ثم خرج في مائتين من الفرسان ، فحمل على مدد أهل بعلبك فقصف بعضهم على بعض وأثخن فيهم قتلاً فما صمدوا ساعة حتى انهزموا ودخل من بقي منهم مدينة حُوّارين يحتمون بها . ثم انطلق في أصحابه يركض الوجيف (نوع من سير الإبل) حتى إذا حاذى أهل بصرى استعرضهم ثم حمل عليهم فما ثبتوا له إلا قليلاً حتى انهزموا إلى المدينة، وخرج أهل حُوّارين فرموا المسلمين بالنشاب فحمل عليهم خالد وأعادهم إلى حُوّارين مهزومين ورجع عنهم ذلك اليوم . فلما كان اليوم التالي خرج أهل حُوّارين ليقاتلوا المسلمين فهاجمهم خالد فهزمهم، فلما رأوا أنهم لاطاقة لهم به صالحوه .
خالد يتجه إلى مرج راهط لتأديب أعراب غسان .
خالد يأمر بسر بن أبي أرطأة بالغارة على أهل غوطة دمشق .
خالد يصل بجيشه عند الباب الشرقي لدمشق ، فأحسن أسقف دمشق ضيافته .
خالد يتوجه للجابية للقاء أبي عبيدة .
أبو عبيدة عامر بن الجراح وخالد بن الوليد يتجهان بجنودهما إلى بصرى .
فتوحات القائد خالد بن الوليد رضي الله عنه الأولى على أرض الشام
١٥٠ كم ١٢٠ ٩٠ ٦٠ ٣٠ ٠

التترابيل (المصالبة) - تدمر

مؤلف ومصمم الأطلس داخل ساحة تدمر الأثرية

معبد بل - تدمر - ٢٠٠ م تقريبا

تدمر : مدينة تاريخية تتوسط البادية السورية، تكثر فيها زراعة النخيل، اشتهرت بحضارتها أيام الملكة الزباء (زنوبيا) التي ثارت على الإمبراطورية الرومانية فبنت وحصنت تدمر والتي لا تزال آثارها باقية حتى يومنا هذا مثل : معبد الإله بعل (بل) إلى شارع الأعمدة الرئيس وقوس النصر، تعتبر من أهم المناطق الأثرية في الجمهورية العربية السورية، اعتبرت في العهد الروماني خط التحصينات الحدودية للإمبراطورية الرومانية مع الفرس .

فتح بُصرى الشام

في ٢٥ ربيع الأول سنة ١٣ [illegible]

قـال الـرواة: ومضى خالد بن الوليـد إلى اصحابه حتى نزل على قناة بصـرى، فيجد الأمـراء مقيمين لم يفتحـوا شيئاً قال: مـا مقامكم بهذا الموضع؟ أنهضـوا، فنهضوا بأهل بصرى فما أمسوا ذلك اليوم حتى دعوا إلى الصلـح فصالحوهم وكتبوا بينهم كتاباً، فكانت أول مدينة فتحت من الشـام صلحـاً. وفيها مات سعد بن عبـادة، وكان فتحها لخمس بقين من ربيـع الأول سنة ثلاث عشرة، وأهل الشام يقولون: إن فحل كانت قبل فتح دمشق[1].

ألوية الجيش الإسلامي	عدد الجيش
خالد بن الوليد	٩٠٠٠
عمرو بن العاص	٣٠٠٠
أبو عبيدة بن الجراح	٧٠٠٠
شرحبيل بن حسنة	٧٠٠٠
يزيد بن أبي سفيان	٧٠٠٠

عدد الجيش: ٠ - ٢٠٠٠ - ٤٠٠٠ - ٦٠٠٠ - ٨٠٠٠ - ١٠٠٠٠

ألوية الجيش الإسـلامي

جدول بياني تقريبي لروايات المؤرخين حول عدد جيوش الشام بعد وصول خالد بن الوليد

بُصْرَى: في موضعين، بالضم والقصر. إحداهما بالشام من أعمال دمشق، وهي قصبة كورة حَوْران، مشهورة عند العرب قديماً وحديثاً، وذكرها كثير في أشعارهم: قال أعرابي:

الا لا تَلطّي السّترَ يا أمّ جَحْدَرِ،
كفى بذُرى الأعلام من دوننا سترا
أيا رُفقةً من آل بُصرى، تحمّلوا
رسـالتنا لُقِّيـتِ مـن رُفقـة رُشْـدا
إذا ما وَصلْتم سالمين، فبلِّغوا
تحيـة مـن قـد ظـنّ أن لا يـرَى نجـدا
قولوا لهم: ليس الضلالُ أجازنا،
ولكننـا جُـزنا لنلقاكمُ عَمْدا

وإنا تركنا الحارثيَّ مكبّلاً
بكبْل الهوى، من ذكركم، مضمراً وَجد

وقال الصمّة بن عبدالله القشيري:

نظرتُ، وطرفُ العين يَتْبع الهوى،
بشرقيّ بُصري نظرةَ المتطاولِ
لأبصر ناراً أُوقدتْ، بعد هجعة،
لرَيّا بذات الرِّمْث من بطن حائل

وقال الرّمّاح بن ميّادة:

الا لا تلطّي السّتر يا أمّ جَحْدَرٍ،
كفى بذُرى الأعلام من دوننا سِترا
إذا هَبطَتْ بُصرَى تَقَطّع وَصلُها
وأغلَقَ بَوّابان من دونها قَصرا
فلا وَصلَ إلاّ أن تُقارب بيننا
قلائصُ يَحسِرْنَ المطيَّ بنا حَسرا
فيا ليت شعري! هل يحلّنّ أهلُها
وأهلِيَ روضاتٍ ببطن اللّوى خُضرا
وهل تأتيَنّي الريحُ تَدْرُجُ مَوْهِناً
بريّاك، تَعْرَوْري بها عُقَداً عُفْرا؟

ولما سار خالد بن الوليد من العراق لمدد أهل الشام قدم على المسلمين وهم نزول ببصرى، فضايقوا أهلها حتى صالحوهم على أن يُؤدُّوا عن كل حالم ديناراً وجريب حنطة، وافتتح المسلمون جميع أرض حوّران وغلبوا عليها وقَتْبَرِ، وذلك في سنة ١٣هـ. الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤٤١.

---

١ - ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، النسخة الإلكترونية.

فتح بُصرى الشام
كانت بصرى في عهد دقلديانوس حاضرة الولايات العربية .
السويداء
الخليل
بصرى الشام
دير الكهف
أم الجمال
بصرى
من بنود صلح بصرى :
أن يؤمنوا على دمائهم وأموالهم وأولادهم على أن يؤدوا الجزية، وذكر بعض الرواة أن أهل بصرى صالحوا على أن يؤدوا عن كل حالم ديناراً وجريب حنطة . وافتتح المسلمون جميع أرض كورة حوران وغلبوا عليها وطهروها من الروم وعملائهم من الأعراب؛ فكانت جزية بصرى أول جزية وقعت في بلاد الشام في عهد أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه .
تواجد اللواء الإسلامي بقيادة شرحبيل بن حسنة في هذا الموضع قبل مداهمة بصرى الشام .
الإمبراطورية البيزنطية
سوريا
الغساسنة
الأردن
فلسطين
مصر
أرض حوران
أرض البلقاء
وادي السرحان
بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط)
بحر القلزم (البحر الأحمر)
سيليفك
أنامور
الإسكندرونة
أنطاكية
حلب
الرقة
اللاذقية
الآسيا
بانياس
حماة
دير الزور
حمص
طرابلس
بيروت
دمشق
صور
الجابية
حيفا
المفرق
عمان
يافا
إيلياء
بورسعيد
بئر السبع
العريش
مؤاب
الكرك
كاف
المريبة
عرعر
معان
السويس
إيلة
سكاكا
دومة الجندل
سيناء
رأس غارب
الطور
مدين
ضباء
قوات خالد بن الوليد رضي الله عنه، تنطلق من دمشق نحو الجابية؛ للانضمام إلى قوات أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه فيها.
القوات الإسلامية تواصل زحفها نحو بُصرى الشام .
خريطة مكبرة لموقع بصرى وما جاورها
٠ ٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠ ٢٥٠ كم

١ - المسرح الروماني ببصرى الشام

٢ - مدخل المدرج

٣ - المؤلف على مدرجات المسرح الروماني.

عدسة المؤلف

١ - دير الراهب بحير ببصرى الشام

٢، ٣ - الجامع العمري ببصرى الشام

معركة أجنادين

في ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٣ هـ

بعد فتح بُصرى استنفر هرقل قواته، وأدرك أن الأمر واقع لا مناص منه، وأن مستقبل الشام بات في قبضة المسلمين ما لم يواجه القوات الإسلامية بكل ما يملك من قوة وعتاد، حتى تثبت الشام وتعود طيعة تحت إمرته، فحشد العديد من القوات الضخمة، وبعث بها إلى بصرى حيث شرحبيل بن حسنة في قواته المحدودة، وفي الوقت نفسه جهّز جيشاً ضخماً، ووجّهه إلى **أجنادين** من جنوب فلسطين، وانضم إليه نصارى العرب والشام.

تجمعت الجيوش الإسلامية مرة أخرى عند **أجنادين**، وهي موضع يبعد عن "بيت جبرين" بحوالي أحد عشر كيلو مترًا، وعن الرملة حوالي تسع وثلاثين كيلو متراً، وكانت ملتقى مهماً للطرق. (انظر المستند « ١ »)

نظم خالد بن الوليد جيشه البالغ نحو ٣٢,٠٠٠ ألف جندي، وأحسن صنعه وترتيبه على نحو جديد، فهذه أول مرة تجتمع جيوش المسلمين في الشام في معركة كبرى مع الروم الذين استعدوا للقاء بجيش كبير بلغ ١٠٠,٠٠٠٠ ألف جندي.

شكّل خالد جيشه ونظّمه ميمنة وميسرة، وقلباً، ومؤخرة؛ فجعل على الميمنة "معاذ بن جبل"، وعلى الميسرة سعيد بن عامر، وعلى المشاة في القلب أبا عبيدة بن الجراح وعلى الخيل "سعيد بن زيد"، وأقبل خالد يمر بين الصفوف لا يستقر في مكان، يحرض الجند على القتال، ويحثهم على الصبر والثبات، ويشد من أزرهم، وأقام النساء خلف الجيش يبتهلن إلى الله ويدعونه ويستصرخنه ويستنزلن نصره ومعونته، ويحمسن الرجال.

أجنادين: أجْنَادَيْن بالفتح، ثم السكون، ونون وألف، وتُفْتَحُ الدالُ فتُكسرُ معها النون، فيصير بلفظ التثنية، وتُكسر الدال، وتُفتح النون بلفظ الجمع، وأكثر أصحاب الحديث يقولون إنه بلفظ التثنية، ومن المحصّلين من يقوله بلفظ الجمع: وهو موضع معروف بالشام من نواحي فلسطين. وفي كتاب أبي حُذيفة إسحاق بن بشير بخط أبي عامر العَبدري: أن أجنادين من الرملة من كورة بيت جبْرين، كانت به وقعة، بين المسلمين والروم، مشهورة... الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤٤١.

أجنادين: بلدة في فلسطين قرب الرملة شمال بحر جبرين غربي الخليل وجنوب غربي القدس.

وتهيأ جيش الروم للقتال، وجعل قادته الرجالة في المقدمة، يليهم الخيل، واصطف الجيش في كتائب، ومد صفوفهم حتى بلغ كل صف نحو ألف مقاتل.

كانت أجنادين أول المعارك الكبرى في بلاد الشام بين المسلمين والروم، حيث شهدها مائة ألف من الروم، سَرَّبَ هرقل أكثرهم، وتجمَّع الباقي من النواحي، وهرقل يومئذ بحمص.

الطريق إلى أجنادين
بعد الانتصار في بصرى؛ خالد بن الوليد يرابط أمام الباب الشرقي، في الوقت الذي أخذ فيه أبو عبيدة بن الجراح بمحاصرة باب الجابية بالجهة الجنوبية الغربية من غربي دمشق.
القائد الرومي على حمص (وردان) يخرج بجيش قوامه ٩٠٠٠ مقاتل لمحاولة عزل جيش شرحبيل في بصرى عن بقية جيش المسلمين والاستفراد به.
أجنادين : هو موضع بين الرملة وبيت جبرين التقى فيه المسلمون وفيهم أبو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان بن حرب وشرحبيل بن حسنة وعمرو بن العاص، وقيل كان على الناس يومئذ أبو عبيدة وقيل خالد، والروم عليهم تذارق أخو هرقل، وروي إنه أخزاه الله وهو الذي كان على الروم يوم مؤتة فانهزم الروم يومئذ وقتل تذراق وذلك في جمادي الآخرة سنة ثلاث عشر في أيام الصدّيق أبي بكر . أبو البقاء الحلي : المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية، النسخة الإلكترونية.
الجيوش الإسلامية تعاود حصارها لدمشق؛ بينما ظل جيش شرحبيل ابن حسنة مرابطاً في بصرى.
جيش (وردان) تواصل زحفها نحو بُصرى الشام .
القوات البيزنطية بقيادة (تذارق) تواصل زحفها نحو أجنادين .
القوات الإسلامية مجتمعة تواصل زحفها نحو أجنادين .
الإمبراطورية البيزنطية
سوريا
الغساسنة
الأردن
فلسطين
مصر
سيناء
مدين
أرض البلقاء
أرض حوران
وادي السرحان
بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط)
أبو عبيدة وخالد
شرحبيل
يزيد بن أبي سفيان
عمرو بن العاص
سيليفك
أنامور
الإسكندرونة
أنطاكية
حلب
الرقة
اللاذقية
آلاسيا
بانياس
حماة
دير الزور
حمص
طرابلس
بعلبك
بيروت
دمشق
صور
الصابية
صيدا
حيفا
بصرى
الرطبة
يافا
إيلياء
عمان
أجنادين
بورسعيد
العريش
مؤاب
الكرك
كاف
العربة
السويس
معان
أيلة
رأس غارب
الطور
صباء
خليج السويس
خليج أيلة
بحر القلزم (البحر الأحمر)
٢٥٠ كم
٢٠٠
١٥٠
١٠٠
٥٠

موقـــع معركــة أجـــنادين

بيت جبريـن : مدينة فلسطينية؛ تشتهر بآثارها وهي بلـدة قديمة تعود بتاريخها إلى جبابـرة العمالقـة ، القبيلة العربية الكنعانيـة الي استقـرت في فلسطين منذ فجر التاريخ ، ويعني اسمها "بيت الرجال الأقويـاء" . فــي عـام ٤٠ ق.م هدمهـا الفرسـ ، ثـم أعيـد بناؤهـا عـام ٦٨ ق.م فتحت في عهد الخليفة أبي بكر الصديق . واتخذهـا الصحابـي واثلـة بـن الأسقـع مسكناً له ومات بها الصحابي آنيف بن ملة الجدامـي. تضـم بـين جنباتها عدداً من مقابـر الصحابـة والصالحـين . تقـع إلى الشمال الغربي مـن مدينة الخليل وتبعد عنها ٢١كم ، وترتفع عن سطح البحر ٢٧٥ م.وقعـت بالقـرب منهـا أحـداث معركـة أجنادين التاريخية بين المسلمين والروم .

لقاء الفريقين في أجنادين

بعد صلاة الفجر من يوم (٢٧ من جمادى الأولى ١٣ هـ = ٣٠ من يوليو ٦٣٤م) أمر خالد جنوده بالتقدم حتى يقتربوا من جيش الروم، وأقبل على كل جمع من جيشه يقول لهم: " اتقوا الله عباد الله، قاتلوا في الله من كفر بالله ولا تنكصوا على أعقابكم، ولا تهنوا من عدوكم، ولكن أقدموا كإقدام الأسد وأنتم أحرار كرام، فقد أبيتم الدنيا واستوجبتم على الله ثواب الآخرة، ولا يهولكم ما ترون من كثرتهم فإن الله منزل عليهم رجزه وعقابه، ثم قال: أيها الناس إذا أنا حملت فاحملوا ".

وكان خالد بن الوليد يرى تأخير القتال حتى يصلُّوا الظهر وتهب الرياح، وهي الساعة التي كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يحب القتال فيها، ولو أدى ذلك أن يقف مدافعاً حتى تحين تلك الساعة.

أعجب الروم بكثرتهم وغرتهم قوتهم وعتادهم فبادروا بالهجوم على الميمنة؛ حيث يقف معاذ بن جبل، فثبت المسلمون ولم يتزحزح أحد، فأعادوا الكرة على الميسرة فلم تكن أقل ثباتاً وصبراً من الميمنة في تحمل الهجمة الشرسة وردها، فعادوا يمطرون المسلمين بنبالهم، فتنادى قادة المسلمين طالبين من خالد أن يأمرهم بالهجوم، حتى لا يظن الروم بالمسلمين ضعفاً ووهناً ويعاودون الهجوم عليهم مرة أخرى، فأقبل خالد على خيل المسلمين، وقال: احملوا رحمكم الله على اسم الله" فحملوا حملة صادقة زلزلزت الأرض من تحت أقدام عدوهم، وانطلق الفرسان والمشاة يمزقون صفوف العدو فاضطربت جموعهم واحتلت قواهم.

فلما رأى **القبقلار** قائد الروم أن الأمر خرج من يده، وأن الهزيمة واقعة لا محالة بجنوده قال لمن حوله: لفوا رأسي بثوب، فلما تعجبوا من طلبه قال: يوم البئيس لا أحب أن أراه! ما رأيت في الدنيا يوماً أشد من هذا، وما لبث أن حز المسلمون رأسه وهو ملفوف بثوبه، فانهارت قوى الروم، واستسلمت للهزيمة، ولما بلغ هرقل أخبار الهزيمة أسقط في يده وامتلأ قلبه رعباً.

رسالة خالد إلى أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم من **خالد بن الوليد** المخزومي إلى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، سلام عليك. أما بعد فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وأزيد حمداً وشكراً على المسلمين ودماراً على المتكبرين المشركين وانصداع بيعتهم، وإنا لقينا جموعهم **بأجنادين** وقد رفعوا صلبانهم وتقاسموا بدينهم أن لا يفروا ولا ينهزموا... فخرجنا إليهم واستعنا بالله عز وجل متوكلين على الله خالقنا فرزقنا الله الصبر والنصر، وكتب الله على أعدائنا القهر فقاتلناهم في كل واد وسبسب، وجملة من أحصيناهم ممن قتل من المشركين خمسون ألفاً وقتل من المسلمين في اليوم الأول والثاني أربعمائة وخمسون رجلاً ختم الله لهم بالشهادة منهم عشرون رجلاً من الأنصار ومن أهل مكة ثلاثون رجلاً ومن حمير عشرون والباقي من أخلاط الناس، ويوم كتبت لك الكتاب كان يوم الخميس لليلتين خلتا من جمادى الآخر، ونحن راجعون إلى دمشق إن شاء الله تعالى فادع لنا بالنصر والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته. وطوى الكتاب وسلمه إلى عبد الرحمن ابن حميد وأمره بالمسير إلى **المدينة النبوية** على ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام.

وسار خالد بالمسلمين نحو دمشق.

معركة مرج الصُّفَّر الثانية

تعتبر هذه المعركة في مرج الصُّفَّر هي المعركة الثانية؛ فقد اختلط على البعض بأنها المعركة التي خاضها المسلمون من قبل؛ ففي الأولى قائدها خالد بن سعيد وانهزم فيها، وفي الثانية قائدها خالد ابن الوليد وانتصر فيها، وهاتان المعركتان قاد الروم فيهما أدرنجار، وهذه المعركة الثانية حدثت بعد ٢٠ يوماً من أجنادين، حيث زحف الجيش الرومي من حمص إلى مرج الصُّفَّر متخذاً نفس المسار الداخلي السابق ليلتف على الجيش الإسلامي المحاصر لدمشق؛ لكن واقع المعركة أكد على انهزام الروم أمام الجيش الإسلامي حيث تبددت فلول الجيش الرومي فمنهم من دخل دمشق مع أهلها، ومنهم من رجع إلى حمص، ومنهم من لحق بهرقل ومنهم من فر إلى بيت المقدس. وجرح من المسلمين أكثر من أربعة آلاف، وقتل من الروم خمسمائة في المعركة ووقع في أسر المسلمين نحو من خمسمائة آخرين. وعاد المسلمون يحاصرون دمشق مرة أخرى ويضيقون عليها.

مَرْجُ الصُّفَّر: بالضم، وتشديد الفاء: بدمشق ذكر أيضاً؛

قال:

عنّي عميرة يوم مرج الصُّفَّر

وقال خالد بن سعيد بن العاصي الذي تذكر هزيمته بمرج الصُّفَّر الأولى

هل فارسٌ كره النزال يُعيرني

رُمحاً إذا نزلوا بمرج الصُّفَّر؟

الحموي، معجم البلدان، مادة مرج

بطولة المرأة يوم الصُفَّر

كانت أم حكيم بنت الحارث بن هشام تحت عكرمة بن أبي جهل فقتل عنها بأجنادين، فاعتدت عنه أربعة أشهر وعشراً، وكان يزيد ابن أبي سفيان يخطبها، وكان خالد بن سعيد يرسل إليها في عدتها يتعرض للخطبة. فخطبت إلى خالد بن سعيد، فتزوجها على أربعمائة دينار، فلما نزل المسلمون **مرج الصُفَّر** أراد خالد أن يعرس بأم حكيم، فجعلت تقول: لو أخرت الدخول حتى يقض الله هذه الجموع. فقال خالد: إن نفسي تحدثني أني أصاب في جموعهم، قالت: فدونك. فأعرس بها عند القنطرة التي بالصُفَّر. فبها سميت قنطرة أم حكيم. وأولم عليها في صحن مدخله، فدعا أصحابه على طعام، فما فرغوا من الطعام حتى صفت الروم صفوفها صفوفاً خلف صفوف، وبرز رجل منهم معلم يدعو إلى البراز، فبرز إليه أبو جندل بن سهيل بن عمرو العامري، فنهاه أبو عبيدة، فبرز حبيب بن مسلمة، فقتله حبيب ورجع إلى موضعه. وبرز خالد بن سعيد، فقاتل، فقتل. وشدت أم حكيم بنت الحارث عليها ثيابها وعدت، وإن عليها لردع الخلوق في وجهها، فاقتتلوا أشد القتال على النهر، فصبر الفريقان جميعاً، وأخذت السيوف بعضها بعضاً. فلا يرمى بسهم، ولا يطعن برمح، ولا يرمى بحجر، ولا يسمع إلا وقع السيوف على الحديد، وهام الرجال وأبدانهم. **وقتلت أم حكيم يومئذ سبعة بعمود الفسطاط الذي بات فيه خالد بن سعيد معرساً بها**. وعن ابن مسهر أن عمر بن الخطاب تزوجها بعد خالد بن سعيد. ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، النسخة الإلكترونية.

موقع مرج الصُفَّر الثانية

عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) خليفة للمسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبي عبيدة بن الجراح. سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد. فإن أبا بكر الصدّيق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفي، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون، ورحمة الله وبركاته على أبي بكر الصديق العامل بالحق والآمر بالقسط والآخذ بالعرف، اللين السير، الوادع، السهل القريب الحليم، ونحتسب بمصيبتنا فيه ومصيبتكم ومصيبة المسلمين عامة عند الله، وأرغب إلى الله في العصمة والتقى برحمته والعمل بطاعته ما أحيانا، والحلول في جنته إذا توفانا، فإنه لعلى كل شيء قدير. وقد بلغنا حصاركم لأهل دمشق وقد وليتك جماعة الناس، فاثبت سراياك في نواحي أرض حمص ودمشق، وما سواها من أرض الشام، وانظر في ذلك برأيك ومن حضرك من المسلمين، ولا يحملنك قولي هذا على أن تغري عسكرك فيطمع فيك عدوك، ولكن من استغنيت عنه فسيره، ومن احتجت إليه في حصارك فاحتبسه، وليكن فيمن تحتبس خالد بن الوليد فإنه لا غنى بك عنه.

قالوا: فدفع ذلك الكتاب إلى خالد بن الوليد بعد فتح دمشق بنحو من عشرين ليلة فأقبل حتى دخل على أبي عبيدة فقال: يغفر الله لك، أتاك كتاب أمير المؤمنين بالولاية فلم تعلمني. وأنت تصلي خلفي والسلطان سلطانك؟! فقال له أبو عبيدة: وأنت يغفر الله لك، ما كنت لأعلمك ذلك حتى تعلمه من غيري. وما كنت لأكسر عليك حربك حتى ينقضي ذلك كله، ثم قد كنت أعلمك إن شاء الله. وما سلطان الدنيا أريد وما للدنيا أعمل، وأن ما ترى سيصير إلى زوال وانقطاع، وإنما نحن إخوان وقوام بأمر الله عز وجل، وما يضير الرجل أن يلي عليه أخوه في دينه ولا دنياه. بل يعلم الوالي أنه كاد أن يكون أدناهما إلى الفتنة وأوقعهما في الخطيئة لما يعرض من الهلكة إلا من عصم الله، وقليل ما هم. ودفع أبو عبيدة عند ذلك إلى خالد بن الوليد الكتاب.

قال أبو حذيفة: وولي أبو عبيدة حصار دمشق وولي خالد بن الوليد القتال على باب الشرقي وولاه الخيل إذا كان يوم يجتمع فيه المسلمون للقتال، فحاصروا دمشق بعد هلاك أبي بكر حولاً كاملاً وأياماً. وساق الحديث.

وكان أهل دمشق قد بعثوا إلى قيصر وهو بأنطاكية رسلاً أن العرب قد حاصرونا وليست لنا بهم طاقة، وقد قاتلناهم مراراً فعجزنا عنهم فإن كان لك فينا وفي السلطان علينا حاجة فأمددنا وأعنا، وإلا فإنا في ضيق وجهد، فاعذرنا، وقد أعطانا القوم الأمان ورضوا منا بالجزية اليسيرة، فسرح إليهم أن تمسكوا بحصنكم وقاتلوا عدوكم على دينكم، فإنكم إن صالحتموهم وفتحتم حصنكم لهم لم يفوا لكم وجبروكم على دينهم واقتسموكم بينهم، وأنا مسرح إليكم الجيش في إثر رسولي هذا، فانتظروا جيشه فأبطأ عليهم. وكتب عمر إلى أبي عبيدة يأمره بالمناهضة.

عزل خالد وتولية أبي عبيدة القيادة العامة .

امتاز الولاة على البلدان باحترام من سبقهم من الولاة وتقديرهم وهذا يلاحظ في معظم الولاة في العصر الراشدي، حيث نجد مثلاً أن خالداً بن الوليد حينما قدم إلى الشام أميراً على أبي عبيدة بن الجراح وغيره، لكنه رفض أن يتقدم على أبي عبيدة في الصلاة، وحينما قام عمر بعزل خالد بن الوليد عن ولاية أجناد الشام وتعيين أبي عبيدة مكانه أخفى أبو عبيدة الخبر عن خالد ولم يخبره به حتى ورد كتاب آخر من عمر، فعلم خالد بالخبر فعاتب أبا عبيدة على عدم تبليغه. ولقد أثبت الواقع التاريخي أن عمر رضي الله عنه كان موفقاً أتم التوفيق وقد نجح في سياسته هذه نجاحاً منقطع النظير، فعزل وولى، فلم يكن من ولاّه أقل كفاية ممن عزله، ومرد ذلك لروح التربية الإسلامية التي قامت على أن تضمن دائماً للأمة رصيداً مذخوراً من البطولة والكفاية السياسية الفاضلة، وقد استقبل خالد هذا العزل بدون اعتراض وظل رضي الله عنه تحت قيادة أبي عبيدة رضي الله عنه حتى فتح الله عليه قنّسرين فولاه أبو عبيدة عليها، وكتب إلى أمير المؤمنين يصف له الفتح وبلاء خالد فيه، فقال عمر قولته المشهورة: أمّر خالد نفسه، رحم الله أبا بكر، هو كان أعلم بالرجال مني، ويعني عمر بمقولته هذه أن خالداً فيما أتى به من أفانين الشجاعة وضروب البطولة قد وضع نفسه في موضعها الذي ألفته في المواقع الخطيرة من الإقدام والمخاطرة، وكأنما يعني عمر بذلك أن استمساك أبي بكر بخالد وعدم موافقته على عزله برغم الإلحاح عليه إنما كان عن يقين في مقدرة خالد وعبقريته العسكرية التي لا يغني غناءه فيها إلا آحاد الأفذاذ من أبطال الأمم.

هذا وقد عمل خالد تحت إمرة أبي عبيدة نحواً من أربع سنوات فلم يعرف عنه أنه اختلف عليه مرة واحدة، ولا ينكر فضل أبي عبيدة وسمو أخلاقه في تحقيق وقع الحادث على خالد فقد كان لحفاوته به وعرفانه لقدره، وملازمته صحبته والأخذ بمشورته وإعظامه لآرائه وتقديمه في الوقائع التي حدثت بعد إمارته الجديدة، أحسن الأثر في صفاء قلبه صفاء جعله يصنع البطولات العسكرية النادرة وعمله في فتح دمشق وقنّسرين وفِحل شاهد صدق على روحه السامية التي قابل بها حادث العزل، وكان في حالتيه سيف الله خالد بن الوليد، ويحفظ لنا التاريخ ما قاله أبو عبيدة في مواساة خالد عند عزله: .. وما سلطان الدنيا أريد، وما للدنيا أعمل، وإن ما ترى سيصير إلى زوال وانقطاع، وإنما نحن أخوان وقوّام بأمر الله عز وجل، وما يضير الرجل أن يلي عليه أخوه في دينه ودنياه، بل يعلم الوالي أنه يكاد يكون أدناهما إلى الفتنة وأوقعهما في الخطيئة لما تعرض من الهلكة إلا من عصم الله عز وجل، وقليل ما هم[1] .

٢٧ جمادى الأولى سنة ١٣ هـ	معركة أجنادين ثم توجه القوات الإسلامية لحصار دمشق بقيادة خالد بن الوليد .
١٧ جمادى الآخرة سنة ١٣ هـ	معركة مرج الصُفّر الثانية والتي استشهد فيها خالد بن سعيد بن العاص، وكان قائد المسلمين فيها خالد بن الوليد .
٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣ هـ	وفاة أبي بكر الصدّيق وتولي الخليفة عمر بن الخطاب مقاليد الحكم في الدولة الإسلامية .
٢٨ ذي القعدة سنة ١٣ هـ	معركة فِحل بيسان بقيادة أبي عبيدة عامر بن الجراح، وكان خالد بن الوليد على مقدمة الجيش .
١٤ ربيع الأول سنة ١٤ هـ	عودة المسلمين للمرابطة مرة ثالثة لحصار دمشق والتهيؤ لفتحها في عهد الخليفة الجديد .

١ - خالد بن الوليد، صادق عرجون صفحات متعددة .

① الروم ترسل تعزيزات عسكرية من أنطاكيا لفك الحصار الإسلامي عن دمشق، لكنها تفاجأت بهزيمة أسلافها في مرج الصفَّر؛ فتوقفت عند بعلبك.
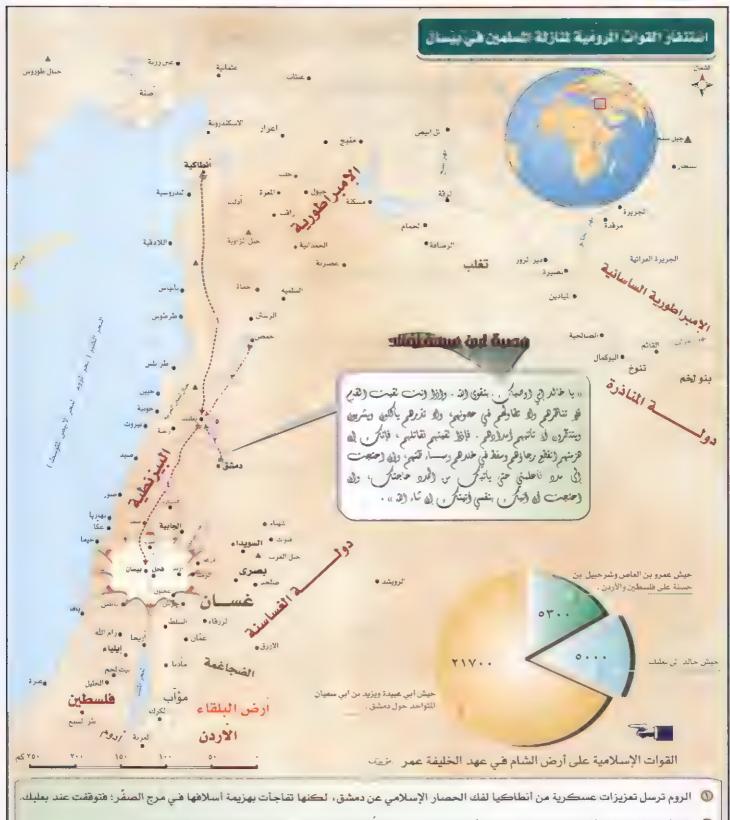
② القائد العام للقوات الإسلامية في بلاد الشام (أبو عبيدة) يبعث خالداً لمنازلة القوات الرومية في بعلبك بخمسة آلاف مقاتل .

③ نصارى حمص يتوجهون لمساندة الجيش الرومي في بعلبك، والذي جاءه الأمر من هرقل بالتوجه صوب بيسان لمساندة القوات الرومية فيها .

④ حينما وصل المسلمون إلى بعلبك لم يجدوا الجيش الرومي، حيث توجه الجيش لمنازلة المسلمين في بيسان بأكثر من عشرين ألف مقاتل .

⑤ أغار خالد على نواحي بعلبك لإنزال الرعب في من بقي من الروم ثم ساق معه عدد من الأسرى والغنائم من أبقار وغنم إلى مقر الجيش الإسلامي .
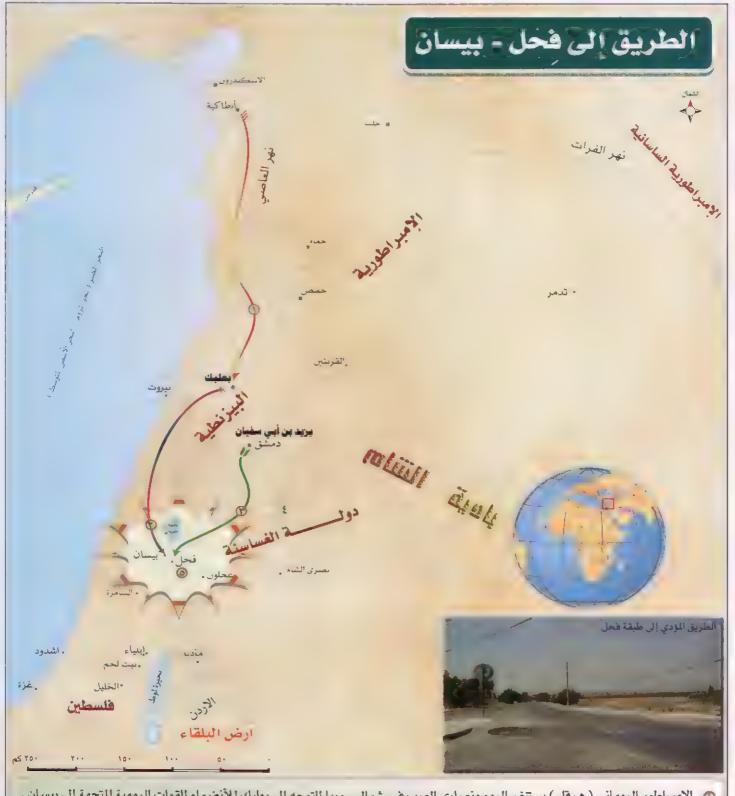
① الامبراطور الروماني (هرقل) يستنفر الروم ونصارى العرب في شمال سوريا للتوجه إلى بعلبك للأنضمام للقوات الرومية المتجهة إلى بيسان .

② القوات الرومية تصل إلى بيسان لتضييق الخناق على المسلمين ومن ثم قطع الإمدادات التي تصل إليهم من المدينة النبوية .

③ القوات الإسلامية تتوجه إلى فحل بقيادة أبي عبيدة عامر بن الجراح، ومقدمة خالد بن الوليد رضي الله عنهما .

④ بطون من نصارى العرب (لخم ، جذام ، غسان ، عاملة ، قضاعة ، القين) تفضّل الانضمام للمسلمين بعدما رأت أن الكفة بدأت لصالحها .

⑤ نصارى العرب في فحل تؤيد مناصرة الروم على القوات الإسلامية .

الموقع العام لمنطقتي فحل ـ بيسان

بحيرة طبرية
بيسان
الأردن
فحل

الطريق الفاصل بين فحل الأردنية وبيسان الفلسطينية

إغارة المسلمين على القرى المساندة للروم

الشمال

شمال فلسطين

بيسان

تل الحصن

نهر جالود

تل المالحة

ماعز

تل نمرود

تل حمير

الدغيم

تل الوحش

تل الكرانتينا

تل الشيخ داوود

نهر الأردن (الشريعة)

فحل

٠ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ كم

١ القوات الرومية تتوقع إغارة المسلمين على بيسان؛ لذلك قامت بتفجير جسور نهر جالود وتفجير مياهه في الساحة التي سيدخل منها المسلمون .

٢ القوات الإسلامية تتجه صوب بيسان لملاقاة الجيش الرومي؛ لكنها تفاجأت بانتشار الوحل الذي وقف حائلاً أمام تقدمها .

٣ أبو عبيدة يوجه الجيش الإسلامي لتحييد أهل القرى والرساتيق والزروع؛ من أجل قطع المدد والتموين عن الجيش الرومي .

٤ القوات الرومية تقف مدافعة عن بيسان بثمانين ألف مقاتل .

٥ نهر الشريعة (الأردن) الطريق الفاصل بين فحل وبيسان .

الجهة الفاصلة بين منطقتي فحل ـ بيسان في الأغوار الشمالية . اللقطتان عدسة المؤلف .

بيسان أو بيت شان بالعبرية "بيت شيئان"

مدينــة عربيــة كنعانيــة من المدن الفلسطينية القديمة. ترجع نشأتها إلى الألف الثاني ق . م، وعرفت قديماً باسم بيت شان عند الكنعانيين وتعني بيت الإله شان أو بيت السكون.

نشــأت فـوق أقدام الحافة الغربية للغـور، وفي سهل بيسان والذي يعتبر حلقة وصل بين وادي الأردن شرقا وسهل مرج ابــن عامــر غرباً. وتشرف على الأجزاء الشمالية من وادي الأردن. وتقع علــى الطريق الذي يصلها بشرق الأردن وحوران ودمشق والطريق التجاري بين مصر والشام. كل ذلك جعل منها ذات أهمية تجارية وعسكرية وزراعية. وهي تنخفض عن سطـح البحـر حوالي ١٥٠ م. وقد شهـدت بيسان مراحل الغـزو المتعاقبة على فلسطين منذ فجـر التاريخ لدول ومماليك عديـدة كان آخرها الاحتلال البريطاني بتاريخ ٢٠-٩-١٩١٨ والذي رحل عنها بعد أن سلم المدينة للمنظمات الصهيونية المسلحة.

ومدينة بيسان هي مركز قضاء بيسان والذي يقع بين قضاء طبرية والناصرة شمالاً، وقضاء نابلس جنوباً ونهر الأردن شرقـاً، وقضـاء جنين غربـاً. وهي مدينة زراعية حيـث تقع في قلب سهل خصــب وافر المياه، وأهــم محاصيلها الحبوب والبقوليـات، والسمسـم والزيتـون والحمضيات والخضـروات. أما في مجـال الصناعة فقد اقتصرت علـى الصناعات التقليدية مثل منتجات الألبان، طحن الحبوب، عصر الزيتون وتجفيف الفواكه.

وفــي مدينــة بيسان مواقع أثريــة هامة تدل على مكانتها وعظمتها عبر التاريخ منها تل الجسر، تل المصطبة، الحصن، موقــع بيســان القديم البيزنطي. وكشفت التنقيبات عن ٤ معابد كنعانية معاصرة لحكم الفراعنة أمينوفس الثالث وسيتي الأول ورعميس الثاني والثالث، وعلى كنيسة بيزنطية وختم بابلي أسطواني عليه كتابات مسمارية وتوابيت ومدافن وجسور من كل العصور وعثر على آثار مصرية فرعونية.

شاركـت بيســان شقيقاتهـا المـدن الفلسطينيـة كل وقائع المظاهــرات والثــورات والمؤتمرات ضد الاحتــلال البريطاني والصهيوني منذ عشرينات القرن الماضي. احتلت المدينة من قبل المنظمات الصهيونية المسلحة بتاريخ ١٢-٥-١٩٤٨م بعد مقاومة عنيفة مــن أهالي بيسان، لكن الغلبة العسكرية كانت للصهاينة وأجبرت المنظمات الصهيونية أهالي مدينة بيسان علــى الرحيل بالقــوة حيث ألقــي بهم على الحــدود السورية واللبنانيــة وهدد من يعود بالذبح. ثم هدمت إسرائيل المدينــة وأعادت بناؤها عام ١٩٤٩م تحت اسم بيت شان وأحاطتها بالعديد من المستعمرات وللأسف الشديد وإلى الله المشتكى !؟ .

موقع جيش الروم على أرض بيسان

نهر جالود (جالوت)

المكان الذي عسكر فيه الجيش الرومي في بيسان

بيسان

مدينة بيسان الفلسطينية

المدرج الروماني ببيسان الفلسطينية

فحل (طبقة فحل "بيلا")

فِحْـل: بكســر أولــه، وسكون ثانيه، وآخره لام: اسم موضع بالشام كانت فيه وقعة للمسلمين مع الروم، ويوم فحل مذكور في الفتوح وأظنه عجميّاً لم أره في كلام العرب، قُتل فيه ثمانون ألفاً من الروم ... وكان يوم فحل يسمى يوم الرَّدَغة أيضاً ويوم بَيسان. الحموي، معجم البلدان مادة فِحل .

وطبقــة فحــل « بيــلا » : احتلهــا الإسكندر المقــدوني سنة ٣٢٢ قبل الميــلاد وجاءت تسميتها نسبــة لإحدى بنات الإسكــندر وكــانت إحــدى مــدن الديكابولس (حلف المدن العشرة) ومن ثم وقعت تحت سيطرة البطالمة إلى أن دخلـت عهـد الفترة الرومانيـة. وعندما سيطر القائـد الروماني بومبي علـى المنطـقة عــام ٣٦ قبل الميلاد. ازدهــــرت وأصبحــت واحــدة من أهم مــدن التحالف التجـاري العسكــري (الديكـابولس) الــــذي أقامــه الامبراطــور بــين المــدن العشــر ذات الأصول التي تنتمــي إلى الثقافة اليونانية. وقــد لجــأ إلى بــيلا الحواريون وأنصــار المسيــح عيــسى عليه السلام هرباً بدينهم مــن ظــلم الرومــان واليـــهود وبنـوا كنائـس وأسســـوا أبرشية، وأصبحت في القرن الرابع الميلادي مركزاً لأبرشية فلسطين .

وتقع طبقة فِحل في غور الأردن من الناحية الشمالية الغربية إلى الشرق من بلدة المشارع . وأجريت في السنوات الأخيرة في البلدة : عدة حفريات أثرية فيها من قبل بعثات أثرية أجنبية وجامعات عالمية تم الكشف فيها عن بعض الكنائس والعثور على قطع فخارية وقطع نقدية. وما تزال أعمال الحفريات مستمرة في هذه المدينة الواسعة، وهي تؤكد علــى أنها كانت عامــرة ومأهولة منذ عشرة آلاف سنة. ويعتبر موقع طبقة فحل من أكبر وأهم المواقع الأثريــة فــي المنطقة. وتعـود معظم الأبنية التــي تم كشــف النقاب عنهــا إلى عهــود الرومان والبيزنطيــين والعرب والمسلمين، من القرن الثاني حتى القرن الرابع عشر للميلاد.

فلس من العهد الأموي سك في منطقة فحل - بيسان سنة ١٢٠ هـ

ويستذكــر المــرء وهو يقف على أطلال هذه المدينة القديمة، ذكريــات المعركة، معركة فِحل - بيسان، التي وقعت بين جيوش العرب المسلمين وجيوش الروم البيزنطيين، والتي أحرز المسلمون فيها ذلك الانتصار التاريخي العظيم في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٣ هـ .

موقع جيش الروم على أرض بيسان

طبقة فحل

من رسالة أبي عبيدة إلى عمر جاء فيها (فإن الروم قد أقبلت فنزلت **فحلاً** طائفة منهم مع أهلها وقد سارع إليهم أهل البلد ومن كان على دينهم من العرب ... إلخ) فكتبت إليك؛ حين نهضت إليهم متوكلاً على الله راضياً بقضاء الله، واثقاً بنصر الله .... ودفع الكتاب إلى نبطي من أنباط الشام وفيج منهم (عداء سريع الجري) أول النهار، وقال له: (انطلق بهذا الكتاب إلى أمير المؤمنين) .

نهض أبو عبيدة بعد ذلك بجموع المسلمين من **فحل** نحو **بيسان** ودنا منهم وتقدمت خيول المسلمين إلى الروم تتعرض لهم فلم يخرجوا يومئذ وانصرف المسلمون عنهم عشاء دون أن يقع بينهم قتال .

وصل الرجل إلى عمر وأسلم على يديه، وكتب عمر كتاباً إلى أبي عبيدة يدعوه إلى الاستعانة بالله وحده والأخذ بالأسباب .

وفي اليوم التالي لزحف أبي عبيدة أخرج إليهم خالد بن الوليد في الفرسان وبقي أبو عبيدة في **فحل** بالمشاة وتقدم خالد بالخيل نحو بيسان فأخرج إليهم الروم فرسانهم بأعداد مهولة وهكذا بدأ الاستعداد للقاء الفريقين على أرض المعركة من ارض فحل الأردنية .

المؤلف أمام أطلال الكنيسة الغربية في طبقة (فحل)

جانب آخر من أطلال الكنيسة الغربية في فحل

مسرح الأحداث الأول في معركة فحل - بيسان، على أرض طبقة فحل الأردنية بين المسلمين والروم.

لقطات مختارة لمنطقة الأغوار الأردنية بطبقة فحل المطلة على منطقة بيسان في فلسطين الحبيبة .

معركة فحل بيسان

الاثنين [illegible] من ذي القعدة سنة [illegible]
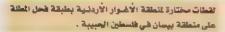
في اليوم التالي لزحف أبي عبيدة – الذي لم يشتبك فيه مع الروم – أخرج إليهم خالد بن الوليد في الفرسان وبقي أبو عبيدة في فحل بالمشاة. وتقدم خالد بالخيل نحو بيسان فأخرج الروم إليه فرساناً كثيرة لم يذكر الرواة عددها. وعلى أرض المعركة قسم خالد فرسانه ثلاثة أقسام وجعل قيس بن هبيرة المرادي على ثلثهم في الميمنة، وجعل الثلث الثاني في القلب وعليهم ميسرة بن مسروق العبسي، وبقي في ثلث بالميسرة. ثم بعث خالد إلى قيس « اخرج في خيلك حتى تأتي ميسرتهم (وهي من المشاة) فتحمل عليها ». وقال لميسرة: « صفف مقابل صفهم في خيلك وضمها إليك كتيبة واحدة، فإذا رايتنا قد حملنا وقد انتقض صفهم فاحمل على من يليك منهم ».

كان خالد وهو يتراجع بفرسانه أمام رشق سهامهم ينظر إلى ما فعلوه في صفوفهم وكيف صفوها، وكان يبحث بنظرته في الخرب عن ثغرة، وهداه فكره أن تدعيم فرسان الروم بمشاتهم ورماتهم في القلب قوة لهم، وأن أجنابهم من المشاة المجردة من الفرسان أو الرماة نقاط ضعف لديهم، فخرج خالد بميسرة فرسانه حتى انتهى إلى ميمنتهم، حتى إذا علاها وارتفع عليهم وخاف الروم أن يلتف من ورائهم بعثوا إليه فرساناً لتشغله عن ذلك، كذلك ارتفع قيس بن هبيرة إلى ميسرتهم فأخرجوا إليه خيلاً كثيفة كما صنعوا أمام خالد.

وكان ذلك ما أراد خالد، إنما أراد أن يستدرج فرسانهم بعيداً عن مشاتهم ليتفقدهم عنصر التعاون بينهما، وتركهم يتقدمون حتى إذا دنوا منه قال: « الله أكبر، أخرجهم الله لكم من رجالتهم، شدوا عليهم ».

ثم استعرضهم خالد فشد عليهم وشد معه أصحابه فهزمهم ووضعوا الرماح والسيوف فيهم حيث شاءوا وصرعوا منهم خلقاً كثيراً قبل أن ينتهوا إلى ميمنتهم، وهكذا تم لخالد تصفية هذا النجاح من فرسان سكلاريوس، وكذلك كان الحال في قطاع قيس بن هبيرة. وكان واثلة بن الأسقع في خيل ابن هبيرة فعرض له بطريق من كبارهم فبرز له واثلة وهو يقول:

لَيْثٌ وليث في مجال ضنك ... كلاهما ذو أنف ومعك
أجول جول صارم في العرك ... أو يكشف الله قناع الشك

ثم حمل على البطريق فضربه ضربة فقتله وحملوا بأجمعهم حتى اضطروهم إلى عسكرهم ثم وقفوا تجاههم. قال الرواة: « وحمل عليهم قيس بن هبيرة من قبل ميسرتهم فقصف بعضهم على بعض ». وقد تكسرت في يد قيس يومئذ ثلاثة أسياف وبضعة عشر رمحاً وكان يقاتل وهو يقول:

لا يبعدن كل فتى كرار ... ماضي الجنان خشن صبار
حبوتهم بالخيل ولأدبار ... تقدم إقام الشجاع الضاري

معركة فحل ـ بيسان

يوم الأثنين الثامن والعشرون من شهر ذي القعدة من السنة الثالثة عشرة من الهجرة المباركة.

نهر جالود
بيسان
تل المالحة
شمال فلسطين
ماعز
نهر الأردن (الشريعة)
تل نمرودة
تل حميرة
جيش الروم
قلب
ميسرة
ميمنة
سقلار
قيس بن هبيرة
تقدم القوات الإسلامية إلى الجانب الأخر من نهر الأردن .
من آثار فحل . متحف عمان . تصوير المؤلف
فحل
ميمنة
ميسرة بن مسروق
قلب
ميسرة
جيش المسلمين
خالد بن الوليد
صفر ١ ٢ كم

قال القعقاع بن عمرو :

كم من أب لي قد ورثت فعاله ... جمّ المكارم بحره تيار
ورث المكارم عن أبيه وجده ... فبنى بناءهم له استبصار
فبنيت مجدهم وما هدمته ... وبَنِيّ بعدي إن بقوا عمّار
مازال منا في الحروب مُرَوَّس ... ملك يغير وخلفه جرار
بطل اللقاء إذا الثغور توكلت ... عند الثغور مُجَرَّبٌ مِظفار
وغداة فحل قد رأوني مُعْلَماً ... والخيل تنحط والبلا أطوار
يفدي بلائي عندها متكَلّفٌ ... سلس المياسر عنده خوار
سلس المياسر ما تسامى ما قطا ... عند الرهان معيّر عيار
ما زالت الخيل العراب تدوسهم ... في حوم فحل والهبا موّار
حتى رمين سراتهم عن أسرهم ... في ردغة ما بعدها استمرار
يوم الرداغ بُعيد فحل ساعة ... وخز الرماح عليهم مدرار
ولقد أبرنا في الرداغ جموعهم ... طرًا ونحوي تشخص الأبصار

مقارنة بين أعداد الجيش الرومي والجيش الإسلامي في فحل ـ بيسان

وقاتل خالد بن الوليد يومئذ قتالاً شديداً ما قاتل مثله أحد من المسلمين فكان حديثاً ومثلاً لمن حظره، كان يستعرض صفوفهم وجماعتهم فيحمل عليهم حتى يخالطهم ثم يجالدهم حتى يفرقهم ويهزمهم ويكثر القتل فيهم. قتل في ذلك اليوم أحد عشر جلاً من بطارقة الروم وأشدائهم وأهل الشجاعة منهم وكان يقول :

أضربهم بصارم مهند   ضرب صليب لدين هاد مهتد

لا واهن القول ولا مفنَد

ويبدو أن الروم حاولوا القيام بهجوم مضاد. قال ثابت بن سهل بن سعد « كان معاذ بن جبل يومئذ من أشد الناس علينا حرصاً وأمضاهم في قارب الروم سيفاً، فبينما هو يحارب في ميمنة المسلمين إذ أقبلت جنود الروم تحوط عسكر المسلمين، فبرز إليهم معاذ بن جبل في رجاله ونادى فقال: أيها الناس اعلموا رحمكم الله أن الله قد وعدكم بالنصر وأيدكم بالنصر وأيدكم بالأيمان فانصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم واعلموا أن الله معكم وناصركم على عبدة الأوثان ».

كان القتال في تلك المعركة أشد قتال اقتتلوه قط، وقد طوى المسلمون جناحي جيش الروم ثم انفردوا بعدهما بالقلب حتى تضعضع وقد أظلم الليل. وانهزم الروم وهم حيارى، وقد قتل في المعركة قائدهم سقلار (سكلاريوس) والذي يليه نسطورس وظفر المسمون أحسن ظفر وأهنأه، وركبوهم وهم يظنون أن لديهم خطة سوف يتبعونها للانسحاب والتراجع إلى بيسان ولكن استبان للمسلمين أن الروم حيارى لا يعرفون ما يعملون ولا يتبينون مسالكهم ثم أسلمتهم هزيمتهم وحيرتهم إلى الوحل فتورطوا فيه، ولحق أوئل المسلمين بهم وقد وحلوا وهم لا يستطيعون دفعاً عن أنفسهم فتصيدهم المسلمون بالرماح وكانت مصارعهم في الطين، وأصيب الثمانون ألفاً لم يفلت منهم إلا الشريد: قال الرواة : وكان الله يؤيد المسلمين بما كانوا يكرهون، كرهوا البثوق فكانت عوناً لهم على عدوهم. وذهب البلاذري إلى أن قتلى الروم كانوا زهاء عشرة آلاف وأن الباقين قد تفرقوا في مدن الشام ولحق بعضهم بهرقل في أنطاكية . وقال الأزدي « ذهبت منهزمة الروم من فحل حتى قدموا على ملك الروم بأنطاكية، وخرجت فرسان من فرسان الروم ورجال من عظمائهم وذوي الأموال والغناء والقوة ممن كان واطن الشام فدخلوا قيسارية وتحصن أهل فلسطين بإيلياء » . أحمد عادل كمال ، الطريق إلى دمشق، ص ٣٣٠ – ٣٤٤ .

قال ابن إسحاق: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يثبت لهم العدو فواقاً عند اللقاء، فقال هرقل وهو على أنطاكية لما قدمت منهزمة الروم، قال لهم: أخبروني ويلكم عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أليسوا هم بشر مثلكم؟ قالوا: بلى، قال: فأنتم أكثر أم هم، قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافاً في كل موطن، قال: فما بالكم تهزمون كما لقيتموهم، فقال شيخ من عظمائهم: **من أجل أنهم يقومون بالليل، ويصومون بالنهار، ويوفون بالعهد، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويتناصفون بينهم، ومن أجل أنا نشرب الخمر ونزني ونركب الحرام وننقض العهد ونغصب ونظلم، ونأمر بما يسخط الله وننهي عما يرضي الله، ونفسد في الأرض. قال: أنت صدقتني.** ابن منظور ، مختصر تاريخ دمشق، النسخة الإلكترونية .

عودة الجيش الإسلامي لحصار دمشق
الشمال
عـودة أبي عبيدة عامر بن الجـراح رضي الله عنه: بجيوش المسلمـين من الأردن إلى دمشق فحاصرها من جميع جهاتها لمدة أربعة أشهر .
طرطوس
حمص
البحر الكبير (بحر الروم - البحر الأبيض المتوسط)
طرابلس
الإمبراطورية
البيزنطية
لبنان
جبيل
جونية
بعلبك
بيروت
زحلة
صيدا
دمشق
صور
سوريا
القنيطرة
صفد
عكّا
عباعب
شهباء
الجابية
قنوات
طبرية
السويداء
جبل العرب
درعا
دولة الغساسنة
بيسان
فحل
أربد
الرمثا
بصرى
صلخد
فلسطين
عجلون
نابلس
جرش
الأردن
١٢٥ كم
١٠٠
٧٥
٥٠
٢٥
٠

دمشق في التراث الجغرافي

دمشق: هي مصر الشام ودار الملك أيام بني أمية وثم قصورهم وآثارهم، بنيانهم خشب وطين وعليها حصن أحدث وأنا به من طين، أكثر أسواقها مغطاة ولهم سوق على طول البلد مكشوف حسن، وهو بلد قد خرقته الأنهار، وأحدقت به الأشجار. وكثرت به الثمار، مع رخص أسعار. وثلج وأضداد لا ترى أحسن من حماماتها ولا أعجب من فواراتها ولا أحزم من أهلها، الذي عرفت من دروبها باب الجابية باب الصغير باب الكبير باب الشرقي باب توما باب النهر باب المحامليين، وهي طيبة جداً غير أن في هوائها يبوسة، وأهلها غاغة، وثمارها تفهة، ولحومها عاسية، ومنازلها ضيقة، وأزقتها غامة، وأخبازها ردية، والمعايش بها ضيقة تكون نحو نصف فرسخ في مثله في مستوى، والجامع أحسن شيء للمسلمين اليوم، ولايعلم لهم مال مجتمع أكثر منه، قد رفعت قواعده بالحجارة الموجهة كباراً مؤلفة وجعل عليها شرف بهية، وجعلت أساطينها أعمدة سوداً ملساً على ثلاثة صفوف واسعة جداً، وفي الوسط ازاء المحراب قبة كبيرة، وأدير على الصحن أروقة متعالية بفراخ فوقها، ثم بلط جميعه بالرخام الأبيض وحيطانه إلى قامتين بالرخام المجزع ثم إلى السقف بالفسيفساء الملونة في المذهبة صور أشجار وأمصار وكتابات على غاية الحسن والدقة ولطافة الصنعة، وقل شجرة أو بلد مذكور إلا وقد مثل على تلك الحيطان، وطليت رؤوس الأعمدة بالذهب، وقناطر الأروقة كلها مرصعة بالفسيفساء، وأعمده الصحن كلها رخام أبيض، وحيطانه بما يدور والقناطر وفراخها بالفسيفساء نقوش وطروح، والسطوح كلها ملبسة بشقاق الرصاص، والشرافيات من الوجهين بالفسيفساء، وعلى الميمنة في الصحن بيت مال على ثمانية عمد مرصع حيطانه بالفسيفساء، وفي المحراب وحوله فصوص عقيقية وفيروزجية كأكبر ما يكون من الفصوص، وعلى الميسرة محراب آخر دون هذا للسلطان، وقد كان تشعث وسطه فسمعت إنه أنفق عليه خمسمائة دينار حتى عاد إلى ما كان، وعلى رأس القبة ترنجة فوقها رمانة كلاهما ذهب، ومن أعجب شيء فيه تأليف الرخام المجزع كل شامة إلى أختها، ولو أن رجلاً من أهل الحكمة أختلف إليه سنة لأفاد منه كل يوم صيغة وعقدة أخرى، ويقال أن الوليد جمع لبنائه حذاق فارس والهند والمغرب والروم، وأنفق عليه خراج الشام سبع سنين مع ثماني عشرة سفينة ذهب وفضة أقلعت من قبرص سوى ما أهدى إليه ملك الروم من الآلات الفسيفساء، ويدخل إليه العامة من أربعة أبواب: باب

وصف ابن جبير دمشق بقوله: «وأما دمشق فهي جنة المشرق، ومطلع نورها المشرق، وخاتمة بلاد الإسلام متى استقريناها، وعروس المدن التي اجتليناها. قد تحلت بأزاهير الرياحين وتجلت في حلل سندسية من البساتين، وحلت موضع الحسن بالمكان المكين، وتزينت في منصتها أجمل تزيين، وتشرفت بأن أوى المسيح عليه السلام وأمه منها إلى ربوة منها ذات قرار ومعين وظل ظليل، وماء سلسبيل، تنساب مذانبه انسياب الأراقم بكل سبيل، ورياض يحيي النفوس نسيمها العليل، تتبرج لناظريها بمجتلى صقيل، وتناديهم هلموا إلى معرس للحسن ومقيل، وقد سئمت أرضها كثرة الماء، حتى اشتاقت إلى الظماء. فتكاد تناديك بها الصم والصلاب: **اركض برجلك، هذا مغتسل بارد وشراب.** وقد أحدقت البساتين بها إحداق الهالة بالقمر والأكام بالثمر، وامتدت بشرقيها غوطتها الخضراء امتداد البصر، وكل موضع لحظت بجهاتها الأربع نضرته اليانعة قيد البصر ولله صدق القائلين عنها: إن كانت الجنة في الأرض فدمشق لا شك فيها، وإن كانت في السماء فهي تساميها وتحاذيها ...» رحلة ابن جبير.

البريد عن اليمين كبير له فرخان عن يمين وشمال على كل واحدٍ من الباب الأعظم والفرخين مصراعان مصفحة بالصفر المذهب وعلى الباب والفرخين ثلاثة أروقة كل باب منهما يفتح إلى رواق طويل قد عقدت قناطره على أعمدة رخام، لبست حيطانه على ما ذكرنا، وجمع السقوف مزوقة أحسن تزويق، وفي هذه الأروقة موضع الوراقين ومجلس خليفة القاضي، وهذا الباب بين المغطى والصحن يقابله عن اليسار باب جيرون على ما ذكرنا، غير أن الأروقة معقودة بالعرض يصعد إليه في درج يجلس فيه المنجمون وأضرابهم، وباب الساعات في زاوية المغطى الشرقية مصراعان سواذج عليه أروقة يجلس فيه الشروطيون وأشباههم، والباب الرابع باب الفراديس مصراعان قبال المحراب في أروقة بين زيادتين عن يمين وشمال عليه منارة محدثة مرصعة على ما ذكرنا، وعلى كل من هذه الأبواب ميضأة مرخمة ببيوت ينبع فيها الماء وفوارات خارجة في قصاع عظيمة من رخام. ومن الخضراء وهي دار السلطان أبواب إلى المقصورة مصفحة مطلية، وقلت يوماً لعمي يا عم لم يحسن الوليد حيث أنفق أموال المسلمين على جامع دمشق ولو أصرف ذلك في عمارة الطرق والمصانع ورم الحصون لكان أصوب وأفضل، قال: لا تقل يا بني أن الوليد وفق وكشف له عن أمرٍ جليل وذلك أنه رأى الشام بلد النصارى، ورأى لهم فيها بيعاً حسنة قد أفتن زخارفها وانتشر ذكرها، كالقيامة وبيعة لدّ والرُّها. فاتخذ للمسلمين مسجداً أشغلهم به عنهن وجعله أحد عجائب الدنيا، ألا ترى أن عبد الملك لما رأى عظم قبة القيامة وهيأتها خشي أن تعظم في قلوب المسلمين، فنصب على الصخرة قبةً على ما ترى. ووجدت في كتاب بخزائن عضد الدولة عروسا الدنيا دمشق والرَّي. وقال يحيى بن أكثم ليس بالأرض أنزه من ثلاث بقاع سمرقند، وغوطة دمشق، ونهر الأبلة. ودمشق بناها دمشق بن قاني بن مالك بن ارفخشذ بن سام قبل مولد ابراهيم بخمس سنين وقال الأصمعي لا بل اشتق اسمها من دمشقوها أي أسرعوها. المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم.

ومدينة دمشق من أجمل بلاد الشام وأحسنها مكاناً وأعدلها هواء وأطيبها ثرىً وأكثرها مياهاً وأغزرها فواكه وأعمها خصباً وأوفرها مالاً وأكثرها جنداً وأشمخها بناءً ولها جبال ومزارع تعرف بالغوطة وطول الغوطة مرحلتان في عرض مرحلة وبها ضياع كالمدن مثل المزة وداريا وبرزة وحرسة وكوكبا وبلاس وكفرسوسية وبيت الأهواء وبها جامع قريب الشبه بجامع دمشق ومن باب دمشق الغربي وادي البنفسج وطوله اثنا عشر ميلاً وعرضه ثلاثة أميال وكله مغروس بأجناس الثمار تشقه خمسة أنهار وغير ذلك ويكون في كل واحدة من هذه الضياع من ألفي رجل إلى ألف وأقل وأكثر والغوطة أيضاً هي أشجار وأنهار ومياهها مخترقة تشق البساتين والديارات وبها من أنواع الفواكه ما لا يحيط به تحصيل ولا يأتي به تمثيل كثرةً وخصباً وطيباً ودمشق أنزه بلاد الله من خارج.

ومياه الغوطة الجارية بها تخرج من عين الفيجة وهذه العين في أعلى جبل وينصب ماؤها من أعلى هذا الجبل كالنهر العظيم له صوت هائل ودوي عظيم يسمع على بعد ويرى نزول الماء من أعلى الجبل على قرية ابل حتى ينتهي إلى المدينة فتتفرع منه الأنهار المعروفة بها منها نهر يزيد ونهر ثورة ونهر بردى ونهر قناة المزة ونهر باناس ونهر سقط ونهر يشكور ونهر عادية وهذا النهر ليس بمشروب منه لأن عليه مصبات أوساخ المدينة وأوذار غسالاتها وقنوات صغار ويشق لهذا النهر وسط المدينة وعليه قنطرة يجتاز عليها الناس وكذلك أيضاً سائر الأودية التي ذكرناها تخرج منها سواق تخترق المدينة وتجري إلى دورها وحماماتها وبساتينها وأسواقها. الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق.

تحكي مدينة دمشق العريقة عن تاريخ ضارب في أعماق الحضارة الإنسانية، فهي قديمة بقدم الإنسانية وعاصمة للكثير من الممالك والحضارات والإمبراطوريات والدول عبر التاريخ، وحاضرة قائمة منذ أقدم العصور، مرت بها وعرفتها كافة الحضارات التي قامت في الشرق وأهم الإمبراطوريات في الغرب ، كانت موطناً للآراميين في أواخر الألف الثاني قبل الميلاد، تعاقب على حكمها الآشوريون والكلدانيون واليونان والرومان والفرس، وسقطت بأيدي الإسكندر الأكبر عام ٣٣٣ ق.م. وبعد وفاته، أصبحت دمشق جزءاً من المملكة السلوقية. احتلها الإمبراطور الروماني بومبيي الأكبر عام ٦٤ ق.م وأصبحت من أهم المدن في العصر الروماني . دخلت النصرانية إلى دمشق في السنوات الأولى لانتشارها، وقد ارتبط تاريخ دمشق بالعالم اليوناني لفترة تقدر بحوالي عشرة قرون، عرفت المدينة خلالها ازدهار الحضارة الهلنستية، حيث تمازجت عناصر الثقافة اليونانية مع الحضارة السورية الشرقية وثقافته وكذلك كافة الحضارات التي مرت بالمدينة في العصور القديمة .

دَمَشْقُ الشَّام: بكسر أوله، وفتح ثانيه، هكذا رواه الجمهور، والكسر لغة فيه، وشين معجمة، وآخره قاف: البلدة المشهورة قصبة الشام، وهي جنة الأرض بلا خلاف لحسن عمارة ونضارة بقعة وكثرة فاكهة ونزاهة رقعة وكثرة مياه ووجود مآرب، قيل: سميت بذلك لأنهم دَمْشَقوا في بنائها أي أسرعوا؛ وناقة دَمْشق، بفتح الدال وسكون الميم: سريعة، وناقة دمشقة اللحم: خفيفة: قال الزَّفَيانُ:وصاحبي ذات هباب دمشق

قال صاحب الزيج: دمشق طولها ستون درجة، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة ونصف، وهي في الإقليم الثالث؛ وقال أهل السير: سميت دمشق بدماشق ابن قاني بن مالك بن أرفخشد بن سام بن نوح، عليه السلام، فهذا قول ابن الكلبي، وقال في موضع آخر: ولد يقطان بن عامر سالف وهم السلف وهو الذي بَنى قصبة دمشق، وقيل: أول من بناها بيوراسف، وقيل: بُنيت دمشق على رأس ثلاثة آلاف ومائة وخمس وأربعين سنة من جملة الدهر الذي يقولون إنه سبعة آلاف سنة، وولد إبراهيم الخليل، عليه السلام، بعد بنائها بخمس سنين، وقيل: إن الذي بَنى دمشق جَيْرون بن سعد بن عاد ابن إرم بن سام بن نوح، عليه السلام، وسماها إرم ذات العماد، وقيل: إن هوداً، عليه السلام، نزل دمشق وأسس الحائط الذي في قبلي جامعها، وقيل: إن العازر غلام إبراهيم، عليه السلام، بَنى دمشق وكان حبشيًّا وهبه له نمرود بن كنعان حين خرج إبراهيم من النار، وكان يسمَّى الغلام دمشق فسماها باسمه، وكان إبراهيم، عليه السلام، قد جعله على كلّ شيء له، وسكنها الروم بعد ذلك؛ وقال غير هؤلاء: سميت بدماشق بن نمرود بن كنعان وهو الذي بناها، وكان معه إبراهيم، كان دفعه إليه نمرود بعد أن نجّى الله تعالى إبراهيم من النار؛ وقال آخرون: سميت بدمشق بن إرم بن سام بن نوح، عليه السلام، وهو أخو فلسطين وأيلياء وحمص والأُرْدُنّ، وبَنَى كل واحد موضعاً فسمي به. الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٦٣ - ٤٦٤.

المجتمع الدمشقي قبل الفتح الإســلامي

المجتمع الدمشقي
اللاجئون
العرب النصارى (أعداد كبيرة)
السريان (أعداد كبيرة)
أقلية يهودية
حامية رومانية
عائلات رومانية حاكمة
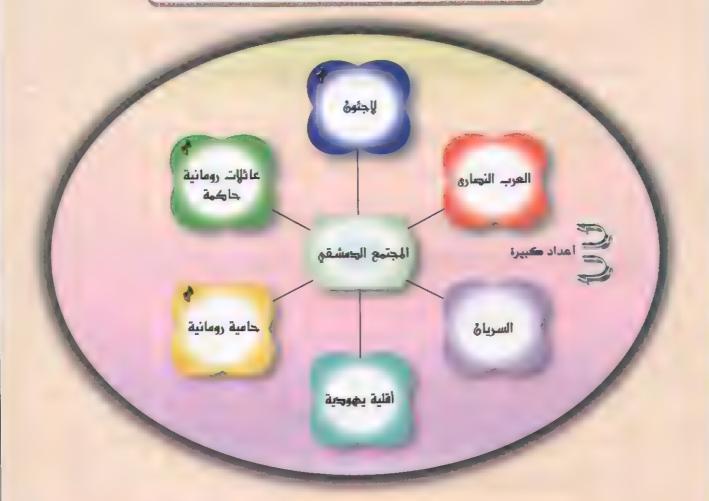
اللاجئون:
وهم سكان المناطق المجاورة الذين لجاوا لمدينة دمشق.

العائلات الرومانية الحاكمة:
وكانت تحت زعامة القائد العام لجيش الروم في دمشق (توماس) وهو زوج ابنة الامبراطور الروماني (هرقل).

الحامية الرومانية:
ويتراوح عددها بين خمسة عشر ألفاً وستة عشر ألفاً، وتقوم بالدفاع عن المدينة من خلال الانتشار الواسع في أجزائها الكبيرة.

أقدم كنيسة نصرانية داخل أسوار دمشق القديمة

بيت دمشقي قديم
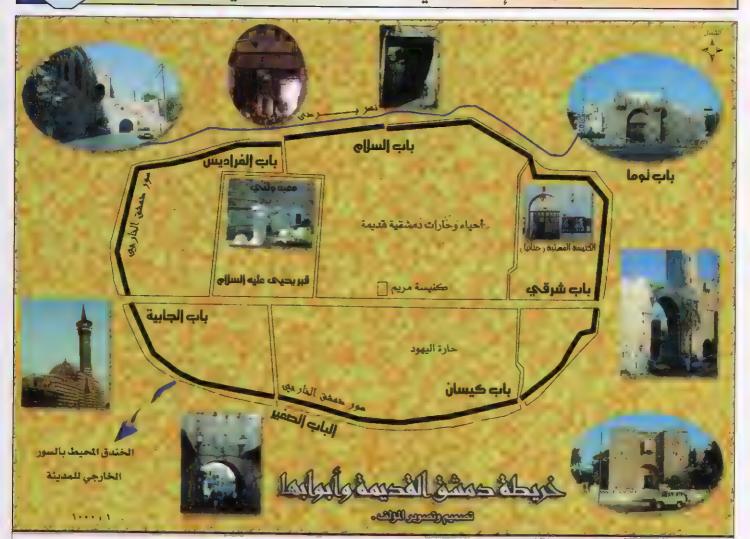
سور دمشق :

إنه السور الحجري الذي يحيط بدمشق القديمة من جميع جهاتها، ويقوم على قواعد سور من العهد الآرامي والمجدد في العهد اليوناني. وهو عبارة عن حجارة كلسية صلبة يعود معظم أجزائه إلى القرن الثالث الميلادي (العهد الروماني) وهو يحوي في طياته أعمال ترميم وتجديد حلت به عبر العهود التي تعاقبت على دمشق، وبخاصة في العهدين الزنكي والأيوبي؛ حيث كان السور الروماني قد تعرض إلى تخريب وتدمير في أجزاء عديدة منه في العهد العباسي وذلك في عام ٧٥٠ م، ولم يبق منه عندئذ سوى الجزء الممتد بين باب السلام وباب توما، وجزءاً من السور الشرقي بما في ذلك الباب الشرقي. ويبلغ طول السور كاملاً (محيط) بحدود ٤٥٠٠م (امتداده الشرقي - الغربي نحو ١٥٠٠ م، والشمالي - الجنوبي نحو ٧٥٠ م) وارتفاعه الوسطي بحدود خمسة أمتار. وكان يضم عدداً من الأبراج في جهاته المختلفة، مايزال برجين منهما يشدان الانتباه، أحدهما يقع إلى الجنوب من باب الجابية ذو شكل مستدير شيّد في عهد نور الدين زنكي ويحمل اسمه، والآخر يقع شرقي باب توما مباشرة وشكله مربع شيّد على ما يبدو في عهد الملك الأيوبي الصالح أيوب في القرن الثالث عشر م.

أبواب دمشق :

كان السور يضم في العهد الروماني سبعة أبواب (باب شرقي، وباب كيسان، والباب الصغير، وباب الجابية، وباب الفراديس، وباب السلام، وباب توما)، ما يزال الباب الشرقي أنموذجاً حياً عنها بما أضيف إليه من مأذنة شامخة في عهد نور الدين زنكي. ومع ترميم السور وتجديد ما هدم منه في عهد نور الدين، كما في باب الفرج وباب النصر، وسد باب كيسان. ولقد أزيلت بعض الأبواب مع التطورات التي طرأت على المدينة. بتصرف من كتاب الدكتور / علي حسن موسى (دمشق مصايفها ومتنزهاتها) ص ٤٥، ٤٦.

(١) أبو عبيدة يتحرك بجيش المسلمين من الأردن إلى دمشق لمحاصرتها من جهاتها الأربع، ويستولي على غوطة دمشق وما حوت عنوة .

(٢) هرقل يعزز قوات الروم بجيش كبير تصدت له القوات الإسلامية وأجبرته على الفرار .

(٣) القوات الرومية تفر منهزمة نحو حمص على طريق يبرود والنبك وعطية وهو الطريق الشرقي المتاخم للصحراء السورية

(٤) السمط بن الأسود الكندي يتقدم قواته الإسلامية في ملاحقة الجيش الرومي إلى حمص : مما أدى إلى هروب هرقل منها صوب أنطاكية.

(٥) مكان إقامة ذي الكلاع الحميري بقوة مساندة للجيش الإسلامي المحاصر لحمص .

(٦) مكان إقامة أبي الدرداء عند سفح جبل قاسيون بالقرب من قرية برزة .

صور مختارة لغوطة دمشق اليوم ـ عدسة المؤلف .

يحدد د/ علي موسى ، غوطة دمشق ، بأنها ذلك الطوق الأخضر الذي يحيط بدمشق من الشرق والجنوب والغرب باتساع يتراوح بين خمسة إلى خمسة عشرة كم : فهي تبلغ السيدة زينب جنوباً وجديدة عرطوز غرباً والتشابية شرقاً ، بمساحة تبلغ نحو ألفي كم مربع ولولا نهر بردى وتفرعاته الرئيسية (يزيد وثوراً وقنوات وديراني ومزاوي ـ إلخ من فروع الغوطة) لما وجدت الغوطة ، ولما كانت دمشق التي خرجت من طور الاتكال إلى طور بناء الذات) .

والغوطة غوطتان :

أ ـ غوطة غربية : وتقع إلى الغرب من طريق دمشق ـ المطار الدولي ، ومركزها مدينة داريا .

ب ـ غوطة شرقية : وتقع إلى الشرق من الطريق السابق ، ومركزها مدينة عربين .

قلت : لذلك حرص المسلمون على الاستيلاء على غوطة دمشق وما حوت عنوة . من أجل تضييق الحصار على دمشق ؛ إضافة إلى تحييد أهالي الغوطة حتى لا يتمكنوا من مساعدة المحاصرين فيها .

١ بعد ثلاثة أسابيع من حصار المسلمين لدمشق ، جهّز هرقل قوة من الجند عددها أثنا عشر ألف جندي ثم أرسلها من المناطق الشمالية لسوريا لفك الحصار عنها.

٢ أرسل المسلمون ضرار بن الأزور على رأس قوة عددها خمسة آلاف جندي للوقوف ضد تقدم القوات الرومية المساندة .

٣ ضرار بن الأزور يقع في الأسر بعدما جُرح جرحاً بليغاً في ذراعه، فتولى القيادة رافع بن عمير الطائي، بينما توجهت القوة الرومية بضرار إلى حمص .

٤ خالد بن الوليد يقود الجيش الإسلامي بأربعة آلاف فارس لنجدة ضرار بن الأزور .

٥ خالد بن الوليد بعد وصوله إلى ساحة المعركة، يرسل رافعاً على رأس كتيبة من الفرسان لتخليص ضرار من الأسر ومعهم خولة بنت الأزور .

٦ قوات رافع تعود منتصرة بعد أن خلّصت ضراراً من الأسر، ثم عاد المسلمون إلى دمشق بقيادة خالد بن الوليد . مما ثبط معنويات الجيش الرومي في دمشق .

ضرار بن الأزور رضي الله عنه

ضرار بن الأزور واسم الأزور مالك بن أوس بن جذيمة بن ربيعة بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدي أبو الأزور ويقال أبو بلال، قال البخاري وأبو حاتم وابن حبان: له صحبة وقال البغوي: سكن الكوفة وروى ابن حبان والدارمي والبغوي والحاكم من طريق الأعمش عن بجير بن يعقوب عن ضرار بن الأزور، قال: أهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقحة فأمرني أن أحلبها فجهدت حلبها، فقال: دع داعي اللبن وفي رواية البغوي بعثني أهلي إلى النبي صلى الله عليه وسلم بلقوح الحديث وأخرجه البغوي من طريق سفيان عن الأعمش فقال عن عبدالله ابن سنان عن ضرار وروى بن شاهين من طريق موسى بن عبد الملك بن عمير عن أبيه عن ضرار بمعناه وروى البغوي وابن شاهين من طريق عبدالعزيز بن عمران عن ماجد بن مروان حدثني أبي عن أبيه عن ضرار بن الأزور قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأنشدته

خلعت القداح وعزف القيان × والخمر أشربها والثمالا

وكرى المجبر في غمرة × وجهدي على المشركين القتالا

وقالت جميلة بددتنا × وطرحت أهلك شتى شمالا

فيارب لا أغبنن صفقة × فقد بعت أهلي ومالي بدالا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم ربح البيع ورواه الطبراني من طريق سلام أبي المنذر عن عاصم عن أبي وائل عن ضرار، قال البغوي: لا أعلم لضرار غيرهما، ويقال: أنه كان له ألف بعير برعاتها فترك جميع ذلك، ويقال إن النبي صلى الله عليه وسلم أرسله إلى منع الصيد من بني أسد، واختلف في وفاته، فقال الواقدي: استشهد باليمامة وقال موسى بن عقبة: بأجنادين وصححه أبو نعيم، وقال أبو عروبة الحراني نزل حرَّان ومات بها، ويقال شهد اليرموك وفتح دمشق ويقال مات بدمشق، فروى البخاري في تاريخه من طريق بن المبارك عن كهمس عن هارون بن الأصم قال: جاء كتاب عمر وقد توفي ضرار، فقال خالد ما كان الله ليخزي ضراراً وأخرجه يعقوب بن سفيان مطولاً من هذا الوجه، فقلت كان خالد بعث ضراراً في سرية، فأغاروا على حي من بني أسد فأخذوا امرأة جميلة، فسأل ضرار أصحابه أن يهبوها له ففعلوا فوطئها ثم ندم؛ فذكر ذلك لخالد فقال: قد طيبتها لك، فقال: لا حتى تكتب إلى عمر فكتب ارضخه بالحجارة، فجاء الكتاب وقد مات . فقال خالد: ما كان الله ليخزي ضراراً ويقال: إنه الذي قتل مالك ابن نويرة بأمر خالد بن الوليد، ويقال: إنه ممن شرب الخمر مع أبي جندب، فكتب فيهم أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر فكتب إليه ادعهم فسلهم، فإن قالوا: إنها حلال فاقتلهم، وإن زعموا أنها حرام فاجلدهم ففعل، فقالوا: إنها حرام، وقال البخاري في تاريخه عقب قول موسى بن عقبة: إن ضرار بن الأزور استشهد في خلافة أبي بكر وهم وإنما هو ضرار بن الخطاب. ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة

فتح دمشق الشام

يوم الأحد ١٥ رجب سنة ١٤ هـ

سار أبو عبيدة وخالد بن الوليد في قوة كبيرة من جيش المسلمين متجهين إلى دمشق، ولم يجد المسلمون مقاومة من الروم، ولم يعترض طريقهم أحد. وبلغ المسلمون غوطة دمشق فازدادوا حماساً وحمية، وقوي عزمهم على التقدم نحو دمشق التي بهرهم ما تتمتع به من سحر وجمال.

دخل المسلمون الغوطة فوجدوا قصورها ومساكنها خالية بعد أن هجرها أهلها ليحتموا بأسوار المدينة المنيعة من أُسود المسلمين الذين انطلقوا لا يعوقهم شيء، **وحاصر المسلمون مدينة دمشق**، وقدّر أبو عبيدة أن هرقل قد يبعث بمدد من حمص لمحاصرة قواته بين حصون دمشق وجيوش الروم؛ فأرسل جيشاً من المسلمين ليعسكر في الطرق إلى دمشق. ووزع أبو عبيدة قواته (انظر الخارطة في الصفحة المقابلة) على أبواب المدينة؛ لإحكام الحصار عليها فجعل شرحبيل بن حسنة على باب توما، وعمرو بن العاص على باب الفراديس، ويزيد بن أبي سفيان على باب كيسان، وخالد بن الوليد على الباب الشرقي، وكان هو على باب الجابية.

وصدقت فراسة أبي عبيدة؛ فقد أرسل هرقل عدداً كبيراً من القوات لنجدة الروم المحاصرَين في دمشق، ففوجئت هذه القوات بجيش المسلمين الذي كان في انتظارهم، ودارت معركة عنيفة بين الجانبين، واستمر القتال الشديد بين الفريقين حتى انكشف الروم ولحقت بهم هزيمة منكرة، فارتدّوا منهزمين إلى حمص.

وكان لانتصار المسلمين في هذه المعركة أكبر الأثر في نفوسهم؛ حيث قويت عزيمتهم على القتال وتحمل الظروف القاسية التي مر بها جيش المسلمين مع قدوم الشتاء ببرودته الشديدة التي لا يطيقها أبناء الصحراء الحارة. وطال انتظار الرومان المحاصرَين للمدد، وأرسلوا إلى هرقل يستعجلون مدده قبل أن تخور قوتهم وتضعف عزيمتهم على الصمود والمقاومة، فبعث إليهم هرقل يطمئنهم ويحثهم على الثبات والمقاومة، فقوّى ذلك من عزيمتهم، وبعث الأمل في قلوبهم وشجعهم على الثبات وصد هجمات المسلمين.

وظل الحال على ما هو عليه، المسلمون يشددون الحصار، والروم لا يعرفون سبيلاً للخروج من ذلك الحصار، حتى كانت الليلة الحاسمة حيث استطاع خالد بن الوليد الذي كان يراقب الموقف بدقة وعناية فائقتين أن يعبر الخندق هو وجماعة من جيشه منهم القعقاع بن عمرو، ومذعور ابن عدي سباحة بالقرب نفخوها وعلقوها في أعناقهم، وتسلقوا السور الشاهق بالحبال والأوهاق، وانحدروا إلى داخل المدينة بالحبال نفسها، وكبروا فاجتمع المسلمون حول السور والباب، وعالج خالد ومن معه الباب بالسيوف ففتحوها بعد أن قتلوا البوابين، ودخل المسلمون المدينة عنوة، وذعر أهل دمشق فهرعوا إلى الأبواب الأخرى يطلبون الصلح فوافق المسلمون، وعقدوا معهم الصلح ما عدا خالداً فقد دخلها عنوة، والتقى القادة المسلمون في وسط المدينة عند كنيسة المقسلاط بالقرب من درب الريحان .

فتح دمشق

يوم الأحد الخامس عشر من رجب من السنة الرابعة عشر للهجرة المباركة

عمرو بن العاص
شرحبيل بن حسنة

عمرو بن العاص

شرحبيل بن حسنة

قلب الجيش الإسلامي

خالد بن الوليد

جيش العراق

باب شرقي

أبو عبيدة عامر بن الجراح

يزيد بن أبي سفيان

أبو عبيدة عامر بن الجراح
يزيد بن أبي سفيان

صحن الجامع الأموي

لقطات من داخل سور دمشق

عدسة المؤلف

أحد القصور الدمشقية القديمة

باب توما : بابٌ يعود عهد بنائه إلى العهد الروماني، يقع في الجهة الشمالية من سور دمشق. عسكر عنده القائد المسلم شرحبيل بن حسنة رضي الله عنه أثناء حصار دمشق. جُدِد بناء الباب في العهد الأيوبي أيام الملك الناصر داود ابن عيسى الأيوبي سنة ١٢٢٧ م. اللقطات بعدسة المؤلف.

باب شرقي : أشهر أبواب دمشق على الاطلاق، عسكر عنده خالد بن الوليد رضي الله عنه بجيش العراق أثناء حصار دمشق، ويقع الباب مناظراً لباب الجابية، ويتألف الباب من ثلاث بوابات أكبرها البوابة الوسطى. وعلى الجانب الشمالي من البوابة الوسطى ترتفع مأذنة عالية تعود إلى عهد السلطان نور الدين محمود، وتم تجديدها في أواخر القرن السادس عشر الميلادي .

عدسة المؤلف

باب كيسان : ويلي الباب الشرقي من جهة الجنوب، عسكر عنده جيش يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه إضافة إلى معسكره الآخر عند الباب الصغير. سمّي هذا الباب نسبة إلى كيسان مولى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه. وخلف الباب تقع كنيسة (بولس) والتي تضم نفائس الأيقونات النصرانية القديمة ومن أسرارها أيقونة نجاته على أسوار دمشق.

مصمم الأطلس أمام باب كيسان

باب كنيسة بولس من الداخل

الباب الصغير من الجهة الخارجية

الباب الصغير: ويعرف بباب الشاغور. وهو باب دمشق الجنوبي وقد عسكر عنده القائد يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه أثناء فتح المدينة. يبلغ ارتفاعه حوالي ٣٧٣ سم تقريباً، وعرضه نحو ٢٥٠ سم تقريباً. جُدِد بناؤه في عهد السلطان نور الدين محمود زنكي رحمه الله تعالى، وفي عهد الملك المعظم عيسى بن أبي بكر الأيوبي (انظر تاريخ التجديد من خلال الصورة في الأعلى). ومن هذا الباب دخل تيمورلنك إلى دمشق في أوائل القرن التاسع الهجري عندما عاث فيها خراباً وتدميراً.

عدسة المؤلف

أحد المساجد العثمانية داخل سور دمشق وهو ملاصق لباب الجابية

سوق الحميدية القريب من باب الجابية
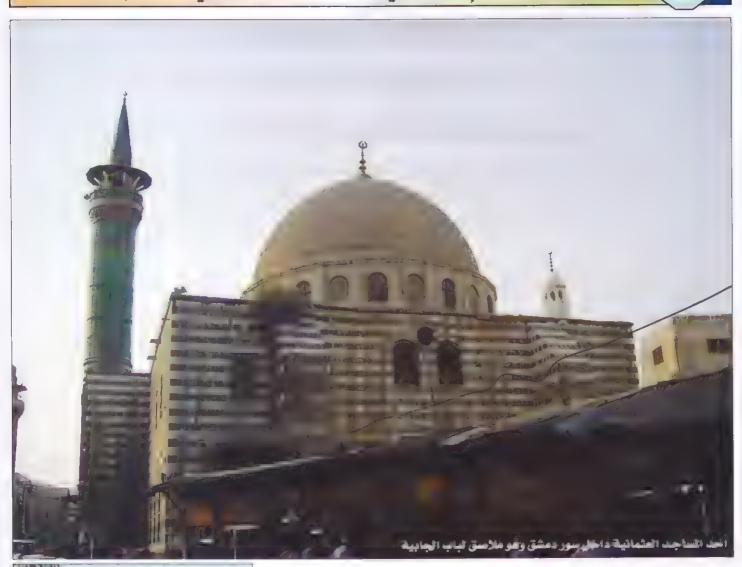
مرتسم لباب الجابية

باب الجابية : وهو الباب المناظر للباب الشرقي من الناحية الغربية . وسمي بهذا الاسم لكونه يؤدي إلى معسكر الجابية الواقع على مشارف فلسطين حيث عسكر عند هذا الباب القائد الأعلى للقوات الإسلامية في بلاد الشام ؛ أبي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه، بجيش قوامه ثمانية آلاف مقاتل .

باب الفراديس من الواجهة الامامية

اللقطات في الصفحتين بعدسة المؤلف

جامع السادات المجاهدين بحالته الحديثة

الباب الملاصق لباب الفراديس والذي يطل على جامع المجاهدين

باب الفراديس : وهو ما يعرف حالياً باسم باب العمارة. قواعده رومانية، أُعيد بناؤه في سنة ٦٣٩ للهجرة المباركة في عهد الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب . عسكر عند هذا الباب أثناء الفتح الإسلامي القائد عمرو ابن العاص رضي الله عنه .

السور [illegible] باب السلام الغربي [illegible]

باب السلام من الواجهة الأمامية

واجهة الباب الشمالي

باب السلام : ويقع إلى الغرب من باب توما بنحو ٤٠٠ م، تقريباً، وهو نفسه باب الجنيق، وكان يسمّى أيضاً باسم باب السلامة، أصله روماني، أعاد بناءه نور الدين محمود، وجدده الملك الصالح أيوب .

ويؤكد، د / علي موسى (في كتابه دمشق : مصايفها ومنتزهاتها) : أن الباب كانت تعلوه مئذنة مثل باب شرقي وعلى أن له ردفتان مصفحتان بالحديد. انظر تصوير المؤلف بعدسته؛ للباب والسور الموصّل إليه .

مؤلف ومصمم الأطلس داخل صحن الجامع الأموي والذي يتوسط سور دمشق القديم
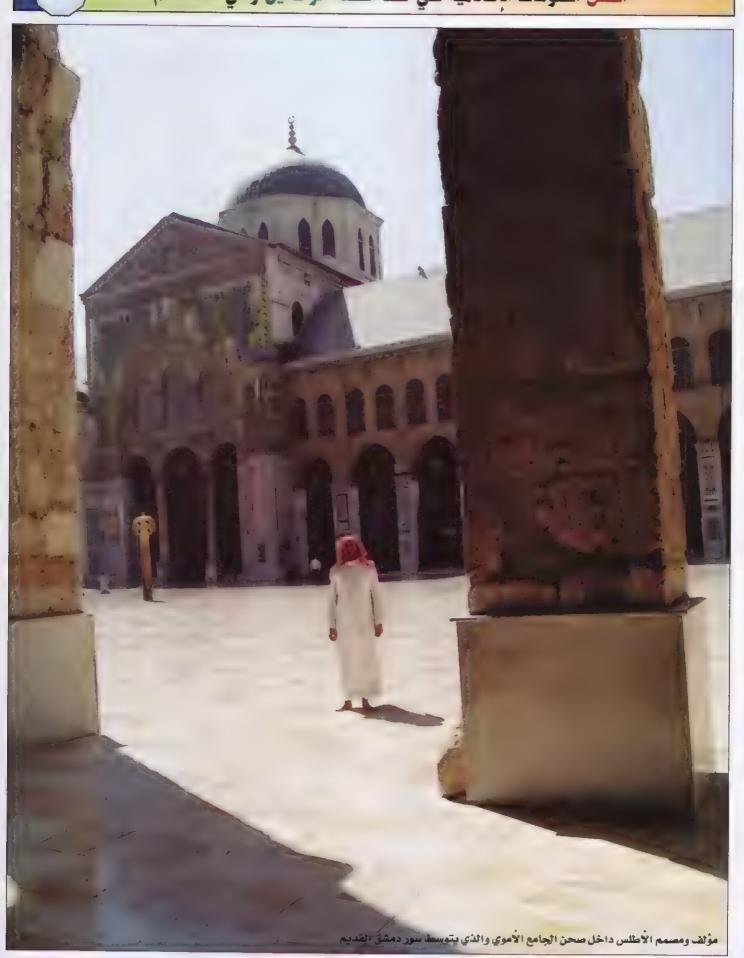
صلح دمشق

قال ابن منظور: وكان صلح دمشق على المقاسمة، الديار والعقار ودينار عن كل رأس، واقتسموا الأسلاب، فكان أصحاب خالد فيها كأصحاب سائر القواد، وجرى على الديار ومن بقي في الصلح **جريب** من كل جريب أرض، ووقف ما كان للملوك ومن صوب معهم فيئاً وبعثوا بالبشارة إلى عمر وقال ابن سراقة: **كان في كتاب صلح دمشق:** هذا كتاب من خالد بن الوليد لأهل دمشق أني أمنتكم على دمائكم وأموالكم ومساكنكم وكنائسكم أن تهدم أو تسكن ما لم تحدثوا حدثاً، أو تؤووا محدثاً **مغيلة**. مختصر تاريخ دمشق، النسخة الإلكترونية .

ج ر ب الجَرَب معروف جَرِب بالكسر فهو أَجْرَبُ وبابه طَرِبَ وقوم جُرْب وجَرْبَى وجمع الجُرْب جِراب بالكسر. والجِرَاب أيضاً معروف والعامة تفتحه والجَمْع أَجْرِبة وجُرُبٌ أيضاً. والجَرِيب من الطعام والأرض مِقدارٌ معلومٌ وجَمْعُه أجربة وجُرْبان.

قلت: الجريب مِكْيالٌ وهو أربعة أقْفزة والجَريب من لأرض مَبْذَر الجَريب الذي هو المِكْيال نقلهما الأزهريّ. والمجَرَّب بفتح الراء الذي قد جَرَّبَتْه الأمورُ وأحْكَتْهُ فإن كَسَرْتَ الراءَ جعلتَه فاعلاً إلا أن العَرَب تَكَلَّمَتْ به بالفتح. والحِرْبة بالكسرة مزْرَعة. وجُرَابٌ بالضم اسم ماء بمكة. زين الدين الرازي، مختار الصحاح .

الجَرِيب - مكيال قدر أربعة أقفِزة والجَرِيب من الأرض - قدر ما يُزرَع فيه ذلك. ابن دريد: ولا أحسبه عربياً والجمع أجربة وجُرْبان. ابن سيده، كتاب المخصص .

مُغِيلَة: بضم أوله ثم الكسر اسم الفاعل من الغيل وهو الماءُ الذي يجري على وجه الأرض، وقيل ما جرى من المياه في الأنهار: إقليم من أعمال شذُونة بالأندلس فيه قلعة وردٍ وفي أرضه سعة. الحموين معجم البلدان .

عدسة المؤلف

لقد أُقيم مسجد دمشق (الجامع الأموي) بعد الفتح الإسلامي إلى بلاد الشام، وتحديداً في الجهة الشرقية الجنوبية من أطلال المعبد الروماني جوبيتر الذي أُنشئ في القرن الأول الميلادي، وأُنشئ في جدار هذا المعبد أول محراب في الإسلام مازال قائماً صلى فيه الصحابة رضي الله عنهم مع خالد ابن الوليد وأبي عبيدة الجراح ، القائدان اللذان فتحا دمشق ونخبة من أعلام وعلماء الإسلام ، حيث أعطى خالد لسكان البلاد أماناً بالحفاظ على ممتلكاتهم ومعابدهم ومساكنهم وعلى أوابد المدينة الخالدة (أقرأ نص صلح دمشق في الصفحة السابقة) .

وفي عهد معاوية بن أبي سفيان، والياً ثم أول خليفة أموي، كان يصلي في هذا المسجد، يدخل إليه من الباب القبلي الروماني ومايزال قائماً في جدار القبلة للجامع .

صلح بعلبك

أواخر شهر ربيع الأول سنة [illegible]

استخلف أبو عبيدة على دمشق يزيد ابن أبي سفيان، ثم سار على سهل البقاع يتقدمه خالد بن الوليد بالمقدمة . وغلب خالد على البقاع حتى نزل على بعلبك فتصدت له قوة فأرسل إليهم خالد نحواً من خمسين فارساً من فرسان المسلمين منهم ملحان بن زياد الطائي وبُنان ابن حازم القيسي فحملوا عليهم حتى أقحموهم حصنهم . ورأى أهل بعلبك ألا أمل لهم في معركة فبعثوا في طلب الصلح فأعطاهم أبو عبيدة ذلك وكتب لهم كتاباً على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم، وأجَّلَهم إلى شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى، فمن أراد الجلاء سار حيث شاء ومن أقام فعليه الجزية . أحمد عادل كمال ، الطريق إلى دمشق ، ص ٣٨٩ .

نص الصلح

« بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب أمان لفلان ابن فلان وأهل بعلبك رومِها وفُرسِها وعربِها على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم ودورهم داخل المدينة وخارجها، وعلى أرحّائهم. وللروم أن يرعوا سرحهم ما بينهم وبين خمسة عشر ميلاً ولا ينزلوا قرية عامرة. فإذا مضى شهر ربيع وجمادى الأولى ساروا إلى حيث شاؤوا، ومن أسلم منهم فله ما لنا وعليه ما علينا. ولتجارهم أن يسافروا إلى حيث أرادوا من البلاد التي صالحنا عليها، وعلى من أقام منهم الجزية والخراج . شهد الله وكفى بالله شهيداً » أبو عبيدة بن الجراح. أحمد عادل كمال ، الطريق إلى دمشق ، ص ٣٨٩ .

قال ياقوت: وقيل: إن **بعلبك** كانت مهرَ بلقيس وبها قصرُ سليمان بن داود عليه السلام وهو مبني على أساطين الرخام وبها قبر يزعمون أنه قبر مالك الأشتر النخعي وليس بصحيح فإن الأشترَ مات بالقلزم في طريقه الى مصر وكان علي رضى الله عنه وجههُ أميراً ... ، وبها قبرٌ يقولون إنه قبر حفصَة بنت عمر زوجة النبي صلى الله عليه وسلم والصحيح أنه قبر حفصة أخت معاذ بن جبل لأن قبر حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة معروف، وبها قبر إلياس النبي عليه السلام وبِقَلْعتها مقام إبراهيم الخليل عليه السلام وبها قبر أسباط ولما فرغ أبو عبيدة بن الجراح من فتح دمشق في سنة أربع عشرة سار إلى حمص فمر ببعلبك فطلب أهلها إليه الأمان والصلح فصالحهم على أن أمنهم على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وكتب لهم كتاباً أجلهم فيه إلى شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى فمن جلا سار إلى حيث شاء ومن أقام فعليه الجزية. معجم البلدان ، ج ١، ص ٤٥٤ .

بعلبك مدينة لبنانية تقع في قلب سهل البقاع الذي اشتهر بغناه ووفرة محاصيله الزراعية لامتداد أراضيه وغزارة مياه نهر الليطاني الذي يروي أراضيه. وهي مركز قضاء محافظة البقاع، واتت التسمية من تركيب كلمتي "بعل" وتعني "رب" و "بك" وترمز للبقاع، كما كانت تسمى "هيليوبولس" (أي مدينة الشمس) عند الرومان. سيمت بالقلعة أيام الخلافة الأموية وهي على مفترق عدد من طرق القوافل القديمة التي كانت تصل الساحل المتوسطي بالبر الشامي وشمال سورية بفلسطين. وقد استفادت عبر تاريخها الطويل من هذا الموقع المميز لتصبح محطة تجارية هامة ومزاراً دينياً عند الوثنيين.

تقع مدينة بعلبك في شمالي سهل البقاع و شرق نهر الليطاني، وتحيط بها من الشرق والغرب سلسلتا جبال لبنان الشرقية والغربية.(انظر الخارطة في الأعلى) وتعلو بعلبك عن سطح البحر ١١٥٠ م. وتبعد عن العاصمة بيروت حوالي ٩٠ كلم من ناحية الشمال ونظراً لموقعها الجغرافي الاستراتيجي وأهميّتها الزراعية فقد أصبحت في عام ٤٧ ق.م مستعمرة رومانية بأمر من يوليوس قيصر والموقع المختار لبناء أكبر الهياكل الرومانية كمعبد باخوس التي عكست ثروة وقوة الإمبراطورية الرومانية. وقد استمرت عمليات البناء فيه أكثر من مئتي عام واشرف عليها أباطرة رومانيون مختلفون . ومن أجل الوصول إلى هذه الهياكل، لا بد للزائر أن يمر أولاً بالأروقة الرومانية الضخمة وبساحتين تحيط بهما الأعمدة المهيبة، انظر صور هذه المدينة التاريخية في الصفحتين التاليتين من هذا الأطلس إن شاء الله تعالى .

مؤلف ومصمم الأطلس أمام بوابة قلعة بعلبك الرئيسة بلبنان؛ ذات البناء الروماني الشاهق الارتفاع من حجر الحبلة الذي يمثل أكبر حجر منحوت في العالم والذي يقع على جانب مدخل مدينة بعلبك من جهة الشرق حيث كان الرومان يقتلعون الحجارة و ينحتونها و يسوقونها إلى المكان المناسب.

بنيت الباحة السداسية وهي نموذج فريد من نوعه في الهندسة الرومانية في القرن الثالث م، فهي الجزء الأحدث في معبد جوبيتر وكانت بمثابة مدخل للباحة الكبرى، كان يلفهما رواق تحيط بالأعمدة؛ بني لحماية مشكاواتها الأربعة وبابيها من الشمس والمطر خلال العصر البيزنطي، أما في العصور الوسطى تحول المعبد إلى قلعة.

اللقطات بعدسة المؤلف

فتح حمص

ربيع الأول سنة ١٥ هـ

حكى الطبرى عن سيف، عن كتابه، عن أبي عثمان، قال: ولما بلغ **هرقل** الخبر بمقتل أهل المرج، أمر أمير **حمص** بالسير والمضي إلى حمص، وقال: إنه بلغني أن طعامهم لحوم الإبل، وشرابهم ألبانها، وهذا الشتاء فلا تقاتلوهم إلا في كل يوم بارد، فإنه لا يبقى إلى الصيف منهم أحداً، هذا جل طعامه وشرابه. وارتحل من عسكره ذلك، فأتى الرهاء، وأخذ بعده حتى ينزل عليها، فكانوا يغارون المسلمين ويراوحونهم في كل يوم بارد؛ ولقى المسلمون بها برداً شديداً، والروم حصاراً طويلاً، فأما المسلمون فصبروا ورابطوا، وأفرغ الله عليهم الصبر، وأعقبهم النصر، حتى اضطرب الشتاء، وإنما تمسك القوم بالمدينة رجاء أن يهلكهم الشتاء.

وعن أبي الزهراء القشيري، عن رجل من قومه، قال: كان أهل حمص يتواصون فيما بينهم، ويقولون: تمسكوا فإنهم حفاة، فإذا أصابهم البرد تقطعت أقدامهم مع ما يأكلون ويشربون؛ فكانت **الروم** تراجع، وقد سقطت أقدام بعضهم في خفافهم، وإن **المسلمين** في النعال ما أصيب أصبع أحد منهم، حتى إذا انخنس الشتاء، قام فيهم شيخ لهم يدعوهم إلى مصالحة المسلمين. قالوا: كيف والملك في سلطانه وعزه، ليس بيننا وبينهم شيء فتركهم وقام فيهم آخر فقال ذهب الشتاء وانقطع الرجاء، فما تنتظرون؟ فقالوا: البرسام، فإنما يسكن في الشتاء ويظهر في الصيف، فقال: إن هؤلاء قوم يعانون؛ ولأن تأتونهم بعهد وميثاق، خير من أن تؤخذوا عنوة؛ أجيبوني محمودين قبل أن تجيبونى مذمومين! فقالوا: شيخ خرف، ولا علم له بالحرب.

وعن أشياخ من غسان وبلقين، قالوا أثاب الله المسلمين على صبرهم أيام حمص أن زلزال بأهل حمص؛ وذلك أن المسلمين ناهدوهم، فكبروا تكبيرة زلزلت معها الروم في المدينة، وتصدعت الحيطان، ففزعوا إلى رؤسائهم وإلى ذوى رأيهم ممن كان يدعوهم إلى المسالمة، فلم يجيبوهم وأذلوهم بذلك، ثم كبروا الثانية، فتهافتت منها دور كثيرة وحيطان؛ وفزعوا إلى رؤسائهم وذوي رأيهم، فقالوا: ألا ترون إلى عذاب الله! فأجابوهم: لا يطلب الصلح غيركم؛ فأشرفوا فنادوا: الصلح الصلح! ولا يشعرون المسلمون بما حدث فيهم، فأجابوهم وقبلوا منهم على أنصاف دورهم، وعلى أن يترك المسلمون أموال الروم وبينانهم؛ لا ينزلونه عليهم، فتركوه لهم، فصالح بعضهم على صلح دمشق على دينار وطعام، على كل جريب أبداً أيسروا أو أعسروا. وصالح بعضهم على قدر طاقته؛ إن زاد ماله زيد عليه، وإن نقص نقص، وكذلك كان صلح دمشق والأردن؛ بعضهم على شئ إن أيسروا وإن عسروا، وبعضهم على قدر طاقته، وولوا معاملة ما جلا ملوكهم عنه. وبعث أبو عبيدة السمط بن الأسود بني معاوية، والأشعث بن مئناس في السكون، معه ابن عابس، والمقداد في بليّ، وبلالاً وخالداً في الجيش، والصباح بن شتير وذهيل ابن عطية وذا شمستان، فكانوا في قصبتها. وأقام في عسكره، وكمتب إلى عمر بالفتح، وبعث بالأخماس مع عبد الله بن مسعود، وقد وفده. وأخبر هرقل؛ وأنه عبر الماء إلى الجزيرة، فهو بالرهاء ينغمس أحياناً، ويطلع أحياناً. فقدم ابن مسعود على عمر، فرده، ثم بعثه بعدذلك إلى سعد بالكوفة، ثم كتب إلى أبي عبيدة: أن أقم في مدينتك وادع أهل القوة والجلد من عرب الشأم، فإني غير تارك البعثة إليك بمن يكانفك؛ إن شاء الله. الطبري، تاريخ الطبري(تاريخ الأمم والملوك). اعتنى به أبو صهيب الرومي،بيت الأفكار الدولية، ص ٦٢٥ .

مدينة حمص: هي فسيحة الساحة، مستطيلة المساحة، نزهة لعين مبصرها من النظافة والملاحة، موضوعة في بسيط من الأرض عريض مداه، لايخترقه النسيم بمسراه، يكاد البصر يقف دون منتهاه. أفيح أغبر، لاماء ولاشجر، ولاظل ولا ثمر، فهي تشتكي ظماءها، وتستقي على البعد ماءها، فيجلب لها من نهيرها العاصي، وهو منها بنحو مسافة الميل، وعليه طرة بساتين تجتلي العين خضرتها، وتستغرب نضرتها، ومنبعه في مغارة يصفح جبل فوقها بمرحلة بموضع يقابل بعلبك، أعادها الله (من الصليبيين)، وهي عن يمين الطريق دمشق. وأهل هذه البلدة موصوفون بالنجدة والتمرس بالعدو لمجاورتهم إياه، وبعدهم في ذلك أهل حلب. فأحمد خلال هذه البلدة هواؤها الرطب، ونسيمها الميمون تخفيفه وتجسيمه، فكأن الهواء النجدي في الصحة شقيقه وقسيمه وبقبلي هذه المدينة قلعة حصينة منيعة، عاصية غير مطيعة، قد تميزت وانحازت بموضوعها عنها. وبشرقيها جبانة فيها قبر **خالد بن الوليد**، رضي الله عنه، هو سيف الله المسلول، ومعه قبر ابنه عبد الرحمن، وقبر عبيد الله بن عمر، رضي الله عنهم. وأسوار هذه المدينة غاية في العتاقة والوثاقة، مرصوص بناؤها بالحجارة الصم السود، وأبوابها أبواب حديد، سامية الإشراف، هائلة المنظر، رائعة الإطلال والأناقة تكتنفها الأبراج المشيدة الحصينة. وأما داخلها فما شئت من بادية شعثاء، خلقة الأرجاء، ملفقة البناء، لا إشراق لآفاقها، ولا رونق لأسواقها، كاسدة لاعهدلها بنفاقها. وماظنك ببلد حصن الأكراد منه على أميال يسيرة، وهو معقل العدو (الصليبيين)، فهو منه تتراءى نارة، ويحرق إذا يطير شراره، ويتعهد إذا شاء كل يوم مغارة، وسألنا أحد الأشياخ بهذه البلدة: هل فيها مارستان على رسم مدن هذه الجهات؟ فقال، وقد أنكر ذلك: حمص كلها مارستان! تبييناً شهادة أهلها فيها! وبها مدرسة واحدة، وتجد في هذه البلدة عند إطلالك عليها من بعد في بسيطها ومنظرها وهيئة موضوعها، بعض شبه بمدينة إشبيلية من بلاد الأندلس، يقع للحين في نفسك خياله، وبهذا الاسم سميت في القديم، وهي العلة التي أوجبت نزول الأعراب أهل حمص فيها، حسبما يذكر. وهذا التشبيه وإن لم يكن بذاته، فله لمحة من إحدى جهاته. رحلة ابن جبير.

طريق خالد بن الوليد إلى حمص

الشمال
نهر العاصي
جبل الشغور
بانياس
حماة
الإمبراطورية الرومانية
طرطوس
صافيتا
جبل بلعاس
جبل أبو رجمين
حمص
طريق دمشق حمص الشهير
القصير
تدمر
سبخة الموح
حسيه
صدد
البريج
لبنان
بعلبك
دير عطية
النبك
يبرود
جبل تدمر الجنوبية
معلولا
سهل البقاع
الزبداني
صيدنايا
القطيفة
سوريا
بادية الشام
دمشق
الأعوج
بانياس
الحولة
الصنمين
منقع الرحبة
سهل حوران
طبرية
جبل العرب
نهر اليرموك
٠ ٢٥ ٥٠ ٧٥ ١٠٠ كم

مدخل حمص

الطريق الأكثر استخداماً بين دمشق وحمص، عدسة المؤلف.

١ القوات الإسلامية بقيادة : أبي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه تتجه صوب حمص .

٢ القوات الرومية تخرج بكل ثقلها العسكري لصد القوات الإسلامية في جوسيه، حتى لاتتقدم صوب حمص .

٣ جوسيه قرية قريبة من حمص، كانت كرسياً أسقفياً تابعاً لمطران حمص، خرج إليه العدو لصد المسلمين .

٤ أبو عبيدة يوجه خالداً على الروم، فأخذ خالد ينادي في أصحابه (يا أهل الإسلام الشّدّة الشدة) ثم حمل على العدو .

٥ العدو يفر من أرض المعركة متجهاً صوب حمص للتحصن فيها .

٦ خالد يأمر ميسرة بن مسروق بمطاردة فلول الجيش الرومي، حيث استطاع ميسرة من هزيمة بعض القوى الرومية .

٧ القوات الإسلامية بقيادة أبي عبيدة وخالد بن الوليد تزحف نحو الرستن بوابة حمص الشمالية .

٨ المسلمون يضربون حصاراً محكماً على حمص لمدة ثماني عشرة ليلة، حيث دخلها المسلمون بتسع رايات .

٩ القوات الرومية تتخلى عن حمص وتترك مصير أهلها بيد القوات الإسلامية والتي أحسنت المعاملة .

الطريق إلى حمص للقادم من دمشق

قال القزويني :

حمص: مدينة بأرض الشام حصينة، أصح بلاد الشام هواء وتربة وهي كثيرة المياه والأشجار ... ومن عجائبها الصورة التي على باب المسجد الذي إلى جانب البيعة وهي صورة إنسان نصفها الأعلى، ونصفها الأسفل صورة عقرب ... وأهلها موصوفون بالجمال المفرط ... وبها قبر خالد بن الوليد رضي الله عنه.

وذكر أ/ أحمد عادل كمال في (الطريق إلى دمشق) : أن حمص مدينة قديمة جداً، دعاها الرومان إيميزيا، بالقرب منها هزم الامبراطور أورليانس جيوش المملكة العربية زنوبيا، وبالقرب منها أيضاً وقعت معركة قادش بين رمسيس الثاني والحثيين.

اللقطات في الصفحتين بعدسة المؤلف

مكان مطاردة المسلمين لفلول الجيش الرومي المتهزم

أحد أماكن مسرح العمليات على أرض المعركة

الطريق إلى جوسيه

مسجد بلال الحبشي رضي الله عنه بحمص

جامع خالد بن الوليد بحمص

روى الواقدي أن **عمر** رأى حجاجاً يصلّون بمسجد قُباء فقال : أين نزلتم بالشام ؟ قالوا : بحمص، قال : فهل من معرفة بخبر ؟ قالوا : نعم مات خالد بن الوليد . قال : فاسترجع عمر وقال : كان والله سداداً لنحور العدو، ميمون النقيبة . فقال له **علي** : فلم عزلته ؟ قال : لبذله المال لذوي الشرف واللسان . ابن كثير، مج٤، ج٧، ص١١٧ .

نصب تذكاري لكلمة خالد بن الوليد المأثورة وهو على فراش الموت

◆ هناك روايات تقول بأن القائد خالد بن الوليد رحمه الله مات بالمدينة النبوية ! .

بعوث يزيد بن أبي سفيان إلى تدمر وبثنية وحوران أثناء توجه أبي عبيدة بجيشه نحو حمص .

بعد أن تم الصلح بين أهل بعلبك وأبي عبيدة على أداء الجزية للمسلمين مقابل حمايتهم ، توجه أبو عبيدة إلى حمص لتأديب فلول الروم المنهزمة وبعض الأعراب النصارى الموالين لهم ، وليضم حمص للفتح الإسلامي .

الإمبراطورية الرومانية
لبنان
سوريا
بادية الشام
جبل الشنور
نهر العاصي
بانياس
حماة
طرطوس
حمص
جبل بلعاس
جبل أبو رجمين
تدمر
سبخة الموح
بعلبك
البقاع
النبك
يبرود
معلولا
القطيفة
الريداني
دمشق
نهر بردى
نهر الأعوج
بانياس
الصنمين
الحولة
سهل حوران
طبرية
شهبا
قنوات
درعا
الشمال
٠ ٢٥ ٥٠ ٧٥ ١٠٠ كم

(١) يزيد بن أبي سفيان يبعث دحية بن خليفة الكلبي في خيل إلى تدمر بالصحراء السورية . وتدمر تضعن للصلح مع المسلمين .

(٢) يزيد بن أبي سفيان يبعث أبا الزهراء القشيري إلى بثنية جنوب دمشق وسهل حوران ؛ مما أدى إلى موافقة الأهالي على الصلح مع المسلمين .

اشتهرت منطقة حوران بزراعة القمح والزيتون والعنب ، بل كانت مصدراً رئيساً أيام الدولة الرومانية ، ولعل وقوع بعض حواضر هذه المنطقة على طريق التجارة القديم بين شبه الجزيرة العربية والشام هو ما ميزها كثيراً . في الصورة اليمنى صورة لأحد حقول الزراعة وفي الصورة المقابلة ، أشجار الزيتون الحوراني الشهير . تصوير المؤلف

أطلال معبد روماني في مدينة شهبا التاريخية بمنطقة جبل حوران بالجمهورية العربية السورية

درعا : مدينة تاريخية من أهم مدن سهل حوران في الجنوب السوري ، حيث تقع هذه المدينة بين وادي الرقاد والعلان المنتهيين في اليرموك الوادي الشهير والذي جرت فيه أحداث معركة اليرموك الفاصلة بين المسلمين والروم ، - والتي سنتناول تفاصيلها بعد هذه الصفحة إن شاء الله تعالى - تبعد عن دمشق بنحو ١٠٠كم ، وتحتوي على العديد من المواقع الأثرية أهمها، المدرج الروماني، وبقايا حمامات رومانية، والجامع العمري، ومن أشهر المدن المجاورة لها مدينة الصنمين ، والشيخ مسكين ، وازرع ، وجاسم، وتل شهاب وبحيرة مزيريب .

مسجد أثري بمحافظة درعا بالجمهورية العربية السورية

معركة اليرموك

كانت القوات الإسلامية بعد فتح حمص سنة (١٤ هـ = ٦٣٥م) تتوزع في أماكن مختلفة، فأبو عبيدة بن الجراح في حمص، وخالد بن الوليد بقواته في دمشق، وشرحبيل بن حسنة مقيم في الأردن، وعمرو بن العاص في فلسطين.

فلما وصلت أنباء استعدادات الروم إلى أبي عبيدة بن الجراح جمع القادة يشاورهم ويستطلع رأيهم، وانتهى الحوار بينهم على انسحاب القوات الإسلامية من المدن التي فتحتها إلى موقع قريب من بلاد الحجاز، وأن تتجمع الجيوش كلها في جيش واحد، وأن يبعث أبو عبيدة بن الجراح إلى المدينة يطلب المدد من الخليفة "عمر ابن الخطاب".

وقبل أن يتحرك "أبو عبيدة بن الجراح" بجيوش المسلمين، دعا "حبيب بن مسلمة" - عامله على الخراج - وقال له: "اردد على القوم الذين كنَّا صالحناهم من أهل البلد (حمص) ما كنا أخذنا منهم، فإنه لا ينبغي لنا إذا لم نمنعهم أن نأخذ منهم شيئاً، وقل لهم: نحن على ما كنا عليه فيما بيننا وبينكم من الصلح، لا نرجع فيه إلا أن ترجعوا عنه، وإنما رددنا عليكم أموالكم أنَّا كرهنا أن نأخذ أموالكم ولا نمنع بلادكم...". فلمَّا أصبح الصباح أمر أبو عبيدة قواته بالرحيل من حمص إلى دمشق، وقام حبيب بن مسلمة برد الجزية إلى أهالي حمص، وبلغهم ما قاله أبو عبيدة: فما كان منهم إلا أن قالوا: **"ردكم الله إلينا، ولعن الله الذين كانوا يملكوننا من الروم، ولكن والله لو كانوا هم ما ردوا علينا، بل غصبونا وأخذوا ما قدروا عليه من أموالنا؛ لَوِلايتكم وعَوْدُكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم"**.

بعد أن أخلى المسلمون مدينة حمص، جاءت قوات الروم، فدخلت حمص، ثم تحركت جنوباً خلال وادي البقاع إلى بعلبك، ولم تتجه إلى دمشق مباشرة حيث يقيم المسلمون؛ بل إلى غوطتها.

رأى المسلمون الذين كانوا يراقبون تحركات الروم أن في مسارهم هذا حركة التفاف تستهدف حصار المسلمين وقطع خط الرجعة عليهم؛ فاجتمع أبو عبيدة بقادته يتباحثون الأمر، فاتفقوا على الخروج من دمشق إلى الجابية، وهناك ينضم إليهم جيش عمرو بن العاص الرابض بفلسطين، وفي الوقت نفسه ينتظرون مدد الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه.

تقدمت مجموعات من جيش الروم إلى نهر الأردن باتجاه المسلمين في الجابية، وخشي المسلمون أن يحاصروا بقوات الروم المقيمة في الأردن وفلسطين والأخرى القادمة من إنطاكية؛ فيقطعوا خطوط إمداداتهم، ويحولوا بينهم وبين منطقة شمال الأردن والبلقاء التي تربطهم بالحجاز؛ ولهذا قررت الجيوش الإسلامية الانسحاب من الجابية إلى اليرموك.

استنفار الروم لمعركة اليرموك الحاسمة
الإمبراطورية البيزنطية
الإمبراطورية الساسانية
دولة المناذرة
دولة الغساسنة
سوريا
بادية الشام
فلسطين
أرض البلقاء
الأردن
تغلب
كلب
اياد
غسان
الضجاعمة
قضاعة
مؤاب
تنوخ
بنو لخم
أنطاكية
دمشق
حلب
حماة
حمص
بصرى
السويداء
بيروت
صيدا
صور
عكا
قيسارية
يافا
إيلياء
عمان
غزة
سيناء
بلي
١ هرقل يرسل جيش قناطير محملاً بالسفن عن طريق البحر إلى قيسارية من أرض فلسطين؛ لوجود حامية رومية فيها بقيادة ابنه قسطنطين .
٢ هرقل يأمر دجريان بسلوك الطريق الساحلي مروراً باللاذقية، وجبلة، وطرطوس، وطرابلس، وبيروت، ثم التوجه نحو دمشق لملاقاة القوات الإسلامية فيها.
٣ هرقل يوجه ماهان وجبلة بن الأيهم من حلب مروراً بحماة لمنازلة المسلمين بقيادة أبي عبيدة عامر بن الجراح، وخالد ابن الوليد رضي الله عنهما.
٤ هرقل يطلب من القائد الفرنجي (غريغوري) التوجه قدماً نحو بادية الشام من جهتها الغربية الجنوبية، وسهل حوران ليسهل تطويق المسلمين من الجنوب .
٠ ٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠ ٢٥٠ كم

تولَّى خالد بن الوليد القيادة العامة للجيش بتنازل كريم من أبي عبيدة بن الجراح، الذي كان لـه السلطة العامـة على جيوش المسلمين بالشـام، وكان خالد من أعظم الناس بلاء وأعظمهم بركة وأيمنهم نقيبة.

بدأ خالد في تنظيم قواته، وكانت تبلغ ٣٦ ألف مقاتل، وقسَّم الجيش إلى كراديس، أي كتائب، وتضـم ما بين ٦٠٠ إلى ١٠٠٠ رجل، والكردوس ينقسم إلى أجزاء عشرية؛ فهناك العرّيف الذي يقـود عشرة من الرجال، وآمر الأعشار الذي يقود عرفـاء (١٠٠ رجل)، وقائد الكردوس الذي يقود عشرة من أمراء الأعشار (١٠٠٠) رجل.

ويُجمِع المؤرخون على أن خالد بن الوليد هو أول من استحدث تنظيم الجيوش على هذا النحو، وعُدَّ عمله فتحاً في العسكرية الإسلامية؛ فقد اختار رجال الكردوس الواحد من قبيلة واحدة أو ممن يعودون بأصولهم إلى قبيلة واحدة، وجعـل على كل كردوس قائداً منهم ممن عُرفوا بالشجاعة والإقدام، ثم جمع الكراديس بعضها إلى بعض وجعل منها قلباً وميمنة وميسرة، وكان على رأس كراديس القلب أبو عبيدة بن الجراح، ومعه المهاجرون والأنصار، وعلى كراديس الميمنة عمرو بن العاص ويساعده شرحبيل بن حسنة، وعلى كراديس الميسرة يزيد بن أبي سفيان.

وبلغت هذه الكراديس ٣٦ كردوساً من المشاة، بالإضافة إلى عشرة كراديس من الخيالة، يقف أربعة منها خلف القلب واثنان في الطليعة، ووزعت الأربعة الباقية على جانبي الميمنة والميسرة.

أمـا جيش الروم فكان يضم نحو مائتـي ألف مقاتل، يقودهم "ماهان"، وقد قسّم جيشـه إلى مقدمة تضم جموع العـرب المتنصّرة من لخم وجذام وغسان، وعلى رأسهـا "جبلة بن الأيهم"، وميمنة على رأسها "قريقوري"، وميسرة علـى رأسهـا "ابن قناطـير"، وفي القلب "دجريان"، وخـرج ماهان إلى المسلمين في يوم ذي ضبـاب، وصَفَّ جنوده عشرين صفاً، ويقول الرواة في وصف هذا الجيش الرهيب: "ثم زحف إلى المسلمين مثل الليل والسيل".

دعـا أحـد قـادة الروم رجلاً من نصارى العـرب، فقال له: ادخل فـي معسكر هذا القوم، فانظـر ما هديهم، وما حالهـم، ومـا أعمالهم، وما يصنعون، ثم ائتني فأخبرني بما رأيت. وخرج الرجل من معسكر الروم حتى دخل معسكر المسلمـين فلـم يستنكروه؛ لأنه كان رجلاً من العرب، لسانه عربي ووجهه عربي، فمكث في معسكرهم ليلة حتى أصبح فأقـام عامـة يومه، ثـم رجع إلى قائده الرومـي، وقال له: جئتك من عند قـوم يقومون الليل كلـه، يصلون ويصـومون النهـار، ويأمـرون بالمعروف وينهون عن المنكـر، رهبان بالليل فرسان بالنهـار، لو يسرق مَلِكُهم لقطعـوا يده، ولو زنا لرجموه؛ لإيثارهم الحق، واتباعهم إياه على الهوى. فلما انتهى الرجل العربي من كلامه قال القائد الرومي: لئن كان هؤلاء القوم كما تزعم، وكما ذكرت لبطنُ الأرض خير من ظهرها لمن يريد قتالهم.

وفـي فجـر يـوم الاثنين (٥ من رجب ١٥ هـ = ١٢ من أغسطس ٦٣٦م) أصبـح المسلمون طيبةً نفوسهم بقتال الروم، منشرحـة صدورهـم للقائهم، واثقة قلوبهم من نصر الله، وخرجوا بالنظام الذي وضعه القائد العام خالد بن الوليد رضي الله عنه يحملون رايتهم (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

اليرموك

... التي شاركت في الحرب على المسلمين

الجيش الرومي

حينما قرر هرقل الحرب تألفت معه مجموعة عسكرية من الروس، والسلاف، والفرنجة، والروم، واليونان، والجيورجيون، والأرمن، والعرب النصارى. وأرسل جميع النصارى الذين يعيشون في كنف الامبراطورية الرومانية مقاتلين إلى الجيش الجديد ليحاربوا الفاتحين بروح من الحرب الصليبية. ونظمت هذه القوة في خمسة جيوش، وكان كل منها يتألف من حوالي ثلاثين ألفاً. وكان قادة هذه الجيوش: ماهان ملك أرمينيا، وقناطير وهو أمير روسي، وغريغوري، وديرجان، وجبلة بن الأيهم ملك العرب الغساسنة. وكان ماهان يقود جيشاً أرمنياً صرفاً، وكان جبلة يقود قوة من العرب النصارى، وكان قناطير يقود الروس والسلاف. أما بقية المجموعات (وهي من الأوربيين) فوضعت تحت إمرة غريغوري وديرجان. وعين ماهان قائداً عاماً للجيش. الجنرال أ. أكرم. ص (١٥٣).

سار أبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه في المسلمين يحثُّ الناس على الصبر والثبات، يقول لهم: يا عباد الله انصروا الله ينصركم، ويثبت أقدامكم، يا معشر المسلمين اصبروا فإن الصبر منجاة من الكفر، ومرضاة للرب؛ فلا تبرحوا مصافكم، ولا تخطوا إليهم خطوة، ولا تبدءوهم بقتال، وأشرعوا الرماح، واستتروا بالدرق، والزموا الصمت إلا من ذكر الله حتى آمركم.

وخرج معاذ بن جبل يقول للناس: يا قراء القرآن ومستحفظي الكتاب وأنصار الهدى وأولياء الحق، إن رحمة الله- والله- لا تُنال، وجنته لا تدخل بالأماني، ولا يؤتي الله المغفرة والرحمة الواسعة إلا الصادقين المصدّقين بما وعدهم الله (عز وجل)، أنتم- إن شاء الله- منصورون، فأطيعوا الله ورسوله، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، واصبروا إن الله مع الصابرين، واستحيوا من ربكم أن يراكم فراراً من عدوكم وأنتم في قبضته ورحمته، وليس لأحد منكم ملجأ من دونه.

وجاءت ساعة اللقاء: حيث زحفت صفوف الروم الجرارة من مكانها إلى المسلمين، لهم دويٌّ كدوي الرعد، ودخل منهم ثلاثون ألفًا كل عشرة في سلسلة حتى لا يفروا، قد رفعوا **صلبانهم**، وأقبل معهم الأساقفة والرهبان والبطارقة.
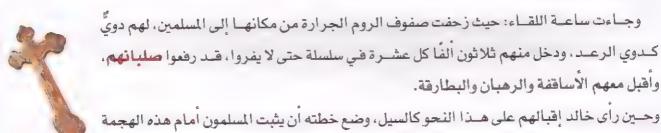
وحين رأى خالد إقبالهم على هذا النحو كالسيل، وضع خطته أن يثبت المسلمون أمام هذه الهجمة الجارفة؛ حتى تنكسر وتتصدع صفوف الروم، ثم يبدأ هو بالهجوم المضاد.

وكان خالد بن الوليد رابط الجأش ثابت الجنان وهو يرى هذه الجموع المتلاحقة كالسيل العرم، لم ترهبه كثرتهم، وقد سمع جنديا مسلماً قد انخلع قلبه لمَّا رأى منظر الروم، يقول: ما أكثر الروم وأقل المسلمين- فانزعج من قولته وقال له: ما أقل الروم وأكثر المسلمين، إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال، أبالروم تخوّفني؟!

تلاحم الفريقان وشد الروم على ميمنة المسلمين حتى انكشفت، وفعلوا كذلك بالميسرة، وثبت القلب لم يتكشف جنده، وكان أبو عبيدة وراء ظهرهم: ردءا لهم، يشد من أزرهم، وأبلى المسلمون بلاء حسناً، وثبت بعضهم كالجبال الراسخات، وضربوا أروع الأمثلة في الشجاعة وتلبية النداء، وقاتلت النساء أحسن قتال.

تحمل المسلمون هذا الهجوم الكاسح بكل ثبات: إذا اهتز صف عاد والتأم ورجع الى القتال، حتى إذا جاءت اللحظة التي كان ينتظرها القائد النابغة خالد بن الوليد صاح في القوم: يا أهل الإسلام، لم يبق عند القوم من الجلد والقتال والقوة إلا ما قد رأيتم، فالشدة، الشدة فوالذي نفسي بيده ليعطينكم الله الظفر عليهم الساعة.

وزحف خالد بفرسانه الذين لم يقاتلوا، وكان يدخرهم لتلك الساعة الحاسمة، فانقضوا على الروم الذين أنهكهم التعب واختلت صفوفهم، وكانت فرسان الروم قد نفذت إلى معسكر المسلمين في الخلف، فلمَّا قام خالد بهجومه المضاد من القلب حالَ بين مشاة الروم وفرسانهم، الذين فوجئوا بهذه الهجمة المضادة؛ فلم يشتركوا في القتال، وخرجت خيلهم تشتد بهم في الصحراء، تاركين ميدان القتال. ولمَّا رأى المسلمون خيل الروم تهرب أفسحوا لها الطريق ودعوها تغادر ساحة القتال.

الجيوش الإسلامية تتوجه نحو اليرموك
الشمال
أرض الأكراد
انطاكيه
حلب
الإمبراطورية الرومانية
الجزيرة الفراتية
الاسبا
حماة
نهر العاصي
حمص
البحر الكبير (بحر الروم)
الإمبراطورية الساسانية
نهر الفرات
نهر دجلة
بادية الشام
بيروت
دمشق
جيش ابى عبيدة
الى اليرموك
اليرموك
سوريا
العراق
إيلياء
رسالة عمر بن الخطاب الى ابى عبيدة بن الجراح رضى الله عنهما
(بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبي عبيدة بن الجراح ... فإنه بلغني توجهكم من أرض حمص إلى أرض دمشق وترككم بلاداً قد فتحها الله عليكم وخليتموها لعدوكم وخرجتم منها طائمين، فكرهت هذا من رأيكم وفعلكم، وسألت رسولكم عن رأي من جميعكم فزعم أنه ذلك كان من رأي خياركم وأولي النهى منكم وجماعتكم ... وقد سألني رسولكم المدد لكم، وأنا ممدكم قبل أن يقرأ عليكم كتابي هذا وأشخص لكم المدد من قبلي إن شاء الله . واعلموا أنه ليس بالجمع الكثير كنا نهزم الجمع الكثير ولا بالجمع الكثير كان الله ينزل النصر عليهم ...) .
صحراء سيناء
شبه الجزيرة العربية
جيش سعيد بن عامر الى اليرموك
وصية عمر لسعيد بن عامر
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لسعيد بن عامر : يا سعيد بن عامر إني قد وليتك على هذا الجيش ولست بخير من رجل منهم إلا أن تكون أتقى لله منه ، فلا تشتم أعراضهم ولا تضرب أبشارهم ولا تحقر ضعيفهم ولا تؤثر قويهم وكن للحق تابعاً ولا تتبع هوى شاذاً ، فإنه إن بلغني عنك ما أحب فإنه لا يعدمك حتى ما تحب .
النوبة
بحر القلزم (البحر الأحمر)
المدينة النبوية
٥٠٠ كم
٤٠٠
٣٠٠
٢٠٠
١٠٠
٠

انهار الروم تماماً، وتملَّكهم الهلع فتزاحموا وركب بعضهم بعضاً وهم يتقهقرون أمام المسلمين الذين يتبعونهم؛ حتى انتهوا إلى مكان مشرف على هاوية تحتهم تسمى (الواقوصة)، فأخذوا يتساقطون فيها ولا يبصرون ما تحت أرجلهم، وكان الليل قد أقبل والضباب يملأ الجو، فكان آخرهم لا يعلم ما يلقى أولهم، وبلغ الساقطون في هذه الهاوية عشرات الألوف، وتذكر بعض الروايات أنهم كانوا ثمانين ألفاً، وسميت تلك الهاوية "الواقوصة"؛ لأن الروم وقصوا فيها، وقتل المسلمون من الروم في المعركة بعدما أدبروا نحو خمسين ألفاً، خلاف من سقطوا في الهاوية.

ولما أصبح اليوم التالي، نظر المسلمون فلم يجدوا في الوادي أحداً من الروم، فظنوا أن الروم قد أعدوا كميناً، فبعثوا خيلاً لمعرفة الأمر، فإذا الرعاة يخبرونهم أنهم قد سقطوا في الهاوية أثناء تراجعهم، ومن بقي منهم غادر المكان ورحل.

كانت معركة اليرموك من أعظم المعارك الإسلامية، وأبعدها أثراً في حركة الفتح الإسلامي، فقد لقي جيش الروم- أقوى جيوش العالم يومئذ- هزيمة قاسية، وفقد زهرة جنده، وقد أدرك هرقل حجم الكارثة التي حلت به وبدولته، فغادر المنطقة نهائياً وقلبه ينفطر حزناً، وهو يقول: "السلام عليك يا سوريا، سلاماً لا لقاء بعده، ونعم البلد أنت للعدو وليس للصديق، ولا يدخلك رومي بعد الآن إلا خائفاً".

وقد ترتب على هذا النصر العظيم أن استقر المسلمون في بلاد الشام، واستكملوا فتح مدنه جميعاً، ثم واصلوا مسيرة الفتح في بقية البلاد الشامية كما سيتضح لنا إن شاء الله في الصفحات القادمة.

- ابن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- دار المعارف- القاهرة (١٩٩٦م).
- محمد عبد الله الأزدي: تاريخ فتوح الشام- مؤسسة سجل العرب- القاهرة (١٩٧٠).
- أحمد عادل كمال: الطريق إلى دمشق- دار النفائس بيروت- (١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م).
- يوسف غوانمة: معركة اليرموك- دار هشام للنشر والتوزيع- إربد- الأردن (١٩٨٥م).
- أحمد تمام . معركة اليرموك ، موقع على الشبكة العنكبوتية .
- سامي المغلوث، أطلس الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، مكتبة العبيكان - الرياض - الطبعة الثالثة ١٤٢٩ هـ .

عند البحث مثلاً عن الأسباب التي أدت إلى انتصار المسلمين في معركة اليرموك سوف نجد أن عدد الروم ستة أضعاف عدد المسلمين، (انظر الصفحة المقابلة)وجيش الروم جيش نظامي مدرب وجيد التسليح، بينما الجيش الإسلامي أقل منه عدداً وعدة وتدريباً، ويقاتل بعيداً عن مركز الخلافة، ومع ذلك حصل له النصر المبين ؟!.

نسبة الصحابة بالنسبة للجيش الإسلامي

نسبة اهل بدر بالنسبة للصحابة

الجيش الرومي

الجيش الإسلامي

عدد الجيوش المشاركة من الطرفين

٢٠٠,٠٠٠
١٥٠,٠٠٠
١٠٠,٠٠٠
٥٠,٠٠٠
صفر

مقارنة بين عدد الجيشين المشاركين في معركة اليرموك

الصحابة: جمع صحابي : وهو من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً به ومات على ذلك . فهم أفضل الأمة وخير القرون لسبقهم واختصاصهم بصحبة النبي ﷺ والجهاد معه وتحمل الشريعة عنه وتبليغها لمن بعدهم، وقد أثنى الله عليهم في القرآن الكريم قال تعالى : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم » التوبة ١٠٠ .

موقع معركة اليرموك

بحيرة الحولة
نهر الأردن (الشريعة)
الشمال
جاسم
هضبة الجولان
البستان
نوى
سوريا
شيخ مسكين
بحيرة طبرية
وادي الرقاد
وادي العلق
وادي الهرير
الشجرة
فيق
عابدين
الواقوصة
سهل حوران
بحيرة مزيريب
نهر اليرموك
الراهد
الحمة
الأردن
درعا
الزيدي
وادي العرب
جبال عجلون
صفر ٥ ١٠ ١٥ ٢٠ ٢٥كم

لقطات عدسة المؤلف

نهر

اليرموك طوله ٥٧ كم منه ٤٧ كم داخل الأراضي السورية، ينبع من جبال حوران وبحيرة مزيريب في سوريا ثم **يسير النهر ليشكل جزءً من الحدود السورية الأردنية** ويقع على النهر في سوريا سد اليرموك ويتغذى ببعض الروافد كوادي الرقاد في الجولان ويمر على عدد من المناطق والقرى التاريخية .

موقع معركة اليرموك

سوريا

الشمال

وادي العلان

شيخ مسكين

وادي الرقاد

عابدين

الشجرة

فيق

الواقوصة

وادي الهرير

نهر اليرموك

وادي خالد

بحيرة مزيريب

الرافد

الأردن

صفر ٥ ١٠ ١٥ ٢٠ ٢٥كم

٢ مكان الجيش الرومي قبل المعركة .

٣ مسار المسلمين إلى اليرموك .

٤ مكان الجيش الإسلامي قبل المعركة .

خوذة الجندي الروماني في الحرب
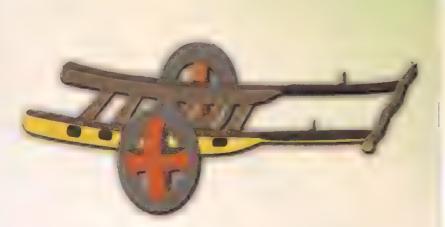
آلة عسكرية لنقل التموين ؛ استخدمها الروم في معركة اليرموك .
إعادة تصميم الباحث .

الكردوس : القطعة العظيمة من الخيل

الاثنين [illegible] رجب سنة [illegible] هـ على أرجح الروايات التاريخية

ابتكر الخليفة الثاني **عمر** الفاروق رضي الله عنه نُظماً عسكرية لم يكن معمولاً بها آنذاك، كان القصد منها تنظيم الجيش الإسلامي تنظيماً محكماً، ذكر ابن جرير أن كتاباً أرسله عمر إلى قائده سعد ابن أبي وقاص قبيل معركة القادسية يقول فيه: « إذا جاءك كتابي هذا فعشّر الناس، وعرّب عليهم، وأمّر على أجنادهم، ومر رؤساء القوم فليشهدوا، وقدرهم وهم شهود، واجعل على الرايات رجالات من أهل السابقة » لذلك هذا ما فعله سيف الله المسلول خالد ابن الوليد رضي الله عنه حينما وحد القيادة في اليرموك على الجيش بعد أن أخذ بمشورة قادة الفتح في بلاد الشام، ثم قسّم الجيش إلى ستة وثلاثين كردوساً، وعلى كل كردوس ألف مقاتل، وكان عدد جيشه في اليرموك كما ذكرنا في الصفحات السابقة ٣٦ ألفاً .

الموقع العام لمعركة اليرموك من الفضاء الخارجي

سوريا

بحيرة طبرية

نهر اليرموك

فلسطين

الأردن

اختار الروم هذا الوادي لأنه المكان الذي يتسع لجيشهم الضخم الذي عدده مائتين ألف مقاتل.

وأما المسلمون فقد عبروا النهر إلى الجهة اليمنى، وضربوا معسكرهم هناك في واد منطبع يقع على الطريق المفتوح لجيش الروم، وبذلك أغلقوا الطريق أمام الجيش المزهو بعدده وعدده، فلم يعد للروم طريق يسلكون منه، أو يفرون إذ اضطروا للفرار، لأن جيش المسلمين قد أخذ عليهم مسلكهم الوحيد.

وقد يعجب الإنسان كثيراً، وهو ينظر إلى الخارطة، ويرى نفسه مضطراً لأن يسأل كيف رضي قواد الروم لجيوشهم هذا الموقع؟ وكيف وافق الجنود على النزول فيه وهم يرون ألا سبيل للخروج منه إلا عن طريق هذا الوادي الذي احتله المسلمون؟ أفما كان الأجدر بهم إن اضطروا إلى اتخاذ هذا المكان ميداناً للجيش لأنه لا يوجد مكان سواه يتسع لجيشهم أن يحموا الفتحة الوحيدة التي لا طريق لهم غيرها؟ لاشك أن البديهيات العسكرية تحتم حماية أمثال هذه الفتحة ليؤمن الجيش طريقه إذا اضطر إلى الخروج من هذا الوادي المحاصر بشواهق الجبال.

ولكن يبدوا أن قوات الروم كانت مغرورة بكثرتها الهائلة مزهوة بالنصر الذي أحرزته على خالد بن سعيد ومن معه من قوات المسلمين، كما يبدو أن هذا النصر أنساهم أبسط التخطيط العسكري في مثل هذا الموقف. د. محمد السيد الوكيل، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

تفرع نهري بين الحدود الأردنية الفلسطينية

معركة اليرموك

اللقطات بعدسة المؤلف

مسرح أحداث معركة اليرموك التاريخية من خلال أراضي الجمهورية العربية السورية .

وادي اليرموك من الجهة السورية

اللقطات بعدسة المؤلف

مسرح أحداث معركة اليرموك التاريخية من خلال أراضي المملكة الأردنية الهاشمية

١
نص رسالة أبي عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه إلى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه.

«« بسم الله الرحمن الرحيم. لعبد الله أمير المؤمنين من أبي عبيدة بن الجراح. سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد. فالحمد لله الذي أهلك المشركين ونصر المسلمين، وقديمًا ما تولى الله أمرهم وأظهر فلجهم وأعز دعوتهم. فتبارك الله رب العالمين ... إنا لقينا الروم وهم في جموع لم تلق العرب مثلها جموعًا قط. فأتوا وهم يرون أن لا غالب لهم من الناس أحد، فقاتلوا المسلمين قتالًا شديدًا ما قوتل المسلمون مثله في موطن قط، ورزق الله المسلمين الصبر وأنزل عليهم النصر فقتلهم الله في كل قرية وكل شعب وكل واد وجبل وسهل وغنم المسلمون عسكرهم وما كان فيه من أموالهم ومتاعهم. ثم إني أتبعتهم بالمسلمين حتى بلغت أقاصي بلاد الشام، وقد بعثت إلى أهل الشام عمالي، وقد بعثت إلى إيلياء أدعوهم إلى الإسلام، فإن قبلوا وإلا فليؤدوا إلينا الجزية عن يد وهم صاغرون، فإن أبوا أسرت إليهم حتى أنزل بهم، ثم لا أزايلهم حتى يفتح الله على المسلمين إن شاء الله. والسلام عليك »».

٢
نص رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه.

«« من عبد الله أمير المؤمنين إلى أبي عبيدة بن الجراح، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد. فقد أتاني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من إهلاك الله المشركين ونصره المؤمنين وما صنع لأوليائه وأهل طاعته، فأحمد الله على حسن صنيعه إلينا واستتم الله ذلك بشكره. ثم اعلموا أنكم لم تظهروا على عدوكم بعدد ولا عدة ولا حول ولا قوة، ولكنه بعون الله ونصره ومنه وفضله، فلله الطول والمن والفضل العظيم، فتبارك الله أحسن الخالقين والحمد لله رب العالمين، والسلام »».

المدينة النبوية (مقر الخلافة الإسلامية)

الجيش الإسلامي يتابع فلول الجيش الرومي المنهزم بعد اليرموك
آسيا الصغرى
الشمال
منبج
أنطاكيا
حلب
نهر الفرات
البحر الكبير (بحر الروم)
اللاذقية
جبلة
نهر العاصي
نموذج لبعض أدوات الجيش الروماني
حماة
طرطوس
حمص
تدمر
سوريا
بادية الشام
بعلبك
بيروت
لبنان
معلولا
دمشق
فلسطين
درعا
الأردن
١ فرار القوات الرومية من أرض المعركه بعد هزيمتها القاسية في معركة اليرموك .
٢ القوات الإسلامية تطارد فلول الجيش الرومي المنهزم .
٣ خالد بن الوليد يتوجه بمجموعة من الجيش الإسلامي نحو حمص .
٤ هرقل يتلقى في أنطاكيا خبر هزيمة الجيش الرومي ويقرر بعدها ترك الأراضي السورية .
صفر ٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠ ٢٥٠ كم

الشمال
البحر الأسود (بنطس)
القسطنطينية
نيقية
ارمينيا
الامبراطورية الرومانية
مرعش
ديار الأكراد
قونية
الرها
الموصل
الجزيرة الفراتية
حلب
أنطاكية
نهر دجلة
نهر الفرات
حماه
حمص
المدائن
البحر الكبير (بحر الروم)
طرابلس
بيروت
سورية
دمشق
بادية الشام
عكا
حيفا

رحيل الامبراطور الروماني (هرقل) عن بلاد الشام

قال هرقل بعد هزيمة جيشه في اليرموك : « **سلام عليك ياسورية ، سلاماً لا لقاء بعده** » .

(١) بعد تلقي هرقل خبر هزيمة جيشه في اليرموك، نادى في أصحابه بالرحيل إلى القسطنطينية .

(٢) تذكر بعض الروايات أن هرقل ذهب إلى أرض الجزيرة الفراتية (الرها و شمشاط) ومنها توجه صوب القسطنطينية .

أعمدة هرقل بقلعة عمان الأردنية ـ تصوير المؤلف .
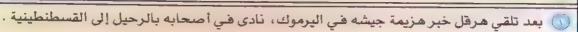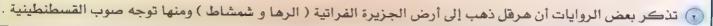
صورة للعملة الرومانية من الوجه والخلف، ففي الوجه تظهر صورة الامبراطور الروماني (البيزنطي)، وفي الخلف تظهر صورة الصليب المدرج تحفها عبارات لاتينية

تذكر المصادر أن اقدم فلس عربي مضروب على الطراز البيزنطي ملك سنة ١٧ هـ ونقش عليه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه اسمه بالحروف العربية ويحمل هذا الفلس صورة الملك البيزنطي (هرقل) ، ثم حملت الفلوس النحاسية العبارات العربية كالبسملة وشهادة التوحيد . المسكوكات للدكتور / ناهض عبد الرزاق ص ٤٠١ - العملتان من مجموعة المؤلف النقدية .

تقسيم أبي عبيدة لقطاعات الجيش بعد اليرموك
الشمال
طرسوس
حمص
بعلبك
دمشق
البحر الكبير (بحر الروم - البحر الأبيض المتوسط)
صور
الجابية
لبنان
سوريا
بلاد الشام
بصرى
الناصرة
فلسطين
دولة الغساسنة
إيلياء
عسقلان
الأردن
الاتجاه العام لجيش الشام بعد اليرموك
١ جيش شرحبيل بن حسنة
٢ جيش يزيد بن أبي سفيان
٣ جيش عمرو بن العاص
٤ جيش أبي عبيدة عامر بن الجراح
للأهمية
رجوع ٦٠٠٠ مقاتل إلى العراق من أصل ٩٠٠٠ مقاتل قدموا مع خالد من العراق

فتوحات المسلمين للساحل السوري
مناطق الفتح التي فتحها المسلمون على الساحل السوري بعد اليرموك .
عرقة
تمركز الروم في طرابلس بعد معركة اليرموك .
طرابلس
البحر الكبير (بحر الروم - البحر الأبيض المتوسط)
الجامع الكبير بطرابلس : بني على أنقاض كنيسة صليبية ، تعتبر مئذنته أطول مآذن طرابلس .
جبيل
جونية
بعلبك
لبنان
بيروت
الزبداني
الجامع العمري الكبير في صيدا (لبنان)
خروج يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه بجيشه لفتح الساحل السوري ؛ بعد معركة اليرموك الحاسمة .
صيدا
دمشق
داريا
صرفند
النبطية
مرجعيون
مرتسم لصيدا في القرن التاسع عشر م .
تذكر بعض الروايات أن قوات الفتح الإسلامية توجهت إلى صور
صفر ١٠ ٢٠ ٣٠ ٤٠ ٥٠كم

اللقطات بعدسة المؤلف

لقطات منوعة للعاصمة اللبنانية (بيروت)

لقطات مختارة لمدينة جبيل التاريخية

استكمال فتح الأردن على يد شرحبيل بن حسنة

الأُرْدُنُّ: بالضم ثم السكون، وضم الدال المهملة، وتشديد النون: قال أبو علي: وحُكْمُ الهمزة إذا لحقت بَنَاتِ الثلاثة من العربي أن تكون زائدة حتى تقوم دلالة تخرجُها عن ذلك، وكذلك الهمزة في أُسْكُفَّة والأُسْرُبّ؛ والأُردن: اسم البلد وإن كنَّ معرَّبات؛ قال أبو دَهْلَب أحد بني ربيعة ابن قُرَيع بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم:

حَنَّتْ قلوصي أمس بالأُرْدُنِّ،

حِنّي فما ظُلِمْتِ أن تحِنّي،

حنّت بأعلى صوتها المُرِنِّ.

في خَرْعبٍ أجشَّ مُسْتَجِنِّ،

فيه كتهزيم نواحي الشَّنِّ

قال أبو علي: وإن شئت جعلت الأُرْدُنَّ مثل الأُبْلُم، وجعلت التثقيل فيه من باب سَبْسَبّ، حتى إنك تجري الوصل مُجرى الوَقْف، ويُقَوِّي هذا إنه يكثر مجيئه في القافية غير مشدّد؛ نحو قول عدي بن الرقاع العاملي:

لولا الإله وأهل الأُرْدُنِ اقتُسِمت

نار الجماعة، يوم المرج، نيرانا

قالوا: والأُردنُّ في لغة العرب النُّعاس؛ قال أبَّاق الزبيري:

وقد عَلَتني نعسة الأُردنّ،

وموهبٌ مُبْرٍ بها، مُصِنّ

هكذا يقول اللغويون: إن الأُردن النعاس، ويستشهدون بهذا الرجز، والظاهر أن الأُردن الشدَّة والغلبة فإنه لا معنى لقوله ولا علتني نعسة الأُردن؛ قال ابن السكّيت: ولم يُسمع منه فعل؛ قال: ومنه سُمي الأُردن اسم كورة، وأهل السير يقولون أن الأردن وفلسطين ابنا سام بن ارم بن سام بن نوح، عليه السلام، **وهي أحد أجناد الشام الخمسة**، وهي كورة واسعة منها الغور وطبرية وصور وعكّا وما بين ذلك؛ قال أحمد بن الطيّب السرَخْسي الفيلسوف: هما أُرْدُنَّان، أُردنُّ الكبير وأُردن الصغير، فأما الكبير فهو نهر يصب إلى بحيرة طبرية، بينه وبين طبرية، لمَن عَبر البحيرة في زَوْرق، اثنا عشر ميلاً، تجتمع فيه المياه من جبال وعيون فتجري في هذا النهر، فتسقي أكثر ضياع جند الأُردن مما يلي ساحل الشام وطريق صور، ثم تنصب تلك المياه إلى البحيرة التي عند طبرية؛ وطبرية على طرف جبل يُشرف على هذه البحيرة، فهذا النهر أعني الأُردن الكبير، بينه وبين طبرية البحيرة؛ وأما الأُردن الصغير فهو نهر يأخذ من بحيرة طبرية ويمر نحو الجنوب في وسط الغَوْر، فيسقي ضياع الغور؛ وأكثر مستغَلّتهم السكر، ومنها يُحمل إلى سائر بلاد الشرق، وعليه قُرى كثيرة، منها: بَيْسانُ وقَرَاوا وأريحا والعوجاءُ، وغير ذلك؛ وعلى هذا النهر قرب طبرية قنطرة عظيمة ذات طاقات كثيرة تزيد على العشرين، ويجتمع

هذا النهر ونهر اليرموك فيصيران نهراً واحداً، فيَسقي ضياع الغور وضياع البثنية، ثم يمرُّ حتى يصبّ في البحيرة المنتنة في طرف الغور الغربي. وللأُردن عدة كور: منها: كورة طبرية وكورة بيسان وكورة بيت رأس وكورة جَدَر وكورة صفُّورية وكورة صور وكورة عكا وغير ذلك مما ذكر في مواضعه. وللأُردن ذكر كثير في كتب الفتوح، ونذكر ههنا ما لا بدَّ منه؛ قالوا: **افتتح شُرَحبيل بن حَسنةَ الأُردنَ** عنوةً ما خلا طبرية، فإن أهلها صالحوه على أنصاف منازلهم وكنائسهم، وكان فتحه طبرية بعد أن حاصر أهلها أياماً، فآمنهم على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم إلا ما جَلَوا عنه وخَلّوه، واستثنى لمسجد المسلمين موضعاً، ثم إنهم نقضوا في خلافة عمر، رضي الله عنه، أيضاً واجتمع إليهم قوم من سواد الروم وغيرهم، فسيَّر إليهم أبو عبيدة عمرو بن العاص في أربعة آلاف ففتحها على مثل صلح شرحبيل، وكذلك جميع مدُن الأُردن وحصونها على هذا الصلح فتحاً يسيراً بغير قتال؛ ففتح بيسان وأفيق وجَرَشَ وبَيتَ رأس وقدس والجولان وعكا وصور وصفورية، وغلب على سواد الأُردن وجميع أرضها، إلا أنه لما انتهى إلى سواحل الروم، كثرت الروم فكتب إلى أبي عبيدة يستمده، فوجه إليه أبو عبيدة يزيد بن أبي سفيان، وعلى مقدمته معاوية أخوه، ففتح يزيد وعمرو سواحل الروم، فكتب أبو عبيدة إلى عمر، رضي الله عنه، بفتحها لهما، وكان لمعاوية في ذلك بلاءٌ حسن وأثر جميل، ولم تزل الصناعة من الأُردن بعكا إلى أن نقلها هشام بن عبد الملك إلى صور، وبقيت على ذلك إلى صدر مديد من أيام بني العباس، حتى اختلف باختلاف المتغلبين على الثغور الشامية ... • ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ١٤٧ - ١٤٨ .

... الفاصل مع نهر الأردن وبحيرة طبرية مع أرض ...

شارع الأعمدة في جرش، بناء من العهد الروماني. تصوير المؤلف

المدرج الروماني بعمان

اللقطات بعدسة المؤلف

اثار رومانية داخل قلعة عمان التاريخية .

لقطات متنوعة للمسجد الحسيني بعمّان، والذي يقال بأنه بُني فوق الآثار الباقية لمسجد بناه الخليفة الراشد عمر ابن الخطاب رضي الله، وتؤكد على ذلك الجهات الشرعية والعلمية في الأردن؛ كما هو موضح في الأعلى.
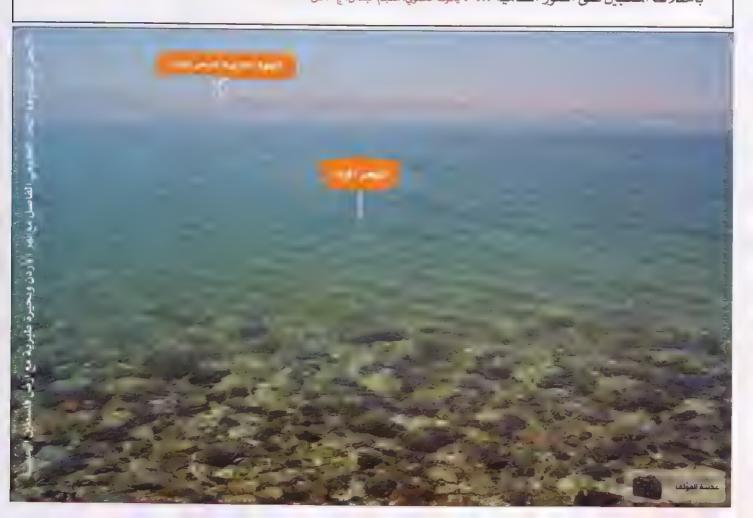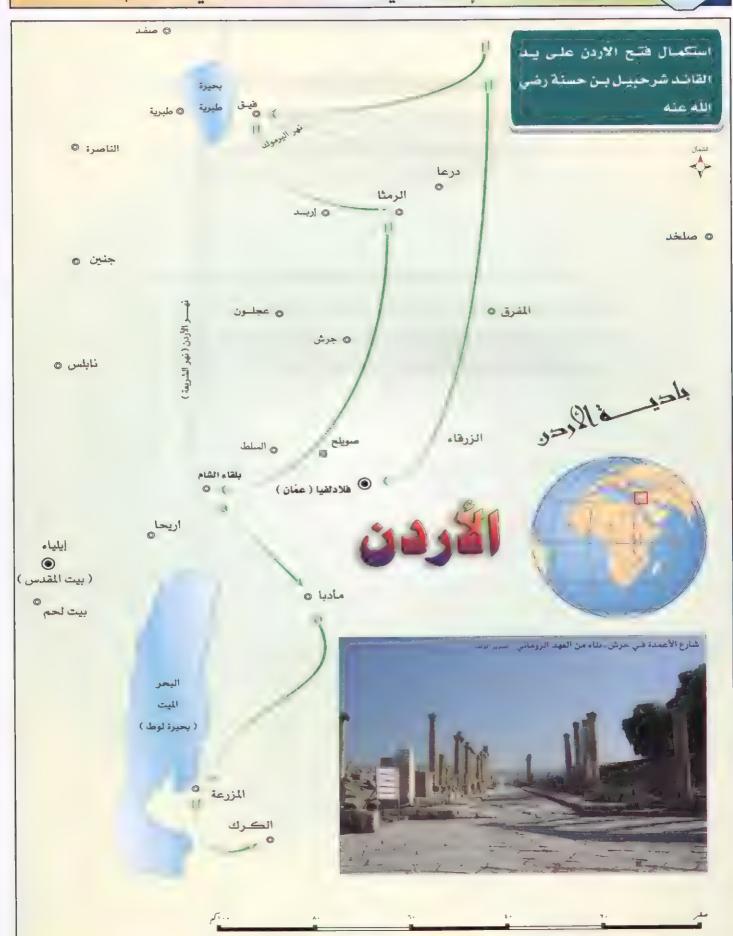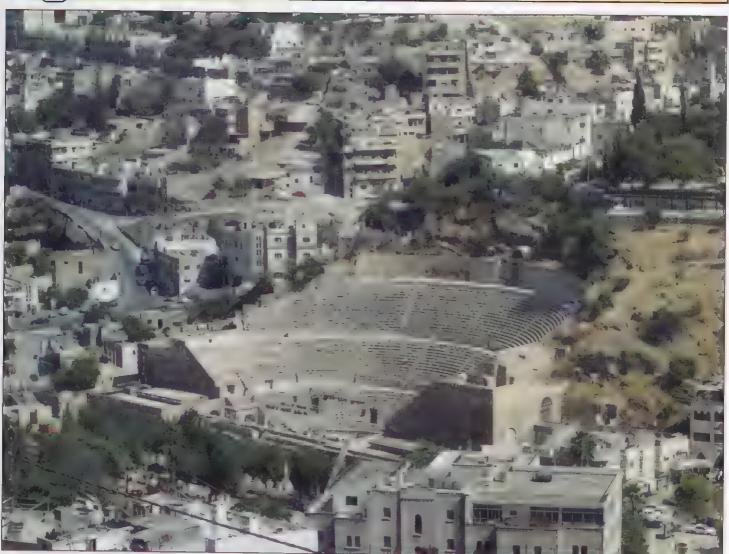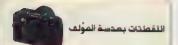
المسجد الأموي داخل قلعة عمان التاريخية

التقطات بعدسة المؤلف

صورة مقربة لمدخل المسجد الأموي.

فتوحات عمرو بن العاص على أرض فلسطين

[illegible] على الروم في اليرموك

فِلَسْطِينُ: بالكسر ثم الفتح، وسكون السين، وطاء مهملة، وآخره نون، والعرب في إعرابها على مذهبين: منهم من يقول فلسطينُ ويجعلها بمنزلة ما لا ينصرف ويلزمها الياء في كل حال فيقول هذه فلسطينُ ورأيت فلسطينَ ومررتُ بفلسطينَ، ومنهم من يجعلها بمنزلة الجمع ويجعل إعرابها بالحرف الذي قبل النون فيقول هذه فَلَسْطون ورأيت فَلَسْطين ومررتُ بفَلَسطينَ، بفتح الفاء واللام، كذا ضبطه الأزهري، والنسبة إليه فَلَسْطِيّ؛ قال الأعشى:

ومثلِكِ خَوْدٍ بادنٍ قد طلبتُها،

وساعيتُ معصيّاً إليها وُشاتَها

متى تُسْقَ من أنيابها بعد هجعة

من الليل شُرْبا حين مالت طلاتها

تَقُلْه فَلَسْطِيّاً إذا ذقت طعمه

على رَبِذاتِ النَيّ حُمْشٍ لِثاتُها

وهي آخر كور الشام من ناحية مصر، قصبتها البيت المقدس، ومن مشهور مُدُنها عسقلان والرملة وغزّة وأرْسوف وقيسارية ونابلس وأريحا وعَمّان ويافا وبيت جِبْرِين؛ وقيل في تحديدها: إنها أول أجناد الشام من ناحية الغرب، وطولها للراكب مسافة ثلاثة أيام، أولها رَفَح من ناحية مصر وآخرها اللّجون من ناحية الغَوْر، وعرضها من يافا إلى أريحا نحو ثلاثة أيام أيضاً، وزُغَرُ (صوغر) ديار قوم لوط، وجبال الشراة إلى أيلة كله مضموم إلى جند فلسطين وغير ذلك، وأكثرها جبال والسهل فيها قليل، وقيل: إنها سميت بفلسطين بن سام بن إرم بن سام بن نوح، عليه السلام، وقال الزجاجي: سميت بفلسطين بن كلثوم من ولد فلان بن نوح، وقال هشام بن محمد نقلته من خط جَخْجَخ: إنما سميت فلسطين بفليشين بن كسلوخيم من بني يافث بن نوح، ويقال: ابن صدقيّا بن عيفا بن حام بن نوح، ثم عُرِّبت فليشين؛ قال الشاعر:

ولو أنّ طيراً كُلّفت مثل سَيره

إلى واسط من إيلياء لكَلّت

سَمَا بالمهارى من فلسطين بعدما

دَنا الشمسُ من فَيْء إليها فولّت

وقال ابن الكلبي في قوله تعالى: ﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كَتَبَ الله لكم﴾؛ هي أرض فلسطين، وفي قوله تعالى: ﴿الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾؛ ...

• الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ٢٧٤ – ٢٧٥

موقع فلسطين من الفضاء الخارجي
البحر المتوسط
سوريا
فلسطين
الأردن
مصــــر

الفترة البيزنطية في فلسطين ٣٢٤م-٦٣٦م

اتسمت الفترة البيزنطية باعتراف الإمبراطور قسطنطين الأكبر بالديانة النصرانية ديناً رسمياً للدولة البيزنطية سنة ٣٢٤م حيث بنى عاصمته الجديدة القسطنطينية فوق قرية تقع على مضيق البوسفور عرفت باسم بيزنطة، وقد قامت والدته هيلانة بزيارة إيلياء (القدس) وأمرت ببناء كنيسة المهد في بيت لحم و كنيسة البشارة في الناصرة. وبعد وفاة قسطنطين حتى عام ٥٢٧م تولى حكم الإمبراطورية ١٧ إمبراطوراً بينهم ٤ كانوا مغتصبين للعرش، واعتبرت بيزنطة نفسها الوريثة الوحيدة للإمبراطورية الرومانية القديمة وتمكنت من السيطرة على البلاد العربية وحاولت فرض سيطرتها على الأراضي التي كانت تابعة لروما ثم أخذت هذه الإمبراطورية عبر المراحل اللاحقة تتسم بطابع خاص لها سياسياً واقتصادياً وعسكرياً وثقافياً ولم يتوقف الصراع والتنافس بين بيزنطة وفارس حول البلاد العربية بل خاض الطرفان في سبيل ذلك حروباً كثيرة، وكان لهذه الحروب أثرها الكبير في تذمر شعوب الإمبراطوريتين من هذا السباق المحموم والقائم على المصالح على حساب الفقراء والمعوزين؛ لذلك كان الناس بانتظار فرج رباني لتخلصيهم من تينك الاحتلالين (الساساني والبيزنطي).

بيد أن فلسطين أثناء الاحتلال البيزنطي لها: قسمت إلى ثلاثة أقسام إدارية رئيسة (انظر الصفحة ما بعد القادمة) هذا بالإضافة إلى تطور الإدارة خاصة في الفترة الأخيرة من العهد البيزنطي من حيث ارتباطها بقيام مدن جديدة أو على الأقل بمراكز مدينة جديدة أو رفع درجة بعض القرى إلى مستوى مدينة كما ازدادت المراكز الكنسية بحيث أصبحت ١٥ مركزاً في فلسطين.

وخلال السنوات من ٦١٠ م-٦٢٢ م؛ ونتيجة للصراع المرير بين الإمبراطوريتين قام الفرس بعدد من الهجمات على الإمبراطورية البيزنطية فنهبوا إنطاكية ودمشق واستطاعوا بمساعدة من اليهود احتلال القدس عام ٦١٤م وإضرام النار في عدد من الكنائس، ولكن الإمبراطور **هرقل** قام بعدة حملات عسكرية على الساسانيين؛ انتصر فيها عليهم حتى أنه وصل إلى عاصمتهم المدائن عام ٦٢٧م وحاصرها وخلع ملكها ومن ثم عقد الصلح معهم لكن الأمر لم يدم طويلاً لهرقل إذ أنه لم يستطع الثبات أمام جيوش المسلمين الذين قضوا على الدولة الساسانية ثم خلصوا بلاد الشام بما فيها فلسطين ومصر من أيدي البيزنطيين المحتلين الغاصبين بعد حركة الفتح الإسلامي عنوان هذا الأطلس!.

اختص العهد البيزنطي بحدثين تاريخيين كان لهما أكبر الأثر في تاريخ فلسطين:

أولهما ولادة النصرانية على أرض فلسطين.

وثانيهما نهاية اليهودية على أرض فلسطين، فقد ثار اليهود مرات عدة في عهد الرومان وأخضعهم الرومان منذ سنة ١٣٥ في عهد هدريان وقد تم سبيهم ولم يعد لهم من وجود يذكر، حيث أن تعاليم النصرانية مناقضة كل التناقض لطبيعة عصر بني إسرائيل منذ يوشع بن نون في القرن ٢ ق.م، حيث تبين صفحات التاريخ القديم أن بني إسرائيل كانوا يتعاملون مع شعوب المنطقة بالسلاح والقتل والتدمير لحضاراتهم فقد قاوم اليهود انتشار النصرانية، وقد ساعدوا الفرس في احتلال القدس بقيادة كسرى واحرقت كنيسة القيامة ونقل **الصليب** إلى فارس، وكذلك هدم الكثير من الأديرة والكنائس كما نهبت المدن.

خريطة مأدبا الفسيفسائية للأراضي المقدسة والتي تصوّر بيت المقدس بفلسطين

خريطة فسيفسائية من مادبا . تصوير المؤلف .

صور من المنطقة الفاصلة بين الأردن وفلسطين المحتلة . تصوير المؤلف

جاء في العهد القديم : « ودفنه (أي إبراهيم) إسحاق وإسماعيل ابناه ، في المغارة المكفيلة ، في حقل عفرون بن صوحر الحثي ، الذي أمام ممر الحقل ، الذي اشتراه إبراهيم من بني حث ، هناك دفن إبراهيم وسارّة امرأته » سفر التكوين (٢٥ : ٩-١٠) . يعلق الداعية الإسلامي المعروف الشيخ أحمد ديدات بقوله في هذا الصدد : نتساءل هل يشتري المالك أرضه أو جزءًا منها، ليدفن فيه ؟ والحديث هنا عن زعيم أمة وليس عن فرد عادي ! ومن هو الذي بزعمهم وهبه إياها ؟ أليس هو الله ؟ إذن هل عجز الله عز وجل، أن يمكن عبده وخليله، من حيازة ما وهبه هو أونسله من بعده ؟ إذن وعلى أساس من هذه الفقرة، يثبت التاريخ الطويل، وبعصوره المتوالية، عدم حيازة اليهود لفلسطين، أو هيمنتهم عليها من قبل، وبالنتيجة أنها لم توهب لهم، ولا حق لهم فيها .

كما جاء في العهد الجديد، شاهد آخر : « وقال الرب له (أي إبراهيم) : اخرج من أرضك، (وهي ليست فلسطين) ومن عشيرتك (وهم ليسوا الفلسطينيين) وهلم إلى الأرض التي أريك فخرج حينئذ من الكلدانيين وسكن حاران، ومن هناك نقله بعدما مات أبوه إلى هذه الأرض (فلسطين) ، التي أنتم الآن ساكنون فيها، ولم يعطه فيها ميراثا، ولا وطأة قدم، ولكن وعد أن يعطيها ملكا له ولنسله من بعده، ولم يكن له ولد بعد » أعمال الرسل (٧ : ٣-٥) . فإذا لم يكن له فيها ملك ولا ميراث، فكيف يورث لنسله بعده مالم يملك هو أصلا ؟. ويحق لنا بعد كل ما تقدم أن نتساءل : من هم ذرية إبراهيم الخليل عليه السلام ؟ وهل اليهود هم نسل إبراهيم الوحيد ؟ فنلفت انتباههم، إلى أن الكتاب المقدس - عند النصارى - يقرر فيما لا يقل عن اثني عشر موضعاً، في سفر التكوين، أن إسماعيل هو ابن إبراهيم عليهما السلام، وفيما يلي بعض منها : « فولدت هاجر لأبرام (إبراهيم) بواسطة الرب ابنا، ودعا أبرام ابنه الذي ولدته هاجر إسماعيل » سفر التكوين (١٦:١٥) .

- « وكان إسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة حين ختم في لحم غرلته » (١٧ : ٢٥) . بتصرف عن فلسطين والوعد الحق ، ص ١٩ - ٢٠ .

شيد (هيرودس) الحاكم البيزنطي المدن والقلاع والحصون والمسارح والملاعب والمدارج والساحات والأسوار والقصور، ومن المدن الجديدة (قيصيرية - قيسارية)، (انتيباتريس - خربة رأس العين وهي نسبة إلى أبيه). وأعاد بناء العديد من المدن والقلاع والأبراج ومن الآثار التي تم اكتشافها في أريحا سنة ١٩٥١م قصر هيرودس الشتوي الكبير. وقد امتد الزمن بدولة (الهرادسة الأدوميين) نسبة إلى هيرودس الكبير مائة سنة بعد الميلاد، ولما انهزمت دولتهم من قبل الساسانيين؛ لم يعودوا إلى موطنهم الأصلي حيث فضلوا البقاء على أرض الشام. ومن أبرز المدن التي سكنوها (جرش ، فيلادلفيا « عمَّان » ، بيسان ، دمشق) وكانت هذه المدن مراكز تجارية كبيرة وعمرانية بارزة .

أما بالنسبة إلى القضاء والضرائب والجندية كانت السلطة للرومان، وقد استفادوا من المدن اليونانية فسكنوها وباشروا بنشر لغتهم اللاتينية وتقاليدهم.

وفي أواخر القرن الرابع للميلاد انقسمت الإمبراطورية الرومانية إلى إمبراطوريتين غربية وشرقية، وكانت فلسطين وسوريا من أراضي الإمبراطورية الرومانية الشرقية (٣٩٥ - ٦٣٦م) وفي العهد الروماني الشرقي البيزنطي تكرّس اسم (فلسطين) التاريخي إدارياً وسياسياً وقسمت البلاد إلى ثلاث مناطق :

١ . فلسطين الأولى : وتشمل نابلس والقدس والخليل والسهل الساحلي حتى رفح وعاصمتها قيسارية .

٢ . فلسطين الثانية : وتشمل الجليل وأم قيس وقلعة الحصن وطبريا وعاصمتها بيسان .

٣ . فلسطين الثالثة : وهي بلاد الأنباط وتشمل منطقة جنوب فلسطين وبئر السبع وكانت البتراء في الأردن عاصمتها .

أما حيفا وعكًا من الشمال فقد كانتا ضمن فينيقيا الأولى وعاصمتها صور ومن أبرز المدن التي جدد الرومان بناءها : (إيليا كابيتولينا - القدس)، (نيابوليس - نابلس)، (وفصايلس - خربة فصايل)، (ويامينا - بيتا)، (طيبارية - طبريا) ، (ديسوبوليس - اللد)، (البثروبوليس - بيت جبرين)، (قيصرية - قيسارية) وغيرها من المدن.

وقد وجد في القرن الرابع الميلادي على أرض فلسطين ٣١ مدينة و٤٤٢ قرية، وقد بنى الرومان المعابد والهياكل والحصون والقلاع والقصور والمدارس والحمامات والأسواق. وكان الزي اليوناني ما زال سائداً في المدن خاصةً وقد كانت طبيعة الحياة فيها قد أخذت طبيعة الحياة اليونانية والرومانية، فانتشرت في المدن ألعاب المصارعة وسباق العربات والصيد وكذلك المباريات الموسيقية والتمثيليات والمسرحيات. ومن أشهر المدن حضارة في العهد الروماني كانت قيسارية وعسقلان وغزة ، وفي الريف ازدهرت الزراعة واستقرت معظم القبائل في بيوت حجرية وقد اتجه الرومان إلى بناء السدود والقنوات.

وفي الصناعة اشتهرت فلسطين بصناعة الكتان والنسيج والصباغة، وساهمت الطرق الرومانية في تشجيع التجارة، وظلت اللغة الآرامية هي اللغة المحكية الدارجة، واللغة اليونانية لغة الأدب والتعليم، وكانت أيضاً لغات خاصة للشعوب المتعددة .موقع فلسطين على الشبكة العنكبوتية .

فتوحات عمرو بن العاص على أرض فلسطين بعد اليرموك
صور
الشمال
عكا
صفد
حيفا
بحيرة طبرية
طبرية
فيق
الناصرة
حاصرها عمرو منذ العام الثالث عشر للهجرة ثم فتحها معاوية في العام التاسع عشر للهجرة .
قيسارية
الخضيرة
جنين
البحر الكبير
(بحر الروم)
نهر الأردن (الشريعة)
عجلون
طولكرم
سبسطية
نابلس
ملبس
يافا
السلط
عيون قارة
اللد
الرملة
فلسطين
رام الله
عمواس
يبنى
أريحا
أسدود
إيلياء
(بيت المقدس)
فتحها عمرو لكن أهلها انتقضوا بعد أن وصلتهم إمدادات عسكرية من الروم ؛ ثم خضعت أخيراً للمسلمين على يد معاوية بن أبي سفيان .
بيت جبرين
بيت لحم
مادبا
عسقلان
الخليل
بحيرة لوط
(البحر الميت)
المجدل
غزة
تذكر بعض الروايات التاريخية : أن غزة فتحت في عهد سيدنا أبي بكر رضي الله عنه .
رفح
المزرعة
بير السبع
الطفيلة
صفر
٢٠
٤٠
٦٠
٨٠
١٠٠ كم

فتح بيت المقدس

[illegible] وقيل في ربيع الأول [illegible]

بعد أن أتم عمرو بن العاص تطهير سائر الأراضي الفلسطينية لم يبق له سوى قيسارية وإيلياء (بيت المقدس) أما قيسارية فهي مدينة ساحلية سبيلها إلى بيزنطة موصول بالبحر، وأما القدس فقد صارت جيباً معزولاً محاصراً فوق جبال الجليل. ولئن كانت لدمشق الأهمية الأولى من الناحية الحربية لحصانتها واعتصامها خلف أسوارها حتى غدت قلعة منيعة تخترقها الأنهار، فلقد كان للقدس قداستها وأهميتها الدينية والروحية وما زالت حتى يومنا هذا وإلى أن تقوم الساعة وهي بالنسبة للمسلمين أولى القبلتين ومسرى خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم[1].

وبعد تضييق المسلمين الحصار على بيت المقدس، كتب أرطبون الروم إلى عمرو بن العاص يقول له: إنك صديقي ونظيري، أنت في قومك مثلي في قومي، والله لا تفتح من فلسطين شيئاً بعد أجنادين، فارجع ولا تُغره فتلقى ما لقي الذين قبلك من الهزيمة، فكتب إليه عمرو كتاباً يقول فيه إنه (صاحب فتح هذه البلاد)، وأرسل الكتاب مع رسول وأمره أن ينقل إليه رد الأرطبون، فلما قرأ الأرطبون كتاب عمرو ضحك مما جاء فيه وقال إن صاحب فتح بيت المقدس هو رجل اسمه (عمر)، ونقل الرسول إلى عمرو ما سمعه من الأرطبون، فعرف عمرو أن الرجل الذي يعنيه الأرطبون هو الخليفة، فكتب إلى الخليفة يخبره بما جاء على لسان الأرطبون أنه لا يفتح المدينة إلا هو، ويستمده، ويستشيره قائلاً إني أعالج حرباً كؤوداً صدوماً وبلاداً ادُّخرت لك، فرأيك، فخرج الخليفة – بعد الاستشارة – في مدد من الجند، إلى الشام، بعد أن استخلف على المدينة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ونزل بالجابية، فجاءه أهل إيلياء (فصالحوه على الجزية، وفتحوها له)[2].

الإسراء والمعراج: من أكبر الآيات الباهرة؛ فلقد أُسري بالنبي -صلى الله عليه وسلم- في ليلة واحدة إلى بيت المقدس، واجتمع هناك بالأنبياء عليهم السلام، وصلى بهم، ثم عرج به جبريل إلى السماء، حتى بلغ سدرة المنتهى فوق سبع سموات، وأوحى الله - تعالى - إليه ما أوحى، وشاهد -صلى الله عليه وسلم- من آيات ربه الكبرى ما شاهد ومر بالأنبياء عليهم السلام في كل سماء، ورجع إلى مكة، كل ذلك في ليلة واحدة، مع بُعد المسافة الأرضية بين مكة وبين بيت المقدس، ثم البعد العظيم بين السماء والأرض، وبين السماء الدنيا وما فوقها إلى سدرة المنتهى. وقد أخبر الله - تعالى - في القرآن عن الإسراء في سورة الإسراء، وعن المعراج في سورة النجم إذا هوى.

---

١ – أحمد عادل كمال، الطريق إلى دمشق، ص ٥٢٢

٢ – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ص ٦٢٨، بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي.

محاصرة الجيش الإسلامي لإيلياء (بيت المقدس)
إلى دمشق وحمص
نهر الليطاني
صور
سوريا
اكزيب
بطلمايس
البحر الكبير (البحر الأبيض المتوسط - البحر الشامي)
بحيرة طبرية
أرض
نهر الأردن
قيسارية
الأردن
السامرة
يافا
اللد
أريحا
إيلياء
أسدود
فلسطين
بحيرة لوط
غزة
سير أبو عبيدة سبعة جيوش إلى بيت المقدس وجعل على كل جيش قائداً ضم إليه ٥٠٠٠ فارس
١ خالد بن الوليد
٢ يزيد بن أبي سفيان
٣ شرحبيل بن حسنة
٤ المرقال بن هاشم بن عتبة
٥ المسيب بن نجية الفزاوي
٦ قيس بن هبيرة
٧ عروة بن مهلهل
٨ جيش عمرو بن العاص
((إننا نستطيع أن نقطع بأن القدس لم تطلب الصلح قبل الحصار، لأن ذلك قول يتعارض مع تاريخ المدينة المنيعة الحصينة، ويتعارض كذلك مع تمسك الروم بها لأنها المدينة المقدسة التي تضم كل مقدساتهم ففيها كنيسة القيامة، وفيها الصليب الأعظم ـ قلت : بأن هذه أسطورة وضعها محدثو البدعة في النصرانية ليروجوا لبدعتهم ـ وفوق ذلك فإن السيد المسيح مشى على ترابها فباركها ، وأصبحت مزاراً يحجون إليه، ويتبركون به، ويلتمسون عنده الغذاء الروحي)) . بتصرف عن كتاب جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين للدكتور / محمد السيد الوكيل.
صفر ١٠ ٢٠ ٣٠ ٤٠ ٥٠كم

وصول الفاروق رضي الله عنه إلى الجابية
الامبراطورية الرومانية
أرض الأكراد
الشمال
أنطاكية
حلب
نهر العاصي
حماة
آلاسيا
الامبراطورية الساسانية
حمص
نهر الفرات
نهر دجلة
سوريا
بيروت
دمشق
البحر الكبير
(بحر الروم)
الجابية
جند فلسطين
جند الأردن
فلادلفيا
إيلياء
العراق
إلى مصر
عمان
أيلة
سيناء
خط سير عمر إلى الجابية .
بحر القلزم (البحر الأحمر)
المدينة النبوية
١ أثناء حصار عمرو بن العاص لإيلياء (بيت المقدس) طلب أهلها الصلح بحضور خليفة المسلمين .
٢ أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يستخلف على المدينة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ويتوجه إلى الجابية .
٣ أبو عبيدة يستخلف على حمص عبادة بن الصامت ، ويتحرك لمناصرة عمرو في حصاره لبيت المقدس .
٤ القادة المسلمون يلتقون بالخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الجابية .
٥ أرطبون الروم يفر من بيت المقدس ويلحق بمصر بعد مجيء عمر .
٦ أبو عبيدة يُعيّن سعيد بن زيد بن نفيل حاكماً على دمشق أثناء خروجه للقاء عمر في الجابية .
٧ الخليفة عمر يكتب نص الصلح مع إيلياء في الحابية (أقرا النص في الصفحة المقابلة) .
((إنا قد أحببنا مصالحتكم ولسنا
نثق بكم، ولكن اكتبوا إلى صاحبكم
عمر بن الخطاب حتى يقدم علينا
فيكون هو الذي يعطينا الأمان،
ويكتب لنا العهد فإنا به واثقون،
وإليه نميل)).

نص الصلح

العهدة العمرية

« بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تُهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيّزها ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم ولا يُضارّ أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود وعلى أهل إيلياء أن يُعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يُخرجوا منها الروم واللصوت (اللصوص) فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلّي بِيَعهم وصُلُبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بِيَعهم وصُلُبهم، حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان؛ فمن شاء منهم قعد، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله، فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية، شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان وكتب وحضر سنة خمس عشر » الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ص ٦٢٨-٦٢٩، بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي

دخول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى بيت المقدس فاتحاً

فتح بيت المقدس

سار عمر الفاروق رضي الله عنه من الجابية إلى بيت المقدس ، ثم صالح النصارى ، واشترط عليهم إخراج الروم خلال ثلاثة أيام، ثم دخل المسجد. ذكر ابن كثير أن عمر رضي الله عنه دخل المسجد من الباب الذي دخل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء، وصلى فيه تحية المسجد، ثم صلى صلاة الغداة من الغد فقرأ في الأولى بسورة (ص) وسجد فيها والمسلمون معه، وفي الثانية بسورة (بني إسرائيل) . وسأل عمر كعب الأحبار عن مكان الصخرة فدله عليها ،وذلك لأن الصراع بين اليهود والنصارى كان قد بلغ أشده، وكانت الأيام بينهم دول، فإذا كان النصر للنصارى ضيعوا معالم الصخرة وجعلوها مزبلة يلقون فيها القاذورات والأوساخ . حتى أن المرأة كانت ترسل خرقة حيضها لتُلقى في الصخرة، وذلك لأن الصخرة قبلة اليهود . وكان ذلك من النصارى في استعمال الصخرة محلاً لإلقاء الكناسة حتى وصلت المحراب (محراب داود عليه السلام) ... ولهذا لم يعرف عمر مكان الصخرة لأنها مغطاة بالزبالة والأوساخ، ولما رآه المسلمون فعلوا كما فعل. رضي الله عنه ، وأمر الخليفة أهل الأردن بنقل ما تبقى من التراب والأوساخ عن الصخرة ففعلوا ... وبينما عمر يطوف في كنيسة القيامة يصحبه البطريق الأكبر (صفرونيوس) ويتحدث معه وقد أنس به وأحس منه الصدق فيما أعطاهم من العهد إذ حانت الصلاة، وطلب منه عمر مكاناً يصلي فيه، وأشار عليه البطريق أن يصلي حيث هو في الكنيسة وأخبر البطريق بأنه يخشى أن صلى فيها أن يغلبهم المسلمون عليها ، ويقولون : هنا صلى أمير المؤمنين . ولهذا السبب نفسه اعتذر عن الصلاة في كنيسة أخرى حتى يثبت لهم أن المسلمين معنيون بتنفيذ شروط الصلح، وعازمون على الوفاء بها ما لم يحصل منهم نقض أو ما يسبب النقض . ودخل عمر الكنيسة . كنيسة المهد . في بيت لحم يصحبه صفرونيوس، وبيت لحم تبعد عن القدس ثمانية كيلو مترات مما يدل على اهتمام عمر بتفقد كل ما جرى الصلح عليه، وأدركت عمر الصلاة وهو في الكنيسة فصلى فيها ، ولكنه خاف أن يتخذها المسلمون مسجداً فكتب عهداً خاصاً بهذه الكنيسة، ومنع المسلمين من دخولها في صورة جماعية وسمح لهم كأفراد . وعلل الدكتور / محمد السيد الوكيل أن عمر رضي الله عنه صلى في هذه الكنيسة بعد امتناعه من الصلاة في كنيستي القيامة وقسطنطين: ليثبت للعالم أن الأرض كلها مسجد بالنسبة للمسلمين ، وليزيل ما قد علق في قلب البطريق من كراهية عمر للصلاة في الكنيسة لأمر آخر غير الذي ذكره له .

وكان فتح إيلياء في ربيع الآخر من السنة السادسة عشرة من الهجرة ، ويرى البلاذري أن فتحها كان في سنة سبع عشرة وجمهور المؤرخين يضعون فتحها في أحداث السنة الخامسة عشرة . قضى الخليفة عشرة أيام في القدس تفقد فيها جند المسلمين كما تفقد أحوال المعاهدين وقسم البلاد إلى أقسام لتسهل إدارتها على الأمراء ، وعيّن لكل قسم أميراً . وعاد الخليفة إلى المدينة العاصمة ففرح المسلمون بعودته فرحاً عظيماً . بتصرف عن كتاب جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين ، ص ٣٠٢ ـ ص ٣٠٦ . للدكتور / محمد السيد الوكيل

موقع مدينة القدس على أرض فلسطين

الأردن

البحر الميت

مدينة القدس (ايلياء)

فلسطين

أرض

الخليل

موقع بيت المقدس على أرض فلسطين

صورة من الجو لبيت المقدس؛ يظهر فيها السور الكبير وبداخله المسجد الأقصى وقبة الصخرة
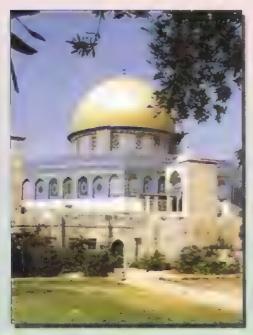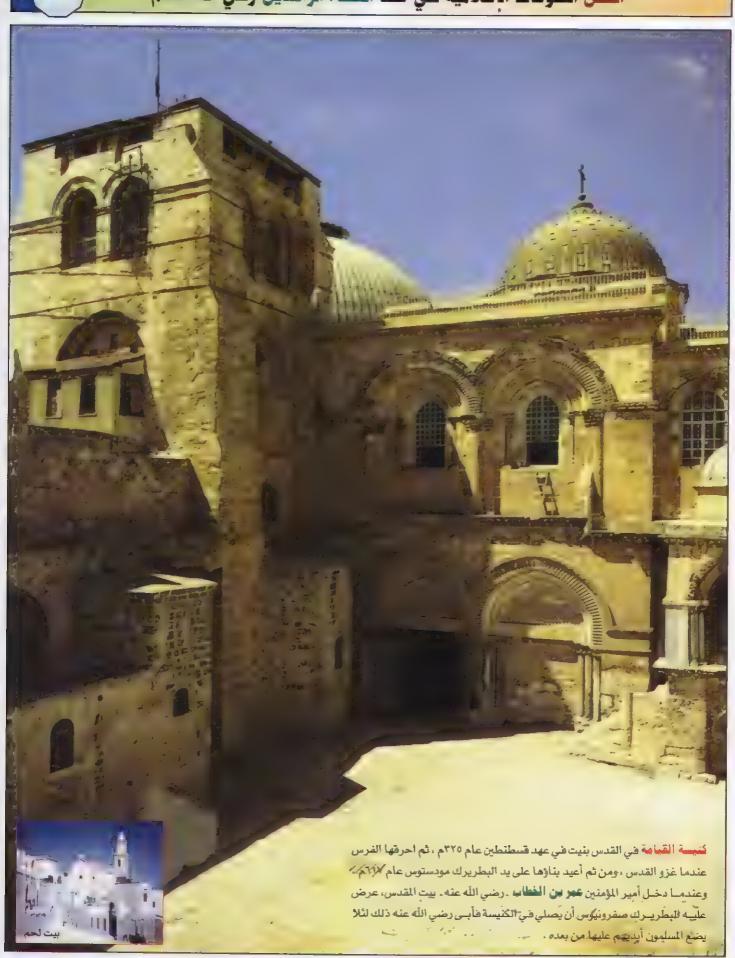
المسجد الأقصى الشريف

باب الأسباط

مسجد قبة الصخرة

باب داود

باب العامود

باب الساهرة

بيت لحم

كنيسة القيامة في القدس بنيت في عهد قسطنطين عام ٣٢٥م ، ثم احرقها الفرس عندما غزو القدس ، ومن ثم أعيد بناؤها على يد البطريرك مودستوس عام ٦١٦م وعندما دخل أمير المؤمنين **عمر بن الخطاب** -رضي الله عنه- بيت المقدس، عرض عليه البطريرك صفرونيوس أن يصلي في الكنيسة فأبى رضي الله عنه ذلك لئلا يضع المسلمون أيديهم عليها من بعده .

فتح قيسارية

إلى دمشق — الجابية — حيفا — البحر الكبير (بحر الروم) — طبريه — فلسطين — قيسارية — نابلس — يافا — اللد — عمواس — إيلياء (بيت المقدس) — الخليل — بحر الأردن (الشريعة) — بحيرة لوط (البحر الميت) — فيلادلفيا — الأردن — الكرك — إلى المدينة — الشمال

① عمرو بن العاص يعاود مرة ثانية محاصرة قيسارية لفتحها بعد فتح بيت المقدس .

② عمرو بن العاص يترك قيسارية ويتوجه لبدء عمليات الفتح على الساحة المصرية .

③ في سنة ١٨ هـ طاعون عمواس يعم أرجاء كبيرة من فلسطين والشام .

④ الخليفة عمر رضي الله عنه يكلّف معاوية بن أبي سفيان بمحاصرة قيسارية .

⑤ معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه يتوجه من دمشق نحو قيسارية لمحاصرتها .

كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى معاوية بن أبي سفيان :

«أما بعد، فإني قد وليتك قيسارية ، فسر إليها واستنصر الله عليهم، وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله ، الله ربنا ، وثقتنا ، ورجاؤنا ، ومولانا . نعم المولى ونعم النصير» .

فسار معاوية في جنده حتى نزل على أهل قيسارية فحاصرهم ، وكانوا كلما زاحفوه بقيادة (أبنى) هزمهم وردهم إلى حصونهم ، وأخيراً خرجوا وقاتلوا قتال المستميت ، فبلغت قتلاهم ٨٠.٠٠٠ في المعركة ، وكملها في هزيمتهم ١٠٠.٠٠٠ مقاتل من الروم والذين أرادوا الاحتفاظ بقيسارية لتكون موطئ قدم لهم على ساحل الشام الجنوبي أرض فلسطين .

بحر الروم — قيسارية — فلسطين — إيلياء — فيلادلفيا — الأردن — معان — سيناء — جزيرة العرب — بحر القلزم (البحر الأحمر) — المدينة النبوية — الشمال

معاوية يبعث رجلين ببشارة الفتح إلى الخليفة عمر رضي الله عنه

بقايا أثرية في (قيسارية) لأطلال من العهد البيزنطي

قيسارية : مدينة تاريخية تقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسط ، بناها الكنعانيون و سموها (برج ستراتون) وهي من أقدم المناطق التي سكنت في فلسطين، ذات موقع أثري، و كان هيرودوس الروماني قد أطلق عليها اسم (قيصرية) نسبة إلى القيصر الروماني (أوغسطس)، أمر أمير المؤمنين الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه معاوية بن أبي سفيان بالتحرك نحوها وتولي أمورها، فسار إليها في سبعة عشر ألفاً يعالج فتحها فحاصرها حتى كان فتحها المبين في شهر شوال من سنة ١٩ هـ بعد أن كاد اليأس أن يدب في نفوس البعض ولكن الله سلم .

أعمدة من العهد البيزنطي بقيسارية الفلسطينية

١ الجيش الإسلامي بقيادة أبي عبيدة عامر بن الجراح يعود إلى حمص وسط حفاوة أهلها بصفتهم محررين لا فاتحين .

٢ أبو عبيدة يبعث خالداً إلى قنسرين لفتحها وتأديب الأعراب الذين اتحدوا مع الروم فيها ، وبعد انتصار المسلمين عليهم طلبوا الصلح ؛ فصالحهم المسلمون على غرار صلح حمص .

٣ أبو عبيدة يسير قواته إلى حلب الشهباء؛ الذين تحصن أهلها في مساكنهم بعد أن علموا بمجيء المسلمين فطلبوا الصلح .

٤ أبو عبيدة يرسل السمط بن الأسود الكندي لتأديب أهل قنسرين الذين نقضوا العهد مع المسلمين .

٥ أبو عبيدة يسير جيشه من حلب إلى أنطاكية حيث استطاع محاصرة أهلها ؛ والذين صالحوه على دفع الجزية ؛ لكنهم سرعان ما نقضوا العهد مع المسلمين، فأرسل إليهم حبيب بن مسلمة والذي فتحها على الصلح الأول .

٦ قال البلاذري : كانت أنطاكية عظيمة الذكر عند عمر وعثمان فلما فتحت ، كتب عمر إلى أبي عبيدة أن رتب بأنطاكية جماعة من المسلمين أهل نيات وحسبة واجعلهم مرابطة ولا تحبس عنهم العطاء .

مدينة حلب من خلال قلعتها الأثرية

في الصورة الأولى مؤلف ومصمم الأطلس أمام قلعة حلب الشهباء الأثرية، وفي الصورتين الثانية نحت أثري والثالثة نقوش لكتابات قديمة من متحف حلب التاريخي. عدسة المؤلف.

حَلَبُ: بالتحريك: مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات طيبة الهواء صحيحة الأديم والماء، وهي قصبة **جند قنسرين** في أيامنا هذه؛ والحَلَب في اللغة: مصدر قولك حَلَبْتُ أحلُبُ حَلَباً وهربتُ هَرَباً وطربت طَرَباً، والحَلَب أيضاً: اللبن الحليب، يقال: حلبنا وشربنا لبناً حليباً وحَلَباً، والحَلَب من الجباية مثل الصدَقة ونحوها؛ قال الزَّجّاجي: سمّيت حلب لأن إبراهيم، عليه السلام، كان يحلب فيها غنمه في الجمعات ويتصدَّق به فيقول الفقراءُ حلبَ حلبَ، فسمي به؛ قلت أنا: وهذا فيه نظر لأن إبراهيم، عليه السلام، وأهل الشام في أيامه لم يكونوا عرباً إنما العربية في ولد ابنه إسماعيل، عليه السلام، وقحطان، على أن لإبراهيم في قلعة حلب مقامين يزاران إلى الآن، فإن كان لهذه اللفظة، أعني حلب، أصل في العبرانية أو السريانية لجاز ذلك لأن كثيراً من كلامهم يشبه كلام العرب لا يفارقه إلا بعجمة يسيرة كقولهم كهنّم في جهنم؛ وقال قوم: إن حلب وحمص وبرذعة كانوا إخوة من بني عمليق فبنى كلُّ واحد منهم مدينة فسمّيت به، وهم بنو مهر ابن حيص بن جان بن مكنّف، وقال الشرقي: عمليق بن يلمع بن عائذ بن إسليخ بن لوذ بن سام، وقال غيره: عمليق بن لوذ بن سام، وكانت العرب تسميه غريباً وتقول في مثل: من يُطِعْ غريباً يُمْسِ غريباً، يعنون عمليق بن لوذ، ويقال: إن لهم بقية في العرب لأنهم كانوا قد اختلطوا بهم، ومنهم الزَّبّاءُ، فعلى هذا يصحُّ أن يكون أهل هذه المدينة كانوا يتكلمون بالعربية فيقولون حلب إذا حلب إبراهيم، عليه السلام. الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٨٢ .

صحن الجامع الأموي في حلب الشهباء

حلب مدينة غنية بمساجدها التاريخية، منها المسجد الأموي الكبير وفيه ضريح ينسب إلى نبي الله زكريا عليه السلام؛ واعداد كبيرة من الجوامع والمساجد ومقامات وشواهد هامة في التاريخ الإسلامي وكذلك أبنية ومنشآت وكنائس تاريخية كثيرة مثل: كنيسة الأربعين شهيد، وكنيسة السيدة، وكنيسة العذراء مريم، و كنيسة سيدة الانتقال، وكنيسة الأرمن، والكنيسة الإنجيلية وغيرها، وفي المدينة الكثير من الأبنية الأثرية والقصور والخانات القديمة التي تحول بعض منها إلى فنادق يأمها السياح الأجانب، وفي مدن محافظة حلب المنتشرة الكثير من المدن والمواقع الأثرية التي تضم أوابد ضاربة في أعماق القدم .

لقد كان لمدينة حلب دور حضاري متميز في كافة العصور والحضارات التي قامت في شمالي سوريا وبلاد مابين النهرين منذ الألف الثالث قبل الميلاد وتمثل ذلك في الحضارة الأكادية والحثية والآرامية والأمورية واليونانية والرومانية، وقد كانت حلب عاصمة لأقوى دولة أمورية - يمحاض - في القرن ١٨ ق.م . مصدر الصفحتين مجموعة ويكبيديا الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية.

زقاق داخل المدينة التاريخية في حلب
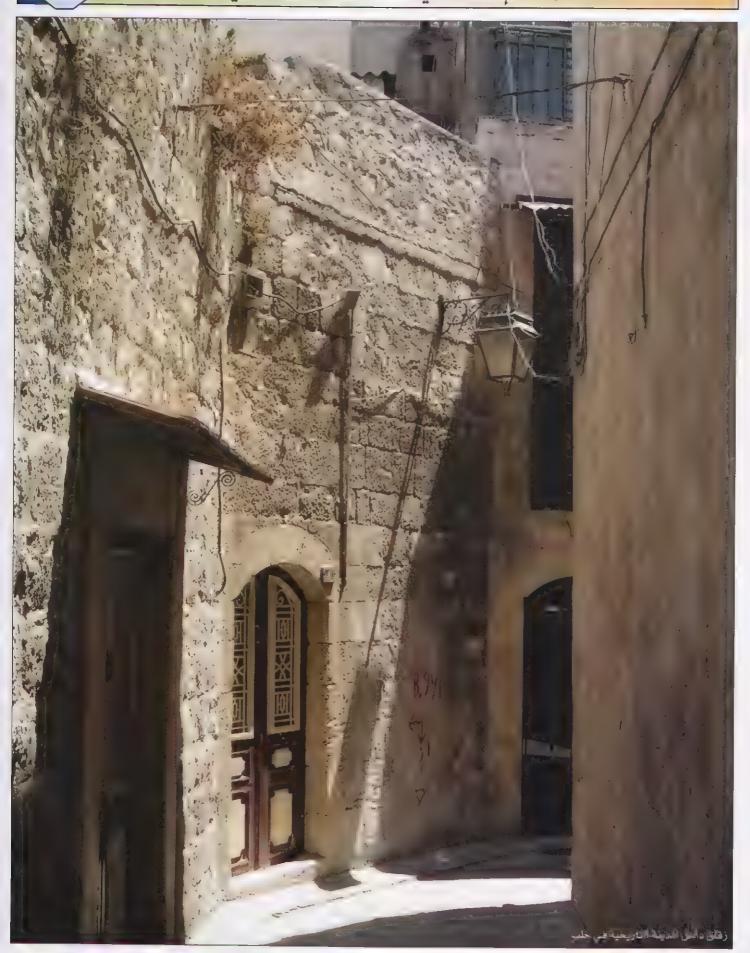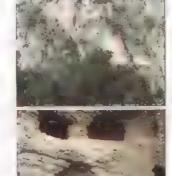
نهر العاصي وهو يخترق انطاكية

في سنة ٣٢٣ ق.م مات الإسكندر المقدوني، وقام كبار ضباطه بالاتفاق على اقتسام إمبراطورية الإسكندر فيما بينهم. فأخذ بطليموس مصر و فلسطين، و أخذ أنتيغون مقدونيا و آسيا الصغرى، بينما أخذ سلوقس الأول نيكاتور سوريا و بابل و فارس.

قام انتيغون بإنشاء مدينة الإسكندرونة عند مصب نهر العاصي في سوريا سنة ٣١٧ ق.م، بعد ذلك استولى سليقوس نيكاتور على هذه المدينة سنة ٣٠١ م وأقام مكانها مدينة سماها **انطاكية** على اسم أبيه أنطيوخوس. وعلى نفس المنوال أنشأ مدينة أخرى أطلق عليها اسم والدته لاثوديسيا (اللاذقية). ثم أنشأ مدينة أفاميا باسم روجتة على مسافة من اللاذقية إلى الداخل في سوريا.

أحب سليقوس مدينة أنطاكية فأمر بأن ينقل إليها كل ماله قيمة من أنقاض مدينة انتغون المهدمة، ومنح سكان المنطقة حقوق مساوية لليونانيين ليشجعهم على الانتقال إليها، فعاشت المدينة سنين ازدهار طويلة حتى صارت درة الممالك السلوقية وعاصمتها من البحر المتوسط إلى حدود الهند. لاحقاً عانى الأنطاكيون من حكم السلوقيين مما دفعهم إلى تسليم المدينة لتكران ملك الأرمن سنة ٨٣ ق.م، ولكن مالبث الروم أن فرضوا سيطرتهم عليها سنة ٦٤ ق.م وهكذا أصبحت سوريا تحت حكم جمهورية روما. حتى جاء الفتح الإسلامي ليحررها من ربق العبودية الظالم، وينشر في ربوعها الإسلام، وفي الصفحة صور تاريخية من أنطاكية والسويدية، بعدسة مؤلف ومصمم الأطلس

قال ياقوت : إن أول من بنى أنطاكية وسكنها هي أنطاكية بنت الروم بن اليقن (اليفز) بن سام بن نوح، عليه السلام، أخت أنطالية، باللام، ولم تزل أنطاكية قصبة العواصم من الثغور الشامية، وهي من أعيان البلاد وأمهاتها، موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير. ثم يستطرد قائلاً .. وبين أنطاكية والبحر نحو فرسخين ولها مرسى في بلد يقال له السويدية ترسو فيه مراكب الإفرنج يرفعون أمتعتهم على الدواب إلى أنطاكية ... معجم البلدان

واجهة كنيسة أنطاكية الأولى

الكنيسة من الداخل

حاءت رسالة النصرانية فـي وقت مبكـر لأنطاكيـة ، بعد وفـاة ستيفن في إيلياء حـوالي ٣٥ م . وغادر العديـد من النصارى المدينة للتوجه الى قبرص، ولفينيقيـا (لبنـان) . وأنطاكية. وكان بارناباس في أنطاكيـة سنة ٣٨ م ، وجعل بولس مـن طرسوس تمد له يـد العـون. وتوقف الجميـع في أنطاكية فـي نفس السنة . بعد أن قدم إليها النصـارى فارين بدينهم من اضطهاد اليهود والرومـان. وكان القديس بطرس هـو المؤسس الفعلي لكنيسة أنطاكية، وتتميز مهمته الأولى أن هناك من بـين الوثنيين. مكث ثلاث سنوات ، وعاد مرتين . ومنها انطلق بولس في رحلته التنصيريـة . للمزيـد انظـر كتابنـا الموسوم (أطلس الأديان. تاريخ. عقائد. انتشار) .

فتح الأجزاء المتبقية من الشمال السوري

الإمبراطورية البيزنطية
الشمال الحلبي
نصارى العرب
ميدان اكبس
النهر الأسود
قورس
دير صوان
نهر عفرين
أعزاز
عفرين
قلعة سمعان
عرب وبران
منبج
قباسين
نهر الساجور
شمال
زعرايا
حلب
جبرين
الأتارب
تيزين
جبول
عراجين
بالس
معرة مصرين
قنسرين
إدلب
صفر ١٠ ٢٠ ٣٠ ٤٠ ٥٠ كم
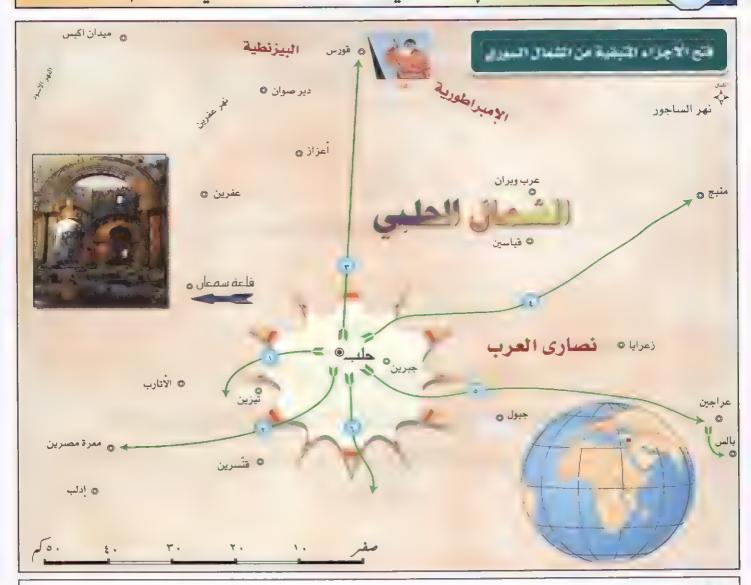
١. قوات أبي عبيدة تقاتل فلول الروم المنهزمة بين حلب ومعرة مصرين ، وتنزل هزيمة ساحقة بهم .
٢. قيام القوات الإسلامية بفتح معرة مصرين على مثل صلح حلب .
٣. الجيش الإسلامي بقيادة أبي عبيدة يتجه نحو قورس ويكتب عهداً مثل الذي أعطى أهل أنطاكية ، وكتب للراهب في قرية له .
٤. أبو عبيدة يقدم قوة إلى منبج ثم يلحق بهذه القوة ويصالح أهل منبج على غرار صلح أنطاكية .
٥. أبو عبيدة يتقدم بقواته نحو عراجين ويقدم مقدمته إلى بالس ويبعث حبيب بن مسلمة في جيش إلى قاصرين .
٦. أبو عبيدة يتوجه إلى (إيلياء) القدس للمشاركة الكبرى في فتحها ، بعد أن تمكن من فتح الشمال السوري .
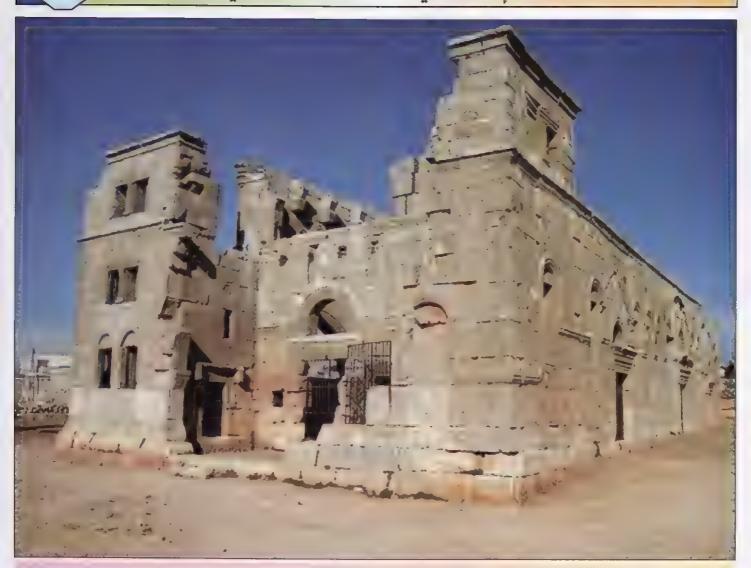
كنيسة قلب لوزة في جبل الأعلى بمحافظة حلب، تعود إلى القرن السادس الميلادي، فصلت الركائز الضخمة بدل الأعمدة بين ابهائها الثلاثة . وكانت محجاً للنصارى في الماضي يقصدونها من كل صوب وحدب وتضمّ حنيتها الشرقية وأبوابها ونوافذها أجمل النقوش والزخارف.

كَنَسَ الظَّبْيُ يَكْنِسُ: دَخَلَ في كِناسِه، كتَكَنَّسَ، وهو مُسْتَتِرُهُ في الشجرِ، لأنه يَكْنِسُ الرمْلَ حتى يَصِلَ ج: كُنُسٌ وكُنَّسٌ، كرُكَّعٍ، وع. والجَوارِي الكُنَّسُ: هي الخُنَّسُ، لأنها تَكْنِسُ في المَغِيبِ، كالظِّبَاءِ في الكُنُسِ، أو هي كُلُّ النُّجُومِ، لأنها تَبْدُو لَيلاً وتَخْفَى نَهاراً، أو الملائكةُ، أو بَقَرُ الوَحْشِ وظِباؤُهُ. والكُناسَةُ، بالضم: القُمامَةُ، وع بالكوفة. وسَمَّوْا: كُناسَةَ. والكَنِيسَةُ: مُتَعَبَّدُ اليَهُودِ أو النصارى أو الكُفَّارِ، ومَرْسىً ببحرِ اليمنِ مما يَلِي زَبِيدَ، والمرأةُ الحَسْناءُ. والكنيسةُ السَّوداءُ: د بثَغْرِ المَصِيصَةِ. والكُنَيِّسَةُ، تصغيرُ الكنيسة: سبعةُ مَواضِعَ، ستَّةٌ بمصرَ، ود قربَ عَكَّاءَ. وفرسٌ مَكْنُوسَةٌ، أي: مَلْساءُ الباطِنِ، أو جَرْداءُ الشَّعَرِ. ومِكْناسَةُ الزَّيْتُونِ، بالكسر: د بالمغرب. ومِكْناسَةُ: حِصْنٌ بالأنْدَلُس. وتَكَنَّسَ: دَخَلَ الخَيْمَةَ، و المرأةُ: دَخَلَتِ الهَوْدَجَ. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة كنس .

واجهة دير سمعان

دير سمعان أو ثلانيسوس هو دير في سوريا بالقرب من حلب . وقد سمي دير سمعان نسبة للقديس والناسك السوري – سمعان العامودي الذي ولد عام ٣٨٩ م ببلدة (سيسان) جنوبي جبل سمعان ولجأ إلى دير ثلانيسوس عام ٤١٢ م، فكان يصوم أياماً بدون طعام أوشراب كما يقال! ويبقى أياماً واقفاً ممارساً لطقوسه الدينية!، اعتزل سمعان العامودي في هذا المكان متعبداً وناسكاً يعيش فوق عامود بارتفاع – ٤٠ ذراعاً أي ما يقارب ١٥ متراً تقريباً لمدة أكثر من أربعين سنة وكان تلاميذه يصعدون له فوق رأس العامود ويزوره النصارى للتبرك به.

و قد كان عمر بن عبدالعزيز الخليفة الأموي الزاهد؛ قد عين أميراً على إمارة دير سمعان قبل تولي زمام الخلافة؛ حيث ظل والياً عليها حتى سنة ٨٦ هـ .

كنيسة رويحة الشمالية

كنيسة رويحة الشمالية (كنيسة بيزوس) وتعود إلى القرن السادس م، بناها بيزوس المدفون قربها في قبر حجري ذي سقف نصف كروي. وتمتاز الكنيسة بضخامتها وفتحات أقواس ركائزها الواسعة وزخرفة أبوابها.

منبج مدينة في هضبة حلب الشرقية. تقع في أرض منبسطة إلى الجنوب الشرقي من "قصر البنات" الأثري بمسافة ٢كم، وإلى الغرب من نهر الفرات بمسافة ١٥كم، وإلى الشمال الشرقي من مدينة حلب بمسافة ٨١كم، تبدلت تسميتها في العصور التاريخية المتعاقبة، ففي العصر الآشوري كان اسمها "مَبُوغ"، وفي العصر الروماني "هيرابوليس" وغدا اسمها بعد الفتوحات العربية الإسلامية "منبج". تلتقي في شمالها عدة أودية سيلية. وكانت مسرحاً للمعارك بين الفرس والبيزنطيين، ثم بين العرب والبيزنطيين. منها خرج الشاعر البحتري الطائي. هدمها تيمورلنك سنة ١٤٠٠م. وسكنها الشراكسة المهاجرون من القوقاز عام ١٨٧٨م. وتتميز بكثرة آثارها.

معبد من العصر البيزنطي بمنبج

فتح اللاذقية وبقية الساحل السوري الشمالي

استخلف أبو عبيدة على حمص **عبادة بن الصامت** قبل أن يمضي إلى بيت المقدس . فأتى عبادة اللاذقية فقاتله أهلها وكان لها باب عظيم حصين لا يفتحه إلا جماعة من الناس . فلما رأى صعوبة فتحها عسكر على بعد من المدينة ثم أمر أن تحفر حفائر تستر الواحدة منها الرجل وفرسه. واجتهد المسلمون في حفرها حتى فرغوا منها، ثم أظهروا الرجوع إلى حمص نهاراً ، فلما جُنَّ عليهم الليل عادوا إلى حفرهم فاستتروا فيها وأهل اللاذقية يظنون أنهم قد انصرفوا عنهم . فلما أصبحوا فتحوا بابها وأخرجوا سرحهم، فصبحهم المسلمون وكبسوهم فراعهم ذلك ودخل المسلمون من باب المدينة ففتحوها عنوة ودخل عبادة الحصن وعلا حائطه وكبّر من فوقه . وهرب قوم من نصارى اللاذقية إلى اليُسيَّد ثم طلبوا الأمان على أن يرجعوا إلى أرضهم وقبِل منهم عبادة على خراج يؤدونه، وتركت لهم كنيستهم وبنى المسلمون باللاذقية مسجداً جامعاً بأمر عبادة رضي الله عنه.

ثم ورد عبادة السواحل ففتح مدينة تعرف باسم بلدة على فرسخين من جبلة، ففتحها عنوة وكانت حصناً للروم جلوا عنه عند فتح المسلمين حمص فشحنها عبادة بن الصامت بالمسلمين . كما فتح عبادة أنطرطوس وكانت حصناً، ثم جلا عنه أهله. أحمد عادل كمال، الطريق إلى دمشق، ص ٥٢٢

عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن غنم ابن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرجي الأنصاري. كنيتة أبو الوليد. روى حوالي ١٨١ حديثاً.

شهد بيعة العقبة الأولى والثانية، وكان نقيباً على قوافل بني عوف بن الخزرج، وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين أبي مرثد الغنوي، وشهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على بعض الصدقات.

قال محمد بن كعب القرظي: جمع القرآن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم خمسةً من الأنصار: معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وأبي بن كعب، وأبو أيوب، وأبو الدرداء. وكان عبادة يعلم أهل الصفة القرآن، ولما فتح المسلمون الشام أرسله عمر بن الخطاب. وأرسل "معه" معاذ بن جبل وأبا الدرداء، ، وأقام عبادة ب حمص، وأقام أبو الدرداء ب دمشق . ومضى معاذ إلى فلسطين. قال الأوزاعي: أول من ولي قضاء فلسطين عبادة بن الصامت. وقد خالف معاوية في عهد الخليفة عثمان بن عفان عندما ذهب إلى الشام .

عن عبادة بن الصامت، وكان أحد نقباء الأنصار: بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يخاف في الله لومة لائم، فقام في الشام خطيباً فقال: يأيها الناس، إنكم قد أحدثتم بيوعاً، لا أدري ما هي؟ ألا إن الفضة بالفضة وزناً بوزن، تبرها وعينها، والذهب بالذهب وزناً بوزن، تبره وعينه، ألا ولا بأس ببيع الذهب بالفضة يداً بيد، والفضة أكثرها، ولا يصلح نسيئة. ألا وإن الحنطة بالحنطة مدياً بمدي، والشعير بالشعير مدياً بمدي، ألا ولا بأس ببيع الحنطة بالشعير، والشعير أكثرهما، يداً بيد، ولا يصلح نسيئة، والتمر بالتمر مدياً بمدي، والملح بالملح مديٌ بمدي، فمن زاد أو ازداد فقد أربى.

وحين أراد عمر بن الخطاب أن يصف عبادة بن الصامت قال: « **رجل يعد في الرجال بألف رجل** » ، قال عنه ابن الخطاب هذه العبارة حين أرسله مدداً لعمرو بن العاص في فتح مصر، إذ كان طويلا فارع الطول، أسمر البشرة، ويعد ابن الصامت من السابقين إلى الإسلام، إذ كان من رجال البيعة الأولى ومن بني عوف بن الخزرج الأنصاري، أي من الأنصار الذين نصروا وآووا وبذلوا أرواحهم وأموالهم رخيصة في سبيل الله. والده الصامت بن قيس الخزرجي، وأمه قرة العين بنت عباده، وأخوه أوس بن الصامت وزوجته خولة بنت ثعلبة التي أنزل الله فيها " قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله، والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير " . (سورة المجادلة).

فتح اللاذقية وبقية الساحل السوري الشمالي
الساحل السوري الشمالي
أرض الشام
أنطاكية
نهر الأسود
سويدية
زرابة
معرة مصرين
دركوش
نهر العاصي
كسب
أوردو
إدلب
رأس البسيط
سراقب
سلامين
بللوران
نهر الكبير الشمالي
فريكة
نهر القنديل
البحر الكبير
معصران
البهلوية
خراب الشيخ
معرة النعمان
صلنفة
اللاذقية
معرة تحرمة
مسار عبادة بن الصامت بجيش المسلمين إلى اللاذقية
(بحر الروم
القرداحة
نهر الروس
خان شيخون
حمدانية
قلعة المضيق
جبلة
نهر البرغل
الحصن
نهر حريصون
صوران
أبو قبيس
محردة
بانياس
البحر الأبيض المتوسط)
تيزين
حماة
القدموس
دير الطيب
نهر العاصي
مصياف
كفربهم
نهر الحصين
طرطوس
دريكيش
كفر أم
صافيتا
خربة المعزة
نهر الأبرش
مرميتا
حمص

اللاذقية وهي المركز الإداري لمحافظة اللاذقية - بالجمهورية [illegible]

أحد شوارع مدينة اللاذقية على الساحل السوري

مصور من الطائرة لمدينة جبلة على الساحل السوري

مدخل مدينة جبلة السورية

فتح الجزيرة الفراتية

وفـي هـذه السنـة - أعني سنة سبع عشرة - افتتحت الجزيرة في رواية سيف. وأما ابن إسحاق، فإنه ذكر أنها افتتحت في سنة تسع عشرة من الهجرة، وذكر من سبب فتحها ما حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمة عنه: أن عمر كتب إلى سعد ابـن أبـي وقاص: إنّ الله قد فتح علـى المسلمين الشام والعراق، فابعـث من عندك جنداً إلى الجزيـرة، وأمّر عليهم أحد الثلاثـة: **خالـد بن عرفطة، أو هاشم بن عتبة، أو عياض بن غُنـم**. فلما انتهى إلى سعد كتاب عمر، قال: ما أخّر أمير المؤمنين عياض بن غنم آخر القوم إلا أنه له فيه هوى أن أوليه؛ وأنا موليه. فبعثه وبعث معه جيشاً، وبعث **أبا موسى الأشعـري، وابنـه عمـر بن سعد** - وهو غلام حدث السـنّ ليس إليه من الأمر شيء - **وعثمـان بن أبي العاص بن بشـر الثقفـيّ**، وذلك في سنة تسع عشرة. **فخرج عياض إلى الجزيـرة**، فنزل بجنده على **الرّهاء** فصالحه أهلها علـى الجزيـة، وصالحت **حرّان** حـين صالحت الرّهاء، فصالحـه أهلها على الجزية. ثـمّ بعث أبا موسـى الأشعريّ إلى **نصيبـين**، ووجّـه عمر بن سعد إلى **رأس العين** فـي خيل ردءاً للمسلمين، وسار بنفسه في بقيّـة الناس إلى **دارا (دير الزور)**، فنزل عليها حتى افتتحها، فافتتح أبو موسى نصيبين، وذلك في سنة تسع عشرة. ثمّ وجه عثمان بن أبي العاص إلى **أرمينيـة الرابعـة** فكان عندها شيء مـن قتال؛ أصيب فيه **صفوان بن المعطّل السّلمـي** شهيداً. ثمّ صالح أهلها عثمان بن أبي العاص على الجزية، على كلّ أهل بيت دينار. ثم كان فتح قيساريّة من فلسطين وهرب هرقل.

وأما في رواية سيف؛ فإن الخبر في ذلك، فيما كتب به إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد والمهلب وطلحة وعمـرو وسعيـد؛ قالوا: خرج **عياض بـن غنم** في أثر **القعقاع**، وخـرج القوّاد - يعني حين كتب عمـر إلى سعد بتوجيه القعقاع في أربعة آلاف من جنده مدداً لأبي عبيدة حين قصدته الروم وهو بحمص - فسلكوا طريق الجزيرة على الفراض وغيرهـا، فسلك سهيل بن عديّ وجنده طريق الفراض حتـى انتهى إلى **الرّقة**، وقد ارفضّ أهل الجزيرة عن حمص إلى كورهم حين سمعوا بمقبل أهل الكوفة، فنزل عليهم، فأقام محاصرهم حتى صالحوه؛ وذلك أنهم قالوا فيما بينهم: أنتم بـين أهـل العراق وأهل الشأم؛ فما بقاؤكم على حرب هؤلاء وهؤلاء! فبعثوا فـي ذلك إلى عياض وهو في منزل واسط من الجزيرة؛ فرأى أن يقبل منهم؛ فبايعوه وقبل منهم؛ وكان الذي عقد لهم سهيل بن عديّ عن أمر عياض، لأنه أمير القتال وأجـروا مـا أخذوا عنوة، ثم أجابوا مجرى أهـل الذّمة، وخرج الوليد بن عقبة حتى قدم علـى بني تغلب وعرب الجزيرة، فنهـض معـه مسلمهم وكافرهم إلاّ إياد ابن نزار، فإنهم ارتحلوا بقليّتهم، فاقتحمـوا أرض الرّوم، فكتب بذلك الوليد إلى عمر بن الخطاب. ولما أعطى أهل الرّقة ونصيبين الطاعة ضمّ عياض سهيلاً وعبد الله إليه فسار بالناس إلى حرّان، فأخذ مـا دونهـا. فلما انتهى إليهم اتقوه بالإجابة إلى الجزيـة فقبل منهم، وأجرى من أجاب بعد غلبه مجرى أهل الذّمة. ثم إنّ عياضـاً سرّح سهيـلاً وعبد الله إلى الرّهاء، فاتقوهما بالإجابة إلى الجزية، وأجرى من دونهم مجراهم؛ فكانت الجزيرة أسهل البلدان أمراً، وأيسره فتحاً، فكانت تلك السهولة مهجنة عليهم وعلى من أقام فيهم من المسلمين.

خطة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لفتح الجزيرة الفراتية وفك الحصار عن حمص.
وصول جيش العراق بأربعة آلاف مقاتل بقيادة القعقاع بن عمرو إلى حمص بعد مغادرة نصارى العرب لها.
جيش عبد الله بن عتبان
جيش عياض بن غنم
جيش سهيل بن عدي
نصارى العرب في الجزيرة
تحاصر المسلمين في حمص
انسحاب نصارى العرب
أمام الجيش الإسلامي
نطاق الفتح الإسلامي في أرض الجزيرة
حرب الجزيرة
أرض الجزيرة
العراق الشمالي
الجزيرة الفراتية
أرض الأكراد
ديار بكر
إلى أرمينية
نهر الفرات
نهر الخابور
نهر دجلة
وادي الثرثار
الموصل
تلعفر
زاخو
جزيرة ابن عمر
نصيبين
ماردين
الحسكة
جبل سنجار
جبل عبد العزيز
الرقة
حران
الرها
تل أبيض
جرابلس
منبج
حلب
أنطاكيه
إدلب
سراقب
الشفور
معرة النعمان
حماه
حمص
تدمر
دارا
(دير الزور)
جبل بشري
أبو كمال
عانات
حديثة
هيت
دور تيول
جبال أمانوس
الاسكندرونة
البحر المتوسط
جبال لبنان الشرقية
نهر العاصي
بعلبك
دمشق
بادية
كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص في العراق يطلب منه تسيير جيش بقيادة القعقاع إلى حمص، وأن يبعث بعد بإمرة عياض بن غنم إلى بلاد الجزيرة الذين مالؤوا الروم

قال ياقوت: كان عمر، رضي الله عنه، قد نزل الجابية في سنة ١٧ ممدّاً لأهل حمص بنفسه، فلما فرغ من أهل حمص أمدّ عمر عياض بن غُنم بحبيب بن مسلمة الفهري فقدم على عياض ممدّاً، وكتب أبو عبيدة إلى عمر بعد انصرافه من الجابية يسأله أن يضم إليه عياض بن غُنم إذ كان صرف خالداً إلى المدينة، فصرفه إليه وصرف سهيل بن عدي وعبد الله بن عتبان إلى الكوفة واستعمل حبيب بن مسلمة على عجم الجزيرة والوليد بن عقبة بن أبي معيط على عرب الجزيرة وبقي عياض ابن غُنم على ذلك إلى أن مات أبو عبيدة في طاعون عمَوَاس سنة ١٨، فكتب عمر، رضي الله عنه، عهد عياض على الجزيرة من قبله؛ هذا قول سيف ورواية الكوفيين، وأما غيره فيزعم أن أبا عبيدة هو الذي وجه عياض بن غُنم إلى الجزيرة من الشام من أول الأمر وأن فتوحه كان من جهة أبي عبيدة، وزعم البلاذري فيما رواه عن ميمون بن مهران قال: الجزيرة كلُّها من فتوح عياض بن غنم بعد وفاة أبي عبيدة ابن الجرّاح ولاه إياها عمر، رضي الله عنه، وكان أبو عبيدة استخلفه على الشام فولى عمر يزيد بن أبي سفيان ثم معاوية من بعده الشام وأمر عياضاً بغزو الجزيرة؛ قال: وقال آخرون بعث أبو عبيدة عياض بن غنم إلى الجزيرة فمات أبو عبيدة وهو بها فولاه عمر إياها بعده؛ وقال محمد بن سعد عن الواقدي: أثبت ما سمعناه في عياض بن غنم أن أبا عبيدة مات في طاعون عمواس سنة ١٨ واستخلف عياضاً فورد عليه كتاب عمر بتوليته حمص وقنّسرين والجزيرة للنصف من شعبان سنة ١٨ فسار إليها في خمسة آلاف وعلى مقدمته ميسرة بن مسروق وعلى ميسرته صفوان ابن المعطل وعلى ميمنته سعيد بن عامر بن جذيم الجمحي وقيل: كان خالد ابن الوليد على ميسرته، والصحيح أن خالداً لم يسر تحت لواء أحد بعد أبي عبيدة ولزم حمص حتى توفي بها سنة ٢١ وأوصى إلى عمر، ويزعم بعضهم أنه مات بالمدينة، وموته بحمص أثبتُ، وعبر الفرات وفتح الجزيرة بأسرها؛ قال ميمون ابن مهران: أُخذت الزيت والطعام والخل لمرفق المسلمين بالجزيرة مدة، ثم خفف عنهم واقتصر على ثمانية وأربعين وأربعة وعشرين واثني عشر درهماً نظراً من عمر للناس، وكان على كل إنسان من جزيته مدٌّ قمح وقسطان من زيت وقسطان من خل.

معجم البلدان. ج ٢، ص ١٣٥ - ١٣٦.

قال العلاء بن أبي عائشة: كتب عمر ابن عبد العزيز رحمه الله: **سل أهل الرُّها هل عندهم صلح**. فسألتهم، فأتاني أسقفهم بحق فيه كتاب صلحهم فإذا فيه: كتاب من عياض بن غنم ومن كان معه من المسلمين لأهل الرُّها، إني أمنتهم على دمائهم وأموالهم وذراريهم ونسائهم وبلادهم إذا أدوا الحق الذي عليهم، شهد الله وملائكته. قال: فأجازه لهم عمر بن عبد العزيز.

وذكر أن عياضاً لما صالح أهل **الرُّها** دخل أهل الجزيرة فيما دخلوا فيه من الصلح. ولما نزل عياض على **حرَّان** سنة ثمان عشرة فحاصرها كلمه أهلها أن يصير إلى الرُّها، فما صالحوه عليه صالحوه بمثله، ورضي النصارى بذلك، فأتى الرُّها فخرجت مقاتلتهم فهزمهم المسلمون حتى ألجأوهم إلى المدينة فطلبوا الأمان والصلح فأجابهم عياض إليه وكتب لهم: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من عياض بن غنم لأسقف الرُّها، إنكم إن فتحتم لي باب المدينة على أن تؤدوا لي عن كل رجل منكم ديناراً ومدي قمح فأنتم آمنون على أنفسكم وأموالكم ومن تبعكم، عليكم إرشاد الضال وإصلاح الجسور والطرق ونصيحة المسلمين، شهد الله وكفى به شهيداً. وصالح عياض أهل حرَّان على مثل صلح الرُّها وفتحوا له أبوابها، وولاها رجلاً ثم سار إلى **شمشاط**. محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - طبع مطابع دار السراج، الطبعة: ٢ - ١٩٨٠ م.

قال عياض بن غُنم:

من مبلغ الأقوام أنّ جموعنا ... حوت الجزيرة يوم ذات زحام

جمعوا الجزيرة والغياث فنفّسوا ... عمّن بحمص غيابة القدّام

إنّ الأعزّة والأكارم معشر ... فضّوا الجزيرة عن فراخ الهام

غلبوا الملوك على الجزيرة فانتهوا ... عن غزو من يأوى بلاد الشام

الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ص ٦٥٢-٦٥٣، بيت الأفكار الدولية .

جزيرة أقور: بالقاف، وهي التي بين دجلة والفرات مجاورة الشام تشتمل على ديار مُضر وديار بكر، سميت الجزيرة لأنها بين دجلة والفرات، [illegible] [illegible] والخابور وماردين وآمد وميافارقين والموصل وغير ذلك ما هو مذكور في مواضعه . ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٣٥ - ١٣٦ .

مبنى أثري في حرّان التركية

لقطات مختارة من أرض الجزيرة و الفراتية .

حرّان

كنيسة [illegible]

ممر قديم بمدينة الرُّها (أورفا - أوديسا) التركية

مجموعة من المصلين داخل أحد المساجد بمدينة القامشلي السورية.

احد المداخل المؤدية إلى المدرج الروماني برأس العين

قلعة جعبر
بناء يعود إلى
سنة ٥٠ م.
الرقة - سورية

الباب الثاني
فتح أرمينيا والبلاد المجاورة لها وخوض المسلمين المعارك البحرية الأولى

الأرمن أرض وتاريخ وعقيدة

يعيش الأرمن في أرض أرمينية التاريخية (الهضبة الأرمنية) – الممتدة في الأجزاء الوسطى والشرقية من آسيا الصغرى – منذ الألف الثالث ق.م، وتمتد أرمينية التاريخية من غربي منابع نهر الفرات حتى بحر قزوين وإيران، ومن سلسلة جبال القوقاز، حتى سلسلة جبال طوروس الأرمنية على حدود العراق الشمالية. ويُعد جبل آرارات من أهم جبال أرمينيا والذي رست عليه سفينة نوح **حسب العهد القديم** (تك ٨/٤)، بينما رسو السفينة كان على **جبل الجوديّ** بالقرب من جزيرة ابن عمر كما **ذكر القرآن الكريم** ذلك، وما أكدته الاكتشافات العلمية الحديثة لهيكل السفينة . ، وهناك جبال أخرى في أرمينية مثل جبل آراكاتس وجبال طوروس الأرمنية. وتنبع من أرمينية عدة أنهار رئيسة مثل نهر آراكس، والكر، ودجلة والفرات. وفيها عدة بحيرات كبحيرة فان، وسيفان، وأورميا. وعُرفت أرمينية في مدونات الملك سرجون الأكدي وحفيده نرام سين (الألف الثالث ق.م) باسم أرماني-أرمانم (التسمية الأولية لأرمينية)، وفي مدوّنات الحثيين في الألف الثاني ق.م. بـ (هاياسا). وفي المدونات الآشورية عرفت بـ (أورو-آدري)، وتحالف بلاد نايري، وأورارتو (في الألف الأول ق.م).

أرمينية في العهد القديم:

ترد في "العهد القديم" من الكتاب المقدس عند أهل الكتاب، نداءات واستغاثات عدة بشعب آرارات أو أورارتو. ويطلق على الأرمن في العهد القديم (بيت توكورمة) (تك ١٠/٣؛ حز ٢٧/١٤، ٣٨/٦؛ ٤ ملوك ١٩/٣٧؛ أش ٣٧/٣٨). ويشير النصان الأخيران من سفري الملوك الرابع وأشعياء إلى حادث اغتيال الملك الآشوري سنحاريب في نينوى من قبل نجليه وهربهما إلى بلاد آرارات. ويضع أهل الكتاب ـ حسب معتقدهم ـ جنَّة عدن في أرمينية، حيث الأنهار الأربعة التي ذكرت في العهد القديم.

الأرمن والنصرانية:

من تلاميذ المسيح عليه السلام الاثنى عشر وصل إلى أرمينية، القسيسان تداوس وبرثلماوس حسب تقليد الكنيسة الأرمينية التي تؤيدها تقاليد كنائس أخرى والمصادر التاريخية الموثوقة، وكرزا بالإنجيل بين شعب أرمينية حسب وصية العهد الجديد (مت ٢٨/١٨-١٩). وقد استمرت دعوة القس تداوس ثماني سنوات (٣٧-٤٥م) والقس برثلماوس ١٦ سنة (٤٤-٦٠م). وقد دعا بالدين الجديد أيضاً بين أبناء جلدتهم من اليهود الذين كانت لهم جاليات في مدن عديدة من أرمينية، حيث جُلب الآلاف منهم كأسرى أو صناع أو حرفيين، بعد أن وصل ملك أرمينية ديكران الثاني، الملقب بالعظيم (٩٥-٥٥ ق.م) بتوسعاته إلى أرض فلسطين.

إن انتشار النصرانية في أرمينية، ووجود كنيسة منظمة، لها أساقفتها وخدامها منذ القرن الأول الميلادي تدعمها براهين عديدة، منها وجود مخطوطات بأسماء أساقفة أرمن في منطقة (آرداز) الذي سمي كرسيها (كرسي القس تداوس)، وفي منطقة (سونيك) خلال القرون الثلاثة الأولى، فضلاً عن وجود نصارى أرمن من القرن الأول ما تزال الكنيسة الأرمنية تحتفل بذكرى وفاتهم مثل؛ سانتوخد ابنة الملك (ساناردوك)، والألف قس؛ الذين ماتوا مع القس برثلماوس، واضعين أساس الكنيسة الأرمنية على أرض أرمينية.

مرئيتان فضائيتان الأعلى تمثل موقع آسيا الصغرى، وعلى أطرافها أرمينية، والأخرى تكبير لموقع أرمينية، مصدر الصورتين، وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا).

بعد انتصار الرومان على السلوقيين بماغنيزيا عام ١٩٠ ق.م. أعلنت أرمينية استقلالها تحت حكم الارتاشسيين Artashesids لكن الرومان غزوهم وفرضوا عليهم الاتاوات سنة ٦٩ ق.م. وعين الامبراطور الروماني (نيرون) تيريداتس الامير الباريتي ملكا لارمينية ليكون اول دولة نصرانية آنذاك عام ٦٦ م. لكن في القرن الثالث م. إجتاح الإمبراطور (اردشير) الساساني ارمينية حتى تم [illegible] أرمينية سنة ٣٨٦ م. بين الفرس والرومان.

كنيسة على أحد قمم جبال أرمينية

عند مستهل خلافة **عثمان بن عفان** رضي **الله** عنه، رأى من الأهمية بمكان أن يقوم بتأمين حدود دولة الخلافة الراشدة من الناحية الشمالية، والاستمرار بإضعاف الإمبراطورية الرومانية البيزنطية التي رغم اندحارها من بلاد الشام لا تزال تواصل هجومها على سواحلها ومناطق الثغور فيها؛ بل لاتزال تملك القدرة على خوض أشرس المعارك مع المسلمين !، ونظراً للرابطة الدينية بينها وبين أرمينية، كانت أرمينية تمدها بين الحين والآخر بالإمدادات لخوض هذه المعارك ! . مما دعا بالخليفة عثمان رضي الله عنه تكليف أمير الشام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه؛ بتوجيه حبيب بن مسلمة لفتح أرمينية .

قال أهل السِّير: سُمِّيت أرمينية بأرمينا بن لَنْطَا بن أوْمَر بن يافث ابن نوح، عليه السلام، وكان أول من نزلها وسكنها؛ وقيل: هما أرمينيتان الكُبرَى والصُّغرَى، وحَدُّهما من بَرْذَعة إلى باب الأبواب، ومن الجهة الأخرى إلى بلاد الروم وجبل القَبْق وصاحب السرير؛ وقيل: إرمينية الكُبرَى خِلاط ونواحيها وإرمينية الصغرى تفليس ونواحيها؛ وقيل هي ثلاث أرمينيات؛ وقيل: أربع، فالأولى: بَيلَقَان وقَبَلَة وشِرْوان وما انضمّ إليها عُدَّ منها؛ والثانية: جُرْزان وصُغْدَبيل وباب فَيْروزقُباذ واللُّكْز؛ والثالثة: البُسْفُرْجان ودَبيل وسراج طَيْر وبَغْرَوَند والنَّشْوَى؛ والرابعة وبها قبر صفوان بن المعطَّل صاحب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وهو قرب حصن زياد عليه شجرة نابتة لا يعرف أحد من الناس ما هي، وله حَمْلٌ يشبه اللوز يُؤكَل بقشْره وهو طيِّب جدّاً، فمن الرابعة: شِمْشاط وقاليقلا وأرجيش وباجُنَيْس، وكانت كور أرّان والسيسجان ودبيل والنَّشَوَى وسراج طير وبغروند وخلاط وباجنيس في مملكة الروم، فافتتحها الفُرسُ وضَمُّوها إلى ملك شروان التي فيها صخرة موسى، عليه السلام، التي بقرب عين الحَيَوان ... . معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج ١، ص ١٦٠ .

تحولت **أرمينية** إلى النصرانية كما تطرقنا من قبل على يد تداوس وبرثلماوس. وبما أنه لم تكن هناك كتابة أرمينية، كانت الكتب المقدسة تقرأ في بعض الأماكن باليونانية، وفي بعضها الآخر بالسريانية، وتترجم شفاهاً للشعب. وكان تدريس هذه اللغات، وتدريب معلميها، تقوم بهما المدارس التي أسسها جريجوري والملك تريداتس في العاصمة "فاغارشابات" وغيرها من الأماكن. وإذا كانت قد وجدت أي نصرانية في أرمينية، فقد كان ذلك بتأثير النفوذ السوري القادم من إدسا (الرُّها) وساموستا.

- في سنة ٢٤ هـ أمر الخليفة عثمان بن عفان – رضي الله عنه – تكليف أمير الشام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: بتوجيه حبيب بن مسلمة لتحرير رميبية، وكان حبيب يمتاز بمقدرة وكفاءة قيادية في مجال منازلة العدو .

- القائد حبيب بن مسلمة، يسير بجيشه إلى قاليقلا التي كانت المركز الإداري للروم فضرب الحصار عليها، فلما علم أهلها خرجوا لقتال المسلمين، فدارت رحى حرب معركة ضارية بين الفريقين انتهت بهزيمة أهل قاليقلا ؛ الذين وجدوا أنفسهم يطلبون الصلح والأمان مع المسلمين .

أحد المساجد الإسلامية القديمة في قاليقلا (أرض روم)

استنفار الروم وأتباعها لإعادة قاليقلا من أيدي المسلمين

بلاد الخزر
جورجيا
كرجستان
أذربيجان
أران
أرمينية
الإمبراطورية البيزنطية
الجزيرة
موقان
بحر بنطس (البحر الأسود)
بحر الخزر (قزوين)
أرضروم (قاليقلا)
تفليس
جوري
كوتايسي
باطوم
طرابزون
سامسون
سينوب
تيرك
فوردبي
محاتشكالا
داربند (باب الأبواب)
شمكور
بردعة
باكو
بريمان
أرز بنكان
ملطية
قونية
الأزع
ديار بكر
خوي
تبريز
أردبيل
رومية
مراغة
رشت
١٠٠ ٢٠ ٣٠٠ ٤٠٠ ٥٠٠ كم

حينما علم الحاكم البيزنطي بانتصارات الجيش الإسلامي على أهل (قاليقلا) وهي مركز إداري للروم البيزنطيين، أخذ يجمع أعداداً كبيرة من الجيوش قدرها الإمام الطبري في تاريخه بثمانين ألف مقاتل من الخزر وملطية وسيواس وقونية، فلما بلغت هذه الأنباء إلى القائد الإسلامي حبيب بن مسلمة - رضي الله عنه - كاتب أمير الشام معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - . فلما وصل الكتاب . بعث إليه معاوية بألفي مقاتل اسكنهم حبيب في (قاليقلا)، وأقطعهم القطائع وجعلهم مرابطة لحمايتها، ثم كتب معاوية كتاباً إلى الخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - موضحاً له أحداث المسرح السياسي على أرض الجهاد .

١ أقام حبيب بقاليقلا مع جيش المسلمين أشهراً، ثم بلغه أن بطريق أرمينياقس قد جمع للمسلمين جمعاً عظيماً . فبعث إليه معاوية بألفي مقاتل .

٢ مسار قوات ملطية للانضمام إلى القوات الرومية المتدفقة نحو قاليقلا .

٣ مسار قوات الخزر للانضمام إلى القوات الرومية المتدفقة نحو قاليقلا .

٤ مسار قوات قونية للانضمام إلى القوات الرومية المتدفقة نحو قاليقلا .

جبل أرارات : يعتبر رمز مهم للأرمن ، وهو أعلى جبل في المنطقة حيث يبلغ ارتفاعه إلى ٥,١٦٥ م، وكان يشكل جزءاً من أرمينيا حتى حوالي ١٩١٥م ، لكنه الآن تابع للجمهورية التركية بموجب معاهدة كارس.

صـورة جبل

آرارات بين تركيا وأرمينيا والتي يذكر العهد القديم؛ استواء سفينة نوح عليه السلام عليه ، بينما أكدت الاكتشافات الحديثة ما رام إليه القرآن الكريم بأنه جبل الجوديّ القريب من جزيرة ابن عمر في الأراضي التركية، وليس جبل آرارات ! .

قاليقَلا : بأرمينية العُظمى من نواحي خلاط ثم من نواحي منازجرد من نواحي أرمينية الرابعة، قال أحمد بن يحيى: ولم تزل أرمينية في أيدي الفُرْس منذ أيام أنوشروان حتى جاء الإسلام وكانت أمور الدنيا تتَشَتَّتُ في بعض الأحايين وصاروا كملوك الطوائف حتى ملك أرمينيا قُس، وهو رجل من أهل أرمينية، فاجتمع له ملكهم ثم مات؛ فملكتهم بعده امرأة وكانت تسمى قالي فبنَتْ مدينة وسمتها قالي قاله، ومعناه إحسان قالي، وصوّرت نفسها على باب من أبوابها فعرّبت العرب قالي قاله فقالوا: قاليقلا، قال النحويون: حكم قاليقلا حُكم معدي كربَ إلا أن قاليقلا غير منوّن على كل حال إلا أن تجعل قالي مضافاً إلى قلا وتجعل قلا اسم موضع مذكّر فتنوّنه فتقول هذا قاليقلاً، فاعلم، والأكثرُ ترك التنوين؛ قال الشاعر:

سيُصبحُ فوقي أقتمُ الريش كاسراً
بقاليقَلا أو من وراء دَبيلِ

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤ ، ص ٢٩٩.

خِلاطُ: بكسر أوله، وآخره طاءٌ مهملة: البلدة العامرة المشهورة ذات الخيرات الواسعة والثمار اليانعة، طولها أربع وستون درجة ونصف وثلث، وعرضها تسع وثلاثون درجة وثلثان، في الإقليم الخامس، وهي من فتوح عياض بن غنم، سار من الجزيرة إليها فصالحه بطريقها على الجزية ومال يؤدّيه ورجع عياض إلى الجزيرة وهي قصبة أرمينية الوسطى، فيها الفواكه الكثيرة والمياه الغزيرة، وببردها في الشتاء يضرب المثل، ولها البحيرة التي ليس لها في الدنيا نظير، يجلب منها السمك المعروف بالطّرّيخ إلى سائر البلاد، ولقد رأيت منه ببلخ، وبلغني أنه يكون بغزنة، وبين الموضعين مسيرة أربعة أشهر، وهي من عجائب الدنيا؛ قال ابن الكلبي: من عجائب الدنيا بحيرة خلاط فإنها عشرة أشهر لا يكون فيها ضفدع ولا سرطانٌ ولا سمكة ثم يظهر بها السمك مدة شهرين في كل سنة، ويقال: إن قُباذ الأكبر لما طلسم آفاق بلاده وجّه بليناس صاحب الطلسمات إلى أرمينية فلما صار إلى بحيرة خلاط فطلسمها فهي عشرة أشهر على ما ذكرناه. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٨٠ـ ٣٨١ .

شرارة الصراع الإسلامي النصراني على أرمينية

بلاد الخزر
بحر بنطس (البحر الأسود)
بحر الخزر (قزوين)
كرجستان
أذربيجان
أرمينية
الإمبراطورية البيزنطية
أرّان
موقان
تفليس
داربند (باب الأبواب)
ارضروم (قاليقلا)
ملطية
قونية
الجزيرة
ديار بكر
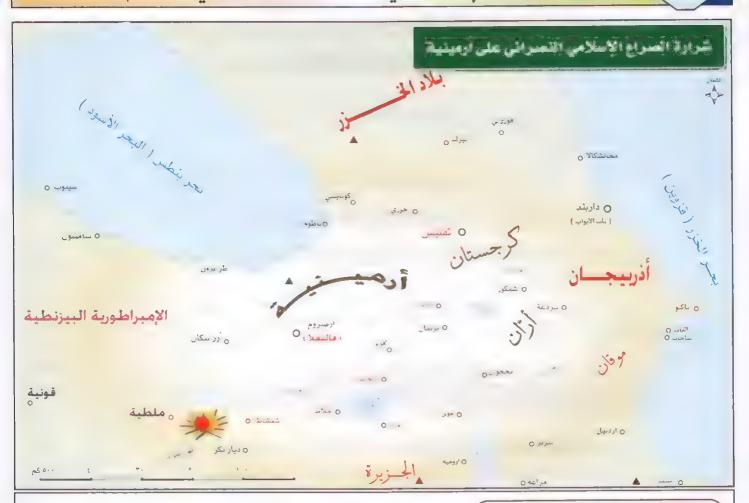
بعدما ابطأ المدد على حبيب بن مسلمة، أجمع على تبييت الروم الذين حشدوا جموعهم ونزلوا على نهر (الفُرات)، فاجتاح المسلمون الروم وقتلوا قائدهم الموريان (اسم بطريق أرميناقس)، فانهزمت الروم. بعد ذلك عاد حبيب إلى قاليقلا، فقدم سلمان بن ربيعة بعد أن فرغ المسلمون من عدوهم، فطلب أهل الكوفة أن يشركوهم في الغنيمة، فلم يفعلوا. وفي بعض الروايات أنهم قاسموهم الغنائم !.

منطقة الصراع بين المسلمين والروم

كان الخليفة **عثمان بن عفان** - رضي الله عنه - على اتصال دائم بحركات الفتح والتحرير على ساحات القتال؛ بل كان رضي الله عنه، يشرف عليها بنفسه، ولعل الخطاب الذي وجهه إلى **الوليد بن عقبة** لنجدة أهل الشام في حربهم مع **الروم** الذي يقودها **الموريان** خير شاهد على ذلك !. (انظر مشاركة أهل الكوفة في نجدة أهل الشام، وخارطة قوات المسلمين المطاردة للقوات الرومية في القسم الأول من هذا الأطلس).

نص معاد من الفصل الأول للأهمية !

قال ابن جرير: « وفي هذه السنة جاشت الروم حتى خاف أهل الشام وبعثوا إلى **عثمان** رضي الله عنه يستمدونه، فكتب إلى الوليد بن عقبة: أن إذا جاءك كتابي هذا فابعث رجلاً أميناً كريماً شجاعاً في ثمانية آلاف أو تسعة آلاف أو عشرة آلاف إلى إخوانكم بالشام. فقام الوليد بن عقبة في الناس خطيباً حين وصل إليه كتاب **عثمان** فأخبرهم بما أمره به أمير المؤمنين، وندب الناس وحثهم على الجهاد ومعاونة **معاوية** وأهل الشام. وأمّر **سلمان بن ربيعة** على الناس الذين يخرجون إلى الشام فانتدب في ثلاثة أيام ثمانية آلاف فبعثهم إلى الشام وعلى جند المسلمين **حبيب بن مسلم الفهري**، فلمّا اجتمع الجيشان شَنُّوا الغارات على بلاد الروم فغنموا وسبوا شيئاً كثيراً وفتحوا حصوناً كثيرة ولله الحمد ... ».

فتح المسلمون إرمينية لأول مرة بسهولة ، ولكنهم استعادوا فتحها بصعوبة بالغة فيما بعد !. حيث كان الفتح سريعاً ، وكانت الاستعادة أبطأ . وكان الفاتحون قليلين عدداً ، فأصبحوا كثيرين عدداً وعُدداً في أيام استعادة الفتح . ولعل في هذا الشاهد التاريخي ما يوضح ذلك.

قرأنا أن قائداً من قادة الفتح قُدِّمت له ياقوتة حمراء هي أغلى من مدينة (باب الأبواب) ، فردّها إلى صاحبها غير مكترث بها ولا بقيمتها ، كما يقول الطبري في تاريخه؛ لأن أمانته أغلى عليه، فآثر الأمانة على الخيانة، وما عند الله مفضل على ما عند الناس . وقرأنا أن قائداً من قادة استعادة الفتح، اصطفى أموال المغلوبين وذراريهم، فأخذ منها ما أعجبه، وأمر بتقسيم الباقي على رجاله، كما يذكر الطبري نفسه؛ لأن أمانته هانت عليه، فآثر المغنم على الأمانة، وما عند الناس على ما عند الله . ورغم ذلك لم تخل أجناد استعادة الفتح وقادته من عناصر صالحة خيِّرة تعتبر نماذج عالية في الصلاح والخير . بتصرف عن اللواء الركن، محمود شيت خطاب ، أرمينية بلاد الروم ،ص ١٤٢ – ١٥٠ .

ذكرنا في الصفحة السابقة أن حبيب بن مسلمة الفهري، أصبح قائد المسلمين العام على الساحة الشمالية، وجعل القائد، سلمان بن ربيعة ساعده الأيمن في فتوحاته .

- استهل حبيبٌ قيادته بتوجيه سلمان إلى أقليم (أرّان) ، ففتح البيلقان صلحاً ، بعد أن أمنهم على دمائهم وأموالهم وحيطان مدينتهم، واشترط عليهم الجزية والخراج .

- سلمان بن ربيعة؛ يتقدم نحو مدينة (بردعة) ، ثم يعسكر فيهاعلى نهر (الثرثور) بينه وبين بردعة نحو فرسخ،حيث قاتله أهلها أياماً ، ثم شن الغارات في قراها ، فصالح أهلها المسلمين على مثل صلح (البيلقان) ، ودخلها جيش المسلمين محررين .

- سلمان بن ربيعة؛ يوجّه خيله نحو رساتيق ولاية (أرّان) ، ثم وجّه سرية إلى (شكمور) ففتحوها .

- سلمان بن ربيعة؛ يسير إلى مجمع نهري (الرّس) و (الكُرّ) ، ففتح مجمع ما بينهما .

- سلمان بن ربيعة؛ يصالح صاحب (شروان) وسائر ملوك الجبال وأهل (مسقط) و (الشابران) ومدينة دربند(باب الأبواب) ، ثم امتنعت بعده ،حيث كان فتحها في المرة الثانية قد أعاد إليها الهدوء والاستقرار والاطمئنان . وبذلك استطاع المسلمون فتح وتحرير مناطق شاسعة من إرمينية، وفتح مناطق جديدة لأول مرة.
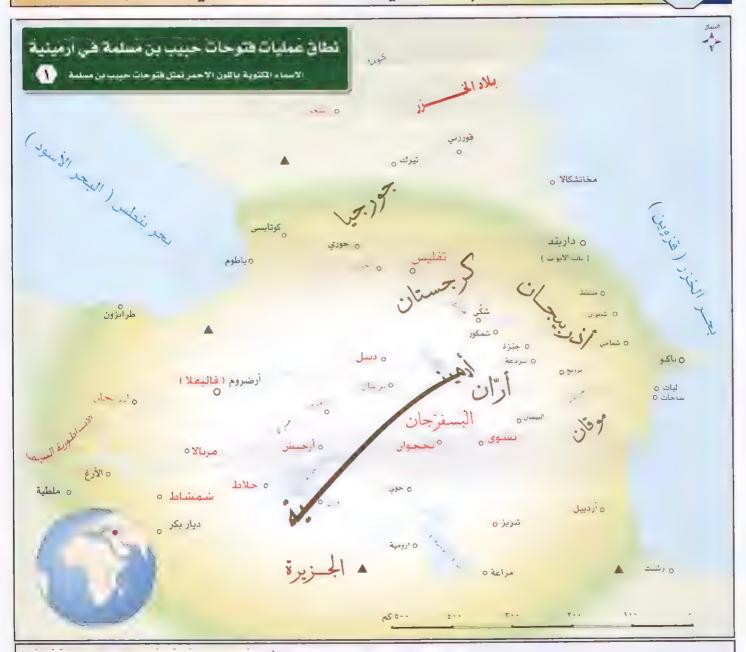
بعد انتصار جيش حبيب بن مسلمة على أهل قاليقلا، ثم مجيء قوات أهل الكوفة للانضمام إلى أهل الشام، وتوزيع مهام الفتح بين الفريقين، قام جيش الشام بقيادة حبيب بالأمور التالية:

١ - السير نحو (مربالا) حيث أتاه بطريق (حلاط) بكتاب عياض بن غنْم بأمانه، فأجراه عليه، وحمل إليه البطريق ما عليه من مال.

٢ - نزل حبيب (حلاط)، ثم سار منها فلقيه صاحب (مُكس) وهي من (البُسْفُرجان) فقاطعه على بلاده ووجه معه رجلاً وكتب له كتاب صلح وأمان.

٣ - وجّه حبيب إلى قرى (أرجيش) و (باجُنيس) من غلب عليها وجبى جزى رؤوس أهلها، فأتاه وجوههم فقاطعهم على خراجها.

٤ - حبيب بن مسلمة يتقدم إلى (أزْدشاط)، ونزل على (دبيل)، فسرح الخيول إليها وحاصرها بعد أن تحصّن أهلها بها، فنصب منجنيقاً، فطلب أهلها الأمان، فأجابهم إليه، ففتح (دَبيْل) وغلب على جميع قراها. (انظر كتاب صلح (دبيْل) بين حبيب وأهل دَبيْل). ●

٥ - انظر الخارطة القادمة ١.

دبيل. مدينة بأرمينية تتاخم أرّان، كان ثغراً فتحه حبيب بن مسلمة في أيام عثمان بن عفان، رضي الله عنه، في إمارة معاوية على الشام ففتح ما مرَّ به إلى أن وصل إلى دبيل فغلب عليها وعلى قراها وصالح أهلها وكتب لهم كتاباً. نسخته: **هذا كتاب من حبيب بن مسلمة الفهري لنصارى أهل دَبيْل ومجوسها ويهودها شاهدهم وغائبهم. إني أمنتكم على أنفسكم وأموالكم وكنائسكم وبِيَعكم وسور مدينتكم فأنتم آمنون وعلينا الوفاء لكم بالعهد ما وفيتم وأديتم الجزية والخراج، شهد الله وكفى بالله شهيداً، وختم حبيب بن مسلمة**: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص٤٣٩.

٥ – حبيب بن مسلمة يتقدم بقواته نحو مدينة نشوى فيمن الله على المسلمين بفتحها ومصالحة أهلها على مثل صلح (دَبِيْل) .

٦ – قدم على حبيب بطريق (البُسفُرجان) فصالحه على جميع بلاده .

٧ – حبيب بن مسلمة يزحف بقواته نحو (السيسجان) ، فحاربه أهلها ، فهزمهم المسلمون واستولوا على حصونهم المنيعة .

٨ – حبيب يواصل فتوحاته ويتقدم بقواته إلى (جُرْزان) ، فلما امتنهوا إلى موضع أطلقوا عليه: (ذات اللُّجم) سرّحوا بعض دوابهم عليهم جماعة من سكّان تلك المنطقة فأعجلوهم عن الألجام، فقاتلوهم، فكشف المسلمون عدوهم، وأخذوا تلك اللجم وما قدروا عليه من الدواب ولكن المسلمين كرّوا عليهم، فقتلوهم واسترجعوا ما أخذوا منهم، فسمّي الموضع ذات اللُّجم .

– رسول بطريق (جُرْزان) وأهلها يأتون حبيباً وهو في طريقه إليها، فأدّى إليه رسالتهم، وسأله كتاب وصلح وأمان لهم، فكتب حبيب إليهم: ●

أما بعد فإن نُقَلى رسولكم قدم عليّ، وعلى الذين معي من المؤمنين فذكر عنكم أنّا أمّة أكرمنا الله وفضّلنا وكذلك فعل الله، وله الحمد كثيراً وصلى الله على محمد نبيه، وخيرته من خلقه وعليه السلام. وذكرتم أنكم أحببتم سلمنا وقد قوّمت هديتكم وحسبتها من جزيتكم وكتبت لكم أمانا واشترطت فيه شروطا ،فإن قبلتموه ووفيتم به، وإلا فأذنوا بحرب من الله ورسوله، والسلام على من اتبع الهدى ..

٩ – سار حبيب بن مسلمة إلى (**تفليس**)، وكتب لأهلها صلحاً (انظر النص الذي كتبه المسلمون لأهل تفليس) .

تفْلِيسُ: بفتح أوله ويكسر: بلد بأرمينية الأولى، وبعض يقول بأَرَّان، وهي قصبة ناحية جُرْزان قرب باب الأبواب، وهي مدينة قديمة أزلية، طولها اثنتان وستون درجة، وعرضها اثنتان وأربعون درجة. قال مِسْعر بن مُهَلْهِل الشاعر في رسالته: وسِرْتُ من شِرْوان في بلاد الأرمن حتى انتهيت إلى تفليس، وهي مدينة لا إسلام وراءَها، يجري في وسطها نهر يقال له الكُرُّ يصبُّ في البحر، وفيها غروب تطحن، وعليها سور عظيم، وبها حمامات شديدة الحرّ لا تُوقَد ولا يستقى لها ماءً، وعلّتها عند أُولي الفَهْم تغني عن تكلف الإبانة عنها، يعني أنها عين تنبع من الأرض حارّة وقد عمل عليها حمام فقد استغنت عن استسقاء الماء؛ قلت: هذا الحمام حدثني به جماعة من أهل تفليس، وهو للمسلمين لا يدخله غيرهم. وافتتحها المسلمون في أيام عثمان بن عفان، رضي الله عنه، كان قد سار حبيب بن مَسْلَمة إلى أرمينية فافتتح أكثر مُدُنها. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٥ – ٣٦ .

((بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من حبيب بن مسلمة لأهل تفليس من منجليس من جُرْزان القِرْمِز بالأمان على أنفسهم، وبيعهم، وصوامعهم، وصلواتهم، ودينهم، على إقرار بالصغار والجزية على كل أهل بيت دينار، وليس لكم أن تجمعوا بين أهل البيوتات تخفيفًا للجزية ، ولا لنا أن نفرق بينهم استكثارًا منها، ولنا نصيحتكم وضلعكم على أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ما استطعتم، وقِرى المسلم المحتاج ليلة بالمعروف من حلال طعام أهل الكتاب لنا، وإن انقطع برجل من المسلمين عندكم فعليكم أداؤه، إلى أدنى فئة من المؤمنين إلا أن يحال دونهم، وإن أَنَبْتُم وأقمتم الصلاة فإخواننا في الدين، وإلاّ فالجزية عليكم، وإن عرض للمسلمين شغل عنكم فقهركم عدوكم فغير مأخوذين بذلك ولا هو ناقض عهدكم، هذا لكم وهذا عليكم، شهد الله وملائكته وكفى بالله شهيداً)) .

حبيب بن مسلمة

هو حبيب بن مسلمة بن مالك الفهري القرشي. أبو عبد الرحمن. قائد من كبار القادة الفاتحين، يقرنه بعضهم بخالد بن الوليد وأبي عبيدة بن الجراح - رضي الله عنهما -. ولد بمكة سنة ٣ ق.هـ ، ورأى الرسول صلى الله عليه وسلم وخرج إلى الشام مجاهداً أيام أبي بكر فشهد وقعة اليرموك، ودخل دمشق فولاه أبو عبيدة أنطاكية بعد فتحها، ثم أرسله عمر بن الخطاب مدداً لسراقة بن عمرو، وكان قد ولي غزو (الباب) فسار حبيب وتوغل في أرمينية واشتهرت أعماله وشجاعته فيها.

ولما ضم الخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - الجزيرة وأرمينية إلى معاوية بن أبي سفيان عهد إليه معاوية بغزو الثغور الجزرية؛ ليمنع الروم من دخول أرمينية وكان يقال له: حبيب الروم لكثرة دخوله إلى بلادهم ونيله منهم.

عاد إلى الشام فأرسله معاوية لينصر الخليفة عثمان حين حاصره الثوار، فلما بلغ وادي القرى بلغه مقتل عثمان فقفل راجعاً إلى دمشق .

حارب مع معاوية بن أبي سفيان في صفين ولما صفا الملك لمعاوية ولاه أرمينية فأتم فتحها وبلغ بلاد القوقاز من جهة البحر الأسود، وفيها توفي وعمره ٤٥ سنة.

كاتدرائية تفليس (تبليسي) عاصمة جورجيا اليوم

وصول المسلمين إلى عمورية

[illegible] ٢٥ من الهجرة المباركة

فـي سنـة ٢٥ هـ غزا معاوية بن أبي سفيان رضـي الله عنه، أرض الروم فبلغ عمورية، فوجد الحصون التي بـين ،أنطاكيـة و طرسوس، خالية فجعل عندهـا جماعـة كثيرة من أهل والشام والجزيـرة، وواصـل قائده قيس بن الحـر العبسـي الغزو في الصيـف التالي، ولما فـرغ هدم بعض الحصون القريبة من أنطاكية كي لا يفيد منها الروم .

هو **معاوية بن أبي سفيان** - صخر - بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، وكنيته أبو عبد الرحمن، وأبو يزيد، والده أبو سفيان سيد قريش في الجاهلية، أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه، وأمه هند بنت عتبة الأموية، من مشاهير سيدات قريش، أسلمت يوم الفتح وحسن إسلامها.

ولد معاوية في مكة قبل البعثة النبوية بخمس سنين تقريباً، وقيل أكثر، ونشأ وتربى بين قومه بني أمية في شرف ونبل وثراء، أسلم يوم الحديبية سنة (٦هـ)، ولكنه كتم إسلامه، وفي رواية أنه أسلم يوم فتح مكة مع والديه، ثم هاجـر إلى المدينة فكان أحد كتاب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم. ولاه الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه الشام سنة ٢١هـ بعد موت أخيه يزيد ابن أبي سفيان، ثم أقره الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه على الولاية، وبعد موت عثمان سنة ٣٥هـ لم يبايع معاوية الخليفة علياً رضي الله عنه، واستقل بالشام وحصلت بينهما فتنة استمرت زهاء خمس سنوات، وقعت فيها معركة صفين سنة ٣٧هـ.بايعه عامة الناس سنة ٤١هـ، بعدما تنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما عن الخلافة، فسميّ هذا العام عام الجماعة، لاجتماع كلمة المسلمين فيه.واستمر معاوية في الخلافة حتى وفاته سنة ٦٠هـ، فكان بذلك أميراً (٢٠عاماً) وخليفة (٢٠عاماً) أخرى.

عاش معاوية رضي الله عنه محباً للجهاد في سبيل الله، فكان تارة يغزو بلاد الأعداء بنفسه، وتارة يرسل القادة والجيوش نيابة عنه، وقد فتحت على يديه وفي عهده بلاد كثيرة، منها في البحر: قبرص، وصقلية، وفي البر: مساحات واسعة في بلاد الروم، وبلاد السند، وكابل، والأهواز، وماوراء النهر، وشمال إفريقيا وغيرها.وكان له جملة من الإصلاحات الإدارية منها: أنه نظم البريد، والشرطة، وأقام ونظّم ديوان الخاتم، وغير ذلك من الإصلاحات، فكان أول من وضع أساس الإدارة المتقدمة للدولة الإسلامية الموحدة.

كان معاوية قائداً بارعاً وسياسياً حكيماً، ساس الناس بعدله، وحلمه، ورأيه، ودهائه، وحنكته، وشجاعته، وسار بالناس سيرة حسنة.حدّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن أخته أم المؤمنين أم حبيبة، وعن أبي بكر وعمر. وحدّث عنه: عبد الله ابن عباس، وعبد الله بن الزبير، والنعمان بن بشير، وجرير بن عبدالله، وسعيد بن المسيب وغيرهم.

دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "**اللهم علّم معاوية الحساب وقه العذاب**"، وفي رواية "**اللهم اجعله هادياً مهدياً واهد به**". وروى الإمام أحمد في مسنده: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: **يامعاوية إذا وليت أمراً فاتق الله واعدل**". وأثنى عليه جماعة من الصحابة منهم: علي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر وأبو الدرداء وغيرهم، رضي الله عنهم، وهو أول من عهد بالخلافة لولده.وله قصص وأخبار كثيرة ومشهورة أكثر من أن تحصى، وكانت وفاته رضي الله عنه في دمشق سنة ٦٠هـ، ودفن في مقابرها. م . مركز دراسات المدينة المنورة .

الإمبراطورية البيزنطية
آسـيا الصغـرى
أرمينية
الجزيرة
دولة الخـلافة الراشـدة
بـلاد الشام
طرسوس
قبرص
عمورية
بحر بنطس (البحر الأسود)
بحر الروم (البحر المتوسط)
سينوب
رونحلداك
قسطمونة
سامسون
طرابزون
باطوم
اسكيشهر
أنقرة
كيربكال
أرزروم (قاليقلا)
أرز سحان
أفيون
قيصرية
مراد
الأزغ
ملطية
فونية
ديار بكر
أنطاليا
عنتاب
الرها
القامشلي
حلب
الحسكة
الرقة
اللاذقية
بانياس
نيقوسيا
حماة
دير الزور
حمص
طرابلس
البوكمال
بيروت
حديثة
دمشق

وصول الجيش الإسلامي إلى أواسط آسيا الصغرى

« ... ومن أراد عمّورية من درب السلامة فعلى لؤلؤة، ثم إلى نهر الطرفاء، ثم إلى خربة فارطة، ثم إلى حصن قنّة، ثم إلى عبقرسون، ثم إلى حبر فرنية الأعلى، ثم تأتي بلاد الهدى، ثم تأتي فتلق وقرية تدعى فارطة، ثم تأتي عبرة كناص ثم تأتي لاطة، ثم تأتي عمورية » . ابن خرداذبه، المسالك والممالك ، النسخة الرقمية

البوابة الرومانية في قونية

ممر نهري بالقرب من قونية

دار الحفاظ بقونية
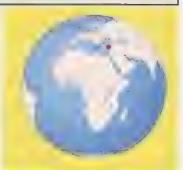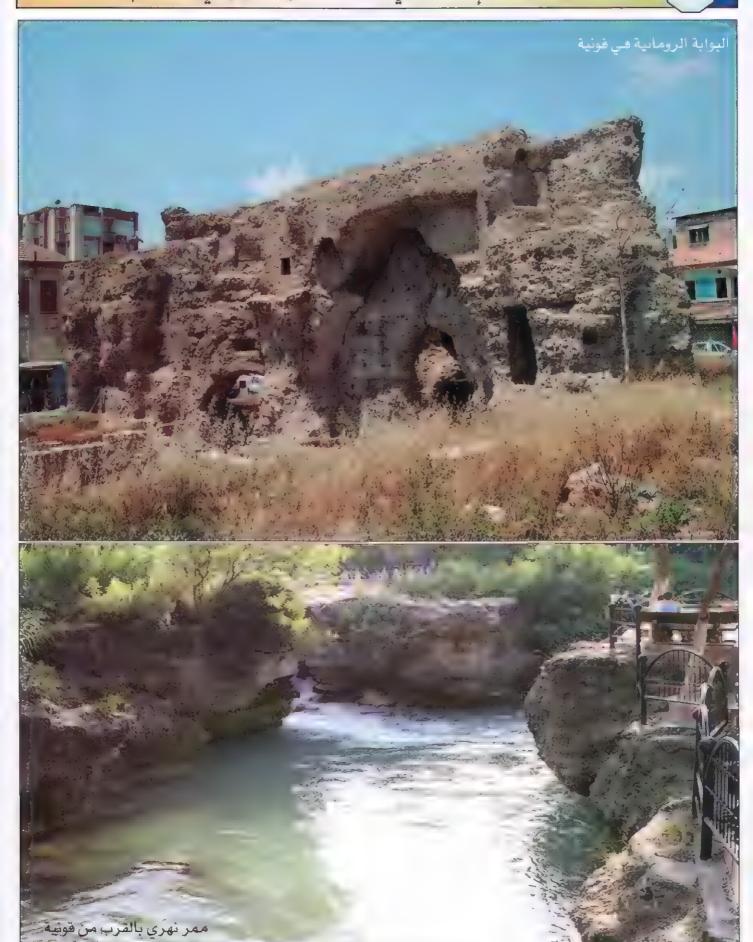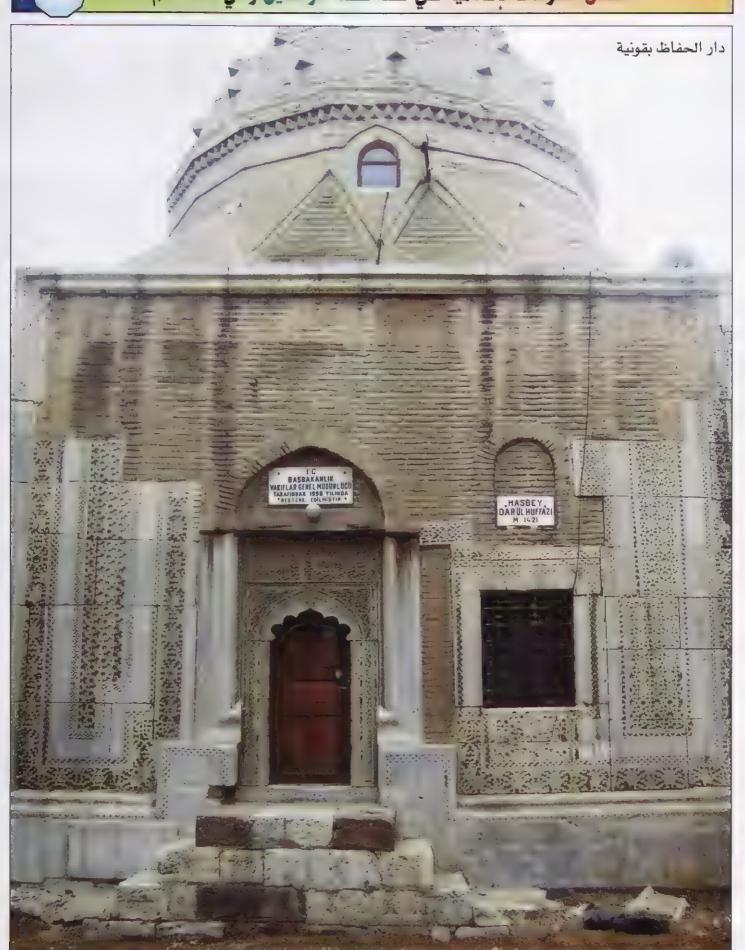
استعادة المسلمين مدن الساحل الشامي

بعد استشهاد الخليفة **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه، تجرأ الروم البيزنطيون وقاموا باستعادة بعض مدن الساحل الشامي، لكن الخليفة **عثمان بن عفان** رضي الله عنه، عند مستهل خلافته، وجَّه والي الشام، **معاوية بن أبي سفيان** رضي الله عنه، لإعادة الأمور إلى زمامها، فبعث معاوية بن أبي سفيان كتيبة من الجند بقيادة؛ سفيان بن مجيب الأزدي، إلى طرابلس حيث ضرب عليها حصاراً من البر والبحر وذلك من خلال الجزر المتناثرة قبالة ساحل طرابلس، وقطع على أهلها الميرة، ثم بنى حصناً بالقرب منها سُمي حصن سفيان .

مخطط لمدينة طرابلس على الساحل الشامي رُسِم عام ١٦٣٠ م

لما وصل سفيان بن مجيب الأزدي إلى طرابلس وضرب عليها الحصار، ولما اشتد الحصار على أهلها كتبوا إلى قيصر الروم يسألونه أن يمدهم بقوة أو يرسل إليهم السفن لكي يهربوا فيها فلما وصل وجه إليهم عدداً من السفن ركبوا فيها وهربوا ليلاً. فلما علم سفيان بذلك دخل المدينة وتم تحريرها بدون مقاومة .

تقع مدينة طرابلس، العاصمة الثانية للجمهورية اللبنانية، فوق سهل منبسط، تغسل أطرافه الغربية مياه البحر – انظر الصور في الصفحة القادمة والتي قمت بالتقاطها لك أثر وقوفي على كيفية انطلاق البحرية الإسلامية في البحر المتوسط في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه – وتتفيأ طرابلس بظلال سفوح جبال الأرز التي تكتسي قممها بالثلوج من جهة الشرق، ويشرف عليها من الشمال الشرقي جبل الفهود، وتضرب المدينة جذورها التاريخية إلى عهد الفينيقيين، حيث تعاقبت عليها كثير من الأمم والعهود من الفينيقيين حتى الانتداب الفرنسي، مروراً بالرومان، والبيزنطيين، والعرب، والصليبيين، والمماليك، والعثمانيين .

واجهة طرابلس البحرية والتي حاصرها المسلمون براً وبحراً لتخليصها من القوات الرومانية البيزنطية عدسة المؤلف

لقطات من قلعة طرابلس التاريخية بـ عدسة المؤلف

نشأة الأسطول البحري الإسلامي

سنة ٢٧ من الهجرة المباركة

كان للدولة البيزنطية في العصور الوسطى السيطرة والسيادة على البحر الأبيض المتوسط بلا منافس، فعلى شواطئه الشمالية امتدت أملاكها إلى شبه جزيرة البلقان والجزر الملحقة بها وآسيا الصغرى، ومن الشرق كان تتبعها سورية وفلسطين، ومن الجنوب مصر وشمالي إفريقية، كذلك امتد سلطانها السياسي إلى وسط وجنوبي إيطاليا، وبعض بلاد محددة ولفترة قصيرة على الساحل الجنوبي لإسبانيا القوطية.وكان لبيزنطة أسطول دائم ومهيب، وعدة قواعد بحرية، ودور للصناعة (صناعة السفن) في القسطنطينية وعكا والإسكندرية وقرطاجة، وسرقوسة بصقلية ورافنا بإيطاليا وغيرها، فقد بلغت عنايتها بالسلاح البحري أقصاها منذ عهد «جستنيان» (يوستانيوس) في منتصف القرن السادس الميلادي، وعهد هرقل قبل منتصف القرن السابع ومن جاء بعده من الأباطرة. وإلى جانب الأسطول البحري، كان لبيزنطة عدد من السفن التجارية تستخدم في عمليات نقل الجند والإمدادات، وكان تتحكم في منافذ البحر الأبيض: القسطنطينية ومصر وسبتة، مما استحال معه دخول أية تجارة خارجية إلى هذا البحر دون موافقتها، وشملت تجارتها العالم كله آنذاك.اللواء الركن؛ محمد جمال الدين محفوظ . معركة ذات الصواري .

مرسم تخيلي لسفينة رومانية تعود الى عهود مبكرة

وحينما انطلق المسلمون لفتح بلاد الشام، ضم عمرو بن العاص – رضي الله عنه – في مستهل فتوحاته في عهد الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – موانئ غزة هاشم وعسقلان وعكا سنة ١٥ هـ، ثم استولى يزيد بن أبي سفيان والي الشام للخليفة عمر – رضي الله عنه –، على صيدا وصور وبيروت وجبيل وعرقة سنة ١٧ هـ، ثم قام عبادة بن الصامت بأمر يزيد بضم اللاذقية وجبالة ثم بنى عمرو بن العاص، فاتح مصر، الفسطاط وهي أول عواصم مصر الإسلامية على النيل مباشرة. وغدت الفسطاط مركزاً تجارياً هاماً، إذ كانت على اتصال دائم بباقي أجزاء مصر، حيث كانت تجتمع إليها منتجات الوجهين البحري والقبلي. وبعد تزايد اهتمام المسلمين بسواحل البحر الأحمر عن المتوسط، فقد امتثل عمرو ابن العاص لأوامر الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – بإعادة حفر قناة تراجان والتي أعاد المسلمون حفرها وتطويرها، وأطلقوا عليها خليج أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب)، لإنها تربط نهر النيل بميناء القُلْزُم التاريخي على خليج السويس . ومن ثم تمكين نقل السلع وبعض المنتوجات الإفريقية من مصر إلى الحجاز (انظر كتابنا

أطلس الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ص ٢٨٩) .

وكان معاوية قد ألحَّ على عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في غزو البحر لقرب الروم من حمص. وقال: إن قرية من قرى حمص ليسمع أهلها نُباح كلابهم وصياح دجاجهم. فكتب عمر إلى عمرو بن العاص: صف لي البحر وراكبه.

فكتب إليه عمرو بن العاص: إني رأيت خلقًا كبيرًا يركبه خلق صغير ليس إلا السماء والماء. إن ركد خرق القلوب وإن تحرك أزاغ العقول. يزاد فيه اليقين قلة. والشك كثرة. وهم فيه كدود على عود إن مال غرق وإن اعتدل برق، فلما قرأ الكتاب أمير المؤمنين عمر - رضي الله عنه - كتب إلى معاوية: والذي بعث محمدًا - صلى الله عليه وسلم - بالحق لا أحمل فيه مسلمًا أبدًا، وقد بلغني أن بحر الشام يشرف على أطول شيء من الأرض فيستأذن الله في كل يوم وليلة أن يغرق الأرض!! فكيف أحمل الجنود على هذا الكافر بالله، لمسلم أحب إليَّ مما حوت الروم وإياك أن تعرض إليَّ فقد علمت ما لقي العلاء مني.ولما ولي عثمان الخلافة كتب إليه معاوية يستأذنه في غزو البحر، فوافق عثمان على طلبه ، وكتب إليه : (لا تنتخب الناس ، ولا تقرع بينهم ، خيرهم ، فمن اختار الغزو طائعاً فاحمله وأعنه) .

مرتسم تخيلي لسفينة اسلامية تعود الى عهود مبكرة

فاختار الغزو جماعة من الصحابة فيهم أبو ذر وأبو الدرداء وشداد بن أوس وعبادة بن الصامت وزوجه أم حرام بنت ملحان. **وبنى معاوية أول اسطول بحري في الإسلام**، حيث أعد معاوية سفن السطول الإسلامي بدار الصناعة ب (عكا) التي قدرها ابن أعثم الكوفي في كتابه بمائتين وعشرين سفينة، ثم استعمل عليهم عبد الله بن قيس حليف بني فزارة وساروا إلى قبرص وجاء عبد الله بن أبي سرح من مصر فاجتمعوا عليها وصالحهم أهلها على سبعة آلاف دينار بكل سنة. وسوف يتم توضيح خوض الجيش الإسلامي لفتح جزر البحر المتوسط من خلال الصفحات القادمة - إن شاء الله تعالى - وهذه الغزاة سنة ثماني وعشرين وقيل تسعة وعشرين وقيل ثلاثة وثلاثين .

سَفَنَهُ يَسْفِنُه: قَشَرَهُ، ومنه **السَّفينةُ**، لِقَشْرِها وجهَ الماء ج: سَفائِنُ وسُفُنٌ وسَفينٌ، وصانِعُها: سَفَّانٌ، وحِرْفَتُه: السِّفانَةُ. والسَّفَنُ، محرَّكةً: جِلْدٌ أَخْشَنُ، وحَجَرٌ يُنْحَتُ به ويُلَيَّنُ، أو كُلُّ ما يُنْحَتُ به الشيءُ كالمِسْفَنِ. كمِنْبَرٍ، وقِطْعَةٌ خَشْناءُ من جِلْدِ ضَبٍّ أو سَمَكَةٍ، يُسْحَجُ بها القِدْحُ حتى تَذْهَبَ عنه آثارُ المِبْراةِ. وسَفَنَتِ الرِّيحُ كنَصَرَ وعَلِمَ: هَبَّتْ على وجهِ الأرض، فهي رِيحٌ سَفونٌ وسافِنَةٌ ج: سَوافِنُ. والسَّافِنُ: عِرْقٌ في باطِنِ الصُّلْبِ طُولاً، مُتَّصِلٌ به نِياطُ القلب. والسَّفَّانَةُ، مُشَدَّدَةً: اللُّؤْلُؤَةُ، وبنتُ حاتِمِ طَيِّءٍ. وسِيفَنَّةُ، بكسرِ السِّينِ وفَتْحِ الفاءِ والنونِ المشدَّدةِ: طائِرٌ بِمِصرَ، لا يَقَعُ على شجرةٍ إلا أَكَلَ جَميعَ وَرَقِها، ولَقَبُ إبراهيمَ بنِ الحُسَيْنِ ابنِ دِيزِيلَ الهَمَذانيِّ، لُقِّبَ به لأنَّه إذا أتَى محدِّثاً، كتَبَ جَميعَ حَديثِه. وكِشَّاد: ناحيَةٌ بين نَصيبِينَ وجَزيرَةِ ابنِ عُمَرَ. ونَجِيبُ بنُ مَيْمُونٍ الواسِطِيُّ السَّفَّانِيُّ: محدِّثٌ. وكامير: ع بالمَشْرِق. وسَفِينَةُ: مَوْلَى رسولِ اللهِ، صلى الله عليه وسلم، أو مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ، واسمُه مِهْرانُ. وسُفْيانُ: في الياءِ. لفيروز ابادي. القاموس المحيط. مادة سفن

البحر الأبيض المتوسط

يقع البحر الأبيض المتوسط إلى الغرب من آسيا، و إلى الشمال من إفريقيا، وإلى الجنوب من أوروبا. ويغطي البحر مساحة تقدر بحوالي ٢,٥ مليون كم٢ ، ويتصل البحر الأبيض المتوسط بالمحيط الأطلسي بمضيق جبل طارق، ويتصل بالبحر الأسود بمضيق الدردنيل، و بالبحر الأحمر عن طريق قناة السويس .

التسمية :

عرف البحر المتوسط بعدة أسماء خلال مسيرة التاريخ الإنساني، فعلى سبيل المثال أُطلِق عليه في العهد القديم اسم البحر الكبير، وكان الرومان يسمونه (ميرنوسترم) أي بحرنا. وفي اللغة العبرية يسمى (هايام هاتيشون) أي البحر الأوسط . ويُطلِق عليه الأتراك (أكيدنز) التي تعني البحر الأبيض . وسماه بعض الجغرافيين المسلمين خلال فترات السيادة الإسلامية عليه البحر الإسلامي، وأحياناً البحر الشامي .

الدول المطلة عليه :

إفريقيا (من الغرب إلى الشرق) :المغرب، الجزائر، تونس، ليبيا، مصر. آسيا (من الجنوب إلى الشمال) :فلسطين، الدولة العبرية المحتلة، لبنان، سورية. أوروبا (من الشرق إلى الغرب) :تركيا، اليونان، ألبانيا، صربيا والجبل الأسود، البوسنة والهرسك، كرواتيا، سلوفينيا، إيطاليا، موناكو، فرنسا، إسبانيا. وفيه الدول التالية كجُزر: قبرص و مالطا.

قال الإدريسي: إن هذا الجزء الخامس من الإقليم الرابع تضمن قطعة خامسة من البحر الشامي وفيه من الجزائر جزيرة رودس، وجزيرة قبرس (قبرص)، وبعض بلاد على الساحل الشمالي من بلاد الروم والمسلمين، وفيه حيث انتهى صدر البحر الشامي، وعليه من البلاد الشامية؛ انطرسوس واللاذقية وأنطاكية والمصيصة وآذنة وعين زربة وطرسوس وقرقوس وحمرتاش وأنطالية المحرقة وأنطالية المحدثة والباطرة والميرة وجون المقري وحصن أستروبلي، وفيه من البلاد الشامية البرية، فامية وحصن سلمية وقنسرين والقسطل وحلب والرصافة والرقة والرافقة وباجروان والجسر ومنبج ومرعش وسروج وحران والرها والحدث وسميساط وملطية وحصن منصور وزبطرة وجرسون واللين والبذنذور وقوة وطولب وكل هذه البلاد يجب علينا أن نوضح أخبارها ونأتي بصفاتها وطرقاتها حسب ما تقدم لنا من القول فيما صدر بعون الله تعالى، فنقول: إن جزيرة قبرس (قبرص) جزيرة كبيرة القطر مقدارها ستة عشر يوماً وبها قرى ومزارع وجبال وأشجار وزروع ومواش وبها معادن الزاج المنسوب إليها، ومنها يتجهز به إلى سائر الأقطار المتنائية والمتقاربة، وبها من المدن ثلاث منها النميسون وهي بجنوب الجزيرة وهي مدينة حسنة بها الأسواق والعمارات الكثيرة ومنها مدينة لفقسية وهي متوسطة الوضع في الجزيرة ومنها مدينة كرينية وكلتاهما مدينتان حسنتان ذواتا أسواق وقصب وبهما معايش وصنائع وأرزاق واسعة والعسل بهما كثير موجود .

ومن جزيرة قبرس (قبرص) إلى مدينة اطرابلس الشام مجريان وكذلك من قبرس (قبرص) إلى جبلة مجرى ونصف وجزيرة قبرس على قدم الأيام رخاؤها شامل وخيرها كامل ومن شمال الجزيرة إلى أقرب بر منها حصن قرقوس ومنه تظهر جبال قبرس وهي أقرب براً إليها وبينهما نحو من سبعين ميلاً وبالشرق من هذه الجزيرة صدر البحر الشامي وحيث انتهاؤه في أرض الشام وعليه هناك بلاد تقدم ذكرها فمنها انطرسوس وهي على ضفة البحر صغيرة القدر بها أسواق عامرة، وتجارات دائرة ومنها إلى حصن المرقب وهو على جبل منحاز من كل ناحية، وبين حصن المرقب وانطرسوس ثمانية أميال ومن حصن المرقب إلى مدينة بلنياس ثمانية أميال وبين بلنياس والبحر أربعة أميال . وبلنياس مدينة صغيرة متحضرة بها من الفواكه والحبوب كل حسن كثير موجود ومن بلنياس إلى مدينة جبلة على البحر عشرة أميال وهي مدينة صغيرة حسنة عامرة كثيرة الخير وهي على وادٍ جارٍ ... . نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ج:٢ ص ٦٤٣ - ٦٤٤ .

غزوة قبرص الأولى سنة ٢٧ هـ
خرج معاوية سنة ٢٨ هـ من عكا بجيش الشام الراغب في المشاركة بغزوة قبرص، وجعل القيادة إلى عبد الله بن قيس الجاسي، وكان معهم جم كبير من الصحابة وأزواجهم، كما مر معنا في نشأة الأسطول البحري الإسلامي سابقاً.
عبد الله بن سعد بن أبي السرح؛ يخرج بقواته من الإسكندرية صوب جزيرة قبرص، وحينما وصلت القوات الجزيرة أصبحت القيادة العامة لمعاوية بن أبي سفيان .
نزل المشاة من الجيش الشامي والجيش المصري إلى أرض الجزيرة، وحينما شاهد أهل الجزيرة
من المسلمين، فعقد معاوية صلحا مع حاكمها. انظر بنود الصلح بين الفريقين في الصفحة المقابلة .
الإمبراطورية البيزنطية
بحر مرمره
كورلو
أسكودار
أدابزاري
بورصه
ماندیرما
أدرميت
باليكسير
أسكيشهر
كوتاهيا
أزمير
افيون
ايدين
دينار
دينيرلي
قيصرية
عمورية
قونيه
نجدة
بطانيا
فتحيه
كرمن
جبال طوروس
أضنة
مرسين
دورتيول
غازي عنتاب
سيليسة
الاسكندرونة
انامور
أنطاكية
حلب
اللاذقية
بانياس
حماة
حمص
طرابلس
قبرص
بيروت
أرض الشام
دمشق
صور
عكا
حيفا
ارسد
الزرقاء
عمان
يافا
القدس
بئر السبع
العريش
بورسعيد
الإسكندرية
مرسى مطروح
مصر
دولة الخلافة الراشدة
البحر الكبير (بحر الروم - البحر الأبيض المتوسط)
١٠٠
٢٠٠
٣٠٠ كم

عبد الله بن قيس الجاسي رضى الله عنه

هو عبد الله بن قيس الجاسي، هو أول قائد للبحرية الإسلامية، غزا خمسين غزاة بين شاتية وصائفة في البحر، ولم يغرق فيه أحد ولم ينكب، وكان يدعو الله أن يرزقه العافية في جنده، وألا يبتليه بمصاب أحد منهم، حتى إذا أراد الله أن يصيبه وحده، خرج في قارب طليعة للاستطلاع فانتهى إلى المرقى من أرض الروم (كريت) وعليه سؤال - شحاذين - في ذلك المكان، فتصدق عليهم، فرجعت امرأة من السؤال إلى قريتها، فقالت للرجال: هل لكم في عبد الله بن قيس قالوا: وأين هو؟ قالت: في المرقى - الخليج - قالوا: أي عدوة الله! ومن أين تعرفين (عبد الله بن قيس)؟ فوبختهم وقالت: أنتم أعجز من أن تعرفونه، أنه لا يخفى على أحد. فثاروا إليه، فهجموا عليه، فقاتلوه وقاتلهم، فأصيب وحده، وأفلت الملاح حتى أتى أصحابه، فجاؤوا حتى أرقوا - نزلوا اليابسة - بقيادة: (سفيان بن عوف الأزدي)، فخرج فقاتلهم حتى ضجر وأخذ يعبث بأصحابهم ويشتمهم. فقالت جارية عبد الله: واعبد الله، ما هكذا كان يقول حين يقاتل! فقال سفيان: وكيف كان يقول؟ قالت: (الغمرات ثم ينجلينا) فترك ما كان يقول، ولزم (الغمرات ثم ينجلينا) وأصيب في المسلمين يومئذ. وقيل لتلك المرأة بعد: بأي شيء عرفتيه؟ قالت: بصدقته، كان كالتاجر فلما سألته أعطاني كما يعطي الملوك، ولم يقبض قبض التاجر، فعرفت أنه عبد الله ابن قيس. وكان مصرع عبد الله بن قيس سنة ٥٧ هـ وأصبح شعار البحرية الإسلامية منذ ذلك الوقت (الغمرات ثم ينجلينا) [illegible] ٢٦١ .

شروط صلح فتح قبرص

١ - عدم قيام المسلمين بالذب عن أهل قبرص إذا هاجمها الغزاة .

٢ - إخبار أهل قبرص للمسلمين بتحركات العدو متى ما تحركت قوات العدو صوب ديار المسلمين .

٣ - قيام سكان قبرص بدفع مبلغاً مالياً قدره، ٧٢٠٠ دينار في كل سنة .

٤ - عدم مؤازرة أهل قبرص للروم إذا حاولوا مداهمة أرض المسلمين .

بينما طالب أهل قبرص، أن لا يشترط المسلمون عليهم شروطاً توقعهم في حرج مع الروم لأنهم لا قِبل لهم بهم ، ولا قدرة على قتالهم .

عالم دين كهنوتي داخل إحدى الكنائس النصرانية القديمة في قلب قبرص

آثار تعود إلى عصور الكنيسة الأولى في جزيرة قبرص

غزوة قبرص الثانية سنة ٣٣ هـ
في سنة ٣٢ هـ ، وقع سكان قبرص تحت ضغط بيزنطي شديد أجبرهم على تزويد الجيش البيزنطي بالسفن لغزو ديار المسلمين، فبذلك أخل أهل قبرص بأحد بنود الصلح مع المسلمين الذي عقدوه سابقاً، فعلم المسلمون بذلك، فسار معاوية سنة ٣٣ هـ. بقوة مكونة من ٥٠٠ سفينة . حاصر بها جزيرة قبرص حتى تم فتحها عنوة.
بعد أن تم فتح الجزيرة جهز معاوية جيشاً من اثني عشر ألف مقاتل من أهل بعلبك، ونقله إلى قبرص من أجل حماية الجزيرة من تسلط البيزنطيين ! .
في سنة ٣٢ هـ غزا معاوية بن أبي سفيان القسطنطينية عبر الدروب ورافقته زوجه عاتكة بنت قرظة. ووصلت قوات هذه الغزوة حتى أبواب القسطنطينية إلا أن فشل هذه الغزوة جعلت من معاوية يركز على الحملات المشتركة (البحرية والبرية) فيما بعد
لما وصل المسلمون إلى الجزيرة خاضوا حرباً ضارية مع أهلها ، انتهت بنصر مؤزر للمسلمين، ثم أ
مقاتل من اهل بعلبك، وشيد لهم مدينة جديدة ومساجد لممارسة شعائر دينهم، فقضي على التمرد فيها ! .
بحر بنطس (البحر الأسود)
بحر مرمره
الإمبراطورية البيزنطية
بورصة
اسكيشهر
كوتا هيا
أزمير
أفيون
ايدين
دينار
دينيزلي
أنطاليا
فتحية
عمورية
قونية
نجدة
قيصرية
عازي عنتاب
سيليفكه
الاسكندرونة
أنامور
أنطاكية
حلب
اللاذقية
بانياس
حماة
حمص
قبرص
طرابلس
بعلبك
بيروت
دمشق
صور
عكا
حيفا
أرض الشام
إربد
الزرقاء
يافا
القدس
عمان
بئر السبع
دولة الخلافة الراشدة
البحر الكبير (بحر الروم - البحر الأبيض المتوسط)
مرسى مطروح
الاسكندرية
بورسعيد
طنطا
العريش
مصر
الشمال
٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ كم

معركة ذات الصواري البحرية

سنة ٣٧ من الهجرة المباركة

أسباب المعركة

تقدم المصادر والمراجع العربية والأجنبية أسباباً مختلفة لمعركة ذات الصواري البحرية. نذكر أهمها فيما يلي:

- إجهاض قوة البحرية الإسلامية النامية. يقول أرشيبالد. د. لويس بعد أن تحدث عن غزو الأسطول الإسلامي لقبرص: "ويظهر أن الغارات التي انتهت باحتلال الجزيرة أثارت حماسة الدولة البيزنطية نحو البحر. ودفعتها للقيام بعمليات بحرية جديدة، وكانت هذه العمليات قد توقفت منذ فشلها في معركة الإسكندرية عام ٦٤٥ م – ٢٥ هـ.

- أعدّ قنسطانز الثاني خليفة هرقل أسطولاً كبيراً تراوح عدده مابين ٧٠٠ و ١٠٠٠ سفينة شراعية، والتقى هذا الأسطول في السنة ذاتها بأسطول صغير مشترك بين العرب والمصريين مكون من ٢٠٠ سفينة أقلعت من شواطئ سورية قرب موضع يقال له فونيكس Phoenicus بآسيا الصغرى، وتعرف هذه الواقعة بواقعة ذات الصواري." ويقول إرنست وتريفور ديبوي: "لقد بدأ العرب بشدة في تحدي سيادة بيزنطة البحرية، وهزموا أساطيل الإمبراطور قنسطانز الثاني واستولوا على بعض الجزر شرقي البحر الأبيض المتوسط." وفي موضع آخر يقول: "وفي البحر استولى المسلمون على رودس ٦٥٤ م، وهزموا أسطولاً بيزنطياً يقوده قنسطانز بنفسه في معركة بحرية عظمى خارج ساحل ليكيا (٦٥٥ م)."

- يقول الدكتور عبد المنعم ماجد: "ويظهر أن النشاط المتزايد من قبل العرب أخاف بيزنطة بحيث إن الإمبراطور قنسطانز الثاني (٦٤٢-٦٦٨ م) جمع عدداً من المراكب لم يجمعها من قبل تزيد على ألف مركب، وسار بها بقصد ملاقاة أسطول العرب، أو بقصد احتلال الإسكندرية العظمى كبرى موانئ البحر الأبيض، فخرجت إليه أساطيل العرب في أعداد كبيرة بقيادة عامل مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح."

- انتقام البيزنطيين لما أصابهم على أيدي المسلمين في إفريقية (تونس) واسترداد مصر. وذلك ما يراه الطبري حيث يقول: "وخرج عامئذ قسطنطين بن هرقل لما أصاب المسلمون منهم بإفريقية." ويتفق معه في ذلك ابن الأثير فيقول: "وأما سبب هذه الغزوة فإن المسلمين لما أصابوا من أهل إفريقية وقتلوهم وسبوهم، خرج قسطنطين بن هرقل في جمع له لم تجمع الروم مثله مذ كان الإسلام."

- قال عبد الرحمن الرافعي وسعيد عاشور: "وفي سنة ٣٤هـ – ٦٥٤ م خرج الإمبراطور قنسطانز الثاني على رأس حملة بحرية كبرى في محاولة للاستيلاء على الإسكندرية واسترداد مصر من العرب."

- إجهاض تدابير المسلمين لغزو القسطنطينية عاصمة بيزنطة. وذلك هو ما يراه المؤرخ البيزنطي تيوفانس حيث يقول: "في هذا السنة جهز معاوية –رضي الله عنه– الجيش وزوده بأسطول ضخم قاصداً محاصرة القسطنطينية، وأمر بتجميع الأسطول كله في طرابلس فينيقيا. فلما علم بذلك أخوان نصرانيان من أهل المدينة، هاجما السجن وحطما الأبواب وأطلقا سبيل المحجوزين جميعاً، ثم هاجموا رئيس المدينة وقاتلوه ورجاله كلهم وهربوا إلى تخوم الروم. غير أن معاوية لم يغير رأيه في حصار القسطنطينية، بل جاء بجيشه – يقصد أسطولي الشام ومصر – إلى قيصرية وكيادوكيا، وعيّن أبولا باروس Abula Barus –يقصد عبد الله بن سعد بن أبي سرح – قائداً للأسطول. فقدم هذا فينيقيا إلى مكان في ليكيا Lycia حيث كان الإمبراطور قنسطانز مقيماً بمعسكره وأسطوله ودخل معه في معركة بحرية."

- حرمان المسلمين من الحصول على الأخشاب اللازمة لصناعة السفن. وهذا السبب ذكره أرشيبالد لويس كسبب محتمل لمعركة ذات الصواري، حيث قال: "ومما يلفت النظر أن المكان الذي دارت فيه المعركة، وهو ساحل الأناضول، يزدحم بغابات السرو الكثيفة، وهو الشجر المستخدم في صواري السفن، ولعل البيزنطيين قرروا القيام بتلك المعركة ليحولوا بين الخشب اللازم لصناعة السفن هناك، وبين وقوعه في قبضة العرب، وإذا صح هذا الزعم فإنه يقوم دليلاً على أهمية الخشب في الصراع البحري بين العرب وبيزنطة." بتصرف عن اللواء الركن، محمد جمال الدين محفوظ.

الرأيان الأول والثاني لموقع ذات الصواري

التقى الأسطول الإسلامي (المصري والشامي) ، بقيادة: عبد الله بن سعد بن أبي سرح والي مصر، حيث كان يتألف من مائتي سفينة، بالأسطول البيزنطي بقيادة الإمبراطور قسطنطين الثاني ابن هرقل خارج ساحل ليكيا في آسيا الصغرى (انظر خارطة الرأي الأول في الصفحة القادمة) حيث يمكن وصف أحداث المعركة باختصار على النحو التالي:

١ - نزلت نصف قوة المسلمين إلى البر بقيادة بُسر بن أبي أرطأة للقيام بواجبات الاستطلاع وقتال البيزنطيين المرابطين على البر، وذلك تطبيقاً لواجبات أمير البحر عندما تكون المعركة البحرية قرب البر والسواحل والجزائر. فعليه "ألاّ يهجم على المراسي لئلا تكون مراكب العدو بها كامنة. ولا يتقدم إلى البر إلا بعد المعرفة والاحتراز من الأحجار والأعشاب والأحارش التي تتكسر عليها المراكب، وإن كان القتال قرب البر والسواحل والجزائر فيجعل عيونه وطلائعه على الجبال فيتأهب لذلك.." لذلك حاولت جاهداً أن التقط المسرح الطبيعي للحدث وهذا ما جعلني أميل إلى ترجيح الراي الأول للمعركة على شواطئ آسيا الصغرى الجنوبية.

٢- بدأ القتال بين الأسطولين – أصبحت المسافة بينهما في مرمى السهام – وهذا ما تمناه المسلمون خلال النزال أي يكون جزءاً من المعركة على الأرض!.

٣ – بعد نفاد السهام جرى التراشق بالحجارة، حيث كانوا "يجعلون في أعلى الصواري صناديق مفتوحة من أعلاها يسمونها التوابيت يصعد إليها الرجال قبل استقبال العدو فيقيمون فيها للكشف ومعهم حجارة صغيرة في مخلاة معلقة بجانب الصندوق يرمون العدو بالأحجار وهم مستورون بالصناديق."

٤ – بعد نفاد الحجارة: ربط المسلمون سفنهم بسفن البيزنطيين وبدأ القتال المتلاحم بالسيوف والآلات الحربية الأخرى فوق سفن الطرفين.

موقع معركة ذات الصواري سنة ٣١ هـ الرأي الأول
لماذا سمّيت بذات الصواري؟
بعض المؤرخين ارجع سبب تسمية المعركة بذات الصواري إلى كثرة عدد صواري السفن التي اشتركت فيها من الجانبين؛ وبعضهم الآخر ذكر أن هذا الاسم نسبة إلى المكان الذي دارت قريباً منه، وهو ما رجحه اللواء محمد جمال الدين محفوظ، في مجلة الأمة – العدد ٧١/سنة ١٤٠٦ هـ للأسباب التالية
١ – قول الطبري: "فركب من مركب وحده ما معه إلا القبط حتى بلغوا ذات الصواري، فلقوا جموع الروم في خمسمائة مركب أو ستمائة." وقوله أيضاً: "وأقام عبد الله بذات الصواري أياماً بعد هزيمة القوم."
٢ – قول ابن الأثير: (وأقام عبد الله بن سعد بذات الصواري بعد الهزيمة أياما ورجع).
٣ – ويضاف إلى ذلك أن المكان الذي دارت المعركة قريباً منه اشتهر بكثرة الأشجار التي تستخدم أخشابها في صناعة صواري السفن، وقد أشار إلى ذلك أرشيبالد لويس بقوله: (ومما يلفت للنظر أن المكان الذي دارت فيه هذه المعركة، وهو ساحل الأناضول، يزدحم بغابات السرو الكثيفة وهو الشجر المستخدم في صواري السفن).
مسار الجيش الإسلامي من مصر إلى موقع ذات الصواري بقيادة : عبد الله بن سعد بن أبي السرح
مسار الجيش الإسلامي من الساحل الشامي الى موقع ذات الصواري
مسارات الجيش البيزنطي من البر والبحر الى موقع ذات الصواري
موقع معركة ذات الصواري
بحر بنطس (البحر الأسود)
القسطنطينية
بحر مرمره
باندیرما
بورصة
أدريميت
بالیکسیر
مقاريا
اسكیشهر
كوتا هيا
الإمبراطورية البيزنطية
ازمير
أفيون
عمورية
دبيبرلي
انطاليا
فحية
معركة ذات الصواري
فونيكا
أنامور
أنطاكية
اللاذقية
بانياس
قبرص
حماة
حمص
طرابلس
بعلبك
بيروت
دمشق
صور
عكا
حيفا
أرض الشام
البحر الكبير ا بحر الروم ـ البحر الأبيض المتوسط
مرسى مطروح
رشيد
دمياط
الإسكندرية
بورسعيد
عمان
القدس
يافا
الرقاء
مصر
دولة الخلافة الراشدة
٣٠٠ كم ٢٠٠ ١٠٠ ٠

موقع معركة ذات الصواري سنة ٣١ هـ الرأي الثاني
كنا قد ذكرنا في الخارطة السابقة، الأدلة والبراهين التي تُرجِّح مكان موقع معركة ذات الصواري بالقرب من فونيكا على الساحل البيزنطي آنذاك. بيد أن بعض المؤرخين يرى عكس ذلك للأسباب التالية :
- ذكر ابن خلدون في تاريخه: ثم بعث - ابن أبي السرح - السرايا ودوخ البلاد فأطاعوا وعاد إلى مصر، ولما أصاب ابن أبي السرح إفريقية (تونس اليوم) ما أصاب. ورجع على مصر خرج قسطنطين بن هرقل غازياً إلى الإسكندرية في ستمائة مركب .
- ذكر صاحب (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة) أن مكان غزوة ذات الصواري في البحر من ناحية الإسكندرية .
- رجح استاذنا الدكتور / أحمد الشامي، في كتابه (الخلفاء الراشدون) أن قسطنطين بن هرقل خرج بنفسه لقيادة الحملة البحرية وكانت وجهته مدينة الإسكندرية ليضرب عبد الله بن سعد وجيشه، قلت: ولاسيما أن المكاتبات بين بقايا الروم في الساحل المصري مع البيزنطيين كانت متواصلة، لذلك أرجح مرسى مطروح هي مكان المعركة ! .
مسار الجيش الإسلامي من الإسكندرية إلى موقع ذات الصواري بقيادة، عبد الله بن سعد بن أبي السرح .
مسار الجيش الإسلامي من الساحل الشامي إلى موقع ذات الصواري بالقرب من مرسى مطروح
مسارات الجيش البيزنطي من البر والبحر إلى موقع ذات الصواري
موقع معركة ذات الصواري بالقرب من الإسكندرية في مكان اسمه مرسى مطروح !
بحر بنطس (البحر الأسود)
القسطنطينية
بحر مرمرة
الإمبراطورية البيزنطية
بورصة
أسكيشهر
كوتا هيا
أزمير
أفيون
ايدين
دينار
دينيزلي
عمورية
قونية
أنطاليا
فتحية
معركة ذات الصواري
فونيكا
سيليفك
أنامور
أنطاكية
حلب
اللاذقية
بانياس
حماة
حمص
طرابلس
قبرص
بحر نكيير / بحر الروم - البحر الأبيض المتوسط)
بعلبك
بيروت
دمشق
صور
عكا
حيفا
أرض الشام
مرسى مطروح
رشيد
دمياط
الاسكندرية
بورسعيد
يافا
القدس
عمان
الزرقاء
بئر السبع
دولة الخلافة الراشدة
مصر
٣٠٠ كم
٢٠٠
١٠٠

صورتان من الجو تبين موقع معركة ذات الصواري لأصحاب الرأي الأول على الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى (تركيا اليوم). وقد وقف المؤلف على الموقع

صورتان متقابلتان من الجو تتممان الموقع للصفحتين السابقتين الذي دارت فيه رحى معركة ذات الصواري بين المسلمين والبيزنطيين

صورة من الجو لأحد الشواطئ القريبة من مرسى مطروح والقريب جداً من موقع معركة العلمين التي اندلعت في الحرب العالمية الثانية

من نتائج معركة ذات الصواري:

أولاً: تأكيد النظرية الإسلامية في النصر على العدو المتفوق. حيث كانت المقارنة المجردة بين قوة الأسطول الإسلامي وقوة الأسطول البيزنطي تكشف التفوّق الساحق للبيزنطيين. وتدفع أي خبير في فن الحرب إلى أن يتوقع أن ينهزم المسلمون في تلك المعركة غير المتكافئة بالنظر إلى العوامل الآتية:

١ - الأسطول الإسلامي أسطول ناشئ لا يزيد عمره على بضع سنوات، ورجاله حديثو عهد بركوب البحر فضلاً عن القتال فيه، ولا يتعدى عدد سفنه المائتين إلا قليلاً.

٢ - الأسطول البيزنطي أسطول عريق مهيب له السيادة على البحر. وله تاريخ طويل في العمليات البحرية، ورجاله على أعلى درجة من الكفاءة فيها، وعدد سفنه يزيد على ثلاثة أضعاف عدد سفن المسلمين. لكن المسلمين حين قبلوا التحدي، وقاتلوا أسطول بيزنطة المتفوق، وانتصروا عليه، يقدمون للمسلمين في كل عصر التأكيد على أن النظرية الإسلامية في مواجهة العدو المتفوق وقهره – التي وضع عناصرها وطبقها الرسول القائد ﷺ في معاركه مع أعدائه المتفوقين – كفيلة بترجيح كفتهم على أعدائهم المتفوقين في موازين القوى.

وفي ذات الصواري برزت عناصر تلك النظرية:

١ - الإيمان وقوة العقيدة:

فقد ذكر المسلمون قول الله تعالى: (كم من فئةٍ قليلة غلبتْ فئةً كثيرة بإذن الله واللهُ مع الصابرين). ورأينا كيف امتلأت نفوسهم بأقوى الدوافع المعنوية، وكيف صبروا يومئذ صبراً لم يصبروا في موطن قط مثله، وكيف قاتلوا أشد القتال كما ورد في المصادر التاريخية التي ذكرناها حتى أنزل الله عليهم نصره. فهذا الدرس يؤكد أن الإيمان وقوة العقيدة من أهم العوامل التي ترجح كفة المسلمين في موازين القوى، مهما كان ثقل أعدائهم في تلك الموازين.

٢ - الإدارة السليمة والاستثمار الأمثل للقدرات المتاحة:

لقد أدرك المسلمون أنهم أمام عدو متفوق فكانت إدارتهم للمعركة على النحو الذي يجرده من هذا التفوق، وليس من شك في أن جوهر تفوق البيزنطيين هو كفاءتهم العالية في فن القتال البحري وقدرتهم الفائقة في المناورة البحرية. ويكفي للدلالة على ذلك أن المسلمين حين عرضوا – قبل المعركة – على البيزنطيين أن يختاروا بين القتال على البر والقتال في البحر، فإنهم اختاروا البحر بإجماع الأصوات. وهذا ما رواه الطبري على لسان شاهد عيان هو مالك بن أوس بن الحدثان، قال: (كنتُ معهم، فالتقينا في البحر فنظرنا إلى مراكب ما رأينا مثلها قط.. ثم قلنا للبيزنطيين إن أحببتم فالساحل حتى يموت الأعجل منا ومنكم، وإن شئتم فالبحر، قال: فنخروا نخرة واحدة وقالوا: الماء. فدنونا منهم فربطنا السفن بعضها إلى بعض حتى كنا يضرب بعضنا بعضاً على سفننا وسفنهم ...).

فالبيزنطيون اختاروا الميدان الذين يجيدون القتال فيه وهو البحر، والذي يعلمون تماماً انه هو الميدان الذي سوف ينتصرون فيه على المسلمين لضعف خبرتهم فيه. لكن المسلمين – رغم ذلك – كانوا يعلمون أن كفاءتهم في القتال على البر تفوق البيزنطيين، فأداروا المعركة البحرية على النحو الذي حولها إلى معركة برية وذلك بربط سفنهم إلى سفن البيزنطيين ومباشرة القتال المتلاحم بالأسلحة البيضاء، واستغلوا مهارتهم في هذا الفن إلى الحدّ الذي جعل الإمبراطور وهو يتابع المعركة يوقن بانتصار المسلمين حين علم بذلك، وقد شهد للمسلمين بذلك بعضُ المؤرخين الأجانب، فيقول أرشيبالد لويس: (ويبدو أن انتصارهم – أي المسلمون – جاء نتيجة لخطط غير عادية، إذ ربطوا سفنهم بعضها إلى بعض بسلاسل ثقيلة، فاستحال على أعدائهم اختراق صفوفهم واستخدموا في تلك المعركة خطاطيف طويلة، يصيبون بها صواري وشرع سفن الأعداء، الأمر الذي انتهى بكارثة بالنسبة للبيزنطيين).

٣ – التعاون والتكامل:

لقد كان الانتصار الإسلامي في مجال البحر ثمرة للتعاون والتكامل وحشد الطاقات بين الشام ومصر؛ ابتداءً من إنشاء الأسطول وصناعة السفن إلى قيام أسطول الشام مع أسطول مصر بالعمليات البحرية المشتركة في هيئة أسطول مشترك، فكانت أغلب العمليات تتم على هذا النحو.

ثانياً: انتهاء عصر السيادة البيزنطية في البحر المتوسط.

إذا كانت موقعة أكتيوم سنة ٣١ قبل الميلاد جعلت من البحر الأبيض بحيرة رومانية وأصبحت من المعارك الفاصلة في التاريخ، فإن معركة ذات الصواري البحرية قد دخلت التاريخ من أوسع أبوابه، حين سجلت انتصار الأسطول الإسلامي الناشئ على أسطول بيزنطة ذي التاريخ البحري الطويل. وليس هذا فحسب، بل كان من أهم نتائجها الاستراتيجية انتهاء عصر السيادة البيزنطية في البحر الأبيض المتوسط، وبروز المسلمين قوة مؤثرة ذات ثقل عسكري وسياسي واقتصادي في عالم هذا البحر. بتصرف عن مقال اللواء الركن، محمد جمال الدين محفوظ، مجلة الأمة – العدد ٧١/سنة ١٤٠٦ هـ.

الباب الثالث
فتح مصر وأجزاء من السودان الشمالي وليبيا وإفريقية (تونس)
أطلس الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم

برقة بنطابلس
بابليون (القاهرة)
ليبيا
مصر
إفريقيا
الأقصر

موقع مصر وليبيا بالنسبة لقارة إفريقيا
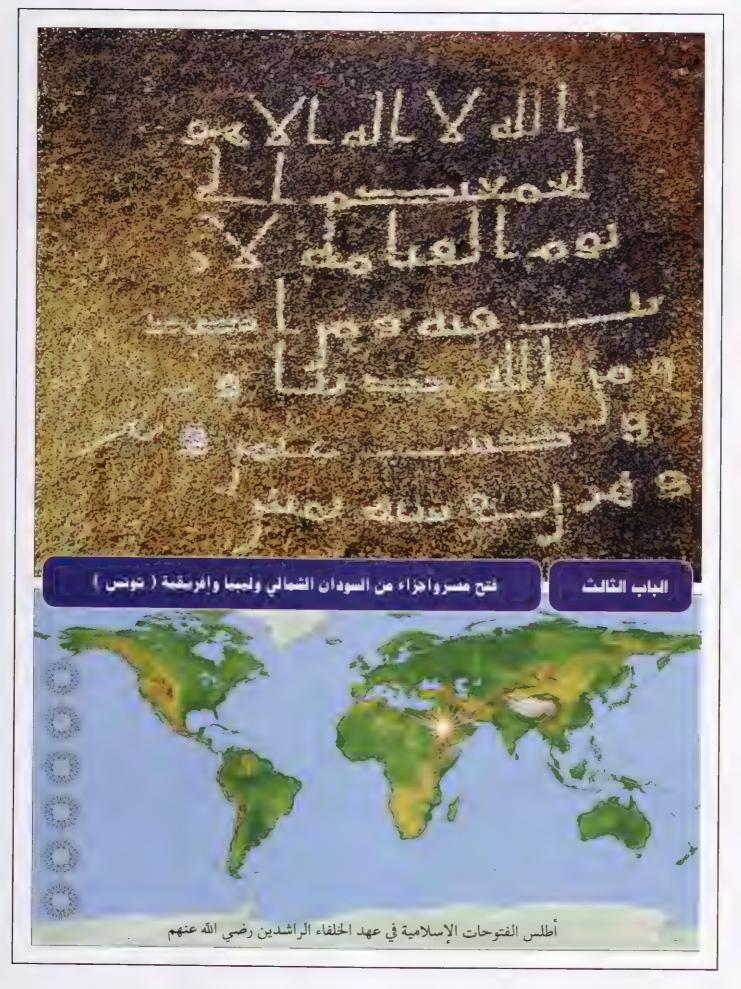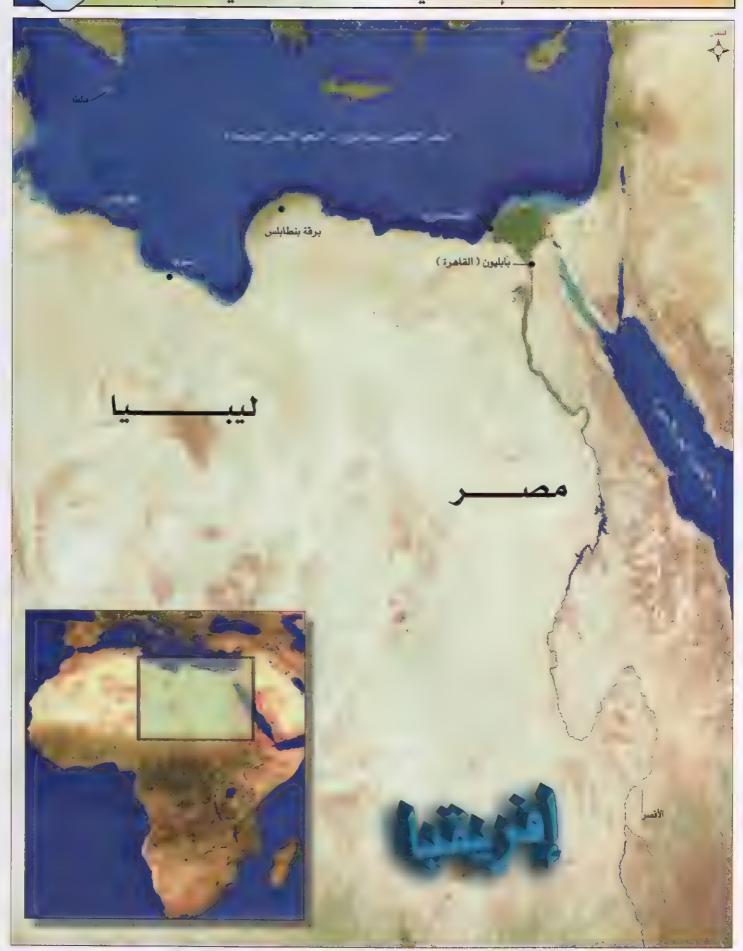
إقليم مصر منزلة الإقليم وكوره

هذا هو الإقليم الذي افتخر به فرعون على الورى وقام على يد يوسف بأهل الدنيا فيه آثار الأنبياء والتيه وطور سيناء ومشاهد يوسف وعجائب موسى وإليه هاجرت مريم بعيسى، وقد كرر الله في القرآن ذكره وأظهر للخلق فضله، أحد جناحي الدنيا، ومفاخره فلا تحصى .

مصر قبة الاسلام ونهره أجل الأنهار وبخيراته تعمر الحجاز، وبأهله يبهج موسم الحاج، وبره يعم الشرق والغرب، قد وضعه الله بين البحرين وأعلى ذكره في الخافقين، حسبك أن الشام على جلالتها رستاقه، والحجاز مع أهلها عياله، وقيل: أنه هو الربوة ونهره يجري عسلاً في الجنة، قد عاد فيه حضرة أمير المؤمنين، ونسخ بغداد إلى يوم الدين، وصار مصره أكبر أمصار المسلمين، غير أن جعد به سبع سنين متوالية، والأعناب والأتيان به غالية، ورسوم القبط به عالية، وفي كل حين تحل بهم الداهية، عمره مصر بن حام بن نوح عليه السلام، وهذا شكله ومثاله وقد جعلنا أقليم مصر على سبع كور، ست منها عامرة، ولها أيضاً أعمال واسعة، ذات ضياع جليلة، ولم تكثر مدائن مصر؛ لأن أكثر أهل السواد قبط ولا مدينة في قياس علمنا هذا إلا بمنبر فأولها من نحو الشام، الجفار ثم الحوف ثم الريف ثم إسكندرية ثم مقدونية ثم الصعيد والسابعة الواحات ١.

---

١. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم : لمحمد بن أحمد المقدسي، ج:١ ص:١٧٥-١٧٦ .

للأهمية : فقد نقلتُ لك أيها القارئ الكريم، شيئاً آخر عن أرض مصر من كتب التراث الجغرافي الإسلامي، انظر ص

برقة

مدينة كبيرة قديمة بين الإسكندرية وافريقية بينها وبين البحر ستة أميال وهي مرج أفيح وتربة حمراء افتتحها عمرو بن العاص رضي الله عنه سنة إحدى وعشرين - قلت: لكنني في أطلس الخليفة عمر اعتمدت على أرجح الروايات التاريخية في هذا الصدد وهي سنة ٢٢ هـ والله أعلم - وفيها آثار للأول كثيرة، ومن حمرة تربتها تحمر ثياب ساكنيها والمتصرفين فيها، وعلى ستة أميال منها جبل كثير الخصب، والفواكه والمياه السائحة، وتصلح السائمة في نواحيها، وأكثر ذبائح أهل مصر والإسكندرية من أغنامها لعظم خلقها وكثرة شحمها ولذة لحمها، وقد تقدم ذكرها في ذكر انطابلس فلا نكرره، وبرقة؛ أول منبر ينزلها القادم من ديار مصر إلى القيروان، ولها كور عامرة، وهي في بقعة فسيحة وأرضها حمراء خلوقية كما تقدم وبحمرة ثياب أهلها يعرف أهلها، والصادر عنها والوارد عليها كثير، وهي برية بحرية، وكان من غلاتها فيما سلف القطن الطيب، وبها ديار لدباغ الجلود البقرية والنمور الواصلة إليها من أوجلة وتتجهز منها المراكب إلى الإسكندرية وأهل مصر بالصوف والعسل، ويخرج منها التربة المنسوبة إليها يتعالج الناس بها مع الزيت للجرب والحكة ولها رائحة كريهة كرائحة الكبريت، ويذكر أن في بعض جوانب برقة وآثارها القديمة داراً منقورة في حجر صلد عليها باب من حجر صلد وذلك من أغرب ما يكون في الدنيا لا تدخل الذرة بين العضادة والباب ولا ينفتح الباب إلا للداخل ولا يقدر أحد على الخروج منه إلا أن يدخل عليه آخر ويقال إنه كان مفتحاً لا قفل له ودخلها رجل ليراها فرأى داراً منقورة في حجر صلد وفيها من عظام الناس كثير فهاله ذلك، فلما أراد الخروج وجد الباب قد انغلق فلم يقدر على فتحه فأيقن بالهلكة حتى طلبه بعض أصحابه فجاء إلى ذلك الباب فسمع صوته يستغيث ففتح الباب فخرج الرجل ٢.

---

٢. الروض المعطار في خير الأقطار ،محمد بن عبد المنعم الحميري، ص٦٠.

سوريا
لبنان
دمشق
بيروت
صور
عكا
حيفا
درعا
اربد
يافا
عمان
القدس
غزة
فلسطين
الأردن
البحر الكبير
(بحر الروم - البحر المتوسط)
السلوم
مرسى مطروح
الإسكندرية
دمياط
بور سعيد
العريش
دمنهور
المنصورة
العلمين
الزقازيق
الإسماعيلية
عين شمس
الوجه البحري
بابليون
(القاهرة)
السويس
نخل
معان
الجغبوب
سيوة
العقبة
أيلة
الفيوم
بني سويف
سيناء
جزيرة العرب
المنيا
الطور
البويطي
ملوي
الصحراء
أسيوط
طهطا
قصر الفرافرة
مصر
سوهاج
قنا
الغربية
الخارجة
الأحمر
البحر
بحر القلزم (البحر الأحمر)
إدفو
كوم امبو
أسوان
رأس بناس
هضبة الجلف الكبير
الوجه القبلي
النوبة
مرتفعات
حلايب
العوينات
وادي حلفا
طجو
الوجه

هذه صورة مصر

CAIRUS QUAE OLIM BABILON AEGIPTI MAXIMA URBS

خريطتان أوروبيتان ، تعودان إلى عام ١٥٨٨ م .

الأولى: تناولت القاهرة والتي بها حصن بابليون الشهير الذي فتحه المسلمون في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه ، ويلاحظ من خلال هذا المصور الجغرافي اختراق نهر النيل للمدينة .

الثانية: وتحكي الخريطة فيها: تفرع نهر النيل في الوجه البحري (دمياط ورشيد) لتصب تفرعاته في البحر المتوسط.

لمحات عن أرض مصر في التراث الجغرافي الإسلامي

فأما **مصر** فلها حدّ يأخذ من بحر الروم من الإسكندرية، ويزعم قوم من برقة في البريّة، حتى ينتهي إلى ظهر الواحات ويمتدّ إلى بلد النوبة ثم يعطف على حدود النوبة من حد أسوان على أرض البجة في قبليّ أسوان، حتى ينتهي إلى بحر القلزم ويجاوز القلزم إلى طور سيناء ويعطف على تيه بني إسرائيل ماراً إلى بحر الروم في الجفار خلف العريش ورفح، ويرجع على الساحل ماراً على بحر الروم إلى الإسكندرية ويتصل بالحد الذي قدمتُ ذكره من نواحي برقة .

ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٣٦ .

مصر : اسم للإقليم وقد ذكرت حدوده . وهو قديم جليل عظيم جسيم العائدة في سالف الزمان، وإن قصر عن ذلك في آنفه فلوجوه منها أنه كان قديماً قُعْدَدَ الملك يسكنه عظام الفراعنة وكبار الجبابرة : كمصعب بن الوليد فرعون موسى، الوليد بن مصعب فرعون يوسف، ومن كان بين عصريهما من أكابر الفراعنة . ووجدت بخط أبي النمر الوراق في أخبار أبي الحسين الخصيبي قال: حدثني أبو خازم القاضي قال قال لي أبو الحسن بن المدبر: لوعمرت مصر كلها لوفَت بأعمال الدنيا . وقال: تحتاج مصر إلى ثمانية وعشرين ألف ألف فدان، وإنما يعمر منها ألفا ألفا فدان . قال: وقال له أنه كان يتقلد الدواوين بالعراق؛ يريد ديوان المشرق والمغرب . قال: ولم أبِت قط ليلة من الليالي وعليّ عمل أو بقية منه . وتقلدت مصر فكنت ربما بتُّ وقد بقي عليّ شيء من العمل فأستتمه إذا أصبحت . قال: وقال له أبو خازم القاضي: جبا عمرو ابن العاص **لعمر بن الخطاب** رضي الله عنه اثني عشر ألف ألف دينار، فصرفه عنها عثمان بعبد الله بن أبي سرح ... وبها الهرمان اللذان ليس على وجه الأرض لهما نظير في ملك مسلم ولا كافر ولا عمل ولا يُعمل كهما . قوة في مُلكهِ ... وللفسطاط طريق على الظهر في البر إلى الإسكندرية من جانب الصحراء وقد ذكرته في صفة المغرب ومراحله على ذات الساحل إلى ترنوط، ولها طريق إذا نضب الماء يأخذ بين المدائن والضياع وينزل في كرائم المدن . ابن حوقل : صورة الأرض، ص ١٢٨ ـ ١٢٩ .

القاهرة : مدينة عظيمة مبنية في وطأة نائية عن ذروة الجبل، أرضها سباخ، ولأجل هذا يعجل إلى مبانيها الفساد . والفسطاط المسمى الآن على ألسنة العامة بمصر؛ مدينة مبنية على ضفة النيل الشرقية، وقد بُني قبالتها في الجزيرة المبنى بها المقايس، أبنية كثيرة، صارت كأنها فرقة من مصر، ومجرى النيل بينهما لمنظره بينهما عند امتداد ضوء القمر، أو إيقاد السرج بالليل، منظر يجذب القلوب وكل من مصر والقاهرة وحواضرهما الممتدة ذات رباع عليه مبلغ بعضها أربع طبقات، في كل طبقة مساكن كاملة بمنافعها ومترفقها، وسطح مقتطع لها من الأعلى بهندسة محكمة وصناعة عجيبة مع كوّن البيوت بعضها تحت بعض، ... وفي كل من هاتين المدينتين وحواضرهما، القصور الشاهقة والديار العظيمة والمنازل الرحيبة، والأسواق الممتدة، والمدارس والخوانق، والربط والزوايا، والجميع على اتساع رقعة البناء، وفسحة الشوارع مزدحمة بالخلق سكناً وممشى، قد حشرت إليها الأمم، واختلفت إليها أنواع الطوائف .

الإسكندرية : مدينة قديمة جليلة عظيمة وكانت في القديم أكبر مما هي الآن وأعظم في كثرة الأهل والبنيان، بناها الإسكندر ذو القرنين على شاطئ البحر الرومي، ... وجميع بنايتها بالحجر والكلس، مبيضة البيوت باطناً وظاهراً، كأنها الحمامة البيضاء، ذات شوارع مشرعة الأرجاء، كل خط بذاته كأنها رقعة الشطرنج، يستدير بها أسوار ممنعة، وبروج محصنة، عليها الستائر المسترة، والمجانيق المنصوبة، وبها عسكر مستخدم لحفظها، وليس بالديار المصرية مدينة حاكمها مرسوم بنيابة السلطنة سوى الإسكندرية ... ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، السفر الثالث، ص ٤٩٠ .

وثيقة نص رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس حاكم مصر

عمرو بن العاص رضي الله عنه

عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي، أبو عبد الله . صحابي جليل كان ممن يضرب به المثل في الفطنة والدهاء . كان في الجاهلية من فرسان قريش وكان من الأشداء على الإسلام . أسلم في هدنة الحديبية قبل فتح مكة . ولاه النبي ﷺ أمر جيش ذات السلاسل وأمده بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما استعمله النبي ﷺ على عُمان ولم يزل والياً عليها حتى قبض النبي ﷺ . كان من أمراء الجيوش في الشام في زمن عمر رضي الله عنه، فتح قنسرين ومصر وليبيا. ولاه عمر رضي الله عنه على فلسطين ثم مصر وليبيا، وعزله عثمان رضي الله عنه . ولما كانت الفتنة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، كان عمرو مع معاوية وشهد معه صفين . وكان مبعوثه في قضية التحكيم المشهورة . ولاه معاوية على مصر سنة ٣٨ هـ، وبقي والياً عليها حتى وفاته . وكان معاوية قد أطلق له خراجها ست سنين فجمع أموالاً طائلة، وقد بنى مدينة الفسطاط في موقع مدينة القاهرة حالياً .

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا رأى الرجل يتلجلج في كلامه قال متعجباً: خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد! يعني أن الله تعالى خالق الأضداد . وهو صاحب المثل المشهور: « أردت عمراً وأراد الله خارجة » وذلك أن رجلاً من الخوارج أراد قتل عمرو فضرب أحد رجاله، ويدعى خارجة، يظنه عمروً، فمات خارجة، فلما جيء بالخارجي إلى عمرو قال تلك المقولة فأصبحت مثلاً . ولعمرو في كتب الحديث ٣٩ حديثاً . توفي ر في سنة ٤٣ هـ . الموسوعة العربية العالمية، ج١٦، ص ٦٤٢ - ٦٤٣ .

بداية الفتح الإسلامي لمصر سنة ١٩ هـ

فاتح عمرو بن العاص الخليفة **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه وهو بالجابية في شأن فتح مصر وحصل على موافقته في زيارته الثانية إلى بلاد الشام سنة ١٨ هـ . وقد تخوف عمر على المسلمين في بادئ الأمر وكره ذلك، فلم يزل عمرو يعظّم أمر مصر عند عمر ويخبره بحالها ويهوّن عليه فتحها حتى ركن عمر إلى ذلك فعقد له أربعة آلاف رجل كلهم من قبيلة عك، وقيل بل كان عددهم ثلاثة آلاف وخمسمائة ثلثهم من غافق، وغافق من عك . وفي رواية أن عمر بعث إلى عمرو « كن قريباً مني حتى أستخير الله » . « سر وأنا مستخيرٌ الله في مسيرك، وسيأتيك كتابي سريعاً إن شاء الله، فإن أدركك كتابي آمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل تدخلها أو شيئاً من أرضها فانصرف، وإن دخلتها قبل أن يأتيك كتابي فامض لوجهك واستعن بالله واستنصره » . فسار عمرو من جوف الليل ولم يشعر به أحد من الناس واستخار عمر الله فكأنه تخوف على المسلمين في وجههم ذلك، فكتب إلى عمرو بن العاص أن يعود بمن معه من المسلمين . وأدرك الكتاب عمراً وهو برفح، فتخوف عمرو إن هو أخذ الكتاب وفتحه أن يجد فيه الانصراف كما عهد إليه عمر، فلم يأخذ الكتاب ودافع الرسول يماطله وهو يسير بالجيش حتى نزل قرية بين رفح والعريش فسأل عنها فقيل إنها **مصر**، فدعا الرسول واستلم منه الكتاب وقرأه على المسلمين، وقال لمن معه « ألستم تعلمون أن هذه القرية من مصر ؟ » قالوا: بلى . قال « فإن أمير المؤمنين عهد إليّ وأمرني إن لحقني كتابه ولم أدخل مصر أن أرجع، ولم يلحقني كتابه حتى دخلنا أرض مصر فسيروا وامضوا على بركة الله » . أ . احمد عادل كمال، الفتح الإسلامي لمصر، ص ٢٥١ – ٢٥٣ .

قال ﷺ ((إذا افتتحم مصر فاستوصوا بأهلها خيراً، فإن لهم ذمة ورحماً))

الخليفة عمر في الجابية للمرة الثانية

الجابية

بلاد الشام

قيسارية

الامبراطورية البيزنطية

يشير السهم إلى تحرك عمرو ابن العاص من قيسارية إلى العريش من أرض مصر .

بداية الفتح الإسلامي لمصر

البحر المتوسط
العريش
السويس
شبه جزيرة سيناء
خليج العقبة
خليج السويس
تيران
شرم الشيخ
رأس محمد
البحر الأحمر
شبه جزيرة سيناء

الوجه البحري
الامبراطورية البيزنطية
أرض فلسطين
الأردن
شبه جزيرة سيناء
مصر
بابليون
العريش
الفرما
بيت المقدس
نهر النيل

يشير السهم الأخضر باتجاه المسلمين بقيادة عمرو بن العاص لفتح الفرما

فتح الفرما في ٢٥ ربيع الأول سنة ٢٠ هـ

غادر العرب العريش وما حولها من بساتين النخيل وساروا في الطريق إلى الغرب بعيدين عن البحر حتى اقتربوا من مدينة (بلوزا) واسمها بالقبطية (برمون) ويسميها العرب (الفرما) وكانت على نهد من الأرض على نحو ميل ونصف من البحر . وهي مدينة قديمة قوية الحصون بها كثير من آثار المصريين القدماء كما كان بها كنائس وأديرة، وكان لها شأن كبير إذ كانت مفتاح مصر من الشرق تشرف على طريق القادم من الصحراء، وتملك ناصية البحر ... ولم يكن عند العرب الذين جاءوا مع عمرو شي من عدّة الحصار، ولم يكن لهم علم بطرقه،وما كانوا ليستولوا على المدينة إلا بالمهاجمة وفتح الأبواب، أو بالصبر عليها إلى أن يضطر الجوع أهلها أن ينزلوا إليهم . وليس لنا علم بعدد جندها ، ولكن من الواضح أن العرب كانوا فئة قليلة ، فما كانوا ليقدروا على حصارها من كل جوانبها ، فكانت مسلحتها تهبط إليهم بين حين وحين لقتالهم واستمرت الحرب متقطعة مدة شهر، ويقول أحد المؤرخين بل شهرين،ـ قلت : وفي رواية لليعقوبي أن القتال كان ثلاثة أشهر ـ ثم خرج إليهم جنودها مرة ليقاتلوهم، ولما عادوا لائذين إلى مدينتهم تبعهم العرب فملكوا الباب قبل أن يغلق، وكان أول من اقتحم المدينة من العرب (أسميقع بن وعلة السبائي) ... فلما ملك العرب الفرما صار في أيديهم معقل يؤمن لهم الطريق المؤدية إلى بلادهم، ويضمن لهم سلامة الرجوع إذا نزلت بهم هزيمة ... فأغلب الظن أن (قيرس) كان موقناً أن المسلمين لا بد لهم أن يسيروا إلى مصر بعد أن تخلص لهم الشام، وأن الأمر واقع لا محالة . فكان الحزم يقضي عليه أن يقيم الأرصاد والربط في الصحراء، حتى أكناف العريش على الأقل، حتى يأتيه العلم بمسير القوم إليه في حينه، ليستطيع التعبية ويسير للقائهم بمن معه جميعاً عند الفرما ولو أرسل الروم عشرة آلاف من جندهم ليقاتلوا عمراً أثناء سيره، أو جمعوا ذلك الجيش العرب ... ولكن الروم لم يتحركوا في أثناء الحصار، ... فلم يبعثوا أحداً لنجدة المدينة أو تخليصها . فكان قعودهم عن الفرما وإسلامهم لها أول ما ارتكبوه من خطأ في تلك الحرب ... . صفحات من تاريخ مصر (فتح العرب لمصر) ، د . الفرد . ج . بتلر ، تعريب ، محمد فريد أبو حديد بك ، ص ٢٤١ ـ ٢٤٦ .

الفَرَمَا : اسم عجمي أحسبه يونانياً ويشركه من العربية وقد يمدّ ... مدينة على الساحل من ناحية مصر، حصن على ضفة البحر لطيفٌ لكنه فاسد الهواء وَخِمُهُ لأنه من كل جهة حوله سباخٌ تتوحّل فلا تكاد تنضُب صيفاً ولا شتاءً، وليس بها زرع ولا ماء يُشرب إلا ماء المطر فإنه يخزَّن في الجباب ويخزنون أيضاً ماء النيل يُحمل إليهم في المراكب من تنيس، وبظاهرها في الرمل ماء يقال له العُذيب ومياه غيره في آبار بعيدة الرشاء وملحة تنزل عليها القوافل والعساكر، وأهلها نحاف الأجسام متغيّرو الألوان، وهم من القبط وبعضهم من العرب من بني جرى وسائر جُذام، وأكثر متاجرهم في النوى والشعير والعلف لكثرة اجتياز القوافل بهم . ولهم بظاهر مدينتهم نخل كثير له رطبٌ فائقٌ وتمرٌ حسنٌ يجهّز إلى كل بلد ... ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦ .

مدينة العريش المصرية

الطريق إلى بابليون

[illegible] من الهجرة المباركة

عرض عمرو بن العاص فتح « مصر » على عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما كان بالجابية - كما ذكرنا آنفاً - فوافق على ذلك.

وتشير الروايات التاريخية إلى أن عمرو ابن العاص سار بقوة أربعة آلاف مقاتل، وسلك الطريق الساحلي (انظر الخريطة السابقة)، ففتح رفح على الساحل ثم العريش، واشتبك مع القوات البيزنطية في الفرما وحاصرها مدة شهر ثم انتصر عليها انتصاراً مؤزراً. والتقى بقوات أرطبون ببيت المقدس في بلبيس وهزمهم المسلمون، ثم مضى إلى أم دنين (قرية تقع في موقع حديقة الأزبكية بالقاهرة اليوم) وحاصرها. فكتب إلى الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يطلب منه المدد، فأرسل إليه الخليفة عمر اثني عشر ألفاً بقيادة الزبير بن العوام رضي الله عنه، واستطاع عمرو بوصول هذا المدد أن يهزم قوات الروم في معركة عين شمس - كما سيتضح لنا إن شاء الله في الصفحة بعد القادمة -. وعلى أثرها اقترب من حصن بابليون ... هذا.

بينما تشير رواية ابن عبد الحكم إلى أن عمرو بن العاص بعد فتح أم دنين نزل على حصن بابليون الذي يجمع القوات الرومانية داخله نظراً لمناعته، فطلب من عمر بن الخطاب مدداً بعد أن أبطأ عليه الفتح، فأمده بأربعة آلاف رجل على كل ألف منهم رجل، وكتب إليه عمر بن الخطاب: إني قد أمددتك بأربعة آلاف رجل على كل ألف منهم رجل مقام الألف، الزبير بن العوام، والمقداد بن عمرو، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن مخلد. وقال عمر ابن الخطاب: إن معك اثني عشر ألفاً، ولا يغلب اثنا عشر ألفاً من قلة. ... وأشار البلاذري إلى أن عمرو بن العاص دخل مصر ومعه خمسمئة وثلاثة آلاف، وكان عمر بن الخطاب قد أشفق لما أخبر به من أمرها فأرسل الزبير ابن العوام في اثني عشر ألفاً ممداً له حتى تم له الفتح المبين.

بابِلْيُونُ: الباء الثانية مكسورة، واللام ساكنة، وياءٌ مضمومة، وواو ساكنة، ونون: وهو اسم عامٌ لديار مصر بلُغة القدماء. وقيل هو اسم لموضع الفُسطاط خاصةً. فذكر أهل التوراة أن مقام آدم، عليه السلام، كان ببابل، فلما قَتَلَ قابيلُ هابيلَ مَقَتَ آدم قابيلَ فهرب قابيلُ بأهله إلى الجبال عن أرض بابل فسمّيت بابل، يعني به الفُرْقة، فلما مات آدم، عليه السلام، ونُبِّيء إدريسُ، عليه السلام، وكثر ولد قابيل في تلك الأرض، وأفسدوا ونزلوا من جبالهم، وخالطوا أهل الصلاح، وفسدوا بهم، دعا إدريسُ رَبَّهُ أن ينقُلَه إلى أرض ذات نهر مثل أرض بابل؛ فأُري الانتقال إلى أرض مصر، فلما وردها وسكنها واستطابها اشتقَّ لها اسماً من معنى بابل، وهو الفُرْقة، فسماها بابليون، ومعناها الفرقة الطيبة، والله أعلم.

وذكر عبد الملك بن هشام صاحب السيرة في كتاب التيجان في النسب من تصنيفه: بابليون كان ملكاً من سَبأ، ومن ولده عمرو بن امرىء القيس، كان ملكاً على مصر في زمن إبراهيم الخليل، عليه السلام؛ وقال أبو صخر الهُذلي:

وماذا تُرَجّي بعد آل محرّق، عَفا منهمُ وادي رُهاط إلى رُحْب
خلَوْا من تَهَامي أرضنا، وتبدّلوا بمكة بابليون والرُّبَطَ بالعَصْب

وقال كُثَيِّر بن عبد الرحمن يرثي عبد العزيز بن مروان:

فلستُ، طوال الدهر، ما عشْتُ ناسياً عظاماً، ولا هاماً له قد أرِمْت
جرى بين بابليون، والهضب دونه، رياح أسفَّتْ بالنَّقا وأشمْت
سَقَتْها الغوادي والروائح خلفَةً، تَدَلّين علواً والضريحة لَمّت

وقد أسقط عمران بن حِطّان منه الألف في قوله يذكر قوماً من الأزد نفاهم زياد ابن أبيه من البصرة، وكان قد اتّهَمَهُم بمُمَالأة عَدُوّه، إلى مصر، فنزلوا من الفسطاط بموضع يقال له الظاهر، فقال:

ساروا بحمد الله، حتى أَحَلَّهم بَبِلْيون منها الموجفاتُ السوابقُ
فأمسوا، بحمد الله، قد حال دونهم مَهامهُ بيدٌ والجبال الشواهقُ
وحَلُّوا، ولم يرجوا سوى الله وحده، بدارٍ لهم فيها غِنىً ومَرافِقُ
[illegible]

الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٣١١ - ٣١٢

الطريق إلى بابليون سنة ٢٠ هـ
الشمال
البحر الكبير (بحر الروم - البحر المتوسط)
رشيد
دمياط
بورسعيد
الوجه البحري
دمنهور
الفرما
الامبراطوية البيزنطية
جيش المسلمين إلى قلب مصر
فاقوس
الزقازيق
القواصر
الإسماعيلية
بنها
بلبيس
عين شمس
الصحراء الغربية
أم دنين
بابليون
سيناء
عيون موسى
الجيزة
الصحراء الشرقية
السويس
بور توفيق
نهر النيل
سدر
الفيوم
خليج السويس
سار عمرو بن العاص من الفرما إلى القواصر، ثم سار إلى بلبيس لا يدافع إلا بالأمر الخفيف وهي على مسيرة يوم من القواصر، فقاتل حاميتها الرومية نحواً من شهر حتى فتح الله عليه في جمادى الأولى سنة ٢٠ هـ. وصار عمرو على مسيرة يوم من مفترق فرعي النيل، فمر بمدينة عين شمس (هليوبوليس) سائراً على جانب الصحراء، ثم هبط إلى قرية على النيل اسمها (أم دنين) وكانت إلى الشمال من حصن (بابليون) فقاتله الروم بها قتالاً شديداً؛ وأبطأ عليه الفتح فكتب إلى عمر بن الخطاب يستمده، فأمده بأربعة آلاف ليصبح الجيش ثمانية آلاف، فقاتلهم المسلمون بهذا الجيش.

فتح بلبيس

عنـد بلبيس برز الروم في قوة كبيرة قاصدين صدّ عمرو عن التوجه نحو حصن بابليون وأرادوا منازلة المسلمين، فقال لهم عمرو رضي الله عنه لا تعجلونا حتى نعذر إليكم وليبرز إليّ أبـو مـريم وأبو مريام، وعندئذ كفـوا عن القتال، وخرج إليه الرجـلان، فدعاهما إلى الإسـلام أو الجزيـة، وأخبرهمـا بوصية النبي صلـى الله عليه وسلم بأهـل مصر، بسبب هاجر أم اسماعيل: روى مسلم في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إنّكم ستفتحـون مصر، وهي أرضـ يسمى فيها القيراط(معيار في الوزن وفي القياس)، فإذا فتحتموهـا فأحسنـوا إلى أهلها، فإن لهـم ذمّة ورحماً؛ أو قال: ذمة وصهـراً، فقالا: قرابة بعيـدة لا يصل مثلها إلا الأنبيـاء، آمِنّا حتى نرجع إليك. فقال عمرو: مثلي لا يُخدع: ولكني أوجلكمـا ثلاثـاً لتنظرا فقالا: زدنـا، فزادهما يومـاً، فرجعا إلى المقوقـس عظيم القبط، وأرطبـون الوالي من قِبَل الروم، فأخبراهما خبر المسلمـين، فأما أرطبون فأبى وعزم على الحـرب، وبيّت المسلمـين، فهزموه هو وجنده إلى الإسكندرية، وممـا هو جدير بالذكر، ما يـدل علـى شهامة المسلمين ومروءتهم أنه لما فتح الله علـى المسلمين (بلبيس) وجدوا فيها ابنـة المقوقس واسمها (أرمانوسة) وكانت مقربة من أبيها، وكانت في زيارة لمدينة بلبيس مـع خادمتها (بربـارة) هرباً من زواجها مـن قسطنطين ابن هرقل (وهـو فيما بعد والد قنسطـنـز) صاحـب موقعة ذات الصـواري وكانت غير راغبة في الـزواج منه، ولما تمكنت مجموعـة مـن الجيشـ الإسلامي مـن أسـر أرمانوسة جمع عمـرو بن العاصـ الصحابة وذكرهم بقولـه تعالى: هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَـانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ(الرحمن،آيـة:٦٠). ثم قال: لقد أرسـل المقوقس هدية إلى نبينا وأرى أن نبعث إليه بابنته وجميع من أسرناهم من جواريها وأتباعهـا، ومـا أخذنا مـن أموالهـم، فاستصوبوا رأيـه، فأرسلها عمـرو إلى أبيها معززة مكرمـة ومعها كل مجوهراتهـا وجواريها ومماليكهـا وقالت لها خادمتهـا (بربارة) أثناء سفرهمـا: يـا مولاتي إن العرب يحيطون بنا من كل جانـب فقالت أرمانوسة: إني آمن على نفســي وعرضي فـي خيمة العربـي، ولا آمن على نفسي في قصـر أبي، ولما وصلت إلى أبيها سُرَّ بها وبتصـرف المسلمين معها. د. الصلاّبي، فصل الخطاب في سيرة عمر بن الخطاب، النسخة الرقمية.

بِلْبِيسُ: بكسـر الباءَين، وسكون اللام، وياء، وسين مهملة؛ كـذا ضبطه نصر الإسكندري، قال: والعامة تقول بِلْبَيْـس: مدينة بينها وبين فُسْطَاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام، يسكنهـا عَبْسُ ابن بغيض، فُتِحَتْ في سنة ١٨ أو ١٩ – وهـذا مخالف لـما ذكرناه فـي هـذا الأطلس والذي اعتمدنـاه هو الأرجح والله أعلم – علـى يد عمرو ابن العاص؛ قال المتنبّي:

جَزَى عَرَباً أَمْسَتْ بِبِلْبِيس رَبُّها
بِمَسْعَاتِهَا تَقْرِرْ بذاك عيونُها
كَرَاكِرَ من قيس ابن عَيْلان ساهراً
جُفُونُ ظُبَاهَا، للعُلى، وجُفُونُها

الحمـوي، معجـم البلـدان، ج١، ص ٤٦٣.

الطريق بين بلبيس والقاهرة

ساعة محطة بلبيس

معركة أم دنين

جمادى الأولى [illegible]

ذكر ابن عبد الحكم في روايته أن عمراً مضى بجيشه حتى فتح « بلبيس » بعد قتال دام نحواً من شهر، ثم مضى حتى أتى « أم دنين » وتسمى المقسس وهي واقعة على النيل فقاتل المسلمون حولها قتالاً شديداً وأرسل عمرو إلى أمير المؤمنين يستمده فأمده أمير المؤمنين بأربعة آلاف رجل على كل ألف منهم رجل يقوم مقام الألف، وهم الزبير بن العوام، والمقداد ابن الأسود، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن مُخلَّد، وقيل الرابع خارجة بن حذافة، وقال عمر في كتابه له: اعلم أن معك اثني عشر ألفاً، ولن تغلب اثنا عشر ألفاً من قلَّة، وقد خرج الروم مع الأقباط لمواجهة المسلمين، وجرت بينهم معركة حامية استعمل فيها عمرو بن العاص دهاءه الحربي كما صنع خالد بن الوليد في حروب العراق، وذلك أنه جعل جيشه ثلاثة أقسام، حيث أقام كميناً للأعداء في الجبل الأحمر، وأقام كميناً آخر على النيل قريباً من أم دنين، وقابل أعداءه ببقية الجيش، ولما نشب القتال بين الفريقين خرج الكمين الذي في الجبل الأحمر وانقضَّ على الروم فاختل نظامهم وانهزموا إلى أم دنين فقابلهم الكمين الذي بقربها فأصبحوا بين جيوش المسلمين الثلاثة وانهزموا وتفرق جيشهم ولجأ بعضهم إلى حصن بابليون الحصين، وهكذا كسب المسلمون هذه المعركة ووقاهم الله شر أعدائهم بفضله تعالى وذلك بتوفيق قائدهم المحنَّك إلى هذه الخطة المحكمة التي شتت بها قوات الأعداء. د . الصلابي، فصل الخطاب في سيرة عمر بن الخطاب، النسخة الرقمية .

أُمُّ دَنَيْن: بضم الدال، وفتح النون، وياءٍ ساكنة، ونون: موضع بمصر ذكره في أخبار الفتوح؛ قيل: هي قرية كانت بين القاهرة والنيل اختلَطَت بمنازل رَبَض القاهرة. الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٢٥١ .

نهر النيل وهو ينصف القاهرة الى قسمين

عدسة المؤلف

معركة عين شمس (هليوبوليس)

بعد وصول الإمدادات الإسلامية من المدينة ؛ أدرك الروم أن معركتهم الحاسمة قد جاء وقتها وبدأوا يتأهبون لذلك، فخرج جيشهم من حصن بابليون - حوالي ٢٠,٠٠٠ ألفاً - واصطف خارجه .

وكان عمرو يرقب عدوه فصف صفوفه أيضاً في عين شمس وسار جيش الروم من الحصن في اتجاه (جبل المقطم) شرقاً، ثم سار بمحاذاته شمالاً نحو معسكر عمرو، وعلم عمرو بذلك فسار من عين شمس جنوباً نحو جيش الروم القادم من بابليون وفي أثناء ذلك بعث كميناً إلى أم دنين حيث كمن بين النخيل والأشجار القريبة .

وبعث كميناً آخر إلى اليحموم (الجبل الأحمر) فكمن بينه وبين جبل المقطم وعلى مسافة نحو ١٠ كم من معسكرات عمرو و ١٥ كم من حصن بابليون ؛ التقى الجمعان في موقع شرقي الريدانية في حيز بين جامعة عين شمس ومستشفى الأمراض العصبية وأكاديمية الشرطة من مدينة القاهرة اليوم .

وحمي الوطيس بين الطرفين حتى إذا بلغ الجهد بينهما طلع الكمينان من خلف صفوف الروم، وأمام المفاجأة عمد هؤلاء إلى الفرار وفرسان المسلمين في أثرهم يقتلونهم حتى لم ينج منهم سوى ٣٠٠ مقاتل استطاعوا الوصول إلى بابليون مباشرة أو عن طريق أم دنين بالسفن .

لقد وقعت هذه المعركة (عين شمس) في حوالي ١٥ جمادى الأولى سنة ٢٠ هـ ٣٠ أبريل سنة ٦٤١ م، وبعد الفراغ من المعركة استولى عمرو على أم دنين وغنم بها بعض السفن النهرية ، حينئذ لم يعد بحصن بابليون قوة تكفي للدفاع عنه، ولكنه كان قلعة شاهقة مغلقة على مرتفع من الأرض يحيط بها خندق وتتصل من خلفها بالجزيرة الواقعة بوسط النيل (الروضة) بحر عائم .أ. أحمد عادل كمال ، فتح مصر، ص ١٥١ .

عَينُ شَمس: بلفظ الشمس التي في السماء: اسم مدينة فرعون موسى بمصر، بينها وبين الفسطاط ثلاثة فراسخ، بينه وبين بلبيس من ناحية الشام قرب المطرية وليست على شاطئ النيل، وكانت مدينة كبيرة، وهي قصبة كورة اتريب، وهي الآن خراب وبها آثار قديمة وأعمدة تسميّها العامة مَسالّ فرعون، سود طوالٌ جداً تبين من بُعد نخيل بلا رؤوس، قال الحسن ابن إبراهيم المصري: ومن عجائب مصر عين شمس، وهي هيكل الشمس، وبها قدّت زَليخا على يوسف القميص، وبها العمودان اللذان لم يُرَ أعجب منهما ولا من بنائهما، وهما مبنيان على وجه الأرض بغير أساس، طولهما في السماء خمسون ذراعاً، فيهما صورة إنسان على دابّة وعلى رؤوسهما شبه الصومَعتين من نحاس فإذا جرى النيل رَشحتا وقطر الماء منهما، وهما رصد لا تجاوزهما الشمس في الانتهاء، فإذا دخلت أول دقيقة من الجدي، وهو أقصر يوم في السنة، انتهت إلى العمود الجنوبي وقطعت على قُبّة رأسه فإذا نزلت أول دقيقة من السرطان وهو أطول يوم في السنة انتهت إلى العمود الشمالي وقطعت على قُبّة رأسه ثم تَطّرد بينهما ذاهبةً وجائيةً سائر السنة، ويرشح من رأسهما ماء إلى أسفل حتى يصيب أسفلهما وأصولهما فينبت العوسج وغيره من الشجر، قال: ومن عجائب عين شمس أنها تخرب من أول الإسلام وتحمل حجارتها ولا تفنى، وبعين شمس يُزرع البلسان ويُستخرج دُهنه؛ وبالصعيد مقابل طِهنةَ بلد يقال له عين شمس غير التي عند المطرية؛ قال كثيّر يرثي عبد العزيز ابن مروان:

أتاني، ودوني بطن غَوْل ودونه
عِمادُ الشُّبا من عين شمس فعابِدُ
نعِيُّ ابن لَيلى فاتّبعتُ مصيبةً
وقد ضقتُ ذرعاً والتجلّدُ آيدُ

وعين شمس أيضاً: ماء بين العُذَيب والقادسية، له ذكر في أيام الفتوح. الحموي، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٧٨ - ١٧٩ .

معركة عين شمس 10 جمادى الأولى سنة ٢٠ هـ

موقع عين شمس مع بعض المسميات الحديثة .

الشمال

المرج

عزبة النخل

مسجد
متحف المسلة

عين شمس

عين شمس
(هيلوبوليس)

منطقة آثار المطرية وعين شمس

المطرية

القوات الإسلامية

معبر المسلمين
معبر النصارى

المطرية

كنيسة العذرا مريم
الأرثوذكس

كنيسة العذرا مريم
طائفة الكاثوليك

شجرة مريم

القوات الرومية

ميدان المطريه

شارع اللواء

الحلميه

مسجد

مدينة الزهراء

مروان بن الحكم

جندي بيزنطي (روماني)

مقياس الرسم
١ : ٢٠٠٠٠

ذكر حنا النقيوسى في ديوان (حنا النقيوسى) معركة على جانب كبير من الأهمية، لم يذكرها المؤرخون المسلمون الأوائل . بأن جيش المسلمين جاء إلى تندونياس (أم دنين) وأرسى إلى النهر، وأن عمرو بن العاص أرسل إلى **عمر** بن الخطاب يطلب المدد فجاءه أربعة آلاف مقاتل . نقل ذلك المؤرخ أحمد عادل كمال وقدر أيضاً تاريخ المعركة بما ذكرته في أعلى الصفحة مع عنوان الخريطة . الفتح الإسلامي لمصر، ص ٢٦٨ .

بينما علق الدكتور / حسن إبراهيم حسن ، عن عين شمس بقوله: أنها كانت من السهولة بمكان أن يستولي عليها عمرو بن العاص قبل حصاره حصن بابليون، لأنه لم تكن بها حامية كبيرة من جهة، ولأنها كانت في طريقه . وربما استولى عليها قبل أم دنين، ثم نشب بينه وبين الروم القتال بعد وصول المدد إليه من عمر على أثر تقهقره إلى هذه المدينة . حيث رأى من مصلحته الحربية أن يستدرج الروم إلى العراء فيضعف حامية الحصن، فلا تقوى على المقاومة طويلاً . تاريخ عمرو بن العاص، ص ١٢٥ .

مسلة عين شمس (هليوبوليس) والتي أصبحت من ميادين القاهرة

مرتسم لمسلة عين شمس للرسام الأوروبي ديفيد روبرت في ٢٠ يناير سنة ١٨٣٩ م .

يسمي أقباط مصر هذه الشجرة بشجرة مريم العذراء عليها السلام؛ حيث يعتقدون أنها استظلت تحتها أثناء رحلة العائلة إلى مصر

فتح حصن بابليون

وصـل عمـرو بن العاص إلى حصـن بابليون في جمادى الأولى سنة ٢٠ هـ = مايو ٦٤١ م ، وبعث فرسانه فأغاروا هنا وهناك من مشارف الدلتا.

يئس مـن بقي من حامية الحصـن أن تصل أمداد من (بيزنطة) فخارت عزائمهـم ، وعبر المقوقس وأصحابه إلى جزيرة (الروضة) ليلاً وبدأوا يفاوضون عمراً، ومات هرقل في ٢٣ صفر سنة ٢٠ هـ = ا فبراير ٦٤١ م، وجاءت أخبار ذلك إلى المسلمين من إخوانهم بالشام قبل أن يعرفها الروم؛ فشد ذلك من عزائم المسلمين وأوهن من عزائم الروم، كما انتشر بينهم المرض .

وعمد ثيودور (القائد العام لجيش الروم في مصر) إلى حشد قواته بشمالي الدلتا، فترك عمرو حامية أمام حصن بابليـون وسـار بجيشه محاذياً فـرع دمياط وعند أثريب (قريباً من بنها) عبر النيل واتجـه نحو سمنود وشعر بصعوبة القتـال وسـط المسالك المائية التي تمتلئ بها الدلتا، فرجع إلى (أبو صير) ورمم حصونها وحصون (أثريب) و (منوف) وتحصن بها فعجز ثيودور أن يمد بابليون بجندي واحد .

وقف المسلمون أمام بابليون سبعة أشهر ، وأخيراً صنعوا سلماً عالياً، غافلوا الروم وأسندوه في ليلة الجمعة (٢٩ ذي الحجـة سنـة ٢٠ هـ = ٧ ديسمبر ٦٤١ م) إلى جدار الحصن، ووهب الزبير بن العوام نفسه لله؛ فصعد السلم إلى أعلى السور وتزاحم المسلمون من ورائه حتى كاد السلم أن ينكسر وكبروا من فوق السور وكان الروم يائسين من معركتهم من بـادئ الأمر، فطلبوا لاصلاح على تسليم الحصن وتم جلاؤهم عنه ولم ينس الروم، وهم يجلون عن الحصن أن يضربوا المسجونين القبط بالسياط لآخر مرة وأن يقطعوا أيديهم .

وكان الروم قد قطعوا الجسر فأعاده عمرو بن العاص بين الحصن والجزيرة (الروضة) وبينها وبين (الجيزة) وكان جسراً عائماً فوق القوارب .

كان عمـرو يتعجـل السـير إلى (الإسكندرية) قبل أن يعود فيضان النيـل ويغرق الأرض وقد بقي على موسمه بضعة أشهر .

أبقى عمرو في الحصن (حصن بابليون) خارجة بن حذافة السهمي في قوة من المسلمين، وعبر بجيشه إلى الشاطئ الغربـي للنيـل، وما كان لعمرو أن يسلك وسط الدلتا بما يتخللها من مدن وقرى وأنهار وما قد يتهددها من الفيضان إذا حل موسمه، ولكنه – شأن ما كان يفعل العرب دائماً – آثر السير على حافة الصحراء، وقد ترك فسطاطه مكانه ليمامة عششت وباضت بأعلاه . أ . أحمد عادل كمال ، فتح مصر ، ص ١٥١ – ١٥٢ .

حصن بابليون

بعد أن تم لعمرو بن العاص رضي الله عنه فتح **حصن بابليون** حمد الله بما هو أهله، وشكره - سبحانه - على منه وفضله، وتنفست الصعداء فقد طال حصار الحصن سبعة أشهر دون أن يرى في الأفق ما يبشر بالنصر والمسلمون وإن لم يكونوا في ضائقة تؤدي إلى تذمر، أو تصل إلى حد العنت، ولكنهم كانوا قد ملوا الوقوف، وخشي عمرو أن يدب الوهن في صفوفهم لتحصن عدوهم، وتوفر المئونات لدى خصمهم مما يوفر المناعة لدى المتحصنين، ويعطيهم فرصة أكبر للمقاومة والصمود.

ولعل هذا هو الذي جعل الزبير بن العوام - رضي الله عنه - يفكر في وسيلة يقتحم بها الحصن كما ذكرنا سابقاً، ويقول لعمرو: لقد وهبت نفسي لله، ثم يصعد أسوار الحصن المنيعة، ويكبر فيكبر المسلمون من ورائه ويفتح الله عليهم.

وبدا لعمرو أن يزحف إلى الإسكندرية، ولاسيما وقد استتب الأمن في ربوع البلاد التي فتحها، ودان أهلها بالولاء للغزاة الفاتحين، فمنهم من دخل طوعاً في الإسلام، ومنهم من صالح على الجزية راضياً مقتنعاً، ولكن عمراً لا يستطيع الزحف على الإسكندرية مهما أغراه النصر الذي أحرزه في بابليون، ومهما شجعه استسلام القبط ورضاهم عما أنجز من الفتوحات حتى يستأذن الخليفة ويأذن له.

حصن بابليون
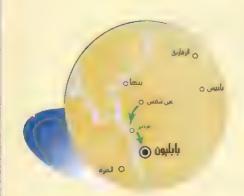
بحث عدد من المؤرخين اسم « بابليون » واختلفوا في شأنه، فذهب ‹كازانوفا › إلى أنه الصيغة اليونانية للاسم المصري القديم « بي هابي أون » وذكر « ديودورس » حوالي عام ٥٠ ق . م . أن الفرعون سيزوستريس جاء بأسرى الفرس من « بابل » وأنهم تمردوا بمصر وتحصنوا بهذه البقعة فنسبت إلى هؤلاء البابليين باسم بابليون ثم عفا عنهم . ويذهب « يوسفيوس »إلى أن قمبيز هو الذي بناها عندما غزا مصر عام ٥٢٥ ق . م ... ولقد كانت بابليون مدينة قبل الاحتلال الروماني . وكان أهم معالمها وآثارها ذلك الحصن الذي فتحه عمرو بن العاص رضي الله عنه في عهد الخليفة الراشد **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه يوم ٢١ من ربيع الآخر سنة ٢٠ للهجرة المباركة ، فأنشأ من حوله الفسطاط، ومن بعدها جاءت القاهرة .

أما تاريخ بناء الحصن : فليس هناك رأي قاطع عن تاريخ بنائه، ومن المحتمل أن الحصن كان قديماً، وأن نبوخذ نصر جدده وأن الامبراطور « تراجان » زاد في أسواره وارتفع بها، أو أنه أعاد بناءه . في حين تذهب بعض الأبحاث إلى أن الذي بناه هو الامبراطور « أغسطس » عام ٣٠ ق . م . وأن تراجان أعاد بناءه عام ٩٨ ـ ١٠٠ م، ثم جدده الامبراطور أركاديوس عام ٣٩٥ م . لكن استرابوا الذي جاء إلى مصر قبل تراجان بنحو ١٣٠ عاماً يذكر أنه رأى حصناً قوياً على نهد من الصخر في ذلك الموقع، ويقرر بتلر: أن الحصن المذكور يجب أن يكون جنوبي موضع الحصن الحالي، وأن النهد الصخري المذكور كان ومازال قائماً حتى أواخر القرن التاسع عشر ـ ولعله يقصد كوم غراب ـ . وبالرغم من قدم الحصن وأهمية موقعه فلا نكاد نجد له ذكراً مع أحداث التاريخ غير ما كان إبان الفتح الإسلامي المجيد .

بتصرف عن أحمد عادل كمال ، أطلس تاريخ القاهرة ، ص ٢٠ .

دليل خريطة حصن بابليون (قصر الشمع) ـ انظر الخريطة المقابلة

١	زقاق الترمس
٢	مسجد
٣	دير البنات (أبو جرج)
٤	درب محط القرب
٥	كنيسة العذراء
٦	كنيسة
٧	مسجد
٨	زقاق كنيسة السيدة
٩	كنيسة مارجرجس
١٠	زقاق محط اللبن
١١	مسجد القبة
١٢	زقاق مسجد القبة

١٣	كنيسة سيداروس
١٤	زقاق الشريف الحلبي
١٥	زقاق الترجمان
١٦	درب الحجر
١٧	كنيسة بربارة
١٨	مدافن
١٩	زقاق الغرباء
٢٠	مسجد
٢١	مسجد ابن النعمان
٢٢	كنيسة أبي سرجة
٢٣	زقاق الصمصام
٢٤	زقاق الدخان

٢٥	الصرح الشمالي
٢٦	الصرح الجنوبي
٢٧	كنيسة اليهود الشاميين
٢٨	كنيسة الراب ابن عذرة لليهود
٢٩	شارع سينا جوج
٣٠	مسجد
٣١	مسجد
٣٢	خوخة خبيصة
٣٣	زقاق اليهود
٣٤	كنيسة اليهود العراقيين
٣٥	الكنيسة المعلقة
٣٦	زقاق القمارية

❖ أطلس تاريخ القاهرة، أحمد عادل كمال، ص ٢٣ .
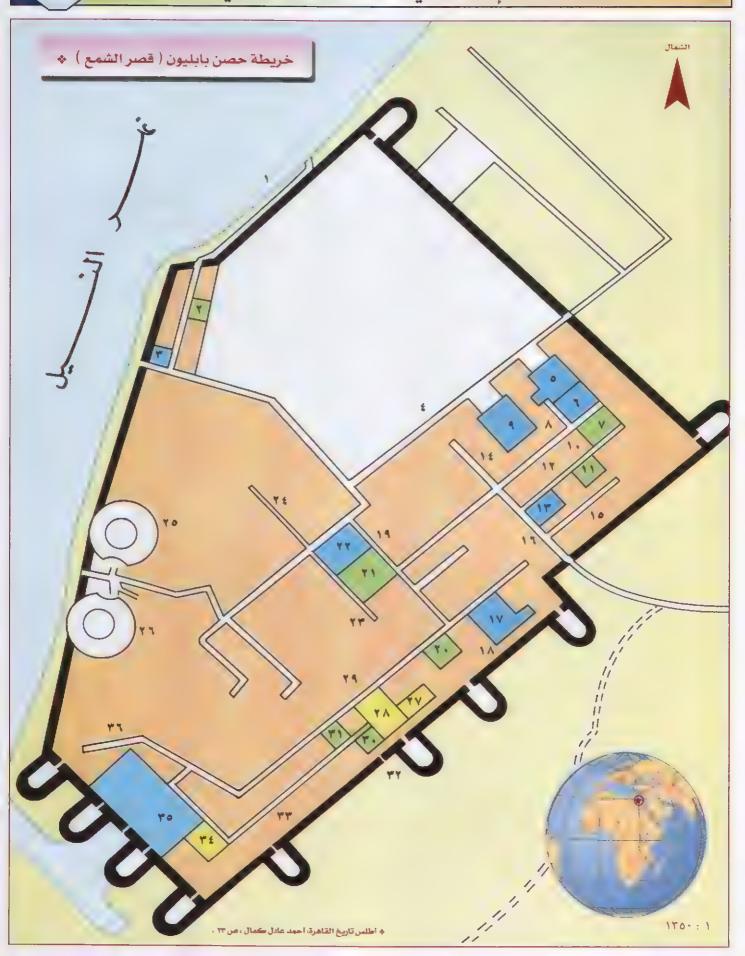
(١) القوات الإسلامية بقيادة عمرو بن العاص تسير نحو حصن بابليون، وتضرب عليه حصاراً بلغ سبعة أشهر، وكان الروم قد خندقوا حول الحصن خندقاً منيعاً، ونثروا حوله سكك الحديد موتدة بأفنية الأبواب، كموانع للخيل والرجال، وكان قائد الحماية الرومانية رجلاً يقال له (الأعرج) .

(٢) كتب عمرو إلى الخليفة **عمر** رضي الله عنه يخبره بصعوبة الوضع، ويستنجده بجيش إضافي من المسلمين : فأمده بـ (٤٠٠٠) مقاتل بقيادة الزبير بن العوام رضي الله عنه فبلغ جيش المسلمين التقريبي (١٦٠٠٠) مقاتل . وفي بعض الروايات أصبح عدد الجيش الإسلامي (١٢٠٠٠) مقاتل .

(٣) في ليلة شاتية فاجأ الزبير بن العوام الجيش الرومي على رأس الحصن يكبّر ومعه سيفه والمسلمون يرددون تكبيره، وقد تسلقوا السلم، ثم انحدر الزبير ومن معه إلى داخل الحصن، وأصاب الرعب أهل الحصن فهربوا من أمامهم، فقام الزبير بفتح باب الحصن المغلق ففتحه واقتحمه المسلمون من الخارج؛ في الوقت الذي نصب شرحبيل بن حُجَيَّة المرادي سلماً آخر ليقوم بالدور نفسه .

(٤) ذكر الدكتور / حسن إبراهيم حسن: أن المقوقس لما رأى الجد من العرب، وصبرهم على القتال، وأنهم سوف يقتحمون الحصن، خرج هو ونفر من قومه من الباب القبلي حتى لحقوا بالجزيرة . تاريخ عمرو بن العاص، ص ١٢٧ .

(٥) نفى أ / أحمد عادل كمال: أن يكون الأقباط المصـريون مع الروم في مواجهة المسلمين، مستدلاً بعدم ذكر المصـــادر القبطية لمثل هذا الحدث المهم ثم قال: إن الثابت في مصادر القبط عكس ذلك، وأن القبط كانوا محل اضطهاد الروم . ولذلك حدثت مفاوضات بين الطرفين (انظر الصفحة التالية) .

الصلح مع أهل مصر

بسم الله الرحمن الرحيم " هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملّتهم وأموالهم وكنائسهم وصُلُبهم، وبرّهم وبحرهم؛ لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص، ولا يساكنهم النوب . وعلى أهل مصر أن يُعْطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح، وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف، وعليهم ما جنى لصُوتُهم، فإن أبى أحدٌ منهم أن يجيب رفُع عنهم من الجزاء بقدرهم، وذمّتنا ممن أبى بريئة، وإن نقص نهرهم من غايته إذا انتهى رُفع عنهم بقدر ذلك، ومَنْ دخل في صلحهم من الرّوم والنُّوب فله مثل ما لهم، وعليه مثل ما عليهم، ومَنْ أبى واختار الذّهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه، أو يخرج من سلطاننا . عليهم ما عليهم أثلاثاً في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم، على ما في هذا الكتاب عهد الله وذمّته وذّمة رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذمم المؤمنين، وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأساً، وكذا وكذا فرساً، على ألا يُغْزَوْا ولا يمنَعوا من تجارة صادرة ولا واردة . شهد الزبير وعبد الله ومحمد ابناه . وكتب وردان وحضر" . الطبري ، **تاريخ الأمم والملوك، مج ٢ ، ص ٥١٣ .**

أتقن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - أسلوب المباغتة في أثناء حصار حصن بابليون فبينما كان الروم المحاصَرون في هذا الحصن مطمئنين إلى أن المسلمين لن يستطيعوا النيل منهم، بفضل مناعة حصونهم وأسوارهم وما لديهم من ذخائر ومؤن ومعدات حربية، وبسبب ما وضعوه من عوائق من الحسك الشائك على أبواب الحصن وفي الخندق الذي جفت مياهه بعد هبوط مياه النيل؛ إذا بهم يفاجأون في ليلة مظلمة بالزبير بن العوام ومجموعة من رجاله المقاتلين، يعتلون السور مكبرين، ويباغتونهم فيعملون السيف فيهم، ويهزم من في الحصن من المدافعين فيطلبون **الصلح والأمان**، ويدخل المسلمون الحصن فاتحين . العميد الركن د . ياسين سويد، الفن العسكري الإسلامي ص٣٢٠ .

كنيسة مار جرجس بمصر القديمة

عندما ولد المسيح عليه السلام كانت مصر ولاية رومانية منذ ثلاثين عاماً، ومنذ ذلك الوقت الذي أنهى فيه جيش أوكتافيان فترة الحكم المقدوني الإغريقي الذي بدأه الإسكندر سنة ٣٣٢ ق . م . كانت البلاد تعيش تفرقة عنصرية واضحة على أيدي البطالمة الأوائل، ولم يفعل مجيء الرومان أي تحسين لواقع الحياة المصرية، حيث جرى تشجيع الفصل بين الحكام والمحكومين، ولم يتعد المصريون كونهم أقنان الأرض التي صارت ملكاً للرومان . ومع بداية العصر المسيحي كانت مصر بلداً متعدد الجنسيات، جرى حكمه بمعرفة الأجانب على مدى ما يزيد على ٣٠٠ عام . إلا أن الكنيسة القبطية تعتز بحدثين كبيرين من القرن الأول الميلادي، أولهما دخول عائلة المسيح عليه السلام إلى أرض مصر، وثانيهما تأسيس الكاهن مرقس كنيسة الإسكندرية، وطبقاً لما أورده المؤرخ الكنسي أوسابيوس أن النصرانية دخلت مصر على يد مرقس سنة ٦٠ من ميلاد المسيح عليه السلام .

كنيسة أرثوذكسية داخل المنطقة القبطية بمصر القديمة

نموذجان لوسائل التعذيب الرومانية والتي كان يُعذب فيها مار جرجس وأقباط مصر من قبل الحكومة الرومانية المحتلة.

اللقطات عدسة المؤلف

جامع عمرو بن العاص بمدينة الفسطاط بمصر القديمة بعد توسيعه

لقطات منوعة لجامع عمرو بن العاص رضي الله عنه بمدينة الفسطاط بمصر القديمة.
اللقطات من عدسة المؤلف، والذي يُـرى واقفاً بجانب أحد العلماء في الجامع.

فتح الحصون والقرى أثناء السير لفتح الإسكندرية

رابـط عمـرو بن العاص ورجاله عدة أشهر في حصن بابليون ليستجـمَّ الجنود ويصله الإذن من أمير المؤمنين عمر بالسير لفتح الإسكندرية، فلما تحقق ذلك ترك عمرو في الحصن مسلحة قوية من المسلمين، وفصل بجنوده من بابليون فـي مايـو سنـة ٦٤١م، الموافق جمادى الآخـرة سنة ٢١هـ، وخرج معه جماعـة من رؤساء القبط الذيـن اطمأنوا إلى أن مصلحتهم باتت في مساندة القوة الإسلامية المظفرة، وقد أصلحوا لهم الطرق، وأقاموا لهم الجسور والأسواق، وصارت **لهـم القبـط أعوانـاً** على مـا أرادوا من قتال الـروم، وقد آثر عمرو السـير على الضفة اليسـرى للنيل حيث محافظة البحـيرة لتتيح له الصحراء مجالاً واسعاً لحركة خيلـه وجنوده، وكي يتجنب ما كان سيعترضه من الترع الكثيرة لو سار فـي دلتـا النيل، ولم يلق عمرو إلا قتالاً يسيراً عند مرفوط أو (الطرانة) كما يسميها المؤرخون العرب، ثم عبر النهر إلى الضفة الشرقية حيث تقع مدينة **نقيوس** الحصينة، وكانت ذات حصن منيع فتخوف عمرو أن يتركها على جانبه ويسير عنهـا، ولكـن الروم بدل أن يتحصنوا مـن المسلمين في حصنهم ركبـوا سفنهم ليحاربوا المسلمـين فيها ويمنعوهم من الاقـتراب مـن مدينتهـم، فرماهـم المسلمون بالنبـال والسهـام وطاردوهم في الميـاه، فولـوا الأدبار فـي سفنهم نحو الإسكندريـة، وسرعـان ما استسلم من بقي في الحصن ودخله المسلمون ظافرين، وأمضوا عدة أيام يستبرئون ما حوله مـن أعدائهـم، وأرسل عمرو قائده شريك بن سُميٍّ ليتعقب الروم الفارين، فالتقى بهم وليس معه إلا قوة معدودة، فطمع فيـه الـروم وأحاطـوا به، فاعتصم بهـم في نهد من الأرض عُرف فيما بعد **بكـوم شريك**، فأرسـل إلى عمرو يطلب الأمداد، وما إن علم الروم أن المدد في الطريق إلى المسلمين حتى لاذوا بالفرار، وعند **سُلْطَيْس** على ستة أميال جنوبي دمنهور كان اللقاء التالي بين عمرو والروم، وجرى قتال شديد انهزموا فيه وولوا الأدبار، ومما يؤسف له أن هذه المعارك التي خاضها المسلمون بقواتهم المحدودة ضد قوات تفوقهم عدة أضعاف من الروم عدداً وعدة، والتي استمر بعضها عدة أيـام لم تظفـر من مؤرخي المسلمين سـوى بأسطر قليلة أو كلمات معـدودة، في حين أفرد بعضهـم عشرات الصفحات للحديث عن القادسية أو اليرموك أو نهاوند، ومن هذه المعارك الكبرى التي لا تشفى فيها مصادرنا العربية غليلاً معركة **كِرْيـون** وهـي آخر تلك السلسلة من الحصون التي تمتد بين بابليون والإسكندريـة وقد تحصن بها تيودرو قائد الجيش الرومي ودار قتال شديد استمر بضعة عشر يوماً، ورغم ذلك فلم يظفر من ابن عبد الحكم سوى بهذه الكلمات: ثم التقوا بكريـون، فاقتتلـوا بها بضعة عشر يومـاً، وكان عبد الله بن عمرو على المقدمة، وحامل اللـواء يومئذ وردان مولى عمرو، وصلى (عمرو) يومئذ صلاة الخوف، **ثم فتح الله للمسلمين**، وقتل منهم المسلمون مقتلة عظيمة واتبعوهم حتى بلغوا الإسكندرية، وفي أثناء ذلك أورد قصة عن بطولة عبد الله بن عمرو ووردان مولى أبيه [١].

---

١ - بتصرف عن الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، حمدي شاهين ص٢٣٦ وما بعدها.

فتح الحصون والقرى أثناء سير المسلمين إلى الإسكندرية سنة ٢١ هـ

خرج عمرو بن العاص بالمسلمين حين أمكنهم الخروج، وخرج معه جماعة من رؤساء القبط وقد أصلحوا لهم الطرق وأقاموا لهم الجسور والأسواق وصارت لهم القبط أعوانا على ما أرادوا من قتال الروم، وسمعت بذلك الروم فاستعدت واستجاشت وقدمت عليهم مراكب كثيرة من أرض الروم فيها جمع من الروم عظيم بالعدة والسلاح، فخرج إليهم عمرو بن العاص من الفسطاط (بابليون) متوجها إلى الإسكندرية، فلم يلق منهم أحدا حتى بلغ ترنوط، فلقي بها طائفة من الروم فقاتلوه قتالا خفيفا فهزمهم الله، ومضى عمرو ابن العاص بمن معه حتى لقي جمع الروم بكوم شريك، فاقتتلوا به ثلاثة أيام، ثم فتح الله للمسلمين وولى الروم أكتافهم . عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ٥٧ .
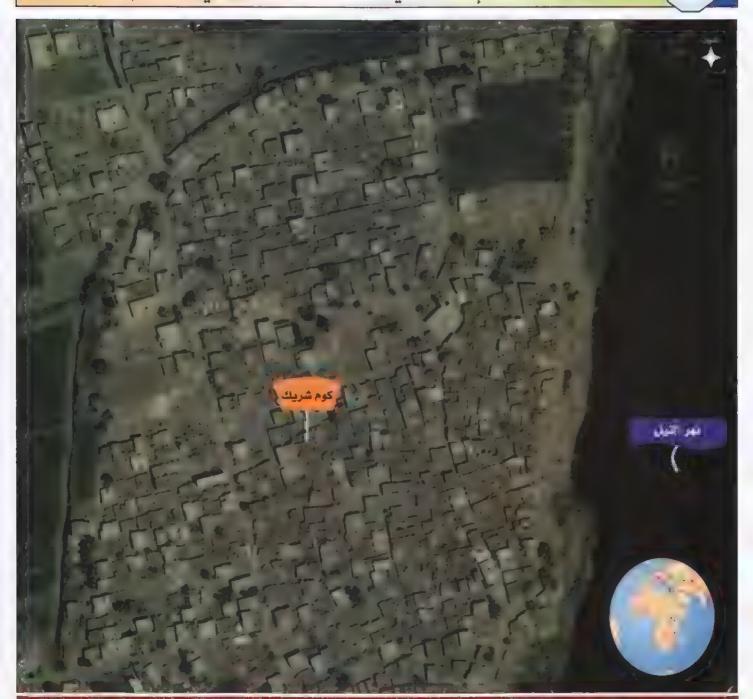
مرئية فضائية لمنطقة كوم شريك على الضفة الغربية لنهر النيل

« ... وقال أحمد بن جردادية من الفسطاط إلى ذوات الساحل. أربعة وعشرون ميلاً، ثم إلى مربوط ثلاثون ميلاً، ثم إلى **كوم شريك** ثلاثون ميلاً، ثم إلى **كريون** أربعة وعشرون ميلاً، ثم إلى **الإسكندرية** أربعة وعشرون ميلاً، وقال آخر: وطريق الإسكندرية إذا نضّب ماء النيل يأخذ بين المدائن والضياع، وذلك إذا أخذت من شطنوف إلى سبك العبيد، فهو منزل فيه منية لطيفة. وبينهما اثنا عشر سقساً، ومن سبك إلى مدينة منوف، وهي كبيرة فيها حمامات وأسواق، وبها قوم فيهم يسار ووجوه من النار. وبينهما ستة عشر سقساً، ومن منوف إلى محلة صرد وفيها منبر وحمام وفنادق. وسوق صالح ستة عشر سقساً، ومن محلة صرد إلى سخا وهي مدينة كبيرة ذات حمامات وأسواق. وعمل واسع وإقليم جليل له عامل بعسكر وجند، وبه الكتان الكثير وزيت الفجل. ومن اخنا إلى رشيد وهي مدينة على النيل ومنها يصب النيل في البحر من فوهة تعرف بالأشتوم وهي المدخل ثلاثون سقساً، وكان بها أسواق صالحة وحمام، وبها نخيل وضريبة على ما يحمل من الإسكندرية. وهذا الطريق الآخذ من شطنوف إلى رشيد ربما امتنع سلوكه عند زيادة النيل، والثياب المنسوجة بالإسكندرية لا نظير لها. وتحمل إلى أقطار الأرض، وفي ثياب الإسكندرية ما يباع الكتان منه إذا عمل ثياباً يقال لها الشرب كل زنة درهم بدرهم فضة، وما يدخل في الطرز. فيباع بنظير وزنه مرّات عديدة » .المقريزي. المواعظ والاعتبار .

الإسكندرية
رشيد
الوجه البحري
كريون
كوم شريك

مرئية فضائية تحدد موقع كوم شريك بالنسبة للإسكندرية

كوْم شريك: قرب الإسكندرية كان عمرو بن العاص أنفذ فيه شريك بن سمي بن عبد يغوث بن حرز الغُطيفي أحد وفد مراد الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على مقدمة عمرو وفتح مصر فكثرت عليه الروم بهذا الموضع فخافهم على أصحابه فلجأ إلى هذا الكوم فاعتصم به ودافعهم حتى أدركه عمرو بن العاص وكان قريباً منه فاستفرّهم فسمي كوم شريك بذلك، وشريك بن سمي هذا هو جد أبي شريك يحيى بن يزيد بن حمّاد ابن إسماعيل بن عبد الله بن يزيد بن شريك. الحموي، معجم البلدان، ج٤ ،ص ٤٩٥ .

فتح الإسكندرية

٢٩ رمضان سنة ٢١ هـ

وصل المسلمون إلى الإسكندرية ومعهم رؤساء القبط الذين اطمأنوا إلى أن مصلحتهم باتت في الوقوف مع القوات الإسلامية، فأصلحوا لهم الطرق، وأقاموا لهم الجسور والأسواق، وصارت لهم القبط أعواناً على ما أرادوا من قتال الروم، ومن خلال التأمل في الخريطة التي رسمتها لك أخي القارئ الكريم في الصفحة المقابلة؛ تجد أن الإسكندرية محاطة بالبحر من الشمال وبحيرة مريوتيس من الجنوب وبقناة دراغون من الغرب، لذلك أوضحت لك من خلال الأسهم الخضراء كيف التف المسلمون حول حصن الإسكندرية وحينما طال الحصار عدة أشهر أثار هذا الأمر حفيظة الخليفة **عمر رضي الله عنه**، وأثار في نفسه الهواجس حول استعداد الجيش للتضحية والمبادأة، فكتب إلى عمرو بن العاص « أما بعد، فقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر، إنكم تقاتلون منذ سنتين وما ذاك إلا لما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم، وإن الله تبارك وتعالى لا ينصر قوماً إلا بصدق نياتهم، وقد كنت وجهت إليك أربعة نفر، (يعني: الزبير بن العوام، والمقداد بن عمر، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن مخلد) وأعلمتك أن الرجل منهم بمقام ألف رجل على ما كنت أعرف إلا أن يكونوا غيرهم ما غير غيرهم، فإذا أتاك كتابي هذا فاخطب الناس وحضهم على قتال عدوهم ورغبة في الصبر والنية، وقدم أولئك الأربعة في صدور الناس، ومُر الناس جميعاً أن يكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد، وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة فإنها ساعة تنزل الرحمة ووقت الإجابة وليعج الناس إلى الله ويسألوه النصر على عدوهم [١] ».

فلما أتى عمرو الكتاب جمع الناس وقرأه عليهم،ثم دعا أولئك النفر فقدمهم أمام الناس، وأمر الناس أن يتطهروا ويصلوا ركعتين، ثم يرغبوا إلى الله ويسألوه النصر، ففعلوا ففتح الله عليهم، ويروى أن عمرو بن العاص استشار مسلمة ابن مخلد الأنصاري فقال: أشر علي في قتال هؤلاء. فقال مسلمة: أرى أن تنظر إلى رجل له معرفة وتجارب من أصحاب النبي ص فتعقد له على الناس، فيكون هو الذي يباشر القتال ويكفيه، فقال عمرو: ومن ذلك ؟ قال: عبادة ابن الصامت، فدعاه عمرو إليه، فلما دنا منه أراد النزول عن جواده؛ فقال له عمرو: عزمت عليك إن نزلت، ناولني سنان رمحك، فناوله إياه فنزع عمرو عمامته عن رأسه وعقد له وولاه قتال الروم، ففتح الله على يديه الإسكندرية في يومهم ذاك. واستبقى عمرو أهل الإسكندرية فلم يقتل ولم يسب وجعلهم أهل ذمة كأهل بابليون، ثم ترك في الإسكندرية حامية من الجيش الإسلامي بعد أن اطمأن إليها ونشر بقية كتائبه الباسلة، لتفتح بقية حصون الروم وجيوبهم على الأراضي المصرية، **فاستكمل فتح ساحل البحر المتوسط ومدنه الكبرى مثل رشيد ودمياط وغيرها، وكذلك بسط نفوذه على جميع دلتا مصر وصعيدها.**

---

١ - ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ٦٠.

الإسكندرية : قصبة نفيسة على بحر الروم، عليها حصن منيع، وهو بلد شريف كثير الصالحين والمتعبدين، شربهم من النيل يدخل عليهم أيام زيادته في قناةٍ فيملأ صهاريجهم، وهي شامية الهواء والرسوم، كثيرة الأمطار، جامعة للاضداد، جليلة الرستاق، جيدة الفواكه والأعناب طيبة نظيفة، بناؤهم من الحجارة البحرية، ومعدن الرخام: وبها جامعان، وعلى جبابهم أبواب تغلق بالليل كيلا يصعد منها اللصوص. وسائر المدن عامرات طيبات وفي نواحيها خرنوب وزيتون ولوز ومزارع على البعل، وثم يصب النيل في بحر الروم وهي مدينة ذي القرنين ولها قصبة عجيبة. المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، النسخة الرقمية .

كانت الإسكندرية فضلاً عن متانة أسوارها وضخامة ووفرة حماتها تمتاز بموقعها الدفاعي المميز فكان البحر يحميها من شمالها؛ حيث السيطرة آنذاك للروم، وكانت بحيرة مريوتيس تحميها من جنوبها، وكان اجتيازها عسيراً، بل غير مستطاع !؟، وكانت إحدى تفريعات النيل قديماً واسمها نزعة الثعبان تدور حولها من الغرب، وبذلك لم يبق إلا طريق واحد من الشرق يصل إليها؛ وهو الطريق الواصل بينها وبين كرْيون!

خبر فتح الإسكندرية يصل إلى المدينة
بعث عمرو بن العاص إلى الخليفة **عمر ابن الخطاب** بخبر فتح الإسكندرية مع معاوية ابن حُديج، ولم يبعث معه رسالة مكتوبة. قال معاوية لعمرو: « ألا تكتب معي ؟ » قال عمرو: « وما أصنع بالكتاب ؟ ألست رجلاً عربياً تبلّغ الرسالة وما رأيت وحضرت ؟. » وفي رواية أنه كتب معه رسالة. فلما قدم معاوية على عمر وأخبره بفتح الإسكندرية خرّ عمر ساجداً لله وقال: « الحمد لله » ... فخرج معه إلى المسجد فقال للمؤذن: أذّن في الناس الصلاة جامعة، فاجتمع الناس ثم قال لي: قم فأخبر أصحابك. فقمت فأخبرتهم. ثم صلى ودخل منزله واستقبل القبلة فدعا بدعوات ثم جلس ... .
استطاع عمرو بن العاص أن يخرج الروم من أقوى معاقلهم في الإسكندرية، والتي تعتبر من أغنى مدن العالم وأوفرها ثروة آنذاك، فزال سلطان الروم وأذعن أهل الإسكندرية بالطاعة، ودخل السواد الأعظم منهم في الإسلام، وأصبحت مركزاً إشعاعياً في العالم الإسلامي.
الإسكندرية
البحر الكبير
(بحر الروم - البحر المتوسط)
فلسطين
عين شمس
بابليون
القلزم
أيلة
سيناء
نهر النيل
مصر
المدينة النبوية
النوبة
بحر القلزم (البحر الأحمر)
أرض الحجاز
مكة المكرمة

عالم قبطي كهنوتي يعرض كتاباً تراثياً لعقيدته

مرتسم تخيلي لمكتبة الإسكندرية التاريخية

موقف العرب المسلمين من أقباط مصر

كان موقف المسلمين بعد فتحهم لمصر موقفاً عظيماً يدل على سماحة الدين الذي يعتنقونه، حيث قاموا بعرض الإسلام على أقباط مصر، وخيروهم بين اعتناق الإسلام أو دفع الجزية كما أمر الله تعالى، على الرجل البالغ الحر، وأعفي منها الشيوخ والفقراء والنساء والأطفال، وترك لهم حرية العبادة، وكتب لهم القائد المظفر عمرو بن العاص بيده عهداً تعهد فيه بحمايتهم، وحماية كنيستهم، وكتب للبطريق بنيامين أماناً طمأنه به، وأعاده إلى منصبه في كنيسة الإسكندرية، حيث كان قد هرب منها فراراً من جور وظلم الرومان، واضطهادهم له، وبقي في فراره ثلاث عشرة سنة، كما أنه ترك الأرض لأهل مصر يتصرفون في زراعتها بخبرتهم، واكتفى منهم بالخراج، وبذلك اطمأن المصريون على أرواحهم وممتلكاتهم، ونعموا بالسكينة والأمن ومع مرور الوقت ازدادت ألفتهم للعرب بعد أن نزلت جموع منهم في المدن وسكنوها، ودخل كثير من القبط في الإسلام، واختلطت أنساب العرب بأنساب المصريين نتيجة زواج المسلمين منهم.

فرية حريق مكتبة الإسكندرية

لغط بعض المتأخرين من المؤرخين في مسألة إحراق مكتبة الإسكندرية الشهيرة. وحجتهم في ذلك ما كتبه البغدادي، وأبو الفرج الملطي ومن نقل عنهم؛ سامهم ما ذكرته المصادر المعاصرة للفتح العربي من حسن لتفاهم وطيب المعاملة بين الطرفين، فخرجوا علينا بقصة الحريق المزعوم. وناقش هذا الخبر كثير من علماء الإفرنج مثل «جبون» و «بتلر» و «سديو» و «جوستاف ليبون» وغيرهم فلم يمكنهم الجزم بأن عمرو بن العاص هو الذي أحرقها حقيقة بأمر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، - كما زعم بعضهم - بل ارتابوا في صحة هذه الدعوى التي تنافي طبيعة التعاليم الإسلامية، ولا يؤيدها أحد من المؤرخين المعاصرين للفتح الإسلامي، مثل «أوتيخوس» الذي وصف فتح الإسكندرية بإسهاب، فلم يرد لهذا الخبر ذكر البتة في تواريخهم، والذي يدل على اختلاق هذا الخبر أيضاً؛ أنه لم يرد في تواريخ المتقدمين، كالطبري والكندي واليعقوبي والبلاذري وابن عبد الحكم، ولا عمن أخذ عنهم من المتأخرين كالمقريزي والسيوطي. ولقد أثبت الباحثون المعاصرون بالأدلة التاريخية أن العرب أبرياء من هذه التهمة التي ألصقت بهم، وأن مكتبة الإسكندرية كانت قد اندثرت تماماً قبل الفتح العربي الإسلامي لمصر.
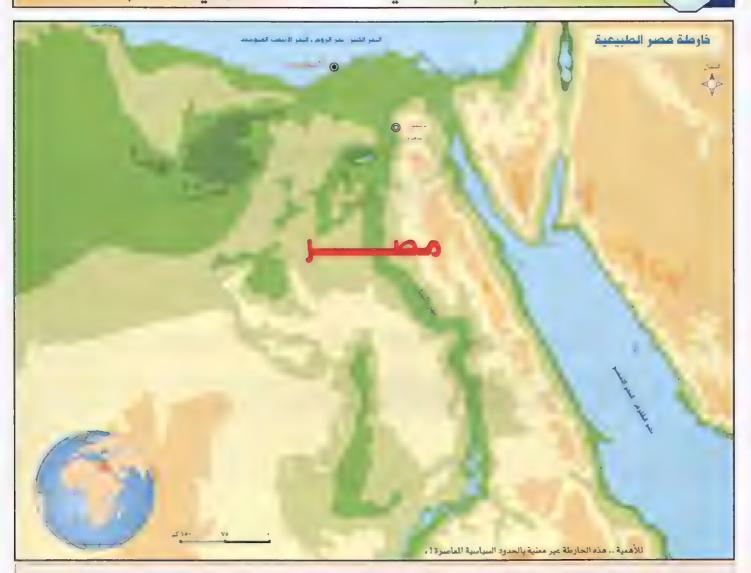
عمرو بن العاص يصف مصر لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال بعض المؤرخين: إنه لما استقر **عمرو بن العاص رضي الله عنه** على ولاية مصر كتب إليه **عمر بن الخطاب رضي الله عنه**: أن صف لي مصر؛ فكتب إليه:

ورد كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه يسألني عن مصر: اعلم يا أمير المؤمنين أن مصر قرية غبراء، وشجرة خضراء؛ طولها شهر، وعرضها عشر؛ يكنفها جبل أغبر، ورمل أعفر؛ يخط وسطها نيل مبارك الغزوات، ميمون الروحات؛ تجري فيه الزيادة والنقصان كجري الشمس والقمر؛ له أوان يدر حلابه، ويكثر فيه ذبابه، تمده عيون الأرض وينابيعها حتى إذا ما اصلخم عجاجه، وتعظمت أمواجه، فاض على جانبيه فلم يمكن التخلص من القرى بعضها إلى بعض إلا في صغار المراكب، وخفاف القوارب، وزوارق كأنهن في المخايل ورق الأصائل؛ فإذا تكامل في زيادته، نكص على عقبيه كأول ما بدأ في جريته، وطما في درته؛ فعند ذلك تخرج أهل ملة ....، وذمة مخفورة، يحرثون بطون الأرض ويبذرون بها الحب، يرجون بذلك النماء من الرب؛ لغيرهم ما سعوا من كدهم، فناله منهم بغير جدهم؛ فإذا أحدق الزرع وأشرق، سقاه الندى وغذاه من تحته الثرى؛ فبينما مصر يا أمير المؤمنين لؤلؤة بيضاء، إذا هي عنبرة سوداء، فإذا هي زمردة خضراء، فإذا هي د يباجة رقشاء، فتبارك الله الخالق لما يشاء. والذي يصلح هذه البلاد وينميها ويقر قاطنيها فيها، ألا يقبل قول خسيسها في رئيسها، وألا يستأدى خراج ثمرة إلا في أوانها، وأن يصرف ثلث ارتفاعها، في عمل جسورها وترعها؛ فإذا تقرر الحال مع العمال في هذه الأحوال، تضاعف ارتفاع المال؛ والله تعالى يوفق في المبدأ والمآل. فلما ورد الكتاب على **عمر بن الخطاب رضي الله عنه** قال: لله درك يا ابن العاص! لقد وصفت لي خبراً كأني أشاهده!.

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ابن تغري بردي ، ج ١ ، ص ٥٢ - ٥٤ .

منارة الإسكندرية

عجائب الدنيا السبع هي عدد من المباني المشهورة بنيت ما بين حوالي ٣٠٠٠ ق.م و ٤٧٦ م. ومن أبرز هذه العجائب ـ كما بينتها لك أخي القارئ على الخريطة ـ، حيث تبرز أهرامات الجيزة على رأس هذه العجائب ثم حدائق بابل المعلقة. إلا أن منارة الإسكندرية الشاهقة، تعتبر من أهم هذه العجائب حيث يصل ارتفاعها إلى ١٢٢ م، وتقف على جزيرة فاروس في ميناء الإسكندرية (انظر خريطة الإسكندرية في الصفحات السابقة)، حيث اشتهرت إلى الحد الذي جعل كلمة فاروس تعني منارة. وتسمى هذه المنارة كذلك فاروس الإسكندرية. اكتمل بناء المنارة في عهد بطليموس الثاني (٢٨٣ ـ ٢٤٦ ق.م) بعد أن صممها المعماري الإغريقي سوستراتوس. ويقوم البناء الذي يستند على قاعدة حجرية، على ثلاثة أجزاء. الجزء الأسفل مربع الشكل، والأوسط مثمن، والأعلى مستدير. وتوفر النار التي تشتعل في أعلاها الإضاءة. بقيت منارة الإسكندرية لحوالي ١٥٠٠ سنة قبل أن تنهار بهزة أرضية في حوالي القرن الرابع عشر الميلادي.

منارة الإسكندرية كما تخيلها بعض الرسامين

البحر الكبير (بحر الروم ـ البحر المتوسط)

بحيرة البرلس
رشيد
دمياط
المرحلة الرابعة
ادكو
مطوبس
الإسكندرية
دروط
بلهيب
قلقاس
كفر الدوار
كفر الشيخ
دمنهور
المنصورة
المحلة الكبرى
سمنود
كفر الزيات
طنطا
كوم شريك
دميس
المرحلة الثالثة
الزقازيق
المنوفية
بنها
بلبيس
مصر
قليوب
مصرا
هليوبوليس
إمبابة
بابليون
المرحلة الأولى
الجيزة
نهر النيل
سقارة
حلوان

مراحل انتشار الإسلام في بابليون والإسكندرية ومنطقة مصر السفلى (الوجه البحري) بشكل تقريبي

البحر الأبيض المتوسط
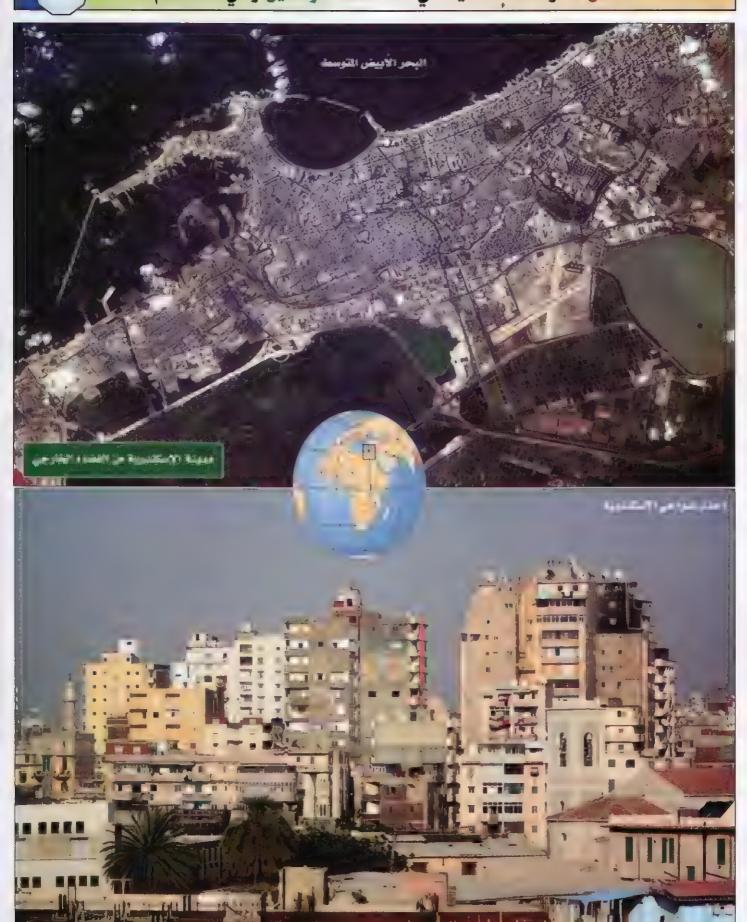
فتح الفيوم

سنة ٢٢ من الهجرة المباركة

حدثنا سعيد بن عفير وغيره، قالوا: فلما تم الفتح (الإسكندرية) للمسلمين بعث عمرو جرائد الخيل إلى القرى التي حولها؛ فأقامت **الفيوم** سنة لم يعلم المسلمون بمكانها حتى أتاهم رجل فذكرها لهم فأرسل عمرو معه ربيعة بن حبيش ابن عرفطة الصدفي فلما سلكوا في المجابة لم يروا شيئاً فهموا بالانصراف فقالوا: لا تعجلوا سيروا فإن كان كذب فما أقدركم على ما أردتم فلم يسيروا إلا قليلاً حتى طلع لهم سواد الفيوم، فهجموا عليها فلم يكن عندهم قتال وألقوا بأيديهم قال: ويقال بل خرج مالك بن ناعمة الصدفي وهو صاحب الأشقر على فرسه ينفض المجابة ولا علم له ما خلفها من الفيوم؛ فلما رأى سوادها رجع إلى عمرو فأخبره ذلك، قال: ويقال بل بعث عمرو بن العاص قيس بن الحارث إلى **الصعيد** فسار حتى أتى القيس فنزل بها وبه سميت القيس فراث على عمرو خبره فقال ربيعة بن حبيش: كفيت فركب فرسه فأجاز عليه البحر، وكانت أنثى فأتاه بالخبر، ويقال: أنه أجاز من ناحية الشرقية حتى انتهى إلى الفيوم، وكان يقال لفرسه الأعمى والله أعلم.

قال: وبعث عمرو بن العاص نافع بن عبد القيس الفهري، وكان نافع أخا العاص ابن وائل لأمه، فدخلت خيولهم **أرض النوبة** صوائف كصوائف الروم، فلم يزل الأمر على ذلك حتى عزل عمرو بن العاص عن مصر، وأمر عبد الله بن سعد ابن أبي سرح فصالحهم وسأذكر ذلك في موضعه إن شاء الله[1].

بينما ذهب البلاذري[2] أن عمرو بن العاص بعد أن فتح الفسطاط وجه عبد الله ابن حذافة السهمي إلى عين شمس فغلب على ارضها وصالح قراها على مثل حكم الفسطاط، ووجه خارجة بن العدوي إلى **الفيوم والأشمونين وإخميم والبشرودات وقرى الصعيد** ففعل مثل ذلك، ووجه عمير بن عامر الجهني أو وردان إلى سائر قرى أسفل الأرض (الصعيد)، ففعل مثل ذلك، فاستجمع عمرو فتح مصر وصارت أرضها أرض خراج.

الفَيُّوم: بالفتح، وتشديد ثانيه ثم واو ساكنة، وميم: وهي في موضعين أحدهما بمصر والآخر موضع قريب من هيت بالعراق، فأما التي بمصر فهي ولاية غربية بينها وبين الفسطاط أربعة أيام بينهما مفازة لا ماء بها ولا مرعى مسيرة يومين وهي في منخفض الأرض كالدارة، ويقال إن النيل أعلى منها وإن يوسف الصديق، عليه السلام، لما ولي مصر ورأى ما لقي أهلها في تلك السنين المقحطة اقتضت فكرته أن حفر نهراً عظيماً حتى ساقه إلى الفيّوم وهو دون محمل المراكب وبتشطط عُلُوّه وانخفاض أرض الفيوم على جميع مزارعها تشرب قراه مع نقصان النيل ثم يتفرّق في نواحي الفيوم على جميع مزارعها لكل موضع شرب معلوم. الحموي، معجم البلدان،ج ٤ ، ص ٢٨٦ .

---

١ ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها ج١/ص٢٩٢

٢ - فتوح البلدان ، ص٢٩٢ .

الفيوم: جليل به مزارع الأرز الفائق والكتان الدون، ولها قرى سرية تسمى الجوهريات. العلاقي: مدينة في آخر الكورة على طريق عيذاب. وأما الواحات فإنها كانت كورة جليلة ذات أشجار ومزارع وإلى اليوم يوجد فيها صنوف الثمار وأغنام ونعم، قد توحشت متصلة بأرض السودان تمس طرف إقليم المغرب وبعض يجعلونها منه. المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، النسخة الرقمية.

فتح الصعيد

سنة ٢١ من الهجرة المباركة

ذكرنا في الصفحة ما قبل السابقة ، أن عمرو بن العاص بعد أن فتح الفسطاط وجه عبد الله ابن حذافة السهمي إلى عين شمس فغلب على أرضها وصالح قراها على مثل حكم الفسطاط، ووجه خارجة بن العدوي إلى الفيوم والأشمونين وإخميم والبشرودات **وقرى الصعيد** ففعل مثل ذلك، ووجه عمير بن عامر الجهني أو وردان إلى سائر قرى أسفل الأرض (**الصعيد**)، ففعل مثل ذلك، فاستجمع عمرو فتح مصر وصارت أرضها أرض خراج .

والصعيد: [1] المرتفع من الأرض، وقيل: الأرض المرتفعة من الأرض المنخفضة، وقيل: ما لم يخالطه رمل ولا سبخة، وقيل: هو وجه الأرض، وقيل: الأرض الطيبة، وقيل: هو كل تراب طيب، وتسمية هذه الجهة من أرض مصر بهذا الاسم إنما حدث في الإسلام، سماها العرب بذلك لأنها جهة مرتفعة عما دونها من أرض مصر، ولذلك يقال فيها: أعلى الأرض، ولأنها أرض ليس فيها رمل ولا سباخ، بل كلها أرض طيبة مباركة، ويقال للصعيد أيضاً: الوجه القبلي.

وقال ابن عبد الحكم: فلما كثر ولد مصر وأولاد أولادهم، قطع مصر لكل واحد منهم قطعة يحوزها لنفسه ولولده، وقسم لهم هذا النيل، فقطع لابنه قفط، موضع قفط فسكنها، وبه سُميت: قفط قفطاً، وما فوقها إلى أسوان، وما دونها إلى أشمون في الشرق والغرب، وقطع لأشمون من أشمون فما دونها في الشرق والغرب إلى منف، فسكن أشمون أشمون، فسميت به، وقطع لأتريب ما بين منف إلى صا فسكن أتريب فسميت به، وقطع لصا ما بين صا إلى البحر، فسكن صا فسميت به، فكانت مصر كلها على أربعة أجزاء: جزأين بالصعيد، وجزأين بأسفل الأرض.

وقال أبو الفضل جعفر بن ثعلب بن جعفر الأدفوي في كتاب الطالع السعيد في تاريخ الصعيد: مسافة إقليم الصعيد الأعلى مسيرة اثني عشر يوماً بسير الجمال، وعرضه ثلاث ساعات، وأكثر بحسب الأماكن العامرة، ويتصل عرضه في الكورة الشرقية بالبحر الملح وأراضي البجة، وفي الغربية، بألواح وهي **كورتان:** شرقية، وغربية، والنيل بينهما فاصل، وأوّل الشرقية من مرج بني هميم المتصلة أرضها بأراضي جرجا من عمل أخميم. وآخرها من قبليّ الهو ويليها أوّل أراضي النوبة، وفي هذه الكورة تيج، وقفط وقوص، وأوّل الكورة الغربية، برديس تتصل أرضها بأرض جرجا، وفي هذه الكورة الغربية سَمْهُود، وآخر الكورة الغربية أسوان وبحافته أكثر النخل من الجانبين، تكون مساحة الأراضي التي فيها النخل والبساتين تقارب عشرين ألف فدّان، والمستولي على إقليم الصعيد المشتري. ويقال: كان بصعيد مصر، نخلة تحمل عشرة أرادب تمراً، فغصبها بعض الولاة فلم تحمل في ذلك العام ولا تمرة واحدة، وكانت هذه النخلة في الجانب الغربيّ، وبيع منها في الغلاء كل ويبة بدينار.

ويقال: لما صوّرت الدنيا لأمير المؤمنين هارون بن محمد الرشيد لم يستحسن إلا كورة سيوط (أسيوط) من صعيد مصر، فإنها ثلاثون ألف فدّان في استواء من الأرض لو وقعت فيها قطرة ماء لانتشرت في جميعها.

---

١ – المقريزي، المواعظ والاعتبار، النسخة الرقمية .

الواحات البحرية
البويطي
مغاغة
نهر النيل
المنيا
ملوى
مروط
١
٢
أسيوط
طهطا
أخميم
سوهاج
جرجا
نجع حمادي
قنا
الصعيد
وادي طرفة
رأس غارب
الطور
البدع
شرم الشيخ
ضبا
الغردقة
سفاجة
بحر القلزم
(البحر الأحمر)
البحر الأحمر
الصحراء الشرقية
القصر
الخارجة
الواحات الداخلة
الأقصر
أرمنت
إسنا
٣
إدفو
كوم أمبو
أسوان
السد العالي
مصر
النوبة
مرتفعات
الوجه القبلي
وادي العلاقي
وادي حلفا
صحراء النوبة
مراحل دخول الإسلام إلى جنوب مصر في عهد عمر رضي الله عنه
سنة ٢٢ هـ تقريباً.
١ عمرو بن العاص يبعث بـ (قيس بن الحارث) إلى الصعيد .
٢ عمرو بن العاص يبعث بـ (خارجة بن حذافة العدوي) إلى الفيوم والأشمونين وإخميم والبشرودات وقرى الصعيد .
٣ عمرو بن العاص يبعث بـ (نافع بن عبد القيس الفهري) إلى أرض النوبة . وفي رواية (عقبة بن نافع)
صفر ٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠ ٢٥٠ كم

الجامع الكبير في قِنا بالصعيد .

قِنَا : بكسر القاف، والقصر، كلمة قبطية: مدينة بالصعيد لطيفة بينها وبين قوص يوم واحد، وربما كتب بعضهم إقْنا، بالألف في أوله مكسورة، وتنسب إليها كورة.الحموي،معجم البلدان

مسجد أولاد حميد بطريق منقباد (الصعيد)

الزراعة في قِنا (الصعيد)

مطرانية مار جرجس في سوهاج (الصعيد)

فتح برقة وطرابلس

سنة ٢٢ هـ على الأرجح

سار عمرو بعد أن استقر له فتح مصر ليؤمّن فتوحه من ناحية الغرب إذ كانت للروم قوات في برقة وطرابلس تتحصن هناك، وربما واتتها الفرصة ساقها الإغراء إلى مهاجمة المسلمين بمصر، فاتجه في قواته إلى برقة سنة ٢٢هـ وكان الطريق بينها وبين الإسكندرية آنذاك منزعاً بالخضرة والعمران، فلم يلق كيداً في طريقه إليها، فلما وصلها صالحه أهلها على أداء الجزية، وكان أهل برقة بعد فتحها يبعثون بخراجهم إلى والي مصر من غير أن يأتيهم حاث أو مستحث فكانوا أخصب قوم بالمغرب ولم يدخلها فتنة، ثم سار عمرو إثر ذلك إلى طرابلس ذات الحصون المنيعة، وبها جيش رومي كبير، فأغلقت أبوابها وصبرت على الحصار الذي استمر شهراً لا يقدر المسلمون منها على شيء وكان البحر من ورائها لاصقاً ببيوت المدينة، ولم يكن بين المدينة والبحر سور، فاستبانت جماعة من قوات المسلمين الأمر، فتسللت إلى المدينة من جهة البحر، وكبروا؛ فلم يكن للروم مفزع إلا سفنهم، إذ هاجمهم عمرو في قواته أيضاً فلم يفلت منهم إلا ما خفت بهم مراكبهم، وغنم المسلمون ما بالمدينة، وبث عمرو قواته فيما حولها وأراد عمرو أن يستكمل فتوحه في الغرب ويسير إلى تونس وأراضي إفريقية ليفتحها، فكتب بذلك إلى عمر بن الخطاب، غير أن الخليفة كان يخشى على جيوش المسلمين من الانسياح في جبهة جديدة ولم يطمئن بعد إلى ما فتحت في زحفها السريع من الشام إلى طرابلس، فأمر القوات الإسلامية بالتوقف عند طرابلس وبذلك امتدت دولة الإسلام في عصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه لتشمل مساحة شاسعة من الأرض يحدها من الشرق نهر جيحون والسند ومن الغرب بلاد إفريقية وصحراؤها، ومن الشمال جبال آسيا الصغرى وأراضي أرمينية، ومن الجنوب المحيط الهادي وبلاد النوبة في دولة عالمية واحدة متعددة الأجناس والديانات والنحل والعادات، عاش أهلها في عدل الإسلام ورحمته، ذلك الدين الذي احتفظ لهم بحقهم في الحياة الكريمة وإن اختلفوا معه في عقائدهم؛ ومع أهله في عاداتهم وأعرافهم[1].

في شهر شوال سنة ٢١ هـ سبتمبر ٦٤٢ م، فتحت مدينة الإسكندرية وكانت برقة تابعة لها في العهد البيزنطي، فسار إليها عمرو ابن العاص في ١٩ شعبان سنة ٢٣ هـ ٨ يونيو ٦٤٤ م، وكان اسمها أنطابلس ومعناه بالرومية المدن الخمس وهي: طوشير (طوكرة)، وسيريم (قرنة) وبرينق (بنغاي) وأبولونيا (سوسة) وبارش (المرج). وقبل أن يصل إلى طرابلس أرسل عمرو من برقة عقبة ابن نافع ففتح زويلة وهي مدينة بمنطقة فزان.

واستولى عمرو على سرت ثم لبدة ثم طرابلس سنة ٢٣ هـ ومنها بعث الزبير بن العوام فاقتحم صبراته وتبعه عمرو ثم فتحوا شروس مدينة جبل نفوسة، وبعث بسر بن أرطاة إلى ودان ففتحها سنة ٢٣ هـ ٦٤٤ م، ورجع عمرو بناء على أوامر الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي لم يكن يبغي التوسع في حد ذاته، وخلف عقبة في برقة .أحمد عادل كمال ، المرجع السابق .

---

١ - د . الصلابي؛ فصل الخطاب في سيرة عمر بن الخطاب؛ نقلاً عن الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، حمدي شاهين ص٢٣١ وما بعدها .

ليبيا

تتألف ليبيا من أقاليم جغرافية ثلاثة هي: برقة في الشرق، وطرابلس في القسم الغربي منها، وفزان في القسم الجنوبي، ويعتبر الفينيقيون من أوائل الشعوب السامية التي وصلت إلى مناطق الساحل الإفريقي، وأقاموا فيه مراكز استيطان لهم على ساحل برقة في الجزء الساحلي الغربي منها. وكانت هناك اتصالات حضارية وتجارية بين سكان ليبيا وبين سكان مصر في عهد الفراعنة. وقد وقعت برقة تحت النفوذ اليوناني الإغريقي، واستوطن الإغريق المنطقة، وأصبحوا يشكلون نسبة لا بأس بها من سكان برقة قديماً. كما وقعت منطقة طرابلس الغرب تحت النفوذ القرطاجي والروماني، وانتشر البربر في أنحاء ليبيا. واستطاع الرومان ضم منطقتي برقة وطرابلس الغرب إلى الامبراطورية الرومانية التي شكلت دولة مترامية الأطراف، لها نظام حكمها المطلق، ولها طابعها الحضاري المميز الذي ما زالت آثاره شاهدة عليه حتى أيامنا هذه. وقد شكلت تلك المستوطنات مراكز تجارية مهمة على ساحل البحر الأبيض المتوسط. تتجمع فيها البضائع القادمة من داخل إفريقيا، ومنها تصدر إلى بلاد أوروبا حيث كانت تصل إلى المراكز الساحلية المطلة على البحر الأبيض المتوسط بواسطة الأبل مارة بطرق القوافل الداخلية في ليبيا. وقد خضعت منطقة طرابلس للحكم الوندالي من القوط الذين استوطنوا أسبانيا، وذلك بعد زوال الحكم الروماني عنها. وفي مراحل لاحقة خضعت برقة وطرابلس الغرب للحكم البيزنطي. وقد قاومه السكان المحليون من بعد الفتح العربي الإسلامي في شمال إفريقيا حتى أجبر البيزنطيين على الرحيل. الموسوعة العربية العالمية، مج ٢١، ص ٢٦٠.

١ جيش المسلمين بقيادة: عمرو بن العاص يتقدم نحو برقة في التاسع عشر من شهر شعبان لعام ٢٣ هـ لمنازلة الروم البيزنطيين، حيث كانوا يتحصنون فيها .

٢ بعد أن صالح أهل برقة عمرو بن العاص على أداء الجزية، سار بجيشه إلى طرابلس ذات الحصون المنيعة، وجيشها الرومي العتيد، حيث حاصرها المسلمون شهراً كاملاً ، ثم تسللوا إلى المدينة من جهة البحر، وكبروا، فلم يكن للروم مفزع إلا سفنهم، إذ هاجمهم عمرو في قواته أيضاً فلم يفلت منهم إلا ما خفت بهم مراكبهم، وغنم المسلمون ما بالمدينة، وبث عمرو قواته فيما حولها .

٣ أراد عمرو أن يستكمل فتوحه في الغرب ويسير إلى أفريقية (تونس) ليفتحها، فكتب بذلك إلى عمر بن الخطاب، غير أن الخليفة كان يخشى على جيوش المسلمين من الانسياح في جبهة جديدة . فأمر قواته أن تنتهي إلى ما انتهت إليه .

٤ حملة عقبة بن نافع إلى زويلة وما حولها، وفي رواية أنه نافع بن عبد القيس الفهري، حيث أصبحت المنطقة إلى الساحل بأيدي المسلمين .

آثار رومانية بالقرب من برقة (بنطابلس)

بَرْقَةُ : بفتح أوله والقاف: اسم صُقْع كبير يشتمل على مُدُن وقُرى بين الإسكندرية وإفريقية، واسم مدينتها انطابلس وتفسيره الخمس مدن؛ وأرض بَرْقَةَ أرْض خَلوقية بحيث ثيابُ أهلها أبداً محمرّةٌ لذلك، ويحيط بها البرابر من كل جانب. وفي برقة فواكه كثيرة وخيرات واسعة مثل جَوْز ولَوْز وأُترُج وسفرجل، وفي مدينة برقة قبرُ رُوَيْفع صاحب النبيّ، صلى الله عليه وسلم؛ وأهلها يشربون من ماءِ السماء يجري في أودية ويفيض إلى بِرَك بناها لهم الملوك، ولها آبار يرتفق بها الناس، ولها ساحل يقال له أجية، وهي مدينة بها سوق ومنبر وعدة محارس على ستة أميال من برقة، وساحل آخر يقال له طَلَمويَة؛ وبين الإسكندرية وبرقة مسيرة شهر؛ وقال أحمد ابن محمد الهمداني: من الفسطاط إلى برقة مائتان وعشرون فرسخاً، وهي ما افتُتح صُلْحاً، صالحهم عليها عمرو بن العاص وألزم أهلَها من الجزية ثلاثة عشر ألف دينار وأن يبيعوا أولادهم في عطاءِ جزيتهم، وأسلم أكثر من بها فصولحوا على العشر ونصف العشر في سنة إحدى وعشرين للهجرة، وكان في شرطهم أن لا يدخُلها صاحب خراج بل يوجّهوا بخراجهم في وقته إلى مصر إلى أن استولى المسلمون على البلاد التي تجاورها فانتقض ذلك الرسمُ، فكانوا لهذه الحال على خِصبٍ ودَعةٍ وأمن وسلامة، وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: ما أعلم منزلاً لرجل له عيال أسلَم ولا أعزَلَ من برقة ولولا أموالي بالحجاز لنزلت برقة ... . الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٣٨٨ - ٣٨٩

طرابلس [١] : من مدن إفريقية، وهي مدينة كبيرة أزلية على ساحل البحر يضرب في سورها، وهو من حجر جليل من بناء الأول، قيل وتفسير طرابلس ثلاث مدن وقيل مدينة الناس ، وبها أسواق حافلة وحمامات كثيرة، وفي شرقيها بساتين كثيرة فيها فواكه كثيرة وخيرات جمة، وأهلها تجار يسافرون براً وبحراً، وهم أحسن الناس معاملة بضدّ أهل سرت، وداخل سورها بئر تعرف ببئر أبي الكنود، يقال إنه من شرب من مائه حمق، فهم يعيرون به، فيقال للرجل منهم إذا أتى ما يلام عليه: لا عتب عليك لأنك شربت من بئر أبي الكنود. ومن طرابلس إلى جبل نفوسة ثلاثة أيام، وطرف هذا الجبل الخارج في البحر هو طرف أوثان ما بين طرابلس والاسكندرية، وهذا الطرف الخارج في البحر إذا عدّته المراكب استبشرت بالسلامة، ومن هذه المدينة تعد بلاد إفريقية.وبينها وبين سرت عشر مراحل، وفيها رباطات كثيرة يأوي إليها الصالحون.

وذكر الليث بن سعد قال : غزا عمرو بن العاص رضي الله عنه مدينة طرابلس سنة ثلاث وعشرين حتى نزل القبة التي على الشرف من شرقها، فحاصرها أشهراً لا يقدر منهم على شيء، فخرج رجل من بني مدلج ذات يوم من معسكر عمرو متصيداً في سبعة نفر، فمضوا بغرب المدينة، ولم يكن فيه بين البحر والمدينة سور، وكانت سفن البحر شارعة في مرساها إلى بيوتهم، فنظر المدلجي وأصحابه فإذا البحر غاض من ناحية المدينة، فدخلوا منه حتى أتوا من ناحية الكنيسة فكبروا، فلم يكن للروم مفزع إلا سفنهم، وأقبل عمرو بجيشه حتى دخل عليهم، فلم يفلت الروم إلا بما خف لهم في مراكبهم، وغنم عمرو ما كان في المدينة. وإنما بنى سور مدينة طرابلس هرثمة بن أعين في حين ولايته. ولمدينة طرابلس فحص يسمى سوفجين، وهم يقولون: فحص سوفجين يصيب سنة في سنين. ومن طرابلس إلى جبل نفوسة مسيرة ثلاثة أيام، وجبل نفوسة على ستة أيام من القيروان، وطول الجبل من المشرق إلى المغرب ستة أيام. وكان طاغية صقلية طرقها واستولى عليها في سنة أربعين وخمسمائة ثم استرجعها المسلمون، وحكم عليها أيضاً قراقش الغزي سنة ست وثمانين وخمسمائة، ثم دخل في طاعة المنصور يعقوب ابن يوسف بن عبد المؤمن خليفة مراكش .

مدينة زواوة غربي طرابلس الغرب .

١ – الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ج ١، ص ٣٨٩ – ٣٩٠ .

أحد جوامع طرابلس الغرب (ليبيا)

زقاق قديم في المنطقة التاريخية بطرابلس الغرب (ليبيا).

بقايا لأطلال أثرية من مدينة أوباري بإقليم فزان الليبي.

مئذنة من الطين لأحد مساجد مدينة مرزق القريبة من زويلة بإقليم فزان الليبي

مجموعة من القباب الأثرية ، زويلة (فزان - ليبيا) .

رسومات أثرية على الجدران، وجدت في بعض القرى الصحراوية في ليبيا .

نطاق الفتح الإسلامي في قارة إفريقيا في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

ليست أشكال الفتح الإسلامي المتعددة، التي رسخت انتشار الإسلام في أرجاء المعمورة كلها سوى نمط من الهجرة الإسلامية، التي اقتضتها بداية نشر الدعوة ومرجعية الخاتمية لرسالتها ولزوم العموم في نشرها، حتى لا تنحصر في قومية وإثنية معينة؛ لذلك حينما أمر الخليفة **عمر بن الخطاب** رضي **الله** عنه القوات الإسلامية بالتوقف عند طرابلس ومحيطها امتدت دولة الإسلام في عصره لتشمل مساحة شاسعة من الأرض يحدها من الشرق نهر جيحون والسند ومن الغرب بلاد إفريقية وصحراؤها، ومن الشمال جبال آسيا الصغرى وأراضي أرمينية، ومن الجنوب المحيط الهادي وبلاد النوبة في دولة عالمية واحدة متعددة الأجناس والديانات والنحل والعادات، عاش أهلها في عدل الإسلام ورحمته، ذلك الدين الذي احتفظ لهم بحقهم في الحياة الكريمة وإن اختلفوا معه في عقائدهم؛ ومع أهله في عاداتهم وأعرافهم. فقد انتشر الإسلام في شمالي آسيا وآسيا الوسطى عن طريق التُّجَّار، والذي يقرأ رحلة ابن فضلان وغيره كابن جبير والعياشي وابن بطوطة و سليمان التاجر، يدرك ذلك الحوار الذي تبناه التجار المسلمون مع علماء تلك البقاع وقادتها السياسيين والاقتصاديين، الذين قَبِلوا الإسلام في مجملهم، ولم يقبله بعضهم؛ لأن الإسلام يدعو إلى التوحيد، ويحرم الزنا وشرب الخمور وأكل لحم الخنازير، إنه دين سماوي يرتقي بذائقة الإنسان في عبوديته إلى العبودية الحقة لله تعالى.

إعادة تحرير الإسكندرية في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه

قال ابن الأثير : في هذه السنة – أي سنة ٢٥ هـ – خالف أهل الإسكندرية ونقضوا صلحهم وكان سبب ذلك أن الروم عظم عليهم فتح المسلمين الإسكندرية وظنوا أنهم لا يمكنهم المقام ببلادهم بعد خروج الإسكندرية عن ملكهم فكاتبوا من كان فيها من الروم ودعوهم إلى نقض الصلح؛ فأجابوهم إلى ذلك، فسار إليهم من القسطنطينية جيش كثير وعليهم منويل الخصي فأرسلوا بها واتفق معهم من بها من الروم ولم يوافقهم المقوقس بل ثبت على صلحه ... الكامل في التاريخ ج:٢ ص: ٤٧٦ .

وصادف تحريض الروم لأهل الإسكندرية هوى في نفوس سكانها فاستجابوا للدعوة وكتبوا إلى قسطنطين بن هرقل يخبرونه بقلة عدد المسلمين، ويصفون له ما يعيش فيه الروم بالإسكندرية من الذل والهوان، وكان الخليفة **عثمان** رضي الله عنه قد عزل عمرو بن العاص عن مصر، وولى مكانه عبد الله بن سعد بن أبي السرح، وفي أثناء ذلك وصل منويل الخصي قائد قوات الروم إلى الإسكندرية لإعادتها وتخليصها من يد المسلمين إلى الإسكندرية، ومعه قوات هائلة يحملهم في ثلاثمائة مركب مشحونة بكل ما يلزم هذه القوات من السلاح والعتاد . وحينما علم أهل مصر بأن قوات الروم قد وصلت إلى الإسكندرية، فكتبوا إلى **عثمان** يلتمسون إعادة عمرو بن العاص ليواجه القوات الغازية فإنه أعرف بحربهم، وله هيبة في نفوسهم، فاستجاب الخليفة لطلب المصريين، وأبقى ابن العاص أميراً على مصر [١] . د . محمد السيد الوكيل، جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، ص ٣٣٥ .

روى الترمذيّ وأبو داود عن سليم بن عامر قال: كان بين معاوية والروم **عهد** وكان يسير نحو بلادهم ليقرُب حتى إذا انقضى العهد غزاهم: فجاءه رجل على فرس أو برذون وهو يقول: الله أكبر، الله أكبر، (وفاء لا غدر): فنظروا فإذا هو عمرو ابن عنبسة، فأرسل إليه معاوية فسأله فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

«من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشدّ عقدة ولا يحلها حتى ينقضي أمدُها أو ينبذ إليهم على سواء»

فرجع معاوية بالناس. قال الترمذيّ: هذا حديث حسن صحيح. والسواء: المساواة والاعتدال.

نقض الإسكندرية الصلح مع المسلمين سنة ٢٥ هـ

■ منويل الخصي وجيشه؛ يعيثون في الإسكندرية فساداً، ثم يتوجهون إلى من حولها من القرى ليواصلوا همجيتهم على بقية القرى .

■ منويل الخصي يصل بقواته إلى نقيوس، واستعد عمرو للقائه، وعبأ جنده، وسار بهم نحو خصمه .

■ عند نيقوس، دارت رحى معركة بين الطرفين، صبر كل فريق صبراً أمام خصمه مما زاد الحرب ضراوة واشتعالاً، ودفع بالقائد عمرو إلى أن يمعن في صفوف العدو، ويقدم فرسه بين فرسانهم، ويشهر سيفه بين سيوفهم، ويقطع به هامات الرجال وأعناق الأبطال، وأصاب فرسه سهم فقتله، فترجل عمرو وانضم إلى صفوف المشاة، ورآه المسلمون فأقبلوا على الحرب بقلوب كقلوب الأسود، لا يهابون ولا يخافون قعقعة السيوف، وأمام ضربات المسلمين وهنت عزائم الروم وخارت قواهم، فانهزموا أمام الأبطال الذين يريدون إحدى الحسنيين، وقصد الروم في فرارهم الإسكندرية لعلهم يجدون في حصونها المنيعة وأسوارها الشاهقة ما يواري عنهم شبح الموت الذي يلاحقهم .

■ خرج المصريون بعد أن رأوا هزيمة الروم يصلحون للمسلمين ما أفسده العدو الهارب من الطريق ويقيمون لهم ما دمره من الجسور، وأظهر المصريون فرحتهم بانتصار المسلمين على العدو الذي انتهك حرماتهم واعتدى على أموالهم وممتلكاتهم، وقدموا للمسلمين ما ينقصهم من السلاح والمؤونة . د. محمد السيد الوكيل، جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، ص ٣٣٥ .

حصار الإسكندرية

منطقة صراع بين الفريقين
هجوم الجيش الإسلامي
فرار الجيش الرومي

بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط)
الميناء الشرقية
فاروس
الحي اليهودي
باب الشرق
شارع كانوب
كنيسة العذراء
سور المدينة
بحيرة مريوطيس
كنيسة الوهبنة
الشمال

■ وصل عمرو الإسكندرية ثم ضرب عليها حصاراً ونصّب عليها المجانيق، وظل يضرب أسوار الإسكندرية حتى أوهنها وألح عليها بالضرب؛ حتى ضعف أهلها وتصدعت أسوارها، وفتحت الإسكندرية الحصينة أسوارها. ودخل المسلمون المدينة مكبرين، وراحو يعملون سيوفهم في جيش الاحتلال الروماني البغيض لمصر .

■ بعد الهزيمة القاسية رأت فرت فلول الجيش الرومي الفرار إلى البحر. ولاسيما بعد مقتل قائدهم منويل الخصي، وأسر النساء والذرية بأيدي المسلمين .

■ بعد هذا النصر العظيم، أمر عمرو ببناء مسجد في المكان الذي أوقف فيه القتال وسماه مسجد الرحمة، وعادت الطمأنينة للإسكندرية من جديد بعد تحريرها من براثن الرومان الغزاة .

■ عاد بنيامين (بطريق) القبط إلى الإسكندرية بعد أن فر مع الفارين، وأخذ يرجو عمرو ألا يسيء معاملة القبط لأنهم لم ينقضوا عهدهم، ولم يتخلوا عن واجبهم، ورجاء كذلك ألا يعقد صلحاً مع الروم، وأن يدفنه إذا مات في كنيسة يحنس .

■ المصريون يطلبون من عمرو إرجاع أموالهم ودوابهم التي نهبها الروم. وحقق لهم ما أرادوا ثم قام بهدم سور الإسكندرية، وأصبحت الإسكندرية آمنة من جهاتها كلها رغم هدم أسوارها.

د - علي بن محمد الصلابي، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

المدرج الروماني بكوم الدكة (الإسكندرية).

مكتبة الإسكندرية التاريخية في بنائها الحديث.

كان عمرو بن العاص قد شرع في فتح بلاد النوبة بإذن من الخليفة عمر ، فوجد حرباً لم يتدرب عليها المسلمون وهي الرمي بالنبال في أعين المحاربين، حتى فقدو مائة وخمسين عيناً في أول معركة، ولهذا قبل الجيش الصلح لكن عمرو بن العاص رفض للوصول إلى شروط أفضل، وعندما تولى ابن سعد ولاية مصر في عهد عثمان غـزا النوبة في عام إحدى وثلاثين هجرية، فقاتله الأساود من أهل النوبة قتالاً شديداً، فأصيبت يومئذ عيون كثيرة من المسلمين، فقال شاعرهم:

لم تر عين مثل يوم دُمقلة والخيل تعدو بالدروع مُثقلة

فسأل أهل النوبة عبد الله بن سعد المهادنة، فهادنهم الهدنة بقيت إلى ستة قرون، وعقد لهم عقداً يضمن لهم استقلال بلادهم ويحقق للمسلمين الاطمئنان إلى حدودهم الجنوبية وبفتح النوبة للتجارة والحصول على عدد من الرقيق في خدمة الدولة الإسلامية، وقد اختلط المسلمون بالنوبة والبجة، واعتنق كثير منهم الإسلام . د. علي بن محمد الصلاّبي، عثمان بن عفان شخصيته وعصره، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

نوبة: بضم أوله، وسكون ثانيه، وباء موحدة؛ والنُّوب: جماعة النحل ترعى ثم تنوبُ إلى موضعها، فشبّه ذلك بنوبة الناس والرجوع مرة بعد مرة، وقيل: النُّوب جمع نائب من النحل، والقطعة من النحل تسمى نوبة، شبهوها بالنوبة من السو دن، وهو في عدة مواضع: النوبة بلاد واسعة عريضة في جنوبي مصر وهم نصارى أهل شدة في العيش، أول بلادهم بعد أُسوان يُجلبون إلى مصر فيباعون بها، وكان عثمان بن عفان، رضي الله عنه، صالح النوبة على أربعمائة رأس في السنة، وقد مدحهم النبي، صلى الله عليه وسلم، حيث قال: من لم يكن له أخ فليتخذ أخاً من النوبة، وقال: خير سَبْيِكم النوبة، والنوبة: نصارى يعاقبه لا يطوّون النساء في الحيض ويغتسلون من الجنابة ويختتنون، ومدينة النوبة: اسمها دُمْقُلة وهي منزل الملك على ساحل النيل، وطول بلادهم مع النيل ثمانون ليلة، ومن دُمقلة إلى أُسوان أول عمل مصر مسيرة أربعين ليلة، ومن أُسوان إلى الفُسطاط خمس ليال، ومن أُسوان إلى أدنى بلاد النوبة خمس ليال، وشرقي النوبة أُمه تدعى البجه ذُكروا في موضعهم، وبين النوبة والبجه جبال منعية شاهقة، وكانوا أصحاب أوثان، قالوا: والنوبة أصحاب إبل ونجائب وبقر وغنم وللكهم خيل عتاق وللعامّة براذين ويرمون بالنبل عن القسيّ العربية، وفي بلدهم الحنطة والشعير والذّرة، ولهم نخل وكروم ومُقْل وأراك، وبلدهم أشبه شيء باليمن، وعندهم أُترُنج مفرط العظم، وملوكهم يزعمون أنهم من حِمْير. ولقب ملكهم كابيل، وكتابته إلى عُمّاله وغيرهم: من كابيل ملك مُقُرَى ونوبة؛ وخلفهم أُمه يقال لهم علوا بين ملك النوبة وبينهم ثلاثة أشهر، وخلفهم أُمة أُخرى من السودان تدعى تكنة، وهم وعلوا عُراة لا يلبسون ثوباً ألبتة إنما يمشون عُراة وربما سُبِيَ بعضهم وحمل إلى بلاد المسلمين فلو قطّع الرجل أو المرأة على أن يستتر أو يلبس ثوباً لا يقدر على ذلك ولا يفعله إنما يدهنون أبشارهم بالأدهان، ووعاء الدهن الذي يدّهن به قلفته فإنه يملأها دهناً ويوكي رأسها بخيط فتعظم حتى تصير كالقارورة فإذا لدغَتْ أحدهم ذبابة أخرج من قلفته شيئاً من الدهن فادّهَن به ثم يربطها ويتركها معلّقة؛ وفي بلادهم ينبت الذهب وعندهم يفترق النيل، قالوا: ومن وراء مخرج النيل الظلمة. ونوبة أيضاً: بلد صغير بإفريقية بين تونس وإقليبيا. ونوبة أيضاً: موضع على ثلاثة أيام من المدينة له ذكر في المغازي، ونوبة أيضاً: ناحية من بحر تهامة تسمى بالنوبة لأنهم سكنوها. ونوبة أيضاً: هضبة حمراء بحزيز الحوْأب من أرض بني عبد الله بن أبي بكـــر بن كلاب، وفي حديث عبد الله بن جحش: خرجنا من مليحة نـوبة، ذكـره الواقدي. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٠٨ - ٣٠٩ .

فتح النوبة ودُنقلة سنة ٣١ هـ
مغاغة
البويطي
المنيا
ملوي
ديروط
أسيوط
طهطا
أخميم
سوهاج
جرجا
قنا
نجع حمادي
قفط
الأقصر
أرمنت
إسنا
إدفو
كوم أمبو
أسوان
الجندل الأول
السد العالي
رأس غارب
الطور
البدع
شرم الشيخ
الغردقة
سفاجة
ضبا
بحر القلزم (البحر الأحمر)
مرتفعات البحر الأحمر
الصعيد
القصر
الواحات الداخلة
الخارجة
الواحات الخارجة
مصر
مملكة مقرة
واحة دنقلة
دنقلة
وادي حلفا
الجندل الثاني
الوجه القبلي
أرض النوبة
دلجو
الجندل الثالث
بلد الأساود
مملكة علوة
دنقلة العجوز
يرجع التاريخ الإسلامي لأرض النوبة
إلى بداية الدعوة الإسلامية، ولكن الثابت تاريخياً أن
بداية الاتصال بأرض النوبة تمت في ولاية عمرو بن العاص سنة
٢١ هـ والثانية في عهد عبد الله بن سعد في عام ٣١ هـ ـ الذي قاد
جيشاً قوامه نحو خمسة آلاف مقاتل ـ ولكن جيوش النوبة حالت دون
سقوط مملكة علوه المسيحية وعاصمتها دنقلة. وصمد النوبيون أمام جيوش
المسلمين. وكان أهل النوبة يدينون بالنصرانية ولهم كنيسة في دنقلة . وكان عبد
الله بن سعد يأمل في الحد من هجمات النوبة على صعيد مصر. فمال إلى الصلح
معهم وتم ذلك الصلح الذي عرف في التاريخ بمصطلح معاهدة البقط أو عهد النوبة.
وكان عبارة عن هدنة أمان أو معاهدة عدم اعتداء التزم بها الطرفان. وظل هذا العهد
قائماً بين بلاد المسلمين وبلاد النوبة لفترة تقارب الستة قرون. ووضعت بلاد النوبة في
وضع خاص بين دار الإسلام ودار الحرب. خلال تلك القرون تسربت المؤثرات الإسلامية
تدريجياً وفي هدوء وبطء حيث استوطنت بعض القبائل العربية بلاد النوبة وتوغلوا
جنوباً وتوسع نفوذهم السياسي إثر مصاهرتهم للسكان الوطنيين. واستفادوا
من الأعراف السائدة آنذاك في بلاد النوبة في توريث ابن البنت للحكم ونجحوا
في مصاهرة الأسر الحاكمة فانتقل الحكم لأبنائهم وأحفادهم فيما بعد..
بالإضافة إلى اعتناق الدين الإسلامي من قبل بعض الأسر الحاكمة
والكثير من عامة الناس وخاصتهم.

موقع أرض النوبة

نهر النيل

مصر

أرض النوبة

السودان

من آثار دنقلة في شمالي السودان

آثار الأقصر في جنوبي مصر

بقايا لإطلال منازل في دنقلا (دنقلة) السودانية من أرض النوبة

بناء بسقط من دنقلا (دنقلة)

بقايا أثرية دنقلا - النوبة

وفي أعلى مصر النوبة والبُجة والحبشة، وكان **عثمان بن عفان** صالح النوبة على أربعمائة رأس في السنة. ابن خرداذبه، المسالك والممالك

مركب شراعي على نهر النيل في منطقة (أسوان) المصرية

وأسوان هذه من ثغور النوبة إلا أنهم في أكثر الأوقات متهادنون وكذلك مراكب مصر لا تصعد في النيل إلا إلى مدينة أسوان فقط وهي آخر الصعيد الأعلى وهي مدينة صغيرة عامرة كثيرة الحنطة وسائر أنواع الحبوب والفواكه والدلاع وسائر البقول وبها اللحوم الكثيرة من البقر والحملان والمعز والخرفان وغيرها من صنوف اللحوم العجيبة البالغة في الطيب والسمن وأسعارها مع الأيام رخيصة وبها تجارات وبضائع تحمل منها إلى بلاد النوبة وربما أغار على أطرافها خيل السودان المسمين بالبليين ويزعمون أنهم روم وأنهم على دين النصرانية من أيام القبط وقبل ظهور الإسلام غير أنهم خوارج في النصارى يعاقبة وهم منتقلون فيما بين أرض البجة وأرض الحبشة ويتصلون ببلاد النوبة وهم رحالة ينتقلون ولا يقيمون بمكان مثل مما تفعله لمتونة الصحراء الذين هم بالمغرب الأقصى. وليس يتصل بمدينة أسوان من جهة الشرق بلد الإسلام إلا جبل العلاقي وهو جبل أسفله واد جاف لا ماء به لكن الماء إذا حفر عليه وجد قريباً معيناً كبيراً وبه معدن الذهب والفضة وإليه تجتمع طوائف من الطلاب لهذه المعادن وعلى مقربة من أسوان جنوباً من النيل جبل في أسفله معدن الزمرد في برية منقطعة عن العمارة ولا يوجد الزمرد في شيء من جميع الأرض إلا ما كان منه بذلك المعدن وبه طلاب كثيرة ومن هذا المعدن يخرج ويتجهز به إلى سائر البلاد. الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، النسخة الرقمية

فكرة فتح إفريقية (تونس)

كان من مقاصد حملة عمرو بن العاص رضي الله عنه لبرقة وطرابلس وبقية مناطق ليبيا فتح البلاد وإزالة الطاغوت الروماني عن قلوب العباد حتى تتضح لهم السبل، وتفترق لهم الطرق، وتصبح حرية الاختيار في متناول تلك الشعوب، وبعد تلك الحملة المباركة التي كانت سبباً في دخول ذلك النور إلى تلك المناطق المظلمة بعبادة الأصنام والتقرب إليها بقرابين ، واتخاذ الأنداد والأرباب من البشر من دونه سبحانه وتعالى، وإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وعن حملة عبد الله بن سعد على إفريقة، يقول الدكتور صالح مصطفى : « وفي سنة ٢٦ هـ / ٦٤٦ م عزل عمرو ابن العاص عن ولاية مصر، واستعمل عليها عبد الله ابن سعد رضي الله عنه وكان عبد الله بن سعد يبعث بجرائد الخيل كما كانوا يفعلون أيام عمرو بن العاص فيصيبون من أطراف إفريقية ويغنمون » ليبيا من الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية ، ص ٤٩ . حيث كانت هذه الجرائد تصل إلى أطراف إفريقية (تونس) حالياً لتقوم بحركات استطلاعية واستخباراتية عن مكامن العدو، وهذه الاستطلاعات العسكرية كانت تفعل أثناء ولاية عمرو بن العاص على مصر، لذلك كانت هذه الاستطلاعات تحقق أخباراً مفيدة ومهمة عن طبيعة أرض وجيش العدو، مما دعا بعبد الله بن سعد أن يرسل إلى الخليفة **عثمان بن عفان** رضي الله عنه الأذن له بغزو إفريقية فاستشار عثمان خاصة الصحابة فوافقوا فأذن له، ووعده أن ينفله خمس الخمس إن نجح في غزوته فحقق له عثمان بذلك أمنيته في فتحها. بيد أن الروايات تتباين في طبيعة المشاركين من الصحابة؛ حيث يرى بعض المؤرخين إن من بين المشاركين في هذا الفتح كبار الصحابة ، ومن خيار شباب آل البيت، وأبناء المهاجرين الأوائل وكذلك الأنصار، إلا أن المتفق عليه أن هذا الجيش تحرك من المدينة تحت قيادة الحارث ابن الحكم إلى أن يصلوا إلى أرض مصر فيضعون أنفسهم جميعاً تحت إمرة عبد الله بن سعد بن أبي السرح [١] .

كان **الاحتلال الروماني** الجاثم على معظم الساحل الشامي والشمال الإفريقي قد بلغ شأواً في تضليل الشعوب المستعمرة وإذلالها، فمن تسخيرهم للأهالي في بناء وتشييد المسارح الضخمة، والهياكل الكبيرة، والمباني الفارهة، لخدمة مصالح الرومان في مستعمراتها، إلى إجبار هذه الشعوب المقهورة على عبادة الأصنام والصور والتماثيل التي تصد عن عبادة الله وحده، وتقوم على تمجيد المستعمر، وتدعو للبقاء له؛ وبحمد من الله فقد وقفت على معظم هذه الأطلال التي بُنيت على أيدي هؤلاء الضعفاء والمقهورين في حوض البحر المتوسط، والتقطت لها صوراً في أغلب الأحيان، لكي أُري القارئ الكريم: الفارق بين دوافع الرومان في الاحتلال ورغبة المسلمين في فتح هذه البلاد، فالرومان كانت وسيلتهم في احتلال الشعوب الغطرسة والكبرياء والقهر والإذلال لذلك لم يبق من احتلالهم إلا آثارهم المادية فقط، بينما كانت وسيلة المسلمين حينما تسن لهم دخول هذه البلاد هو الدعوة إلى الله سبحانه ونبذ الشركيات التي تعبد من دونه مما أبقى هذا الفكر الأصيل ولغته إلى يومنا هذا .

ولما بدأ الفتح الإسلامي المبين انطلاقته المباركة منذ عهد الخليفتين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في كل من العراق وفارس وبلاد الشام ومصر والشمال الإفريقي، سار على أثرهما الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، الذي استهل خلافته بتسيير الجند في المحافظة على البلاد المفتوحة واستكمال ما ينبغي فتحه، وكانت ولاية إفريقية هي إحدى مناطق الفتح المستهدف، حيث عين الخليفة عثمان، عبد الله بن سعد بن أبي السرح والياً على مصر وإفريقية بعد أن عزل عمرو بن العاص عنها .

---

١ – د . علي الصلاّبي، تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان رضي الله عنه شخصيته وعصره، ص ٢١٧ .

هو **عبد الله بن سعد** بن أبي السرح بن الحارث بن حُبَيب -بالمهملة مصغراً- ابن حذافة بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي القرشي العامري. وأدخل بعضهم بين حذافة ومالك نصراً، والأول أشهر، يُكنى أبا يحيى، وكان **أخا عثمان من الرضاعة**، وكانت أمه أشعرية قاله الزبير بن بكار، وقال ابن سعد: أمها مهابة بنت جابر، قال ابن حبان: كان أبوه من المنافقين الكفار هكذا قال. وقال عنه الذهبي: ولي مصر لعثمان وقيل شهد صفين والظاهر أنه اعتزل الفتنة وانزوى إلى الرملة، قال مصعب بن عبد الله: استأمن عثمان لابن أبي السرح يوم الفتح من النبي صلى الله عليه وسلم وكان أمر بقتله وهو الذي فتح إفريقية قال الدارقطني: ارتد فأهدر النبي دمه ثم عاد مسلماً واستوهبه عثمان، قال ابن يونس: كان صاحب ميمنة عمرو بن العاص وكان فارس بني عامر المعدود فيهم، غزا إفريقية نزل بأخرة عسقلان فلم يبايع علياً ولا معاوية، قال الواقدي: حدثنا أسامة بن زيد عن بن أبي حبيب قال كان عمرو بن العاص على مصر لعثمان فعزله عن الخراج وأقره على الصلاة والجند واستعمل عبد الله بن أبي السرح على **الخراج** فتداعيا فكتب ابن أبي سرح إلى عثمان أن عمراً كسر الخراج علي وكتب عمرو إن ابن سعد كسر علي مكيدة الحرب فعزل عمراً وأضاف الخراج إلى ابن أبي سرح. الإمام الذهبي؛ سير أعلام النبلاء، ج:٣ ص:٣٣-٣٤.

قال السيد سابق: وأصل الخراج هو فعل أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، في الأرض [illegible] ومصر والعراق.

الارض التى جلا اهلها عنها خوفاً أو صلحاً: وكما تجب قسمة الأرض المفتوحة على الغانمين، أو وقفها على المسلمين، يجب ذلك في الارض التي تركها اهلها خوفا منا، أو التي صالحناهم على أنها لنا، ونقرهم عليها نظير الخراج.

اما التي صالحناهم على انها لهم، ولنا الخراج عنها، فهي كالجزية تسقط بإسلامهم. فق

شمال

بحر بنطس (البحر الأسود)

الامبراطوريه الرومانية

أوروبا

الإمبراطورية الرومانية

أنطاكيا

دمشق

طرابلس

برقة

بلاد الشام

دولة الخلافة الراشدة

بيت المقدس

الإسكندرية

مسار الجيش الإسلامي من المدينة النبوية إلى أرض الكنانة استعداداً لفتح إفريقية (تونس)

دولة الخلافة الراشدة

الفسطاط

لوبيا (ليبيا)

أرض مصر

الصعيد

المدينة النبوية

مكة المكرمة

النوبة

٠ ٢٠٠ ٤٠٠ ٦٠٠ ٨٠٠ ١٠٠٠ كم

جيش المساندة استعداداً لفتح إفريقية (تونس)

أرض السودان

شاركت بعض القبائل في خروجها لمصر للانضمام إلى جيش عبد الله ابن سعد بن أبي السرح .

عندما اكتملت أعداد الجيش ، خطب الخليفة **عثمان بن عفان** رضي الله عنه في صفوف الجيش وبث فيهم الحماس وذكرهم بالله تعالى وقال لهم: لقد استعملت عليكم الحارث بن الحكم إلى أن تقدموا على عبد الله بن سعد فيكون الأمر إليه، واستودعكم الله .

الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه يعيّن الجيش الإسلامي بألف بعير يُحمل عليها ضعفاء المسلمين

تحرك القوات الإسلامية نحو برقة (أنطابلس)

برقة (أنطابلس)

الشمال

البحر الكبير (بحر الروم ـ البحر الأبيض المتوسط)

الإسكندرية

لوبيا (ليبيا)

الفسطاط

القوات الإسلامية تصل إلى برقة من دون أية عقبات تعترضها؛ لأن أهلها كانوا على عهدهم مع المسلمين أيام عمرو ابن العاص، حتى إنه لم يكن يدخلها جابي الخراج، وإنما كانت تبعث بخراجها إلى مصر في الوقت المناسب. وبعد وصول الجيش الإسلامي انضم إليهم **عقبة بن نافع الفهري** بجيشه .

القوات الإسلامية تتحرك من الفسطاط تحت إمرة عبد الله ابن سعد بن أبي السرح، بتعداد يصل إلى ٢٠,٠٠٠ ألف مقاتل ، وتتجه نحو برقة .

أرض مصر

٠ ٢٠٠ ٤٠٠ كم

جامع مدينة بنغازي الليبية القريبة من برقة

مدينة [illegible] (انطابلس) الليبية على ساحل البحر الأبيض المتوسط

إعادة فتح طرابلس للمرة الثانية

سنة ٢٦ هـ

بعد انضمام قوات عقبة بن نافع إلى المسلمين في برقة، وصلت جحافل المسلمين إلى طرابلس بقيادة عبد الله ابن سعد بن أبي السرح، حيث انضم إلى الجيش الإسلامي عدد لابأس به من **البربر** الذين دخلوا في الإسلام وحسن إسلامهم وكانوا أداة قوة مع بقية الجيش الإسلامي الذي استطاع إعادة **فتح طرابلس للمرة الثانية** في العام السادس والعشرين للهجرة المباركة.

ذكر الدكتور/ علي الصلابي: أن عبد الله بن سعد قائد الحملة ما فتئ يرسل الطلائع والعيون في جميع الاتجاهات لاستكشاف الطرق وتأمينها، ورصد تحركات العدو وضبطها، تحسباً لأي كمين، أو مباغتة تطرأ على حين غفلة، فكان من نتائج تلك الطلائع الاستطلاعية أن تم رصد مجموعات من السفن الحربية تابعة للإمبراطورية الرومانية، حيث كانت هذه السفن الحربية قد رست في ساحل ليبيا البحري بالقرب من مدينة طرابلس، فما هي إلا برهة من الزمن حتى كان ما تحمله هذه السفن غنيمة للمسلمين، وقد أسروا أكثر من مائة من أصحابها، وتعتبر هذه أول غنيمة ذات قيمة أصابها المسلمون في طريقهم لفتح إفريقية، ثم واصل عبد الله بن سعد السير إلى إفريقية. تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ص ٢١٨ ـ ٢١٩.

البَرْبَرُ: هو اسم يشتمل قبائل كثيرة في جبال المغرب، أولها بَرْقَة ثم إلى آخر المغرب والبحر المحيط وفي الجنوب إلى بلاد السودان، وهم أُممٌ وقبائل لا تُحصى، يُنسبُ كل موضع إلى القبيلة التي تنزله، ويقال لمجموع بلادهم بلاد البربر، وقد اختُلف في أصل نسبهم، ... وأما أبو المنذر فإنه قال: البربر من ولد فاران بن عمليق، وقال الشرقي: هو عمليق بن يلمع بن عامر بن أشيلخ بن لاوذ بن سام بن نوح، وقال غيره: عمليق بن لاوذ بن سام ابن نوح، عَلَيْهِ السَّلَام؛ والأكثر والأشهر في نسبهم أنهم بقية قوم جالوت لما قتله طالوت هربوا إلى المغرب فتحصنوا في جبالها وقاتلوا أهل بلادها ثم صالحوهم على شيءٍ يأخذونه من أهل البلاد وأقاموا هم في الجبال الحصينة؛ وقال أحمد بن يحيى بن جابر: حدثني بكر ابن الهيثم قال: سألت عبد الله بن صالح عن البربر فقال: هم يزعمون أنهم من ولد بَرّ بن قيس بن عَيلان، وما جعل الله لقَيس من ولد اسمه بَرّ وإنما هم من الجبَّارين الذين قاتلهم داود وطالوت، وكانت منازلهم على الدهر ناحية فلسطين، وهم أهل عَمُود، فلما أُخرجوا من أرض فلسطين أتوا المغرب فتناسلوا به وأقاموا في جباله، وهذه من أسماء قبائلهم التي سميت بهم الأماكن التي نزلوا بها، وهي: هَوَّارة. أمتاهة. ضريسة. مَغيلة، وَرْفَجُومة. ولَطية. مَطْماطة. صَنْهاجة. نَفْزة. كُتامة. لَوَاتة. مَزاتة. رَبُوحة. نَفُوسة. لَمطة. صَدينة. مَصْمُودة. غُمارة. مكْناسة. قالمة. وارية. أُتينة. كومية. سَخُور. أَمْكنة. ضَرْزَبانة. قَطَطَة. حَبير. يَرَاثن واكلان. قَصْدَران. زَرَنْجي. بَرغُواطة. لواطة. زَوَاوة. كزولة. وذكر هشام بن محمد أن جميع هؤلاءِ عمالقة إلاّ صنهاجة وكُتامة، فإنهم بنو افريقس بن قيس بن صيَفي بن سبأ الأصغر كانوا معه لما قدم المغرب وبَنى إفريقية فلما رجع إلى بلاده تخلّفوا عنه عُمَّالاً له على تلك البلاد فبقوا إلى الآن وتناسلوا... . ياقوت الحموي معجم البلدان ج١ ص٣١٨

رجل الطوارق دائم اللثام منذ بلوغه، حتى وهو يأكل فإنه يرفع لثامه قليلاً ويتناول الطعام من تحته !! ويغالي في ذلك حتى أثناء الوضوء، أو التيمم، فإنه يلجأ إلى البعد عن عيون الناس... واللثام غالباً ما يكون عمامة من القماش الأسود (كما هو في الصورة أعلاه) أو الأبيض ثم يلفها حول وجهه بإحكام حتى لا يظهر منه سوى ملامح بسيطة من وجهه.. ولا يضعها حتى حينما ينام..على عكس النساء اللائي في الغالب ما يكن سافرات للوجه.

الأمازيغ (جمعها إيمازيغن) وتعني حسب اعتقاد الأمازيغ الرجل الحر النبيل، ويسميهم غير الأمازيغ غالباً بالبربر الشيء الذي يرفضه العديد من الأمازيغ باعتبار الاسم عبارة عن وصف عنصري يعني المتوحشين، غير أن البعض لا يجد حرجاً في ذلك لاعتقادهم أن الاسم يعود إلى جدهم بربر ابن ثملا بن مازيغ بن كنعان بن نوح. عاش الأمازيغ في شمالي إفريقيا في المنطقة الجغـــرافية الممتدة من غربي مصر القديمة إلى جزر الكناري، ومن حدود جنوبي البحر الأبيض المتوسط إلى أعماق الصحراء الكبرى في النيجر ومالي. ولم يعرف أي شعب سكن شمالي إفريقيا قبل الأمازيغ.

مع دخول الإسلام في إفريقيا استعرب أغلب الأمازيغ بتبنيهم اللغة العربية أو بالأحرى اللهجة العربية المغاربية. ومعظم المعربين الأمازيغ لا يعتبرون أنفسهم معربين وأنما عرباً. ويكيبيديا الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية

إفْرِيقِيَـة : بكسـر الهمـزة: وهو اسم لبلاد واسعة ومملكة كبيرة قبالـة جزيرة صقلية، وينتهي آخرها إلى قبالة جزيـرة الأندلس، والجزيرتان في شماليهـا، فصقلية منحرفة إلى الشـرق والأندلس منحرفة عنها إلى جهة المغرب. وسميت إفريقية بإفريقيس بن أبرهة ابن الرائش؛ وقال أبو المنذر هشـام بـن محمـد: هو إفريقيس بن صَيْفي بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب ابن قحطان وهو الذي اختطَّهـا، وذكروا أنه لما غزا المغرب انتهى إلى موضع واسع رحيب كثير الماء، فأمر أن تُبنَى هناك مدينة فبُنيت وسمّاها إفريقية، اشتقَّ اسمها من اسمه ثم نقل إليها الناسَ ثم نُسبت تلك الولاية بأسْرها إلى هذه المدينة، ثم انصرف إلى اليمن؛ ... وذكر أبو عبد الله القُضاعي أن إفريقية سمّيت بفارق ابن بيصر بن حام بن نوح، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأن أخاه مصر لمـا حـاز لنفسه مصر حاز فارقُ إفريقية، وقد ذكرتُ ذلك متّسقاً في أخبار مصـر؛ قالوا: فلما اختطَّ المسلمون القيروان خربَتْ أفريقية وبقي اسمها على الصُّقع جميعه؛ وقال أبو الريحان البيروتي إن أهل مصر يسمّون ما عن أيْمانهم إذا استقبلوا الجنوب بلاد المغرب، ولذلك سمّيت بلاد إفريقية وما وراءَها بلاد المغرب يعني أنها فرقَتْ بين مصر والمغرب فسميت إفريقية لا أنها مسماة باسم عامرها؛ وحدُّ إفريقية من طرابلس الغرب من جهة برقـة والإسكندريـة إلى بجاية، وقيل: إلى مليانـة، فتكون مسافة طولها نحو شهرين ونصف؛ وقال أبو عبيد البكري الأندلسي: حدُّ إفريقية طولها من برقـة شرقـاً إلى طَنجة الخضراء غرباً، وعرضها من البحر إلى الرمال التي في أول بلاد السودان، وهي جبال ورمال عظيمة متصلة من الشرق إلى الغرب، وفيه يُصاد الفَنَك الجيد، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

قرطاج
إفريقية (تونس)
سبيطلة
أطلس التل
أطلس الصحراء
الجزائر
شط الجريد
ج . جربة
طرابلس
توغرت
تونس
العرق الشرقي الكبير
ليبيا
الصحراء الإفريقية الكبرى

طنجة
المغرب الأقصى
فاس
سردينيا
إيطاليا
البحر الكبير (بحر الروم - البحر الأبيض المتوسط)
الجزائر
أطلس الصحراء
قرطاج
صقلية
إفريقية (تونس)
سبيطلة
قارة إفريقيا
طرابلس
ليبيا

يعتبر جرجيوس (جرجير) الحاكم الروماني البيزنطي حاكماً على القسم الآخر من الشمال الإفريقي ويمتد سلطانه من مدينة طرابلس الليبية مروراً بإفريقية (تونس) والشمال الجزائري وطنجة وجزء من بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) من أرض المغرب .

بداية فتح إفريقية (تونس)

سنة ٢٧ هـ

دخل المسلمون إفريقية بقيادة عبد الله بن سعد، الذي أخذ يبث طلائع جيشه بالقرب من الأماكن التي يتوقع أن يتحصن فيها العدو، حتى اهتدى إلى الطريق الموصل إلى المركز الإداري للحاكم البيزنطي في إفريقية وهي (سبيطلة) بعدها بدأت المراسلات بين قائد المسلمين وقائد الروم، كما سيتضح لك ذلك إن شاء الله تعالى في هذه الصفحة .

اعتاد المسلمون قبل محاربة أعدائهم: أن يقوموا بمراسلة قادة العدو لدعوتهم للدخول في الإسلام استجابة لقول الحق تبارك وتعالى : (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين)؛ لذلك أرسل عبد الله بن سعد كتاباً يدعو فيه قائد الروم جرجيوس (جرجير) إلى الدخول في الإسلام، أو أن يدفع الجزية، ويبقى على دينه خاضعاً لسيادة الإسلام، أو أن يكون القتال بين الطرفين .

وحينما وصلت الرسالة إلى جرجيوس ، غضب غضباً شديداً؛ ثم قال: كيف يدعوه المسلمون إلى الدخول في دينهم وهو الملك المهاب ! . فرد على الرسالة بقبح جاء في خمس كلمات (لا دخلت في دينكم أبداً) فكتب عبد الله إليه كتاباً آخر : (لا بد لك من إحدى خصلتين : الإسلام أو الجزية، فإذا أبيت الإسلام فأدِّ الجزية عن يد وأنت صاغر).

لقد استحوذ الشيطان على جرجيوس ، فرد على عبد الله بكتاب جاء فيه: (لو طلبتم مني درهما واحداً ما أعطيتكم. ولا تتحدث الملوك عني بذلك أبداً). ورأى المنازلة مع المسلمين، وإعادة نفوذ الروم ومكانتهم وأن يعاود دفع الإتاوات إلى قيصر الروم الهارب هرقل، وهو مبلغ كبير من المال يجمعه من البربر، واغتر أن جيشه من سكان البلاد الأصليين وهم (البربر) المغلوب على أمرهم والذي بلغ تعداده أكثر من ١٢٠,٠٠٠ مقاتل، وهم قادرون على منازلة المسلمين وإلحاق الهزيمة بهم !.

الفترة البيزنطية :

سيطر البيزنطيون بسهولة على قرطاج سنة ٥٣٣م ثم انتصر الجيش البيزنطي والذي كان أغلبه مكوناً من المرتزقة على الخيل الوندالية والتي كانت أقوى تشكيل في جيش الوندال. واستسلم آخر ملك وندالي سنة ٥٣٤م. هُجر أغلب الشعب الوندالي قسراً إلى الشرق، ثم أصبحوا عبيداً، بينما جُند الباقون في الجيش أو كعمال في مزارع القمح. سرعان ما عاد الحكام الجديد الاستبدادي إلى سياسة القمع والاضطهاد الديني، كما أثقلوا كاهل الناس بالضرائب مما حدا بهم إلى الحنين إلى سيطرة الوندال على مساوئهم. لكن الله عوضهم بفتح إسلامي مبين يقيم العدل ويحارب الظلم ؟!

يعتبر الأمازيغ هم أول من سكن البلاد؛ لكن المحطة الأبرز في تاريخ تونس القديم تتمثل في وفود الفينيقيين من لبنان والذين قاموا بتأسيس قرطاج في القرن التاسع قبل الميلادي. لكن سرعان ماسيطر الرومان على شمال إفريقيا حتى القرن الخامس الميلادي والذي شهد سقوط إمبراطورية روما، بعدها قدم إلى تونس مجموعات عرقية أوروبية أهمها الوندال. وفي القرن الثامن الميلادي **فتح العرب المسلمون** البلاد ثم تلى ذلك مجيئ عدد كبير من العائلات والقبائل العربية لتأخذ تركيبة البلاد شكلها الحالي. شهدت البلاد أيضاً وفود آلاف الأندلسيين الذين التجئوا إليها بعد طردهم من قبل النصارى كما عرفت ابتداءاً من القرن السادس عشر الميلادي استيطان عدد كبير من العائلات التركية. ومعظم التونسيين اليوم (٩٩٪) مسلمين سنة على مذهب الإمام مالك رحمه الله، مع وجود ٢٠٠٠ يهودي في جزيرة جربة التونسية حسب مصادر تونسية و ١٥٠٠ حسب مصادر يهودية، ويهود تونس العاصمة قدموا من إسبانيا في أواخر القرن الخامس عشر للميلاد بعد اضطهادهم من قبل الإسبان. لكن يهود جربة قدموا من المشرق العربي بعد حرق معبدهم من قبل نبوخذنصر، سنة ٥٨٧ ق . م . ويوجد حوالي ٥٠٠٠٠ نصراني معظمهم من فرنسيي تونس، أو توانسة من أصول إيطالية و مالطية ولاتوجد أي أرقام رسمية لتوانسة متنصرة.

معركة سبيطلة

سنة ٢٧ هـ

قال ابن الأثير[(١)] : ... وانقطع خبر المسلمين عن عثمان، فسيَّر عبد الله بن الزبير في جماعة إليهم ليأتيه بأخبارهم، فسار مجداً ووصل إليهم وأقام معهم، ولما وصل كثر الصياح والتكبير في المسلمين، فسأل جرجير عن الخبر: فقيل قد أتاهم عسكر ففت ذلك في عضده، ورأى عبد الله بن الزبير قتال المسلمين كل يوم من بكرة إلى الظهر: فإذا أذَّن بالظهر عاد كل فريق إلى خيامه، وشهد القتال من الغد، فلم ير ابن أبي السرح معهم فسأل عنه فقيل إنه سمع منادي جرجير يقول: من قتل عبد الله بن سعد، فله مائة ألف دينار وأزوجه ابنتي وهو يخاف فحضر عنده وقال له: تأمر منادياً ينادي من أتاني برأس جرجير نفلته مائة ألف وزوجته ابنته، واستعملته على بلاده، ففعل ذلك، فصار جرجير يخاف أشد من عبد الله، ثم إن عبد الله بن الزبير قال لعبد الله بن سعد: إن أمرنا يطول مع هؤلاء وهم في أمداد متصلة، وبلاد هي لهم ونحن منقطعون عن المسلمين وبلادهم، وقد رأيت أن نترك غداً جماعة صالحة من أبطال المسلمين في خيامهم؛ متأهبين ونقاتل نحن والروم في باقي العسكر إلى أن يضجروا ويملوا فإذا رجعوا إلى خيامهم ورجع المسلمون ركب من كان في الخيام من المسلمين ولم يشهدوا القتال وهم مستريحون ونقصدهم على غرة فلعل الله ينصرنا عليهم .

وأخذت ابنة الملك جرجير سبية، ونزل عبد الله بن سعد المدينة فحصرها حتى فتحها، ورأى فيها من الأموال ما لم يكن في غيرها فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار، وسهم الراجل ألف دينار، ولما فتح عبد الله مدينة سبيطلة بث جيوشه في البلاد فبلغت قفصة فسبوا وغنموا وسيَّر عسكراً إلى حصن الأجم وقد احتمى به أهل تلك البلاد فحصره وفتحه بالأمان فصالحه أهل إفريقية على ألفي ألف وخمسمائة ألف دينار، ونفل عبد الله بن الزبير ابنة الملك وأرسله إلى عثمان بالبشارة بفتح إفريقية، وقيل: إن ابنة الملك وقعت لرجل من الأنصار فأركبها بعيراً وارتجز بها يقول[(٢)] :

يا ابنة جرجير تمشي عقبتك إن عليك بالحجاز ربتك لتحملن من قباء قربتك

ثم إن عبد الله بن سعد عاد من إفريقية إلى مصر، وكان مقامه بإفريقية سنة وثلاثة أشهر ولم يفقد من المسلمين إلا ثلاثة نفر قتل منهم أبو ذؤيب الهذلي الشاعر فدفن هناك، وحمل خمس إفريقية إلى المدينة فاشتراه مروان بن الحكم بخمسمائة ألف دينار فوضعها عنه عثمان وكان هذا مما أخذ عليه وهذا أحسن ما قيل في خمس إفريقية فإن بعض الناس يقول: أعطى عثمان خمس إفريقية عبد الله بن سعد وبعضهم يقول: أعطاه مروان بن الحكم وظهر بهذا أنه أعطى عبد الله خمس الغزوة الأولى وأعطى مروان خمس الغزوة الثانية التي افتتحت فيها جميع إفريقية والله أعلم .

---

١ - الكامل في التاريخ، ج:٢ ص:٤٨٣ .

٢ - الكامل في التاريخ، ج:٢ ص:٤٨٤ .

الإمدادات الإسلامية لجيش ابن سعد
شمال
القيروان
تبسة
حاجب العيون
سوفتيولا
سبيطلة
شلية
القصرين
سيدي بوزيد
جيش عبد الله بن الزبير
سُبَيْطِلَةُ: بضم أوّله، وفتح ثانيه، وياء مثناة من تحت، وطاء مكسورة، ولام: مدينة من مُدُن إفريقية وهي كما يزعمون مدينة جرجير الملك الرومي، وبينها وبين القيروان سبعون ميلاً. الحموي، معجم البلدان.
مكناسي
قفصة
الجيش الإسلامي
هزيمة القوات الرومية والبربرية
موقع الفريقين بعد وصول عبد الله بن الزبير
المعسكر الاحتياطي للجيش الإسلامي

سبيطلة

سُبَيْطِلَةُ : هي مدينة قمودة، على سبعين ميلاً من القيروان، وقال عريب: على مسافة يومين من القيروان، قال اليعقوبي : وهو بلد واسع فيه مدن وحصون، والمدينة القديمة العظمى هي التي يقال لها سبيطلة، وهي كانت مدينة جرجير التي **دخلها عليه المسلمون في جيش عبد الله بن سعد بن أبي سرح في صدر الإسلام**، وكان فيهم عبد الله ابن الزبير، وكان جرجير الملك أبرز ابنته وحرض رومة على قتال المسلمين، ووعد من قتل عبد الله بن سعد بأن يعطيه ابنته ويشاطره في ملكه، وبلغ ذلك عبد الله بن سعد؛ فحرض المسلمين ووعد من قتل الرومي الملك بأن ينفله ابنته، فقتله عبد الله بن الزبير ونفله ابن سعد ابنته، والخبر طويل مشهور. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ٣٠٢ .

سُبَيْطِلَةُ : بضم أوّله، وفتح ثانيه، وياء مثناة من تحت، وطاء مكسورة، ولام: مدينة من مُدُن إفريقية وهي كما يزعمون مدينة جرجير الملك الرومي، وبينها وبين القيروان سبعون ميلاً . الحموي، معجم البلدان، ج ٣ ، ص ١٨٧

مؤلف ومصمم الأطلس أمام المعبد الروماني في سبيطلة (تونس)

١ مدخل مدينة سبيطلة

٢ أحد القرى القريبة من سبيطلة

٣ إحدى الجوامع المنتشرة في سبيطلة التونسية

٤ وسط المدينة (سبيطلة)

٥ أحد الممرات التي حدث فيها سجالًا قوياً بين المسلمين وخصومهم

٦ المنطقة التي أشرف عليها فريق الاحتياط في الجيش الإسلامي

تشتهر مدينة قفصة بحماماتها الحجرية الكبيرة والتي يعود بعضها إلى الفترة الرومانية
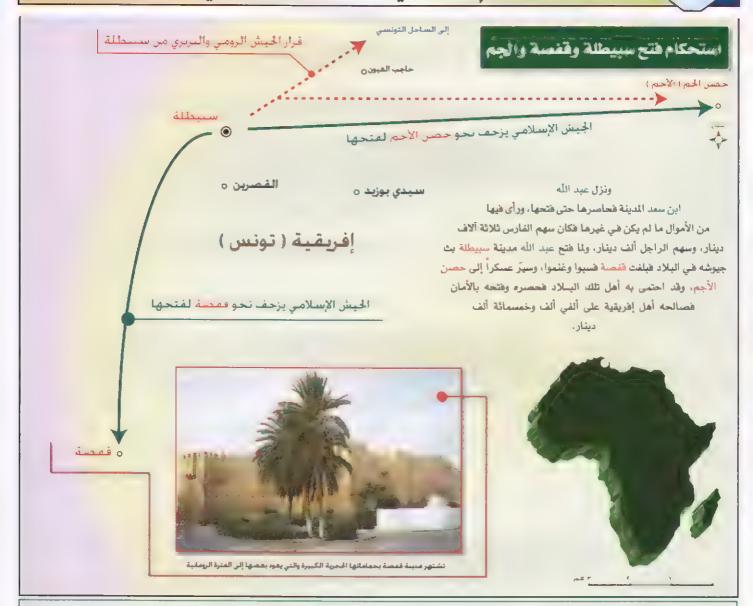
وقعة جرجير والبربر مع المسلمين عند ابن كثير الدمشقي

لَمَّا قصد المسلمون وهم عشرون ألفاً إفريقية، وعليهم **عبد الله بن سعد** بن أبي سرح، وفي جيشه **عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير**، صمد إليهم ملك البربر جرجير في عشرين ومائة ألف « وقيل في مائتي ألف؛ فلما تراءى الجمعان أمر جيشه فأحاطوا بالمسلمين هالة، فوقف المسلمون في موقف لم ير أشنع منه ولا أخوف عليهم منه، قال عبد الله بن الزبير: فنظرت إلى الملك جرجير من وراء الصفوف وهو راكب على برذون، وجاريتان تظلانه بريش الطواويس، فذهبت إلى عبد الله بن سعد بن أبي السرح فسألته: أن يبعث معي من يحمي ظهري وأقصد الملك، فجهز معي جماعة من الشجعان، قال فأمر بهم فحموا ظهري وذهبت حتى خرقت الصفوف إليه ـ وهم يظنون أني في رسالة إلى الملك ـ فلما اقتربت منه أحس مني الشر ففر على برذونه، فلحقته فطعنته برمحي، وذففت عليه بسيفي، وأخذت رأسه فنصبته على رأس الرمح وكبرت، فلما رأى ذلك البربر فرقوا وفروا كفرار القطا، وأتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فغنموا غنائم جمة وأموالاً كثيرة، وسبياً عظيماً، وذلك ببلد يقال له سبيطلة ـ على يومين من القيروان ـ فكان هذا أول موقف اشتهر فيه أمر عبد الله بن الزبير رضي الله عنه وعن أبيه وأصحابهما أجمعين. البداية والنهاية، ج ٨، ص ٥٩ .

حصن الأجم (الجم) والذي احتمى فيه الأهالي الفارون من معركة سبيطلة، وهذا الحصن العجيب يتشابه كثيراً مع مبنى (الكوليزوم) في إيطاليا، ويُرى في أعلى الصورة المؤلف واقفاً أمامه، أما الصورتان الأخرتان فهما للمبنى من الداخل . عدسة المؤلف

إعادة فتح إفريقية

تذكر بعض الروايات أن عبد الله ابن سعد بن أبي السرح عاد إلى إفريقية (تونس) مرة ثانية ، بعد وصوله إلى أرض مصر ، وذلك حين نقض أهل إفريقية العهد الذي بينهم وبين المسلمين، وكان ذلك في سنة ثلاث وثلاثين من الهجرة النبوية المباركة، فخاض معركة انتصر فيها على المنتقضين، وقام بتثبيت دعائم الحكم الإسلامي في هذه البلاد، وأقر أهلها على الإسلام أو الجزية.

تُونسُ الغرب: بالضم ثم السكون، والنون تضم وتفتح وتكسر: مدينة كبيرة محدثة بإفريقية على ساحل بحر الروم، عمِّرت من أنقاض مدينة كبيرة قديمة بالقرب منها، يقال لها قَرطاجنَّة، وكان اسم تونس في القديم تَرْشيش، وهي على ميلين من قرطاجنَّة، ويحيط بسورها أحد وعشرون ألف ذراع، وهي الآن قصبة بلاد إفريقية، بينها وبين سفاقس ثلاثة أيام ومائة ميل بينها وبين القيروان ونحوٌ منه بينها وبين المهدية، وليس بها ماءٌ جارٍ إنما شربهم من آبار ومصانع يجتمع فيها ماء المطر، في كل دار مصنع، وآبارها خارج الديار في أطراف البلد، وماؤها ملح، وعليها محترث كثير، ولها غلَّة فائضة، وهي من أصح بلاد إفريقية هواءً.

وقال البكري: مدينة تونس في سفح جبل يعرف بجبل أمّ عمرو، ويدور بمدينتها خندق حصين، ولها خمسة أبواب، باب الجزيرة قبلي ينسب إلى جزيرة شريك ويخرج منه إلى القيروان، ويقابله الجبل المعروف بجبل التُّوبة، وهو جبل عال لا ينبت شيئاً، وفي أعلاه قصر مبني مشرف على البحر، وفي شرقي هذا القصر غار محني الباب يسمى المشوق، وبالقرب منه عين ماء، وفي غربي هذا الجبل جبل يعرف بجبل الصيادة، فيه قرى كثيرة الزيتون والثمار والمزارع، وفي هذا الجبل سبعة مواجل للماء أقباءٌ على غرار واحد، وفي غربي هذا الجبل أيضاً أشراف بمزارع متصلة بموضع يعرف بالملعب، فيه قصر بني الأغلب، وقد غرس فيه جميع الثمار وأصناف الرياحين، وفي شرقي مدينة تونس الميناء والبحيرة باب قرطاجنَّة، ودونه داخل الخندق بساتين كثيرة وسواقٍ تعرف بسواقي المرج، ويتصل بها جبل أجردُ يقال له جبل أبي خفاجة، وفي أعلاه آثار بنيان، وباب أرطة غربي تجاوره مقبرة يقال لها مقبرة سوق الأحد، ودون الباب من داخل الخندق غدير كبير يعرف بغدير الفحامين، وربض المرضى خارج عن المدينة، وفي قبليه ملاحة كبيرة منها ملحهم وملح من يجاورهم، وجامع تونس رفيع البناء مطلٌ على البحر ينظر الجالس فيه إلى جميع جواريه، ويرقى إلى الجامع من جهة الشرق على اثنتي عشرة درجة، وبها أسواق كثيرة ومتاجر عجيبة وفنادق وحمّامات، ودور المدينة كلُّها رخام بديع، ولها لوحان قائمان وثالث معرض مكان العتبة؛ ومن أمثالهم: دور تونس أبوابها رخام وداخلها سخام؛ وهي دار علم وفقه، وقد ولي قضاء إفريقية من أهلها جماعة ومع ذلك فهي مخصوصة بالتشغُّب والقيام على الأمراء والخلاف للولاة، خالف نحو عشرة مرة وامتحن أهلها أيام أبي يزيد الخارجي بالقتل والسبي وذهاب الأموال... . ياقوت الحموي: معجم البلدان.
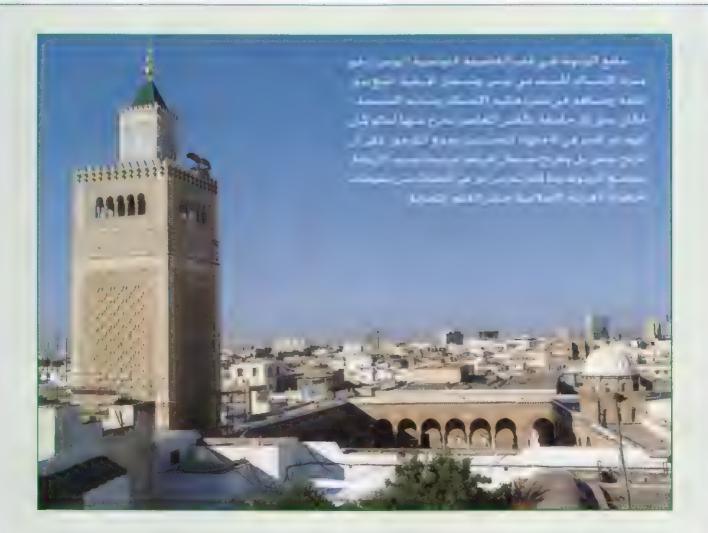
يعتبر جامع القيروان قلعة من قلاع العلم والإيمان في قلب إفريقيا ، فهو أشهر معالم تونس الدينية، حيث شيد في منتصف القرن الهجري الأول على يد الفاتح عقبة بن نافع، جاعلًا من القيروان عاصمة إفريقيا العربية الإسلامية، ومدينة للعلم والفقه والأدب. واكتسب هذا الجامع شهرته كمنارة علم وثقافة، استطاعت أن تستقطب عديد من العلماء والمفكرين، الذين جعلوا منها جامعة، بلغ إشعاعها أقصى العالم الإسلامي، وأصبحت إلى جانب جامع الزيتونة في تونس، والقرويين بالمغرب، والأزهر بمصر، أحد أهم المنارات في القارة الإفريقية . اللقطتان بعدسة المؤلف .

ير على ساحل البحر المتوسط ـ تونس

مخطوط للقرآن الكريم. كتب بالخط الكوفي على (رق) يعود للقرن الخامس الهجري. المتحف التونسي (الباردو).

باب البحر من الوجهة الداخلية والذي يؤدي إلى السوق القديم ثم إلى جامع الزيتونة

طفل بالزي التونسي التقليدي وعادة ما يرتدي الأطفال هذا اللباس في المناسبات والأعياد

يشتهر الشمال الإفريقي بإنتاج مجموعة كبيرة من أنواع التمور ولعل من أبرزها دقلة نور والذي يصدر الكثير منه إلى أوروبا. وهذه الصورة لدقلة نور من الأراضي التونسية

حانوت لبيع الأواني الخزفية والصناعات التقليدية التي تشتهر بها تونس

مصطلحات

المسافات

اليوم	= بريدان = ٨ فراسخ .
البريد	=٤ فراسخ = ٢٢,١٧٦ كيلو متراً .
الفرسخ	= ٣ ميل = ٥٥٤٤ متراً .
المرحلة	= من ٥ إلى ٦ فراسخ .
الميل	= ٤٠٠٠ ذراع مرسلة . الميل ٤٠٠٠* ٤٦,٢ =١٨٤٨م = ١,٨٤٨ كم .
الغلوة	= ١ / ١٠ ميل = ١٨٤,٨ متراً .
الذراع المرسلة	= ٦ قبضات = ٢٤ أصبعاً .
الأصبع	= ١,٩٢٥سم . إذاً طول الذراع المرسلة =٢٤*١,٩٢٥=٤٦,٢ سم .

عَنْ يَحْيَى بْنِ يَزِيدَ الْهُنَائِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ، عَنْ قَصْرِ الصَّلَاةِ؟ فَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ إِذَا خَرَجَ، مَسِيرَةَ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ أَوْ ثَلَاثَةِ فَرَاسِخَ (شك شُعْبَةُ) صَلَّى رَكْعَتَيْنِ. رواه مسلم

المساحات

الجريب	= ٣٦٠٠ ذراعاً هاشمياً مربعاً = ١٣٦٦ متراً مربعاً .

النقود

الدينار	= مثقال = ٤,٢٥ جراماً من الذهب من عيار ٢٤ / ٢٢٤ قيراطاً
الدرهم	= ٧ / ١٠ مثقال = ١٤ قيراطاً . = ٢,٩٧٥ جراماً من الفضة .

وفي العهد النبوي وعصر الفتوحات الإسلامية كان الدينار = ١٠ دراهم

الدينـار: معـربٌ، أصلُـهُ دِنَّارٌ، فَأُبْدِلَ مـن إحداهُما ياءٌ لِئَـلاَّ يَلْتَبِسَ بالمَصـادِرِ، ككِذَّاب وتفسـيرُهُ فـي ح ب ب. والدِّينارِيُّ: فَرَسٌ. ودينارٌ الأنصـاريُّ: صحابيٌّ. وعَمْرُو بنُ دِينارٍ: تابِعـيٌّ، وأبوهُ قيل: صحابيٌّ. والدِّيْنَوَرُ بكسر الدال: د والمُدَنَّرُ: فرسٌ فيه نُكَتٌ فوقَ البَرَشِ. ودَنَّرَ وجْهُهُ تَدْنيراً: تَلأْلأَ. ودينارٌ مُدَنَّرٌ: مَضْروبٌ، ودُنِّرَ، بالضم. فهو مُدَنَّرٌ: كثُرَ دَنانيرُهُ.

الدِّرْهَمُ، كمنْبَرٍ ومِحْرابٍ وزِبْرِجٍ: م وذَكَرْنا وزْنَهُ في م ك ك، ج: دَراهِمُ ودَراهِيمُ. ورَجُلٌ مُدَرْهَمٌ، بفتح الهاءِ: كثيرُها، ولا تقُلْ: دُرْهِمَ، لكنَّهُ إذا وُجِدَ اسْمُ المَفْعول، فالفِعْلُ حاصِلٌ. ودَرْهَمَتِ الخُبَّـازَى: صارَ وَرَقُهـا كالدَّراهِـم. وشَيْخٌ مُدَرْهِـمٌ، كمُشْمَعِـلٍّ: ساقِطٌ كِبَراً. وادْرَهَـمَّ بَصَرُهُ: أظْلَمَ، وكَبِرَ سِنُّـهُ. والدِّرْهَمُ، كمنْبَرٍ: الحَديقَةُ. ودِرْهَـمٌ: أبو زِيادٍ، وأبو مُعاوِيَةَ: صحابِيَّانِ، وفَرَسُ خِداشِ بنِ زُهَيْرٍ. وحَمَّادُ بنُ زَيْدِ بنِ دِرْهَمٍ: محدِّثٌ.

الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة دينار ومادة درهم

١. القرآن الكريم.
٢. صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ت ٢٥٦ هـ. منشورات دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
٣. صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت - ٢٦١ هـ ، منشورات دار أحياء الكتب العربية .
٤. سنن الترمذي، تصنيف أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، بيت الأفكار الدولية. ١٤٢٠هـ.
٥. الخراج، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، ت ١٨٢ هـ، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩٩ هـ .
٦. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة د . مانع بن حمّاد الجهني. نشر دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع
٧. الموسوعة العربية العالمية ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط . الثانية ١٤١٩ هـ، والموسوعة ذاتها على النت .
٨. الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمن من السنة وأحكام القرآن، ابو عبد الله ابن محمد الأنصاري القرطبي، ت ٦٧١ هـ ، نسخة رقمية.
٩. السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ت . ٣٨٤ هـ .
١٠. الطبقات الكبرى أبو عبد الله محمد بن سعد، ت - ٢٣٠ هـ، دار صادر بيروت.
١١. أطلس المملكة العربية السعودية، وزارة التعليم العالي، طبع مكتبة العبيكان. والأطلس الجغرافية المدرسية - مكتبة العبيكان .
١٢. فتوح البلدان، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري البغدادي، ت ٢٧٩ هـ .
١٣. معجم البلدان، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، ت ٦٢٦هـ ، دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان .
١٤. معجم ما استعجم، أبو عبيد عبد الله البكري الأندلسي، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م .
١٥. تاريخ الرسل(الأمم) والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري . ت - ٣١٠ هـ . طبعة بيت الأفكار الدولية . اعتنى به أبو صهيب الكرمي. ونسخة ثانية لتاريخ الأمم والملوك تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- دار المعارف - القاهرة (١٩٩٦م).
١٦. تفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط - ١٤٠٧ هـ.
١٧. الفتوح، أحمد بن محمد ابن أعثم الكوفي، ت ٣١٤ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان، ط . الأولى ١٤٠٦ هـ .
١٨. الغزوات الكبرى ومعارك الفتح في العراق والشام ومصر، أ . عبد الكريم غزال، .
١٩. مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون ، ت ٨٠٨ هـ المكتبة التجارية الكبرى. مصر ، د . ت .
٢٠. البداية والنهاية، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي ت - ٧٧٤ هـ، مكتبة الرياض الحديثة .
٢١. سلسلة التاريخ الإسلامي، الشيخ ، محمود شاكر، المكتب الإسلامي، الطبعة السابعة ١٤١١ هـ، بيروت - لبنان .
٢٢. سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، ت ٧٤٨ هـ مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط . الرابعة ١٤٠٦ هـ .
٢٣. جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، د . محمد السيد الوكيل، ج دار المجتمع للنشر والتوزيع، الطبعة الخامسة ١٤١٦ هـ .
٢٤. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي - تحقيق محمد عطا و مصطفى عطا ، الناشر دار الكتب العلمية - بيروت - ط. الأولى - ١٤١٢هـ .
٢٥. الخلفاء الراشدون، حسن أيوب، الدار الإسلامية للنشر والتوزيع، ط . الأولى ١٤١٨ هـ .
٢٦. مجموعة من المقالات الإسلامية التاريخية للباحث الأستاذ / أحمد تمام ، موقع إسلام أون لاين .
٢٧. الموقع الإلكتروني للتاريخ الإسلامي . وموقع الإسلام اليوم ، وموقع وزارة الأوقاف الكويتية . و مواقع أوروبية إسلامية و موقع حلب عاصمة الثقافة العربية لسنة ٢٠٠٦ م .
٢٨. التاريخ الإسلامي مواقف وعبر، د . عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، دار الدعوة، الإسكندرية، دار الأندلس الخضراء، جدة ، ط . الأولى ١٤١٨ هـ .
٢٩. مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، ت - ٧٢٨ هـ، جمع ابن قاسم، الرياض، ط١.
٣٠. الفن العسكري الإسلامي (أصوله ومصادره)، العميد الركن د . ياسين سويد، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت - لبنان ١٤٠٩ هـ .
٣١. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر الأندلسي، ت - ٤٦٣ هـ .
٣٢. آثار البلاد وأخبار العباد، زكريا بن محمد بن محمود القزويني ، دار صادر للطباعة والنشر، ١٩٩٨م .
٣٣. الخراج، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩٩ هـ .
٣٤. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، ت ٧١١ هـ، دار صادر، بيروت، لبنان.
٣٥. المعرفة والتاريخ، يعقوب بن سفيان الفسوي - تحقيق أكرم ضياء العمري، الناشر، مكتبة الدار بالمدينة المنورة - ط. الأولى - ١٤١٠هـ.
٣٦. الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، شخصيته وعصره، د . علي الصلاّبي، دار الفجر للتراث، القاهرة، مصر ١٤٢٣ هـ.
٣٧. فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، شخصيته وعصره ، د . علي الصلاّبي، دار الفجر للتراث، القاهرة، مصر ١٤٢٣ هـ.
٣٨. تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان رضي الله عنه، شخصيته وعصره . د . علي الصلاّبي، دار الفجر للتراث، القاهرة، مصر ١٤٢٤ هـ .
٣٩. تاريخ دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن بن عساكر، تحقيق مطاع الطرابيشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية - دمشق - سوريا .
٤٠. الطريق إلى المدائن،أحمد عادل كمال ، دار النفائس، بيروت ١٤٠٩ هـ .
٤١. معركة القادسية، أحمد عادل كمال ، دار النفائس، بيروت ١٤٠٩ هـ .
٤٢. سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية، أحمد عادل كمال ،دار النفائس ، بيروت ١٤٠٩ هـ .
٤٣. الطريق إلى دمشق، أحمد عادل كمال، دار النفائس ، بيروت ١٤٠٥هـ.
٤٤. الفتح الإسلامي لمصر، أحمد عادل كمال، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة - مصر ١٤٢٣هـ .
٤٥. أطلس تاريخ القاهرة، أحمد عادل كمال، دار السلام، القاهرة - مصر ١٤٢٤ هـ.
٤٦. أطلس الفتوحات الإسلامية، أحمد عادل كمال ، دار السلام، القاهرة - مصر ١٤٢٥ هـ.
٤٧. رحلة إلى أهوار العراق، محاضرات (ليدي درور)، تقديم وترجمة الأستاذ ثائر صالح .
٤٨. خطب أبي بكر الصدّيق، أ . محمد أحمد عاشور .

٤٩. أطلس تاريخ الأنبياء والرسل، سامي بن عبد الله المغلوث، مكتبة العبيكان، الطبعة العاشرة، ١٤٣٠هـ .

٥٠. أطلس الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، سامي بن عبد الله المغلوث، مكتبة العبيكان، الطبعة الثالثة ١٤٢٩ هـ .

٥١. أطلس الأديان، سامي بن عبد الله المغلوث، مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية ١٤٣٠ هـ .

٥٢. أطلس الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، سامي بن عبد الله المغلوث، مكتبة العبيكان، الطبعة الثالثة ١٤٢٩ هـ .

٥٣. أطلس الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ،سامي بن عبد الله المغلوث، مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية ١٤٣٠ هـ.

٥٤. أهم الأحداث التاريخية في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، سامي بن عبد الله المغلوث، دار الوراق، الأحساء- المملكة العربية السعودية ١٤١٨ هـ.

٥٥. سميرة فادي ، النصرانية في العراق، بغداد، العراق، موقع على النت.

٥٦. د. جميل بن عبد الله المصري . تاريخ الدعوة إلى الإسلامية في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين. مكتبة الدار بالمدينة المنورة. ط. الأولى ١٤٠٧ هـ .

٥٧. المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية ، أبو البقاء الحلي:النسخة الإلكترونية.

٥٨. خالد بن الوليد، صادق إبراهيم عرجون، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٦٧م .

٥٩. دمشق مصايفها ومتنزهاتها، د . علي حسن موسى.

٦٠. مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، دار الكتاب العربي، ط – ٢٠٠٢م .

٦١. خالد بن الوليد، دراسة تاريخية عسكرية، الجنرال أكرم الباكستاني، ترجمة العميد الركن صبحي الجابي.

٦٢. أبو بكر الصديق، د . نزار بن عبد اللطيف الحديثي، وخالد جاسم الجنابي، الشركة العالمية للكتاب.

٦٣. تاريخ فتوح الشام، رواية محمد عبد الله الأزدي البصري ، تحقيق عبد المنعم عبد الله عامر – مؤسسة سجل العرب – القاهرة (١٩٧٠).

٦٤. فتوح الشام، محمد بن عمر الواقدي، ت ٢٠٨ هـ، دار الجيل ، بيروت – لبنان.

٦٥. معركة اليرموك، يوسف غوانمة – دار هشام للنشر والتوزيع- إربد- الأردن (١٩٨٥م).

٦٦. موقع قصة الإسلام، د . راغب السرجاني.

٦٧. صورة الأرض، ابن حوقل النصيبي، ت – ٣٧٦ هـ .

٦٨. موقع قوقل إرث للخرائط والمرئيات والصور الفضائية .

٦٩. موقع ويكيمابيا لبعض الخرائط الفضائية .

٧٠. عصر الخلافة الراشدة، د . أكرم ضياء العمري، مكتبة العبيكان، الرياض – المملكة العربية السعودية .

٧١. ليبيا من الفتح العربي على حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، د . صالح ابن مصطفى الزيني .

٧٢. مكتبة طالب العلم الإلكترونية، إصدار مكتبة العريس – بيروت – لبنان .

٧٣. المكتبة الشاملة الإلكترونية، الأصدار الثاني .

٧٤. المسكوكات، د . ناهض عبد الرزاق القيسي، جامعة بغداد .

٧٥. فلسطين والوعد الحق، مجموعة من العلماء والباحثين، شركة الزاد المحدودة – أسبانيا، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ ١٩٩٤ م .

٧٦. مواقع فلسطينية على الشبكة العنكبوتية.

٧٧. مجموعة من المواقع السورية على الشبكة العنكبوتية.

٧٨. الروض المعطار في خبر الأقطار،محمد بن عبد المنعم الحِميري، إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت – مطابع دار السراج، ط . ٢ – ١٩٨٠م .

٧٩. موقع عن تاريخ الأرمن .

٨٠. موقع ويكيبيديا (الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية).

٨١. العسكرية العربية الإسلامية، اللواء الركن محمود شيت خطاب. : كتاب الأمة. سلسلة فصلية. تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، في دولة قطر، ط . الأولى، صفر الخير ١٤٠٣ هـ .

٨٢. قادة فتح العراق والجزيرة، اللواء الركن محمود شيت خطاب، دار الفكر، ط . الثالثة، ١٣٩٤ هـ.

٨٣. قادة فتح بلاد فارس، اللواء الركن محمود شيت خطاب، دار الفكر، ط . الثالثة، ١٣٩٤ هـ.

٨٤. قادة فتح الشام ومصر، اللواء الركن محمود شيت خطاب، دار الفكر، ط . الثالثة، ١٣٩٤ هـ.

٨٥. أرمينية (أرض روم)، اللواء الركن محمود شيت خطاب.

٨٦. فتح مصر بين الرؤية الإسلامية والرؤية النصرانية، د . إبراهيم المتناوي، دار البشير، طنطا، ط . الأولى ١٤٢٢ هـ .

٨٧. حروب الإسلام في الشام في عهود الخلفاء الراشدين، محمد أحمد باشميل ، ط . الأولى ١٤٠٠ هـ .

٨٨. ترتيب وتهذيب البداية والنهاية، خلافة عمر، د . محمد بن صامل السُلمي، دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ .

٨٩. د . علي بن وهف القحطاني، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط. الأولى . تاريخ النشر ١٤٢٣هـ .

٩٠. رحلة ابن بطوطة المسماة (تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، محمد الطنجي (ابن بطوطة)، المكتبة العصرية، صيدا – لبنان .

٩١. معالم من تاريخ الخلفاء الراشدين، د . محمد بن صامل السلمي ، مجلة البيان .

٩٢. حركة الفتح الإسلامي، شكري فيصل، دار العلم للملايين، ط . السادسة – ١٩٨٢م.

٩٣. القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، طبعة دار الفكر .

٩٤. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبو بكر الكاساني، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦ هـ .

٩٥. مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة،محمد حميد الله، دار النفائس، الطبعة الخامسة ١٤٠٥ هـ.

٩٦. إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار الكتاب العربي.
٩٧. تاريخ الخلفاء الراشدين (الفتوحات والإنجازات السياسية) د. محمد بن سهيل طقوش، دمشق - سوريا.
٩٨. مجلة البيان الإسلامية (أعداد مختلفة) .
٩٩. مجلة الجامعة الإسلامية (أعداد مختلفة) .
١٠٠. موسوعة الفتوحات الإسلامية، الشيخ محمود شاكر، مكتبة أسامة، الأردن .
١٠١. العمليات التعرضية الدفاعية عند المسلمين، د . نهاد .
١٠٢. تاريخ إيران، شاهين مكاريوس ، الناشر: دار الآفاق العربية - ط- ١٤٢٤هـ .
١٠٣. نظم الدرر في تناسب الآي والسور لبرهان الدين البقاعي (ت٨٨٥هـ) ط ١٩٧٣/١م مصورة عن الطبعة الهندية.
١٠٤. موقع مركز دراسات المدينة المنورة .
١٠٥. معركة ذات الصواري، اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ .
١٠٦. جمهورية أذربيجان ومؤلفات أخرى؛ لمعالي الشيخ الداعية محمد بن ناصر العبودي .
١٠٧. فتح العرب لمصر، د . الفرد - ج . بتلر، تعريب محمد فريد أبو حديد بك.
١٠٨. فتوح مصر وأخبارها، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الحكم القرشي المصري، ت - ٢٥٧ هـ .
١٠٩. سلسلة الفتوحات الإسلامية، محمد ثابت توفيق، مكتبة العبيكان، الرياض - المملكة العربية السعودية .
١١٠. تاريخ عمرو بن العاص، حسن إبراهيم حسن .
١١١. ديفيد روبرت، مرتسم لسلة عين شمس .
١١٢. حمدي شاهين، الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين.
١١٣. المواعظ والاعتبار في ذكر الخطب والآثار، أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني المقريزي، نسخة رقمية لمكتبة التراث الإسلامي.
١١٤. الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم ابن الأثير، . ت - ٦٣٠ هـ، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٤ هـ .
١١٥. المسالك والممالك، أبو القاسم عبيد الله بن عبيد الله ابن خرداذبه، نسخة إلكترونية .
١١٦. المسالك والممالك، أبو القاسم إبراهيم الاصطخري، نسخة إلكترونية .
١١٧. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، شمس الدين محمد بن أحمد المقدسي البشاري، ت - ٣٨٠ هـ .
١١٨. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، أبو محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الصقلي أو الشريف الإدريسي، نسخة رقمية .
١١٩. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ابن فضل الله العمري، ت - ٧٤٩ هـ .
١٢٠. سفر نامه (رحلة ناصر خسرو) تحقيق يحيى الخشاب .
١٢١. إيران الإنسان والطبيعة والحياة، نصر الله كسرائيان و زيبا عرشي، إصدار ١٣٧٩ هـ . ش .
١٢٢. الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي .
١٢٣. موسوعة الصحابة ، حرف لتقنية المعلومات .
١٢٤. موقع إسلام أون لاين ، د . خالد عزب .
١٢٥. فقه السنة، السيد سابق، نسخة إلكترونية.
١٢٦. مجموعة كتب إعلامية عن تونس الخضراء .
١٢٧. الحوار مع أهل الكتاب، د. خالد بن عبد الله القاسم، دار المسلم، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.
١٢٨. موقف الإسلام من الحضارات الأخرى. د. محمد نورد شان ، بحث مقدم إلى ندوة الإسلام وحوار الحضارات، غير منشورة ، مكتبة الملك عبد العزيز ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، محرم ، ١٤٢٣هـ.
١٢٩. مختصر تاريخ دمشق ، ابن منظور، النسخة الرقمية .
١٣٠. موقع المدينة المنورة ، أعلام وتراجم .

تم بحمد الله وتوفيقه

أطلس الفتوحات الإسلامية

في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم

سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث

العبيكان Obeikan

سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث

من مواليد الأحساء سنة ١٣٨٢هـ .

بكالوريوس تربية ؛ تخصص رئيس تاريخ، وفرعي جغرافيا.

خطيب جامع المغلوث بمدينة المبرز بمحافظة (الأحساء) .

عضو فريق تأليف العلوم الاجتماعية للمشروع الشامل للمناهج بوزارة التربية والتعليم بمنطقة القصيم التعليمية .

عضو فريق تأليف الأطالس التعليمية بدارة الملك عبد العزيز .

عضو فريق تأليف الأطالس المدرسية بمكتبة العبيكان بالرياض .

حصل على العديد من الشهادات التربوية في مجالي تأليف وتصميم الكتاب المدرسي .

لديه اهتمام في علم السكة والنميات، ويمتلك نوادر العملات النقدية الضاربة في أعماق التاريخ الإنساني.

من الكتب الأكثر مبيعاً والأوسع انتشاراً .

من الكتب الأكثر مبيعاً والأوسع انتشاراً .

مجموعة أطالس الأستاذ / سامي بن عبد الله المغلوث بمكتبة العبيكان

ISBN:978-9960-54-851-7

موضوع الكتاب: ١- الفتوحات الإسلامية

٢- الأطالس التاريخية

موقعنا على الإنترنت:
http:/www.obeikanbookshop.com